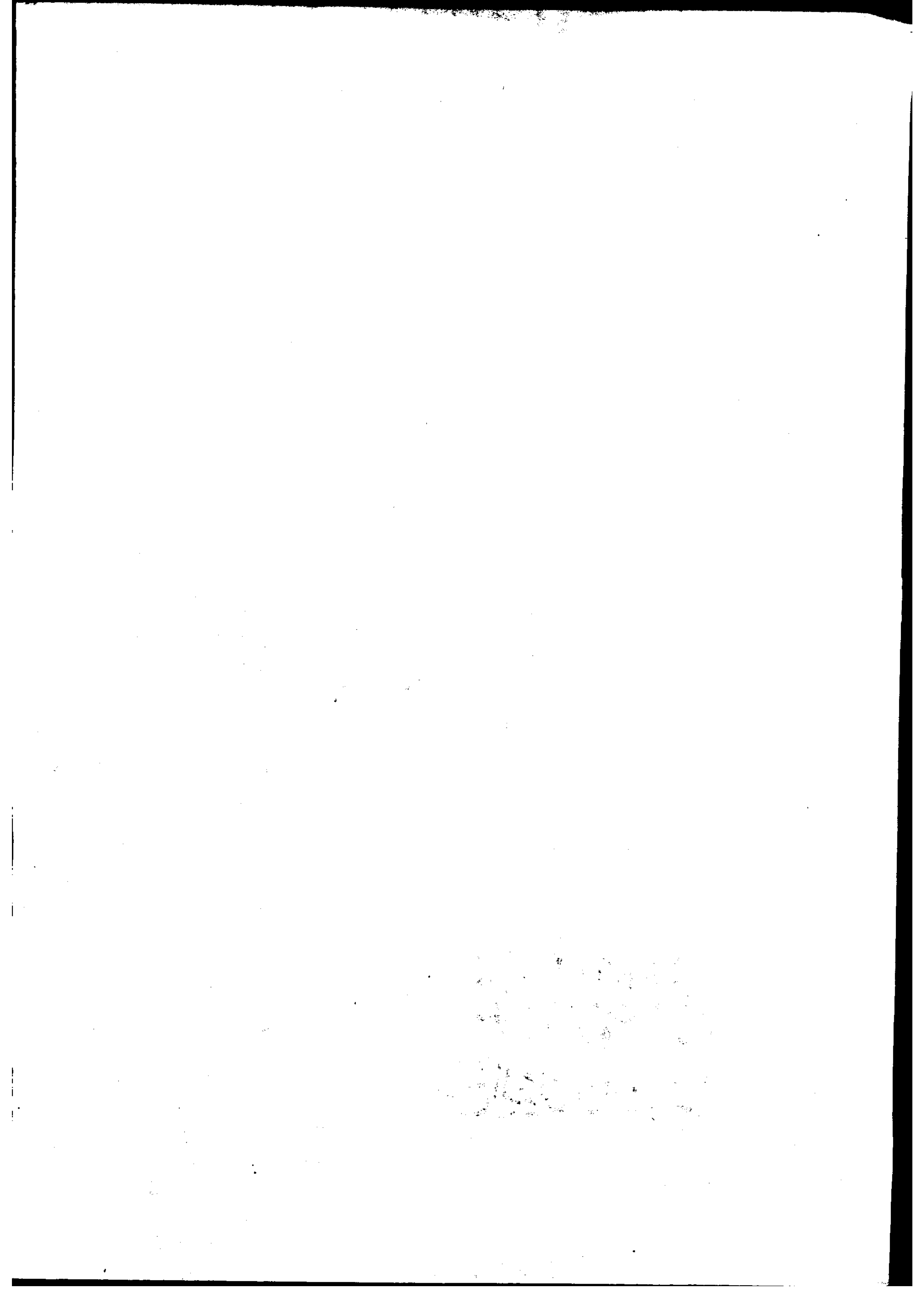
تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن



تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

(٢٢٤هـ - ٣١٠هـ)

تحقيق

الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي

بالتعاون مع

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية

بدار هجر

الدكتور/ عبد السند حسن يمامة

الجزء الثاني

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

القاهرة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية
بدار هجر
الدكتور عبد السند حسن يمامة
مكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة
ت : ٣٢٥١٠٢٧
مطبعــة : ٣٢٥٢٥٧٩ - فاكس : ٣٢٥١٧٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ ﴾ : وإذ استَسْقانا موسى لقومِه ؛ أى : سأَلَنا[1] نَسْقِى قومَه ماءً . فترَك ذكرَ المسئولِ[2] ذلك ، والمَعْنِيّ الذى سأَل موسى ؛ إذ كان فيما ذكَر مِن الكلامِ الظاهرِ دَلالةٌ على معنى ما ترَك [3] وحذَف [3] .

وكذلك قولُه : ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾ . مما استُغْنى بدَلالةِ الظاهرِ على المَتْروكِ منه ، وذلك أن معنى الكلامِ : فقلْنا : اضْرِبْ بعصاكَ الحجرَ . فضرَبه فانْفَجَرت . فترَك ذكْرَ الخبرِ عن ضَرْبِ موسى الحجرَ ؛ إذ كان فيما ذكَر دَلالةٌ على المرادِ منه .

وكذلك قولُه : ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ ﴾ . [٧/٣ظ] إنما معناه : قد علِم كلُّ أناسٍ منهم مَشْرَبَهم . فترَك ذكرَ « منهم » لدَلالةِ الكلامِ عليه .

وقد دلَّلْنا على أن « أناس »[4] جمعٌ لا واحدَ له مِن لفظِه - فيما مضى - وأن

---

(١) بعده فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أن » .

(٢) بعده فى حاشية الأصل : « فى الأم : له » .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) فى م : « الناس » . وهو ما تقدم فى ٢٧٤/١ .

الإنسانَ لو جُمِع على لفظِه لَقيل : أناسينُ[1] وأَناسِيَةٌ .

وقومُ موسى هم بنو إسرائيلَ الذين قصَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ قَصَصَهم فى هذه الآياتِ . وإنما استَسقَى لهم ربَّه جلَّ ثناؤُه الماءَ فى الحالِ التى تاهوا فيها فى التِّيهِ .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ الآية . قال : كان هذا إذ هم فى البَرِّيَّةِ اشتَكَوْا إلى نبيِّهم الظَّمأَ ، فأُمِروا /بحجرٍ طُورانىٍّ[2] مِن الطُّورِ ، أن يَضرِبَه موسى بعَصاه ، فكانوا يَحمِلونه معهم ، فإذا نزَلوا ضرَبه موسى بعصاه ، فانفَجَرَت منه اثنتا عشْرةَ عينًا ، لكلِّ سِبطٍ عينٌ مَعلومةٌ ، مُستَفيدٌ[3] ماؤُها لهم[4] .

٣٠٧/١

حدَّثنى تَميمُ بنُ المُنتَصِرِ ، قال : أخبَرنا يزيدُ ، قال : أخبَرنا أصْبَغُ بنُ زيدٍ ، عن القاسمِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ذلك فى التِّيهِ ، ظُلِّل عليهم الغَمامُ ، وأُنْزِل عليهم المَنُّ والسَّلْوَى ، وجُعِل لهم ثيابٌ لا تَبلَى ولا تَتَّسِخُ ، وجُعِل بينَ ظَهْرانَيْهِم حجرٌ مُرَبَّعٌ ، وأُمِر موسى فضَرب بعصاه الحجرَ ، فانفجَرتْ منه اثنتا عشْرةَ عينًا ، فى كلِّ ناحيةٍ منه ثلاثُ عيونٍ ، لكلِّ سبطٍ عينٌ ، ولا يَرتَحِلون مَنْقَلةً[5] إلا وجَدوا ذلك الحجرَ منهم[6] بالمكانِ الذى كان به منهم[6] فى

---

(١) فى م : « أناسى » . وهو جمع صحيح بإبدال الياء من النون .

(٢) فى م : « طورى أى » ، وفى تفسير ابن حاتم : « طورى » .

(٣) فى م : « مستفيض » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢١/١ (٥٩٧، ٦٠١) من طريق شيبان ، عن قتادة ، مختصرًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٢/١ إلى عبد بن حميد .

(٥) المنقلة : المرحلة من مراحل السفر . اللسان (ن ق ل) .

(٦) فى م : « معهم » .

المنزلِ الأولِ .

حدَّثني عبدُ الكريمِ ، قال : أخبَرَنا إبراهيمُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن [(1)] أبي سَعْدٍ [(1)] ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ذلك في التِّيهِ ، ضرَب لهم موسى الحجرَ ، فصار فيه اثنتا عَشْرةَ عينًا مِن ماءٍ ، لكلِّ سِبْطٍ منهم عينٌ يَشرَبون منها[(2)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾ : [(3)] فانفَجر لهم الحجرُ بضربةِ موسى اثنتى [(3)] عشْرَةَ عينًا ، لكلِّ سِبْطٍ منهم عينٌ ، كلُّ ذلك كان في تِيهِهِم حينَ تاهوا[(4)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ قولَه : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ . قال : خافوا الظَّمأَ في تِيهِهِم حينَ تاهوا ، فانْفَجَر لهم الحجرُ اثنتَىْ عشْرةَ عينًا ، ضرَبه موسى . قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال ابنُ عباسٍ : الأسْباطُ بنو يَعقوبَ ، كانوا اثْنَى عشَرَ رجلًا ، كلُّ واحدٍ منهم ولَد

(١ - ١) في م ، ت ٣ ، وتفسير ابن كثير : « أبي سعيد » . والصواب المثبت ، وهو أبو سعد البقال سعيد بن المرزبان ، كما تقدم في ٦٤٧/١.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢/١ إلى المصنف . وذكره ابن كثير في تفسيره ١٤٣/١ عن سفيان الثوري ، عن أبي سعيد ، عن عكرمة به .

وسفيان هو ابن عيينة ، كما جاء مصرحًا بذلك في ٦٤٧/١، وإبراهيم بن بشار الرمادي مشهور بالرواية عنه ، ولا يعرف له رواية عن الثوري .

(٣ - ٣) في م : « فانفجرت منه اثنتا » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

سِبْطًا[(١)] ؛ أُمَّةً مِن الناسِ[(٢)] .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، [٨/٣و] قال : قال ابنُ زيدٍ : اسْتَسْقَى لهم موسى في التِّيهِ ، فسُقُوا في حَجرٍ مثلِ رأسِ الشاةِ . قال : يُلْقُونه في جانبِ[(٣)] الجُوَالِقِ[(٤)] إذا ارْتَحَلوا ، ويَقْرَعُه موسى بالعصا إذا نزَل ، فتَنْفَجِرُ منه اثنتا عشْرَةَ عينًا ، لكلِّ سِبطٍ منهم عينٌ ، فكان بنو إسرائيلَ يَشْرَبون منه ، حتى إذا كان الرحيلُ اسْتَمْسَكت العُيونُ ، وقيل به[(٥)] فأُلْقِي في جانبِ الجُوَالِقِ ، فإذا نزَل رمَى به ، فقرَعه بالعصا ، فتفَجَّرت عينٌ مِن كلِّ ناحيةٍ مثلَ البحرِ .

وحدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ ، قال : كان ذلك في التِّيهِ[(٦)] .

وأما قولُه : ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ . فإنما أخبَرَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بذلك عنهم ، [(٧)] فخصَّ بالنَّبأِ عنهم بذلك[(٧)] ؛ لأنَّ معناهم - في الذي أخرَج اللَّهُ لهم مِن الحجرِ الذي وصَف في هذه الآيةِ صفتَه مِن الشربِ - كان مُخالِفًا معانيَ سائرِ الخلقِ فيما أخرَج اللَّهُ لهم مِن المياهِ مِن الجبالِ والأرَضِينَ ، التي لا مالكَ لها سوى اللَّهِ جلَّ وعزَّ . وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه كان جعَل لكلِّ سِبْطٍ مِن الأسباطِ الاثنَيْ عشَرَ ،

---

(١) بعده في م : « و » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٤٠ إلى المصنف مقتصرًا على آخره .

(٣) في م : « جوانب » .

(٤) الجوالق : وعاء من الأوعية معروف ، فارسي معرب . اللسان (ج ل ق) .

(٥) قيل به . أي : رُفع وحُمل ، والعرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال ، وتطلقه على غير الكلام واللسان ، فتقول : قال بيده . أي أخذ ، وقال برجله . أي مشى . ينظر النهاية ٤/ ١٢٤ .

(٦) أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٤٣٠، ٤٣١ عن موسى بن هارون به ، عن السدي بإسناده ، مطولًا .

(٧ - ٧) سقط من : ر ، م ، ت١، ت٢، ت٣ .

عينًا مِن الحجرِ الذى وصَف صفتَه فى هذه الآيةِ ، يَشْرَبُ منها دونَ سائرِ الأسباطِ غيرِه ، لا يَدْخُلُ سِبْطٌ منهم فى شِرْبِ سِبْطٍ غيرِه ، فكان مع ذلك لكلِّ عينٍ مِن تلك /العيونِ الاثنتَىِ العشرةَ موضعٌ مِن الحجرِ ، قد عرَفه السِّبْطُ الذى منه شِرْبُه[1] ، فلذلك ٣٠٨/١ خصَّ جلَّ ثناؤُه هؤلاء بالخبرِ عنهم أن كلَّ أناسٍ منهم كانوا عالِمِين بمَشْرَبِهم دونَ غيرِهم مِن الناسِ ، إذ كان غيرُهم – فى الماءِ الذى لا يَمْلِكُه أحدٌ – شُركاءَ فى مَنابعِه ومَسايِلِه ، وكان كلُّ سِبْطٍ مِن هؤلاء [2]كان منفردًا[2] بشِرْبِ مَنبَعٍ مِن مَنابعِ الحجرِ – دونَ سائرِ مَنابعِه – خاصٌّ لهم دونَ سائرِ الأسباطِ غيرِهم ، فلذلك خصَّ بالخبرِ عنهم أن كلَّ أناسٍ منهم قد علِموا مَشْرَبَهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ ﴾ .

وهذا أيضًا مما استُغْنِى بذكرِ ما هو ظاهرٌ منه عن ذكرِ ما تُرِك ذكرُه . وذلك أن تأويلَ الكلامِ : فقلنا : اضرِبْ بعصاك الحجرَ . فضرَبه ، فانْفَجَرت منه اثنتا عشرةَ عينًا ، قد [٨/٣ظ] علِم كلُّ أناسٍ منهم[3] مَشْرَبَهم ، فقيل لهم : كلوا واشرَبوا مِن رزقِ اللَّهِ . أخبَر جلَّ ثناؤُه أنه أمَرهم بأكلِ ما رزَقهم فى التِّيهِ مِن المنِّ والسلوى ، وبشربِ ما فجَّر لهم[4] مِن الماءِ مِن الحجرِ المتُعاوَرِ[5] الذى لا قَرارَ له فى أرضٍ ، ولا سبيلَ إليه [6]لماءٍ ، ولكنَّه[6] يَتَدفَّقُ بعيونِ الماءِ ، ويَزْخَرُ بينابيعِ العَذْبِ الفُراتِ ، بقدرةِ ذى الجلالِ والإكرامِ .

---

(١) الشرب ، بالكسر : النصيب من الماء والحصة منه . المصباح المنير (ش ر ب) .

(٢ - ٢) فى ر ، م : « مفردا » .

(٣) زيادة من : ر .

(٤) بعده فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فيه » .

(٥) اعتوروا الشيء وتعوّروه وتعاوروه : تداولوه فيما بينهم . اللسان (ع و ر) .

(٦ - ٦) فى ر : « لماء لكنه » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لمالكيه » .

ثم تقَدَّم جلَّ ثناؤُه إليهم - مع (١) إباحتِه لهم (١) ما أباح ، وإنعامِه عليهم بما أنعَم (٢) مِن العيشِ الهَنِيءِ - بالنهيِ عن السعْيِ في الأرضِ فسادًا ، والعَثَا فيها استكبارًا ، فقال تعالى ذكرُه لهم : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠) ﴾ .

يعني جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا ﴾ : لا تَطْغَوا ، ولا تَسْعَوْا في الأرضِ مُفْسِدِين .

كما حدَّثني به المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الرَّبيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ . يقولُ : لا تَسْعَوا في الأرضِ فَسادًا (٣) .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ . (٤) قال : لا تَطْغَوا في الأرضِ مفسدين (٤) . لا تَعْثَ : لا تَطْغَ .

حدَّثنا بشرٌ ، (٥) قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ (٥) ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ . أي : لا تَسيروا في الأرضِ مُفْسِدِين (٦) .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرٌ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحاكِ ، عن ابنِ

(١ - ١) في م : « إباحتهم » .

(٢) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « به عليهم » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٢/١ (٦٠٦) من طريق آدم به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٢/١ (٦٠٧) من طريق شيبان ، عن قتادة .

عباسٍ : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ : لا تَسْعَوْا فى الأرضِ[(١)] .

وأصلُ العَثَا شدةُ الإفسادِ ، [(٢)] بل هو أشدُّ الإفسادِ [(٢)] ، يُقالُ منه : عَثِى فلانٌ فى الأرضِ - إذا تجاوَزَ فى الإفسادِ إلى غايتِه - يَعْثَى عَثًا ، مقصورٌ ، وللجماعةِ : هم يَعْثَوْن . وفيه لُغَتان أُخْرَيان ؛ إحداهما : عَثَا يَعْثُو عُثُوًّا[(٣)] . ومَن قرَأ بهذه اللغةِ ، فإنه يَنْبَغِى له أن يَضُمَّ الثاءَ مِن « يعثُو » ، ولا أعْلَمُ قارئًا يُقْتَدَى بقراءتِه قرَأ به . ومَن نطَق بهذه اللغةِ مُخْبِرًا عن نفسِه قال : عثَوْتُ أَعْثُو . ومَن نطَق باللغةِ الأولى قال : عَثِيتُ أَعْثَى .

والأخرى منهما : عاث يَعِيثُ عَيْثًا وعُيُوثًا وعَيَثانًا ، كلُّ ذلك بمعنًى واحدٍ . ومِن العَيْثِ قولُ رُؤْبَةَ بنِ العَجَّاجِ[(٤)] :

/[٩/٣و] وعاثَ فِينَا مُسْتَحِلٌّ عَـائِثُ ٣٠٩/١

مُصَـــدِّقٌ أو تاجِــرٌ مُقاعِثُ[(٥)]

يعنى بقولِه : عاث فينا : أفسَد فينا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٢/١ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) ضبطت فى الأصل هكذا : « عَثْوًا » .

(٤) ديوانه ص ٣٠.

(٥) المصدق : الذى يقبض أموال الصدقة والزكاة . والمقاعث : الذى يستأصل المال ويستوعبه . اللسان (ص د ق ، ق ع ث) .

قال أبو جعفرٍ رحمه اللَّهُ : قد دلَّلنا فيما مضَى قبلُ على معنَى الصبرِ ، وأنه كَفُّ النفْسِ وحبسُها عن الشيءِ[(١)] . فإذ كان ذلك كذلك ، فمعنى الآيةِ إذن : واذْكُروا إذ قلتم يا معشرَ بنى إسرائيلَ : لن نُطِيقَ حبسَ أنفسِنا على طعامٍ واحدٍ - وذلك الطعامُ الواحدُ هو ما أخبَر اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أنه أطْعَمَهموه فى تِيهِهم ، وهو السلْوى فى قولِ بعضِ أهلِ التأويلِ ، وفى قولِ وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ هو الخبزُ النَّقِيُّ مع اللحمِ - فاسْأَلْ لنا ربَّك يُخرِجْ لنا مما تُنبِتُ الأرضُ مِن البَقْلِ والقِثَّاءِ ، وما سَمَّى اللَّهُ مع ذلك وذكَر أنهم سألُوه موسى .

وكان سببَ مسألتِهم موسى ذلك فيما بلَغَنا ما حدَّثنا به بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ . قال : كان القومُ فى البرِّيَّةِ قد ظُلِّل عليهم الغَمامُ ، وأُنْزِل عليهم المنُّ والسَّلْوَى ، فملُّوا ذلك ، وذكَروا عيشًا كان لهم بمصرَ ، فسألُوه موسى ، فقال اللَّهُ تبارك وتعالى : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾[(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ . قال : ملُّوا طعامَهم ، وذكَروا عيشَهم الذى كانوا فيه قبلَ ذلك ، قالُوا : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا ﴾[(٣)] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الرَّبيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ . قال : كان طعامُهم السلوى ، وشرابُهم المنَّ ، فسألُوا ما ذُكِر ، فقيل لهم : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٦١٧/١ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٢/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٤٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٣/١ (٦١١) عن الحسن بن يحيى به .

لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ . قال أبو جعفرٍ الرازيُّ[1] : وقال قتادةُ : إنهم لما قدِموا الشامَ فقَدوا أَطْعماتِهم[2] التي كانوا يأْكُلونها ، فقالوا : ﴿ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ . وكانوا قد ظُلِّل عليهم الغَمامُ ، وأُنْزِل عليهم المنُّ والسلْوى ، فملُّوا ذلك ، وذكَروا عيشًا كانوا فيه بمصرَ[3] .

/حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، [٩/٣ظ] قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، ٣١٠/١ عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، [4]عن مجاهدٍ[4] في قولِ اللَّهِ : ﴿ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ : المنُّ والسلْوى ، فاسْتَبْدَلوا به البَقْلَ وما ذُكِر معه[5] .

وحدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ بمثلِه سَواءً .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ بمثلِه .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ : أُعْطُوا في التِّيهِ ما أُعْطُوا ، فأَجَمُوا[6] ذلك ، فقالوا : ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا

---

(١) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «أطعمتهم».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٢/١، ١٢٣ (٦٠٩، ٦١٢) من طريق آدم به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٦) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «فملوا» وهما بمعنى . وانظر التاج (أ ج م) .

وَبَصَلِهَا ﴾[1] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبَرنا ابنُ زيدٍ ، قال : كان طعامُ بنى إسرائيلَ فى التِّيهِ واحدًا ، وشرابُهم واحدًا ، كان شرابُهم عسلًا يَنزِلُ لهم مِن السماءِ ، يُقالُ له : المنُّ . وطعامُهم طيرٌ يقالُ له : السَّلوى . يأكُلون الطيرَ ، ويشربُون العسلَ ، لم يكونوا يعرِفون خبزًا ولا غيرَه ، فقالوا : يا موسى ، إنَّا لن نَصْبِرَ على طعامٍ واحدٍ ، ﴿ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴾ . فقرأ حتى بلَغ : ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْـرًا ﴾ .

وإنما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴾ . ولم يَذْكُرِ الذى سأَلوه أن يَدْعُوَ ربَّه ليُخْرجَه لهم مِن الأرضِ ، فيقولوا[2] : ادْعُ لنا ربَّك يُخْرِجْ لنا كذا وكذا مما تُنْبِتُه الأرضُ مِن بقلِها وقِثَّائِها ؛ لأن « مِن » تأتى بمعنى التبعيضِ لما بعدَها ، فاكْتُفِى بها مِن ذِكْرِ المُبَعَّضِ[3] ، إذ كان معلومًا بدخولِها معنى ما أُرِيد بالكلامِ الذى هى فيه ، كقولِ القائلِ : أَصَبْتُ[4] اليومَ عندَ فلانٍ مِن الطعامِ . يُرِيدُ : أصبْتُ[5] شيئًا منه .

وقد قال بعضُهم : « مِن » هٰهنا بمعنى الإلغاءِ والإسقاطِ ، كأنَّ معنى الكلامِ عندَه : يُخْرِجْ لنا ما تُنْبِتُ الأرضُ من بقلِها . واسْتَشْهَد على ذلك بقولِ العربِ : ما

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٢٢ (٦١٠) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وينظر تاريخ المصنف ١/ ٤٣١.

(٢) فى م : « فيقول : قالوا » .

(٣) فى م : « التبعيض » .

(٤) فى م : « أصبح » .

(٥) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

رأيتُ مِن أحدٍ . بمعنى : ما رأيتُ أحدًا . وبقولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَيُكَفِّرُ[(١)] عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧١] . وبقولِهم : قد كان مِن حديثٍ ، فخَلِّ عنى حتى أذهَبَ . يُريدون : قد كان حديثٌ .

وقد أنكَر مِن أهلِ العربيةِ جماعةٌ أن تَكونَ « مِنْ » بمعنى الإلغاءِ فى شىءٍ مِن الكلامِ ، وادَّعَوْا أن دخولَها فى كلِّ موضعٍ دخَلَت فيه [(٢)]إيذانٌ بأنَّ[(٢)] المتكلمَ مُريدٌ بعضَ ما أُدْخِلَت فيه لا جميعَه ، وأنها لا تَدْخُلُ فى موضعٍ إلا لمعنًى مفهومٍ .

فتأويلُ الكلامِ إذن - على ما وصَفْنا مِن أمرِ مَن ذكَرْنا - : فادْعُ لنا ربَّك يُخْرِجْ لنا بعضَ ما تُنْبِتُ الأرضُ من بَقْلِها وقِثَّائِها .

والبَقْلُ والقِثَّاءُ والعَدَسُ والبَصَلُ ، [٣/١٠و] هو ما قد عرَفه الناسُ بينَهم مِن نباتِ الأرضِ وحبِّها .

وأما الفُومُ ، فإن أهلَ التأويلِ مختلِفون[(٣)] فيه ؛ فقال بعضُهم : هو الحِنْطةُ والخبزُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ومُؤَمَّلٌ ، قالا : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ جُريجٍ[(٤)] ، عن عطاءٍ ، قال : الفُومُ الخبزُ[(٥)] .

---

(١) فى الأصل : « يكفر » . وينظر ما سيأتى عند تأويل هذه الآية .

(٢ - ٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « مؤذن أن » .

(٣) فى ر ، م : « اختلفوا » .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « أبى نجيح » .

(٥) تفسير الثورى ص ٤٥ .

٣١١/١ /حدَّثني أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سُفيانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ومُجاهِدٍ قولَه : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ . قالا : خُبزُها[(١)] .

حدَّثني زكريا بنُ يحيى بنِ أبي زائدةَ ومحمدُ بنُ عمرٍو ، قالا : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ . قال : الخبزُ[(٢)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ والحسنِ : الفومُ هو الحبُّ الذي يَخْتَبِزُ الناسُ .

حدَّثنا الحسنُ ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ والحسنِ مثلَه[(٣)] .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبَرَنا حُصَيْنٌ ، عن أبي مالكٍ في قولِه : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ . قال : الحنطةُ[(٤)] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن يونُسَ ، عن الحسنِ وحُصَيْنٍ ، عن أبي مالكٍ في قولِه : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ . الحِنْطةُ[(٥)] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن قَتادةَ ، قال : الفُومُ الحبُّ الذي يَخْتَبِزُ الناسُ منه .

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٤٥ عن الثوري به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٧٢ إلى وكيع وعبد ابن حميد .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠٤.

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٧.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٩٠- تفسير) عن خالد بن عبد الله ، عن حصين به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٧٢ إلى عبد بن حميد .

(٥) سقط من الأصل .

والأثر ذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٤٥ عن هشيم به .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ : هو الحِنطةُ[(١)] .

حدَّثني القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال لي عَطاءُ بنُ أبي رَباحٍ قولَه : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ . قال : خبزُها. قالها مجاهدٌ.

حدَّثني يحيى بنُ عثمانَ السَّهْميُّ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثني معاويةُ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ . يقولُ : الحِنْطةُ والخبزُ[(٢)] .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : ثنا بشرٌ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ قال : هو البُرُّ بعينِه ؛ الحِنْطةُ[(٣)] .

حدَّثني عليُّ بنُ الحسنِ ، قال : ثنا مسلمٌ الجَرْميُّ ، قال : ثنا عيسى بنُ يونُسَ ،عن رِشْدِينَ بنِ كُرَيْبٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ . قال : الفومُ الحِنْطةُ بلسانِ بني هاشمٍ[(٤)] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال[(٥)] ابنُ زيدٍ : الفُومُ الخبزُ[(٦)] .

حدَّثني عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكمِ المِصريُّ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ بنُ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٣/١ عقب الأثر (٦١٤) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في الإتقان ٦/٢ - عن أبيه عن عبد الله بن صالح به ، دون قوله : والخبز . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٣/١ (٦١٣) من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، بلفظ : الخبز .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٤٥/١ عن الضحاك به .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٤٥/١ عن المصنف . ورشدين ضعيف .

(٥) بعده في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « لي » .

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ١٤٥.

منصورٍ اليَحْصَبىُّ ، عن نافعِ بنِ أبى نُعَيْمٍ ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ [٣/١٠ظ] سُئِل عن قولِ اللَّهِ : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ . قال : الحِنْطةُ ، أما سمِعْتَ قولَ أُحَيْحةَ بنِ الجُلَاحِ ، وهو يقولُ :

قد كنتُ أغْنَى الناسِ شخصًا واحدًا ورَد المدينـةَ عـن زِراعـةِ فُـومِ[١]

وقال آخَرون : هو الثُّومُ .

٣١٢/١

/ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا شَريكٌ ، عن ليثٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : هو هذا الثُّومُ[٢] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : الفُومُ الثُّومُ[٣] .

وهى فى بعضِ القراءةِ : (وثومِها) .

وقد ذُكِر أن تسميةَ الحِنْطةِ والخبزِ جميعًا فُومًا مِن اللغةِ القديمةِ . حُكِى سماعًا مِن أهلِ هذه اللغةِ : فَوِّموا لنا . بمعنًى : اخْتَبِزوا لنا .

وذُكِر أن ذلك فى[٤] قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (وثومِها)[٥] . بالثاءِ . فإن كان

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٣/١ (٦١٤) من طريق نافع به . وهو لم يدرك ابن عباس .

وأخرجه الطبرانى فى الكبير (١٠٥٩٧) من طريق جويبر ، عن الضحاك فى المسائل التى سألها نافع بن الأزرق لابن عباس ، والأثر فى مسائل نافع ص ٤٠ .

والبيت فى الأغانى ١٩/٢، واللسان (ف و م) منسوب إلى أبى محجن الثقفى . وفى الأغانى « فول » بدلًا من « فوم » . وهو فى المسائل مختلف عن هلهنا .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٤٤/١ عن ليث بن أبى سليم ، عن مجاهد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٣/١ عقب الأثر (٦١٥) من طريق عبد الله بن أبى جعفر به .

(٤) سقط من : م .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (١٩١– تفسير) ، وابن أبى داود فى المصاحف ص ٥٤ =

ذلك صحيحًا فإنه مِن الحروفِ المُبْدَلةِ ، كقولِهم : وقَعوا فى عاثُورِ[1] شَرٍّ وعافورِ شرٍّ . وكقولِهم للأَثافيِّ : أثاثِيُّ ، وللمَغافيرِ : مَغاثِيرُ ، وما أشْبَهَ ذلك مما تُقْلَبُ فيه[2] الثاءُ فاءً ، والفاءُ ثاءً ؛ لتقارُبِ مَخْرجِ الفاءِ مِن مَخْرَجِ الثاءِ . والمَغافيرُ شَبِيهٌ [3]بالصَّمْغَةِ والعسلِ ، ينزِلُ من السماءِ[3] يَقَعُ على الشجرِ وغيرِها[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ ﴾ . قال موسى لهم : أتأْخُذون الذى هو أخسُّ خَطَرًا وقيمةً وقَدْرًا مِن العيشِ ، بدلًا بالذى هو خيرٌ منه خطرًا وقيمةً وقدرًا ؟ وذلك كان استبدالَهم .

وأصلُ الاسْتِبْدالِ هو تركُ شىءٍ لآخرَ غيرِه مكانَ المتروكِ .

ومعنى قولِه : ﴿ أَدْنَىٰ ﴾ : أخَسُّ وأوضعُ وأصغرُ قَدْرًا وخَطَرًا . وأصلُه مِن قولِهم : هذا رجلٌ دَنِيٌّ بَيِّنُ الدَّناءةِ ، وإنه ليُدَنِّى فى الأمورِ . بغيرِ همزٍ . إذا كان يَتَتَبَّعُ خسائسَها[5] . وقد ذُكِر الهمزُ عن بعضِ العربِ فيه سماعًا منهم ، يقولون : ما كنتَ دَنِيئًا ، ولقد دَنأْتَ . وأنْشَدنى بعضُ أصحابِنا عن غيرِه أنه سمِع بعضَ بنى كِلابٍ

= بأسانيد ضعيفة .

(١) العاثور : ما أُعدَّ ليقع فيه أحد . التاج (ع ث ر) .

(٢) سقط من : ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣ - ٣) فى ر : « بالشيء الحلو يشبه بالعسل ينزل من السماء حار » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بالشيء الحلو يشبه بالعسل ينزل من السماء حلوا » .

(٤) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « نحوها » .

(٥) فى م : « خسيسها » .

يُنشِدُ بيتًا للأعشى[(١)] :

باسِلةُ الوَقْعِ سَرابِيلُها بِيضٌ إلى دانِيها[(٢)] الظاهِرِ

[١١/٣و] يَهْمِزُ الدانئَ . وأنه سمِعهم يقولون : إنه لَدانئٌ خَبيثٌ . بالهمزِ . فإن كان ذلك عنهم صحيحًا ، فالهمزُ فيه لغةٌ ، وتركُه أخرَى .

ولا شكَّ أن من استَبْدَل بالمنِّ والسلْوى البَقْلَ والقِثَّاءَ والعَدَسَ والبَصَلَ والثُّومَ ، فقد استَبْدَلَ الوَضِيعَ مِن العيشِ بالرفيعِ منه .

وقد تأوَّل بعضُهم قولَه : ﴿ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ ﴾ بمعنى : الذي هو أقربُ . ووجَّه قولَه : ﴿ أَدْنَىٰ ﴾ إلى أنه أفْعَلُ ؛ مِن الدُّنُوِّ الذي هو بمعنى القربِ .

وبنحوِ الذي قلنا في معنى قولِه : ﴿ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ ﴾ . قاله عددٌ مِن أهلِ التأويلِ في تأويلِه .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ . يقولُ : أتستبدِلون الذي هو شرٌّ بالذي هو خيرٌ[(٣)] .

١/٣١٣ /حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ قولَه : ﴿ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ ﴾ . قال : أَرْدَأُ[(٤)] .

---

(١) ديوانه ص ١٤٧.

(٢) في الديوان : « جانبها » .

(٣) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « منه » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٤/١ (٦١٧) من طريق يزيد بن زريع به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٣/١ إلى المصنف .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ .

وتأويلُ ذلك : فدعا موسى ، فاستجبْنا له ، فقلْنا لهم : اهْبِطوا مصرًا . وهو مِن[1] المحذوفِ الذى اجْتُزِئَ بدَلالةِ ظاهرِه عن[2] ذِكْرِ ما حُذِف وتُرِك منه .

وقد دلَّلْنا فيما مضَى على أن معنى الهبوطِ إلى المكانِ إنما هو النزولُ إليه والحُلولُ به[3] .

فتأويلُ الآيةِ إذن : وإذ قلتُم : يا موسى ، لن نصبِرَ على طعامٍ واحدٍ ، فادْعُ لنا ربَّك يُخرِجْ لنا مما تُنبِتُ الأرضُ من بقلِها وقثَّائِها وفُومِها وعدَسِها وبصلِها . قال موسى لهم : أتَستَبدِلون الذى هو أخَسُّ وأرْدَأُ مِن العيشِ بالذى هو خيرٌ منه ؟ فدعا لهم موسى ربَّه أن يُعطِيَهم ما سألوه ، فاستَجاب اللَّهُ له دعاءَه ، فأعْطاهم ما طلَبوا ، وقال اللَّهُ تعالى ذكره لهم : اهْبِطُوا مِصْرًا فإن لكم ما سألتُم .

ثم اختلفت القَرَأَةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ . فقرَأته عامَّةُ القَرَأَةِ : ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ بتنوينِ « المِصْرِ » وإجْرائِه . وقرَأه بعضُهم بتركِ التنوينِ وحذفِ الألفِ [٣/١١ظ] منه[4] . فأما الذين نوَّنوه وأجْرَوْه ، فإنهم عنَوْا به مصرًا مِن الأمصارِ لا مصرًا بعينِه . فتأويلُه على قراءتِهم : اهْبِطوا مصرًا مِن الأمصارِ ؛ لأنكم فى [5] البَرِّ و[5] البَدْوِ ، والذى طلَبْتُم لا يكونُ فى البَوادِى والفَيافِى ، وإنما يكونُ فى القُرى والأمصارِ ؛ فإنَّ لكم إذا هبطْتُموه[6] ما سألتُم مِن العيشِ . وقد يجوزُ أن يكونَ بعضُ

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « على » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ١/٥٧١ .

(٤) وهذه قراءة الحسن وطلحة والأعمش وأبان بن تغلب ، وهى كذلك فى مصحف أُبى وابن مسعود وبعض مصاحف عثمان . المصاحف لابن أبى داود ص ٥٧، والبحر المحيط ١/ ٢٣٤.

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى الأصل : « به » .

مَن قرَأ ذلك بالإجْراءِ والتَّنوينِ ، كان تأويلُ الكلامِ عندَه : اهْبِطوا مصرًا البلدةَ التى تُعْرَفُ بهذا الاسم ، وهى مصرُ التى خرَجوا عنها . غيرَ أنه أجْراها ونوَّنها اتِّباعًا منه خَطَّ المصحفِ ؛ لأن فى المصحفِ ألفًا ثابتةً فى « مصرَ » ، فيكونُ سبيلُ قراءتِه ذلك بالإجْراءِ والتنوينِ سبيلَ قراءةِ مَن قرأ : (كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوارِيرَا مِن فِضَّةٍ) [الإنسان: ١٥، ١٦]. مُنَوَّنةً[1] ، اتِّباعًا منه خطَّ المُصْحفِ .

وأما الذى لم يُنَوِّنْ « مصرَ » ، فإنه لاشكَّ أنه عنَى « مصرَ » التى تُعْرَفُ بهذا الاسمِ بعينِها دونَ سائرِ البُلْدانِ غيرِها .

وقد اختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك نظيرَ اختِلافِ القَرأةِ فى قراءتِه ؛ فحدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قَتادةَ : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا ﴾ . أىْ : مِصرًا مِن الأمصارِ ، ﴿ فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾[2] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا ﴾ : مِن الأمصارِ ، ﴿ فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ . فلمَّا خرَجوا مِن التِّيهِ رُفِع المنُّ والسَّلْوَى وأكَلوا البُقولَ[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا ﴾ . قال : مِصْرًا مِن الأمصارِ ، زعَموا أنهم لم يَرْجِعوا إلى مصرَ .

---

(١) وهى قراءة نافع والكسائى وعاصم فى رواية أبى بكر ، وقرأ ابن كثير بالتنوين فى الأولى ، وبغير تنوين فى الثانية . السبعة لابن مجاهد ص ٦٦٣، ٦٦٤.

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٤/١ عقب الأثر (٦١٨) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٣/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٤/١ (٦٢١) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد ، به مختصرًا .

حدَّثني المثنَّى، قال: حدَّثنا آدمُ، قال: حدَّثنا أبو جعفرٍ، عن قتادةَ في قولِه: ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا ﴾. قال: يعني مصرًا مِن الأمصارِ.

حدَّثني يونُسُ، قال: أخبَرَنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ: ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا ﴾. قال: مِصْرًا مِن الأمصارِ، ومصرُ لا تُجْرَى في الكتابِ[1]. فقالوا: أيُّ مصرٍ؟ قال: الأرضُ المقدَّسةُ[2]. /وقرأ قولَ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة: ٢١]. ١/٣١٤

وقال آخرون: هي مصرُ التي كان بها فرعونُ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنَّى، قال: حدَّثنا آدمُ، قال: حدَّثنا أبو جعفرٍ، عن الرَّبيعِ، عن أبي العاليةِ في قولِه: ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا ﴾. قال: يعني به مصرَ فرعونَ[3].

حُدِّثْتُ عن عمارٍ، قال: حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن الرَّبيعِ مثلَه.

ومِن حُجَّةِ مَن قال: إن اللَّهَ تعالى ذكرُه إنما عنَى بقولِه: ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا ﴾. مصرًا مِن الأمصارِ دونَ مصرِ فرعونَ بعينِها - أن اللَّهَ [٣/١٢و] تبارك وتعالى جعَل أرضَ الشامِ لبني إسرائيلَ مَساكنَ بعدَ أن أخرَجَهم مِن مصرَ، وإنما ابْتَلاهم بالتِّيهِ بامتناعِهم على موسى صلى اللَّهُ عليه في حربِ الجَبابرةِ، إذ قال لهم: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾. ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ[4] إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ

---

(١) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «الكلام».

(٢) بعده في م: «التي كتب الله لهم».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٢٤ (٦١٩) من طريق آدم به.

(٤) بعده في م: «إن فيها قومًا جبارين. إلى قوله».

وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤]. فحرَّم اللَّهُ عزَّ وجلَّ على قائلى ذلك - فيما ذُكِر لنا - دخولَها حتى هلكوا فى التِّيهِ ، وابْتَلاهم بالتَّيهانِ فى الأرضِ أربعين سنةً ، ثم أهْبَط ذرِّيَّتَهم الشامَ ، فأسْكَنَهم الأرضَ المقدَّسة ، وجعَل هلاكَ الجبابرةِ على أيديهم مع يُوشَعَ بنِ نُونٍ ، بعدَ وفاةِ موسى عليه السلامُ . قالوا[1] : فرأَيْنا اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قد أخبَرَ عنهم أنه كتَب لهم الأرضَ المقدسةَ ، ولم يُخْبِرْنا عنهم أنه ردَّهم إلى مصرَ بعدَ إخراجِه إيَّاهم منها ، فيَجوزَ لنا أن نَقْرَأَ : (اهبِطوا مصرَ) . ونَتَأوَّلَه أنه ردَّهم إليها .

قالوا : فإن احْتَجَّ مُحْتَجٌّ بقولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٧- ٥٩] .

قيل له[2] : فإن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه إنما أوْرَثهم ذلك فملَّكهم إيَّاها ، ولم يَرُدَّهم إليها ، وجعَل مَساكنَهم الشامَ .

وأما الذين قالوا : إنما عنَى اللَّهُ تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ ٱهْبِطُواْ ﴾ . مصرَ ، فإن مِن حُجَّتِهم التى احتَجُّوا بها الآيةَ التى قال فيها : ﴿ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ . وقولَه : ﴿ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٥- ٢٨] . قالوا : فأخبَرَ اللَّهُ تعالى ذكرُه أنه قد ورَّثهم ذلك وجعَلها لهم ، فلم يكونوا لِيَرِثُوها ثم لا يَنْتَفِعوا بها .

قالوا : ولا يَكونون مُنْتَفِعِين بها إلا [3]بمَصيرِهم أو[3] بمَصيرِ بعضِهم إليها ، وإلا فلا وجهَ للانتفاعِ بها إن لم يَصيروا أو يَصِرْ بعضُهم إليها .

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « لهم » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

قالوا : وأُخرى أنها في قراءةِ أُبيِّ ابنِ كعبٍ وعبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ : (اهبِطوا مصرَ) . بغيرِ ألفٍ . قالوا : ففى ذلك الدَّلالةُ البينةُ على أنها مصرُ بعينِها .

والذى نقولُ به فى ذلك أنه لا دَلالةَ فى كتابِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه على الصوابِ مِن هذين التأويلَين ، ولا خبرَ به عن الرسولِ ﷺ يَقطَعُ مجيئُه العذرَ ، وأهلُ التأويلِ مُتنازِعون تأويلَه .

فأولى الأقوالِ فى ذلك عندَنا بالصوابِ[1] أن يُقالَ : إن موسى سأَل ربَّه أن يُعطِىَ قومَه ما سأَلوه مِن /نباتِ الأرضِ - على ما بيَّنه اللَّهُ جلَّ ثناؤُه فى كتابِه - وهم فى الأرضِ [١٢/٣ظ] تائِهون ، فاستَجاب اللَّهُ لموسى دعاءَه ، وأمَره أن يَهبِطَ بمَن معه مِن قومِه قَرارًا مِن الأرضِ التى تُنْبِتُ[2] ما سأَل لهم مِن ذلك ، إذ كان ما[3] سأَلوه لا يُنبِتُه إلَّا القُرَى والأمصارُ ، فإنَّه[4] قد أعطاهم ذلك إذا[5] صاروا إليه . وجائزٌ أن يَكونَ ذلك القَرارُ مصرَ ، وجائزٌ أن يكونَ الشامَ .

٣١٥/١

فأما القراءةُ فإنها بالألفِ والتنوينِ : ﴿ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا ﴾ . وهى القراءةُ التى لا يَجوزُ عندى غيرُها ؛ لإجماعِ خُطوطِ مصاحفِ المسلمين ، واتفاقِ قراءةِ القَرَأَةِ على ذلك ، ولم يَقرَأْ بتركِ التنوينِ فيه وإسقاطِ الألفِ منه إلا مَن لا يَجوزُ الاعتِراضُ به على الحُجَّةِ فيما جاءَت به مِن القراءةِ مُستَفيضًا فيها[6] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ ﴾ .

---

(١) فى ر، م : «والصواب» .

(٢) بعده فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: «لهم» .

(٣) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: «الذى» .

(٤) فى ر ، م : «وأنه» .

(٥) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: «إذ» .

(٦) فى ر: «منهكة» ، وكتب فوقها: «فيها» ، وأشار إلى نسخة ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: «بينها» .
وإلى هنا ينتهى الجزء الموجود عندنا من النسخة «ر» وهو نهاية المجلد الأول منها .

يعنى جلّ ثناؤه بقوله : ﴿ وَضُرِبَتْ ﴾ . أى : فُرِضَت ووُضِعَت عليهم الذِّلةُ وأُلْزِمُوها ، مِن قولِ القائلِ : ضرَب الإمامُ الجزْيةَ على أهلِ الذِّمةِ ، وضرَب الرجلُ على عبدِه الخَراجَ . يعنى بذلك [1]أنَّه فرَضه ووظَّفه وألزمه[1] إيَّاه ، وهو من قولِهم : ضرَب الأميرُ على الجيشِ البَعْثَ . يُرادُ به : أَلْزَمَهموه .

وأما « الذِّلةُ » فإنَّها الفِعْلةُ ، مِن قولِ القائلِ : ذلَّ فلانٌ يَذِلُّ ذُلًّا وذِلَّةً . كالصِّفْوةِ[2] ، مِن : صفا[3] هذا الأمرُ . والقِعْدةِ ، مِن : قعَد .

و « الذِّلةُ » هى الصَّغارُ الذى أمَر اللَّهُ عبادَه المؤمنين ألا يُعْطُوهم أمانًا - على القَرارِ على ما هم عليه مِن كفرِهم به وبرسلِه[4] - إلا أن يَبْذُلوا الجزيةَ عليه لهم ، فقال تبارك اسمُه : ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] .

كما حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ[5] ، عن الحسنِ وقتادةَ فى قولِه : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ ﴾ . قالا : يُعْطُون الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون[6] .

وأما « المَسْكَنةُ » فإنَّها مصدرُ المِسْكينِ ، يقالُ : ما فيهم أَسْكَنُ مِن فلانٍ . و: ما كان مِسْكينًا . و: لقد تَمَسْكن تَمَسْكُنًا[7] . ومِن العربِ مَن يقولُ : تسكَّن[8]

(١ - ١) فى م : « وضعه فألزمه » .
(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كالصغرة » .
(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « صغر » .
(٤) فى م : « برسوله » .
(٥) فى الأصل : « عمار » .
(٦) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٧ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٢٥ (٦٢٣) عن الحسن بن يحيى به .
(٧) فى م : « مسكنة » .
(٨) فى م : « تمسكن » .

تسكُّنًا[1] . و « المَسْكَنةُ » فى هذا الموضعِ مَسْكَنةُ الفاقةِ والحاجةِ ، وهى خُشوعُها وذُلُّها .

كما حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الرَّبيعِ ، عن [٣/١٣٠] أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ . قال : الفاقةُ[2] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ قولَه : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ . قال : الفقرُ[3] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ . قال : هؤلاء يهودُ بنى إسرائيلَ . قلتُ له : هم قِبْطُ مصرَ ؟ قال : وما لقِبْطِ مصرَ وهذا ، لا واللَّهِ ما هم هم ، ولكنهم اليهودُ ، يهودُ بنى إسرائيلَ .

فأخبَرَ[4] اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنه أبْدَلهم[5] بالعِزِّ ذُلًّا ، وبالنِّعمةِ بُؤْسًا ، وبالرِّضا عنهم غَضَبًا ، جَزاءً منه لهم على كُفرِهم بآياتِه ، وقتلِهم أنبياءَه ورسلَه ؛ اعتداءً وظلمًا منهم بغيرِ حقٍّ ، و[6]عصيانًا منهم[6] له ، وخلافًا عليه ، تعالى ربُّنا وجلَّ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ .

/يعنى بقولِه : ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ : انْصَرَفوا ورجَعوا . ولا يُقالُ : باءُوا . إلَّا موصولًا ؛ إمَّا بخيرٍ وإما بشرٍّ ، يُقالُ منه : باء فلانٌ بذنبِه ، يَبُوءُ به بَوْءًا وبَواءً[7] . ومنه ٣١٦/١

(١) فى م : « تمسكنا » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/١٢٥ (٦٢٧) من طريق آدم به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٢٥ عقب الأثر (٦٢٧) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فأخبرهم » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يبدلهم » .

(٦ - ٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عصيانهم » .

(٧) فى الأصل ، ت ٢ : « بؤوءا » .

قولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ ﴾ [المائدة : ٢٩] . يعنى : تَنْصَرِفَ مُتَحَمِّلَهما[1] وتَرْجِعَ بهما ، قد صارا عليك دُونى .

فمعنى الكلامِ إذن : فرجَعوا مُنْصَرِفين مُتَحَمِّلِين غَضَبَ اللَّهِ ، قد صار عليهم مِن اللَّهِ غَضَبٌ ، ووجَب عليهم منه سَخَطٌ . كما حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ فى قولِه : ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ . فحدَث عليهم غَضَبٌ مِن اللَّهِ[2] .

حدَّثنا يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخبَرَنا يَزِيدُ ، قال : أخبَرَنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضَّحَّاكِ فى قولِه : ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ . قال : استَحَقُّوا الغضبَ مِن اللَّهِ[3] .

وقد بيَّنَّا معنى غضَبِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه على عبدِه فيما مضَى مِن كتابِنا هذا ، فأغْنَى عن إعادتِه فى هذا المكانِ[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ . ضربَ الذِّلةِ والمَسْكَنةِ عليهم ، وإحلالَ[5] [6] غضبِه بهم[6] ، فدلَّ بقولِه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ - وهو يعنى به ما وصَفْنا - على أن قولَ القائلِ : ذلك . يَشْمَلُ المعانىَ الكثيرةَ إذا أُشِير به إليها .

---

(١) فى الأصل : « محتملهما » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦/١ (٦٣١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦/١ عقب الأثر (٦٣١) معلقًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٣/١ إلى المصنف .

(٤) ينظر ما تقدم فى ١/ ١٨٩، ١٩٠.

(٥) فى م : « إحلاله » .

(٦ - ٦) فى ت ٣: « الغضب عليهم » .

ويعنى بقولِه : [١٣/٣ظ] ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ . مِن أجْلِ أنهم كانوا يَكْفُرون . يقولُ : فعَلْنا (١) الذى فعلْنا (١) بهم - مِن إحلالِ الذُّلِّ والمَسْكَنةِ والسَّخَطِ بهم - مِن أجْلِ أنهم كانوا يَكْفُرون بآياتِ اللَّهِ ، ويَقْتُلون النَّبِيين بغيرِ الحقِّ . كما قال أعْشَى بنى ثَعْلَبَةَ [٢] :

مَلِيكيَّةٌ جاوَرَتْ بالحِجا زِ قَوْمًا عُدَاةً وأرضًا شَطِيرًا

بما قد تَرَبَّعُ رَوْضَ القَطَا [٣] ورَوْضَ التَّناضِبِ [٤] حتى تَصِيرَا [٥]

يعنى بذلك : جاوَرَتْ [٦] هذه المرأةُ قومًا عُدَاةً وأرضًا بَعيدةً مِن أهلِه ، مكانَ [٧] قُرْبِها كان منه ومِن قومِه وبدلًا ؛ مِن [٨] تَرَبُّعِها رَوْضَ القَطَا ورَوْضَ التَّناضِبِ .

فكذلك قولُه : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ . يقولُ : كان ذلك منا (٩) مِن أجلِ كفرِهم (٩) بآياتِنا ، وجَزاءً لهم بقتلِهم أنبياءَنا .

وقد بيَّنَّا فيما مضَى مِن كتابِنا أن معنى الكفرِ تَغْطيةُ الشىءِ وسترُه ، وأن آياتِ اللَّهِ حُجَجُه وأعلامُه وأدلتُه على توحيدِه وصدقِ رسلِه [١٠] .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) ديوانه ص ٩٣ .

(٣) روض القطا : من أشهر رياض العرب وأكثرها دورا فى أشعارهم ، وهى بين السّلى والعرمة شرق مدينة الرياض . معجم البلدان ٢/ ٨٥٦ ، ومعجم الأماكن الواردة فى المعلقات العشر ص ٢٣٠ وما بعدها .

(٤) التناضب : من أضاة بنى غفار فوق سرف ، على مرحلة من مكة . تاج العروس (ن ض ب) .

(٥) حتى تصيرا : حتى تحضر المياه ، والمصير : الموضع الذى تصير إليه المياه . اللسان (ص ى ر) .

(٦) بعده فى م : « بهذا المكان » .

(٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بمكان » .

(٨) « من » هنا تعليلية ، يريد : من أجل .

(٩ - ٩) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بكفرهم » .

(١٠) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٦٢ .

فمعنى الكلامِ إذن : فعَلْنا بهم ذلك مِن أجْلِ أنهم كانوا يَجحَدون حُجَجَ اللَّهِ على توحيدِه وتصديقِ رسلِه ، (١) ويُدَافِعون حقيقتَها (١) ، ويُكَذِّبون بها .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ : ويَقْتُلون رسلَ اللَّهِ الذين ابْتَعَثَهم لإنباءِ ما أُرْسِلَهم به عنه لمن أُرْسِلوا إليه .

وهم جِماعٌ ، واحدُهم نبيٌّ بغيرِ همزٍ ، وأصلُه الهمزُ ؛ لأنه مِن : أنبَأَ عن اللَّهِ ، فهو يُنْبِئُ عنه إنباءً . وإنما الاسمُ منه مُنْبِئٌ ، ولكنه صُرِف وهو مُفْعِلٌ إلى فَعِيلٍ ، كما صُرِف سَمِيعٌ إلى فَعِيلٍ مِن /مُفْعِلٍ ، وبَصِيرٌ مِن مُبْصِرٍ ، وأشباهُ ذلك . وأُبْدِلَ مكانَ الهمزةِ مِن النبىءِ الياءُ ، فقيل : نبيٌّ . هذا ويُجْمَعُ النبيُّ أيضًا أنبياءَ ، وإنما جمَعوه كذلك لإلحاقِهم النبيَّ ، بإبدالِ الهمزةِ منه ياءً ، بالنُّعوتِ التي تأتى على تقديرِ فَعِيلٍ مِن ذَواتِ الياءِ والواوِ ، وذلك أنهم إذا جمَعوا ما كان مِن النُّعوتِ على تقديرِ فَعِيلٍ مِن ذواتِ الياءِ والواوِ ، جمَعُوه على أَفْعِلاءَ ، كقولِهم : وليٌّ وأَوْلياءُ ، ووَصِيٌّ وأَوْصِياءُ ، ودَعِيٌّ وأَدْعِياءُ . ولو جمَعوه على أصلِه الذى هو أصلُه ، وعلى أن الواحدَ نبىءٌ مَهْموزٌ ، لجمَعوه على فُعَلاءَ ، فقيل: هم النُّبَآءُ . على مثالِ النُّبَغاءِ (٢) ؛ لأن ذلك جمعُ ما كان على فَعِيلٍ مِن غيرِ ذَواتِ الياءِ والواوِ مِن النُّعوتِ ، كجمعِهم الشريكَ شُرَكاءَ ، والعليمَ عُلَماءَ ، والحكيمَ حُكَماءَ ، وما أشْبَهَ ذلك . وقد حُكِي سَماعًا مِن العربِ فى جمعِ النبيِّ : النُّبَآءُ . وذلك مِن لغةِ الذين يَهْمِزون النبىءَ ثم يَجْمَعونه النُّبَآءَ ، على ما قد بيَّنتُ . ومِن ذلك قولُ عباسِ بنِ مِرْداسٍ السُّلَمىِّ [٣/١٤و] فى مدحِ النبيِّ ﷺ (٣) :

٣١٧/١

(١ - ١) فى م : « ويدفعون حقيتها » .

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « النبآء » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٦١.

يا خاتَمَ النُّبآءِ إنك مُرسَلٌ ... [(1)]بالحقِّ خيرُ هُدَى الإلهِ[(1)] هُدَاكا

فقال : يا خاتمَ النُّبآءِ . على أن واحدَهم نبىءٌ مَهموزٌ .

وقد قال بعضُهم : النبيُّ والنبوَّةُ غيرُ مَهموزَيْنِ ؛ لأنهما مأْخوذان مِن النَّبْوَةِ ، وهى مثلُ النَّجوةِ ، وهما[(2)] المكانُ المرتفعُ ، وكان يقولُ : إن أصلَ النبيِّ الطريقُ . ويَستشهِدُ على ذلك ببيتِ القُطَامىِّ[(3)] :

لمَّا وَرَدْنَ نبِيًّا واسْتَتَبَّ لنا[(4)] ... مُسْحَنفِرٌ[(5)] كخُطوطِ السَّيْحِ[(6)] مُنْسَحِلُ[(7)]

ويقولُ : إنما سُمِّى الطريقُ نبيًّا ؛ لأنه ظاهرٌ مُسْتَبِينٌ ، مِن النَّبْوةِ . ويقولُ : لم أسمَعْ أحدًا يَهمِزُ النبىَّ[(8)] . وقد ذكَرْنا ما فى ذلك ، وبيَّنَّا ما فيه الكفايةُ إن شاء اللهُ .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ . أنهم كانوا يقْتُلون رُسُلَ اللهِ بغيرِ إذنِ اللهِ لهم بقتلِهم ، مُنْكِرين رسالتَهم ، جاحِدِين نبوتَهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

وقولُه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ردٌّ على ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الأولِ . ومعنى الكلامِ : وضُرِبَت عليهم الذِّلَّةُ والمَسْكَنةُ ، وباءوا بغضبٍ مِن اللهِ ؛ مِن أجْلِ كفرِهم بآياتِ اللهِ وقتلِهم النبيِّين بغيرِ الحقِّ ، ومِن أجْلِ عِصْيانِهم ربَّهم واعتدائِهم حدودَه . فقال جل ثناؤُه : ﴿ ذَٰلِكَ

(١ - ١) فى م : « بالخير كل هدى السبيل » ، وفى السيرة : « بالحق كل هدى السبيل » .

(٢) فى م : « هو » .

(٣) ديوانه ص ٢٧.

(٤) فى م : « بنا » .

(٥) مسحنفر : ممتد . اللسان (سحفر) .

(٦) فى م : « النسج » . والسيح : قيل : العباءة المخططة . وقيل : نوع من البرود . اللسان (س ى ح) .

(٧) السحل : الكشط والقشر . اللسان (س ح ل) .

(٨) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « قال » .

﴿بِمَا عَصَوا﴾ . والمعنى : ذلك بعصيانِهم وكونِهم[1] مُعْتَدِين .

والاعتداءُ تَجاوُزُ الحدِّ الذى حدَّه اللهُ تعالى ذكرُه لعبادِه إلى غيرِه ، وكلُّ مُتجاوِزٍ حدَّ شىءٍ إلى غيرِه فقد تَعَدَّاه إلى ما تجاوَزَ إليه . فمعنى الكلامِ : فعَلْتُ بهم ما فعَلْتُ مِن ذلك بما عصَوْا أمرى ، وتجاوَزوا حدِّى إلى ما نهَيْتُهم عنه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا﴾ .

أما ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، فهم المُصَدِّقُون رسولَ اللهِ ﷺ فيما أتاهم به مِن [٣/ ١٤ظ] الحقِّ مِن عندِ اللهِ ، وإيمانُهم /بذلك تصديقُهم به ، على ما قد بيَّنَّا فيما مضَى مِن كتابِنا هذا[2] . ٣١٨/١

وأما ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا﴾ ، فهم اليهودُ ، ومعنى ﴿هَادُوا﴾ : تابوا ، يقالُ منه : هادَ القومُ يَهودُون [3]هَوادًا وهِيادةً[3] . وقيل : إنما سُمِّيَت اليهودُ يهودًا ؛ مِن أجلِ قولِهم : ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ[4] ، قال : إنما سُمِّيَتِ اليهودَ ؛ مِن أجلِ أنهم قالوا : ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ .

﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ جمعٌ ، واحدُهم نَصْرانٌ ، كما واحدُ السَّكارَى سَكْرانُ ، وواحدُ النَّشاوَى نَشْوانُ ، وكذلك جمعُ كلِّ نعتٍ كان واحدُه على فَعْلانَ ، فإن جمعَه على فَعَالَى ، إلا أن المستفيضَ مِن كلامِ العربِ فى واحدِ النَّصارَى نَصْرانىٌّ ،

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كفرهم » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٤٠ .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « هودًا وهادة » .

(٤) بعده فى ت ٢ : « قال مجاهد » .

وقد حُكِي عنهم سَماعًا : نَصْرانُ . بطرحِ الياءِ ، ومنه قولُ الشاعرِ[1] :

تَرَاه إذا دَار[2] العَشِيُّ مُحَنِّفًا [3]ويُضْحِي لَدَيْهِ وَهْوَ نَصْرانُ[3] شامِسُ

وسُمِع منهم فى الأنثى نَصْرانةٌ . قال الشاعرُ[4] :

* [5]نَصْـــرانةٌ لم تَـحَنَّـفِ[5] *

وقد سُمِع فى جَمْعِهم « أنصارٌ » بمعنى النَّصارَى . قال الشاعرُ[6] :

لمَّا رأيْتُ نَبَـــطًا أنْصـــارَا

شَمَّرْتُ عن رُكْـــبَتِىَ الإزارَا

كنتُ لهم مِن النَّصارَى جارَا

وهذه الأبياتُ التى ذكَرْتُها تَدُلُّ على أنهم سُمُّوا نَصارَى لنُصْرةِ بعضِهم بعضًا ، وتَناصُرِهم بينَهم . وقد قيل : إنهم إنما سُمُّوا نَصارَى ؛ مِن أجْلِ أنهم نزَلوا أرضًا يقالُ لها : ناصِرةُ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : النصارى إنما سُمُّوا نَصارَى ؛ مِن أجلِ أنهم نزَلُوا أرضًا يقالُ لها : ناصِرةُ[7] .

---

(١) البيت فى الأضداد ص ١٨١، ونقله أبو حيان فى البحر المحيط ١/ ٢٣٨ عن المصنف .

(٢) فى م : « زار » .

(٣ - ٣) فى الأضداد : « تراه ويضحى وهو نفران » .

(٤) هو أبو الأخزر الحمانى ، والبيت فى الكتاب ٣/ ٢٥٦، ٤١١، واللسان (ح ن ف) .

(٥ - ٥) فى م : « فكلتاهما خرت وأسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف
يقال : أسجد . إذا مال » .

(٦) الأبيات فى معانى القرآن ١/ ٤٤، وأمالى ابن الشجرى ١/ ٧٩، ٣٧١، واللسان (ن ص ر) .

(٧) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٤٧.

ويقولُ آخَرون : لقولِه : ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الصف : ١٤] .

وقد ذُكِر عن ابنِ عباسٍ مِن طريقٍ غيرِ مُرْتَضًى أنه كان يقولُ : إنما سُمِّيَت النصارى نَصارَى ؛ لأن قريةَ عيسى ابنِ مَرْيمَ كانت تُسَمَّى ناصِرةَ ، وكان أصحابُه يُسَمَّوْن النَّاصِرِيِّين ، وكان يقالُ لعيسى : الناصريُّ .

حُدِّثْتُ بذلك عن هشامِ [٣/١٥و] بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، عن سعيدٍ ، عن قَتادةَ ، قال : إنما سُمُّوا نَصارَى ؛ لأنهم كانوا بقريةٍ يقالُ لها : ناصِرةُ . يَنْزِلُها عيسى ابنُ مريمَ ، فهو اسمٌ تَسَمَّوْا به ، ولم يُؤْمَروا به[(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ في قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ ﴾ [المائدة : ٨٢] . قال : تَسَمَّوْا بقريةٍ يقالُ لها : ناصِرةُ . كان عيسى ابنُ مريمَ صلى اللَّهُ عليه يَنْزِلُها[(٣)] .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ ﴾ .

و « الصابِئون » جمعُ صابئٍ ، وهو المُسْتَحْدِثُ سِوَى دينِه دينًا ، كالمُرْتَدِّ مِن أهلِ الإسلامِ/ عن دينِه . وكلُّ خارجٍ مِن دينٍ كان عليه إلى آخَرَ غيرِه تُسَمِّيه العربُ صابِئًا ، يقالُ منه : صبأَ فلانٌ يَصْبأُ صَبأً . ويقالُ : صبأَتِ النُّجومُ . إذا طلَعَت ، وصبأَ علينا فلانٌ مِن[(٤)] موضعِ كذا وكذا . يعني به : طلَع .

٣١٩/١

(١) أخرجه ابن سعد ١/ ٥٣، ٥٤ من طريق هشام بن محمد به مطولا .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٧٥ إلى المصنف .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٨٧.

(٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

واخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى مَن يَلْزَمُه هذا الاسمُ مِن أهلِ المِلَلِ ؛ فقال بعضُهم : يَلْزَمُ ذلك كلَّ خارجٍ مِن دينٍ إلى غيرِ دينٍ . وقالوا : الذين عنَى اللَّهُ بهذا الاسمِ قومٌ لا دينَ لهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ، **وحدَّثنا** الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، جميعًا عن سُفيانَ ، عن ليثٍ ، عن مُجاهِدٍ : الصَّابِئُون ليسوا بيهودَ ولا نَصارَى ، ولا دينَ لهم[(١)] .

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن الحجاجِ ابنِ أرْطاةَ ، عن القاسمِ بنِ أبى بَزَّةَ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا حكَّامٌ ، عن عَنْبَسةَ ، عن الحجاجِ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : الصابئون بينَ المجوسِ واليهودِ ، لا تُؤْكَلُ ذَبائحُهم ، ولا تُنْكَحُ نساؤُهم[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا حكَّامٌ ، عن عَنْبَسةَ ، عن حجاجٍ ، عن قَتادةَ ، عن الحسنِ مثلَ ذلك[(٢)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ : ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ : بينَ اليهودِ والمجوسِ ، لا دينَ لهم[(٢)] .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٤، وتفسير عبد الرزاق ١/ ٤٧، ومصنفه (١٠٢٠٧) ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١/١٢٧ (٦٣٨) من طريق وكيع ، عن سفيان به . والأثر فى تفسير الثورى ص ٤٦ من قوله .

(٢) ذكره القرطبى فى تفسيره ١/ ٤٣٤.

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : [٣/١٥ظ] قال مُجاهِدٌ : ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ : بينَ المجوسِ واليهودِ ، لا دينَ لهم . قال ابنُ جُرَيْجٍ : قلتُ لعَطاءٍ : ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ : زعَموا أنها قَبيلةٌ مِن نحوِ السَّوَادِ ، ليسوا بمجوسٍ ولا يهودَ ولا نَصارَى . قال : قد سمِعْنا ذلك ، وقد قال المشركون للنبيِّ ﷺ : قد صَبأ[1] .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾[2] . قال : الصابئون دينٌ مِن الأديانِ ، كانوا [3]بالجزيرةِ ، جزيرةِ[3] المَوْصِلِ ، يقولون : لا إلهَ إلا اللَّهُ . وليس لهم عملٌ ولا كتابٌ ولا نبيٌّ ، إلا قولَ : لا إلهَ إلا اللَّهُ . قال : ولم يُؤْمِنوا برسولِ اللَّهِ ، فمِن أجْلِ ذلك كان المشركون يقولون للنبيِّ ﷺ وأصحابِه : هؤلاء الصابِئون . يُشَبِّهُونهم بهم[4] .

وقال آخرون : هم قومٌ يَعْبُدون الملائكةَ ويُصَلُّون[5] القبلةَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : حدَّثنا المُعْتَمِرُ ، عن أبيه ، عن الحسنِ ، قال : نُبِّئَ[6] زيادٌ أن الصابئِين يُصَلُّون[5] القِبْلةَ ، ويُصَلُّون الخمسَ ، فأراد أن يَضَعَ عنهم الجِزْيةَ ، قال : فخُبِّر بعدُ أنهم يَعْبُدون الملائكةَ .

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم ١/١٢٧ عقب الأثر (٦٣٨) معلقًا .

(٢) في الأصل ، م : « الصابئون » . والمثبت هو القراءة هنا ، وما في الأصل ، م هو قراءة الآية ٦٩ من سورة المائدة .

(٣ - ٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « بجزيرة » .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٤٩ عن ابن وهب به .

(٥) بعده في م : « إلى » .

(٦) في م ، ت١ ، ت٢ : « حدثني » .

/حدَّثنا بشرٌ، قال: حدَّثنا يزيدُ، قال: حدَّثنا سعيدٌ، عن قَتادةَ قولَه: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾. قال: الصابئون قومٌ يَعْبُدون الملائكةَ، ويُصَلُّون[1] القِبْلةَ، ويَقْرَءون الزَّبورَ[2]. ٣٢٠/١

حدَّثنى المثنَّى، قال: حدَّثنا آدمُ، قال: حدَّثنا أبو جعفرٍ، عن الرَّبيعِ، عن أبى العاليةِ، قال: الصابئون فرقةٌ مِن أهلِ الكتابِ يَقْرَءون الزَّبورَ. قال أبو جعفرٍ - يَعْنى الرازىَّ -: وبلَغَنى أيضًا أن الصابئين قومٌ يَعْبُدون الملائكةَ، ويَقْرَءون الزَّبورَ، ويُصَلُّون[1] القِبْلَةَ[3].

وقال آخَرون: بل هم طائفةٌ مِن أهلِ الكتابِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا سفيانُ بنُ وَكيعٍ، قال: حدَّثنا أبى، عن سفيانَ، قال: سألتُ[4] السُّدِّىَّ عن الصابئِين، فقال: هم طائفةٌ مِن أهلِ الكتابِ[5].

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ [١٦/٣و] ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: مَن صدَّق باللَّهِ،

---

(١) بعده فى م: «إلى».

(٢) ذكره ابن كثير ١/١٤٩ عن سعيد، عن قتادة. وسيأتى فى سورة الحج، الآية ١٧ من طريق معمر عن قتادة، مطولا.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٢٧، ١٢٨، (٦٣٩، ٦٤٢) من طريق آدم به.

(٤) فى م: «سئل».

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٢٧ عقب الأثر (٦٣٩) من طريق أسباط، عن السدى. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧٥ إلى وكيع.

وأقرَّ بالبَعْثِ بعدَ المَماتِ يومَ القيامةِ ، ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ فأطاع اللَّهَ ، ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ . يعنى بقولِه : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ : فلهم ثوابُ عملِهم الصالحِ عندَ ربِّهم .

فإن قال لنا قائلٌ : فأين تمامُ قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ ؟ قيل : (١) تمامُه (١) جملةُ قولِه : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ . لأن معناه : مَن آمَن منهم باللَّهِ واليومِ الآخِرِ . فترَك ذكرَ « منهم » لدلالةِ الكلامِ عليه ؛ اسْتِغْناءً بما ذكَر عمَّا ترَك ذكْرَه .

فإن قال : وما معنى هذا الكلامِ ؟

قيل : معناه : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، مَن يُؤْمِنْ منهم[٢] باللَّهِ واليومِ الآخِرِ فلهم أجرُهم عندَ ربِّهم .

فإن قال : وكيف يُؤْمِنُ المؤمنُ ؟

قيل : ليس المعنى فى المؤمنِ المعنى الذى ظنَنْتَه ، مِن انْتِقالٍ مِن دينٍ إلى دينٍ ، كانتقالِ (٣) اليهودِ والنصارى (٣) إلى الإيمانِ – وإن كان قد قيل : إن الذين عُنُوا بذلك مَن كان مِن أهلِ الكتابِ على إيمانِه بعيسى صلى اللَّهُ عليه ، وبما جاء به ، حتى أدْرَك محمدًا ﷺ ، فآمَن به وصدَّقه ، فقيل لأولئك الذين كانوا مؤمنين بعيسى وبما جاء به إذْ[٤] أدْرَكوا محمدًا ﷺ : آمِنُوا بمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به – ولكن معنى إيمانِ المؤمنِ فى هذا الموضعِ ثباتُه على إيمانِه وتركُه تَبْديلَه .

(١ – ١) فى ت ١ ، ت ٣: « قبل إتمامه » .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٣ – ٣) فى م : « اليهودى والنصرانى » .

(٤) فى الأصل : « إذا » .

وأما إيمانُ اليهودِ والنصارى والصابئين ، فالتصديقُ بمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به ، فمَن يُؤْمِنْ منهم بمحمدٍ وبما جاء به واليومِ الآخرِ ، ويَعْمَلْ صالحًا ، فلم يُبَدِّلْ ولم يُغَيِّرْ ، حتى تُوُفِّى على ذلك كلِّه[1] ، فله ثوابُ عملِه وأجرُه عندَ ربِّه ، كما وصَف جلَّ ثناؤُه .

فإن قال قائلٌ : وكيف قال : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ . وإنما لفظُ ﴿ مَنْ ﴾ لفظُ واحدٍ ، والفعلُ معه مُوَحَّدٌ ؟

٣٢١/١ /قيل : إنَّ « مَن » ، وإن كان الذى يليه مِن الفعلِ مُوَحَّدًا ، فإن له معنى الواحدِ والاثنين والجمعِ ، والتذكيرِ والتأنيثِ ؛ [١٦/٣ظ] لأنه فى كلِّ هذه الأحوالِ على هيئةٍ واحدةٍ وصورةٍ واحدةٍ لا يَتَغَيَّرُ ، فالعربُ تُوَحِّدُ معه الفعلَ وإن كان فى معنى جَمْعٍ ، للفظِه ، وتَجْمَعُ أخرى معه الفعلَ لمعناه ، كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يونس : ٤٢، ٤٣] . فجمَع مرةً مع ﴿ مَنْ ﴾ الفعلَ لمعناه ، ووحَّد أخرى معه الفعلَ ؛ لأنه فى لفظِ واحدٍ[2] ، كما قال الشاعرُ[3] :

أَلِمَّا[4] بسَلْمَى عنكما إنْ عرَضْتُما وقُولَا لها عُوجِى على مَن تَخلَّفوا

فقال : تخلَّفوا . فجمَع[5] ، وجعَل « مَن » بمنزلةِ « الذين » . قال الفَرَزْدَقُ[6] :

---

(١) سقط من ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٢) فى م ، ت١ ، ت ٢: « الواحد » .

(٣) البيت لامرئ القيس ، وهو فى الديوان ص ٣٢٤ من قصيدة له ، ويقال أيضًا : إنها لرجل من كندة .

(٤) الإلمام : الزيارة فى الأحايين . اللسان (ل م م) .

(٥) سقط من : م .

(٦) ديوانه ص ٨٧٠.

(١تَعالَ فإن عاهَدْتَنى١) لا تَخُونُنى نَكُنْ مثلَ مَن يا ذِئْبُ يَصْطَحِبانِ

فثنَّى « يصطحبان » لمعنى « مَن » . فكذلك قولُه : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ . وحَّد ﴿ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ للفظِ ﴿ مَنْ ﴾ ، وجمَع ذِكْرَهم فى قولِه : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ لمعناه ؛ لأنه فى معنى جمعٍ .

وأما قولُه : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . فإنه يعنى به جلَّ ذكرُه : ولا خوفٌ عليهم فيما قدِموا عليه مِن أهوالِ القيامةِ ، ولا هم يَحْزَنون على ما خلَّفوا وراءَهم مِن الدنيا وعيشِها ، عندَ مُعايِنتِهم ما أعدَّ اللَّهُ لهم مِن الثوابِ والنَّعيمِ المُقيمِ عندَه .

ذكْرُ مَن قال : عُنى بقولِه : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ . مؤمنو أهلِ الكتابِ الذين أدْرَكوا رسولَ اللَّهِ ﷺ :

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ الآية . قال : نزَلَت هذه الآيةُ فى أصحابِ سَلْمانَ الفارسىِّ ، وكان سلمانُ رجلًا مِن جُنْدَيْسَابُورَ(٢) ، وكان مِن أشرافِهم ، وكان ابنُ الملكِ صديقًا له مؤاخيًا ، لا يقضى واحدٌ منهما أمرًا دونَ صاحبِه ، وكانا يَركبانِ(٣) إلى الصيدِ جميعًا ، فبينما هما فى الصيدِ إذ رُفِع لهما بيتٌ مِن عَباءٍ(٤) ، فأتَياه فإذا هما فيه برجلٍ بينَ يديه مُصْحفٌ يَقْرأُ فيه وهو يَبْكى ،

(١ - ١) فى الديوان : « تعش فإن واثقتنى » .

(٢) فى م : « جندا يسابور » . وجنديسابور : من بلاد فارس . ينظر معجم ما استعجم ٢/ ٣٩٧.

(٣) فى الأصل : « يركنان » .

(٤) فى م : « خباء » . والعباء : ضرب من الأكسية فيه خطوط . تاج العروس (ع ب أ) .

فسألاه : ما هذا ؟ فقال : الذى يُرِيدُ أن يَعْلَمَ هذا لا يَقِفُ موقفَكما ، فإن كنتما تُرِيدانِ أن تَعْلَما ما فيه فانْزِلا حتى [١٧/٣و] أُعَلِّمَكما . فنزَلا إليه ، فقال لهما : هذا كتابٌ[١] جاء مِن عندِ اللَّهِ ، أمَر فيه بطاعتِه ، ونهَى [٢]فيه عن معصيتِه :[٢] ألا تَزْنِىَ ، ولا تَسْرِقَ ، ولا تَأْخُذَ أموالَ الناسِ بالباطلِ - فقصَّ عليهما ما فيه - وهو الإنجيلُ الذى أنزَل اللَّهُ على عيسى . فوقَع فى قلوبِهما وتابَعاه فأسْلَما ، وقال لهما : إن ذبيحةَ [٣]قومِكما عليكما[٣] حرامٌ . فلم يَزالا معه كذلك يَتَعَلَّمان منه ، حتى كان عيدٌ للملكِ ، فجعَل[٤] طعامًا ، ثم جمَع الناسَ والأشرافَ ، وأرْسَل إلى ابنِ الملكِ ، فدعاه إلى صَنِيعِه ليأْكُلَ مع الناسِ ، فأبَى الفتى وقال : إنى عنك مَشْغولٌ ، فكلْ أنت وأصحابُك . فلما أكْثَر عليه مِن الرُّسلِ ، أخْبَرَهم أنه لا يأْكُلُ مِن طعامِهم ، فبعَث الملكُ إلى ابنِه ، فدعاه وقال : ما أمْرُك هذا[٥] ؟ قال : إنا لا نَأْكُلُ مِن ذبائِحكم ، إنكم /كفارٌ ، ليس تَحِلُّ ذبائحُكم . فقال له الملكُ : مَن أمَرَك بهذا ؟ فأخْبَرَه أن الراهبَ أمَرَه[٦] بذلك ، فدعا الراهبَ فقال : ماذا يَقُولُ ابنى ؟ قال : صدَق ابنُك . قال له : لولا أن الدمَ فينا عظيمٌ لقتَلْتُك ، ولكن اخْرُجْ مِن أرضِنا . فأجَّلَه أجَلًا . قال سلمانُ : فقمْنا نَبْكِى عليه ، فقال لهما : إن كنتما صادقَيْن ، فإنا فى بِيعةٍ بالمَوْصلِ مع ستين رجلًا نَعْبُدُ اللَّهَ فيها ، فائْتُونا فيها . فخرَج الراهبُ ، وبقِى سَلْمانُ وابنُ الملكِ ، فجعَل سلمانُ يقولُ لابنِ الملكِ : انْطَلِقْ بنا . وابنُ الملكِ يقولُ : نعم . وجعَل ابنُ

٣٢٢/١

(١) بعده فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «اللَّه».

(٢ - ٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «عن معصيته فيه».

(٣ - ٣) فى الأصل ، ت١، ت٢، ت٣: «قومكم عليكم».

(٤) جعل هنا : صنع . والجعل والصنع واحد . التاج (ج ع ل).

(٥) سقط من : الأصل.

(٦) فى ت ١: «أخبره».

الملكِ يَبيعُ مَتاعَه يُرِيدُ الجَهازَ[(١)] ، فلمَّا أبْطَأَ على سلمانَ ، خرَج سلمانُ حتى أتاهم ، فنزَل على صاحبِه ، وهو ربُّ البِيعةِ ، وكان أهلُ تلك البِيعةِ [(٢)]أفضلَ مرتبةً مِن[٢)] الرُّهْبانِ ، فكان سَلْمانُ معه[(٣)] يَجْتَهِدُ في العبادةِ ، ويُتْعِبُ نفسَه ، فقال له الشيخُ : إنك غلامٌ حَدَثٌ ، تَكَلَّفُ[(٤)] مِن العبادةِ ما لا تُطِيقُ ، وأنا خائفٌ أن تَفْتُرَ وتَعْجِزَ ، فارْفُقْ بنفسِك وخَفِّفْ عنها[(٥)] . فقال له سلمانُ : أرَأَيْتَ الذى تَأْمُرُنى به ، أهو[(٦)] أفضلُ أو الذى أَصْنَعُ ؟ قال : لا[(٧)] ، بل الذى تَصْنَعُ ؟ قال : فخلِّ عنى . قال : ثم إن صاحبَ البِيعةِ دعاه ، فقال : أتَعْلَمُ أن هذه البِيعةَ لى ، وأنا أحَقُّ الناسِ بها ، ولو شئتُ أن أُخْرِجَ هؤلاء منها لَفعَلْتُ ! ولكنى رجلٌ أضْعُفُ عن عبادةِ هؤلاء ، وأنا أُرِيدُ أن أتحوَّلَ مِن هذه البِيعةِ إلى بِيعةٍ أخرى ، هم أهونُ عبادةً مِن هؤلاء ، فإن شئتَ أن تُقِيمَ ههنا فأقِمْ ، وإن شئتَ أن تَنْطَلِقَ معى فانْطَلِقْ . فقال له سلمانُ : أىُّ البِيعَتَيْن أفضلُ أهلًا ؟ قال : هذه . قال سلمانُ : فأنا أكونُ فى هذه . فأقام سلمانُ بها ، وأوْصَى صاحبُ البِيعةِ [٣/١٧ظ] عالِمَ البِيعةِ بسَلمانَ ، فكان سلمانُ يَتَعَبَّدُ معهم . ثم إن الشيخَ العالِمَ أراد أن يَأْتِىَ بيتَ المقدسِ ، [(٨)]فدعا سلمانَ ، فقال : إنى أُريدُ أن آتِىَ بيتَ المقدسِ ، فإن شئتَ[٨)] أن تَنْطلِقَ معى فانطلِقْ ، وإن شئتَ أن تُقِيمَ فأقِمْ . قال له سلمانُ : أيُّهما أفضلُ ؛ أنْطَلِقُ معك أوْ[(٩)] أُقِيمُ ؟ قال : لا ، بل تَنْطَلِقُ معى . فانْطَلَق

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «الجهاد».
(٢ - ٢) فى م : «من أفضل»، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: «أفضل من».
(٣) فى م : «معهم».
(٤) فى م : «تتكلف»، وفى ت ٢: «فكلف».
(٥) فى م : «عليها».
(٦) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «هو».
(٧) سقط من : م.
(٨ - ٨) فى م : «فقال لسلمان : إن أردت»، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: «فإن شئت».
(٩) فى م : «أم».

معه ، فمرُّوا بمُقْعَدٍ على ظهرِ الطريقِ مُلْقًى ، فلما رآهما نادَى : يا سيدَ الرُّهْبانِ ، ارْحَمْنى رحِمك[(١)] اللَّهُ . فلم يُكَلِّمْه ، ولم يَنْظُرْ إليه ، وانْطَلَقا حتى أتَيَا بيتَ المقدسِ ، فقال الشيخُ لسلمانَ : اخْرُجْ فاطْلُبِ العلمَ ، فإنه يَحْضُرُ هذا المسجدَ عُلماءُ أهلِ الأرضِ . فخرَج سلمانُ يَسْمَعُ منهم ، فرجَع يومًا حَزِينًا ، فقال له الشيخُ : ما لك يا سلمانُ ؟ قال : أَرَى الخيرَ كلَّه قد ذهَب به مَن كان قبلَنا مِن الأنبياءِ وأتباعِهم . قال له الشيخُ : يا سلمانُ ، لا تَحْزَنْ ، فإنه قد بقِى نبىٌّ ليس مِن نبىٍّ أفضلَ تَبَعًا منه ، وهذا زمانُه الذى يَخْرُجُ فيه ، ولا أُرانى أُدْرِكُه ، وأما أنت فشابٌّ فلعلك أن تُدْرِكَه ، وهو يَخْرُجُ فى أرضِ العربِ ، فإن أدْرَكْتَه فآمِنْ به واتَّبِعْه . فقال له سلمانُ : فأخْبِرْنى عن علامتِه بشىءٍ . قال : نعم ، هو مَخْتُومٌ فى ظهرِه بخاتمِ النُّبُوةِ ، وهو يأْكُلُ الهَدِيَّةَ ، ولا يأْكُلُ الصدقةَ . ثم رجَعا حتى بلَغا مكانَ المُقْعَدِ ، فناداهما فقال : يا سيدَ الرُّهْبانِ ، ارْحَمْنى رحِمك[(١)] اللَّهُ . فعطَف إليه حمارَه ، وأخَذ بيدِه فرَفَعه ، وضرَب به الأرضَ ، ودعا له ، وقال : قُمْ بإذنِ اللَّهِ . فقام صحيحًا يَشْتَدُّ[(٢)] . فجعَل سلمانُ يَتَعَجَّبُ وهو يَنْظُرُ إليه يَشْتَدُّ ، وسار الراهبُ ، فتغَيَّب عن سلمانَ ، ولا يَعْلَمُ سَلْمانُ . ثم إن سلمانَ فزِع ، فطلَب الراهبَ ، [(٣)]فلقِى رجلين[(٣)] مِن العربِ مِن كَلْبٍ ، فسألَهما : هل رأيْتُما الراهبَ ؟ فأناخ أحدُهما راحلتَه ، قال : نِعْمَ راعى الصِّرْمةِ[(٤)] هذا[(٥)] ! فحمَله فانْطَلَق به إلى المدينةِ . قال سلمانُ : فأصابَنى مِن الحزنِ شىءٌ لم يُصِبْنى مثلُه قطُّ . فاشْتَرَتْه امرأةٌ مِن جُهَيْنةَ ، فكان يَرْعَى عليها هو وغلامٌ لها يَتَراوَحان الغنمَ ، هذا يومًا وهذا يومًا ، وكان سلمانُ يَجْمَعُ الدراهمَ يَنْتَظِرُ خروجَ

---

(١) فى م : « يرحمك » .

(٢) يشتد : يسرع ويعدو . اللسان (ش د د) .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فلقيه رجلان » .

(٤) الصرمة : القطيع من الإبل والغنم . انظر اللسان (ص ر م) .

(٥) فى ت ١ ، ت ٢ : « هذه » .

١/٣٢٣ محمدٍ ﷺ ؛ /فبينا هو يومًا يَرْعَى ، إذ أتاه صاحبُه الذى يَعْقُبُه ، فقال له[(١)] : أشَعَرْتَ أنه[(٢)] قدِم اليومَ المدينةَ رجلٌ يَزْعُمُ أنه نبىٌّ ؟ فقال له سلمانُ : أَقِمْ فى الغنمِ حتى آتِيَك . فهبَط سلمانُ إلى المدينةِ ، فنظَر إلى النبىِّ ﷺ ودار حولَه ، فلمَّا [١٨/٣و] رآه النبىُّ ﷺ عرَف ما يُرِيدُ ، فأرْسَل ثوبَه ، حتى خرَج خاتمُه ، فلمَّا رآه أتاه وكلَّمه ، ثم انْطَلَق ، فاشْتَرَى بدينارٍ ، ببعضِه شاةً فشواها[(١)] ، وببعضِه خبزًا ، ثم أتاه به ، فقال : « ما هذا ؟ » قال سلمانُ : هذه صدقةٌ ، قال : « لا حاجةَ لى بها ، فأخرِجْها فلْيأْكُلْها المُسْلِمون » . ثم انْطَلَق فاشْتَرَى بدينارٍ آخرَ خبزًا ولحمًا ، فأتَى به النبىَّ ﷺ ، فقال : « ما هذا ؟ » قال : هذه هديَّةٌ . قال : « فاقْعُدْ فكُلْ[(٢)] » . فقعَد فأكَلا جميعًا منها ، فبينا هو يُحَدِّثُه إذ ذكَر أصحابَه ، فأخْبَرَه خبرَهم ، فقال : كانوا يَصُومون ويُصَلُّون ويُؤْمِنون بك ، ويَشْهَدون أنك ستُبْعَثُ نبيًّا . فلما فرَغ سلمانُ مِن ثنائِه عليهم قال له نبىُّ اللَّهِ : « يا سَلْمانُ ، هم مِن أهلِ النارِ » . فاشْتَدَّ ذلك على سلمانَ ، وقد كان قال له سلمانُ : لو أدْرَكوك صدَّقوك واتَّبعوك . فأنْزَل اللَّهُ هذه الآيةَ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ ﴾ . فكان إيمانُ اليهودِ أنه مَن تمسَّك بالتَّوْراةِ وسنةِ موسى [(٣)]كان مؤمنًا[(٣)] ، حتى جاء عيسى ، فلما جاء عيسى كان مَن تمسَّك بالتَّوْراةِ وأخَذ بسنةِ موسى فلم يَدَعْها ، و[(٤)] يَتَّبِعْ عيسى كان هالكًا . وإيمانُ النصارى أنه مَن تمسَّك بالإنجيلِ منهم وشرائعِ عيسى ، كان مؤمنًا مَقبولًا منه ، حتى جاء محمدٌ ﷺ ، فمن لم يَتَّبِعْ محمدًا ﷺ

(١) سقط من م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٢) بعده فى م ، ت ١، ت ٣: « قد » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢،ت ٣.

(٤) بعده فى م : « لم » .

منهم ويَدَعْ ما كان عليه مِن سنةِ عيسى والإنجيلِ ، كان هالكًا[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ الآية . قال : سأل[(٢)] سلمانُ الفارسىُّ النبىَّ[(٣)] ﷺ عن أولئك النصارى وما رأى مِن أعمالِهم ، قال : « لم يَمُوتوا على الإسلامِ » . قال سلمانُ : فأظْلَمَت علىَّ الأرضُ ، وذكرتُ[(٤)] اجتهادَهم[(٥)] . فنزَلَت هذه الآيةُ ، فدعا سلمانَ فقال : « نَزَلَت هذه الآيةُ فى أصحابِك » . ثم قال النبىُّ ﷺ : « مَن مات على دينِ عيسى ، ومن[(٢)] مات على دينِ الإسلامِ قبلَ أن يَسْمَعَ بى ، فهو على خيرٍ ، ومَن سمِع بىَ اليومَ ولم يُؤْمِنْ بى فقد هلَك »[(٦)] .

وقال ابنُ عباسٍ بما حدَّثنى به المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى مُعاويةُ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ [٣/١٨ظ] وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . فأنْزَل

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٣/١ إلى المصنف - بلفظه - وابن أبى حاتم . وهو عند ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧/١ (٦٣٦) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ١٦ من طريق عمرو بن حماد به ، مختصرا .

وأخرجه الواحدى - أيضا - وابن عساكر فى تاريخه ٤١٨/٢١ ، ٤١٩ من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، مختصرا . وذكره الذهبى فى السير ٥٢٢/١ - ٥٢٥ من طريق عمرو به عن السدى بإسناده ، مطولا .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « للنبى » .

(٤) فى م ، ت ١ : « ذكر » .

(٥) فى الأصل : « أخبارهم » .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٤/١ إلى المصنف . وأخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ١٥ من طريق ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : لما قص سلمان ... وأخرجه ابن أبى عمر المدنى فى مسنده - كما فى الدر المنثور ٧٣/١ - ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦/١ (٦٣٤) من طريق ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال سلمان :... ومجاهد لم يسمع من سلمان .

اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بعدَ هذا : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1] [آل عمران : ٨٥] .

[2] حدَّثنا ابنُ البَرْقيِّ قال : حدَّثنا عمرُو بنُ أبى سلمةَ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ فى قولِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ . قال : هى منسوخةٌ ، نسخَتها : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾[2] .

وهذا الخبرُ يَدُلُّ على أن ابنَ عباسٍ كان يَرَى أن اللَّهَ تعالى ذكرُه قد كان وعَد مَن عمِل صالحًا مِن اليهودِ والنصارى والصابئين على عملِه فى الآخرةِ الجنةَ ، ثم نسَخ ذلك بقولِه : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ .

فتأويلُ الآيةِ إذن على ما ذكَرْنا عن مجاهدٍ والسديِّ : إن الذين آمَنوا مِن هذه الأمةِ ، والذين هادُوا / والنصارى والصابئين - مَن آمَن مِن اليهودِ والنصارى والصابئين باللَّهِ واليومِ الآخرِ - فلهم أجرُهم عندَ ربِّهم ، ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزَنون .

١/٣٢٤

والذى قلْنا مِن التأويلِ الأولِ أشْبَهُ بظاهرِ التَّنْزيلِ ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذِكرُه لم يَخْصُصْ بالأجرِ على العملِ الصالحِ مع الإيمانِ بعضَ خلقِه دونَ بعضٍ منهم ، والخبرُ بقولِه : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ . عن جميعِ مَن[3] ذكَر فى أولِ الآيةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾ .

الميثاقُ المِفْعالُ ، مِن الوَثيقةِ ؛ إما بيمينٍ ، وإما بعهدٍ ، أو غيرِ ذلك مِن الوَثائقِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦/١(٦٣٥) ، وابن الجوزى فى ناسخه ص ١٣٠ من طريق أبى صالح به .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) سقط من : ت ١، وفى م ، ت ٢، ت ٣: « ما » .

ويعنى بقوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾ . الميثاقَ الذى أخبَر اللَّهُ تعالى ذكرُه أنه أخَذ منهم فى قولِه : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣- ٨٥] . الآيات التى ذكَر معها .

وكان سببَ أخذِ الميثاقِ عليهم فيما ذكَر ابنُ زيدٍ ما حدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : لما رجَع موسى مِن عندِ ربِّه بالألواحِ قال لقومِه بنى إسرائيلَ : إن هذه الألواحَ فيها كتابُ اللَّهِ ، وأمْرُه الذى أمَرَكم به ، ونَهْيُه الذى نهاكم عنه . فقالوا : ومَن يَأْخُذُه بقولِك أنت ؟ لا واللَّهِ حتى نَرَى اللَّهَ جَهْرةً ، حتى يَطلُعَ اللَّهُ إلينا[1] فيقولَ : هذا كتابى فخُذُوه . فما لَه لا يُكَلِّمُنا كما كلَّمَك أنت يا موسى ! فيقولُ : هذا كتابى فخُذُوه . قال : فجاءت غَضْبةٌ مِن اللَّهِ ، فجاءَتهم صاعقةٌ فصَعَقَتْهم ، فماتوا أجْمَعون . قال : ثم أحْياهم اللَّهُ مِن بعدِ موتِهم ، فقال لهم موسى : [٣/١٩و] خُذُوا كتابَ اللَّهِ . فقالوا : لا . قال : أىُّ شىءٍ أصابكم ؟ قالوا : مِتْنا ثم حَيِينا . قال : خُذُوا كتابَ اللَّهِ . قالوا : لا . فبعَث اللَّهُ ملائكةً ، فنتَقَت الجبلَ فوقَهم . [2]وقرَأ : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ ﴾ [النساء: ١٥٤] . قال : فرُفِع فوقَهم[2] . فقيل لهم : أتَعْرِفون هذا ؟ قالوا : نعم ، هذا الطُّورُ . قال : خُذُوا الكتابَ ، وإلا طرَحْناه عليكم . قال : فأخَذوه بالميثاقِ . وقرَأ قولَ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ . حتى بلَغ : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ . قال : ولو كانوا أخَذُوه أولَ مرةٍ لأخَذوه بغيرِ ميثاقٍ[3] .

---

(١) فى م : « علينا » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) تقدم هذا الأثر فى ١/ ٦٩٦.

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ ﴾ .

أمَّا الطُّورُ فإنه الجبلُ فى كلامِ العربِ ، ومنه قولُ العَجَّاجِ[1] :

دانَى جناحَيْهِ[2] مِن الطُّــــورِ فمَرّ

تَقَضِّىَ[3] البازِى إذا البازِى كَسَرْ[4]

وقيل : إنه اسمُ جبلٍ بعينه . وذكَروا[5] أنه الجبلُ الذى ناجَى اللَّهُ عليه موسى .

وقيل : إنه مِن الجبالِ ما أنبَتَ دون ما لم يُنبِتْ .

١/٣٢٥ **/ذكرُ مَن قال : هو الجبلُ كائنًا ما كان**

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : أمَرَ موسى قومَه أن يَدْخُلُوا البابَ سُجَّدًا ويَقُولوا : حِطَّةٌ . وطُؤْطِئَ لهم[6] البابُ ليَسْجُدوا ، فلم يَسْجُدوا ودخَلوا على أدْبارِهم ، وقالوا : حِنْطةٌ . فنتَق فوقَهم الجبلَ - يقولُ : أخرَج أصْلَ الجبلِ مِن الأرضِ ، فرفَعه فوقَهم كالظُّلَّةِ - والطُّورُ بالسُّرْيانيةِ الجبلُ - تخويفًا ، [7]فدخَلوا سُجَّدًا على خوفٍ - أو خَوْفٍ ، شكَّ أبو عاصمٍ[7] - أعينُهم إلى الجبلِ ، وهو الجبلُ الذى تجَـلَّى له ربُّه[8] .

---

(١) ديوانه ص ٢٨.

(٢) دانى جناحيه : ضمهما .

(٣) تقضى : أصلها : تقضُّض ، فقلب الضاد الأخيرة ياء استثقالاً . وتقضض الطائر : هوى فى طيرانه يريد الوقوع . تاج العروس (ق ض ض) .

(٤) كسر : إذا ضم من جناحيه شيئا وهو يريد الوقوع أو الانقضاض . التاج (ك س ر) .

(٥) فى م : « ذكر » .

(٦) فى الأصل : « عليهم » .

(٧ - ٧) فى م : « أو خوفا ، شك أبو عاصم ، فدخلوا سجدا على خوف » .

(٨) تفسير مجاهد ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، وتقدم أوله فى ١/ ٧١٤.

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، [٣/١٩ظ] عن مُجاهِدٍ ، قال : رُفِع الجبلُ فوقَهم كالظُّلَّةِ[1] ، كالسَّحابةِ ، فقيل لهم : لتُؤمِنُنَّ أو ليَقَعَنَّ عليكم . فآمَنوا . والجبلُ بالسُّرْيانيةِ الطُّورُ .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ . قال : الطورُ جبلٌ[2] كانوا بأصلِه ، فرُفِع عليهم فوقَ رءوسِهم ، فقال : لتَأْخُذُنَّ أمْرِى ، أو لأَرْمِيَنَّكم به[3] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ . قال : الطورُ الجبلُ ، اقْتَلَعه اللَّهُ ، فرفَعه فوقَهم ، فقال : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ . فأَقَرُّوا بذلك[4] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ . قال : رفَع فوقَهم الجبلَ ، يُخَوِّفُهم به[5] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبي ، عن النَّضْرِ بنِ عَرَبيٍّ ، عن عِكْرِمةَ ، قال : الطُّورُ الجبلُ[6] .

حدَّثنا موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّديِّ : لما قال اللَّهُ تعالى ذكرُه لهم : ﴿ ادْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ . فأبَوْا أن يَسْجُدوا ، وأمَر اللَّهُ جلَّ ذكرُه الجبلَ أن يَقَعَ عليهم ، فنظَروا إليه وقد غشِيَهم ، فسقَطوا سُجَّدًا ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «الجبل» .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٧٥ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/٤٧.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٢٩ عقب الأثر (٦٥٢) من طريق أبي جعفر ، عن الربيع من قوله .

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٢٩ عقب الأثر (٦٥٢) معلقًا .

فسجَدوا[1] على شِقٍّ ، ونظَروا بالشقِّ الآخَرِ ، فرحِمَهم اللَّهُ ، فكشَفه عنهم ، [2]فقالوا : ما سجدةٌ أحبُّ إلى اللَّهِ مِن سجدةٍ كشَف بها العذابَ عنكم . فهم يسجُدون لذلك على شقٍّ[2] ، وذلك قولُه : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾ [الأعراف : ١٧١] . وقولُه : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾[3] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : الجبلُ بالسُّرْيانيةِ الطُّورُ ، [4]وهو بالعربيةِ الجبلُ[4] .

وقال آخَرون : الطورُ اسمٌ للجبلِ الذى ناجَى اللَّهُ جلَّ جلالُه عليه موسى عليه السلامُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : الطُّورُ الجبلُ الذى أُنزِلَت عليه - يعنى على موسى - التَّوْراةُ ، وكانت بنو إسرائيلَ أسفلَ منه[5] . قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال لى عَطاءٌ : رفَع [٢٠/٣و] الجبلَ على بنى إسرائيلَ ، فقال : لتُؤْمِنُنَّ به أو ليَقَعَنَّ عليكم . فذاك قولُه : ﴿ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾[6] .

وقال آخَرون : الطُّورُ مِن الجبالِ ما أنْبَتَ خاصَّةً .

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠/١ (٦٥٤) من طريق عمرو بن حماد به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٥/١ إلى المصنف .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩/١ (٦٥٣) من طريق حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء .

/ذكرُ من قال ذلك

١/٣٢٦

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ ٱلطُّورَ ﴾ قال : الطورُ مِن الجبالِ ما أنْبَت ، وما لم يُنْبِتْ فليس بطُورٍ[١] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ .

اختَلَف أهلُ العربيةِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُ نحويِّى البصرةِ : هو مما اسْتُغْنِى بدلالةِ الظاهرِ المذكورِ عما تُرِك ذكرُه منه[٢] ، وذلك أن معنى الكلامِ : ورفَعْنا فوقَكم الطُّورَ ، وقلْنا لكم : خُذُوا ما آتَيْناكم بقوةٍ ، وإلا قذَفْناه عليكم .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ : أَخْذُ الميثاقِ قولٌ ، فلا حاجةَ بالكلامِ إلى إضمارِ قولٍ فيه ، فيكونَ مِن كلامَيْن ، غيرَ أنه يَنْبَغِى لكلِّ ما خالَف القولَ مِن الكلامِ الذى هو بمعنى القولِ أن تكونَ معه « أن » ، كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ ﴾ [نوح : ١] . قال : ويجوزُ بحذْفِ[٣] « أن » .

قال أبو جعفرٍ : والصوابُ من القولِ فى ذلك عندَنا أن كلَّ كلامٍ نُطِق به ، مفهومٌ به معنى ما أُرِيد منه[٤] ، ففيه الكِفايةُ مِن غيرِه .

ويعنى بقولِه : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم ﴾ : ما أمَرْناكم به فى التَّوْراةِ . وأصلُ الإيتاءِ الإعطاءُ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩/١(٦٥١) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به .

(٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، وفى م : « له » .

(٣) فى م : « أن تحذف » .

(٤) سقط من : الأصل ، م ، ت١ ، ت٢ .

ويعنى بقولِه: ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾: بجِدٍّ ، و[(١)] تأديةِ ما [(٢)] أُمِرتم به [٢)] فيه وافْتُرِض عليكم .

كما [(٣)] حدَّثنا عبدُ الكريمِ ، قال : حدَّثنا [٣)] إبراهيمُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُيَيْنةَ ، قال : [(٤)] حدَّثنا أبو سعدٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ قال : بجدٍّ[(٥)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال [٤)] : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ . قال : بعَمَلٍ[(٦)] بما فيه[(٧)] .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، [٣/٢٠ظ] عن مُجاهِدٍ مثلَه .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ . [(٨)] أي : بطاعةِ اللَّهِ[(٩)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ حازمٍ الغِفاريُّ ، قال : أخبَرنا عبيدُ اللَّهِ ، عن أبي جعفرٍ ، عن الربيعِ : ﴿ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [٨)] . قال : بطاعةٍ[(١٠)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن

---

(١) في م : « في » .

(٢ - ٢) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « أمركم » .

(٣ - ٣) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « حدثت عن » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٥/١ إلى المصنف .

(٦) في م : « تعملوا » ، وفي ت ١، ت ٢، ت ٣: « يعمل » .

(٧) تفسير مجاهد ص ٢٠٥، ومن طريقه عبد بن حميد - كما في تغليق التعليق ١٧٣/٤ - وابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠/١ (٦٥٧) .

(٨ - ٨) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠/١ (٦٥٦) من طريق آدم به .

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠/١ عقب الأثر (٦٥٦) من طريق أبي جعفر به .

قَتادةَ : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ . قال : القوةُ الجِدُّ ، وإلا قَذَفْتُه[1] عليكم . قال : فأقَرُّوا بذلك أنهم يَأْخُذون ما أُوتُوا بقوةٍ[2] .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ : يعني بجِدٍّ واجْتِهادٍ[3] .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ ، وسألْتُه عن قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ . قال : خُذُوا الكتابَ الذى جاء به موسى بصدقٍ وحقٍّ .

[4] حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم ﴾ . قال : كتابُكم ، لتأْخُذُنَّه أو لَيَقعَنَّ عليكم الطُّورُ . قالوا : نأْخُذُه . وأقَرُّوا ثم نقَضُوا الميثاقَ بعدَ ذلك[4] .

فتأويلُ الآيةِ إذن : خُذُوا ما افْتَرَضْنا عليكم فى كتابِنا مِن الفرائضِ فاقْبَلوه ، واعْمَلوا باجتهادٍ منكم فى أدائِه ، مِن غيرِ تَقْصيرٍ ولا تَوانٍ . وذلك هو معنى أخْذِهم إياه بقوةٍ وبجِدٍّ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه : واذْكُروا ما فيما آتَيْناكم مِن كتابِنا مِن وعدٍ ووعيدٍ[5] ، وتَرْغيبٍ وتَرْهيبٍ ، /فاتْلُوه واعْتَبِروا به ، وتَدَبَّروه ، [6] كى إذا فعَلْتم ذلك تَتَّقونى[6] ، ٣٢٧/١

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « قذفه » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٤٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠/١(٦٥٨) عن الحسن بن يحيى به.

(٣) عزاه الحافظ فى الفتح ١٦١/٨ إلى المصنف .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩/١(٦٥٣) من طريق حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، نحوه .

(٥) بعده فى م ، ت ٢: « شديد » .

(٦ - ٦) فى م : « إذا فعلتم ذلك كى تتقوا » .

وتَخافوا عِقابى ، بإصْرارِكم على ضَلالِكم ، فتُنيبُوا إلى طاعتى ، وتَنْزِعوا عما أنتم عليه مِن مَعصيتى .

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن داودَ بنِ الحُصينِ ، عن عِكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾. قال: تَنْزِعون عما أنتم عليه[(١)] .

والذى آتاهم اللَّهُ تعالى ذكرُه هو التوراةُ ، كما حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا [٣/٢١و] أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ . يقولُ : واذْكُروا ما فى التوراةِ [(٢)]واعمَلُوا به[(٢)] .

حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ . يقولُ : [(٣)]اقرَءوا ما[(٣)] فى التَّوْراةِ[(٤)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : سأَلْتُ ابنَ زيدٍ عن قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ . قال : اعْمَلوا بما فيه بطاعةِ اللَّهِ تعالى ذكرُه وصدقٍ . قال : وقال : اذكُروا[(٥)] ما فيه ، ولا[(٦)] تَنسَوْه ولا تُغْفِلوه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعز : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم ﴾ : ثم أعْرَضْتُم . وإنما هو « تفعَّلْتُم » ،

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٥ إلى المصنف وابن إسحاق .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٣٠(٦٥٩) من طريق آدم به بنحوه . وينظر تفسير ابن كثير ١/ ١٥٠.

(٣ - ٣) فى م : « أمروا بما » ، و فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « أمروا ما » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٣٠ عقب الأثر (٦٥٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « واذكروا » .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « لا » .

مِن قولِهم : ولَّانى فلانٌ دُبُرَه . إذا اسْتَدْبَر عنه وخلَّفه خلفَ ظهرِه ، ثم يُسْتَعْمَلُ ذلك فى كلِّ تاركٍ طاعةَ أَمْرٍ ، (١)وهاجرٍ خِلٍّ(١) ، ومُعْرِضٍ بوجهِ(٢) ، فيقالُ : فلانٌ قد تَوَلَّى عن طاعةِ فلانٍ ، وتوَلَّى عن مُواصلتِه . ومنه قولُ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [التوبة : ٧٦] . يعنى بذلك : خالَفوا ما كانوا وعَدوا اللَّهَ مِن قولِهم : ﴿ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [التوبة : ٧٥] . ونبَذوا ذلك وراءَ ظُهورِهم .

ومِن شأنِ العربِ استعارةُ الكلمةِ ووضعُها مكانَ نَظيرتِها ، كما قال أبو ذُؤَيْبٍ(٣) الهُذَلىُّ :

فليس كعَهْدِ(٤) الدارِ يا أُمَّ مالكٍ ... ولكن أحاطَتْ بالرِّقابِ السَّلاسِلُ

وعاد الفتى كالكَهْلِ ليس بقائِلٍ ... سوى العَدْلِ(٥) شيئًا واسْتَراح العَواذِلُ

يعنى بقولِه : أحاطَت بالرِّقابِ السَّلاسلُ . أن الإسلامَ صار فى منعِه إيانا ما كنا نأْتيه فى الجاهليةِ مما حرَّمه اللَّهُ علينا فى الإسلامِ ، بمنزلةِ السَّلاسلِ المُحيطةِ برِقابِنا التى تَحُولُ بينَ مَن كانت فى رقبتِه ، مع الغُلِّ الذى فى يدِه ، وبينَ ما حاول أن يَتناوَلَه .

ونَظائرُ ذلك فى كلامِ العربِ أكثرُ مِن أن تُحْصَى . فكذلك قولُه : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۖ ﴾ . يعنى بذلك أنكم ترَكْتُم العملَ بما أخَذْنا ميثاقَكم وعهودَكم على العملِ به بجدٍّ واجتهادٍ ، بعدَ إعطائِكم ربَّكم المَواثيقَ على العملِ به ، والقيامِ بما

(١ - ١) فى م : « بها عز وجل » .

(٢) فى م : « بوجهه » .

(٣) كذا فى النسخ ، وكذا قال ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن ص ١١٢، والبيتان من قصيدة لأبى خراش الهذلى يرثى بها زهير ابن العجوة . ديوان الهذليين ٢/ ١٥٠.

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « لعهد » .

(٥) فى الأصل : « العذل » ، وفى م : « الحق » . وينظر شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٢٣.

أمَرَكم به فى كتابِكم ، فنبَذْتُموه [٢١/٣ظ] وراءَ ظهورِكم .

وكنَى بقولِه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ . عن جميعِ ما قبلَه فى الآيةِ المتقدمةِ ، أعنى قولَه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ الآية .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ .

٣٢٨/١ /يعنى تعالى ذكرُه بقولِه: ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾. فلولا أن اللَّهَ تفضَّل عليكم بالتوبةِ بعدَ نَكثِكمُ[1] الميثاقَ الذى واثَقْتُموه - إذ رفَع فوقَكم الطورَ - بأنكم تَجْتَهِدون فى طاعتِه ، وأداءِ فَرائضِه ، والقيامِ بما أمَرَكم به ، والانْتِهاءِ عما نَهاكم عنه فى الكتابِ الذى آتاكم ، فأنْعَم عليكم بالإسلامِ ، ورحمتُه التى رحِمَكم بها ، فتَجاوَز عنكم خَطيئتَكم التى ركِبْتُموها ، بمراجعتِكم طاعةَ ربِّكم - لكنتم مِن الخاسرين .

وهذا وإن كان خطابًا لمن كان بينَ ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن أهلِ الكتابِ أيامَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فإنما هو خبرٌ عن أسلافِهم ، فأُخْرِج[2] مُخْرَجَ الخبَرِ[3] عنهم ، على نحوِ ما قد بيَّنَّا فيما مضَى ، مِن أن القَبيلةَ مِن العربِ تُخاطِبُ القَبيلةَ عندَ الفَخارِ أو غيرِه ، بما مضَى مِن فِعلِ أسْلافِ المخاطِبِ بأسْلافِ المخاطَبِ ، فتُضِيفُ فِعْلَ أسْلافِ المُخاطِبِ إلى أنفسِها ، فتقولُ : فعَلْنا[4] وفعَلْنا[4] . (٥وما فُعِل بأسلافِ المخاطَبِ إلى المخاطِبِ لهم بقولِهم : فعَلنا بكم٥) (٦وفعلْنا بكم٦) . وقد ذكَرْنا بعضَ

(١) فى ت ٢، ت ٣: « نقضكم » ، وفى ت ١: « نبذكم » .

(٢) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « الخبر » .

(٣) فى م : « المخبر » .

(٤) بعده فى م : « بكم » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) زيادة من : ت ١، ت ٢، ت ٣.

الشواهِدِ فى ذلك مِن شعرِهم فيما مضَى[(١)] .

وقد زعَم بعضُهم أن الخطابَ فى هذه الآياتِ إنما أُخرِج بإضافةِ الفعلِ إلى المُخاطَبِين ، والفعلُ لغيرِهم ؛ لأن المخاطَبِين بذلك كانوا يَتَوَلَّوْن مَن كان فعَل ذلك مِن أوائلِ بنى إسرائيلَ ، فصيَّرهم اللَّهُ منهم مِن أجلِ وِلايتِهم لهم .

وقال بعضُهم : إنما قيل ذلك كذلك ؛ لأن سامِعيه كانوا عالِمين - وإن كان الخطابُ خرَج خطابًا للأحياءِ مِن بنى إسرائيلَ وأهلِ الكتابِ - أن[(٢)] المعنى فى ذلك إنما هو خبرٌ عما [(٣)] قد مضَى[(٣)] مِن أنْباءِ أسلافِهم ، فاسْتُغْنِى بعلمِ السامِعِين بذلك عن ذكرِ أسْلافِهم [٢٢/٣و]* بأعْيانِهم . ومثَّل ذلك بقولِ الشاعرِ[(٤)] :

إذا ما انْتَسَبْنا لم تَلِدْنى لَئِيمةٌ ولم تَجِدِى مِن أن تُقِرِّى به بُدًّا

فقال : إذا انْتَسَبْنا . و « إذا » تَقْتَضِى مِن الفعلِ مُسْتَقْبلًا ، ثم قال : لم تَلِدْنى لَئِيمةٌ . فأخبَر عن ماضٍ مِن الفعلِ ، وذلك أن الوِلادةَ قد مَضَت وتقدَّمَت ، وإنما فعَل ذلك - عندَ المُحْتَجِّ به - لأن السامعَ قد فهِم معناه .

فجعَل ما ذكَرْنا مِن خطابِ اللَّهِ أهلَ الكتابِ الذين كانوا بينَ ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أيامَ رسولِ اللَّه ﷺ ، بإضافةِ أفعالِ أسْلافِهم إليهم - نظيرَ ذلك .

والأولُ الذى قُلْنا هو المُسْتَفِيضُ فى[(٥)] كلامِ العربِ وخِطابِها .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/٦٤٢ ، ٦٤٣.

(٢) فى م : « إذ » .

(٣ - ٣) فى م : « قص الله » .

* من هنا يبدأ خرم فى المخطوطة الأصل وينتهى فى ص ١٥٩.

(٤) معانى القرآن ١/٦١ ، وفى حاشية الأمير على مغنى اللبيب ١/ ٢٥: فى حاشية السيوطى : قائله زائدة بن صعصعة الفقعسى . ولم ينسبه السيوطى فى شرحه على شواهد المغنى ١/ ٨٩.

(٥) فى م : « من » .

وكان أبو العاليةِ يقولُ فى قولِه : ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ - فيما ذُكِر لنا - نحوَ القولِ الذى قُلْناه .

حدَّثنى المثنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ[1] ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ . قال : فضلُ اللَّهِ الإسلامُ ، ورحمتُه القرآنُ[2] .

وحُدِّثْتُ عن عمارٍ، قال: حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ، [3] عن أبيه [3] ، عن الربيعِ بمثلِه[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : فلولا فَضْلُ اللَّهِ عليكم ورَحْمَتُه إياكم ، بإنقاذِه إياكم بالتوبةِ عليكم مِن خَطيئتِكم وجُرْمِكم ، لكنتم الباخِسِين أنفسَكم حُظوظَها دائمًا ، الهالِكِين بما اجْتَرَمْتُم مِن نَقْضِ ميثاقِكم ، وخلافِكم أمرَه وطاعتَه .

وقد تقَدَّم بيانُنا قبلُ بالشَّواهدِ عن[5] معنى الخَسارِ ، بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[6] .

/القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ . ٣٢٩/١

(١) فى النسخ : « النضر » . وهو من الأسانيد الدائرة .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١/١ عقب الأثر (٦٦٢) من طريق آدم به .

(٣ - ٣) سقط من النسخ ، وهو من الأسانيد الدائرة .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١/١ عقب الأثر (٦٦٢، ٦٦٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) فى ت ٢: « على » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ١/ ٤٤٢.

يعنى بقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ﴾ : ولقد عرَفْتم ، كقولِك : قد عَلِمْتُ أخاك ، ولم أَكُنْ أَعْلَمُه . يعنى : عرَفْتُه ولم أَكُنْ أَعْرِفُه . كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] . يعنى : لا تَعْرِفونهم ، اللَّهُ يَعْرِفُهم .

وقولُه : ﴿ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ . أى : الذين تَجاوَزُوا حدِّى ، ورِكبوا ما نهَيْتُهم عنه فى يومِ السبتِ ، وعصَوْا أمْرى .

وقد دلَّلْتُ فيما مضَى على أن الاعْتِداءَ أصلُه تَجاوُزُ الحدِّ فى كلِّ شىءٍ ، بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(1)] .

قال : وهذه الآيةُ وآياتٌ بعدَها تَتْلُوها ، مما عدَّد جلَّ ثناؤُه فيها على بنى إسرائيلَ - الذين كانوا بينَ خِلالِ دُورِ الأنصارِ زمانَ النبىِّ ﷺ ، الذين ابْتَدَأ بذكرِهم فى أولِ هذه السورةِ مِن نَكْثِ أسْلافِهم عهدَ اللَّهِ وميثاقَه - ما كانوا يُبْرِمون مِن العقودِ ، وحذَّر المُخاطَبين بها أن يَحِلَّ بهم - بإصرارِهم على كفرِهم ومُقامِهم على جُحودِ نبوةِ محمدٍ ﷺ ، وتركِهم اتباعَه والتصديقَ بما جاءَهم به مِن عندِ ربِّه - مثلُ الذى حلَّ بأوائلِهم مِن المَسْخِ والرَّجْفِ والصَّعْقِ ، وما لا قِبَلَ لهم به مِن غَضَبِ اللَّهِ وسَخَطِه .

كالذى **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ يقولُ : ولقد عرَفْتُم . وهذا تحذيرٌ لهم مِن المعصيةِ ، يقولُ : احْذَرُوا أن يُصِيبَكم ما أصاب أصحابَ السبتِ إذ عصَوْنى ، ﴿ اعْتَدَوْا ﴾ ، يقولُ : اجْتَرَءوا ، ﴿ فِي السَّبْتِ ﴾ . قال : لم يَبْعَثِ اللَّهُ نبيًّا إلا أمَره بالجُمُعةِ ، وأخبَرَه بفضلِها وعِظَمِها فى السَّماواتِ وعندَ الملائكةِ ، وأنَّ الساعةَ تَقُومُ فيها ، فمَن اتَّبَع الأنبياءَ فيما

(1) ينظر ما تقدم فى ص ٣٢.

مضَى ، كما اتَّبعَتْ أمةُ محمدٍ ﷺ محمدًا ، قَبِلَ الجُمُعةَ ، وسمِع وأطاع وعرَف فضلَها ، وثبَت عليها بما أمَره اللَّهُ تعالى به ونبيُّه ﷺ ، ومَن لم يَفْعَلْ ذلك كان بمنزلةِ الذين ذكَر اللَّهُ فى كتابِه ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ . وذلك أن اليهودَ قالت لموسى حين أمَرَهم بالجمعةِ ، وأخبَرَهم بفضلِها : يا موسى ، كيف تَأْمُرُنا بالجُمُعةِ وتُفَضِّلُها على الأيامِ كلِّها ، والسبتُ أفضلُ الأيامِ كلِّها ؛ لأن اللَّهَ خلَق السماواتِ والأرضَ والأقْواتَ فى ستةِ أيامٍ ، وسبَت[1] له كلُّ شيءٍ مُطِيعًا يومَ السبتِ ، وكان آخرَ الستةِ ؟

قال : وكذلك قالت النصارَى لعيسى ابنِ مريمَ حينَ أمَرَهم بالجُمُعةِ ، قالوا له : كيف تَأْمُرُنا بالجمعةِ ، وأولُ الأيامِ أفضلُها وسيِّدُها ، والأولُ أفضلُ ، واللَّهُ واحدٌ ، والواحدُ الأولُ أفضلُ ؟ فأوْحَى اللَّهُ إلى عيسى أنْ دَعْهم والأحدَ ، ولكن ليَفْعَلوا فيه كذا وكذا مما أمَرَهم به ، فلم يَفْعَلوا ، فقصَّ اللَّهُ تعالى قَصَصَهم فى الكتابِ بمعصيتِهم .

قال : وكذلك قال اللَّهُ لموسى حينَ قالت له اليهودُ ما قالوا فى أمرِ السبتِ أنْ دَعْهم والسبتَ فلا يَصِيدوا /فيه سمكًا ولا غيرَه ، ولا يَعْمَلوا شيئًا ، كما قالوا . قال : فكان إذا كان السبتُ ظهَرَتِ الحِيتانُ على الماءِ ، فهو قولُه : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ﴾ [الأعراف : ١٦٣] . يقولُ : ظاهرةً على الماءِ - ذلك لمعصيتِهم موسى - وإذا كان غيرُ يومِ السبتِ صارت صيدًا كسائرِ الأيامِ ، فهو قولُه : ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ . ففعَلَت الحيتانُ ذلك ما شاء اللَّهُ ، فلما رأَوْها كذلك طمِعوا فى أخْذِها ، وخافوا العقوبةَ ، فتناوَل بعضُهم منها ، فلم تَمْتَنِعْ

١/٣٣٠

---

(١) سبت له : سكن وخشع وانقطع إلا عن العبادة . ينظر التاج (س ب ت) .

عليه ، وحذِر العقوبةَ التى حذَّرهم موسى مِن اللهِ تعالى ، فلما رأَوا أن العقوبةَ لا تَحِلُّ بهم عادوا وأخبَرَ بعضُهم بعضًا بأنهم قد أخَذوا السمكَ ولم يُصِبْهم شىءٌ ، فكثَّروا فى ذلك ، وظنُّوا أن ما قال لهم موسى كان باطلًا ، وهو قولُ اللهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ يقولُ لهؤلاء الذين صادوا السمكَ : فمسَخهم اللهُ قِرَدةً بمعصيتِهم . يقولُ : إذن لم يَحْيَوْا فى الأرضِ إلا ثلاثةَ أيامٍ ، ولم تَأْكُلْ ، ولم تَشْرَبْ ، ولم تَنْسُلْ ، وقد خلَق اللهُ القردةَ والخنازيرَ ، وسائرَ الخلقِ فى الستةِ الأيامِ التى ذكَر اللهُ فى كتابِه ، فمسَخ هؤلاءِ القومَ فى صورةِ القِردةِ ، وكذلك يَفعَلُ بمَن شاء كما يَشاءُ ، ويُحَوِّلُه كما يَشاءُ[1] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن داودَ بنِ الحُصينِ ، عن عِكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : إن اللهَ إنما افْتَرَض على بنى إسرائيلَ اليومَ الذى افترض عليكم فى عيدِكم ، يومَ الجمعةِ ، فخالَفوا إلى السبتِ فعظَّموه ، وترَكوا ما أُمِروا به ، فلمَّا أبَوْا إلا لزومَ السبتِ ابْتَلاهم اللهُ فيه ، فحرَّم عليهم ما أحَلَّ لهم فى غيرِه ، وكانوا فى قريةٍ بينَ أَيْلَةَ والطُّورِ يقالُ لها : مَدْيَنُ . فحرَّم اللهُ عليهم فى السبتِ الحيتانَ ؛ صيدَها وأكلَها ، وكانوا إذا كان يومُ السبتِ أقْبَلَت إليهم شُرَّعًا إلى ساحلِ بَحْرِهم ، حتى إذا ذهَب السبتُ ذهَبْنَ ، فلم يَرَوْا حُوتًا صغيرًا ولا كبيرًا ، حتى إذا كان يومُ السبتِ أتَيْنَ إليهم شُرَّعًا ، حتى إذا ذهَب السبتُ ذهَبْنَ ، فكانوا كذلك ، حتى إذا طال عليهم الأَمَدُ ، وقَرِموا[2] إلى الحيتانِ عمَد رجلٌ منهم ، فأخَذ حوتًا سرًّا يومَ السبتِ ، فخَزَمَه[3] بخيطٍ ، ثم أرْسَله فى

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٥ ، ٣/ ١٣٧ إلى المصنف مختصرًا ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٥١ عن الضحاك به ، نحوه .

(٢) القَرَمُ ، بالتحريك : شدة الشهوة إلى اللحم . اللسان (ق ر م) .

(٣) خزم الشىء يخزمه خزمًا : شكه . اللسان (خ ز م) .

الماءِ ، وأوْتَد له وَتِدًا فى الساحلِ ، فأوْثَقه ثم ترَكه ، حتى إذا كان الغدُ جاء فأخَذَه - أى : إنى لم آخُذْه فى يومِ السبتِ - ثم انطَلَق به فأكَلَه ، حتى إذا كان يومُ السبتِ الآخرِ عاد لمثلِ ذلك ، ووجَد الناسُ ريحَ الحيتانِ ، فقال أهلُ القريةِ : واللَّهِ لقد وجَدْنا ريحَ الحيتانِ . ثم عثَروا على ما صنَع ذلك الرجلُ ، قال : ففعَلوا كما فعَل ، وأكَلوا سرًّا زمانًا طويلًا ، لم يَعْجَلِ اللَّهُ عليهم بعقوبةٍ حتى صادوها علانيةً وباعوها بالأسواقِ ، وقالت طائفةٌ منهم مِن أهلِ البقيَّةِ[1] : ويحَكم ! اتَّقُوا اللَّهَ . ونهَوْهم عما كانوا يَصْنَعون . وقالت طائفةٌ أُخرى لم تأْكُلِ الحيتانَ ، ولم تَنْهَ القومَ عما صنَعوا : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ لسخطِنا أعمالَهم[2] ، ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٤] .

قال ابنُ عباسٍ : فبينما هم على ذلك أصْبَحت تلك البَقِيَّةُ فى أنديَتِهم ومساجدِهم ، وفقَدوا الناسَ فلا يَرَوْنهم ، فقال بعضُهم لبعضٍ : إن للناسِ لَشأنًا ، فانْظُروا ما هو . فذهَبوا يَنْظُرون فى دُورِهم، فوجَدوها / مُغَلَّقةً عليهم ، قد دخَلوا ليلًا ، فغلَّقوها على أنفسِهم ، كما يُغَلِّقُ الناسُ على أنفسِهم ، فأصْبَحوا فيها قِرَدةً ؛ إنهم لَيَعْرِفون الرجلَ بعينِه ، وإنه لَقِرْدٌ ، والمرأةَ بعينِها وإنها لَقِرْدةٌ ، والصبيَّ بعينِه وإنه لَقِرْدٌ .

١/٣٣١

قال : يقولُ ابنُ عباسٍ : فلولا ما ذكَر اللَّهُ أنه أنْجَى الذين نَهَوْا عن السُّوءِ لَقُلْنا : أهْلَك الجميعَ منهم . قالوا : وهى القريةُ التى قال اللَّهُ لمحمدٍ ﷺ : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ الآية[3] .

---

(١) فى م : « التقية » . وأهل البقية : هم أهل الفهم والطاعة . قال القتيبى : أولو بقية من دين قوم لهم بقية : إذا كانت بهم مُسكة وفيهم خير . ينظر اللسان (ب ق ى) .

(٢) فى ت ٣ : « عليهم » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/١٥٩٧ - ١٦٠٢ مفرقًا من طريق ابن إسحاق به . وعزاه السيوطى =

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ : أُحِلَّت لهم الحيتانُ ، وحُرِّمَت عليهم يومَ السبتِ بَلاءً مِن اللَّهِ ، ليَعْلَمَ مَن يُطِيعُه ممَّن يَعْصِيه ، فصار القومُ ثلاثةَ أصنافٍ ؛ فأما صِنفٌ فأمْسَك ونَهَى عن المَعْصيةِ ، وأمَّا صِنفٌ فأمْسَك عن حُرْمةِ اللَّهِ ، وأما صِنفٌ فانْتَهَك حُرْمةَ اللَّهِ ومرَد على المعصيةِ ، فلما أبَوْا إلا الاعْتِداءَ إلى ما نُهُوا عنه ، قال اللَّهُ لهم : ﴿ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ . فصاروا قِرَدةً لها أذْنابٌ تَعاوَى ، بعدَ ما كانوا رجالًا ونساءً[1] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ . قال : نُهُوا عن صيدِ الحيتانِ يومَ السبتِ ، فكانت تَشْرَعُ إليهم يومَ السبتِ ، وبُلُوا بذلك فاعْتَدَوْا فاصْطادُوها ، فجعَلَهم اللَّهُ قِرَدةً خاسِئِين[2] .

حدَّثنى موسى قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ . قال : فهم أهلُ أَيْلةَ ، وهى القريةُ التى كانت حاضرةَ البحرِ ، فكانت الحيتانُ إذا كان يومُ السبتِ - وقد حرَّم اللَّهُ على اليهودِ أن يَعْمَلوا فى السبتِ شيئًا - لم يَبْقَ فى البحرِ حُوتٌ إلا خرَج حتى يُخْرِجْنَ خَراطِيمَهن مِن الماءِ ، فإذا كان يومُ الأحدِ لزِمْنَ سُفْلَ البحرِ ، فلم يُرَ منهن شىءٌ حتى يكونَ يومُ السبتِ ، فذلك قولُه : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى

= فى الدر المنثور ١٣٧/٣ إلى أبى الشيخ .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٥/١ إلى المصنف وعبد بن حميد . وأخرج آخره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣/١ (٦٧١) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢/١ (٦٦٧) عن الحسن بن يحيى به . وهو فى تفسير عبد الرزاق ٤٧/١، ٤٨ عن قتادة والكلبى .

كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ . فاشْتَهَى بعضُهم السمكَ ، فجعَل الرجلُ يَحْفِرُ الحَفِيرةَ ، ويَجْعَلُ لها نهرًا إلى البحرِ ، فإذا كان يومُ السبتِ فتَح النهرَ ، فأقْبَل الموجُ بالحيتانِ يَضْرِبُها حتى يُلْقِيَها فى الحَفيرةِ ، ويُريدُ الحوتُ أن يَخْرُجَ فلا يُطِيقَ مِن أجلِ قلةِ ماءِ النهرِ ، فيَمْكُثُ ، فإذا كان يومُ الأحدِ جاء فأخَذَه ، فجعَل الرجلُ يَشْوِى السَّمكَ ، فيَجِدُ جارُه ريحَه ، فيَسْأَلُه فيُخْبِرُه ، فيَصْنَعُ مثلَ ما صنَع جارُه ، حتى إذا فشَا فيهم أكلُ السمكِ قال لهم علماؤُهم : ويحَكم إنما تَصْطادون السمكَ يومَ السبتِ ، وهو لا يَحِلُّ لكم . فقالوا : إنما صِدْناه يومَ الأحدِ حينَ أخَذْناه . فقال الفقهاءُ : لا ، ولكنكم صِدْتُموه يومَ فتَحْتُم له الماءَ ، فدخَل . فقالوا : لا . وعَتَوْا أن يَنْتَهُوا ، فقال بعضُ الذين نهَوْهم لبعضٍ : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ . يقولُ : لمَ تَعِظُونهم وقد وعَظْتُموهم فلم يُطِيعوكم . فقال بعضُهم : ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ . فلما أبَوْا قال المسلمون : واللَّهِ لا نُساكِنُكم فى قريةٍ واحدةٍ . فقسَموا القريةَ بجدارٍ ، ففتَح المسلمون بابًا والمُعْتَدون فى السبتِ /بابًا ، ولعَنهم داودُ ، فجعَل المسلمون يَخْرُجون مِن بابِهم ، والكفارُ مِن بابِهم ، فخرَج المسلمون ذاتَ يومٍ ، ولم يَفْتَحِ الكفارُ بابَهم ، فلمَّا أبْطَئوا عليهم تسَوَّر المسلمون عليهم الحائطَ ، فإذا هم قِرَدةٌ يَثِبُ بعضُهم على بعضٍ ، ففتَحوا عنهم ، فذهَبوا فى الأرضِ ، فذلك قولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِئِينَ ﴾ [الأعراف : ١٦٦] . فذلك حينَ يقولُ : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ٧٨] . فهم القردةُ[1] .

٣٣٢/١

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢/١ (٦٦٩) من طريق عمرو بن حماد به ، إلى قوله : حتى يكون =

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ في قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ . قال : لم يُمْسَخوا ، إنما هو مَثَلٌ ضرَبه اللَّهُ لهم ، مِثْلَ ما ضرَب مَثَلَ الحمارِ يَحْمِلُ أسْفارًا[(1)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ . قال : مُسِخَت قلوبُهم ، ولم يُمْسَخوا قِرَدةً ، وإنما هو مَثَلٌ ضرَبه اللَّهُ لهم ، كمثلِ الحمارِ يَحْمِلُ أسْفارًا[(2)] .

وهذا القولُ الذي قاله مُجاهِدٌ قولٌ لظاهرِ ما دل عليه كتابُ اللَّهِ مُخالِفٌ ، وذلك أن اللَّهَ أخْبَر في كتابِه أنه جعَل منهم القِرَدةَ والخَنازيرَ وعَبَدَ الطاغوتَ ، كما أخبَر عنهم أنهم قالوا لنبيِّهم : ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء : ١٥٣] . وأن اللَّهَ تعالى ذكرُه أصْعَقَهم عندَ مَسألتِهم ذلك ربَّهم ، وأنهم عبَدوا العِجْلَ ، فجعَل توبتَهم قتلَ أنفسِهم ، وأنهم أُمِروا بدُخولِ الأرضِ المقدسةِ ، فقالوا لنبيِّهم : ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] . فابْتَلاهم بالتِّيهِ ، فسواءٌ[(3)] قال قائلٌ[(3)] : هم لم يَمْسَخْهم قردةً . وقد أخبَر جلَّ ذكرُه أنه جعَل منهم قِردةً وخنازيرَ - وآخرُ قال : لم يَكُنْ شيءٌ مما أخبَر اللَّهُ عن بني إسرائيلَ أنه كان منهم ؛ مِن الخلافِ

= يوم السبت . وذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٥٢ ، ١٥٣ عن السدي بتمامه .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٥ بنحوه .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٣٣ (٦٧٢) عن أبيه ، عن أبي حذيفة به . وعزاه السيوطي في الدرالمنثور ١/٧٥ إلى ابن المنذر ، وانظر التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (١٨٤) .

(٣ - ٣) في ت ١، ت ٢، ت ٣: «قال قائلهم» .

على أنبيائِهم ، والعقوباتِ والأنكالِ التى أحلَّها اللَّهُ بهم . ومَن أنكر شيئًا مِن ذلك وأقرَّ بآخرَ منه ، سُئِل البرهانَ على قولِه ، وعُورِض - فيما أنكَر مِن ذلك - بما أقرَّ به ، ثم يُسْأَلُ الفَرْقَ مِن خبرٍ مُسْتَفِيضٍ أو أثرٍ صحيحٍ ، هذا مع خلافِ قولِ مجاهدٍ قولَ جميعِ الحُجَّةِ التى لا يجوزُ عليها الخطأُ والكذبُ فيما نقَلَتْه مُجْمِعَةً عليه ، وكفَى دليلًا على فسادِ قولٍ إجماعُها على تخطئتِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ ﴾ . أى : فقلْنا للذين اعتدَوْا فى السبتِ - يعنى فى يومِ السبتِ - وأصلُ السَّبْتِ الهُدُوُّ والسكونُ فى راحةٍ ودَعَةٍ ، ولذلك قيل للنائمِ : مَسْبُوتٌ . لهدوِّه وسكونِ جسدِه واستراحتِه ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبأ : ٩] . أى : راحةً لأجسادِكم ، وهو مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : سبَت فلانٌ يَسْبُتُ سَبْتًا .

وقد قيل : إنه سُمِّى سَبْتًا ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه فرَغ يومَ الجمعةِ - وهو اليومُ الذى قبلَه - مِن خلقِ جميعِ خلقِه .

وقولُه : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ . أى : صِيرُوا كذلك .

والخاسِئُ المُبْعَدُ المَطْرُودُ ، كما يَخْسَأُ الكلبُ ، يُقالُ منه : خَسَأْتُه أَخْسَؤُه خَسْئًا وخُسوءًا ، وهو يَخْسَأُ خُسوءًا . قال : ويقال : خَسَأْتُه فخَسَأَ وانْخَسَأَ . ومنه قولُ الراجزِ[1] :

/ كالكلبِ إن قلتَ له اخْسَأْ انْخَسَأْ ١/٣٣٣

(١) اللسان (خ س أ) ، وفيه : إن قيل له . بدل : إن قلت له .

يعنى : إن طرَدْتَه انْطَرد ذَليلًا صاغرًا . فكذلك معنى قولِه : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِئِينَ ﴾ . أى : مُبْعَدِين مِن الخيرِ أذِلَّاءَ صُغَراءَ .

كما حدَّثنا ابنُ[1] بشارٍ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِئِينَ ﴾ . قال : صاغِرِين[2] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن رجلٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيْفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ خَٰسِئِينَ ﴾ . قال : صاغِرِين[3] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِئِينَ ﴾ . أى : أَذِلَّةً صاغِرِين[4] .

وحُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : خاسِئًا : يعنى ذَليلًا[5] .

---

(١) سقط من النسخ : وهو محمد بن بشار ، وقد سبق مرارًا .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٣ عقب الأثر (٦٧٤) ، معلقًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٦ إلى المصنف .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/٤٨ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٣ عقب الأثر (٦٧٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧٦، ٦/٢٤٨ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم . وعزاه أيضًا فى ١/٧٦ إلى ابن المنذر بلفظ : صاغرين .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَهَا ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ الهاءِ والألفِ فى قولِه : ﴿ فَجَعَلْنَهَا ﴾ . وعلامَ هى عائدةٌ ؟ فرُوِى عن ابنِ عباسٍ فيها قولان :

أحدُهما ، ما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَجَعَلْنَهَا ﴾ : فجعَلْنا تلك العقوبةَ ، وهى المَسْخَةُ ، نَكالًا[١] .

فالهاءُ والألفُ من قولِه : ﴿ فَجَعَلْنَهَا ﴾ . على قولِ ابنِ عباسٍ هذا ، كنايةٌ عن المَسْخةِ ، وهى « فَعْلةٌ » مِن : مسَخهم اللَّهُ مَسْخةً .

فمعنى الكلامِ على هذا التأويلِ : ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ : فصاروا قردةً مَمْسُوخِين . ﴿ فَجَعَلْنَهَا ﴾[٢] : فجعَلْنا عُقوبتَنا ومَسْخَنا إياهم ﴿ نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

والقولُ الآخرُ مِن قولَىِ ابنِ عباسٍ ما **حدَّثنى** به محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَجَعَلْنَهَا ﴾ : يعنى الحِيتانَ .

والهاءُ والألفُ على هذا القولِ مِن ذكرِ الحيتانِ ، ولم يَجْرِ لها ذكرٌ ، ولكن لما كان فى الخبرِ دلالةٌ كنَى عن ذكرِها ، والدلالةُ على ذلك قولُه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٦/١ إلى المصنف .

(٢) سقط من : ت ٢.

وقال آخَرون : فجعَلْنا القريةَ التى اعْتَدَى أهلُها فى السبتِ . فالهاءُ والألفُ فى قولِ هؤلاءِ كِنايةٌ عن قريةِ القومِ الذين مُسِخوا .

/ وقال آخَرون : معنى ذلك : فجعَلْنا القِرَدةَ الذين مُسِخوا نَكالًا لما بيـنَ يديها وما خلفَها . فجعَلوا الهاءَ والألفَ كنايةً عن القردةِ . ٣٣٤/١

وقال آخَرون : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ يعنى به : فجعَلْنا الأُمةَ التى اعْتَدَتْ فى السبتِ نَكالًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ نَكَالًا ﴾ .

والنَّكالُ مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : نكَّل فلانٌ بفلانٍ تَنْكيلًا ونَكالًا . وأصلُ النَّكالِ العقوبةُ ، كما قال عدىُّ بنُ زيدٍ العِبادىُّ[(١)] :

لا [(٢)]يُسْخِطُ المليكَ[(٢)] ما يسعُ[(٣)] الـ ـعبدَ ولا فى نَكالِه تَنْكيرُ

وبمثلِ الذى قلْنا فى ذلك رُوِى الخبرُ عن ابنِ عباسٍ .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ نَكَالًا ﴾ . يقولُ : عقوبةً[(٤)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنى إسحاقُ ، قال : حدَّثنى ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ،

---

(١) التبيان ١/ ٢٩٢.

(٢ - ٢) فى م : « يحط الضليل » ، وفى ت ١ ، ت ٢ : « تسحه العبيك » ، وفى ت ٣ : « تسخط العبليك » . والمثبت من التبيان . وينظر تعليق الشيخ شاكر .

(٣) فى م : « يصنع » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٦/١ إلى المصنف .

عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا ﴾ . أى : عقوبةً[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ .

اختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم بما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ . يقولُ : ليَحْذَرَ مَن بعدَهم عُقوبتى ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . يقولُ : الذين كانوا بقُوا معهم[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ : لِمَا خلا لهم مِن الذُّنوبِ ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . أى : عِبْرةً لمن بقِىَ مِن الناسِ[(٣)] .

وقال آخَرون بما حدَّثنى ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن داودَ بنِ الحُصَيْنِ ، عن عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . أى مِن القُرَى[(٤)] .

وقال آخَرون بما حدَّثنا به بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : قال اللَّهُ : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ : مِن ذُنوبِ القومِ ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ أى : للحِيتانِ التى أصابوا .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ،

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤/١ عقب الأثر (٦٧٧) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٦/١ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤/١ عقب الأثر (٦٧٧، ٦٨١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣/١، ١٣٤ (٦٧٦، ٦٨٠) من طريق ابن إسحاق به .

عن قتادةَ في قولِه : ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ : مِن ذنوبِها ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ : مِن الحيتانِ[1] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثني عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ في قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ : ما مضَى مِن خَطاياهم إلى أن هلَكوا به .

/ حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . يقولُ : ﴿ بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ : ما مضَى مِن خَطاياهم ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ : خَطاياهم التي هلَكوا بها[2] . ٣٣٥/١

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه ، إلا أنه قال : ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ : خَطيئتُهم التي هلَكوا بها .

وقال آخَرون بما حدَّثني به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . قال : أما ما ﴿ بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ : فما سلَف مِن عملِهم ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ : فمَن كان بعدَهم مِن الأممِ أن يَعْصُوا ، فيَصْنَعَ اللَّهُ بهم مثلَ ذلك[3] .

وقال آخَرون بما حدَّثني به ابنُ سعدٍ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمي ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ : يعني الحِيتانَ جعَلها نَكالًا لما بينَ يديها وما خلفَها مِن الذنوبِ التي

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٤٨/١ . وينظر تفسير ابن أبي حاتم ١٣٤/١ (٦٧٧، ٦٧٨، ٦٨٢) .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠٥، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤/١ (٦٨٢) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤/١ عقب الأثر (٦٧٧) من طريق عمرو به نحوه .

عمِلوا قبلَ الحِيتانِ ، وما عمِلوا بعدَ الحِيتانِ ، فذلك قولُه : ﴿ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾[1] .

وأوْلَى هذه التأويلاتِ بتأويلِ الآيةِ ما رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ ، وذلك لما وصَفْنا مِن أن الهاءَ والألفَ فى قولِه : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا ﴾ . بأن تكونَ مِن ذِكْرِ العقوبةِ والمَسْخةِ التى مُسِخها القومُ أولى منها بأن تكونَ مِن ذكرِ غيرِها ؛ مِن أجلِ أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه إنما يُحَذِّرُ خلقَه بأسَه وسَطْوتَه ، وبذلك يُخَوِّفُهم ، وفى إبانتِه عزَّ ذكرُه بقولِه : ﴿ نَكَالًا ﴾ . أنه عنَى به العقوبةَ التى أحَلَّها بالقومِ - ما يُعْلِمُ أنه عنَى بقولِه : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . فجعَلْنا عقوبتَنا التى أحْلَلْناها بهم عُقوبةً لما بيـنَ يديها وما خلفَها ، دونَ غيرِه مِن المعانى . وإذا كانت الهاءُ والألفُ بأن تكونَ مِن ذكرِ المَسْخةِ والعُقوبةِ أولى منها بأن تكونَ مِن ذكرِ غيرِها ، فكذلك العائدُ فى قولِه : ﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . مِن الهاءِ والألفِ ، أن يكونَ مِن ذكرِ الهاءِ والألفِ اللتين فى قولِه : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ . أولى مِن أن يَكونَ مِن غيرِه .

فتأويلُ الكلامِ - إذا كان الأمرُ على ما وصَفْنا - : فقلنا لهم : كونوا قردةً خاسِئِين . فجعَلْنا عُقوبتَنا لهم عقوبةً لما بيـنَ يديها مِن ذنوبِهم السالفةِ منهم ، مَسْخَنا إياهم ، وعقوبتَنا لهم ، ولما خلْفَ عقوبتِنا لهم مِن أمثالِ ذنوبِهم ، أن يَعْمَلَ بها عاملٌ ، فيُمْسَخوا مثلَ ما مُسِخوا ، وأن يَحِلَّ بهم مثلُ الذى حلَّ بهم . تَحْذيرًا مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عبادَه أن يَأْتوا مِن مَعاصِيه ، مثلَ الذى أتَى المَمْسوخون فيُعاقَبوا عقوبتَهم .

وأما الذى قال فى تأويلِ ذلك ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ : يعنى الحِيتانَ ؛ عُقوبةً لما بيـنَ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٦/١ إلى المصنف بنحوه .

يدى الحِيتانِ مِن ذنوبِ القومِ وما بعدَها مِن ذنوبِهم . فإنه أبْعَدَ فى الانْتِزاعِ ؛ وذلك أن الحِيتانَ لم يَجْرِ لها ذكرٌ فيُقالَ : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ .

فإن ظنَّ ظانٌّ أن ذلك جائزٌ وإن لم يكنْ جرَى للحيتانِ ذكرٌ ؛ لأن العربَ قد تَكْنِى عن الاسمِ ولم يَجْرِ له ذكرٌ ، فإن ذلك وإن كان كذلك ، فغيرُ جائزٍ أن يُتْرَكَ المفهومُ مِن ظاهرِ الكتابِ - والمعقولُ به ظاهرٌ فى الخطابِ والتنزيلِ - إلى باطنٍ لا دلالةَ عليه مِن ظاهرِ التنزيلِ ، ولا خبرٍ عن الرسولِ ﷺ منقولٍ ، ولا فيه مِن الحجةِ إجماعٌ مُسْتَفِيضٌ .

/وأما تأويلُ مَن تأوَّل ذلك : لما بينَ يديها مِن القُرَى ، وما خلفَها . فيُنْظَرُ إلى تأويلِ مَن تأوَّل ذلك : بما بينَ يدى الحِيتانِ وما خلفَها . ٣٣٦/١

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمَوْعِظَةً ﴾ .

والموعظةُ مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : وعَظْتُ الرجلَ أَعِظُه وَعْظًا ومَوْعِظَةً . إذا ذكَّرْتَه .

فتأويلُ الآيةِ : فجعَلْناها نَكالًا لمَا بينَ يديها وما خلفَها وتَذْكِرةً للمتقين ، ليَتَّعِظوا بها ويَعْتَبِرُوا ويَتَذَكَّروا بها .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَوْعِظَةً ﴾ . يقولُ : وتذكرةً وعِبْرةً للمتقين[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦) ﴾ .

وأما المُتَّقُون فهم الذين اتَّقَوْا بأداءِ فرائضِه واجْتِنابِ مَعاصِيه .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٦/١ إلى المصنف .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : ثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . يقولُ : للمؤمنين الذين يَتَّقُون الشِّركَ ، ويَعْمَلون بطاعتى[1] .

فجعَل تعالى ذكرُه ما أحَلَّ بالذين اعْتَدَوْا فى السبتِ مِن عقوبتِه مَوْعِظةً للمتقين خاصَّةً ، وعِبْرةً للمؤمنين دون الكافرين به إلى يوم القيامةِ .

كالذى حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن داودَ بنِ الحصينِ ، عن عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : إلى يومِ القيامةِ[2] .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . أى : بعدَهم[3] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ مثلَه[4] .

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : أما ﴿ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : فهم أمةُ محمدٍ ﷺ[5] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . قال : فكانت موعظةً للمتقين خاصَّةً[6] .

---

(١) تقدم فى ١/ ٢٣٨، ٢٣٩.
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم ١٣٥/١ (٦٨٤) من طريق ابن إسحاق به.
(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥/١ عقب الأثر (٦٨٦) معلقا .
(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٨.
(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥/١ (٦٨٨) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .
(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥/١ (٦٨٥) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ فى قولِه : ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . أى : لمَن بعدَهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

/وهذه الآيةُ مما وبَّخ اللَّهُ بها المخاطَبِين [١/٩٨ظ] مِن بنى إسرائيلَ فى نَقْضِ أوائلِهم الميثاقَ الذى أخذه اللَّهُ عليهم بالطاعةِ لأنْبيائِه ، فقال لهم : واذْكُروا أيضًا مِن نَكْثِكم مِيثاقى ، ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ ﴾ - وقومُه بنو إسرائيلَ ، إذ ادَّارَءُوا فى القَتيلِ الذى قُتِل فيهم إليه -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾. ١/٣٣٧

والهُزُؤُ : اللَّعِبُ والسُّخْرِيةُ ، كما قال الراجزُ[(١)] :

قد هزِئَتْ مــــنى أُمُّ طَيْسَلَهْ

قالَتْ أَرَاهُ مُعْدِمًا لا شىءَ لَهْ

يعنى بقولِه : قد هَزِئَت : قد سخِرَت ولعِبَت .

ولا يَنْبَغِى أن يَكونَ مِن أنبياءِ اللَّهِ - فيما أخبَرَتْ عن اللَّهِ مِن أمرٍ أو نهيٍ - هُزُؤٌ أو لعبٌ ، فظنُّوا بموسى أنه فى أمرِه إياهم - عن أمرِ اللَّهِ تعالى ذكرُه بذبحِ البقرةِ عندَ تَدَارُئِهم فى القتيلِ إليه[(٢)] - هازِئٌ لاعبٌ ، ولم يَكُنْ لهم أن يَظُنُّوا ذلك بنبيِّ اللَّهِ ، وهو يُخْبِرُهم أن اللَّهَ هو الذى أمَرَهم بذبحِ البقرةِ .

---

(١) هو صخير بن عميرٍ التميمى ، والرجز فى الأصمعيات ص ٢٣٤، وأمالى القالى ٢/ ٢٨٤، وسمط اللآلى ص ٩٣٠، واللسان (ط س ل) على اختلاف فى روايته .

(٢) بعده فى م : « أنه » .

وحُذِفَت الفاءُ مِن قولِه : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . وهو جوابٌ ، لاسْتِغْناءِ ما قبلَه مِن الكلامِ عنه ، وحُسْنِ السكوتِ على قولِه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ . فجاز لذلك إسقاطُ الفاءِ مِن قولِه : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . كما جاز وحَسُن إسقاطُها مِن قولِه : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا ﴾ [الحجر : ٥٧، ٥٨، والذاريات : ٣١، ٣٢] . ولم يَقُلْ : « فقالوا : إنا أُرْسِلْنا » . ولو قيل : « فقالوا » . كان حسنًا أيضًا جائزًا . ولو كان ذلك على كلمةٍ واحدةٍ لم تُسْقَطْ منه الفاءُ ، وذلك أنك إذا قلتَ : قمتُ وفعَلتُ كذا وكذا . لم[1] تَقُلْ : قمتُ فعلتُ كذا وكذا ؛ لأنها عطفٌ لا استفهامٌ يُوقَفُ عليه .

فأخْبَرَهم موسى - إذ قالوا له ما قالوا - أن المُخْبِرَ عن اللَّهِ جل ثناؤُه بالهُزْءِ والسخريةِ مِن الجاهِلين ، وبرَّأ نفسَه مما ظنُّوا به مِن ذلك ، فقال : ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ . يعنى : مِن السفهاءِ الذين يَرْوُون عن اللَّهِ الكذبَ والباطلَ .

وكان سببَ قيلِ موسى لهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ ما حدَّثنا به محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا المُعْتَمِرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ أيوبَ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ ، عن عَبيدةَ ، قال : كان فى بنى إسرائيلَ رجلٌ عَقيمٌ - أو عاقرٌ - قال : فقتَله وليُّه ، ثم احتَمَله ، فألْقاه فى سِبْطٍ غيرِ سِبْطِه . قال : فوقَع بينَهم فيه الشرُّ ، حتى أخَذوا السلاحَ ، قال : فقال أولو النُّهَى : أتَقْتَتِلون وفيكم رسولُ اللَّهِ ؟ قال : فأتَوا نبيَّ اللَّهِ ، فقال : اذْبَحوا بقرةً . فقالوا : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . قال : ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ . قالوا : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ . قال : فضُرِب ، فأخْبَرَهم بقاتلِه . قال : ولم تُؤْخَذِ البقرةُ إلا بوزنِها ذهبًا . قال : ولو أنهم

(١) فى النسخ : « ولم » . والصواب ما أثبت .

أخَذُوا أدْنى بقرةٍ لَأَجْزأَت عنهم . فلم يُوَرَّثْ قاتلٌ بعدَ ذلك[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : حدَّثني أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ في قولِ اللَّهِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ ﴾ قال : كان رجلٌ مِن بني إسرائيلَ ، وكان غَنِيًّا ، ولم يَكُنْ له ولدٌ ، وكان له قريبٌ ، وكان وارثَه ، فقتَله ليَرِثَه ، ثم ألْقاه على مَجْمَعِ الطريقِ ، وأتَى موسى ، فقال له : إن قريبي قُتِل ، وأُتِي[(٢)] إليَّ أمرٌ عظيمٌ ، وإني لا أَجِدُ أحدًا يُبَيِّنُ لي مَن[(٣)] قتَله غيرَك يا نبيَّ اللَّهِ . قال : فنادَى/ موسى في الناسِ : أَنْشُدُ اللَّهَ مَن كان عندَه مِن هذا علمٌ إلا بيَّنه لنا . فلم يَكُنْ عندَهم علمُه ، فأقْبَل القاتلُ على موسى ، فقال : أنت نبيُّ اللَّهِ ، فاسْأَلْ لنا ربَّك أن يُبَيِّنَ لنا . فسأَل ربَّه ، فأوْحَى اللَّهُ إليه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ ﴾ . فعجِبوا وقالوا : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ ﴾ . قال : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ . قالوا : ﴿ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ ﴾ - يعني : لا هَرِمةٌ - ﴿ وَلَا بِكۡرٌ ﴾ - يعني : ولا صغيرةٌ - ﴿ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ ﴾ - أي : نَصَفٌ بينَ البِكْرِ والهَرِمةِ - قالوا ﴿ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا ﴾ - أي : صافٍ لونُها - ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ - أي : تُعْجِبُ الناظِرين - قالوا : ﴿ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ ﴾ - أي : لم يُذَلِّلْها العملُ - ﴿ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ - يعني : ليستْ بذَلولٍ فتُثِيرَ الأرضَ - ﴿ وَلَا تَسۡقِي

٣٣٨/١

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٤٨/١ عن معمر ، عن أيوب به . وأخرجه آدم بن أبي إياس وعبد بن حميد في تفسيرهما - كما في تفسير ابن كثير ١٥٤/١ - وابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦/١ (٦٩٠) ، والبيهقي ٦/ ٢٢٠ من طريق هشام بن حسان عن ابن سيرين به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٦/١ إلى ابن المنذر .

(٢) في تفسير ابن كثير : « وإني » .

(٣) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

ٱلْحَرْثَ ﴾ - يقولُ : ولا تَعْمَلُ فى الحَرْثِ - ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ - يعنى : مُسَلَّمةٌ مِن العيوبِ - ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ - يقولُ : لا بَياضَ فيها- قالوا : ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ ﴾ . ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ . قال : ولو أن القومَ حينَ أُمِرُوا أن يَذْبَحوا بقرةً استَعْرَضوا بقرةً مِن البقرِ فذبَحوها ، لكانت إياها ، ولكنَّهم شدَّدوا على أنفسِهم فشدَّد اللَّهُ عليهم ، ولولا أن القومَ استَثْنَوْا فقالوا : ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ . لما هُدُوا إليها أبدًا ، فبلَغَنا أنهم لم يَجِدوا البقرةَ التى نُعِتَت لهم إلا عندَ عَجوزٍ عندَها يَتامَى ، وهى القَيِّمةُ عليهم ، فلما علِمَت أنهم لا يَزْكو[(١)] لهم غيرُها أضْعَفَت عليهم الثمنَ ، فأتَوْا موسى فأخْبَروه أنهم لم يَجِدوا هذا النعتَ إلا عندَ فلانةَ ، وأنها سأَلَتْهم أضعافَ ثمنِها ، فقال لهم موسى : إن اللَّهَ قد كان خفَّف عليكم فشدَّدْتُم على أنفسِكم ، فأَعْطُوها رِضاها وحُكْمَها . ففعَلوا واشْتَرَوْها ، فذبَحوها ، فأمَرَهم موسى أن يَأْخُذوا عَظْمًا منها فيَضْرِبوا به القَتيلَ ، ففعَلوا ، فرجَع إليه رُوحُه ، فسمَّى لهم قاتلَه ، ثم عاد ميتًا كما كان ، فأخَذوا قاتلَه [١/٩٩و] - وهو الذى كان أتَى موسى فشكَا إليه - فقتَله اللَّهُ على أسوأِ عملِه[(٢)] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةًۖ ﴾ . قال : كان رجلٌ مِن بنى إسرائيلَ مُكْثِرًا مِن المالِ ، وكانت له ابنةٌ ، وكان له ابنُ أخٍ محتاجٌ ، فخطَب إليه ابنُ أخيه ابنتَه ، فأبَى أن يُزَوِّجَه إياها ، فغضِب الفتى ، وقال : واللَّهِ لأَقْتُلَنَّ عمِّى ، ولآخُذَنَّ

(١) أى لا يصلح .

(٢) أخرجه آدم بن أبى إياس فى تفسيره - كما فى تفسير ابن كثير ١/١٥٤- ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٤٠ عقب الأثر (٧١٦) ، ١/١٤١، ١٤٢ (٧٢٤، ٧٢٩، ٧٣٠) مفرقا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٨، ٧٩ إلى المصنف مختصرًا .

مالَه ، ولأُنْكِحَنَّ ابنتَه ، ولآكُلَنَّ دِيَتَه . فأتاه الفتى ، وقد قَدِم تجارٌ فى بعضِ أسْباطِ بنى إسرائيلَ ، فقال : يا عمِّ ، انْطَلِقْ معى ، فخُذْ لى مِن تجارةِ هؤلاء القومِ لعلى أُصِيبُ فيها[1] ، فإنهم إذا رأَوْك معى أعْطَوْنى . فخرَج العمُّ مع الفتى ليلًا ، فلمَّا بلَغ الشيخُ ذلك السِّبطَ قتَله الفتى ، ثم رجَع إلى أهلِه ، فلما أصْبَح جاء كأنه يَطْلُبُ عمَّه ، كأنه لا يَدْرِى أين هو ، فلم يَجِدْه ، فانْطَلَق نحوَه ، فإذا هو بذلك السِّبطِ مُجْتَمِعِين عليه ، فأخَذَهم وقال : قتَلْتُم عمِّى ، فأدُّوا إلىَّ دِيَتَه . وجعَل يَبْكِى ، ويَحْثُو الترابَ على رأسِه ، ويُنادِى : واعمَّاه ! فرفَعَهم إلى موسى ، فقضَى عليهم بالديةِ ، فقالوا له : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ لنا حتى يَتَبَيَّنَ له مَن صاحبُه ، فيُؤْخَذَ صاحبُ الجَرِيمةِ[2] ، فواللَّهِ إن ديتَه علينا لَهَيِّنةٌ ، ولكنا نَسْتَحِى أن نُعَيَّرَ به . فذلك حينَ يقولُ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ .فقال لهم موسى : ﴿ إِنَّ/ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ . قالوا : نَسْأَلُك عن القَتيلِ ، وعمَّن قتَله ، وتَقولُ : اذْبَحوا بقرةً ! أتَهْزَأُ بنا ؟ قال موسى : ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ . قال : قال ابنُ عباسٍ : فلو اعْتَرَضوا بقرةً فذبَحوها لأَجْزَأَت عنهم ، ولكنهم شدَّدُوا وتعَنَّتُوا موسى ، فشدَّد اللَّهُ عليهم ، فقالوا : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ - والفارِضُ : الهَرِمةُ التى لا تَلِدُ ، والبِكْرُ : التى لم تَلِدْ إلا ولدًا واحدًا ، والعَوانُ : النَّصَفُ التى بينَ ذلك ، التى قد وَلَدَت وولَد ولدُها - ﴿ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ . قالوا : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ - قال : تُعْجِبُ الناظرين - قالوا : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا

١/٣٣٩

---

(١) فى تفسير ابن كثير : « منها » .

(٢) فى ت ١، ت ٣: « الفرجة » ، وفى ت ٢: « المرحة » .

ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ - مِن بَياضٍ ، ولا سَوادٍ ، ولا حُمْرةٍ - قالوا : ﴿ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ . فطلَبوها فلم يَقْدِروا عليها .

وكان رجلٌ مِن بنى إسرائيلَ مِن أبرِّ الناسِ بأبيه ، وأن رجلًا مرَّ به معه لؤلؤٌ يَبيعُه ، فكان أبوه نائمًا تحتَ رأسِه المِفْتاحُ ، فقال له الرجلُ : تَشْترِى منى هذا اللؤلؤَ بسبعين ألفًا ؟ فقال له الفتى : كما أنت حتى يَسْتَيْقِظَ أبى ، فآخُذَه بثمانين ألفًا . فقال له الآخرُ : أيْقِظْ أباك ، وهو لك بستين ألفًا . فجعَل التاجرُ يَحُطُّ له حتى بلَغ ثلاثين ألفًا ، وزاد الآخرُ على أن يَنْتَظِرَ حتى يَسْتَيْقِظَ أبوه ، حتى بلَغ مائةَ ألفٍ ، فلما أكْثَر عليه قال : لا واللَّهِ ، لا أشْتَرِيه منك بشيءٍ أبدًا . وأبَى أن يُوقِظَ أباه ، فعوَّضه اللَّهُ مِن ذلك اللؤلؤِ أن جعَل له تلك البقرةَ ، فمرَّت به بنو إسرائيلَ يَطْلُبون البقرةَ ، فأبْصَروا البقرةَ عندَه ، فسألوه أن يَبيعَهم إياها بقرةً ببقرةٍ ، فأبَى . فأعْطَوْه ثنْتَيْن فأبَى ، فزادُوه حتى بلَغوا عشرًا فأبَى ، فقالوا : واللَّهِ لا نَتْرُكُك حتى نأْخُذَها منك . فانْطَلَقوا به إلى موسى ، فقالوا : يا نبيَّ اللَّهِ ، إنا وجَدْنا البقرةَ عندَ هذا ، فأبَى أن يُعْطِيَنَاها ، وقد أَعْطَيْناه ثمنًا . فقال له موسى : أَعْطِهم بقرتَك . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أنا أحَقُّ بمالى . فقال : صدَقْتَ . وقال للقومِ : أرْضُوا صاحبَكم . فأعْطَوْه وزنَها ذهبًا فأبَى ، فأضْعَفوا له مثلَ ما أعْطَوْه وزنَها ، حتى أعْطَوْه وزنَها عشرَ مراتٍ ، فباعَهم إياها ، وأخَذ ثمنَها ، فقال : اذْبَحوها . فذبَحوها ، فقال : اضْرِبوه ببعضِها ، فضرَبوه بالبَضْعةِ التى بينَ الكَتِفَيْن فعاش ، فسألوه : مَن قتَلك ؟ فقال لهم : ابنُ أخى ، قال : أَقْتُلُه ، وآخُذُ مالَه ، وأَنْكِحُ ابنتَه . فأخَذوا الغلامَ ، فقتَلوه[1] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، **وحدَّثنى** يونُسُ ، قال :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦/١ - ١٤٣ (٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٨، ٧٠٠، ٧١٦، ٧٢٨، ٧٣٨) مفرقا من طريق عمرو بن حماد به .

أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، عن ابنِ زيدٍ ، (١ وحدَّثنى عن مُجاهِدٍ ١) ، وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، قال : حدَّثنى خالدُ بنُ يزيدَ ، عن مُجاهِدٍ ، وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ (٢) عبدِ الكَريمِ ، قال : حدَّثنى عبدُ الصَّمَدِ بنُ مَعْقِلٍ ، أنه سمِع وهبًا يَذْكُرُ ، وحدَّثنى القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ ، وحَجَّاجٌ ، عن أبى مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظيِّ ومحمدِ بنِ قيسٍ ، وحدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : أخبَرَنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ . فذكَر جميعُهم أن السببَ الذى مِن أجلِه قال لهم موسى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن/ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ نحوُ السببِ الذى ذكَره عَبيدةُ وأبو العاليةِ والسُّدىُّ ، غيرَ أن بعضَهم ذكَر أن الذى قتَل القَتيلَ الذى اختُصِم فى أمرِه إلى موسى كان أخا المقتولِ ، وذكَر بعضُهم أنه كان ابنَ أخيه . وقال بعضُهم : بل كانوا جَماعةً وَرَثةً استَبْطَئوا حياتَه . إلا أنهم جميعًا مُجمِعون على أن موسى إنما أمَرهم [١/٩٩ظ] بذبحِ البقرةِ مِن أجلِ القَتيلِ إذ احْتَكموا إليه - عن أمرِ اللَّهِ إياهم بذلك - فقالوا له : وما ذَبْحُ البقرةِ يُبيِّنُ لنا خُصومَتَنا التى اختَصَمْنا فيها إليك فى قتلِ مَن قُتِل ، فادُّعِى على بعضِنا أنه القاتلُ ، أتَهْزَأُ بنا ؟

١/٣٤٠

كما حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : قُتِل قَتيلٌ مِن بنى إسرائيلَ ، فطُرِح فى سِبْطٍ مِن الأسْباطِ ، فأتَى أهلُ ذلك القَتيلِ إلى ذلك السِّبْطِ ، فقالوا : أنتم واللَّهِ قتَلْتُم صاحبَنا ؟ قالوا : لا واللَّهِ . فأتَوْا موسى ، فقالوا : هذا قَتيلُنا بينَ أظْهُرِهم ، وهم واللَّهِ قتَلوه . فقالوا : لا واللَّهِ يا نبىَّ اللَّهِ ، طُرِح علينا . فقال لهم

(١ - ١) كذا فى النسخ ، والصواب حذفه . وتفسير ابن زيد مشهور .

(٢) فى النسخ : « عن ». وهو خطأ وقد تقدم فى ١/ ٧٠١، ٧٠٩، وسيأتى فى ص ١١٥ بهذا الإسناد على الصواب .

موسى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ . فقالوا : أتستهزئُ بنا ؟ وقرأ قولَ اللهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . قالوا : نأتيك فنذكرُ قتيلَنا والذى نحن فيه ، فتستهزئُ بنا ؟ فقال موسى : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ ، وحجاجٌ ، عن أبى مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ ومحمدِ بنِ قيسٍ : لمَّا أتى أولياءُ القَتيلِ والذين ادَّعَوا عليهم قتلَ صاحبِهم ، موسى ، وقصُّوا قصتَهم عليه ، أوْحَى اللَّهُ إليه أن يَذْبَحوا بقرةً ، فقال لهم موسى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ . قالوا : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . قال : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ . قالوا : وما البقرةُ والقَتيلُ ؟ قال : أقولُ لكم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ . وتقولون : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾[٢] .

قال أبو جعفرٍ : فقال الذين قيل لهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ - بعد أن عَلِموا واسْتَقَرَّ عندَهم أن الذى أمَرَهم به موسى عليه السلامُ مِن ذلك عن أمرِ اللَّهِ مِن ذَبْحِ بقرةٍ ، جِدٌّ وحقٌّ - : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ . فسألوا موسى أن يَسْأَلَ ربَّه لهم ما كان اللَّهُ قد كفاهم بقولِه لهم : اذبَحوا بقرةً . لأنه جلَّ ثناؤُه إنما أمَرهم بذبحِ بقرةٍ مِن البقرِ - أىَّ بقرةٍ شاءوا ذبْحَها ، مِن غيرِ أن يَحْصُرَ لهم ذلك على نوعٍ منها دونَ نوعٍ ، أو صِنفٍ دونَ صنفٍ - فقالوا بجَفاءِ أخلاقِهم وغِلَظِ طَبائِعهم وسُوءِ أفهامِهم ، وتكلُّفِ ما قد وضَع اللَّهُ عنهم مَئُونتَه ؛ تَعنُّتًا منهم لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، كما حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما قال لهم موسى : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ

---

(١) قال ابن كثير فى تفسيره ١٥٧/١ : وهذه السياقات عن عبيدة وأبى العالية والسدى وغيرهم فيها اختلاف ما ، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بنى إسرائيل ، وهى مما يجوز نقلها ، ولكن لا نصدق ولا نكذب ، فلهذا لا نعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا ، والله أعلم .

الجَٰهِلِينَ ﴾ . قالوا له يتعنتونه : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ .

فلمَّا تكلَّفوا جهلًا منهم ما تكلَّفوا - مِن البحثِ عما كانوا قد كُفُوه مِن صفةِ البقرةِ التى أُمِروا بذبحِها ؛ تَعَنُّتًا منهم بنبيِّهم موسى صلواتُ اللَّهِ عليه ، بعدَ الذى كانوا أظْهَروا له مِن سُوءِ الظنِّ به فيما أخبَرَهم عن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه بقولِهم : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ - عاقَبهم عزَّ وجلَّ بأن خصَّ بذبحِ ما كان أمَرهم بذبحِه مِن البقرِ ، على نوعٍ منها دونَ نوعٍ ، فقال لهم جلَّ ثناؤُه - إذ سأَلوه ، فقالوا : ما هى ، ما صفتُها ، وما /حِلْيتُها[1] ؟ حَلِّها لنا لنَعْرِفَها . - قال : ﴿ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ . ٣٤١/١

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ لَّا فَارِضٌ ﴾ : لا مُسِنَّةٌ هَرِمةٌ . يقالُ منه : فَرَضَت البقرةُ تَفْرِضُ فُروضًا ، [2]وفرُضت[2] . يعنى بذلك : أَسَنَّتْ . ومِن ذلك قولُ الشاعرِ[3] :

يا رُبَّ ذى ضِغْنٍ علىَّ فارِضِ

له قُروءٌ كقُروءِ الحائِضِ[4]

يعنى بقولِه : « فارض » . قديمٌ : يَصِفُ ضِغْنًا قديمًا . ومنه قولُ الآخرِ[5] :

لها[6] زِجاجٌ[7] ولَهاةٌ فارِضُ[8]

---

(١) الحلية : الصفة . وحلِّها : صِفْها . انظر اللسان (ح ل ى) .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) مجالس ثعلب ص ٣٦٤، والمعانى الكبير ٢/ ٨٥٠، ٨٥١، والحيوان ٦/ ٦٧، والأضداد ص ٢٨ وغيرها .

(٤) القروء : جمع قرء ، وهو وقت الحيض . قال الجاحظ : كأنه ذهب إلى أن حقده يخبو تارة ثم يستعر ، ثم يخبو ثم يستعر .

(٥) البيت الأول فى اللسان (ز ج ج) ، والثانى فى المخصص ١/ ١٦٢.

(٦) فى م : « له » ، والتصويب من اللسان .

(٧) الزِّجاج : هى الأنياب ، على الاستعارة ، وأصل الزُّجّ : الحديدة التى تركب أسفل الرمح ، يركز به الرمح فى الأرض . انظر التاج (ز ج ج) .

(٨) معناها هنا : العظيمة الضخمة . وانظر اللسان (ف ر ض) .

حَدْلاءُ كالوَطْبِ نَحاهُ الماخِضُ[(١)]

وبمثلِ الذى قلنا فى تأويلِ ﴿ فَارِضٌ ﴾ قال المُتَأَوِّلون .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى علىُّ بنُ سعيدٍ الكِنْدىُّ ، قال : ثنا عبدُ السلامِ بنُ حربٍ ، عن خُصَيفٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ لَّا فَارِضٌ ﴾ . قال : لا كبيرةٌ[(٢)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابنُ عَطِيَّةَ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن خُصَيفٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أو عن عِكْرِمةَ - شكٌّ شَرِيكٌ - : ﴿ لَّا فَارِضٌ ﴾ . قال : الكبيرةُ[(٣)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : أَخْبَرَنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ لَّا فَارِضٌ ﴾ . الفارضُ الهَرِمةُ .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : ثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لَّا فَارِضٌ ﴾ . يقولُ : ليست بكبيرةٍ هَرِمةٍ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ ، عن عَطاءٍ الخُراسانىِّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لَّا فَارِضٌ ﴾ : الهَرِمةُ[(٤)] .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « هدلاء كالوطب تجاه الماخض » . والمثبت من المخصص . قال فى المخصص : رجل أحدل وامرأة حدلاء . قال : والأحدل من الرجال الذى فى منكبيه ورقبته انكباب إلى صدره . والوطب : سقاء اللبن من جلد . ونحاه : صرفه وأماله . والماخض من : مخض اللبن ، إذا أخذ زبده .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٣٧ ، ١٣٨ (٦٩٥ ، ٧٠١) من طريق عبد السلام بن حرب به .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧/١ عقب الأثر (٦٩٤) معلقًا عن عكرمة .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧/١ (٦٩٤) من طريق ابن جريج به . =

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : الفارضُ الكبيرةُ[(١)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازيُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قال : ثنا شَريكٌ ، عن خُصَيفٍ ، عن مُجاهدٍ قولَه : ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ قال : الكبيرةُ .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ : يعنى : لا هَرِمةٌ[(٢)] .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[(٣)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : الفارضُ الهَرِمةُ[(٤)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : قال مَعْمَرٌ : قال قَتادةُ : الفارضُ الهَرِمةُ . يقولُ : ليست بالهَرِمةِ ولا البِكرِ ، عَوانٌ بينَ ذلك[(٥)] .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّديِّ : الفارضُ الهَرِمةُ التى لا تَلِدُ[(٦)] .

= وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٧/١، ٧٨ إلى ابن المنذر وعطاء الخراسانى لم يسمع من ابن عباس . وينظر التحفة ٩٠/٥، وتهذيب الكمال ١١٥/٢٠، والفتح ٦٦٧/٨، ٤١٨/٩، وهدى السارى ص ٣٧٤.

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٦.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧/١ عقب الأثر (٦٩٤) من طريق آدم به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧/١ عقب الأثر (٦٩٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧/١ عقب الأثر (٦٩٤) معلقًا .

(٥) تفسير عبد الرزاق ٤٨/١.

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧/١ عقب الأثر (٦٩٤) من طريق عمرو به .

وحدَّثنى يونُس ، [١/١٠٠و] قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : الفارضُ الكبيرةُ .

١/٣٤٢ /القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ .

و« البِكْرُ » مِن إناثِ البَهائمِ وبنى آدمَ ما لم يَفْتَحِلْه الفَحْلُ ، وهى مَكْسورةُ الباءِ ، لم يُسْمَعْ منه « فَعَل » ولا « يَفْعَل » . وأما « البَكْرُ » بفتحِ الباءِ فهو الفَتِىُّ مِن الإبلِ .

وإنما عنَى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ : ولا صَغيرةٌ لم تَلِدْ .

كما حدَّثنى علىُّ بنُ سعيدٍ الكِنْدىُّ ، قال : ثنا عبدُ السلامِ بنُ حربٍ ، عن خُصَيفٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ : صغيرةٌ[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : البِكْرُ الصغيرةُ[(٢)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا الحسنُ بنُ عَطِيَّةَ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن خُصَيفٍ ، عن سعيدٍ، عن ابنِ عباسٍ، أو عكرمةَ - شكٌّ[(٣)] -: ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ . قال : الصغيرةُ[(٤)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ ، عن عَطاءٍ الخُراسانىِّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ : الصغيرةُ[(٥)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى أبو سفيانَ ، عن مَعْمَرٍ ، عن

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧/١ (٦٩٥) من طريق عبد السلام بن حرب به .

(٢) تفسير مجاهد ص٢٠٦ .

(٣) يعنى شريكًا ، كما تقدم فى ص ٨٤ .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧/١ عقب الأثر (٦٩٨) معلقًا عن عكرمة .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧/١ (٦٩٦) من طريق ابن جريج به .

قَتادةَ : ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ : ولا صَغيرةٌ[١] .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : ثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ : ولا صغيرةٌ ضَعيفةٌ[٢] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ : يعنى : ولا صغيرةٌ[٣] .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، مثلَه .

وحدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ فى « البكرِ » : لم تَلِدْ إلا ولدًا واحدًا[٤] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ عَوَانٌ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : العَوانُ النَّصَفُ التى قد ولَدَت بَطْنًا بعدَ بطنٍ ، وليست بنعتٍ للبِكْرِ . يقالُ منه : قد عوَّنَتْ . إذا صارت كذلك .

وإنما معنى الكلامِ : قال : إنه يَقولُ : إنها بقرةٌ لا فارضٌ ولا بكرٌ[٥] ، عَوانٌ بينَ ذلك . ولا يَجوزُ أن يَكونَ ﴿ عَوَانٌ ﴾ إلا مبتدأً ؛ لأن قولَه : ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ كِنايةٌ عن الفارِضِ والبِكْرِ ، فلا يجوزُ أن يَكونَ مُتَقَدِّمًا عليهما . ومنه قولُ الأَخْطَلِ[٦] :

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٧ عقب الأثر (٦٩٨) معلقًا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٧ (٦٩٧) عن أبى زرعة ، عن منجاب به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٧ عقب الأثر (٦٩٨) من طريق آدم به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٧ (٦٩٨) من طريق عمرو به .

(٥) بعده فى م : « بل » .

(٦) شرح ديوان الأخطل ص ٨٣.

وما بمكةَ[1] مِن شُمْطٍ مُحَفِّلَةٍ وما بيَثْرِبَ مِن عُونٍ وأبْكارِ[2]

وجمعُها عُونٌ ، يُقالُ : امرأةٌ عَوانٌ مِن نِسوةٍ عُونٍ ، ومنه قولُ تَميمِ بنِ مُقْبِلٍ[3] :

ومَأْتَمٍ[4] كالدُّمَى حُورٍ مَدامِعُها لم تَيْأَسِ[5] العَيْشَ أبْكارًا ولا عُونا

و « بقرةٌ عَوانٌ » ، و « بقرٌ عُونٌ » . قال : وربما قالت العربُ : « بقرٌ عُونٌ » ، مثلَ « رُسُلٍ » ؛ يَطْلُبون بذلك الفرقَ بينَ جمعِ « عَوانٍ » مِن البقرِ ، وجمعِ « عَانَةٍ » مِن الحُمُرِ ، ويقالُ : هذه حربٌ عَوانٌ . إذا كانت حربًا قد قُوتِل فيها مرةً / بعدَ مرةٍ ، ٣٤٣/١ يُمَثَّلُ ذلك بالمرأةِ التى قد ولَدَت بطنًا بعدَ بطنٍ ، وكذلك يُقالُ : حاجةٌ[6] عَوانٌ . إذا كانت قد قُضِيَت مرةً بعدَ مرةٍ .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ أن ابنَ زيدٍ أنْشَدَه :

قُعودٌ لَدَى الأبْوابِ طُلَّابُ حاجةٍ عَوَانٍ مِن الحاجاتِ أو حاجةً بِكْرَا

قال أبو جعفرٍ : والبيتُ للفَرَزْدقِ[7] .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك تأوَّله أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا علىُّ بنُ سعيدٍ الكِنْدىُّ ، ثنا عبدُ السلامِ بنُ حربٍ ، عن خُصَيفٍ ، عن

---

(١) فى المصدر : « بزمزم » .

(٢) الشمط ، جمع أشمط وشمطاء ، والشمط : بياض شعر الرأس يخالط سواده . ومحفلة : من الحفيل والاحتفال وهو الجد والاجتهاد .

(٣) ديوانه ص ٣٢٥ .

(٤) المأتم : جماعة النساء أو الرجال فى خير أو شر . اللسان (أ ت م) .

(٥) فى الديوان : « تبأس » .

(٦) فى م : « حالة » .

(٧) ديوان الفرزدق ص ٢٢٧ .

مُجاهِدٍ : ﴿ عَوَانٌۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ ﴾ وَسَطٌ ، قد ولَدَتْ بطنًا أو بطنَيْن[(١)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ عَوَانٌ ﴾ قال : العَوانُ : العانِسُ النَّصَفُ[(٢)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : العوانُ : النَّصَفُ[(٣)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابنُ عَطِيةَ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن خُصَيفٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أو عكرمةَ - شكٌّ شَريكٌ - ﴿ عَوَانٌ ﴾ . قال : بينَ ذلك[(٤)] .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : ثنا بشرٌ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ عَوَانٌ ﴾ . قال : بينَ الصغيرةِ والكبيرةِ ، وهي أقوى ما يكونُ مِن البقرِ والدَّوابِّ ، وأحسنُ ما يكونُ[(٥)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ ، عن عَطاءٍ الخُراسانيِّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ عَوَانٌ ﴾ قال : النَّصَفُ .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ :

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨/١ (٧٠١) من طريق عبد السلام بن حرب به . وأخرجه عبد بن حميد - كما في تفسير ابن كثير ٥٠٦/٢، تحقيق أبي إسحاق الحويني - من طريق خصيف به .

(٢) أخرجه عبد بن حميد - كما في تفسير ابن كثير ٥٠٦/٣، تحقيق أبي إسحاق الحويني - من طريق ابن أبي نجيح به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٠٦ .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨/١ عقب أثر (٦٩٩) معلقًا عن عكرمة .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨/١ (٦٩٩) من طريق منجاب به .

﴿ عَوَانٌۢ ﴾ نَصَفٌ[1] .

وحُدِّثْتُ عن عمارٍ ، عن ابنِ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قَتادةَ : العَوانُ نَصَفٌ بينَ ذلك[2] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِىُّ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن خُصَيفٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ عَوَانٌۢ ﴾ : التى[3] تُنْتَجُ شيئًا بشرطِ [4]أن تَكونَ[4] التى قد نُتِجَت بَكْرةً أو بَكْرتَيْن .

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ : العَوانُ النَّصَفُ التى بينَ ذلك ، التى قد وَلَدَت ولَدَ ولدُها[5] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : العَوانُ بينَ ذلك ليست ببكرٍ ولا كبيرةٍ .

[١/١٠٠ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ .**

يعنى بقولِه : ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ : بينَ البِكرِ والهَرِمةِ .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ . أى : بينَ البِكْرِ والهَرِمةِ[6] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨/١ عقب الأثر (٦٩٩) من طريق آدم به.

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨/١ عقب الأثر (٦٩٩) معلقًا .

(٣) بعده فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «لم» .

(٤ - ٤) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨/١ (٧٠٠) من طريق عمرو بن حماد به .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨/١ عقب الأثر (٦٩٩) من طريق آدم به .

/فإن قال قائلٌ : قد علِمْتَ أن « بينَ » لا تَصْلُحُ إلا أن تَكونَ مع شيئَيْن ٣٤٤/١ فصاعدًا ، فكيف قيل : ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ . و ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ واحدٌ فى اللفظِ ؟

قيل : إنما صلَحَت مع كونِها واحدةً ؛ لأن « ذلك » بمعنى اثنين ، والعربُ تَجْمَعُ فى « ذلك » و « ذاك » شيئين ومعنيَيْن مِن الأفعالِ ، كما يقولُ القائلُ : أَظُنُّ أخاك قائمًا ، و كان عمرٌو أباك . ثم يقولُ : قد كان ذاك ، وأَظُنُّ ذلك . فيَجْمَعُ بـ « ذاك » و« ذلك » الاسمَ والخبرَ الذى كان لابد لـ « أظنُّ »[1] و « كان » منهما .

فمعنى الكلامِ : قال : إنه يقولُ : إنها بقرةٌ لا مُسِنَّةٌ هَرِمةٌ ، ولا صَغيرةٌ لم تَلِدْ ، ولكنها بقرةٌ نَصَفٌ قد وَلَدَت بطنًا بعدَ بطنٍ بينَ الهَرَمِ والشبابِ . فجمَع ﴿ذَٰلِكَ﴾ معنى الهَرَمِ والشبابِ ، لما وصَفْنا ، ولو كان مكانَ « الفارِضِ والبِكْرِ » اسمَا شخصَيْن لم يُجْمَعْ مع « بينَ » « ذلك » ، وذلك أن « ذلك » لا يُؤَدِّى عن اسمِ شخصين ، وغيرُ جائزٍ لمَن قال : كنتُ بينَ زيدٍ وعمرٍو . أن يقولَ : كنتُ بينَ ذلك . وإنما يَكونُ ذلك مع أسماءِ الأفعالِ دون أسماءِ الأشخاصِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

يقولُ اللَّهُ لهم جلَّ ثناؤُه : افعَلوا ما آمُرُكم به تُدْرِكوا حاجاتِكم وطَلِباتِكم عندى ، واذْبَحوا البقرةَ التى أمَرْتُكم بذبحِها ، تَصِلوا - بانتهائِكم إلى طاعتى بذبحِها - إلى العلمِ بقاتلِ قَتيلِكم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ ﴾ .

ومعنى ذلك : قال قومُ موسى لموسى : ادعُ لنا ربَّك يُبَيِّنْ لنا لونَ البقرةِ التى

(١) فى النسخ : « للظن » . والمثبت هو الصواب .

أمَرْتَنا بذبحِها . وهذا أيضًا تعنُّتٌ آخرُ منهم بعدَ الأولِ ، وتكلُّفُ طلبِ ما قد كانوا كُفوه فى المرةِ الثانيةِ والمسألةِ الآخِرةِ ، وذلك أنهم لم يكونوا حُصِروا فى المرةِ الثانيةِ ، إذ قيل لهم بعد مسألتِهم عن حِلْيةِ البقرةِ التى كانوا أُمِروا بذبحِها ، فأبَوْا إلا تكلُّفَ ما قد كُفُوه مِن المسألةِ عن صفتِها ، فحُصِروا على نوعٍ دونَ سائرِ الأنواعِ ؛ عقوبةً مِن اللَّهِ لهم على مَسألتِهم التى سألوها نبيَّهم ﷺ تعنُّتًا منهم له ، ثم لم يَحْصُرْهم على لونٍ منها دونَ لونٍ ، فأبَوْا إلا تَكَلُّفَ ما كانوا عن تَكَلُّفِه أغْنِياءَ ، فقالوا - تعنُّتًا منهم لنبيِّهم ﷺ كما ذكَر ابنُ عباسٍ - : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ ﴾ فقيل لهم عقوبةً لهم : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ فحُصِروا على لونٍ منها دونَ لونٍ ، ومعنى ذلك : أن البقرةَ التى أمَرْتُكم بذبحِها صفراءُ فاقعٌ لونُها .

قال : ومعنى قولِه : ﴿ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ ﴾ : أىُّ شىءٍ لونُها ؟ فلذلك كان اللونُ مرفوعًا ؛ لأنه مُرافِعُ « ما » ، وإنما لم يُنْصَبْ « ما » بقولِه : ﴿ يُبَيِّن لَّنَا ﴾ لأن أصلَ « أىٍّ » و « ما » جمعُ مُتفرِّقِ الاستفهامِ . يقولُ[1] القائلُ : بيِّنْ لنا أسوداءُ هذه البقرةُ أم صفراءُ ؟ فلما لم يَكُنْ[2] لقولِه : بيِّنْ لنا . أن يقعَ على الاستفهامِ متفرِّقًا ، لم يكنْ له أن يقعَ[2] على « أىٍّ » ؛ لأنه جمعُ ذلك المتفرِّقِ ، وكذلك كلُّ ما كان مِن نظائرِه ، فالعملُ فيه واحدٌ فى « ما » و « أىٍّ » .

١/٣٤٥ /**واختَلَف أهلُ التأويلِ فى معنى قولِه : ﴿ صَفْرَآءُ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : معنى ذلك : سوداءُ شديدةُ السَّوادِ .**

---

(١) فى النسخ : « كقول » . والمثبت يقتضيه السياق .

(٢ - ٢) فى النسخ : « كقوله بين لنا ارتفع على الاستفهام منصرفا لم يكن له ارتفع » . والمثبت هو الصواب . وينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٤٦ - ٤٨.

ذكرُ مَن قال ذلك منهم

حدَّثني أبو مسعودٍ إسماعيلُ بنُ مسعودٍ الجَحْدريُّ ، قال : ثنا نوحُ بنُ قيسٍ ، عن محمدِ بنِ سيفٍ ، عن الحسنِ : ﴿ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ قال : سوداءُ شديدةُ السَّوادِ[(1)] .

حدَّثني أبو زائدةَ زكريا بنُ يحيى بنِ أبي زائدةَ والمثنى بنُ إبراهيمَ ، قالا : ثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا نوحُ بنُ قيسٍ ، عن محمدِ بنِ سيفٍ ، عن أبي رَجاءٍ ، عن الحسنِ مثلَه[(2)] .

وقال آخَرون : معنى ذلك : صفراءُ القَرْنِ والظِّلْفِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني هشامُ بنُ يونُسَ النَّهْشَليُّ ، قال : ثنا حفصُ بنُ غِياثٍ ، عن أشْعثَ ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ . قال : صفراءُ القَرنِ والظِّلْفِ .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثني هُشَيْمٌ ، قال : أخْبَرَنا جُوَيْبِرٌ ، عن كَثيرِ بنِ زيادٍ ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ . قال : كانت وَحْشِيَّةً[(3)] .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا مَرْوانُ بنُ معاويةَ ، عن إبراهيمَ ، عن أبي حفصٍ ، عن

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٩٢ - تفسير) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩/١ (٧٠٩) من طريق نوح بن قيس به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٨/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠/١ (٧١٥) من طريق مسلم بن إبراهيم به . وقال ابن كثير في تفسيره ١٥٨/١: وهذا غريب .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨/١ (٧٠٤) من طريق هشيم به .

مَغْراءَ ، أو عن رجلٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ : ﴿ بَقَـرَةٌ صَفۡـرَآءُ فَاقِعٌ لَّوۡنُهَا ﴾ . قال : صفراءُ القَرْنِ والظِّلْفِ[(١)] .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : هي صَفْراءُ .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا الضَّحَّاكُ بنُ مَخْلَدٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ إِنَّهَا بَقَـرَةٌ صَفۡـرَآءُ فَاقِعٌ لَّوۡنُهَا ﴾ قال : لو أخذُوا بقرةً صَفراءَ لأَجْزَأَت عنهم[(٢)] .

قال أبو جعفرٍ : وأَحْسَبُ أن الذى قال فى قولِه : ﴿ صَفۡـرَآءُ ﴾ : يَعْنى به سوداءَ . ذهَب إلى قولِه[(٣)] فى نعتِ الإبلِ السودِ : هذه إبلٌ صُفْرٌ ، وهذه ناقةٌ صفراءُ . يعْنى بها سوداءَ ، وإنما قيل ذلك فى الإبلِ لأن سوادَها يَضْرِبُ إلى الصُّفْرةِ ، ومنه قولُ الشاعرِ[(٤)] :

تلك خَيْلِى منه[(٥)] وتلك رِكابِى[(٦)] هن صُفْرٌ أولادُها كالزَّبيبِ

يعنى بقولِه : هن صُفْرٌ : هن سُودٌ ، وذلك إن وُصِفَت الإبلُ به فليس مما تُوصَفُ به البقرُ ، مع أن العربَ لا تَصِفُ السَّوادَ بالفُقوعِ ، وإنما تَصِفُ السوادَ - إذا وصَفَتْه بالشِّدةِ - بالحُلوكةِ ونحوِها ، [١/١٠١و] فتقولُ : هو أسودُ

(١) إبراهيم هو ابن يزيد الخوزى متروك . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩/١ (٧٠٨) من طريق ليث بن أبى سليم ، عن مغراء ، عن سعيد بن جبير . وأخرجه ابن أبى حاتم أيضًا ١٣٩/١ (٧٠٧) من طريق شريك ، عن الأعمش ، عن مغراء ، عن ابن عمر فى قوله : ﴿ صفراء ﴾ . قال صفراء الظلف .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠٥، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩/١ (٧٠٦) .

(٣) كذا فى النسخ ، ولعل صوابها : « قولهم » .

(٤) هو الأعشى الكبير ، والبيت فى ديوانه ص ٦٨.

(٥) فى م : « منها » .

(٦) الركاب : الإبل التى يسار عليها ، واحدتها راحلة ، ولا واحد لها من لفظها . التاج (ر ك ب) .

حالكٌ وحانِكٌ وحُلْكُوكٌ ، وأسودُ غِرْبِيبٌ ودَجُوجِيٌّ . ولا تقولُ : هو أسودُ فاقعٌ . وإنما تقولُ : هو أصفرُ فاقعٌ . فوصْفُه إياه بالفُقوعِ مِن الدليل البينِ على خلافِ التأويلِ الذى تأوَّل قولَه: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ المتأوِّلُ بأن معناه سوداءُ شديدةُ السوادِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ .

يعنى : خالصٌ لونُها . والفُقوعُ فى الصُّفْرةِ نظيرُ النُّصُوعِ فى البَياضِ ، وهو شِدَّتُه وصَفاؤُه .

/كما حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا مَعْمَرٌ ، قال : قال قَتادةُ : ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ : هى الصافى لونُها[(١)] . ٣٤٦/١

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ . أى : صافٍ لونُها[(٢)] .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بمثلِه[(٣)] .

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿فَاقِعٌ﴾ . قال : نَقِيٌّ لونُها[(٤)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ : شديدةُ الصُّفْرةِ ، تَكادُ مِن

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٩.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩/١ عقب الأثر (٧١١) من طريق آدم به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩/١ عقب الأثر (٧١١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩/١ عقب الأثر (٧١١) من طريق عمرو بن حماد به .

صُفرتِها تَبْيَضُّ[١] . قال أبو جعفرٍ : أُراه أبيضَ .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ . قال : شديدةٌ صفرتُها .

يقالُ منه : فقَع لونُه يَفْقَعُ ، ويَفْقُعُ ، فَقْعًا وفُقوعًا فهو فاقعٌ . كما قال الشاعرُ :

حمَلْتُ عليه الوَرْدَ[٢] حتى ترَكْتُه ذَليلًا يَسُفُّ التُّرْبَ واللَّوْنُ فاقعُ

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ .

يعني بقولِه : ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ : تُعْجِبُ هذه البقرةُ ، في حُسنِ خَلْقِها ومَنظرِها وهَيئتِها ، الناظرَ إليها .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ أي : تُعْجِبُ الناظِرين[٣] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ ، قال : حدَّثني عبدُ الصَّمَدِ بنُ مَعْقِلٍ ، أنه سمِع وهبًا : ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ : إذا نظَرْتَ إليها يُخَيَّلُ إليك أن شُعاعَ الشمسِ يَخْرُجُ مِن جلدِها[٤] .

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ قال : تُعْجِبُ الناظِرين[٥] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٤٠ (٧١٤) عن محمد بن سعد به .

(٢) الورد من الخيل : بين الكميت والأشعر .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٤٠ عقب الأثر (٧١٦) معلقًا .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٤٠ (٧١٧) من طريق إسماعيل بن عبد الكريم به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٤٠ (٧١٦) من طريق عمرو بن حماد به .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : يعنى بقوله : ﴿ قَالُواْ ﴾ : قال قومُ موسى الذين أُمِروا بذبحِ البقرةِ ، لموسى . فترَك ذكرَ « موسى » ، وذكَر عائدَ ذكرِه اكْتِفاءً بما دلَّ عليه ظاهرُ الكلامِ . وذلك أن معنى الكلامِ : قالوا له : ادْعُ لنا ربَّك . فلم يَذْكُرْ « له » لما وصَفْنا .

وقولُه : ﴿ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ خبرٌ مِن اللَّهِ عن القومِ بجَهْلةٍ منهم ثالثةٍ ، وذلك أنهم لو كانوا إذ أُمِروا بذبحِ البقرةِ ذبَحوا أيَّتَها تَيَسَّرَتْ مما يَقَعُ عليه اسمُ بقرةٍ كانت عنهم مُجْزِئةً ، ولم يَكُنْ عليهم غيرُها ؛ لأنهم لم يَكُونوا كُلِّفوها بصفةٍ دون صفةٍ ، فلمَّا سأَلوا بيانَها بأيَّةِ صفةٍ هى ، فبيَّن لهم أنها بسِنٍّ مِن الأسْنانِ دونَ سِنٍّ سائرِ الأسْنانِ ، فقيل لهم : هى عَوانٌ بيـنَ الفارِضِ والبِكْرِ الضَّرَعِ[1] . فكانوا - إذ بُيِّنَتْ لهم سنُّها - لو ذبَحوا أدْنَى بقرةٍ بالسنِّ التى بُيِّنَت لهم كانت عنهم مُجْزِئةً ؛ لأنهم لم يَكُونوا كُلِّفوها بغيرِ السنِّ التى حُدَّتْ لهم ، ولا كانوا حُصِروا على لونٍ منها / دونَ لونٍ ، فلما أبَوْا إلا أن تكونَ مُعَرَّفةً لهم بنُعوتِها ، مُبَيَّنةً بحُدودِها التى تُفرِّقُ بينَها وبينَ سائرِ بَهائمِ الأرضِ ، فشدَّدوا على أنفسِهم ، شدَّد[2] اللَّهُ عليهم بكثرةِ سُؤالِهم نبيَّهم واختلافِهم عليه .

٣٤٧/١

ولذلك قال نبيُّنا ﷺ لأُمَّتِه : « ذرَونى ما ترَكْتُكم ، فإنما أُهلك مَن كان قبلَكم بكثرةِ سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائِهم ، فإذا أمَرْتُكم بشىءٍ فأْتُوه ، وإذا نهَيْتُكم عن

---

(١) الضَّرَعُ ، بالتحريك ، والضارع : الصغير من كل شىء . وقيل : الصغير السن الضعيف الضاوى النحيف . اللسان (ض ر ع) .

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « فشدد » .

شيءٍ فانْتَهُوا عنه ما اسْتَطَعْتُم »[(١)] .

قال أبو جعفرٍ : ولكنَّ القومَ لما زادوا نبيَّهم موسى ﷺ أذًى وتَعنُّتًا ، زادهم اللَّهُ عقوبةً وتشديدًا .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عَثَّامُ بنُ عليٍّ ، عن الأعمشِ ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لو أخَذوا أدْنَى بقرةٍ اكْتَفَوْا بها ، لكنهم شدَّدوا فشدَّد اللَّهُ عليهم[(٢)] .

حدَّثنا محمدُ[(٣)] بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : ثنا المُعْتَمِرُ ، قال : سَمِعْتُ أيوبَ ، عن محمدِ بنِ سِيرِينَ ، عن عَبيدةَ ، قال : لو أنَّهم أخَذُوا أدْنَى بقرةٍ لأَجْزَأَت عنهم .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن أيوبَ ، وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن هشامِ بنِ حسانَ ، جميعًا عن ابنِ سِيرِينَ ، عن عَبيدةَ السَّلْمانيِّ ، قال : سألوا وشدَّدوا، فشُدِّد عليهم.

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ عُيَيْنةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن عكرمةَ ، قال : لو أخَذ بنو إسرائيلَ بقرةً لأَجْزَأَت عنهم ، ولولا قولُهم : ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴾ ما وجَدُوها[(٤)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ،

---

(١) أخرجه أحمد ٣٢٥/١٢ ، ٤٦٨ (٧٣٦٧، ٧٥٠١) ، والبخارى (٧٢٨٨) ، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة .

وقوله : « فإذا أمرتكم بشيء فأتوه ، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه ما استطعتم » . خطأ ، صوابه : « فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم » . وانظر الفتح ٢٦٠/١٣- ٢٦٣.

(٢) ذكره ابن كثير ١٥٨/١ عن المصنف . وقال : إسناد صحيح . وقد رواه غير واحد عن ابن عباس .

(٣) فى م ، ت ١: « عمر » ، وفى ت ٢، ت٣: « عمرو » . وتقدم على الصواب كما أثبتناه فى ص ٧٦.

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٠، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (١٩٣- تفسير) عن ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، يبلغ به النبي ﷺ . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٧/١ إلى الفريابى وابن المنذر مرفوعًا .

عن مُجاهِدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ : لو أخذُوا بقرةً ما كانت لأَجْزَأَت عنهم ، ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ [١٠١/١ظ] إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ . قال : لو أخَذُوا بقرةً مِن هذا الوصفِ لأَجْزَأَت عنهم ، ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴾ . قال : لو أخذوا بقرةً صفراءَ لأجزأتْ عنهم ، ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ ﴾ الآية[(١)] .

حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ بنحوِه ، وزاد فيه : ولكنهم شدَّدوا فشُدِّد عليهم .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال مُجاهِدٌ : لو أخَذُوا بقرةً ما كانت ، أَجْزَأَت عنهم . قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال لى عَطاءٌ : لو أخَذُوا أدْنَى بقرةٍ كفَتْهم . قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال رسولُ اللَّهِ/ ﷺ : « إنما أُمِرُوا بأدْنى بقرةٍ ، ولكنَّهم لما شَدَّدوا على أنفسِهم شدَّد اللَّهُ عليهم ، وايمُ اللَّهِ لو أنهم لم يَسْتَثْنُوا ما بُيِّنَت لهم آخرَ الأبَدِ »[(٢)] . ٣٤٨/١

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، قال : لو أن القومَ حينَ أُمِروا أن يَذْبَحوا بقرةً اسْتَعْرَضوا بقرةً مِن البقرِ فذبَحوها لكانَت إيَّاها ، ولكنهم شدَّدوا على أنفسِهم ، فشدَّد اللَّهُ عليهم ، ولولا أن القومَ اسْتَثْنَوا فقالوا : ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ لما هُدُوا إليها أبدًا[(٣)] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٥، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩/١ (٧٠٦) مختصرًا .
(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٧/١ إلى المصنف عن ابن جريج مرفوعًا .
(٣) تقدم مطولا فى ص ٧٧، ٧٨.

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ ، قال : ذُكِر لنا أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ كان يقولُ : « إنما أُمِر القومُ بأدْنَى بقرةٍ ، ولكنَّهم لما شدَّدوا على أنفسِهم شُدِّد عليهم ، والذى نفسُ محمدٍ بيدِه لو لم يَسْتَثْنُوا لَمَا بُيِّنَت لهم آخرَ الأبَدِ »[1] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَرَه عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لو أَعْرَضوا[2] بقرةً فذبَحوها لأَجْزَأَت عنهم ، ولكنهم شدَّدوا وتعنَّتوا موسى ، فشدَّد اللَّهُ عليهم[3] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : قال أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ : قال ابنُ عباسٍ : لو أن القومَ نظَروا أدْنى بقرةٍ - يعنى بنى إسرائيلَ - لأجزأت عنهم ، ولكن شدَّدوا فشُدِّد عليهم ، فاشْتَرَوها بملءِ جلدِها دَنانيرَ .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : لو أخذُوا بقرةً كما أمَرَهم اللَّهُ كفاهم ذلك ، ولكنَّ البلاءَ فى هذه المسائلِ ، فقالوا : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَۚ ﴾ فشُدِّد عليهم ، فقال : ﴿ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ فقالوا : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ ﴾ قال : ﴿ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ . قال : وشُدِّد عليهم أشدَّ مِن الأولِ . فقرأ حتى بلَغ : ﴿ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . فأبَوْا أيضًا فقالوا : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ، فشُدِّد عليهم فقال : ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٧ إلى المصنف .

(٢) فى م : « اعترضوا » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٣٧ (٦٩٣) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى ، عن ابن عباس .

﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ . قال : فاضْطُرُّوا إلى بقرةٍ لا يُعْلَمُ على صفتِها غيرُها ، هى صفراءُ ليس فيها سَوادٌ ولا بياضٌ .

قال أبو جعفرٍ : وهذه الأقوالُ التى ذكَرْناها عمن ذكرناها عنه مِن الصحابةِ والتابعِين والخالِفِين بعدَهم ، مِن قولِهم : إن بنى إسرائيلَ لو كانوا أخَذوا أدْنى بقرةٍ فذبَحوها أجْزَأَت عنهم ، ولكنهم شدَّدوا فشدَّد اللَّهُ عليهم - مِن أوضحِ الدلالةِ على أن القومَ كانوا يَرَون أن حكمَ اللَّهِ فيما أمَر ونهَى فى كتابِه وعلى لسانِ رسولِه ﷺ على العمومِ الظاهرِ دونَ الخُصوصِ الباطنِ ، إلا أن يَخُصَّ بعضَ ما عمَّه ظاهرُ التَّنْزيلِ ، كتابٌ مِن اللَّهِ أو رسولُ اللَّهِ ، وأن التنزيلَ أو الرسولَ إن خصَّ بعضَ ما عمَّه ظاهرُ التنزيلِ بحكمٍ خلافِ ما دَلَّ عليه الظاهرُ ، فالمخصوصُ مِن ذلك خارجٌ مِن حكمِ الآيةِ التى عمَّت ذلك الجنسَ خاصةً ، وسائرُ حكمِ الآيةِ على العمومِ ، على نحوِ ما قد بيَّناه فى كتابِنا « كتابِ الرِّسالةِ » مِن « لطيفِ القولِ فى البيانِ عن أصولِ الأحكامِ » - فى قولِنا فى العمومِ والخصوصِ ، وموافقةِ قولِهم فى ذلك قولَنا ، ومذهبِهم مذهبَنا ، وتَخْطئتِهم قولَ /القائلين بالخصوصِ فى الأحكامِ ، وشَهادتِهم على فسادِ قولِ مَن قال : حُكمُ الآيةِ الجائيةِ مَجِيءَ العمومِ على العُمومِ ما لم يُخْتَصَّ منها بعضُ ما عمَّته الآيةُ ، فإن خُصَّ منها بعضٌ ، فحُكمُ الآيةِ حينَئذٍ على الخصوصِ فيما خُصَّ منها ، وسائرُ ذلك على العمومِ . ٣٤٩/١

وذلك أن جميعَ مَن ذكَرْنا قولَه آنِفًا - ممَّن عاب على[1] بنى إسرائيلَ مسألتَهم نبيَّهم ﷺ عن صفةِ البقرةِ التى أُمِروا بذبحِها وسنِّها وحِلْيتِها - رأَوْا أنهم كانوا فى مسألتِهم رسولَ اللَّهِ ﷺ موسى ذلك مُخْطِئِين ، وأنهم لو كانوا اسْتَعْرَضوا أدْنى بقرةٍ مِن البقرِ - إذ أُمِروا بذبحِها بقولِه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةًۖ﴾ فذبَحوها -

(١) فى ت١، ت٢، ت٣: « عن » .

كانوا للواجبِ عليهم مِن أمرِ اللَّهِ فى ذلك مُؤَدِّين ، وللحقِّ مُطِيعِين ، إذ لم يَكُنِ القومُ حُصِروا على نوعٍ مِن البقرِ دونَ نوعٍ ، وسنٍّ دونَ سنٍّ .

ورأَوا مع ذلك أنهم إذ سألُوا موسى عن سنِّها ، فأخْبَرَهم عنها وحصَرَهم منها على سنٍّ دونَ سنٍّ ، ونوعٍ دونَ نوعٍ ، وخَصَّ مِن جميعِ أنواعِ البقرِ نوعًا منها ، كانوا فى مسألتِهم إياه المسألةَ الثانيةَ بعد الذى خصَّ لهم من أنواعِ البقرِ ، من الخطأ على مثلِ الذى كانوا عليه من الخطأ فى مسألتِهم إياه المسألةَ الأولى .

[١٠٢/١و] وكذلك رَأَوْا أنهم فى المسألةِ الثالثةِ على مثلِ الذى كانوا عليه مِن ذلك فى الأولى والثانيةِ ، وأن اللازمَ كان لهم فى الحالةِ الأولى استعمالُ ظاهرِ الأمرِ ، وذبحُ أىِّ بهيمةٍ شاءوا مما وقَع عليها اسمُ بقرةٍ .

وكذلك رأَوْا أن اللازمَ كان لهم فى الحالةِ الثانيةِ استعمالُ ظاهرِ الأمرِ ، وذبحُ أىِّ بهيمةٍ شاءوا مما وقَع عليها اسمُ بقرةٍ عَوَانٍ لا فارضٍ ولا بِكْرٍ ، ولم يَرَوْا أن حكمَهم - إذ خُصَّ لهم بعضُ البقرِ دونَ البعضِ فى الحالةِ الثانيةِ - انْتَقَل عن اللازمِ كان لهم فى الحالةِ الأولى مِن استعمالِ ظاهرِ الأمرِ إلى الخصوصِ .

ففى إجماعِ جميعِهم على ما رَوَينا عنهم مِن ذلك - مع الروايةِ التى رَوَيناها عن رسولِ اللَّهِ ﷺ بالموافقةِ لقولِهم - دليلٌ واضحٌ على صحةِ قولِنا فى العمومِ والخصوصِ ، وأن أحكامَ اللَّهِ جل ثناؤُه فى آيِ كتابِه - فيما أمَر ونهَى - على العمومِ مالم يَخُصَّ ذلك ما يَجبُ التسليمُ له ، وأنه إذا خُصَّ منه شىءٌ فالمخصوصُ منه خارجٌ حكمُه مِن حكمِ الآيةِ العامةِ الظاهرِ ، وسائرُ حكمِ الآيةِ على ظاهرِها العامِّ ، ومُؤَيِّدٌ حقيقةَ ما قلْنا فى ذلك ، وشاهدٌ عَدْلٌ على فسادِ قولِ مَن خالَف قولَنا فيه .

وقد زعَم بعضُ مَن عظُمَت جَهالتُه ، واشْتَدَّت حَيْرتُه ، أن القومَ إنما سأَلوا موسى ما سأَلوا بعدَ أمْرِ اللَّهِ إياهم بذبحِ بقرةٍ مِن البقرِ ؛ لأنهم ظنُّوا أنهم أُمِروا بذبحِ بقرةٍ بعينِها

خُصَّت بذلك ، كما خُصَّت عصا موسى فى معناها ، فسأَلوه أن يُحَلِّيَها لهم ليَعْرِفوها .

ولو كان الجاهلُ تدبَّر قولَه هذا ، لسهُل عليه ما اسْتَصْعَب مِن القولِ ، وذلك أنه اسْتَعْظَم مِن القومِ مسألتَهم نبيَّهم ما سأَلوه تَشَدُّدًا منهم فى دينِهم ، ثم أضاف إليهم مِن الأمرِ ما هو أعْظَمُ مما اسْتَنْكَرَه أن يَكونَ كان منهم ، فزعَم أنهم كانوا يرَوْن أنه جائزٌ أن يَفْرِضَ اللَّهُ عليهم فرضًا ويَتَعَبَّدَهم بعبادةٍ ، ثم لا يُبَيِّنَ لهم ما يَفْرِضُ عليهم ويَتَعَبَّدُهم به ، حتى يَسْأَلوا بيانَ ذلك لهم ، فأضاف إلى اللَّهِ تعالى ذكرُه ما لا يَجوزُ إضافتُه إليه ، ونسَب القومَ مِن الجهلِ إلى ما لا يُنْسَبُ المجانينُ إليه ، فزعَم أنهم كانوا يَسْأَلون ربَّهم أن يَفْرِضَ عليهم الفَرائضَ ، فنعوذُ باللَّهِ مِن الحَيْرةِ ، ونَسْأَلُه التوفيقَ والهِدايةَ .

/وأما قولُه : ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ . فإن البقرَ جِماعُ بقرةٍ . ٣٥٠/١

وقد قرَأ بعضُهم : (إن الباقرَ)[1] . وذلك وإن كان فى الكلامِ جائزًا لمَجيئِه فى كلامِ العربِ وأشعارِها ، كما قال ميمونُ بنُ قيسٍ[2] :

وما ذنبُه أن عافَتِ الماءَ باقِرٌ   وما إن تَعافُ الماءَ إلا ليُضْرَبا[3]

وكما قال أميةُ[4] :

ويَسُوقون باقِرَ [5]السَّهْلِ للطَّوْ   دِ[5] مَهازِيلَ خَشْيةً أن تَبُورَا

---

(١) وبها قرأ محمد ذو الشامة وعكرمة ويحيى بن يعمر . ينظر مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٤ ، والبحر المحيط ١/ ٢٥٣.

(٢) ديوان الأعشى ص ١١٥.

(٣) قال الجاحظ : وكانوا إذا أوردوا البقر فلم تشرب ؛ إما لكدر الماء ، أو لقلة العطش ، ضربوا الثور ليقتحم الماء ؛ لأن البقر تتبعه كما تتبع الشَّوْلُ الفحل . الحيوان ١/ ١٨.

(٤) ديوانه ص ٤٥.

(٥ - ٥) فى النسخ : « الطود للسَّهْل » . والمثبت من الديوان . يقول الجاحظ فى ذكر نيران العرب : « ونار أخرى ، وهى النار العى كانوا يستمطرون بها فى الجاهلية الأولى ، فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات وركد عليهم البلاء ، واشتد الجدب ، واحتاجوا إلى الاستمطار ، اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من =

- فغيرُ جائزةٍ القراءةُ به لمخالفتِه القراءةَ الجائيةَ مَجِيءَ الحُجَّةِ ، بنقلِ مَن لا يَجوزُ عليه - فيما نقَلوه مُجمِعِين عليه - الخطأُ والسَّهْوُ والكذبُ .

وأما تأويلُ : ﴿ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا ﴾ فإنه يعنى به : الْتَبَس علينا .

والقَرَأَةُ مختلفةٌ فى تِلاوتِه ؛ فبعضُهم كانوا يَتْلُونه : ﴿ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا ﴾ . بتخفيفِ الشينِ ونصبِ الهاءِ على مثالِ « تَفاعَلَ » ويُذَكِّرُ الفعلَ وإن كان البقرُ جِماعًا ؛ لأن مِن شأنِ العربِ تَذْكيرَ كلِّ فعلِ جمعٍ كانت واحدتُه بالهاءِ ، وجمعُه بطرحِ الهاءِ وتأنيثَه ، كما قال اللَّهُ تعالى فى نظيرِه فى التَّذْكيرِ : ﴿ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴾ [القمر : ٢٠] . فذكَّر « المُنْقَعِرَ » ، وهو مِن صفةِ « النخلِ » لتذكيرِ لفظِ « النخلِ » . وقال فى موضعٍ آخرَ : ﴿ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴾ [الحاقة : ٧]. فأنَّث « الخاويةَ » وهى مِن صفةِ النخلِ - بمعنى النخلِ ؛ لأنها وإن كانت فى لفظِ الواحدِ المذكرِ - على ما وصَفْنا قبلُ - فهى جِماعُ نخلةٍ .

وكان بعضُهم يَتْلُوه : (إنَّ البقَرَ تَشَّابَهُ علينا) [(١)] . بتشديدِ الشين وضمِّ الهاءِ ، فيُؤَنِّثُ الفعلَ بمعنى تأنيثِ « البقرِ » ، كما قال : ﴿ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴾ . ويُدْخِلُ فى أولِ « تَشَابَه » تاءً تَدُلُّ على تأنيثِها ، ثم تُدْغَمُ التاءُ الثانيةُ فى شينِ « تَشابَهَ » ؛ لتقارُبِ مَخْرَجِها ومَخْرَجِ الشينِ ، فتَصِيرُ شِينًا مُشَدَّدةً ، وتُرفَعُ الهاءُ بالاستقبالِ والسلامةِ مِن الجَوازمِ والنَّواصبِ .

وكان بعضُهم يَتْلُوه : (إنَّ البقَرَ يَشَّابَهُ علينا) [(٢)] . فيُخْرِجُ « يَشَّابَه » مُخْرَجَ الخبرِ عن الذَّكرِ ؛ لِما ذكَرْنا مِن العلةِ فى قراءةِ مَن قرَأ ذلك : ﴿ تَشَٰبَهَ ﴾ بالتخفيفِ ،

= البقر ، ثم عقدوا فى أذنابها وبين عراقيبها ، السَّلَع والعُشَر ، ثم صعدوا بها فى جبل وعر ، وأشعلوا فيها النيران ، وضجوا بالدعاء والتضرع ، فكانوا يرون أن ذلك من أسباب السقيا . الحيوان ٤/ ٤٦٦.

(١) هى قراءة الأعرج ، ورويت عن الحسن . البحر المحيط ١/ ٢٥٤.

(٢) هى قراءة ابن مسعود . السابق .

ونصبِ الهاءِ ، غيرَ أنه كان يَرْفَعُه بالياءِ التى يُحْدِثُها فى أولِ « تشابَهَ » التى تأتى بمعنى الاستقبالِ ، وتُدْغَمُ التاءُ فى الشينِ ، كما فعَله القارئُ فى (تَشَّابَهُ) بالتاءِ والتشديدِ .

والصوابُ فى ذلك مِن القراءةِ عندَنا : ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ . بتخفيفِ شينِ « تَشَابَهَ » ونصبِ هائِه ، بمعنى « تَفَاعَلَ » ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ مِن القَرَأَةِ على تَصْويبِ ذلك ورفعِهم[1] ماسواه مِن القراءاتِ ، ولا يُعْتَرَضُ على الحُجَّةِ بقولِ مَن يَجُوزُ عليه فيما نقَل السهوُ والغَفْلَةُ والخطأُ .

وأما قولُه : ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ . فإنهم عنَوْا : وإنا إن شاء اللَّهُ لمُبَيَّنٌ لنا ما الْتَبَس علينا وتَشَابَهَ مِن أمرِ البقرةِ التى أُمِرْنا بذبحِها . ومعنى « اهْتِدائِهم » فى هذا الموضعِ معنى « تَبَيُّنِهم » أىُّ ذلك الذى لزِمهم ذَبْحُه مما سواه مِن أجناسِ البقرِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ [١٠٢/١ظ] لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾ .

/وتأويلُ ذلك : قال موسى : إن اللَّهَ يقولُ : إن البقرةَ التى أمَرْتُكم بذبحِها بقرةٌ لا ذَلولٌ . ويعنى بقولِه : ﴿ لَّا ذَلُولٌ ﴾ . أى : لم يُذَلِّلْها العملُ . فمعنى الآيةِ : إنها بقرةٌ لم تُذَلِّلْها إثارةُ الأرضِ بأظْلافِها ، ولا سُنِىَ عليها[2] الماءُ ، فيُسْقَى عليها الزرعُ ، كما يقالُ للدابةِ التى قد ذلَّلها الركوبُ أو العملُ : دابةٌ ذَلولٌ بيِّنةُ الذِّلِّ . بكسر الذَّالِ ، ويُقالُ فى مثلِه مِن بنى آدمَ : رجلٌ ذَليلٌ بيِّنُ الذلِّ والذِّلَّةِ . ٣٥١/١

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ ﴾ . يقولُ : صعبةٌ لم يُذِلَّها عملٌ ، ﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾[3] .

---

(١) كذا بالنسخ ، ولعل الصواب : « دفعهم » .

(٢) سنيت الدابة وغيرها تسنَى : إذا سقى عليها . اللسان (س ن ى) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١/١ (٧٢٧) من طريق شيبان ، عن قتادة . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٨/١ إلى عبد بن حميد .

حدَّثني موسى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السديِّ: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ . يقولُ : بقرةٌ ليست بذَلولٍ يُزرَعُ عليها ، وليْسَت تَسقى الحرثَ[1] .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ ﴾ . أى : لم يُذِلَّها العملُ . ﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ ﴾ . يعنى : ليست بذَلولٍ فتُثِيرَ الأرضَ . ﴿ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾ . يقولُ : ولا تَعْمَلُ[2] فى الحرثِ[3] .

حُدثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ ﴾ . يقولُ : لم يُذِلَّها العملُ ، ﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ ﴾ . يقولُ : تُبِينُ الأرضَ[4] بأظْلافِها . ﴿ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾ . يقولُ : ولا تعمَلُ[2] فى الحرثِ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال الأعرجُ : قال مجاهدٌ قولَه : ﴿ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾ . يقولُ : ليست بذَلولٍ فتفعَلَ ذلك[5] .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا أبو سفيانَ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ليست بذَلولٍ تُثِيرُ الأرضَ ، ولا تَسْقِى الحرثَ .

ويعنى بقولِه : ﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ ﴾ : تَقْلِبُ الأرضَ للحرثِ ، يقالُ منه : أثَرْتُ الأرضَ أُثِيرُها إثارةً ، إذا قلَبتَها للزرعِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٢/١ (٧٢٨) من طريق عمرو بن حماد به .

(٢) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) تقدم مطولا فى ص ٧٧ .

(٤) أبانت الماشية الأرض ، إذا فصلتها عن بعضها . اللسان (ب ى ن) .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١/١ (٧٢٣) من طريق حجاج به .

وإنما وصَفها جلَّ ثناؤُه بهذه الصفةِ ؛ لأنها كانت - فيما قيل - وَحْشيَّةً .

حدثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، قال : أخبرَنا جُوَيْبِرٌ ، عن كَثيرِ بنِ زيادٍ ، عن الحسنِ ، قال : كانت وَحْشيَّةً[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ .

ومعنى ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ : مُفَعَّلةٌ ، مِن السلامةِ ، يقالُ منه : سُلِّمَتْ تُسلَّمُ فهى مُسلَّمةٌ .

ثم اختلَف أهلُ التأويلِ فى المعنى الذى سُلِّمَت منه ، فوصَفَها اللَّهُ بالسلامةِ منه ؛

فقال مجاهدٌ بما حدثنا به محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ . يقولُ : مُسَلَّمةٌ مِن الشِّيَةِ ، و ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ : لا بياضَ فيها ولا سوادَ[2] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال مجاهدٌ : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ . قال : مُسَلَّمةٌ من الشِّيَةِ ، ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ : لا بياضَ فيها ولا سَوادَ .

/ وقال آخَرون : مُسَلَّمةٌ مِن العيوبِ . ٣٥٢/١

---

(١) تقدم فى ص ٩٣ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٢/١ (٧٣٢، ٧٣٥) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٨/١ إلى عبد بن حميد .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . أى : مُسلَّمةٌ مِن العيوبِ[١] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ . يقولُ : لا عيبَ فيها[٢] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ . يعنى : مُسَلَّمةٌ مِن العيوبِ[٣] .

حُدِّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بمثلِه[٤] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال ابنُ عباسٍ : قولُه : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ : لا عَوارَ فيها[٥] .

والذى قاله ابنُ عباسٍ وأبو العاليةِ ومن قال بمثلِ قولِهما فى تأويلِ ذلك ، أوْلَى بتأويلِ الآيةِ مما قاله مجاهدٌ ؛ لأن سَلامَتَها لو كانت مِن سائرِ أنواعِ الألوانِ سِوَى لونِ جلدِها ، لكان فى قولِه : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ . مُكْتَفًى عن قولِه : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . وفى قولِه : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ ، ما يُوَضِّحُ عن أن معنى قولِه : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ . غيرُ معنى

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٤٩/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٢/١ (٧٣٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٢/١ عقب الأثر (٧٣٣) من طريق آدم به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٢/١ عقب الأثر (٧٣٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٨/١ إلى المصنف .

قولِه : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعنى الكلامِ أنه يقولُ : إنها بقرةٌ لم تُذَلِّلْها إثارةُ الأرضِ وقَلْبُها للحِراثةِ ولا السُّنُوُّ عليها للمزَارِعِ ، وهي مع ذلك صحيحةٌ مُسَلَّمةٌ مِن العيوبِ .

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ .

يعني بقولِه : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ : لا لونَ فيها يُخالِفُ لونَ جلدِها . وأصلُه مِن : وَشْيِ الثوبِ . وهو تحسينُ عُيوبِه التي تَكونُ فيه بضُروبٍ مختلفةٍ مِن ألوانِ سَدَاه ولُحْمتِه ، يقالُ منه : وَشَيْتُ الثوبَ فأنا أَشِيه شِيَةً ووَشْيًا . ومنه قيل للساعي بالرجلِ إلى السلطانِ أو غيرِه : واشٍ . لكذبِه عليه عندَه وتحسينِه كذبَه بالأباطيلِ ، يقالُ منه : وشَيْتُ به إلى السلطانِ وِشايةً . ومنه قولُ كعبِ بنِ زُهَيْرٍ[1] :

تَسْعَى الوُشَاةُ بجنْبَيها[2] وقولُهمُ   إنك يا بنَ أبى سُلْمَى لَمَقْتولُ

والوُشاةُ جمع واشٍ ، يعنى أنهم يَتقوَّلون بالأباطيلِ ، ويُخبِرُونه أنه إن لحِق بالنبيِّ ﷺ قتلَه .

وقد زعَم بعضُ أهلِ العربيةِ أن الوَشْىَ العلامةُ . وذلك لا معنى له ، إلا أن يكونَ أراد بذلك تحسينَ الثوبِ بالأعْلامِ ؛ لأنه معلومٌ أن القائلَ : وشَيْتُ بفلانٍ إلى فلانٍ . غيرُ جائزٍ أن يُتوهَّمَ عليه أنه أراد : جعَلْتُ له عندَه علامةً .

وإنما قيل : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . وهى مِن : وَشَيْتُ ؛ لأن الواوَ لما أُسقِطَت مِن أولِها أُبدِلَتْ مكانَها الهاءُ فى آخرِها ، كما قيل : وزَنْتُه زِنةً [١٠٣/١و] ، و[3]وَسَيْتُه سِيَةً[3] ،

---

(١) ديوانه ص ١٩.

(٢) فى م : « جنابيها » .

(٣ - ٣) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « وشيته شية » . وسيته : حلَقته . ينظر اللسان (و س ى) .

ووَعَدْتُه عِدَةً ، ووَدَيْته دِيَةً .

وبمثلِ الذى قلنا فى معنى قولِه : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ قال أهلُ التأويلِ .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . أى : لا بياضَ فيها[1] .

/حدَّثنا الحسنُ ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ ، مثلَه[2] . ٣٥٣/١

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . يقولُ : لا بَياضَ فيها[3] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهِدٍ : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . أى : لا بياضَ فيها ولا سَوادَ[4] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن أبيه ، عن عطيةَ : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . قال : لونُها واحدٌ ، ليس فيها لونٌ سِوَى لونِها[5] .

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٣/١ عقب الأثر (٧٣٦) معلقا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٨/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٩.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٣/١ عقب الأثر (٧٣٦) من طريق آدم به .

(٤) تقدم فى ص ١٠٧.

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٣/١ عقب الأثر (٧٣٧) معلقا .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾ : مِن بياضٍ ولا سوادٍ ولا حُمْرةٍ[1] .

حدَّثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾ : هى صفراءُ ليس فيها بياضٌ ولا سوادٌ .

حُدِّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾ . يقولُ : لا بياضَ فيها[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ . **فقال بعضُهم**: معنى ذلك: الآن بيَّنْتَ لنا الحقَّ فتبيَّنَّاه، [3]وعرَفْنا أيَّةَ بقرةٍ عَنيتَ[3] .

وممَّن قال ذلك قتادةُ :

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ . أى : الآن بيَّنتَ لنا[4] .

وقال بعضُهم : ذلك خبرٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عن القومِ أنهم نسَبوا نبىَّ اللَّهِ موسى صلواتُ اللَّهِ عليه إلى أنه لم يَكُنْ يَأْتِيهم بالحقِّ فى أمرِ البقرةِ قبلَ ذلك .

وممَّن رُوِى عنه معنى هذا القولِ عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٤٣ (٧٣٨) من طريق عمرو بن حماد به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٤٣ عقب الأثر (٧٣٦) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣ - ٣) فى م ، ت ٢: « وعرفناه ، أنه بقرة عينت » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٤٣ (٧٣٩) من طريق شيبان ، عن قتادة .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : اضطُرُّوا إلى بقرةٍ لا يَعْلَمون على صفتِها غيرَها ، وهى صفراءُ ليس فيها سَوادٌ ولا بياضٌ ، فقالوا : هذه بقرةُ فلانٍ ، ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ . وقبلَ ذلك واللَّهِ قد جاءَهم بالحقِّ[(١)] .

وأولى التأويلين عندَنا بقولِه : ﴿ قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ . قولُ قتادةَ ، وهو أن تأويلَه : الآن بيَّنتَ لنا الحقَّ فى أمرِ البقرِ[(٢)] ، فعرَفْنا أيُّها[(٣)] الواجبُ علينا ذبحُها منها ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قد أخبَر عنهم أنهم قد أطاعوه ، فذبَحوها بعد قِيلِهم هذا مع غِلَظِ مؤنةِ ذبحِها عليهم وثِقَلِ أمْرِها ، فقال : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ . وإن كانوا قد قالوا - بقولِهم : الآن بيَّنْتَ لنا الحقَّ - هُراءً[(٤)] مِن القولِ ، وأتَوْا خطأً وجهلًا مِن الأمرِ ، وذلك أن نبىَّ اللَّهِ موسى ﷺ كان مُبَيِّنًا لهم - فى كلِّ مسألةٍ سألُوها إياه ، وردٍّ[(٥)] رادُّوه فى أمرِ البقرةِ - /الحقَّ ، وإنما يُقالُ : الآن بيَّنْتَ لنا الحقَّ لمن لم يَكُنْ مُبَيِّنًا قبلَ ذلك ، فأما مَن كان كلُّ قِيلِه - فيما أبان عن اللَّهِ تعالى ذِكْرُه - حقًّا وبيانًا ، فغيرُ جائزٍ أن يقالَ له فى بعضِ ما أبان عن اللَّهِ فى أمرِه ونهيِه ، وأدَّى عنه إلى عبادِه مِن فرائضِه التى أوجَبها عليهم : ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ . كأنه لم يَكُنْ جاءَهم بالحقِّ قبلَ ذلك .

١/٣٥٤

وقد كان بعضُ مَن سلَف يَزعُمُ أن القومَ ارْتَدُّوا عن دينِهم ، وكفَروا بقولِهم لموسى : ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ . ويَزعُمُ أنهم نفَوْا أن يكونَ موسى أتاهم بالحقِّ فى أمْرِ البقرةِ قبلَ ذلك ، وأن ذلك مِن فعْلِهم وقِيلِهم كفرٌ .

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٥٩/١ مقتصرًا على آخره . وتقدم بطوله فى ص ١٠٠، ١٠١.

(٢) فى النسخ : « البقرة » . والمثبت يقتضيه السياق .

(٣) فى م ، ت ٢: « أنها » ، وفى ت ١، ت ٣: « أنه » .

(٤) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « هزوا » .

(٥) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « رده » .

وليس الذى قال مِن ذلك عندَنا كما قال ؛ لأنهم أذْعَنوا بالطاعةِ بذبحِها ، وإن كان قيلُهم الذى قالوه لموسى جَهْلةً منهم وهَفْوَةً مِن هَفَواتِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٧١ ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ فَذَبَحُوهَا ﴾ : فذبَح قومُ موسى البقرةَ التى وصَفها اللَّهُ لهم ، وأمَرهم بذبحِها .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ . أى : قارَبوا أن يَدَعوا ذبْحَها ، ويترُكوا فرْضَ اللَّهِ عليهم فى ذلك .

ثم اختلَف أهلُ التأويلِ فى السببِ الذى مِن أجلِه كادوا أن يُضِيعوا فرْضَ اللَّهِ عليهم فى ذبحِ ما أمَرهم بذبحِه مِن ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : ذلك السببُ كان غلاءَ ثمنِ البقرةِ التى أُمِروا بذبحِها ، وبُيِّنَت لهم صفتُها .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا أبو معشرٍ المدنىُّ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ فى قولِه : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ . قال : لغلاءِ ثمنِها[1] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُبيدٍ الهِلالىُّ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ بنُ الخطابِ ، قال : ثنا أبو معشرٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ . قال: مِن كثرةِ قيمتِها .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/٤٩ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : أخبَرنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ ، وحجاجٌ ، عن أبى مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ ومحمدِ بنِ قيسٍ - فى حديثٍ فيه طُولٌ ، ذكَر أن حديثَ بعضِهم دخَل فى حديثِ بعضٍ - قولَه : ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ : لكثرةِ الثمنِ ، أخَذوها بمِلْءِ مَسْكِها ذهبًا مِن مالِ المقتولِ ، فكان سَواءً ، لم يَكُنْ فيه فَضْلٌ فذبَحوها[(١)] .

حُدِّثتُ عن المنجابِ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ . يقولُ : كادوا لا يَفعَلون ، [١٠٣/١ظ] ولم يَكُنِ الذى أرادوا ؛ لأنهم أرادوا ألا يَذْبَحُوها ، وكلُّ شىءٍ فى القرآنِ «أَكادُ[(٢)]» و[(٣)] «كادوا» و[(٣)] «لو» ، فإنه لا يكونُ، وهو مثلُ قولِه: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾[(٤)] [طه: ١٥].

وقال آخَرون : لم يكادوا أن يفعَلوا ذلك ، خوفَ الفضيحةِ إن أطْلَع اللَّهُ على قاتلِ القتيلِ الذى اختَصَموا فيه إلى موسى .

والصوابُ مِن التأويلِ عندَنا أن القومَ لم يكادوا يفعَلون ما أمَرهم اللَّهُ به مِن ذبحِ البقرةِ للخَلَّتين كلتيهما ؛ إحداهما : غَلاءُ ثَمنِها مع ما ذُكِر لنا من صِغَرِ خطَرِها وقلةِ قيمتِها . والأخرى : خوفُ عظيمِ الفضيحةِ على أنفسِهم بإظهارِ اللَّهِ نبيَّه موسى صلواتُ اللَّهِ عليه وأتباعَه على قاتلِه[(٥)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٤٤ (٧٤٣) من طريق أبى معشر ، عن محمد بن كعب .

(٢) فى م ، ت ٢: « كاد » .

(٣) فى م ، ت ٢: « أو » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٤٣ (٧٤٢) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به . وينظر تفسير ابن كثير ١/١٦٠.

(٥) ينظر تفسير ابن كثير ١/١٦٠ .

١/٣٥٥ /فأما غلاءُ ثَمنِها فإنه قد رُوِى لنا فيه ضُروبٌ مِن الرِّواياتِ .

فحدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ ، قال : اشترَوْها بوزنِها عشْرَ مراتٍ ذهبًا ، فباعَهم صاحبُها[1] إياها وأخَذ ثَمنَها[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلَى ، قال : ثنا المعتمِرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ أيوبَ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن عَبيدةَ ، قال : اشترَوْها بمِلْءِ جلدِها دنانيرَ .

حدثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهِدٍ ، قال : كانت البقرةُ لرجلٍ يبَرُّ أُمَّه ، فرزَقه اللَّهُ أن جعَل تلك البقرةَ له ، فباعَها بمِلْءِ جلدِها ذهبًا[3] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، قال : حدثنى خالدُ بنُ يزيدَ ، عن مجاهِدٍ ، قال : أعْطَوْا صاحبَها مِلْءَ مَسْكِها ذهبًا ، فباعَها منهم .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ[4] عبدِ الكريمِ ، قال : حدثنى عبدُ الصمدِ بنُ مَعْقِلٍ ، أنه سمِع وهبًا يقولُ : اشترَوْها منه على أن يَمْلَئوا له جلدَها دنانيرَ ، ثم ذبَحوها فعمَدوا إلى جلدِ البقرةِ فملئوه دنانيرَ ، ثم دفَعوها إليه .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ[5] ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمِّى[6] ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : وجَدوها عندَ رجلٍ يَزعُمُ أنه ليس بائعَها

---

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «صاحبهم».

(٢) تقدم مطولًا فى ص ٨٠.

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٨١ .

(٤) فى النسخ : «عن» . وانظر ما تقدم فى ص ٨١ .

(٥) فى م : «سعيد» .

(٦) فى م ، ت ١، ت ٣: «يحيى» .

بمالٍ أبدًا ، فلم يَزالوا به حتى جعَلوا له أن يَسْلُخوا له مَسْكَها ، فيملئوه له دنانيرَ ، فرضِى به فأعْطاهم إياها[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : حدثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، قال : لم يجِدُوها إلا عندَ عَجوزٍ ، وإنها سألتْهم أضعافَ ثمنِها ، فقال لهم موسى : أعْطُوها رِضاها وحُكْمَها . ففعَلوا ، واشترَوْها فذبَحوها[(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، قال : قال أيوبُ ، عن ابنِ سِيرينَ ، عن عَبيدةَ ، قال : لم يَجِدوا هذه البقرةَ إلا عندَ رجلٍ واحدٍ ، فباعَها بوزنِها ذهبًا - أو مِلْءِ مَسْكِها ذهبًا - فذبَحوها[(٣)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن هشامِ بنِ حسانَ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن عَبيدةَ السَّلْمانيِّ ، قال : وجَدوا البقرةَ عندَ رجلٍ ، فقال : إنى لا أَبِيعُها إلا بمِلْءِ جلدِها ذهبًا . فاشترَوْها بمِلْءِ جلدِها ذهبًا .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : جعَلوا يَزِيدون صاحبَها حتى ملئوا له مَسْكَها - وهو جلدُها - ذهبًا .

وأما صِغَرُ خَطَرِها وقلةُ قيمتِها ، فإن الحسنَ بنَ يحيى **حدَّثنا** ، قال : ثنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا ابنُ عُيَيْنةَ ، قال : حدثنى محمدُ بنُ سُوقةَ ، عن عكرمةَ ، قال : ما كان ثمنُها إلا ثلاثةَ دنانيرَ[(٤)] .

---

(١) انظر ما تقدم فى ص ٨٧ .

(٢) تقدم مطولًا فى ص ٧٨ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٩، وتقدم مطولًا فى ص ٧٧.

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٤٤ (٧٤٤) عن الحسن بن يحيى به . وقال ابن كثير : إسناد جيد .

وأما ما قلْنا مِن خوفِهم الفضيحةَ على أنفسِهم ، فإن وهبَ بنَ مُنبِّهٍ كان يقولُ : إن القومَ إذ أُمِروا /بذبحِ البقرةِ إنما قالوا لموسى : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . لعِلْمِهم بأنهم سيَفتضِحون إذا ذُبِحَت ، فحادُوا عن ذبحِها . ٣٥٦/١

حُدِّثْتُ بذلك عن إسماعيلَ بنِ عبدِ الكريمِ ، عن عبدِ الصمدِ بنِ مَعْقِلٍ ، عن وهبِ بنِ مُنبِّهٍ .

وكان ابنُ عباسٍ يقولُ : إن القومَ بعدَ أن أحْيَا اللَّهُ الميتَ فأخبرَهم بقاتِله ، أنْكَرت قَتَلَتُه قَتْلَه ، فقالوا : واللَّهِ ما قتَلْناه . بعدَ أن رَأَوُا الآيةَ والحقَّ .

حدَّثني بذلك محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمي ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ [1] .

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ﴾ .

يعني بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ : واذْكُروا يابني إسرائيلَ إذ قتَلْتُم نفسًا . والنفسُ التي قتَلوها هي النفسُ التي ذكَرْنا قصتَها في تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ .

وقولُه: ﴿فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا﴾. يعني : فاختَلَفْتُم وتنازَعْتُم . وإنما هو: فتَدارَأْتُم فيها . على مثالِ «تفاعَلْتُم»، مِن الدَّرْءِ، والدَّرْءُ العِوَجُ . ومنه قولُ أبي [2] النَّجْمِ العِجْليِّ :

خَشْيَةَ طغَّـــامٍ إذا هَمَّ جَسَـــرْ
يَأْكُلُ ذا الدَّرْءِ ويُقْصِي مَن حَقَرْ

يعني ذا العِوَجِ والعُسْرِ ، ومنه قولُ رُؤْبَةَ بنِ العَجّاجِ [3] :

(١) سيأتي في ص ١٢٩ .
(٢) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.
(٣) ديوان رؤبة ص ١٦٦.

أَدْرَكْتُها قُدَّامَ كلِّ مِـــدْرَهِ[١]

بالدَّفْعِ عنى دَرْءَ كلِّ عُنْجُهِ[٢]

ومنه الخبرُ الذى حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا مصعبُ بنُ المقدامِ ، عن إسرائيلَ ، عن إبراهيمَ بنِ المهاجرِ ، عن مجاهدٍ ، عن السائبِ ، قال : جاءنى عثمانُ وزهيرٌ ابنا أميةَ[٣] ، فاسْتَأْذَنا لى على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أنا أعْلَمُ به منكما ، ألم تَكُنْ شَرِيكى فى الجاهليةِ ؟ » قلتُ : نعم ، بأبى أنت وأمى ، فنِعْم الشَّريكُ ، كنتَ لا تُمارِى ولا تُدارِى[٤] .

يعنى بقولِه : لا تُدارِى . لا تخالِفُ رفيقَك وشريكَك [١/١٠٤و] ولا تُنازِعُه ولا تُشارُّه[٥] .

وإنما أصلُ ﴿ فَادَّٰرَءْتُمْ﴾ : فتدَارَأْتُم . ولكنَّ التاءَ قريبةٌ[٦] مِن مَخرجِ الدالِ -

---

(١) درهت عن القوم : دفعت عنهم ، ومدره القوم ، بالكسر : الدافع عنهم . اللسان (د ر هـ) .

(٢) العنجه والعنجهى ، بالضم : المتكبر ذو العظمة . التاج (ع ج هـ) .

(٣) كذا فى النسخ . والصواب : عثمان بن عفان ، وزهير بن أبى أمية . انظر الآحاد والمثانى ، والمسند ، والإصابة ٥٧٢/٢ .

(٤) أخرجه ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٦٩٢) عن أبى كريب به ، وسقط منه ذكر مجاهد .

وأخرجه أحمد ٢٥٨/٢٤ ، ٢٥٩ (١٥٥٠٠) عن أسود بن عامر ، عن إسرائيل به .

واختلف فى إسناده ، فقيل : عن مجاهد ، عن السائب . وقيل : عن مجاهد ، عن قائد السائب ، عن السائب . وقيل : عن مجاهد ، عن قيس بن السائب . وقيل غير ذلك .

وقال ابن عبد البر : مضطرب جدًّا ، منهم من يجعل الشركة مع رسول الله ﷺ للسائب بن أبى السائب ، ومنهم من يجعلها لأبى السائب أبيه ، ومنهم من يجعلها لقيس بن السائب ، ومن يجعلها لعبد الله بن السائب ، وهذا اضطراب لا يثبت به شىء ، ولا تقوم به حجة . وينظر العلل لابن أبى حاتم (٣٥٠) ، والاستيعاب ٥٧٢/٢- ٥٧٤، وأسد الغابة ٣١٥/٢، ٣١٦، ٤٢٣/٤، والتحفة ٢٥٦/٣، ونصب الراية ٤٧٤/٣، والإصابة ٢٢/٣، ٢٣، ٤٧١/٥ - ٤٧٣، وتهذيب التهذيب ٤٤٩/٣.

(٥) لا يشارى ، من المشاراة ، وهى الملاجة ، وقيل : لا يشارى ، من الشر . اللسان (ش ر ى) .

(٦) بعده فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « المخرج » .

وذلك أن مَخرجَ التاءِ مِن طرفِ اللسانِ وأصولِ الثَّنِيَّتَيْن[(١)] ، ومَخرجَ الدالِ مِن طرفِ اللسانِ وأطرافِ الثَّنِيَّتَيْن - فأُدْغِمَتِ التاءُ فى الدالِ ، فجُعِلَت دالًا مُشدَّدةً ، كما قال الشاعرُ[(٢)] :

تُولِى الضَّجِيعَ إذا ما اسْتافَها[(٣)] خَصِرًا[(٤)] عَذْبَ المَذَاقِ إذا ما اتَّابَعَ القُبَلُ

يُرِيدُ : إذا ما تَتَابَعَ القُبَلُ . فأدْغَم إحدى التاءَيْن فى الأخرى .

فلما أُدْغِمَتِ التاءُ فى الدالِ ، فجُعِلَت دالًا مثلَها سكَنَت ، فجلَبوا[(٥)] ألفًا ليَصِلوا إلى الكلامِ بها ، وذلك إذا كان قبلَه شىءٌ ؛ لأن الإدْغامَ لا يَكونُ إلا وقبلَه شىءٌ ، ومنه قولُ اللَّهِ جل ثناؤُه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ٣٨] . إنما هو : تَدَارَكوا . ولكنَّ التاءَ منها أُدْغِمَت فى الدالِ ، فصارَت دالًا مُشَدَّدةً ، وجُعِلَت فيها ألفٌ - إذا وُصِلَت بكلامٍ - قبلَها ليَسْلَمَ الإدغامُ . وإذا / لم يَكُنْ قبلَ ذلك ما يُواصِلُه ، وابْتُدِئَ به ، قيل : تَدَاركوا وتَثاقَلوا . فأظهَروا الإدغامَ . وقد قيل : يقالُ : ادَّارَكوا وادَّارَأوا . ٣٥٧/١

وقد قيل: إن معنى قولِه: ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾ : فتدافَعْتُم فيها. مِن قولِ القائلِ : درَأْتُ هذا الأمرَ عنى . ومِن قولِ اللَّهِ : ﴿ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ ﴾ [النور : ٨] . بمعنى : يَدفَعُ عنها العذابَ .

وهذا قولٌ قريبُ المعنى مِن القولِ الأولِ ؛ لأن القومَ إنما تَدافَعوا قَتْلَ قَتيلٍ ،

---

(١) فى م : « الشفتين » .

(٢) البيت فى معانى القرآن للفراء ١/ ٤٣٨.

(٣) فى م ، ت٢ : « اشتاقها » ، وفى ت١ ، ت٣: « استاقها » ، والمثبت من معانى القرآن ، واستافها : شمها . التاج (س و ف) .

(٤) الخصر : البارد من كل شىء ، ويريد هنا ريقها . التاج (خ ص ر) .

(٥) فى ت١ : « يجعلها » ، وفى ت ٢، ت ٣: « فجعلنا » .

فانْتَفَى كلُّ فريقٍ منهم أن يكونَ قاتِلَه، كما قد بيَّنَّا قبلُ فيما مضَى مِن كتابِنا هذا[(١)].

وبنحوِ الذى قلنا فى معنى قولِه : ﴿ فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنى عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ﴾ . قال : اختلَفتُم فيها .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ﴾ . قال بعضُهم : أنتم قتَلتُموه . وقال الآخرون : أنتم قتَلتُموه[(٣)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ﴾ . قال : اختلَفتُم ، وهو التنازُعُ ؛ تَنازَعوا فيه . قال : قال هؤلاء : أنتم قتلتموه . وقال هؤلاء : لا[(٣)] .

وكان تدارُؤُهم فى النفسِ التى قتَلُوها كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : صاحبُ البقرةِ رجلٌ مِن بنى إسرائيلَ ، قتَله رجلٌ ، فألْقاه على بابِ ناسٍ آخَرين ، فجاء أوْلياءُ المقتولِ فادَّعَوْا دمَه عندَهم ، [(٤)] فانتفَوْا - أو انتَفَلوا[(٤)] - منه[(٥)] . شكَّ أبو عاصمٍ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٧٥.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٤٤ (٧٤٦) من طريق أبى حذيفة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧٨ إلى عبد بن حميد .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٦٠ .

(٤ - ٤) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « فانتقلوا أو انتقلوا » .

(٥) انتفلت من الشىء وانتفيت منه : تبرأت منه . اللسان (ن ف ل ، ن ف ى) .

مجاهدٍ بمثلِه سواءً ، إلا أنه قال : فادَّعَوْا دمَه عندَهم فانتَفَوْا . ولم يَشُكَّ فيه[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : قَتيلٌ كان في بني إسرائيلَ ، فقذَف كلُّ سِبْطٍ منهم ، حتى تَفاقَم بينَهم الشرُّ ، حتى تَرافَعوا في ذلك إلى نبيِّ اللَّهِ ﷺ ، فأوحَى اللَّهُ إلى موسى أن اذْبَحْ بقرةً ، فاضْرِبْه ببعضِها ، فذُكر لنا أن وليَّه الذي كان يَطلُبُ بدمِه هو الذي قتَله مِن أجلِ ميراثٍ كان بينَهم[(٢)] .

حدَّثني ابنُ سعدٍ ، [(٣)]قال : حدثني أبي[(٣)] ، قال : حدَّثني عمي ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ[(٤)] في شأنِ البقرةِ : وذلك أن شيخًا مِن بني إسرائيلَ على عهدِ موسى كان مُكْثِرًا مِن المالِ ، وكان بنو أخيه فُقراءَ لا مالَ لهم ، وكان الشيخُ لا ولدَ له ، وكان[(٥)] بنو أخيه ورَثَته ، فقالوا : ليت عمَّنا قد مات فورِثْنا مالَه . وإنه لما تَطاوَل عليهم ألا يموتَ عمُّهم أتاهم الشيطانُ ، فقال : هل لكم إلى أن تَقتُلوا عمَّكم فترِثوا مالَه ، وتُغرِموا أهلَ المدينةِ التي لستُم بها دِيَتَه ؟ - وذلك أنهما كانتا مدينتَيْن كانوا في إحداهما ، فكان القتيلُ إذا قُتِل وطُرِح[(٦)] بينَ المدينتَيْن ، قِيس ما بينَ القَتيلِ وما بينَ المدينتَيْن ، فأيُّهما كانت أقربَ إليه غَرِمَتِ الديةَ - وأنهم لما سوَّل/ لهم الشيطانُ ذلك ، وتطاوَلَ عليهم ألا يموتَ عمُّهم ، عَمَدوا إليه فقتَلوه ، ثم عمَدوا فطرَحوه على بابِ المدينةِ التي ليسوا فيها ، فلمّا أصبَح أهلُ المدينةِ جاء بنو أخي الشيخِ ، فقالوا : عمُّنا قُتِل على بابِ مدينتِكم[(٧)] ، فواللَّهِ لَتَغْرَمُنَّ لنا دِيَةَ عمِّنا . فقال أهلُ المدينةِ : نُقسِمُ باللَّهِ ما

١/٣٥٨

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٦، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٤٤ (٧٤٥) . وينظر ما تقدم في ص ٨١ .

(٢) ينظر ما تقدم في ص ٨٠، ٨١ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) بعده في ت١ ، ت٢ : « قوله » .

(٥) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٦) في ت ١، ت ٢، ت ٣: « يطرح » .

(٧) في ت ٢: « هذه المدينة » .

قتَلْنا ، ولا علِمْنا قاتلًا ، ولا فتَحْنا بابَ مدينتِنا منذُ أُغلِقَ حتى أصبَحْنا . وإنهم عمَدوا إلى موسى ، فلمّا أَتَوْا قال بنو أخى الشيخ : عمُّنا وجَدناه مقتولًا على بابِ مدينتِهم . وقال أهلُ المدينةِ : نُقسِمُ باللَّهِ ما قتَلْناه ، (١) ولا علِمنا قاتلًا (١) ، ولا فتَحْنا بابَ المدينةِ مِن حينَ أغلَقْناه حتى أصبَحْنا . وأن جبريلَ جاء بأمرِ ربِّنا السميعِ العليمِ إلى موسى ، فقال : قل لهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ فتَضْرِبوه ببعضِها[٢] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا حسينٌ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ ، وحجاجٌ ، عن أبى مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ ومحمدِ بنِ قيسٍ - دخَل حديثُ بعضِهم فى حديثِ بعضٍ - قالوا : إن سِبْطًا مِن بنى إسرائيل لمَّا رَأَوْا كثرةَ شُرورِ الناسِ بَنَوْا مدينةً فاعتزَلوا شُرُورَ الناسِ ، فكانوا إذا أمسَوْا لم يترُكوا أحدًا منهم [١/١٠٤ظ] خارجًا إلّا أدخَلوه ، وإذا أصبَحوا قام رئيسُهم فنظَر وتشرَّف[٣] ، فإذا لم يَرَ شيئًا فتَح المدينةَ فكانوا مع الناسِ حتى يُمْسوا ، وكان رجلٌ مِن بنى إسرائيلَ له مالٌ كثيرٌ ، ولم يكن له وارثٌ غيرُ ابنِ[٤] أخيه ، فطال عليه حياتُه ، فقتَله ليَرِثَه ، ثم حمَله فوضَعه على بابِ المدينةِ ، ثم كَمَن فى مكانٍ هو وأصحابُه ، قال : فتشرَّف رئيسُ المدينةِ على بابِ المدينةِ فنظَر فلم يَرَ شيئًا ، ففتَح البابَ ، فلمَّا رأى القتيلَ رَدَّ البابَ فناداه (٥) ابنُ أخى (٥) المقتولِ وأصحابُه : هيهاتَ ! قتلتُموه ثم تَرُدُّون البابَ . وكان موسى لمَّا رأى القَتْلَ كثيرًا فى أصحابِه بنى إسرائيلَ ، كان إذا رأى القتيلَ بين ظَهْرَيِ القومِ أخذَهم .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١.

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٥٥، ١٥٦ عن المصنف . وأخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب من عاش بعد الموت (٥٤) من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس نحوه .

(٣) تشرف الشىء واستشرفه : وضع يده على حاجبه كالذى يستظل من الشمس حتى يبصره ويستبينه . اللسان (ش ر ف) .

(٤) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٥ - ٥) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «أخو» .

فكاد يكونُ بينَ أخى المقتولِ وبين أهلِ المدينةِ قتالٌ ، حتى لبِس الفريقان السلاحَ ، ثم كفَّ بعضُهم عن بعضٍ ، فأتَوْا موسى فذكَروا له شأنَهم ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إن هؤلاء قتَلوا قتيلًا ثم ردُّوا البابَ . وقال أهلُ المدينةِ : يا رسولَ اللَّهِ ، قد عرَفْتَ اعتزالَنا الشرورَ ، وبنَيْنا مدينةً - كما رأيتَ - نعتزِلُ شرورَ الناسِ ، ما قتَلْنا ولا عَلِمْنا قاتلًا ، فأوحَى اللَّهُ تعالى ذِكْرُه إليه أن يذبَحوا بقرةً ، فقال لهم موسى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن هشامِ بنِ حسانَ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ ، عن عَبيدةَ ، قال : كان فى بنى إسرائيل رجلٌ عقيمٌ وله مالٌ كثيرٌ ، فقتَله ابنُ أخٍ له ، فجرَّه فألقاه على بابِ ناسٍ آخَرين[2] ، ثم أصبَحوا فادَّعاه عليهم حتى تسلَّح هؤلاء وهؤلاء ، فأرادوا أن يَقتتِلوا ، فقال ذَوُو النُّهَى منهم : أتقتَتلون وفيكم نبىُّ اللَّهِ ؟ فأمسَكوا حتى أَتَوْا موسى ، فقصُّوا عليه القصةَ ، فأمرَهم أن يَذبَحوا بقرةً فيَضْرِبوه ببعضِها ، فقالوا : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . قال : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[3] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : قتيلٌ مِن بنى إسرائيلَ طُرِح فى سِبْطٍ مِن الأسباطِ فأتَى أهلُ ذلك السِّبْطِ إلى ذلك السبطِ ، فقالوا : أنتم واللَّهِ قتلتُم صاحبَنا . فقالوا : لا واللَّهِ . فأتَوْا إلى موسى فقالوا : هذا قَتيلُنا بين أظهُرِهم ، وهم واللَّهِ قتَلوه . فقالوا : لا واللَّهِ يانبىَّ اللَّهِ ، طُرِح علينا . فقال لهم موسى ﷺ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾[1] .

/قال أبو جعفرٍ : فكان اختلافُهم وتنازُعهم وخصامُهم بينَهم فى أمرِ القتيلِ ٣٥٩/١

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٨١، ٨٢ .

(٢) بعده فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «أو فى آخرين» .

(٣) تقدم بطوله فى ص ٧٧، ٧٨ .

الذى ذكرْنا أمْرَه على ما رَوَيْنا عن علمائِنا مِن أهلِ التأويلِ ، هو الدَّرْءُ الذى قال اللَّهُ جل ثناؤه لذُرِّيَّتِهم وبقايا أولادِهم : ﴿ فَٱدَّٰرَءۡتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ : واللَّهُ مُعْلِنٌ ما كنتم تُسِرُّونه مِن قَتْلِ القتيلِ الذى قتَلتم ثم ادَّارَأْتم فيه .

ومعنى « الإخراجِ » فى هذا الموضعِ : الإظهارُ والإعلانُ لمن خفِى ذلك عنه ، وإطْلاعُهم عليه ، كما قال اللَّهُ تعالى ذكره : ﴿ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [النمل : ٢٥] . يعنى بذلك : يُظْهِرُه ويُطْلِعُه مِن مَخْبَئِه بعدَ خَفائِه .

والذى كانوا يَكْتُمونه فأخرَجه ، هو قَتْلُ القاتلِ القتيلَ ، كما كتَم ذلك القاتلُ ومَن علِمه ممَّن شايَعه على ذلك حتى أظهرَه اللَّهُ وأخرَجه ، فأعْلن أمْرَه لمَن لا يَعلمُ أمْرَه .

وعنَى جلَّ ذكرُه بقولِه : ﴿ تَكۡتُمُونَ ﴾ : تُسِرُّون وتُغَيِّبون .

كما حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ . قال : تُغَيِّبون[(١)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ : ما كنتم تُغَيِّبون .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ ﴾ .

يعنى جلَّ ذكرُه بقولِه : ﴿ فَقُلۡنَا ﴾ : لقومِ موسى الذين ادَّارَءوا فى القتيلِ -

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٦، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٤/١ (٧٤٨) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٨/١ إلى عبد بن حميد .

الذى قد تقدَّم وَصْفُنا أمْرَه -: اضرِبوا القتيلَ . والهاءُ التى فى قوله : ﴿ اَضْرِبُوهُ﴾ مِن ذِكْرِ القتيلِ ، ﴿ بِبَعْضِهَاۚ﴾ أى : بيعضِ البقرةِ التى أمرَهم اللَّهُ بذبْحِها فذبَحوها .

ثم اختلف العلماءُ فى البعضِ الذى ضُرِب به القتيلُ مِن البقرةِ ، وأىُّ عُضْوٍ كان ذلك منها ؛ **فقال بعضُهم** : ضُرِب بفَخِذِ البقرةِ القتيلُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ضُرِب بفخِذِ البقرةِ فقام حيًّا ، فقال : قتلنى فلانٌ . ثم عاد فى مِيتَتِه[(١)] .

حدَّثنى المُثنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ضُرِب بفَخِذِ البقرةِ . ثم ذكَر مثلَه .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا جابرُ بنُ نوحٍ ، عن النَّضْرِ بنِ عَرَبىٍّ ، عن عكرمةَ : ﴿ فَقُلْنَا اَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ﴾ . قال : [(٢)] بفخِذِها ، فلمَّا ضُرِب بها[(٢)] عاش وقال : قتلنى فلانٌ . ثم عاد إلى حالِه[(٣)] .

/**حدَّثنى** المُثنَّى، قال: ثنا أبو حذيفةَ، قال: ثنا شِبْلٌ، عن خالدِ بنِ يزيدَ، عن مجاهدٍ ، قال : ضُرِب بفخِذِها الرجلُ فقام حيًّا ، فقال : قتَلنى فلانٌ . ثم عاد فى مِيتَتِه . ٣٦٠/١

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، قال :

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٩/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢ - ٢) فى ت ٢: « ضرب بفخذها » .

(٣) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ٧٩/١- وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٥/١ (٧٥٢) من طريق النضر ابن عربى به بنحوه .

قال أيوبُ ، عن ابنِ سيرينَ ، عن عَبيدةَ : ضرَبوا المقتولَ ببعضِ لحمِها . وقال معمرٌ : قال قتادةُ : ضرَبوه بلحمِ الفخِذِ فعاش ، فقال : قتَلنى فلانٌ[1] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكر لنا أنهم ضرَبوه بفخِذِها فأحياه اللَّهُ ، فأنبأ بقاتلِه الذى قتَله وتكلَّم ، ثم مات[2] .

وقال آخَرون : الذى ضُرب به منها هو البَضْعةُ[3] التى بين الكَتِفَيْنِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ ﴾ : فضرَبوه بالبَضْعةِ التى بين الكتفينِ فعاش ، فسألوه : مَن قتَلك ؟ فقال لهم : ابنُ أخى[4] .

وقال آخَرون : الذى أُمِرُوا أن يَضرِبوه به منها عظمٌ مِن عظامِها .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، قال : أمرَهم موسى أن يأخذوا عظمًا منها فيَضْــرِبوا به القتيلَ ، ففعَلوا ، فرجَع إليه رُوحُه ، فسمَّى لهم قاتلَه ثم عاد ميتًا كما كان ، فأُخذ قاتلُه - وهو الذى أتَى موسى فشكا إليه - فقتَله اللَّهُ على أسوأِ عَمَلِه[5] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٩.

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٤٥ عقب الأثر (٧٥٢) معلقًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٩ إلى عبد بن حميد .

(٣) البضعة : القطعة من اللحم . اللسان (ب ض ع) . والمراد به غضروف الكتف كما سيأتى فى كلام المصنف .

(٤) تقدم مطولًا فى ص ٨٠ .

(٥) تقدم مطولًا فى ص ٧٨ .

وقال آخَرون بما حدَّثني به يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ضرَبوا الميتَ ببعضِ آرابِها[١] ، فإذا هو قاعدٌ ، قالوا : مَن قتَلك ؟ قال : ابنُ[٢] أخى . قال : وكان قتَله وطرَحه[٣] على ذلك السِّبْطِ ، أراد أن يأخُذَ دِيَتَه[٤] .

والصوابُ مِن القولِ فى تأويلِ قولِه عندنا : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ . أن يقالَ : أمرَهم اللَّهُ جل ثناؤه أن يَضرِبوا القتيلَ ببعضِ البقرةِ ليَحْيا المضروبُ . ولا دَلالةَ فى الآيةِ ، ولا خبرَ تقومُ به حُجَّةٌ ، على أىِّ أبعاضِها التى أُمِر القومُ أن يَضرِبوا القتيلَ به . وجائزٌ أن يكونَ الذى أُمروا أن يَضرِبوه به هو الفَخِذَ ، وجائزٌ أن يكونَ ذلك الذَّنَبَ وغُضْرُوفَ الكَتِفِ وغيرَ ذلك مِن أبعاضِها . ولا يَضُرُّ الجهلُ بأىِّ ذلك ضرَبوا القتيلَ ، ولا ينفَعُ العلمُ به ، مع الإقرارِ بأن القومَ قد ضرَبوا القتيلَ ببعضِ البقرةِ بعدَ ذَبْحِها ، فأحياه اللَّهُ .

فإن قال قائلٌ : وما كان معنى الأمرِ بضرْبِ القتيلِ ببعضِها ؟

قيل : ليَحْيا فيُنْبِئَ نبىَّ اللَّهِ موسى ﷺ والذين ادَّارءوا فيه مَن قاتِلُه .

فإن قال قائلٌ : وأين الخبرُ عن أن[١] اللَّهَ جل ثناؤه أمرَهم بذلك لذلك ؟ قيل : تُرِك ذلك اكتفاءً بدلالةِ ما ذُكر مِن الكلامِ الدالِّ عليه ، نحوَ الذى ذكَرْنا مِن نظائرِ ذلك فيما مضَى .

---

(١) الإرب : العضو ، والجمع آراب . اللسان (أ ر ب) .

(٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « طرح » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ص ٨١ ، ٨٢ .

ومعنى الكلامِ : فقُلْنا : اضْرِبوه ببعضِها ليَحْيا . فضرَبوه فحَيِي - كما قال جل ثناؤه : ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ ﴾ [الشعراء: ٦٣] . والمعنى : /فضُرب فانفلَق - يدُلُّ على ذلك قولُه : ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ . ٣٦١/١

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ .

وقولُه : ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ . مُخاطبةٌ مِن اللَّهِ عبادَه المؤمنين ، واحتجاجٌ منه على المشركين المكذِّبين بالبعثِ ، (١) وأمرُهم بالاعتبارِ (١) بما كان منه جل ثناؤه مِن إحياءِ قتيلِ بنى إسرائيلَ بعد مماتِه فى الدنيا ، فقال لهم تعالى ذكرُه : أيُّها المكذِّبون بالبعثِ بعد المماتِ ، اعتبِروا بإحيائى هذا القتيلَ بعد مماتِه ، فإنى كما أحييتُه فى الدنيا فكذلك أُحْيِي الموتى بعد مماتِهم ، فأبعثُهم يومَ البعثِ .

فإنما احتجَّ جل ذكرُه بذلك على مُشْركى العربِ وهم قومٌ أُمِّيُّون لا كتابَ لهم ؛ لأن الذين كانوا يعلَمون علْمَ ذلك مِن بنى إسرائيلَ كانوا بين أظهُرِهم وفيهم نزلتْ هذه الآياتُ ، فأخبَرهم جل ذكرُه بذلك ليتعرَّفوا عِلْمَ مَن قِبَلَهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ذِكْرُه : ويُريكم اللَّهُ أيُّها الكافرون المُكذِّبون بمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به مِن عندِ اللَّهِ مِن آياتِه - وآياتُه : أعلامُه وحُجَجُه الدالَّةُ على نُبوتِه - لِتَعْقِلوا وتَفْهَموا أنه مُحِقٌّ صادقٌ فتؤمنوا به وتتَّبِعوه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ .

(١ - ١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « وأمر منهم بالاختبار » .

يعنى بذلك كُفَّارَ بنى إسرائيلَ ، وهم - فيما ذُكر - بنو أخى المقتولِ ، فقال لهم : ثم قسَتْ قلوبُكم . أى : جَفَتْ وغلُظتْ وعَسَتْ ، كما قال الراجزُ[(١)] :

وَقَدْ قَسَوْتُ وَقَسا لُدَّتى[(٢)]

يُقالُ : قسا وعسا وعتا ، بمعنًى واحدٍ ، وذلك إذا جفا وغلُظ وصلُب . يُقالُ منه : قسا قلبُه يَقسُو قَسْوًا وقَسوةً وقَساوةً وقَساءً .

ويعنى بقولِه : ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾ : مِن بعدِ أن أحيا المقتولَ لهم الذى ادَّارءوا فى قتْلِه ، فأخبرَهم بقاتلِه ، وما السببُ الذى مِن أجْلِه قتَله . كما قد وصَفْنا قبلُ على ما جاءت به[(٣)] الآثارُ والأخبارُ ، وفصَل اللَّهُ تعالى ذكرُه بخبرِه بين المُحِقِّ منهم والمُبْطِلِ . وكانت قساوةُ قلوبِـهم التى وصَفهم اللَّهُ بها أنهم - فيما بلَغَنا - أنكَروا أن يَكُونوا هم قتَلوا القتيلَ الذى أحياه اللَّهُ ، فأخبَر بنى إسرائيلَ بأنهم كانوا قَتَلَتَه بعدَ إخبارِه إيّاهم بذلك ، وبعدَ مِيتَتِه الثانيةِ .

كما حدثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمِّى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، /عن ابنِ عباسٍ ، قال : لمَّا ضُرِب المقتولُ ببعضِها - يعنى ببعضِ البقرةِ - جلَس حيًّا[(٤)] ، فقِيل له : مَن قتَلك ؟ فقال : بنو أخى قتَلونى . ثم قُبِض ، فقال بنو أخيه حينَ قُبِض : واللَّهِ ما قتَلْناه . فكذَّبوا بالحقِّ بعدَ إذ رأَوْه ، فقال اللَّهُ : ﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾ : يعنى بنى أخى [١/١٠٤ظ] الشيخِ ، ﴿ فَهِىَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةً ﴾[(٥)] . ٣٦٢/١

(١) مجاز القرآن ١/ ١٥٨.

(٢) فى النسخ : « لدنى » . والمثبت من مجاز القرآن ، واللدة : التِّرب ، وهو الذى يولد معك فى وقت واحد . التاج (و ل د) .

(٣) سقط من : م ، ت ٢.

(٤) بعده فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « ما كان قط » .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٦٢/١ عن عطية العوفى به .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ . يقولُ : مِن بعدِ ما أراهم اللَّهُ مِن إحياءِ الموتى ، وبعدَ ما أراهم مِن أمْرِ القَتيلِ ما أراهم ، ﴿ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[1] .

[2]حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة في قولِه : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ : من بعدِ هذه الآيةِ ، ﴿ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[2] .

[3]حدَّثني المثنَّى ، قال : حدثنا آدمُ ، قال : حدثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ في قولِه : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[3] .

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ .

يعني بقولِه : ﴿ فَهِيَ ﴾ . قلوبَكم ، يقولُ : ثم صلُبتْ قلوبُكم - بعدَ إذ رأيتُم الحقَّ فتبيَّنْتُموه وعَرَفْتُموه - عن الخُضوعِ له والإذعانِ لواجبِ حقِّ اللَّهِ عليكم ، فقلوبُكم كالحجارةِ صلابةً ويُبْسًا ، وغِلَظًا وشِدَّةً ، أو أشدُّ صلابةً - يعني قلوبَكم - عن الإذعانِ لواجبِ حقِّ اللَّهِ عليهم ، والإقرارِ له باللازمِ مِن حقوقِه لهم من الحجارةِ .

فإن سأل سائلٌ فقال : وما وجهُ قولِه : ﴿ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ و « أوْ » عند أهلِ العربيةِ إنما تأتى في الكلامِ لمعنى الشكِّ ، واللَّهُ تعالى جل ذكرُه غيرُ جائزٍ في خبرِه الشكُّ ؟

قيل : إن ذلك على غيرِ الوجهِ الذى توهَّمْتَه مِن أنه شكٌّ مِن اللَّهِ جل ذكرُه فيما

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٦/١ (٧٥٧) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨١/١ إلى عبد بن حميد .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت٢ . والأثر في تفسير عبد الرزاق ٥٠/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٤٦ (٧٥٨) عن الحسن بن يحيى به .

(٣ - ٣) سقط من : م .

أخبَر عنه ، ولكنه خبرٌ منه عن قلوبِهم القاسيةِ أنها - عند عبادِه الذين هم أصحابُها الذين كذَّبوا بالحقِّ بعد ما رأَوُا العظيمَ مِن آياتِ اللَّهِ - كالحجارةِ قسوةً أو أشدُّ مِن الحجارةِ عندهم وعند مَن عرَف شأنَهم ، وقد قال في ذلك جماعةٌ من أهلِ العربيةِ أقوالًا ؛ **فقال بعضُهم** : إنما أراد اللَّهُ جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ ﴾ . وما أشبهَ ذلك من الأخبارِ التي تأتى بـ « أو » كقولِه : ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٧] . وكقولِ اللَّهِ جلَّ ذكرُه : ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ : ٢٤] . فهو عالمٌ أىَّ ذلك كان . قالوا : ونظيرُ ذلك قولُ القائلِ : أكلتُ بُسْرَةً أوْ رُطَبَةً . وهو عالمٌ أىَّ ذلك أكَل ، ولكنَّه أبْهَم على المخاطَبِ ، كما قال أبو الأسودِ الدِّيلىُّ[1] :

أُحِبُّ مُحَمّدًا حُبًّا شَدِيدًا وعَبَّاسًا وحَمْزَةَ وَالوَصِيّا
فإنْ يَكُ حُبُّهُمْ رَشَدًا أُصِبْه وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إنْ كانَ غَيّا

قالوا : ولاشكَّ أن أبا الأسودِ لم يكن شاكًّا في أن حُبَّ مَن سمَّى رَشَدٌ ، ولكنه أَبْهَم على مَن خاطَبه به . وقد ذُكِرَ عن أبى الأسودِ أنه لما قال هذه الأبياتَ قيل له : شكَكتَ ؟ فقال : كلَّا واللَّهِ . ثم انتزَع[2] بقولِ اللَّهِ عزّ وجل : ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ . فقال : أوَ كان شاكًّا مَن أخبَر بهذا في الهادى من الضلالِ ؟!

وقال بعضُهم : ذلك كقولِ القائلِ : ما أطعمتُك إلَّا حُلْوًا أوْ حامضًا . وقد أطعَمه النوعين جميعًا . /فقالوا : فقائلُ ذلك لم يكنْ شاكًّا أنه قد أطعَم صاحبَه الحُلْوَ ٣٦٣/١ والحامضَ كليهما ، ولكنه أراد الخبرَ عمَّا أطعَمه إيَّاه أنه لم يَخرُجْ عن هذين النوعين .

---

(١) ديوانه (نفائس المخطوطات) ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) انتزع : تمثل . التاج . (ن ز ع) .

قالوا : فكذلك قولُه : ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ . إنما معناه : فقلوبُهم لا تَخرُجُ من أحدِ هذين المَثَلَيْنِ ؛ إمّا أن تكونَ مَثَلًا للحجارةِ في القسوةِ ، وإما أن تكونَ أشدَّ منها قسوةً . ومعنى ذلك على هذا التأويلِ : فبعضُها كالحجارةِ قسوةً ، وبعضُها أشدُّ قسوةً من الحجارةِ .

وقال بعضُهم : « أو » في قوله : ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ . بمعنى : وأشدُّ قسوةً . كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٢٤] . بمعنى : وكفورًا . وكما قال جريرُ بنُ عطيةَ[١] :

نال الخلافةَ أوْ كانَتْ له قَدَرًا كمَا أتَى رَبَّهُ موسى على قَدَرِ

يعني : نال الخلافةَ وكانت له قَدَرًا . وكما قال النابغةُ[٢] :

قالَتْ [٣]ألا لَيْتَما[٣] هَذَا الحَمامُ لَنا إلى حَمامَتِنا أوْ[٤] نِصْفُهُ فَقَدِ[٥]

يريدُ : ونصفُه .

وقال آخَرون : « أو » في هذا الموضعِ بمعنى « بل » . فكان تأويلُه عندَهم : فهي كالحجارةِ بل أشدُّ قسوةً . كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ . بمعنى : بل يزيدون[٦] .

---

(١) تقدم البيت في ١/ ٣٥٥.

(٢) ديوانه ص ١٦.

(٣ - ٣) في الديوان : « فياليتما » .

(٤) في الديوان : « و » .

(٥) فقد : حسب . اللسان (ق د د) .

(٦) ينظر معاني القرآن للفراء ١/ ٧٢ .

وقال آخَرون : معنى ذلك : فهى كالحجارةِ أو أشدُّ قسوةً عندَكم .

قال أبو جعفرٍ : ولكلٍّ مِمَّا قيل مِن هذه الأقوالِ التى حكَيْنا وجهٌ ومَخرَجٌ فى كلامِ العربِ ، غيرَ أن أعجبَ الأقوالِ إلىَّ[1] فى ذلك ما قلْناه أوَّلًا ، ثم القولُ الذى ذكرْناه عمَّن وجَّه ذلك إلى أنه بمعنى : فهى أوْجُهٌ فى القسوةِ من أن تكونَ كالحجارةِ أو أشدَّ . على تأويلِ أن منها كالحجارةِ ، ومنها أشدُّ قسوةً ؛ لأن « أو » وإن استُعمِلتْ فى أماكنَ مِن أماكنِ « الواوِ » حتى يَلتبِسَ معناها ومعنى « الواوِ » - لتقارُبِ معنيَيْهما فى بعضِ تلك الأماكنِ - فإن أصلَها أن تأتىَ بمعنى أحدِ الاثنينِ ، فتوجيهُها إلى أصلِها - [2]مَن وجَد[2] إلى ذلك سبيلًا - أعجبُ إلىَّ مِن إخراجِها عن أصلِها ومعناها المعروفِ لها .

قال : وأمّا الرفعُ فى قولِه : ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ . فمِن وجهينِ ؛ **أحدُهما** : أن يكونَ عطفًا على معنى الكافِ التى فى قوله : ﴿ كَالْحِجَارَةِ ﴾ . لأن معناها الرفعُ ؛ وذلك أن معناها معنى « مِثْل » : فهى مثلُ الحجارةِ أو أشدُّ قسوةً من الحجارةِ .

والوجهُ الآخَرُ : أن يكونَ مرفوعًا على معنى تكريرِ « هى » عليه ، فيكونَ تأويلُ ذلك : فهى كالحجارةِ أو هى أشدُّ قسوةً مِن الحجارةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ذكرُه : ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ : وإن

---

(١) فى ت١، ت٢، ت٣: « التى » .

(٢ - ٢) كذا فى النسخ ، ولعل الصواب : ما وجدنا ، أو : متى وجدنا .

مِن الحجارةِ لحجارةً[١] يتفجَّرُ منها الماءُ الذى تكونُ منه الأنهارُ . فاسْتُغْنِى [٢]بذكْرِ الأنهارِ عن ذكْرِ الماءِ[٢] ، وإنما ذُكِّر فقيل : ﴿ مِنْهُ ﴾ للفظِ « ما » .

والتفجُّرُ التفعُّلُ مِن : تفجَّر[٣] الماءُ ، وذلك إذا تنزَّل خارجًا مِن منبعِه ، وكلُّ سائلٍ شخَص خارجًا من موضِعِه ومكانِه فقد [٣/١٠٦و] انفجَر ، ماءً كان ذلك أو دمًا أو صديدًا أو غيرَ ذلك ، ومنه قولُ عُمرَ بنِ لَجَأٍ[٤] :

١/٣٦٤ /وَلَمَّا أَنْ قُرِنْتُ[٥] إِلى جَرِيرٍ أَبَى ذُو بَطْنِهِ [٦]إِلَّا انْفِجارًا[٦]

يعنى : إلّا خُروجًا وسَيَلانًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤه : وإن مِن الحجارةِ لَحِجارةً تَشَقَّقُ . وتَشَقُّقُها تَصَدُّعُها ، وإنما هى : لمَا يَتَشَقَّقُ ، ولكنَّ التاءَ أُدْغِمَتْ فى الشِّين فصارتْ شِينًا مُشَدَّدةً .

وقولُـه : ﴿ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ﴾ . [٧]يقولُ : فيخرُجُ منه الماءُ[٧] فيكونُ عينًا نابعةً [٨]وأنهارًا[٨] جاريةً .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ .

---

(١) فى م : « حجارة » .

(٢ - ٢) فى م ، ت ١، ت ٣: « بذكر الماء عن ذكر الأنهار » .

(٣) فى النسخ : « فجر » . والمثبت هو الصواب .

(٤) البيت فى طبقات فحول الشعراء ١/ ٤٣٢، والأغانى ٨/ ٧٢.

(٥) فى النسخ : « قربت » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٦ - ٦) فى مصدرى التخريج : « إلا انحدارا » .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ت ٣.

(٨ - ٨) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « لا أنهارًا » .

قال أبو جعفرٍ : يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : وإن مِن الحجارةِ لَمَا[(١)] يَهْبِطُ - أى : يَتَرَدَّى - مِن رأسِ الجبلِ إلى الأرضِ والسَّفْحِ مِن خوفِ اللَّهِ وخشيتِه . وقد دلَّلْنا على معنى الهبوطِ فيما مضَى بما أغنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(٢)] .

وأُدْخِلَتْ هذه اللَّاماتُ اللواتى فى « ما » توكيدًا للخَبرِ .

وإنما وصَف اللَّهُ تعالى ذكرُه الحجارةَ بما وصفَها به - مِن أن منها[(٣)] المتفجِّرَ منه[(٤)] الأنهارُ ، وأن منها المتشقِّقَ بالماءِ ، وأن منها الهابطَ مِن خشيةِ اللَّهِ ، بعدَ الذى جعَل منها لقلوبِ الذين أَخبَرَ عن قسوةِ قلوبِهم مِن بنى إسرائيل مَثَلًا - معذرةً منه جلَّ ثناؤه لها دونَ الذين أخبَرَ عن قسوةِ قلوبِهم من بنى إسرائيل ؛ إذ كانوا بالصفةِ التى وصفَهم اللَّهُ بها من التكذيبِ برُسُلِه والجُحودِ لآياتِه بعد الذى أراهم من الآياتِ والعِبَرِ ، وعايَنوا مِن عجائبِ الأدلةِ والحُجَجِ ، مع ما أعطاهم تعالى ذكرُه مِن صحةِ العقولِ ، ومَنَّ به عليهم من سلامةِ النفوسِ التى لم يُعْطِها الحَجَرَ والمَدَرَ ، ثم هو مع ذلك منه ما يَتفجَّرُ بالأنهارِ ، ومنه ما يَتَشَقَّقُ بالماءِ ، ومنه ما يَهبِطُ مِن خشيةِ اللَّهِ ، فأخبَرَ تعالى ذِكْرُه أن مِن الحجارةِ ما هو أَلْيَنُ من قلوبِهم لِمَا[(٥)] يُدْعَوْن إليه مِن الحقِّ . كما **حدَّثنا** ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ[(٦)] .

وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ ذلك قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « لحجارة » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٥٧١

(٣) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « منها » .

(٥) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « عما » .

(٦) سيرة ابن هشام ١/٥٣٦ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٨١ إلى المصنف وابن إسحاق وابن أبى حاتم . وهو عند ابن أبى حاتم ١/١٤٧ (٧٦٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وينظر تفسير ابن كثير ١/ ١٦٢.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ . قال : كلُّ حجَرٍ يتفجَّرُ منه الماءُ ، أو يَتَشَقَّقُ عن ماءٍ ، أو يَتَرَدَّى مِن رأسِ جبَلٍ ، فهو مِن خشيةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، نزَل بذلك القرآنُ[1] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابن أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثني بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ ﴾ . ثم عذَر الحجارةَ ولم يَعْذِرْ شَقيَّ ابنِ آدمَ ، فقال : ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ ﴾[2] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ مثلَه .

١/٣٦٥ /حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ثم عذَر اللَّهُ الحجارةَ فقال : ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ ﴾[3] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٧ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٤٧ (٧٦٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٨١ إلى عبد بن حميد .

(٢) تقدم أوله في ص ١٣٠ .

(٣) تقدم أوله منه في ص ١٢٩.

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ أنه قال فيها : كلُّ حجرٍ انفجَر منه ماءٌ ، أو تشقَّق عن ماءٍ ، أو تردَّى من جبلٍ ، فمن خشيةِ اللَّه ، نزَل به القرآنُ .

ثم اختلَف أهلُ النحوِ فى معنى هُبُوطِ ما هبَط مِن الحجارةِ مِن خَشيةِ اللَّهِ .

فقال بعضُهم : إن هبوطَ ما هبَط منها من خشيةِ اللَّهِ : تَفَيُّؤُ ظلالِه[1] .

وقال آخَرون : ذلك الجبلُ الذى صار دكًّا إذ تجلَّى له ربُّه[2] .

وقال بعضُهم : ذلك كان منه ، ويكونُ بأن اللَّهَ جلَّ ذكرُه أعطَى بعضَ الحجارةِ المعرِفةَ والفَهمَ ، فعقَل طاعةَ اللَّهِ فأطاعه ، كالذى رُوِى عن الجِذْعِ الذى كان يَسْتَنِدُ إليه رسولُ اللَّه ﷺ إذا خطَب ، فلمَّا تحوَّل عنه حَنَّ[3] . وكالذى رُوِى عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « إنَّ حَجَرًا كانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ فى الجاهليَّةِ ، إنِّى لأَعْرِفُهُ الآنَ »[4] .

وقال آخرون : بل قولُه : ﴿ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ . كقولِه : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [الكهف : ٧٧] . ولا إرادةَ له . قالوا : وإنما أُرِيدَ بذلك أنه مِن عِظَمِ أمْرِ اللَّهِ يُرَى كأنه هابطٌ خاشِعٌ مِن ذُلِّ خشيةِ اللَّهِ ، كما قال زيدُ الخَيْلِ[5] :

بِجَمْعٍ تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَرَاتِهِ ⁂ تَرَى الأُكْمَ فِيها سُجَّدًا للحَوافِرِ

---

(١) يشير إلى الآية ٤٨ من سورة النحل ٤٨.

(٢) يعنى الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

(٣) أخرجه أحمد ٢٢/١١٧، ١٨٧ (١٤٢٠٦، ١٤٢٨٢) ، والبخارى (٣٥٨٤) من حديث جابر . وينظر البداية والنهاية ٨/ ٦٧٩.

(٤) أخرجه الطيالسى (٨١٨) ، وأحمد ٥/٨٩ (الميمنية) ، ومسلم (٢٢٧٧) من حديث جابر بن سمرة . وينظر البداية والنهاية ٨/ ٦٩٤.

(٥) تقدم البيت فى ١/ ٧١٥.

وكما قال سُوَيْدُ بنُ أبى كاهِلٍ يَصِفُ عَدُوًّا له يُرِيدُ أنه ذَلِيلٌ[(١)] :

سـاجِـدَ المَنْـخَـرِ إذْ يَـرْفَـعُـهُ خاشِعَ الطَّرْفِ أَصَمَّ[(٢)] المُسْتَمَعْ

وكما قال جريرُ بنُ عطيةَ[(٣)] :

لَمَّا أتى خَبَرُ الرَّسُولِ تَضَعْضَعَتْ سُـورُ المَدِيـنَـةِ والجبـالُ الخُشَّـعُ

وقال آخرون : معنى قولِه : ﴿ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ . أى : يُوجِبُ الخشيةَ لغيرِه بدلالتِه [١/١٠٦ظ] على صانعِه ، كما قيل : ناقةٌ تاجرةٌ : إذا كانت مِن نَجابتِها وفراهتِها تدعو الناسَ إلى الرغبةِ فيها ، كما قال جريرُ بنُ عطيةَ[(٤)] :

وأَعـوَرَ مِـن نَـبْـهـانَ أمّـا نَـهـارُه فـأعْـمَـى وأمّـا لَـيْـلُـه فـبَـصِـيـرُ

فجعَل الصفةَ لليلِ والنهارِ ، وهو يُرِيدُ بذلك صاحبَه النَّبْهانيَّ الذى يَهْجُوه مِن أجْلِ أنه فيهما كان ما وصَفه به .

وهذه الأقوالُ وإن كانت غيرَ بعيداتِ المعنى ممَّا تَحْتَمِلُه الآيةُ من التأويلِ ، فإن تأويلَ أهلِ التأويلِ مِن علماءِ سلَفِ الأمةِ بخلافِها ، فلذلك لم نَسْتَجِزْ صرْفَ تأويلِ الآيةِ إلى معنًى منها .

وقد دلَّلْنا فيما مضَى على معنى الخشيةِ ، وأَنها الرهبةُ والمخافةُ ، فكرِهْنا إعادةَ ذلك فى هذا الموضعِ[(٥)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

---

(١) البيت فى المفضليات ص ٢٠١، والأضداد لابن الأنبارى ص ٢٩٥.

(٢) فى ت ٢، ت ٣: « أذل » .

(٣) تقدم البيت فى ١/ ٦٢٣، والرواية هناك : « خبر الزبير تواضعت » . وكذا فى الديوان .

(٤) تقدم البيت فى ١/ ٣٣٢.

(٥) تقدم البيت فى ١/ ٥٩٨.

يعنى بقولِه : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ : وما اللَّهُ بغافلٍ - يا معشرَ المكذِّبينَ بآياتِه ، والجاحدينَ / نبوّةَ رسولِه محمدٍ ﷺ ، والمتقوِّلين عليه الأباطيلَ من بنى إسرائيلَ وأحبارِ اليهودِ - عما تعمَلون من أعمالِكم الخبيثةِ ، وأفعالِكم الرديئةِ ، ولكنه يُحصِيها عليكم ، فيجازِيكم بها فى الآخرةِ أو يعاقِبُكم بها فى الدنيا . ٣٦٦/١

وأصلُ الغَفْلةِ عن الشيءِ تَرْكُه على وجهِ السهوِ عنه والنسيانِ له . فأخبَرهم تعالى ذكرُه أنه غيرُ غافلٍ عن أفعالِهم الخبيثةِ ولا ساهٍ عنها ، بل هو لها مُحْصٍ ، ولها حافظٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ . أصحابَ[1] محمدٍ . [2]يقولُ : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾[2] أى : أفترجُونَ يا معشرَ المؤمنين بمحمدٍ ﷺ ، والمُصدِّقين ما جاءكم به مِن عندِ اللَّهِ ، أن يُؤْمِنَ لكم يهودُ بنى إسرائيلَ .

ويعنى بقولِه : ﴿أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ : أن يُصَدِّقوكم بما جاءكم به نبيُّكم ﷺ محمدٌ مِن عندِ ربِّكم .

كما حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، عن ابنِ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ : يعنى أصحابَ محمدٍ ﷺ أن يُؤْمِنوا لكم ، يقولُ : أفتطْمَعونَ أن يُؤْمِنَ لكم اليهودُ[3] ؟

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ الآية . قال : هم اليهودُ[4] .

---

(١) فى م : « يا أصحاب » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٨/١ (٧٦٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨١/١ إلى عبد بن حميد .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : أما « الفريقُ » فَجَمْعٌ ، كالطائفةِ ، لا واحدَ له مِن لفظِه ، وهو « فَعيلٌ » مِن « التَّفَرُّقِ » ، سُمِّىَ به الجِماعُ كما سُمِّيَت الجماعةُ بـ « الحِزْبِ » مِن « التَّحزُّبِ » ، وما أشْبَهَ ذلك ، ومنه قولُ أعْشَى بنى ثَعْلبةَ[1] :

أجَدُّوا[2] فلمَّا خِفْتُ أنْ يَتَفرَّقُوا فَرِيقَيْن مِنْهُمْ مُصْعِدٌ وَمُصَوِّبُ[3]

يعنى بقولِه : ﴿ مِّنْهُمْ ﴾ : مِن بنى إسرائيلَ . وإنما جعَل اللَّهُ الذين كانوا على عهدِ موسى ومَن بعدَهم مِن بنى إسرائيلَ ، مِن اليهودِ الذين قال اللَّهُ لأصحابِ محمدٍ ﷺ : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ . لأنهم كانوا آباءَهم وأسْلافَهم ، فجعَلهم منهم إذ كانوا عَشائرَهم وفَرَطَهم وأسْلافَهم ، كما يَذْكُرُ الرجلُ اليومَ الرجلَ ، وقد مضَى على مِنهاجِ الذاكرِ وطريقتِه ، وكان مِن قومِه وعَشيرتِه ، فيقولُ : كان منا فلانٌ . يعنى أنه كان مِن أهلِ طريقتِه ومذهبِه ، أو مِن قومِه وعَشيرتِه ، فكذلك قولُه ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ .

٣٦٧/١ /**القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى :** ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى الذين عَنَى اللَّهُ بقولِه : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنى** به محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى

---

(١) ديوان الأعشى ص ٢٠١.

(٢) فى م : « أخذوا » . وأجد فى السير : أسرع فيه . اللسان (ج د د) .

(٣) التصويب : الانحدار وهو خلاف التصعيد . اللسان (ص و ب) .

نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : فالذين يُحَرِّفونَه والذين يَكْتُمونَه هم العلماءُ منهم(١) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ بنحوِه .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ . قال : هى التوراةُ حرَّفوها(٢) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ . قال : التوراةُ التى أنْزَلها عليهم يُحرِّفونها ، يَجْعَلون الحلالَ فيها حرامًا ، والحرامَ فيها حلالًا ، والحقَّ فيها باطلًا ، والباطلَ فيها حقًّا ، إذا جاءَهم المُحِقُّ برِشْوةٍ أخرَجوا له كتابَ اللَّهِ ، وإذا جاءَهم المُبْطِلُ برِشْوةٍ أخرَجوا له ذلك الكتابَ فهو فيه مُحِقٌّ ، وإن جاء أحدٌ يَسْألُهم شيئًا ليس فيه حقٌّ ولا رِشوةٌ ولا شىءٌ أَمَروه بالحقِّ ، فقال لهم : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(٣) .

وقال آخرون فى ذلك بما حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ [٣/١٠٧و] الحسنِ ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٩/١ (٧٧٣) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨١/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٩/١ (٧٧٤) عن أبى زرعة ، عن عمرو به .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٦٥/١ عن ابن وهب به .

﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ : فكانوا يَسْمَعون مِن ذلك كما يَسْمَعُ أهلُ النُّبوةِ ، ثم يُحَرِّفونه مِن بعدِ ما عقَلوه وهم يَعْلَمون[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ فى قولِه : ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ الآية . قال : ليس قولُه : ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ : يَسْمَعون التوراةَ ، كلُّهم قد سمِعها ، ولكنَّهم الذين سألوا موسى رؤيةَ ربِّهم فأخَذَتْهم الصاعقةُ فيها[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : بلَغنى عن بعضِ أهلِ العلمِ أنهم قالوا لموسى : يا موسى ، قد حِيلَ بيننا وبينَ رؤيةِ اللَّهِ عز وجل ، فأَسْمِعْنا كلامَه حين يُكَلِّمُك . فطلَب ذلك موسى إلى ربِّه ، فقال : نعم ، فَمُرْهم فليتَطَهَّروا ، وليُطَهِّروا ثيابَهم ، ويَصُوموا . ففعَلوا ، ثم خرَج بهم حتى أتَى الطُّورَ ، فلما غَشِيهم الغَمامُ أمرَهم موسى عليه السلامُ فوقَعوا سجودًا ، وكلَّمه ربُّه ، فسمِعوا كلامَه يَأْمُرُهم ويَنْهاهم ، /حتى عَقَلوا ما سمِعوا ، ثم انْصَرف بهم إلى بنى إسرائيلَ ، فلما جاءوهم حرَّف فريقٌ منهم ما أَمَرهم به ، وقالوا حين قال موسى لبنى إسرائيلَ : إن اللَّهَ قد أمرَكم بكذا وكذا . قال ذلك الفريقُ الذى ذكَرهم اللَّهُ : إنما قال كذا وكذا . خلافًا لِما قال اللَّهُ عز وجل لهم ، فهم الذين عَنَى اللَّهُ لرسولِه محمدٍ ﷺ[(٣)] .

٣٦٨/١

وأَوْلى التأويلين اللذين ذكرتُ بالآيةِ وأَشْبَهُهما بما دلَّ عليه ظاهرُ التلاوةِ ، ما قاله الربيعُ بنُ أنسٍ ، والذى حكاه ابنُ إسحاقَ عن بعضِ أهلِ العلمِ ، مِن أن اللَّهَ تعالى

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٨/١ (٧٧١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٨/١ (٧٧٠) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٨/١ (٧٧٢) من طريق سلمة به ، إلى قوله : ثم انصرف بهم إلى بنى إسرائيل . وذكره ابن كثير فى تفسيره ١٦٤/١ عن ابن إسحاق به ، مطولا .

ذِكْرُه إنما عَنَى بذلك مَن سمِع كلامَه مِن بنى إسرائيلَ سماعَ موسى إياه منه ، ثم حرَّف ذلك وبدَّل مِن بعدِ سماعِه وعلمِه به وفهمِه إياه . وذلك أن اللَّهَ جل ثناؤُه إنما أخْبَر أن التحريفَ كان مِن فريقٍ منهم كانوا يَسْمَعون كلامَ اللَّهِ عز وجل ، اسْتِعْظامًا مِن اللَّهِ لِما كانوا يَأْتون مِن البهتانِ بعد توكيدِ الحجةِ عليهم والبرهانِ ، وإيذانًا منه تعالى ذِكْرُه عبادَه المؤمنين ، وقطَع أطماعَهم مِن إيمانِ بقايا نسلِهم بما أتاهم به محمدٌ مِن الحقِّ والنورِ والهُدَى ، فقال لهم : كيف تَطْمَعون فى تصديقِ هؤلاء اليهودِ إياكم ، وإنما تُخْبِرونهم - بالذى تُخْبِرونهم مِن الأنْباءِ عن اللَّهِ عز وجل - عن غيبٍ لم يُشاهِدوه ولم يُعايِنوه ، وقد كان بعضُهم يَسْمَعُ مِن اللَّهِ كلامَه وأمْرَه ونهيَه ، ثم يُبَدِّلُه ويُحَرِّفُه ويَجْحَدُه ، فهؤلاء الذين بينَ أَظْهُرِكم مِن بقايا نسلِهم أحْرَى أن يَجْحَدوا ما أَتَيْتُموهم به مِن الحقِّ وهم لا يَسْمَعونه مِن اللَّهِ ، وإنما يَسْمَعونه منكم - وأقربُ إلى أن يُحَرِّفوا ما فى كُتُبِهم مِن صفةِ نبيِّكم محمدٍ ﷺ ونعتِه ، ويُبَدِّلوه وهم به عالمون ، فيَجْحَدوه ويُكَذِّبوا - مِن أوائلِهم الذين باشَروا كلامَ اللَّهِ مِن اللَّهِ جل ثناؤُه ثم حرَّفوه مِن بعدِ ما عقَلوه وعلِموه ، مُتَعمِّدين التحريفَ .

ولو كان تأويلُ الآيةِ على ما قاله الذين زعَموا أنه عَنَى بقولِه : ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ : يَسْمَعون التوراةَ . لم يَكُنْ لِذِكْرِ قولِه : ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ . مَعْنًى مَفْهومٌ ؛ لأن ذلك قد سمِعه المُحرِّفُ منهم وغيرُ المحرِّفِ ، فخصوصُ المحرِّفِ منهم بأنه كان يَسْمَعُ كلامَ اللَّهِ - إن كان التأويلُ على ما قاله الذين ذكَرنا قولَهم دونَ غيرِهم ممن كان يَسْمَعُ ذلك سماعَهم - لا مَعْنَى له .

فإن ظنَّ ظانٌّ إنما صَلَح أن يُقالَ ذلك لقولِه : ﴿ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ . فقد أغْفَل وجهَ الصوابِ فى ذلك ، وذلك أن ذلك لو كان كذلك لقِيلَ : أفتَطْمَعون أن يُؤْمِنوا لكم

وقد كان فريقٌ منهم يُحرِّفون كلامَ اللَّهِ مِن بعدِ ما عقَلوه وهم يَعْلَمون . ولكنه جل ثناؤُه أخْبَرَ عن خاصٍّ من اليهودِ كانوا أُعْطوا ، مِن مُباشَرَتِهم سَماعَ كلامِ اللَّهِ تعالى ، ما لم يُعْطَه أحدٌ غيرُ الأنبياءِ والرُّسُلِ ، ثم بدَّلوا وحرَّفوا ما سمِعوا مِن ذلك ، فلذلك وصَفهم بما وصَفهم به للخصوصِ الذى كان خَصَّ به هؤلاء الفريقَ الذى ذكَرهم فى كتابِه تعالى ذِكْرُه .

ويعنى بقولِه : ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ : ثم يُبَدِّلون مَعْناه وتأويلَه ويُغَيرونه . وأصلُه مِن انحرافِ الشيءِ عن جهتِه ، وهو ميلُه عنها إلى غيرِها ، فكذلك قولُه : ﴿ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ . أى : يُميلونه عن وجهِه ومَعْناه الذى هو مَعْناه إلى غيرِه . فأخْبَرَ اللَّهُ جل ثناؤُه أنهم فعَلوا ما فعَلوا مِن ذلك على علمٍ منهم بتأويلِ ما حرَّفوا ، وأنه بخلافِ ما حرَّفوه إليه ، فقال : ﴿ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ . يعنى : مِن بعدِ ما عقَلوا تأويلَه ﴿ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ . أى : يَعْلَمون أنهم فى تحريفِهم ما حرَّفوا مِن ذلك مُبْطِلون كاذِبون . وذلك إخْبارٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عن إقدامِهم على البُهتِ ، ومُناصَبتِهم العداوةَ له ولرسولِه موسى ﷺ ، وأن بقاياهم – مِن مُناصَبتِهم العداوةَ للَّهِ ولرسولِه محمدٍ ﷺ بغيًا وحسدًا – على مثلِ الذى كان عليه أوائلُهم مِن ذلك فى عصرِ موسى عليه الصلاةُ والسلامُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾

أما قولُه : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ . فإنه خبرٌ [١٠٧/٣و] مِن اللَّهِ جل ذِكْرُه عن الذين أيْأَس أصحابَ محمدٍ ﷺ مِن إيمانهم – مِن يهودِ بنى إسرائيلَ الذين كان فريقٌ منهم يَسْمَعون كلامَ اللَّهِ ثم يُحرِّفونه مِن بعدِ ما عَقَلوه وهم يَعْلَمون – وهم الذين إذا لقُوا الذين آمنوا باللَّهِ ورسولِه محمدٍ ﷺ قالوا : آمنّا . يعنى

بذلك أنهم إذا لقُوا الذين صَدَّقوا باللَّهِ وبمحمدٍ ﷺ رسولِه[(١)] ، وبما جاء به مِن عندِ اللَّهِ قالوا : آمنا . أى : صدَّقنا بمحمدٍ وبما صَدَّقتُم به ، وأقْرَرنا بذلك . أَخْبر اللَّهُ عز وجل عنهم أنهم تَخلقوا بأخلاق المنافقين وسلكوا مِنهاجَهم .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عَمِّى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ : وذلك أن نفرًا مِن اليهودِ كانوا إذا لَقُوا محمدًا ﷺ قالوا : آمنا . وإذا خلا بعضُهم إلى بعضٍ قالوا : أتُحدِّثونهم بما فتَح اللَّهُ عليكم .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ : يعنى المنافقين مِن اليهودِ كانوا إذا لَقُوا أصحابَ محمدٍ ﷺ قالوا : آمنا[(٢)] .

وقد رُوِىَ عن ابنِ عباسٍ فى تأويلِ ذلك قولٌ آخرُ ، وهو ما حدَّثنا به ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سلمةُ بنُ الفَضْلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عِكْرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ . أى : بصاحبِكم[(٣)] رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولكنه إليكم خاصةً[(٤)] .

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ الآية . قال : هؤلاء ناسٌ مِن اليهودِ آمنوا ثم نافقوا[(٥)] .

---

(١) سقط من : م .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٦٥ عن الضحاك به .

(٣) فى ت ٢، ت ٣: « صاحبكم » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٦٥ عن ابن إسحاق به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٤٩ (٧٧٩) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

القولُ في تأويلِ قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ . أى : إذا خلا بعضُ هؤلاء اليهودِ الذين وصَف اللهُ / صفتَهم - إلى بعضٍ منهم ، فصاروا فى خَلاءٍ مِن الناسِ غيرِهم ، وذلك هو الموضعُ الذى ليس فيه غيرُهم ، ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ يعنى قال بعضُهم لبعضٍ : ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ .

١/٣٧٠

ثم اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قوله : ﴿ بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** بما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ . يعنى : بما أمَركم اللهُ به . فيقولُ الآخَرون : إنما نَستهزِئُ بهم ونَضحَكُ .

وقال آخَرون بما حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ . أى : بصاحبِكم[(١)] رسولِ اللهِ ، ولكنَّه إليكم خاصَّةً . وإذا خلا بعضُهم إلى بعضٍ قالوا : لا تُحدِّثوا العربَ بهذا ، فإنكم قد كنتُم تَستفتِحون به عليهم فكان منهم . فأنزَل اللهُ : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ ﴾ . أى : تُقِرُّون بأنه نبيٌّ ، وقد علِمتُم أنه قد أُخِذ له الميثاقُ عليكم باتِّباعِه ، وهو يُخبِرُهم أنه النبيُّ[(٢)] الذى كُنَّا نَنتظِرُ ونَجِدُه فى كتابِنا ، اجحَدُوه ولا تُقِرُّوا لهم به . يقولُ اللهُ :

---

(١) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « صاحبكم » .

(٢) بعده فى النسخ : « ﷺ » . ولا موضع لها هنا .

﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[(١)] .

حدَّثني المُثنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ في قولِه : ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ . أي : بما أنزَل اللَّهُ عليكم في كتابِكم ، مِن نَعْتِ[(٢)] محمدٍ ﷺ[(٣)] .

حدَّثنا بِشْرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ . أي : بما مَنَّ اللَّهُ عليكم في كتابِكم من نَعْتِ[(٤)] محمدٍ ﷺ ، فإنكم إذا فَعَلْتُم ذلك احْتَجُّوا به عليكم ، ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[(٥)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ ليَحْتَجُّوا به عليكم[(٦)] .

حدَّثني المُثنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، قال : قال قتادةُ : ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ . يعني : بما أَنزَلَ اللَّهُ عليكم من أمرِ محمدٍ ﷺ ونَعْتِه[(٧)] .

وقال آخرون في ذلك بما حدثني محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ

---

(١) تقدم طرف منه في ص ١٤٥ .

(٢) في ت ١، ت ٢، ت ٣: « بعث » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٥٠ (٧٨١) من طريق آدم به .

(٤) في ت ٣: « بعث » .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٨١ إلى عبد بن حميد .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٠، بزيادة في أوله .

(٧) في ت ٢، ت ٣: « بعثه » .

رَبِّكُمْ﴾ . قال : قولُ يهودَ من قُرَيظةَ حين سَبَّهُم النبيُّ ﷺ بأنهم إخوةُ القِردةِ والخنازيرِ ، قالوا : مَن حَدَّثك ؟ هذا حين أرسل إليهم عليًّا فآذَوْا محمدًا ، فقال : يا إخوةَ القِردةِ والخنازيرِ[1] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثلَه ، إلَّا أنه قال : / هذا حينَ أَرْسَلَ إليهم عليَّ بنَ أبي طالبٍ ، رضِي اللَّهُ عنه ، وآذَوُا النبيَّ ﷺ ، [١٠٨/١و] فقال : « اخْسَئُوا يا إخْوَةَ القِرَدَةِ والخَنازِيرِ » . ٣٧١/١

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثني الحسينُ ، قال : حدثني حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : أخبرني القاسمُ بنُ أبي بَزَّةَ ، عن مُجاهدٍ في قولِه : ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ . قال : قام النبيُّ ﷺ يومَ قُرَيْظَةَ تحتَ حُصونِهم ، فقال : « يا إخوانَ القِرَدَةِ ، ويا إخْوانَ الخَنازيرِ ، ويا عَبَدَةَ الطَّاغُوتِ » . فقالوا : مَن أخبر هذا محمدًا ؟ ما خرَج هذا إلَّا منكم ، ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ : بما حَكَمَ اللَّهُ للفتحِ ليكونَ لهم حُجَّةً عليكم . قال ابنُ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ : هذا حينَ أرسلَ إليهم عليًّا فآذَوْا محمدًا ﷺ[2] .

وقال آخرون بما حدَّثني موسى ، قال : ثنا عَمرٌو ، قال : ثنا أَسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ - من العذابِ - ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ : هؤلاء ناسٌ من اليهودِ آمنوا ثم نافَقُوا ، فكانوا يُحَدِّثُون المؤمنينَ مِن العربِ بما عُذِّبُوا به ، فقال بعضُهم لبعضٍ : أَتُحَدِّثونهم بما فتح اللَّهُ عليكم مِن

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٧ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٠/١ (٧٨٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨١/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٦٦/١ عن ابن جريج به .

العذابِ ليقولوا نحن أحبُّ إلى اللَّهِ منكم ، وأكرمُ على اللَّهِ منكم[١] .

وقال آخرون بما حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ . قال : كانوا إذا سُئِلُوا عن الشيءِ قالوا : أَمَا تَعْلَمُونَ في التوراةِ كذا وكذا ؟ قالوا : بَلَى . قال : وهم يهودُ . فيقولُ لهم رُؤَساؤُهم الذين يرجِعون إليهم : ما لكم تُخْبِرُونهم بالذى أَنزل اللَّهُ عليكم فيُحاجُّوكم به عندَ ربِّكم ، أَفَلا تعقِلون ؟ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يَدْخُلَنَّ علينا قصبَةَ المَدِينَةِ إِلَّا مُؤْمِنٌ » . فقال رُؤَساؤُهم مِن أهلِ الكفرِ والنفاقِ : اذْهَبُوا فقولوا : آمنَّا . واكْفُرُوا إذا رَجَعْتُم . قال : فكانوا يأتون المدينةَ بالبُكَرِ ويَرجِعون إليهم بعدَ العصرِ . وقرأ قولَ اللَّهِ : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٢] . وكانوا يقولون إذا دخَلوا المدينةَ : نحنُ مسلمون . ليعلموا خبَرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأَمْرَه ، وإذا رجَعوا رجَعوا إلى الكفرِ . فلمَّا أَخبرَ اللَّهُ نبيَّه ﷺ بهم ، قطَع ذلك عنهم فلم يكونوا يَدْخُلون ، وكان المؤمنون الذين مع رسولِ اللَّهِ ﷺ يَظُنُّون أنهم مؤمنونَ ، فيقولون لهم : أليس قد قال اللَّهُ لكم كذا وكذا ؟ فيقولون : بلى . فإذا رجَعوا إلى قومِهم قالوا : ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية[٢] .

وأصلُ الفتحِ في كلامِ العربِ النصرُ والقضاءُ والحُكْمُ ، يقالُ منه : اللهمَّ افتحْ بيني وبينَ فلانٍ : أي احْكُمْ بيني وبينَه . ومنه قولُ الشاعرِ[٣] :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٥٠ (٧٨٣) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ١٦٥، ١٦٦.

(٣) نسب هذا البيت - على اختلاف في روايته - إلى الأسعر الجعفي ، ومحمد بن حمران ، والأعشى ، وهو في جمهرة اللغة ٢/ ٤ ، وأمالي القالي ٢/ ٢٨١ .

أَلَا أَبْلِغْ بنى عُصْمٍ رَسُولًا بأنّى عن فُتاحَتِكُمْ غنِىُّ

٣٧٢/١ /قال : ويُقال للقاضى : الفتَّاح . ومنه قولُ اللَّهِ عز وجل : ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٩] . أى : احْكُم بيننا وبينَهم .

فإذا كان معنى الفتحِ ما وَصَفْنا ، تَبَيَّنَ أن معنى قولِه : ﴿ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ . إنما هو : أتُحدِّثونَهم بما حكَم اللَّهُ به عليكم وقَضَاه فيكم . ومِن حُكْمِه جل ثناؤُه عليهم ما أخَذ به ميثاقَهم من الإيمانِ بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به فى التوراةِ ، ومن قضائِه فيهم أنْ جعل منهم القردةَ والخنازيرَ . وغيرُ ذلك من أحكامِه وقضائِه فيهم ، وكلُّ ذلك كان لرسولِ اللَّهِ ﷺ وللمؤمنين به حُجَّةً على المكذِّبينَ به[1] من اليهودِ المُقِرِّينَ بحُكْمِ التوراةِ وغيرِ ذلك .

فإن كان كذلك ، فالذى هو أَوْلَى عندى بتأويلِ الآيةِ قولُ مَن قال : معنى ذلك : أتُحدِّثونهم بما فتح اللهُ عليكم مِن بَعْثِ[2] محمدٍ ﷺ إلى خَلْقِه ؛ لأن اللَّهَ جل ثناؤه إنما قَصَّ فى أولِ هذه الآيةِ الخبرَ عن قولِهم لرسولِ اللَّهِ ﷺ ولأصحابِه : آمنَّا بما جاء به محمدٌ ﷺ . فالذى هو أَوْلَى بآخِرِها أن يكونَ نظيرَ الخبرِ عمَّا ابْتُدِئَ به أوَّلُها .

وإذا كان ذلك كذلك ، فالواجبُ أن يكونَ تلاوُمُهم كان فيما بينَهم فيما كانوا أظهَروه لرسولِ اللَّهِ ﷺ ولأصحابِه من قولِهم لهم : آمنَّا بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به . وكان قِيلُهم ذلك مِن أجْلِ أنهم كانوا[1] يجِدون ذلك فى كُتُبِهم ، وكانوا

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى ت ١، ت ٣: « نعت » .

يُخْبِرون أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بذلك ، فكان تلاوُمُهم فيما بينهم إذا خَلَوْا على ما كانوا يُخْبِرونَهم بما هو حُجَّةٌ للمسلمينَ عليهم عندَ ربِّهم ، وذلك أنهم كانوا يُخبرونهم عن وجودِ نَعْتِ محمدٍ ﷺ فى كُتبِهم ويَكفرون به ، وكان فتحُ اللَّهِ الذى فَتَحه للمسلمين على اليهودِ ، وحُكمُه عليهم لهم فى كتابِهم ، أن يُؤمنوا بمحمدٍ ﷺ إذا بُعِث ، فلما بُعث كفَروا به مع عِلْمِهم بنُبُوّتِه .

وقولُه : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ . خبرٌ من اللَّهِ تعالى ذكرُه عن اليهودِ اللائمينَ إخوانَهم على ما أخبَروا أصحابَ [١/١٠٨ظ] رسولِ اللَّهِ ﷺ بما فتَح اللَّهُ لهم عليهم ، أنهم قالوا لهم : أفلا تَفْقَهون أيُّها القومُ وتَعْقِلُون أن إخبارَكم أصحابَ محمدٍ[1] ﷺ بما فى كُتُبِكم أنه نبىٌّ مبعوثٌ ، حجةٌ لهم عليكم عندَ ربِّكم يحتجُّون بها عليكم ؟! أى : فلا تفعلوا ذلك ، ولا تقولوا لهم مثلَ ما قلتُم ، ولا تُخبروهم بمثلِ ما أخبرتُموهم به من ذلك . فقال جل ثناؤُه : ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٧﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : أَوَلا يَعْلَمُ هؤلاءِ اللائمونَ من اليهودِ إخوانَهم من أهلِ مِلَّتِهم - على كونِهم[2] إذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا : آمنَّا . وعلى إخبارِهم المؤمنينَ بما فى كتبِهم من نَعْتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ومَبْعثِه ، القائلون لهم : ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ - أنَّ اللَّهَ عالمٌ بما يُسِرُّون فيُخْفُونه عن المؤمنين فى خَلائِهم ؛ من كفرِهم وتلاوُمِهم بينَهم على إظهارِهم ما أظهَروا لرسولِ

(١) فى م : « النبى » .

(٢) فى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « قولهم » .

اللَّهِ ﷺ وللمؤمنين به من الإقرارِ بمحمدٍ ﷺ ، وعلى قِيلِهم لهم : آمنَّا . ونَهْيِ بعضِهم بعضًا أن يُخبروا المؤمنين بما فتَح اللَّهُ للمؤمنين عليهم ، وقَضَى لهم عليهم في كتبِهم من حقيقةِ نُبُوَّةِ محمدٍ ﷺ وَنَعتِه ومَبْعَثِه ، وما يُعْلِنون فيُظهِرونه لمحمدٍ ﷺ ولأصحابِه المؤمنين به إذا لَقُوهم من قِيلِهم لهم : آمنَّا بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به . نفاقًا وخِداعًا للَّهِ ولرسولِه وللمؤمنين .

كما حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾ من كفرِهم وتكذيبِهم محمدًا ﷺ إذا خَلا بعضُهم إلى بعضٍ ، ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ إذا لَقُوا أصحابَ محمدٍ ﷺ قالوا : آمنَّا . ليُرْضُوهم بذلك[1] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ : يعني ما أَسَرُّوا من كفرِهم بمحمدٍ ﷺ وتكذيبِهم به ، وهم يَجِدُونه مكتوبًا عندهم ، ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ : يعني ما أَعْلَنوا حينَ قالوا للمؤمنين : آمنَّا[2] .

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ .

يعني بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ : ومن هؤلاءِ اليهودِ الذين قَصَّ اللَّهُ قَصَصَهم في هذه الآياتِ ، وأَيْأَسَ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ من إيمانِهم ، فقال لهم : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ . وهم إذا لَقُوكم قالوا : آمنَّا .

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٥١ عقب الأثر (٧٨٧) معلقًا ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٨١، ٨٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٥١ (٧٨٦، ٧٨٨) من طريق آدم به .

كما حدَّثنا المُثنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ : يعنى من اليهودِ[(١)] .

وحُدِّثْتُ عن عمَّارٍ ، قال : ثنا [(٢)] ابنُ أبي جعفرٍ [(٢)] ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدثني حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ . قال : أُناسٌ من يهودَ[(٣)] .

قال أبو جعفرٍ : يعنى بـ « الأُمِّيِّين » الذين لا يَكتبون ولا يَقرءون ، ومنه قولُ النبيِّ ﷺ : « إنّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكْتُبُ ولا نحْسُبُ »[(٤)] .

يقالُ منه : رجُلٌ أُميٌّ . أى : بيِّنُ الأُمِّيَّةِ .

كما حدَّثني المُثنَّى ، قال : حدثني سُوَيْدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبرنا ابنُ المباركِ ، عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ . قال : منهم مَن لا يُحْسِنُ أن يَكْتُبَ[(٥)] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ . قال : أُمِّيُّون لا يَقْرءون الكتابَ من اليهودِ .

ورُوِىَ عن ابنِ عباسٍ قولٌ خلافُ هذا القولِ ، وهو ما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن /بِشْرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ ١/٣٧٤

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٢/١ (٧٨٩) من طريق آدم به .

(٢ - ٢) في ت ٣: « أبو جعفر » .

(٣) سيأتي بتمامه في ص ١٥٧ .

(٤) أخرجه أحمد ٤٣/٢ (٥٠١٧) ، والبخاري (١٩١٣) ، ومسلم (١٥/١٠٨٠) ، وأبو داود (٢٣١٩) من حديث ابن عمر .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٢/١ (٧٩١) من طريق سفيان به نحوه .

عباسٍ : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ . قال : الأُمِّيون قومٌ لم يُصدِّقوا رسولًا أرسَله اللَّهُ ، ولا كتابًا أنزَله اللَّهُ ، فكتبوا كتابًا بأيديهم ، ثم قالوا لقومٍ سَفِلَةٍ جُهَّالٍ : ﴿ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ . وقال : قد أَخبر أنهم يكتُبون بأيديهم ، ثم سمَّاهم أُمِّيِّين لجُحُودِهم كتبَ اللَّهِ ورُسُلَه [(١)] .

وهذا التأويلُ تأويلٌ على خلافِ ما يُعرَفُ من كلامِ العربِ المُستفيضِ بينَهم ، وذلك أن الأُميَّ عندَ العربِ هو الذى لا يكتُبُ .

قال أبو جعفرٍ : وأَرى أنه قِيلَ للأُميِّ : أُميٌّ . نسبةٌ له ، بأنه لا يَكتُبُ ، إلى أُمِّه ؛ لأن الكتابَ كان فى الرجالِ دُونَ النساءِ ، فنُسِبَ مَن لا يَكتبُ ولا يَخُطُّ من الرجالِ إلى أُمِّه فى جهْلِه بالكتابةِ دونَ أبيه ، كما ذكرنا عن النبيِّ ﷺ من قولِه : « إنّا أمةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكْتُبُ وَلا نَحْسُبُ » . وكما قال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة : ٢] .

فإذا كان معنى الأُميِّ فى كلامِ العربِ ما وَصَفْنا ، فالذى هو أَوْلَى بتأويلِ الآيةِ ما قاله النَّخَعِيُّ مِن أن معنى قولِه : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ : ومنهم مَن لا يُحسِنُ أن يكتُبَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ : لا يعلمون ما فى الكتابِ الذى أَنزَله اللَّهُ ولا يَدرون ما أَوْدَعه اللَّهُ من [١/١٠٩و] حُدودِه وأحكامِه وفرائِضِه ، كهيئةِ البهائمِ .

كالذى حدَّثنى الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ : إنما هم أمثالُ البهائمِ لا يَعْلَمُون شيئًا [(٢)] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٨٢ إلى المصنف ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٦٧، وقال : فى صحة هذا عن ابن عباس - بهذا الإسناد - نظر .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٠.

حدثنا بِشْرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يقولُ[1] : لا يدرون ما فيه[2] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ : لايَدْرُونَ ما فيه[3] .

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال : لا يدرون ما[4] فيه[5] .

حدثنا يونسُ[6] ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ . لا يَعْلَمُون شيئًا ؛ لايَقْرَءُون ، التوراةُ ليست تُسْتَظْهَرُ ، إنما تُقْرأُ هكذا ، فإذا لم يَكْتُبْ أحدُهم لم يَسْتَطِعْ أن يَقْرَأَه[7] .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بِشْرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ . يقولُ[8] : لا يَعْرِفون الكتابَ الذي أنزَله اللَّهُ .

قال أبو جعفرٍ : وإنما عَنَى بالكتابِ التوراةَ ، ولذلك أُدْخِلَتْ فيه الألفُ واللامُ ؛

---

(١) بعده في م : « لا يعلمون الكتاب و » .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٢/١ عقب الأثر (٧٩٠) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٢/١ (٧٩٠) من طريق آدم به .

(٤) في م : « بما » .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٢/١ إلى ابن إسحاق .

(٦) في النسخ : « بشر » . وهو إسناد دائر .

(٧) في م : « يقرأ » .

(٨) سقط من : ت ٢، وفي م : « قال » .

لأنه قُصِد به كتابٌ معروفٌ بعينِه ، ومعناه : ومنهم فريقٌ لا يَكْتُبون ولا يَدْرُون ما فى الكتابِ الذى عَرَفْتُموه الذى هو عندَهم/ وهم يَنْتَحِلُونه ، ويدَّعون الإقرارَ به من أحكامِ اللَّهِ وفرائضِه وما فيه من حُدُودِه التى بيَّنها فيه .

٣٧٥/١

(١) واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه (١) : ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ ؛ فقال بعضُهم بما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بِشْرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ . يقولُ : إلَّا قولًا يَقُولُونه (٢) بأفواهِهم كذبًا (٣) .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن (٤) ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ : إلا كذبًا (٥) .

حدثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثلَه .

وقال آخَرون بما حدَّثنا بِشْرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ يقولُ : يتمنَّوْن على اللَّهِ ما ليس لهم (٦) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن

(١ - ١) سقط من النسخ ، وأثبتناها كنهج أبى جعفر فى التفسير .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ : « يقولون » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٢/١ إلى المصنف .

(٤) بعده فى ت ٢ : « محمد » .

(٥) تفسير مجاهد ص ٢٠٧، ٢٠٨، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٢/١ (٧٩٤) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٢/١ إلى عبد بن حميد .

(٦) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٢/١ عقب الأثر (٧٩٣) معلقًا .

قتادةَ : ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ . يقولُ : يتمنَّوْن على اللَّهِ الباطلَ وما ليس لهم[(١)] .

حدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا أبو صالحٍ ، [(٢)] عن معاويةَ بنِ صالحٍ [(٢)] ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾. يقولُ: إلَّا أحاديثَ[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ . قال : ناسٌ من يهودَ لم يكونوا يعلَمون من الكتابِ شيئًا ، وكانوا يتكلَّمون بالظنِّ بغيرِ ما في كتابِ اللَّهِ ، ويقولون : هو من الكتابِ. أمانيُّ يتمنَّوْنها[(٤)] .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ : يتمنَّوْن على اللَّهِ ما ليس لهم[(٥)] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ . قال : تمنَّوْا فقالوا : نحن من أهلِ الكتابِ . وليسوا منهم .

وأَوْلَى ما رَوَيْنا في تأويلِ قولِه : ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ . بالحقِّ ، وأَشْبَهُه بالصوابِ ، الذي قاله ابنُ عباسٍ ، الذي رواه عنه الضحَّاكُ ، وقولُ مجاهدٍ ، أن الأُمِّيِّين الذين وصَفهم اللَّهُ بما وصَفهم به في هذه الآيةِ وأنهم لا يَفْقَهُون من الكتابِ الذي أنزله اللَّهُ على موسى شيئًا ، ولكنهم يَتخرَّصون الكذبَ ويَتقوَّلون الأباطيلَ كذبًا وزُورًا ، والتمنِّي في هذا الموضعِ هو تَخَلُّقُ الكذبِ وتَخَرُّصُه وافتعالُه ، يقالُ منه : تمنَّيتُ

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٠.

(٢ - ٢) سقط من النسخ . وهو إسناد دائر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٥٢ (٧٩٢) عن أبيه ، عن أبي صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٨٢ إلى ابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٨٢ إلى المصنف .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٥٢ (٧٩٣) من طريق آدم به .

كذا . إذا افتعلته وتَخرَّصْته . ومنه الخبرُ الذى رُوِىَ عن عثمانَ بنِ عفانَ رضى اللَّهُ عنه : ما تَعَنَّيْتُ[(١)] ولا تَمَنَّيْتُ[(٢)] . يعنى بقوله : ما تمنيتُ : ما تخرّصتُ الباطلَ ولا اخْتَلَقْتُ الكذبَ والإفْكَ .

والذى يَدُلُّ على صِحَّةِ ما قُلنا فى ذلك وأنه أَوْلَى بتأويلِ قولِه : ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ . من غيرِه من الأقوالِ ، قولُ اللَّهِ جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ . فأخبَر عنهم جل ثناؤُه أنهم يتمنَّوْن ما يتمنَّوْن من الأكاذيبِ ظنًّا منهم/ لا يقينًا ، ولو كان معنى ذلك أنهم يَتْلونه ، لم يكونوا ظانِّين ، وكذلك لو كان معناه : يَتشهَّونه ؛ لأن الذى يَتلوه إذا تَدَبَّره عَلِمه ، ولا يَسْتَحِقُّ الذى يَتلو كتابًا قرَأه وإن لم يَتَدَبَّره بتَرْكِه التدبيرَ أن يقالَ : هو ظانٌّ لما يَتلو . إلا أن يكونَ شاكًّا فى نفسِ ما يَتلوه لا يَدْرِى أحقٌّ هو أم باطلٌ ؟ ولم يكنِ القومُ الذين كانوا يَتلون التوراةَ على عصرِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ من اليهودِ فيما بلَغَنا شاكِّين فى التوراةِ أنها من عندِ اللَّهِ ، وكذلك المتمنِّى الذى هو فى معنى المتشهِّى ، غيرُ جائزٍ أن يقالَ : هو ظانٌّ[(٣)] تَمَنِّيَه . لأن التَّمَنِّىَ من المتمنِّى إذا تمنَّى ما قد وُجِدتْ[(٤)] عينُه ، فغيرُ جائزٍ أن يقالَ : هو شاكٌّ فيما هو به عالمٌ ؛ لأن العلمَ والشكَّ معنيان يَنْفِى كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه لا يجوزُ اجتماعُهما فى جُزْءٍ[(٥)] واحدٍ ، والمتمنِّى فى حالِ تمنِّيه موجودٌ [(٦)]تمنِّيه ، فغيرُ[(٦)] جائزٍ أن يقالَ : هو يَظُنُّ تمنِّيَه . وإنما

٣٧٦/١

---

(١) فى م ، ت ٢: «تغنيت» ، وفى ت ١، ت ٣: «تعنيت» . والصواب ما أثبتناه . وعتا يعتو عتوًّا وعتيًّا : استكبر وجاوز الحد . اللسان (ع ت و) .

(٢) أخرجه محمد بن عائذ الدمشقى - كما فى البداية والنهاية ٢٩٦/١٠، ٢٩٧- ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه (ص ٢٣، ٤٢٩- ترجمة عثمان ، طبعة مجمع اللغة بدمشق) - والفسوى فى تاريخه ٤٨٨/٢، وفيه قصة .

(٣) بعده فى م : «فى» .

(٤) فى م : «وجد» .

(٥) فى م : «حيز» .

(٦ - ٦) فى م : «غير» . وينظر التبيان ١/ ٣٢٠.

قيل : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ . والأمانيُّ من غيرِ نوعِ الكتابِ ، كما قال ربُّنا جل ثناؤه ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ [النساء : ١٥٧] . والظنُّ من العلمِ بمَعْزِلٍ ، وكما قال : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل : ١٩، ٢٠] . وكما قال الشاعرُ[1] :

[٢٢/٣و] *ليس بيني وبين قيسٍ عتابٌ غيرَ طَعْنِ الكُلَى وضَرْبِ الرِّقابِ

وكما قال نابغةُ بني ذُبْيانَ[2] :

حلَفْتُ يمينًا غيرَ ذي مَثْنَوِيَّةٍ[3] ولا عِلْمَ إلا حُسْنَ ظَنٍّ بصاحبِ[4]

في نظائرَ لما ذكَرْنا يطولُ بإحصائِها الكتابُ .

ويَخْرُجُ بـ « إلا » ما بعدها من معنى ما قبلها ، ومن صفتِه ، وإن كان كلُّ واحدٍ منهما من غيرِ شكلِ الآخرِ ومن غيرِ نوعِه ، ويسمِّى ذلك بعضُ أهلِ العربيةِ استثناءً منقطِعًا ، لانقطاعِ الكلامِ الذي يأتي بعد « إلا » عن معنى ما قبلها ، وإنما يكونُ ذلك كذلك في كلِّ موضعٍ حَسُنَ أن يوضعَ فيه مكانَ « إلا » « لكن » ، فيُعْلَمُ حينئذٍ انقطاعُ معنى الثاني عن معنى الأولِ ، ألا ترى أنك إذا قلْتَ : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ . ثم أردْتَ وَضْعَ « لكن » مكانَ « إلا » وحَذْفَ

---

(١) البيت لعمرو بن الأيهم بن أفلت التغلبي ، وهو في الوحشيات ص ٤٢، ومعجم الشعراء ص ٧٠، وسمط اللآلي ١/ ١٨٤.

* إلى هنا ينتهي الخرم الذي في الأصل . والذي بدأ في أثناء ص ٥٧.

(٢) ديوان النابغة ص ٥٥.

(٣) حلفة غير ذات مثنوية : أي غير مُحَلَّلة . اللسان (ث ن ي) .

(٤) في م ، ت١، ت٢، ت٣: « بغائب » . وهي رواية ابن السكيت ، وأما الذي في الأصل فهو رواية الأصمعي وينظر ديوان النابغة برواية ابن السكيت ص ٥٥ وديوان النابغة بتحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٤١.

« إلا » ، وَجَدْتَ الكلامَ صحيحًا معناه صحتَه وفيه « إلا » ، وذلك إذا قلْتَ : ومنهم أُمِّيُّون لا يَعْلَمُونَ الكتابَ ، لكن أمانيَّ . يعني : لكنهم يَتَمنَّوْن . وكذلك قولُه : ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ [النساء : ١٥٧] : لكن اتِّباعَ الظنِّ . بمعنى : لكنَّهم يتَّبعون الظنَّ . وكذلك جميعُ هذا النوعِ من الكلامِ على ما وصَفْنا .

وقد ذُكِر عن بعضِ القَرأةِ أنه قرَأ : (إلَّا أمانىَ) . مخففةً[1] . ومن خَفَّف ذلك وجَّهه إلى نحوِ جَمْعِهم المفتاحَ مفاتحَ ، والقُرْقورَ[2] قراقرَ ، وأن ياءَ الجمعِ لمَّا حُذفت خُفِّفَتِ الياءُ الأصليةُ ، أغْنى من « الأمانىّ » ، كما جَمَعوا الأُثْفِيَّةَ[3] أثافىَ مخففةً ، كما قال زهيرُ بنُ أبى سُلْمَى[4] :

أَثَافِىَ سُفْعًا[5] فى مُعَرَّسِ[6] مِرْجَلٍ[7] ونُؤْيًا[8] كجِذْمِ[9] الحَوْضِ لم يَتَثلَّمِ[10]

وأما مَن ثَقَّل ﴿ أَمَانِيَّ ﴾ فشدَّد ياءَها ، فإنه[11] نحوُ جَمْعِهم المفتاحَ مفاتيحَ ،

---

(١) وهى قراءة أبى جعفر - وهو من العشرة . ينظر النشر لابن الجزرى ٢/ ١٦٤.

(٢) القرقور : السفينة أو الطويلة أو العظيمة . التاج (ق ر ر) .

(٣) الأثفية : ما يوضع عليه القِدْرُ . اللسان (ث ف ى) .

(٤) شرح ديوان زهير ص ٧.

(٥) السفعة : السواد المشرب حمرة ، ومنه قيل للأثافى : سفع . وهى التى أوقد بينها النار فسودت صِفاحها التى تلى النار . اللسان (س ف ع) .

(٦) المعرّس : موضع التعريس ، والتعريس : نزول القوم فى السفر من آخر الليل يقعون وقعة للاستراحة . اللسان (ع ر س) .

(٧) المرجل : القِدْرُ من الحجارة والنحاس . اللسان (ر ج ل) .

(٨) النؤى : حفرة حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر . اللسان (ن أ ى) .

(٩) الجذم : أصل الشىء . اللسان (ج ذ م) .

(١٠) ثلم الإناء والسيف ونحوه يثلِمُه ثلْمًا ، وثلَّمه فانثلم وتثلَّم : كسر حرفه . اللسان (ث ل م) .

(١١) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « وجه ذلك إلى » .

والقُرْقورَ قَراقيرَ ، والزُّنْبورَ زَنابيرَ ، فاجتمعتْ ياءُ « فَعاليلَ » ولامُها وهما جميعًا ياءان ، فأُدْغِمت إحداهما فى الأخرى فصارتا ياءً واحدةً مشددةً .

فأما القراءةُ التى لا يجوزُ غيرُها لقارئٍ عندى فى ذلك ، فتشديدُ ياءِ « الأمانىّ » ، لإجماعِ القَرَأةِ على أنها القراءةُ / التى مضى على القراءةِ بها السلفُ ، مستفيضٌ ١/٣٧٧ ذلك بينهم غيرُ مدفوعةٍ صحتُه ، وشذوذِ القارئِ بتخفيفِها عما عليه الحُجّةُ مُجْمِعةٌ فى ذلك ، (١ وكفَى شاهدًا على خطأِ١) قارئِ ذلك (٢ بتخفيفِه إجماعُها٢) على تخطئتِه(٣) .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

[٢٢/٣ظ] يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَإِنْ هُمْ ﴾ : وما هم . كما قال جل ثناؤُه : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [إبراهيم : ١١] . يعنى بذلك : ما نحن إلا بشرٌ مثلُكم . ومعنى قولِه : ﴿ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ : إلا(٤) يشكُّون ولا يَعْلمون حقيقتَه وصحتَه . والظنُّ فى هذا الموضعِ شَكٌّ .

فمعنى الآيةِ : ومنهم مَنْ لا يَكْتُبُ ولا يَخُطُّ ولا يَعْلَمُ كتابَ اللَّهِ ولا يَدْرِى ما فيه إلا تَخَرُّصًا وتَقَوُّلًا على اللَّهِ الباطلَ ، ظنًّا منه أنه مُحِقٌّ فى تَخَرُّصِه وتَقَوُّلِه الباطلَ ، وإنما وصَفَهم اللَّهُ تعالى ذكرُه بأنهم فى تَخَرُّصِهم على ظنٍّ ، (٥ هل هم فيه مُحِقُّون أم مُبْطِلون٥) ؛ لأنهم كانوا قد سَمِعوا من رؤسائِهم وأحبارِهم أمورًا حَسِبوها من كتابِ

(١ - ١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « وكفى خطأ على » .

(٢ - ٢) فى م : « بتخفيفها إجماعًا » .

(٣) تقدم أن القراءة بتخفيف الياء قراءة أبى جعفر المدنى ، وهى قراءة متواترة .

(٤) فى م : « لا » .

(٥ - ٥) فى م : « أنهم محقون وهم مبطلون » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « أنهم محقون أم مبطلون » .

اللَّهِ ، ولم تكنْ من كتابِ اللَّهِ ، فوصَفهم جل ثناؤُه بأنهم يَترُكون التصديقَ بالذى يُوقِنون به أنه من عندِ اللَّهِ مما جاء به محمدٌ ﷺ ، ويَتَّبعون ماهم فيه شاكُّون ، وفى حقيقتِه مُرْتابون ، مما أخبَرهم به كُبراؤُهم ورُؤساؤُهم وأحبارُهم ؛ عنادًا منهم للَّهِ ولرسولِه ، ومخالفةً منهم لأمرِ اللَّهِ، واغترارًا منهم بإمهالِ اللَّهِ تعالى ذكرُه إياهم .

وبنحوِ ما قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ . قال فيه المتأوِّلون من السلفِ .

حدثنى محمدُ بن عمرٍو ، قال : حدثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، **وحدثنى** المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدثنا شبلٌ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ : إلا يُكَذِّبون[(١)] .

حدثنا القاسمُ ، [(٢)]قال : حدثنا الحسينُ[(٢)] ، قال : حدثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : حدثنى محمدُ ابنُ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ . أى : لا يَعْلَمون الكتابَ ولا يَدْرُون ما فيه ، وهم يَجْحَدون نبوتَك بالظنِّ[(٣)] .

حدثنا بشرٌ ، قال : حدثنا يزيدُ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٨ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٢ (٧٩٦) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٨٢ إلى عبد بن حميد .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٣) سيرة ابن هشام ١/٥٣٨ . وينظر تفسير ابن كثير ١/١٦٧ .

يَظُنُّونَ ﴾ قال : يَظُنون الظنونَ بغيرِ الحقِّ[١] .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا آدمُ ، قال : حدثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ ، قال : يَظُنون الظنونَ بغيرِ الحقِّ[٢] .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : حدثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[٣] .

القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ .

١/٣٧٨ /**اختلف أهلُ التأويلِ في تأويلِ قولِه : ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ ؛ فقال بعضُهم بما حدثنا به أبو** كريبٍ ، قال : حدثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ [٣/٢٣و] : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم ﴾ . يقولُ : فالعذابُ عليهم[٤] .

وقال آخَرون بما حدثنا به ابنُ بشارٍ ، قال : حدثنا ابنُ مهديٍّ ، قال : حدثنا سفيانُ ، عن زيادِ بنِ فياضٍ ، قال : سمِعتُ أبا عياضٍ يقولُ : الويلُ ما يَسيلُ من صَديدٍ في أصلِ جهنمَ[٥] .

حدثني مُشَرَّفُ[٦] بنُ أبانٍ الحطابُ ، قال : حدثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن زيادِ بنِ

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٥٢ عقب الأثر (٧٩٥) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٥٢ (٧٩٥) من طريق آدم به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٥٢ عقب الأثر (٧٩٥) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) سيأتي مطولا في ص ١٧٠ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٥٣ (٧٩٩) من طريق ابن مهدي به ، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٣٣ - زوائد نعيم بن حماد) ، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في صفة النار (٣٣) عن سفيان به .

(٦) في م : « بشر » ، وفي ت ١، ت ٢: « شرف » .

فياضٍ ، عن أبي عياضٍ في قولِه : ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ . قال : صِهْرِيجٌ في أصلِ جهنمَ يَسيلُ فيه صديدُهم[(١)] .

حدثني عليُّ بنُ سهلٍ الرَّمْليُّ ، قال : حدثنا زيدُ بنُ أبي الزرقاءِ ، قال : حدثنا سفيانُ ، عن[(٢)] زيادِ بنِ فياضٍ ، عن أبي عياضٍ ، قال : الويلُ وادٍ من صديدٍ في جهنمَ .

حدثني ابنُ حميدٍ ، قال : حدثنا مِهْرانُ ، عن سفيانَ[(٣)] ، قال : ﴿ وَوَيْلٌ ﴾ : ما يَسيلُ من صديدٍ في أصلِ جهنمَ .

وقال آخَرون بما حدثني به المثنى ، قال : حدثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ السلامِ بنِ صالحٍ القشيريُّ[(٤)] ، قال : حدثنا عليُّ بنُ جريرٍ ، عن حمادِ بنِ سلَمةَ ، عن[(٥)] عبدِ الحميدِ بنِ جعفرٍ ، عن كنانةَ العدويِّ ، عن عثمانَ بنِ عفانَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : « الويلُ جبَلٌ في النارِ »[(٦)] .

حدثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرني عمرُو بنُ الحارثِ ، عن درّاجٍ ، عن أبي الهيثمِ ، عن أبي سعيدٍ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « ويلٌ وادٍ في جهنمَ يَهْوِى فيه الكافرُ أربعين خريفًا قبل أن يَبْلُغَ قَعْرَه[(٧)] » .

---

(١) ذكره ابن رجب في التخويف من النار ص ١١٨.

(٢) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بن » .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « شقيق » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/٥٩٥ - ٥٩٩ .

(٤) في م : « التسترى » .

(٥) في م : « بن » .

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٦٨ عن المصنف ، وقال : غريب جدا . وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبي إسحاق الحويني ٢/٥٥٢ ، ٥٥٣ .

(٧) إسناده ضعيف ؛ لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم ، والحديث أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٥٣=

قال أبو جعفرٍ : فمعنى الآيةِ على ما رُوِى عمن ذكرْتُ قولَه فى تأويلِ ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ : فالعذابُ الذى هو شُرْبُ صديدِ أهلِ جهنمَ ، الذى[(١)] فى أسفلِ الجحيمِ ، لليهودِ الذين يَكْتُبون الباطلَ بأيديهم ثم يقولون : هذا من عندِ اللَّهِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : الذين حَرَّفوا كتابَ اللَّهِ من يهودِ بنى إسرائيلَ ، وكتَبوا كتابًا على ما تأوَّلُوه من تأويلاتِهم ، مخالفًا لما أنزَله اللَّهُ عز وجل على نبيِّه موسى عليه السلامُ ، ثم باعوه من قومٍ لا علْمَ لهم بها ، ولا بما فى التوراةِ ، جهالٍ بما فى كُتُبِ اللَّهِ ، طَلَبَ[(٢)] عَرَضٍ من الدنيا خسيسٍ ، فقال اللَّهُ تعالى ذكرُه لهم : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ .

كما **حدثنا** موسى بنُ هارونَ ، قال : حدثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ . قال : كان ناسٌ [٢٣/٣ظ] من اليهودِ كتَبوا

= (٧٩٨) عن يونس به . وأخرجه ابن المبارك فى الزهد (٣٣٤ - زوائد نعيم بن حماد) ، وفى المسند (١٤٤) ، وأحمد ٢٤٠/١٨ (١١٧١٢) ، وعبد بن حميد (٩٢٢) ، والترمذى (٢٥٧٦، ٣١٦٤) ، وأبو يعلى (١٣٨٣) ، وابن حبان (٧٤٦٧) ، والحاكم ٥٠٧/٢، ٥٤٣، ٥٩٦/٤، والبيهقى فى البعث والنشور (٥١٢، ٥١٣، ٥٣٧) ، وابن أبى الدنيا فى صفة النار (٣١) من طريق دراج به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٢/١ إلى هناد فى الزهد والطبرانى وابن مردويه .

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « لطلب » .

كتابًا من عندِهم يَبِيعونه من العربِ ، ويُحَدِّثونهم أنه من عندِ اللَّهِ ليأخُذوا به ثمنًا قليلًا[1] .

حدثنا أبو كريبٍ ، قال : حدثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن / الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الأُمِّيون قومٌ لم يُصَدِّقوا رسولًا أرسلَه اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، ولا كتابًا أنزَله اللَّهُ ، فكتَبوا كتابًا بأيديهم ، ثم قالوا لقومٍ سَفِلةٍ جُهّالٍ : ﴿ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ﴾ . [2]قال : ليبتاعوا به[2] ﴿ ثَمَنًا ﴾ . قال : عَرَضًا من عَرَضِ الدنيا[3] .

٣٧٩/١

حدثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : هؤلاء الذين عرَفوا أنه من عندِ اللَّهِ يُحرفونه[4] .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه ، إلا أنه قال : ثم يُحَرِّفونه .

حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ الآية : وهم اليهودُ[5] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٣/١ (٨٠٢) من طريق عمرو به .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٦٧/١ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٨٢، ٨٣ إلى المصنف .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٨٩/٢ (٣٧٣٤) من طريق ابن أبي نجيح به ، وعزاه السيوطي في الدر ٤٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر والفريابي .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ١٦٨.

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : كان ناسٌ من بنى إسرائيلَ كتَبوا كتابًا بأيديهم ليتأَكَّلوا الناسَ ، فقالوا : هذا من عندِ اللَّهِ . وما هو من عندِ اللَّهِ[1] .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ . قال : عمَدوا إلى ما أنزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه فى كتابِهم من نعتِ محمدٍ ﷺ ، فحرَّفوه عن مَواضِعِه ، يبتغون بذلك عَرَضًا من عَرَضِ الدنيا ، فقال اللَّهُ[2] : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[3] .

حدثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ السلامِ ، قال : ثنا علىُّ بنُ جريرٍ ، عن حمادِ بنِ سلَمةَ ، عن عبدِ الحميدِ بنِ جعفرٍ ، عن كنانةَ بنِ نعيمٍ العدوىِّ ، عن عثمانَ بنِ عفانَ رضِى اللَّهُ عنه ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ قال : « الويلُ جبلٌ فى النارِ » . وهو الذى أُنْزِل فى اليهودِ ؛ لأنهم حرَّفوا التوراةَ ، زادُوا فيها ما يُحبون ، ومَحَوْا منها ما يَكْرَهون ، ومَحَوْا اسْمَ محمدٍ ﷺ من التوارةِ ، فلذلك غَضِب اللَّهُ جل ثناؤه عليهم فرفَع بعضَ التوراةِ

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٠، ٥١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٥٤، ١٥٥ (٨٠٨) عن الحسن ابن يحيى . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٣/١ إلى ابن المنذر .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٥/١ (٨١١) من طريق آدم به .

فقال : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[1] .

وحدثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبَرنى سعيدُ بنُ أبى أيوبَ ، عن محمدِ بنِ عجلانَ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، عن عطاءِ بنِ يسارٍ ، قال : ويلٌ وادٍ فى جهنمَ لو سُيِّرَتْ فيه الجبالُ [٢٤/٣و] لَامّاعت[2] من شدةِ حرِّه[3] .

فإن قال لنا قائلٌ : فما وجهُ قولِه[4] : ﴿ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ ؟ وهل يكتبون[5] بغيرِ اليدِ حتى احتاج المخاطَبون[6] بهذه المخاطبةِ إلى أن يُخْبَروا عن هؤلاءِ القومِ الذين قَصَّ اللَّهُ تعالى ذكرُه قصتَهم أنهم كانوا يَكْتُبون الكتابَ بأيديهم ؟

١/٣٨٠ قيل له : إن الكِتابَ من بنى آدمَ وإن كان منهم باليدِ ،/ فإنه قد يضافُ الكتابُ إلى غيرِ كاتبِه وغيرِ المتولِّى رسمَ خَطِّه ، فيقالُ : كتَب فلانٌ إلى فلانٍ بكذا . وإن كان المتولِّى كتابتَه[7] غيرَ المضافِ إليه الكتابُ ، إذا كان الكاتبُ كَتَبه بأمرِ المضافِ إليه الكتابُ ، فأَعْلَم ربُّنا جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ . عبادَه المؤمنين أن أحبارَ اليهودِ تَلِى كتابةَ الكذبِ والفِرْيةِ على اللَّهِ بأيديهم على عِلْمٍ منهم وعَمْدٍ للكَذِبِ على اللَّهِ ، ثم تَنْحَلُه[8] إلى أنه من عندِ اللَّهِ وفى كتابِ اللَّهِ جلَّ

(١) تقدم تخريجه فى ص ١٦٤ .

(٢) فى م : « لانماعت » ، وأماع وانماع : ذاب وسال . اللسان (م ى ع) .

(٣) ابن المبارك فى الزهد (٣٣٢ - زوائد نعيم بن حماد) ، وابن أبى الدنيا فى صفة النار (٣٢) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٣/١ (٨٠٠) ، والبيهقى فى البعث والنشور (٥١٦) ، من طريق سعيد بن أبى أيوب به .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى م : « تكون الكتابة » .

(٦) فى م : « المخاطب » .

(٧) بعده فى م : « بيده » .

(٨) نحله القول ينحله : نسبه إليه . اللسان (ن ح ل) .

وعزَّ، تَكَذُّبًا على اللَّهِ وافتراءً عليه، فنفى اللَّهُ بقولِه: ﴿ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ . أن يكونَ وَلِيَ كتابةَ ذلك بعضُ جُهّالِهم بأمرِ علمائِهم وأحبارِهم . وذلك نظيرُ قولِ القائلِ : باعنى فلانٌ عينُه كذا[1] ، واشترى فلانٌ نفسُه كذا . يرادُ بإدخالِ النفسِ والعينِ فى ذلك نَفْىُ اللَّبْسِ عن سامعِه أن يكونَ المتولِّى بيعَ ذلك أو شراءَه غيرَ الموصوفِ به بأمرِه ، ويُوجِبُ حقيقةَ الفعلِ للمُخْبَرِ عنه ، فكذلك قولُه : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ . أى : فالعذابُ فى الوادِى السائلِ من صديدِ أهلِ النارِ فى أسفلِ جهنمَ لهم . يعنى : للذين كتبوا الكتابَ الذى وصَفْنا أمْرَه من يهودِ بنى إسرائيلَ محرَّفًا ، ثم قالوا : هذا من عندِ اللَّهِ . ابتغاءَ عَرَضٍ من الدنيا[2] قليلٍ ممن يبتاعُه منهم .

وقولُه : ﴿ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ . يقولُ : من الذى كَتَبَتْ أيديهم من ذلك ، ﴿ وَوَيْلٌ لَّهُم ﴾ أيضًا ﴿ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ يعنى : مما يعمَلون من الخطايا ، ويجترِحُون من الآثامِ ، ويَكْسِبون من الحرامِ ، بكتابِهم الذى يَكْتُبونه بأيديهم بخلافِ ما أَنزَل اللَّهُ ، ثم يَأْكُلون ثمنَه وقد باعُوه ممن باعُوه منهم[3] على أنه من كتابِ اللَّهِ .

كما **حدثنى** المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : حدثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى

---

(١) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « وكذا » .

(٢) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « به » .

(٣) فى الأصل : « به » .

العاليةِ : ﴿ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ : يعنى من الخطيئةِ[1] .

حدثنا أبو كريبٍ ، [٣/٢٤ظ] قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم ﴾ يقولُ : فالعذابُ عليهم . قال : يقولُ : من الذى كَتبوا بأيديهم من ذلك الكذبِ[2] ، ﴿ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ يقولُ : مما يأكُلون به الناسَ[3] السَّفِلةَ وغيرَهم[4] .

وأصلُ « الكَسْبِ » العملُ ، فكلُّ عاملٍ عملًا بمباشرةٍ منه لما عَمِل ، ومعاناةٍ باحترافٍ ، فهو كاسبٌ لما عَمِل ، كما قال لبيدُ بنُ ربيعةَ[5] :

لِـمُعَفَّرٍ[6] قَهْدٍ[7] تنازَعَ شِلْوَه[8] غُبْسٌ[9] كَواسِبُ لا يُمَنُّ طَعامُها

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ : اليهودُ . يقولُ : وقالتِ اليهودُ : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ ﴾ . يَعنى : لن تُلاقِيَ أجسامَنا / النارُ ، ولن ندْخُلَها إلا أيامًا معدودةً . ٣٨١/١

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٥ (٨١٢) من طريق آدم به .

(٢) فى ت ٢: « الكتب » .

(٣) سقط من : ت ١ ، ت ٢، ت ٣، وفى م : « من » .

(٤) ذكره ابن كثير فى التفسير ١/١٦٩ عن الضحاك عن ابن عباس . وقد تقدم هذا الأثر مختصرًا فى ص ١٦٣.

(٥) شرح ديوان لبيد ص ٣٠٨.

(٦) المعفر : الممرغ فى التراب . اللسان (ع ف ر) .

(٧) القهد : ضرب من الضأن . اللسان (ق هـ د) .

(٨) شلو الحيوان : عضده ، وشلو الشيء : بقيته . اللسان (ش ل و) .

(٩) الغبس والغبسة : لون الرماد ، وهو بياض فيه كدرة . اللسان (غ ب س) .

وإنما قيل : « معدودة » . وإن لم يكن مُبَيَّنًا عددُها فى التنزيلِ ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أخبرَ عنهم بذلك وهم عارفون عددَ الأيامِ التى يُوَقِّتونها لمُكْثِهم فى النارِ ، فلذلك ترَك ذِكْرَ تسميةِ عددِ تلك الأيامِ ، وسمَّاها معدودةً لِما وصَفنا .

ثم اختَلَف أهلُ التأويلِ فى مبلغِ الأيامِ المعدودةِ التى عنَتْها[(1)] اليهودُ القائلون ما أخبرَ اللَّهُ عنهم مِن ذلك ؛ فقال بعضُهم بما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاك ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ . [(2)]قالوا : هى أربعون يومًا لأمْرٍ عُذِّبوا فيه ، ثم لا يُصيبُنا بعدها عذابٌ .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدثنا يزيدُ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾[(2)] : قال ذلك أعداءُ اللَّهِ اليهودُ ، قالوا[(3)] : لن يُدْخِلَنا اللَّهُ[(3)] النارَ إلا تَحِلَّةَ القَسَمِ ؛ الأيامَ التى أَصَبْنا فيها العِجْلَ أربعينَ ليلةً[(4)] ، فإذا تَقضَّت عنَّا تلك الأيامُ ، انقَطع عنَّا العذابُ والقَسَمُ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ . قالوا : أيامًا معدودةً ؛ ما أصبْنا فى العِجْلِ[(5)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) فى م : « عينها » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) زيادة من : م .

(٤) فى م : « يوما » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ٥١/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٦/١ (٨١٦) عن الحسن بن يحيى به .

السُّدىِّ : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ . قال : قالتِ اليهودُ : إن اللَّهَ يُدْخِلُنا النارَ فنَمْكُثُ فيها أربعين ليلةً ، حتى إذا أكلتِ النارُ خطايانا واستنقَيْنا[١] ، نادَى مُنادٍ : أَخْرِجوا كلَّ مختونٍ مِن وَلَدِ[٢] إسرائيلَ . فلذلك أُمِرْنا أن نَخْتَتِنَ . قالوا : فلا يَدَعون فى النارِ منا أحدًا إلا أخرَجوه .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا [٣/٢٥و] آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، قال : قالتِ اليهودُ : إن ربَّنا عتَب علينا فى أمْرٍ[٣] ، فأقسم ليُعذِّبنَّا أربعين ليلةً ، ثم يُخْرِجَنا . فأكذَبهم اللَّهُ جلّ ثناؤه .

حدثنى المُثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن قتادةَ ، قال : قالت اليهودُ : لن نَدْخُلَ النارَ إلا تَحِلَّةَ القَسَمِ ، عَدَدَ الأيامِ التى عبَدْنا فيها العِجْلَ[٤] .

حدثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمِّى ، قال : حدثنى أبِى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ الآية . قال ابنُ عباسٍ : ذُكِر أن اليهودَ وجَدوا فى التوراةِ مكتوبًا : إن ما بينَ طَرَفَىْ جهنمَ مسيرةُ أربعين سنةً ، إلى أن يُنْتهَى إلى شجرةِ الزَّقُّومِ نابتًا فى أصلِ الجحيمِ - وكان ابنُ عباسٍ يقولُ : إن الجحيمَ سَقَرُ ، وفيها شجرةُ الزَّقُّومِ - فزَعَم أعداءُ اللَّهِ أنه إذا خلَا العددُ الذى وَجَدُوا فى كتابِهم أيامًا معدودةً - وإنما يعنى بذلك المسيرَ الذى

---

(١) فى م : « استنقتنا » ، وفى ت ٢: « استيقنا » .

(٢) بعده فى م : « بنى » .

(٣) فى م : « أمرنا » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٧ (٨١٨) ، من طريق آدم به مطولًا . وسيأتى الأثر بتمامه فى ص ١٧٦، ١٧٧.

ينتهى إلى أصلِ الجحيم - فقالوا : إذا خلا العددُ انقضَى[(١)] الأجلُ ، فلا عذابَ وتَذْهَبُ جهنَّمُ وتَهْلِكُ . فذلك قولُه : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ . يَعْنُون بذلك الأَجَلَ ، فقال ابنُ عباسٍ : لمَّا اقْتَحموا مِن بابِ جهنَّمَ ساروا فى العذابِ حتى انتهَوْا إلى شجرةِ الزَّقُّومِ آخرَ يوم مِن الأيامِ المعدودةِ ، [(٢)]وهى الأربعون سنةً ، فلما أكلوا من شجرةِ الزَّقُّومِ وملئوا منها البطونَ آخِرَ يومٍ من الأيامِ المعدودةِ[(٢)] ، قال لهم خُزَّانُ سَقَرَ : زعمتُم أنكم لن تَمَسَّكم النارُ إلَّا أيامًا معدودةً ، فقد خلا العددُ وأنتم فى الأَبَدِ ، فأخذ بهم فى الصَّعودِ فى جهنَّم يُرْهَقون[(٣)] .

/ حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ : [(٢)]فإنَّهم اليهودُ قالوا : لن تمسنا النار[(٢)] إلَّا أربعين ليلةً[(٤)] . ٣٨٢/١

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا حَفْصُ بنُ عمرَ ، عن الحكَمِ بنِ أَبانٍ ، عن عكرمةَ ، قال : خاصَمَت اليهودُ رسولَ اللَّه ﷺ فقالوا : لن نَدْخُلَ النارَ إلَّا أربعين ليلةً ، وسَيَخْلُفُنا فيها قومٌ آخَرون - يعنون محمدًا ﷺ وأصحابَه - فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِه على رءوسِهم : « بل أَنْتُمْ فيها خالدونَ ، لا يَخْلُفُكم إليها[(٥)] أَحَدٌ » . فأنزَل اللَّهُ جلَّ ثناؤه : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾[(٦)] الآية .

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « انتهى » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) فى ت ٢، ت ٣: « يزهقون » .

والأثر ذكره ابن رجب فى التخويف من النار ص ٨١ عن العوفى عن ابن عباس وعزاه إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٦ (٨١٧) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ١٧ من طريق الضحاك ، عن ابن عباس ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٨٤ إلى ابن المنذر .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٦٩.

(٥) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فيها » .

(٦) إسناده ضعيف مرسل . أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٦ (٨١٥) من طريق حفص به ، والأثر =

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جرَيْجٍ ، قال : أخبَرنى الحكَمُ بنُ أبانٍ ، عن عكرمةَ ، قال : اجتمعَتْ يهودُ يومًا تُخاصِمُ النبيَّ ﷺ فقالوا : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ﴾[1] ؛ أربعين يومًا ثم يَخلُفُنا أو يَلْحقُنا فيها أُناسٌ . فأشاروا إلى النبيِّ ﷺ وأصحابِه ، فقال النبيُّ : « كَذَبْتم بل أنتم فيها خالِدُونَ مُخَلَّدُونَ ، لا نَلْحقُكم أو[2] نَخْلُفُكم فيها إن شاء اللَّهُ أبَدًا » .

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : حدثنا [٢٥/٣ظ] علىُّ بنُ مَعْبَدٍ ، عن أبى معاويةَ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضَّحَّاكِ فى قوله : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ﴾ قال : قالت اليهودُ : لا نُعَذَّبُ فى النارِ يومَ القيامةِ إلَّا أربعين يومًا مِقْدارَ ما عبَدنا العِجْلَ .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : حدَّثنى أبى ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لهم : « أَنْشُدُكم باللَّهِ وبالتَّوْرَاةِ التى أنْزَلَها اللَّهُ على مُوسَى يَوْمَ طُورِ سَيْناءَ ، مَن أهْلُ النَّارِ الذين أنْزَلَهمُ اللَّهُ في التَّوْراةِ ؟ » قالوا : إن ربَّهم غضِب عليهم غَضْبَةً ، فَنَمْكُثُ فى النارِ أربعين ليلةً ، ثم نَخْرُجُ فتَخْلُفونَنا فيها . فقال النبيُّ ﷺ : « كَذَبْتم واللَّهِ لا نَخْلُفُكم فيها أبَدًا » . فنزَل القرآنُ تصديقًا لقولِ النبيِّ ﷺ وتكذيبًا لهم : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا ﴾ . إلى قولِه : ﴿ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3] .

= عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٤/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(١) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « سموا » .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « ولا » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٤/١ إلى المصنف .

وقال آخَرون فى ذلك بما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، قال : ثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كانت يهودُ يقولون : إنما هذه[(١)] الدنيا سبعةُ آلافِ سنةٍ ، وإنما يُعَذَّبُ الناسُ يومَ القيامةِ بِكُلِّ أَلفِ سَنَةٍ من أيامِ الدنيا يومًا واحدًا مِن أيامِ الآخرةِ ، [(٢)]وإنما هى[(٢)] سبعةُ أيامٍ . فأنزَل اللَّهُ فى ذلك من قولِهم : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ الآية .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ويهودُ تقولُ : /إنما مدَّةُ الدنيا سبعةُ آلافِ سنةٍ ، وإنما يُعَذَّبُ الناسُ فى النارِ بكلِّ ألفِ سنةٍ مِن أيامِ الدنيا يومًا واحدًا فى النارِ من أيامِ الآخرةِ ، فإنَّما هى سَبْعةُ أيَّامٍ ، ثم يَنْقَطِعُ العذابُ . فأنزَلَ اللَّهُ عزّ وجل فى ذلك مِن قولِهم : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ الآية[(٣)] . ٣٨٣/١

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ قال : كانت تقولُ : إنما الدنيا سبعةُ آلافِ سنةٍ ، فإنما نُعَذَّبُ مكانَ كلِّ ألفِ سنةٍ يومًا[(٤)] .

---

(١) فى م : « مدة » .

(٢ - ٢) فى م : « وإنها » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣٨/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٥/١ (٨١٣) من طريق سلمة به . وأخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ١٧ من طريق ابن إسحاق به بدون ذكر سعيد .

وأخرجه الطبرانى فى الكبير (١١١٦٠) من طريق ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق عن سيف بن سليمان عن مجاهد عن ابن عباس .

وسنده ضعيف جدا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٤/١ إلى ابن المنذر .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٠٨ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٤/١ إلى عبد بن حميد .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه ، إلَّا أنه قال : كانت اليهودُ تقولُ : إنما الدنيا . وسائرُ الحديثِ مثلُه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال مجاهدٌ : ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ [٢٦/٣و] إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ : مِن الدهرِ . وسَمَّوْا عدةَ سبعةِ آلافِ سنةٍ ، من كلِّ ألفِ سنةٍ يومًا . يهودُ تقولُه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ .

ولمَّا قالت اليهودُ ما قالتْ مِن قولِها : ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ . على ما قد بيَّنَّا مِن تأويلِ ذلك ، قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ لمعشرِ اليهودِ : ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ (١) بما تقُولُون من أنّ النارَ لن تمسَّنا إلا أيامًا معدودةً ، فلن يُخلفَ اللَّهُ عهدَه . ويعنى بقولِه : ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ (١) : أخَذتُم بما تقولون مِن ذلك مِن اللَّهِ ميثاقًا ، فاللَّهُ لا يَنْقُضُ ميثاقَه ، ولا يُبَدِّلُ وَعْده وَعَقْدَه ، أم تَقُولون عَلَى اللَّهِ الباطِلَ جَهْلًا وجُرْأَةً عليه ؟

كما **حدثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، **وحدثنى** المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال ، ثنا شبلٌ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ . أى : موثقًا من اللَّهِ بذلك أنه كما تقولون(٢) .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن قتادةَ ، قال : قالت

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠٨ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٧/١ (٨١٩) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٥/١ إلى عبد بن حميد .

اليهودُ : لن نَدْخُلَ النارَ إلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ عددَ الأيامِ التى عبَدنا فيها العِجْلَ . فقال اللَّهُ : ﴿ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾ بهذا الذى تقولون ، أَلكُم بهذا حجةٌ وبرهانٌ ، ﴿ فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾ ، فهاتُوا حجَّتَكم وبرهانَكم ، ﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[(١)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما قالت اليهودُ ما قالت ، قال اللَّهُ جلَّ ثناؤه لمحمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ ﴾ . يقولُ : أَدَّخَرْتُم ﴿ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾ . يقولُ : أقلتُم : لا إلهَ إلا اللَّهُ . لم تُشْرِكوا ، ولم تَكْفُروا به ، فإن كُنتُم قُلْتُموها فارْجُوا بها ، وإن كنتم لم تقولوها فَلِمَ تقولون على اللَّهِ ما لاتعلمون ؟ يقولُ : لو كنتم قلتُم : لا إلهَ إلا اللَّهُ . ولم تُشْرِكوا به شيئًا ، ثم مُتُّم على ذلك لكان لكم ذُخْرًا عندى ، ولم أُخْلِفْ وعْدى لكم أنى أُجازِيكم بها[(٢)] .

/حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : لما قالت اليهودُ ما قالتْ ، قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ :﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾ . وقال فى مكانٍ آخرَ : ﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٤] . ثم أخبرَ الخبرَ فقال : ﴿ بَلَىٰ مَن [٢٦/٣ظ] كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ . ٣٨٤/١

وهذه الأقوالُ التى رَوَيْناها عن ابنِ عباسٍ ومجاهدٍ وقتادةَ ، بنحوِ معنى ما قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾ ؛ لأن مما أعطى اللَّهُ عبادَه مِن ميثاقِه أن مَن آمن به وأطاع أمْرَه نجَّاه مِن نارِه يومَ القيامةِ ، ومِن الإيمانِ به الإقرارُ بأن لا إلهَ إلا

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٧/١ (٨١٨) من طريق آدم به ، وتقدم مختصرًا فى ص ١٧٢.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٥/١ إلى المصنف .

اللَّهُ ، وكذلك من ميثاقِه الذى واثَقَهم به ، أن مَن أتاه يومَ القيامةِ بحجَّةٍ تكون له نجاةً مِن النارِ (١) أن يُنْجيَه (١) منها ، فكلُّ ذلك وإن اختَلَفَت ألفاظُ قائليه ، فمتَّفِقُ المعانى على ما قُلنا فيه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ .

وقولُه جلّ ثناؤُه : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ تكذيبٌ من اللَّهِ جلَّ ثناؤُه القائلين من اليهودِ : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ ، وإخبارٌ منه لهم أنه مُعَذِّبٌ (٢) مَن أشرَك وكفَر به وبرسُلِه ، وأحاطتْ به ذنوبُه فمخلِّدُه (٣) فى النارِ ، وأنَّ الجنةَ لا يَسْكُنُها إلا أهلُ الإيمانِ به وبرسلِه ، وأهلُ الطاعةِ له ، والقائمون بحُدودِه .

كما حدثنا محمدُ بنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ بنُ الفضْلِ ، قال : حدثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . أى : من عمِل مثلَ أعمالِكم وكفَر بمثْلِ ما كفرتُم به حتى يُحيطَ كفرُه بما لَه مِن حسنةٍ ، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٤) .

(١ - ١) فى م : « فينجيه » .

(٢) فى م : « يعذب » .

(٣) فى م ، ت ٢ : « فمخلد » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/٥٣٩ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٧، ١٥٨، ١٥٩ (٨٢٢، ٨٢٦، ٨٣٠، ٨٣٢) من طريق سلمة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٨٥ إلى ابن المنذر ، وسيأتى أتم من هذا فى ص ١٨٧.

وأما ﴿ بَلَىٰ ﴾ فإنها إقرارٌ فى كلِّ كلامٍ فى أولِه جَحْدٌ ، كما « نَعَمْ » إقرارٌ فى الاستفهامِ الذى لا جَحْدَ فيه . وأصلُها « بَلْ » التى هى رجوعٌ عن الجَحْدِ المحْضِ فى قولِك : ما قام عمْرٌو ، بل زيدٌ . فزِيدَتْ فيها الياءُ[1] لِيَصْلُحَ عليها الوقوفُ ، إذ كانت[2] عطفًا ورُجوعًا عن الجَحْدِ ، ولتكونَ - أعنى « بَلَى »[3] - رُجوعًا عن الجَحْدِ فقطْ ، وإقرارًا بالفعْلِ الذى بعدَ الجحْدِ ، فدلَّت الياءُ منها على معنى الإقرارِ والإنعامِ[4] ، ودَلَّ لفظُ « بلْ » على الرجوعِ عن الجحدِ .

وأمَّا السيئةُ التى ذكَرها اللَّهُ فى هذا المكانِ فإنها الشِّرْكُ باللَّهِ .

كما **حدَّثنى** محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا يَحْيى بنُ سعيدٍ ، عن سفيانَ ، قال : حدثنى عاصِمٌ ، عن أبى وائلٍ : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ . قال : الشركُ[5] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، **وحدَّثنى** المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، جميعًا عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ : شركًا[6] .

/**حدثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ . قال : أما السيئةُ فالشركُ[6] . ٣٨٥/١

---

(١) يعنى الألف المقصورة أو اللينة ؛ حيث إنها ترسم ياءً .

(٢) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « بل لا يصلح عليها الوقوف ، إذ كانت » .

(٣) فى الأصل : « بَلْ » .

(٤) هو التصديق والإقرار ، من قول القائل : نعم . إذا أقر ما سمع .

(٥) بعده فى م : « بالله » .

والأثر ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٧/١ عقب الأثر (٨٢٣) عن أبى وائل معلقًا .

(٦) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٧/١ عقب الأثر (٨٢٣) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٥/١ إلى عبد بن حميد .

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُالرزاقِ ، قال : أخبرنا معْمرٌ ، عن قتادةَ مثلَه[(١)] .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمْرٌو ، [٢٧/٣و] قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ . قال : أمَّا السيئةُ فهى الذنوبُ التى وعَد اللَّهُ عليها النارَ[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قلتُ لعطاءٍ : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ . قال : الشركُ[(٣)] .

قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال مجاهدٌ : ﴿ سَيِّئَةً ﴾ : شركًا .

حُدِّثْتُ عن عمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ : يعنى الشركَ[(٤)] .

وإنما قلنا : إن السيئةَ التى ذكَرها اللَّهُ عزّ وجلَّ أن من كسَبها وأحاطتْ به ذُنوبُه[(٥)] ، فهو مِن أهلِ النارِ - فى هذا الموضعِ - المخلَّدِينَ فيها ، إنما عنَى جلّ ذكرُه بها بعضَ السيئاتِ دونَ بعضٍ ، وإن كان ظاهرُها فى التلاوةِ عامًّا ؛ أنَّ[(٦)] اللَّهَ قضَى على أهلِها بالخُلودِ فى النارِ . والخلودُ فى النارِ لأهلِ الكفرِ باللَّهِ دونَ أهلِ الإيمانِ به ؛ لتظاهرِ الأخبارِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أن أهلَ الإيمانِ لا يُخَلَّدُون فيها ، وأن الخُلودَ فى النارِ لأهلِ الكفرِ باللَّهِ دونَ أهلِ الإيمانِ به .

وبعدُ ، فإن اللَّهَ جلّ ثناؤه قد قرَن بقولِه : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٥١/١ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٨/١ عقب الأثر (٨٢٤) من طريق عمرو به .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٧/١ عقب الأثر (٨٢٣) معلقًا. وسيأتى مطولًا فى ص ١٨٥.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٧/١ عقب الأثر (٨٢٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) فى م : « خطيئته » .

(٦) فى م ، ت ٢: « لأن » .

بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ[1] فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . قولَه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . فكان معلومًا بذلك أن الَّذين لهم الخلودُ فى النارِ مِن أهلِ السيئاتِ ، غيرُ الذين لهم الخلودُ فى الجَنَّةِ مِن أهلِ الإيمانِ .

فإن ظنَّ ظانٌّ أن الذين لهم الخلودُ فى الجَنَّةِ مِن الذين آمنوا هم الذين عَمِلوا الصالحاتِ دونَ الذين عَمِلوا السيئاتِ ، فإن فى إخْبارِ اللَّهِ تعالى ذكرُه بأنَّه مُكفِّرٌ - باجتنابِنا كبائرَ ما نُنْهى عنه - سيئاتِنا ، ومُدْخِلُنا المُدْخلَ الكريمَ ، ما يُنْبِئُ عن صِحَّةِ ما قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ . وأن ذلك على خاصٍّ من السيئاتِ دون عامِّها .

فإن قال لنا قائلٌ : فإن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه إنما ضمِن لنا تكفيرَ سيئاتِنا باجتنابِنا كبائرَ ما نُنْهَى عنه ، فما الدلالةُ على أن الكبائرَ غيرُ داخلةٍ فى قولِه : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ ؟

قيل : لمَّا صحَّ مِن أن الصغائرَ غيرُ داخلةٍ فيه ، وأن المَعْنيَّ بالآيةِ خاصٌّ دونَ عامٍّ ، ثبَت وصحَّ أن القضاءَ والحُكْمَ بها غيرُ جائزٍ لأحدٍ على أحدٍ إلَّا على من وَقَفه[2] اللَّهُ عليه بدَلالَةٍ مِن خبرٍ قاطعٍ عُذْرَ مَن بلَغه ، وقد ثبَت وصحَّ أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قد عنَى بذلك أهلَ الشركِ والكفرِ به بشهادةِ جميعِ الأمةِ ، فوجب بذلك القضاءُ على أن أهلَ الشركِ والكفرِ ممَّن عناه اللَّهُ بالآيةِ ، فأمَّا أهلُ الكبائرِ فإن الأخبارَ القاطعةَ عُذْرَ مَن بلَغته قد تظاهرتْ عندَنا بأنهم غيرُ مَعْنيِّينَ بها ، ومَنْ أنكر ذلك ممَّن دافَع حُجَّةَ الأخبارِ المُستَفِيضةِ والأنباءِ المتَظاهِرةِ ، فاللازِمُ له تَرْكُ قَطْعِ /الشهادةِ على أهلِ الكبائرِ بالخُلودِ ٣٨٦/١ فى النارِ بهذه [٢٧/٣ظ] الآيةِ ونظائرِها التى جاءتْ بعُمومِهم فى الوعيدِ ؛ إذ كان تأويلُ القرآنِ غيرَ مُدْرَكٍ إلَّا ببيانِ مَن جعَل اللَّهُ إليه بيانَ القرآنِ ، وكانت الآيةُ فيها تأتى

(١) فى الأصل : « خطيئاته » . وهى قراءة نافع ، وقرأ الباقون بالإفراد . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٢.
(٢) فى الأصل : « وقف » .

عامًّا فى صِنْفٍ ظاهرُها ، وهى خاصٌّ فى ذلك الصنفِ باطنُها .

ويُسأَلُ مدافِعو هذا الخبرِ بأن أهلَ الكبائرِ مِن أهلِ الاستثناءِ سؤالَنا مُنْكِرِى[1] رجمِ الزانى المحصَنِ ، وزوالِ فرضِ الصلاةِ عن الحائضِ فى حالِ الحيضِ ، فإن السؤالَ عليهم نظيرُ السؤالِ على أُولاءِ[2] سواءً .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ .

يعنى بقولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ : اجْتَمَعتْ عليه فمات عليها قبلَ الإنابةِ والتوبةِ منها . وأصلُ الإحاطةِ بالشىءِ الإحداقُ به ، بمنزلةِ الحائطِ الذى تُحاط به الدارُ فتُحْدِقُ به ، ومنه قولُ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ ﴾ [الكهف : ٢٩] .

فتأويلُ الآيةِ إذن : مَن أشرَكَ باللَّهِ واقترَف ذنوبًا جَمَّةً فمات عليها قبلَ الإنابةِ والتوبةِ ، فأولئك أصحابُ النارِ هم مُخَلَّدون فيها أبدًا .

وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ ذلك قاله الْمُتأَوِّلون .

ذكرُ مَن قال ذلك منهم

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابنُ يَمانٍ ، عن سفيانَ ، عن الأعْمَشِ ، [3]عن أبى رَزِينٍ[3] : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : مات بذَنْبِه[4] .

[5]حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : حَدَّثنا جابرُ بنُ نوحٍ ، قال : حَدَّثنا الأعمشُ ، عن أبى رَزِينٍ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : مات بذنبِه[5] .

---

(١) فى م : « منكر » .

(٢) فى م : « هؤلاء » .

(٣ - ٣) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عن أبى روق » ، وفى م : « عن أبى روق ، عن الضحاك » .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٨ عقب الأثر (٨٢٨) معلقًا .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت٢ ، ت ٣ .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا جابرُ بنُ نوحٍ ، قال : ثنا الأعمشُ ، عن أبي رَزينٍ ، عن الرَّبيعِ بنِ خُثَيْمٍ : ﴿ وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : فمات عليها[1] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثني ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : يُحِيطُ كفْرُه بما لَه مِن حسنةٍ[2] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : [(٣)(٤)] ما وعَد اللَّهُ عليه النارَ[(٥)] .

حدَّثنا المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال[(٤)] : ما أَوْجب اللَّهُ فيه النارَ .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ،قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال[(٣)] : أمَّا الخطيئةُ فالكبيرةُ المُوجِبةُ[(٦)] .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٣٩٧، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٥٨ (٨٢٨) من طريق الأعمش به نحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٨٥ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٥٨ (٨٢٦) من طريق سلمة به . وينظر ص ١٧٨ .

(٣ - ٣) سقط من : ت ١، ت ٢.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت٣ .

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٥٩ عقب الأثر (٨٢٩) معلقًا ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٨٥ إلى عبد بن حميد ، وهو في تفسير مجاهد ص ٢٠٨ بلفظ : الخطيئة يعني ما يعذب الله عليها.

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٥٩ عقب الأثر (٨٢٩) معلقًا ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٨٥ إلى عبد بن حميد .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، (١) قال : أخبرَنا معمرٌ (١) ، عن قتادةَ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : الخطيئةُ الكبائرُ (٢) .

حدَّثنى المُثنى [٣/ ٢٨و] ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا وكيعٌ ويحيى بنُ آدَمَ ، عن سَلَّامِ بنِ مِسْكِينٍ ، قال : سأل رَجلٌ الحسَنَ عن قولِه : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . فقال : ما تَدْرِى ما الخطيئةُ يابُنَىَّ ، اتْلُ القرآنَ ، فكلُّ آيةٍ وعَد اللَّهُ عليها النارَ فهى الخطيئةُ (٣) .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوَازِىُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزبَيْرِىُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن / مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : كلُّ ذنبٍ مُحيطٍ فهو ما أوْعَد (٤) اللَّهُ عليه النارَ (٥) .

١/٣٨٧

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن الأعْمَشِ ، عن أبى رَزِينٍ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : مات بخطيئتِه .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : ثنا الأعمشُ ، قال : ثنا مسعودٌ أبو رَزِينٍ ، عن الربيعِ بنِ خُثَيْمٍ (٦) فى قولِه : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : هو الذى

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥١.

(٣) فى الأصل : « المحيطة » .

(٤) فى م ، ت١ ، ت٢ : « وعد » .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٥٩ عقب الأثر (٨٢٩) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٨٥ إلى وكيع .

(٦) فى م : « خيثم » .

يموتُ على خطيئتِه قبلَ أن يتوبَ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : قال وكيعٌ : سمِعْتُ الأعمشَ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ : مات بذُنُوبِه[(١)] .

حُدِّثْتُ عن عمَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ : الكبيرةُ المُوجبةُ[(٢)] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمْرُو بنُ حمَّادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ : فمات ولم يَتُبْ[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجّاجٌ[(٤)] ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قلتُ لعطاءٍ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : الشركُ . ثم تلا : ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ ﴾ [النمل: ٩٠] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جَلَّ ثناؤُه : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه : فأولئك الذين كسَبُوا السّيئاتِ وأحاطَت بهم خَطِيئَاتُهم أصحابُ النارِ[(٥)] .

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٨ عقب الأثر (٨٢٨) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٨٥ إلى وكيع .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٩ عقب الأثر (٨٢٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٨ عقب الأثر (٨٢٨) من طريق عمرو به .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « حسان » .

(٥) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « هم فيها خالدون » .

ويعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ ﴾ : أهلُ النارِ . وإنما جعَلهم لها أصحابًا ؛ لإيثارِهم - كان فى حياتِهم الدنيا - مِن الأعمالِ ما يُورِدُهُموها ، ويُصْلِيهم[1] سعيرَها ، على الأعمالِ التى تُورِدُهم الجنةَ، فجعَلهم جلَّ ذكرُه بإيثارِهم أسبابَها على أسبابِ الجنةِ لها أصحابًا ، كصاحبِ الرجلِ الذى يَصْحَبُه ، مُؤْثِرًا صُحْبتَه على صحبةِ غيرِه حتى يُعْرَفَ به .

﴿ هُمْ فِيهَا ﴾ . [٢٨/٣ظ] يعنى : هم فى النارِ خالدون . ويعنى بقوله : ﴿ خَٰلِدُونَ ﴾ : مقيمون أبدًا[2] .

كما حدَّثنا محمدُ بنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : [3]حدثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال[3] : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . أى : خالدون أبدًا[4] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمْرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ : لايَخْرُجون منها أبدًا[5] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٨٢) ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ . أى : صدَّقوا بما جاء به محمدٌ ﷺ . ويعنى بقولِه : ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ : أطاعوا اللَّهَ فأقامُوا حدودَه ،

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يوردهم » .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٩ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٩/١ (٨٣٠) من طريق سلمة به . وينظر ص ١٧٨ .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٩/١ عقب الأثر (٨٣٠) من طريق عمرو به .

وأدَّوْا فرائضَه ، واجْتَنَبوا محارمَه . ويعنى بقولِه / : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الذين هم كذلك ، ٣٨٨/١
﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ . يعنى : أهلُها الذين هم أهلُها ، ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ مقيمون أبدًا .

وإنما هذه الآيةُ والتى قبلَها إخبارٌ مِن اللَّهِ عبادَه عن بقاءِ النارِ وبقاءِ أهلِها فيها ، (١) وبقاءِ الجَنَّةِ وبقاءِ أهلِها فيها (١) ، ودوامِ ما أَعَدَّ (١) اللَّهُ عز وجل (١) فى كلِّ واحدةٍ منهما لأهلِها ، تكذيبًا مِن اللَّهِ القائلين مِن يهودِ بنى إسرائيلَ أن النارَ لن تَمَسَّهم إلَّا أيامًا معدودةً ، وأنَّهم صائرون بعدَ ذلك إلى الجَنَّةِ . فأخبرَهم بخلودِ كُفَّارِهم فى النارِ وخلودِ مؤمنيهم فى الجَنَّةِ .

كما **حدَّثنا** ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾. أى : مَن آمَن بما كفَرتم به وعمِل بما تركتُم مِن دينِه ، فلهم الجنةُ خالدين فيها ، يُخْبِرُهم أن الثوابَ بالخيرِ والشرِّ مقيمٌ على أهلِه أبدًا ، لا انقطاعَ له أبدًا (٢) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ : محمدٌ عليه السلامُ وأصحابُه ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٥٣٩/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٩/١ (٨٣٢) من طريق سلمة به . وتقدم أوله فى ص ١٧٨.

قد دلَّلْنا فيما مضَى مِن كتابِنا هذا على أن الميثاقَ « مِفْعَالٌ » ، مِن التوثُّقِ باليمينِ [٣/ ٢٩و] ونحوِها مِن الأمورِ التى تُؤكدُ القولَ[(١)] .

فمعنى الكلامِ إذن : واذكُروا أيضًا يا معشرَ بنى إسرائيلَ إذ أخذْنا ميثاقَكم لا تعبُدون إلَّا اللَّهَ .

كما حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بن جُبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ . أى : ميثاقَكم ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[(٢)] .

والقَرَأَةُ مختلِفةٌ فى قراءةِ قولِه : ﴿ لَا تَعْبُدُونَ ﴾ ؛ فبعضُهم يَقْرَؤُها بالتاءِ ، وبعضُهم يَقْرَؤُها بالياءِ[(٣)] ، والمعنى فى ذلك واحدٌ ، وإنما جازت القراءةُ بالياءِ والتاءِ ، وأن يُقالَ : ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ ، و (لا يَعْبُدون) . وهم غَيَبٌ[(٤)] ؛ لأن أخْذَ الميثاقِ بمعنى الاستحلافِ . فكما تقولُ : استَحْلَفْتُ أخاكَ لَيقومَنَّ . فَتُخْبِرُ عنه خبَرَكَ عن الغائبِ لغَيبتِهِ عنك ، وتقولُ : استَحْلفتُه لَتقُومَنَّ . فَتُخْبِرُ عنه خبرَكَ عن المخاطَبِ ؛ لأنك قد كنتَ خاطبتَه بذلك ، فيكونُ ذلك صحيحًا جائزًا . فكذلك قولُه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ ﴾ . و (لا يَعْبُدون) . مَن قرَأ ذلك بالتاءِ ، فبمعنى[(٥)] الخطابِ ، إذ كان الخطابُ قد كان بذلك ، / ومَن قرَأ بالياءِ فلأنهم [(٦)]كانوا غيرَ[(٦)] مخاطَبين بذلك فى وقتِ الخبرِ عنهم .

١/ ٣٨٩

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/ ٤٣٩ ، ٢/ ٤٦.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٥٩ (٨٣٣) من طريق سلمة به .

(٣) قرأ بالتاء نافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر ، وقرأ بالياء ابن كثير وحمزة والكسائى . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١٦٢.

(٤) ضبطها فى الأصل بفتح الياء ، اسم جمع ، ويجمع أيضا « غُيَّب وغُيَّاب » . ينظر التاج (غ ى ب) .

(٥) فى م : « فمعنى » .

(٦ - ٦) فى م : « ما كانوا » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « كانوا » .

وأمّا رفعُ (لايَعبدون[1]) . فبالياءِ[2] التى فى (يَعبدون[1]) . [3]ولم تُنْصَبْ[3] بـ « أن » التى كانت تَصْلُحُ أن تَدْخُلَ معَ : (لا يَعبدُونَ[1] إلّا اللَّهَ) . لأنها إذا صَلَحَ دخولُها على فعْلٍ فحُذِفت ولم تَدْخُلْ ، كان وجهُ الكلامِ فيه الرفعَ ؛ كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ[4] أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤] . فرُفِع ﴿ أَعْبُدُ﴾ - إذ لم تَدْخُلْ فيها « أن » - بالألِفِ الدَّالَّةِ على مَعْنى الاستِقْبالِ ، وكما قال الشاعرُ[5] :

أَلا أَيُّهذا الزَّاجِرِى أَحْضُرُ الوَغَى وأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هل أنتَ مُخْلِدِى

فرفَع « أَحْضُرُ » - وإن كان يصلُح دخولُ « أَنْ » فيها ، إذ حُذِفت - بالألفِ التى تأتى بمعنى الاستقبالِ .

وإنما صلَح حذْفُ « أن » مِن قولِه : (وإذ أخَذْنا ميثاقَ بنى إسرائيلَ لا يعْبدُونَ) . لدلالةِ ما ظهَر مِن الكلامِ عليها ، فاكْتُفِى بدلالةِ الظاهرِ عليها منها .

وقد كان بعضُ نحْويِّى أهلِ البصرةِ يقولُ : معنى قولِه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ حكايةٌ ؛ كأنك قلتَ : استحلفْناهم لا تعبدون . أى : قلنا لهم : واللَّهِ لا تَعبُدون . أو قالوا : واللَّهِ لا يَعبُدون .

والذى قال مِن ذلك قريبٌ معناه مِن معنى القولِ الذى قلناه فى ذلك .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تعبدون » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فبالتاء » .

(٣ - ٣) فى م : « ولا ينصب » .

(٤) فى الأصل : « تأمرونني » . وهى قراءة ابن عامر . ينظر حجة القراءات ص ٦٢٥ .

(٥) هو طرفة بن العبد ، والبيت فى ديوانه ص ٣١ .

[٢٩/٣ظ] وبنحوِ التأويلِ الذي قُلْنا في قولِه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ تأوَّله أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من تأوَّل ذلك كذلك

حدَّثنى المثنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : أَخَذ مواثيقَهم أن يُخْلِصوا له وألا يعبُدوا غيرَه[١] .

حدَّثنا المُثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ . قال : أخذْنا ميثاقَهم أن يُخْلِصوا للَّهِ وألا يعبُدوا غيرَه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ . قال : المِيثاقُ الذى أَخَذ عليهم فى « المائدةِ »[٢] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ .

وقولُه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ . عطفٌ على موضعِ « أن » المحذوفةِ فى ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ . فكأنَّ معنى الكلامِ : وإذ أخَذْنا ميثاقَ بنى إسرائيلَ بأن لا تعبُدوا إلا اللَّهَ وبالولدين إحسانًا . فرُفِع ﴿ لَا تَعْبُدُونَ ﴾ لمَّا حُذِفت « أن » ، ثم عُطِف ﴿ بِٱلْوَٰلِدَيْنِ ﴾ على موضعِها ، كما قال الشاعرُ[٣] :

مُعَاوِىَ إنَّنا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ   فَلَسْنا بالجبالِ ولا الحَدِيدا

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٦٠ (٨٣٤) من طريق آدم به بنحوه .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٦٠ (٨٣٥) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج .

(٣) قيل : عقيبة بن هبيرة ، وقيل : عبد الله بن الزَّبير الأسدى ، وقيل : عمر بن أبى ربيعة . ينظر الأزمنة والأمكنة ٢/ ٣١٧، والخزانة ٢/ ٢٦٠، وديوان عبد الله بن الزبير (مجموع) ص ١٤٥، وتنظر حاشيته .

فنصَب « الحديدَ » على العطفِ به على موضعِ « الجبالِ » ؛ لأنها لو لم تكن فيها باءٌ خافضةٌ كانت نصبًا ، فعطَف بـ « الحديدِ » على موضعِ[1] « الجبالِ » لا على لفظِها ، فكذلك ما وصَفتُ مِن قولِه : ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ .

وأمَّا « الإحسانُ » فمنصوبٌ بفعلٍ مُضْمَرٍ يؤدِّى عن[2] معناه قولُه: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[3] . إذ كان مفهومًا معناه ، فكأنَّ معنى الكلامِ لو أُظْهِر / المحذوفُ : وإذ أخَذْنا ميثاقَ بنى إسرائيلَ بأن لاتعبُدوا إلَّا اللَّهَ ، وبأن تُحْسِنوا إلى الوالدينِ إحسانًا . فاكْتُفِى [٣/٣٠و] بقَولِه : ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ من أن يقالَ : وبأن تُحْسِنُوا إلى الوالِدَيْن إحْسَانًا ؛ إذ كان مفهومًا أن ذلك معناه بما ظهَر مِن الكلامِ . ١/٣٩٠

وقد زعم بعضُ أهلِ العربيةِ فى ذلك أن معناه : وبالوالدين فأحسِنوا إحسانًا . فجعَل الباءَ التى فى « الوالِدَين » من صلةِ « الإحسانِ » مقدَّمةً عَليه .

وقال آخَرون : بل معنى ذلك : ألا تعبُدوا إلَّا اللَّهَ ، وأحْسِنوا بالوالدينِ إحسانًا . فزعَموا أن الباءَ التى فى « الوالدينِ » مِن صلةِ المحذوفِ ، أعنى مِن[2] « أَحْسِنوا » ، فجعَلوا ذلك مِن كلامينِ . وإنما يُصْرَفُ الكلامُ إلى ما ادَّعَوْا مِن ذلك إذا لم يُوجَدْ لاتِّساقِ الكلامِ على كلامٍ واحدٍ وجْهٌ . فأمَّا وللكلامِ وجْهٌ مفهومٌ على اتِّساقِ[4] على كلامٍ واحدٍ ، فلا وجهَ لصرفِه إلى كلامينِ . وأَخرَى[5] أن القولَ فى ذلك لو كان على ما قالوا القيل : وإلى الوالدَيْن إحسانًا . لأنه إنما يقالُ : أحسَنَ فلانٌ إلى والديْه . ولا يقالُ :

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « معنى » .

(٢) سقط من : م .

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٤) فى م : « اتساقه » .

(٥) فى م : « أخرى » .

أحسَن بوالديه . إلا على استكراهٍ للكلامِ ، ولكنِ القولُ فيه ما قلنا ، وهو : وإذ أخذْنا ميثاقَ بنى إسرائيلَ بكذا وبالوالدينِ إحسانًا . على ما بيَّنَّا قبلُ ، فيكونُ « الإحسانُ » حينَئذٍ مصدرًا مِن معنى[1] الكلامِ لا مِن لفظِه ، كما قد بيَّنَّا فيما مضَى مِن نظائرِه[2] .

فإن قال قائلٌ : وما ذلك الإحسانُ الذى أخَذ عليهم بالوالدين الميثاقَ ؟

قيل : نظيرُ ما فرَض اللَّهُ على أُمَّتِنا لهما مِن فعْلِ المعروفِ بهما ، والقولِ الجميلِ ، وخفْضِ جَناحِ الذُّلِّ رحمةً بهما ، والتَّحَنُّنِ عليهما ، والرأفةِ بهما ، والدعاءِ بالخيرِ لهما ، وما أشبهَ ذلك مِن الأفعالِ التى ندَبَ اللَّهُ جلَّ وعزَّ عبادَه أن يفعَلوا بهما .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ : وبذى القُربى أن يصلُوا قرابتَه منهم ورحمَه .

و « القُرْبَى » مصدرٌ على تقديرِ « فُعْلَى » ، من قولِك : قرُبتْ منِّى رَحِمُ فلانٍ قرابةً وقُرْبى [3]وقُربةً[3] وقُرْبًا . بمعنًى واحدٍ .

وأمَّا « اليتامى » فهو جمعُ يتيمٍ ، مثلُ أسيرٍ وأَسارى ، ويَدْخُلُ فى اليتامى الذكورُ منهم والإناثُ .

فمَعنى ذلك : وإذ أخذْنا ميثاقَ بنى إسرائيلَ بأن لا تعبُدوا إلَّا اللَّهَ وحدَه دونَ مَا[4] سواه مِن الأندادِ ، وبالوالدين إحسانًا ، وبذى القُرْبَى ؛ أن تَصِلوا رَحمَه ، وتَعْرِفُوا حَقَّه ، وباليتامى ؛ أن تَتَعَطَّفوا عليهم بالرحمةِ والرأفةِ ، وبالمساكينِ ؛ أن

---

(١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ١٣٧ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « من » .

تُؤْتُوهم حقوقَهم التى ألزمَها [٣/٣٠ظ] اللَّهُ عزَّ وجلَّ أموالَكم .

و « المسكينُ » هو المُتَخَشِّعُ المُتَذَلِّلُ مِن الفاقةِ والحاجةِ ، وهو « مِفْعِيلٌ » مِن المَسْكَنةِ ، والمسكنةُ هى ذُلُّ الحاجةِ والفاقةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ .

إن قال لنا قائلٌ : كَيف قيل : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ . فأُخْرِج الكلامُ أمرًا ولمَّا يَتَقَدَّمْه أمرٌ ، بل الكلامُ جارٍ مِن أوَّلِ الآيةِ مَجْرَى الخبرِ ؟

قيل : إن الكلامَ وإن كان قد جرَى فى أولِ الآيةِ مَجْرَى الخبرِ ، فإنه مِمَّا يَحْسُنُ فى موضعِهِ الخطابُ بالأمرِ والنهيِ ، فلو كان مكانَ ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ ، « لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ » . على وجْهِ النهيِ مِن اللَّهِ لهم عن عبادةِ غيرِه - كان حسنًا صوابًا ، وقد ذُكِر أن ذلك كذلك فى قراءةِ أُبَيِّ بنِ كعبٍ[1] ، وإنما حسُن ذلك وجاز لو كان مقروءًا به ؛ لأن أخذَ الميثاقِ قولٌ ، فكأنَّ[2] معنى الكلامِ - لو كان / مقروءًا كذلك - : وإذ قلنا لبنى إسرائيلَ : لا تعبُدوا إلا اللَّهَ . كما قال جلَّ ثناؤُه فى موضعٍ آخرَ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [البقرة : ٦٣] . [3]فتُلُقِّى ذلك بالأمرِ ، كما تقولُ : قُلنا لهم : خُذوا ما آتيناكم بقوةٍ[3] . فلما كان حَسَنًا وضعُ الأمرِ والنهيِ فى موضعِ ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ عطَف بقولِه : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ على موضعِ ﴿ تَعْبُدُونَ ﴾[4] - وإن كان مخالفًا لفظُ[5] كُلِّ واحدٍ منهما ومعناه معنى صاحبِه[6] - لما وصَفنا مِن جوازِ وضعِ الخطابِ بالأمرِ والنهيِ موضعَ

٣٩١/١

(١) وهى قراءة شاذة ، ينظر البحر المحيط ١/ ٢٨٢.

(٢) فى م : « فكان » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « لا تعبدون » .

(٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « ما فيه » .

﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ . فكأنه قيل : وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيلَ لا تعبدوا إلا اللَّهَ ، وقولوا للناسِ حسنًا . وهو نظيرُ ما قدَّمنا البيانَ عنه ، مِن أن العربَ تَبْتَدِئُ الكلامَ أحيانًا على وجهِ الخبرِ عن الغائبِ فى مواضعِ الحكاياتِ عَمّا[1] أَخْبَرَتْ عنه ، ثم تعودُ إلى الخبرِ على وجهِ الخطابِ ، وتَبْتَدِئُ أحيانًا على وجهِ الخطابِ ، ثم تعودُ إلى الإخبارِ على وجهِ الخبرِ عن الغائبِ ، لما فى الحكايةِ مِن المَعْنَيَيْنِ ، كما قال الشاعرُ[2] :

أَسِيئِى بِنا أَوْ أَحْسِنِى لا مَلُومَةً لَدَيْنا وَلَا مَقْلِيةً إنْ تَقَلَّتِ

يعنى : تقلَّيْتِ .

وأمَّا « الحُسْنُ » فإن القَرَأَةَ اختلَفت فى قراءتِه ؛ فقرَأتْه عامَّةُ قَرَأَةِ أهلِ الكوفةِ غيرَ عاصمٍ : (وقُولُوا للنّاسِ حَسَنًا) بفتحِ الحاءِ والسينِ[3] .

وقرأتْه عامَّةُ قَرَأَةِ أهلِ المدينةِ : ﴿حُسْنًا﴾ بضمِّ الحاءِ وتسكينِ السينِ[4] .

وقد رُوِى عن بعضِ القَرَأَةِ أنه كان يقرؤُها : (وَقُولُوا للنَّاسِ حُسْنَى) . على مثالِ « فُعْلَى »[5] .

واختَلف أهلُ العربيةِ فى فرْقِ ما بينَ معنى قولِه : (حَسَنًا) ، و ﴿حُسْنًا﴾ ؛ فقال بعضُ البصريِّين : هو على أحدِ وجهين ؛ إمَّا أن يكونَ يُرادُ بـ « الحُسْنِ » : « الحَسَنُ » ، لكنها[6] لغةٌ ، كما [٣١/٣و] تقولُ : « البُخْلُ » و « البَخَلُ » . وإمَّا أن يكونَ جُعِلَ « الحُسْنُ » هو « الحَسَنَ » فى التشبيهِ ، وذلك أن الحَسَنَ مصدرٌ ،

---

(١) فى م : « كما » .

(٢) هو كثير عزة ، والبيت فى ديوانه (مجموع) ص ١٠١ .

(٣) وهى قراءة حمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٢ .

(٤) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو ونافع وعاصم وابن عامر . السابق .

(٥) وهى قراءة أُبى وطلحة بن مصرف . البحر المحيط ١/ ٢٨٤، ٢٨٥. وهى قراءة شاذة .

(٦) فى م : « كلاهما » ، وفى ت ٢: « كلهما » ، وفى ت ١، ت ٣: « وكلها » .

و « الحَسَنَ » هو الشيءُ الحَسَنُ ، فيكونُ ذلك حينَئذٍ كقولِك : إنما أنت أَكْلٌ وشُرْبٌ . كما[١] قال الشاعرُ[٢] :

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ[٣] لَهَا بِخَيْلٍ تَحِيَّةُ بينهم ضَرْبٌ وَجِيعُ

فجعَل التحيةَ ضربًا .

وقال آخرُ : بل « الحُسْنُ » هو الاسمُ العامُّ الجامعُ جميعَ معانى الحُسْنِ ، و« الحَسَنُ » هو البعضُ مِن معانى « الحُسْنِ » . قال : وكذلك[٤] قال جلَّ ثناؤُه إذْ أوصَى بالوالدين : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت : ٨] . يعنى بذلك أنه وصَّاه فيهما[٥] بجميعِ معانى « الحُسْنِ » ، وأمَره فى سائرِ الناسِ ببعضِ الذى أمَره به فى والديْه ، فقال : (وَقُولُوا للنَّاسِ حَسَنًا) . يعنى بذلك بعضَ معانى الحُسْنِ .

والذى قاله هذا القائلُ فى معنى « الحُسْنِ » - بضم الحاءِ وسكونِ السين - غيرُ بعيدٍ مِن الصوابِ ، وأنه اسمٌ لنوعِه الذى سُمِّىَ به . وأمَّا « الحَسَنُ » فهو صفةٌ[٦] ونَعْتٌ[٦] لما وُصِف به ، وذلك يَقَعُ لخاصٍّ[٧] . وإذا كان الأمرُ كذلك ، فالصوابُ مِن القراءةِ فى قولِه : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ : (حَسَنًا) ؛ لأن القومَ إنما أُمِروا - فى هذا العهدِ الذى قيل لهم : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ - باستعمالِ الحَسَنِ من القولِ دونَ سائرِ معانى الحُسْنِ ، الذى يكونُ بغيرِ القولِ ، وذلك نَعْتٌ

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وكما » .
(٢) هو عمرو بن معديكرب ، والبيت فى ديوانه المجموع ص ١٣٠ .
(٣) دلفت : مشيت .
(٤) فى م ، ت ١ ، ت ١ ، ت ٣ : « لذلك » .
(٥) فى الأصل ، ت ٢ ، ت ٣ : « فيه » .
(٦ - ٦) فى م : « وقعت » .
(٧) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « بخاص » .

لخاصٍّ مِن معانى الحُسْنِ وهو القولُ ، فلذلك اخترتُ قراءتَه بفتحِ الحاءِ والسينِ ، على قراءتِه بضمِّ الحاءِ وسكونِ السينِ[1] .

وأمّا الذى قرَأ ذلك : (وَقُولُوا للنَّاسِ حُسْنَى) . فإنه خالَف بقراءتِه إيَّاه كذلك قراءةَ أهلِ الإسلامِ ، وكفَى شاهدًا على خطأ القراءةِ بها كذلك خروجُها مِن قراءةِ أهلِ الإسلامِ لو لم يكنْ على خطئِها شاهدٌ غيرُه . /فكيف وهى مع ذلك خارجةٌ مِن المعروفِ مِن كلامِ العربِ ، وذلك أن العربَ لا تَكادُ أن تتَكَلَّمَ بـ « فُعْلَى » و « أَفْعَلَ » إلا بالألفِ واللامِ أو بالإضافةِ ، لا تقولُ : جاءنى أحسنُ . حتى يَقُولوا : الأحسنُ . ولا : أجملُ . حتى يَقولُوا : الأجملُ . وذلك أن « الأفْعَل » و « الفُعْلَى » لا يَكادان يُوجَدان صفةً إلا لمعْهودٍ معروفٍ ، كما تقولُ : بل أخوك الأحسنُ ، و : بل أختُك الحُسْنَى . وغيرُ جائزٍ أن يُقالَ : امرأةٌ حُسْنَى ، ورجلٌ أحسنُ .

٣٩٢/١

وأمّا تأويلُ القولِ الحَسَنِ الذى أمَر اللَّهُ به جلَّ ثناؤُه الذين وصَف أمْرَهم مِن بنى إسرائيلَ فى هذه الآيةِ أن[2] يَقُولوه للناسِ ، فهو ما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ أمَرَهم أيضًا بعدَ هذا الخُلُقِ أن يَقُولوا للناسِ حسنًا ؛ أن يَأْمُروا بـ « لا إلهَ إلا اللَّهُ » مَن لم يَقُلْها ورغِب عنها ، حتى يَقُولوها كما قالوها ، فإن ذلك قُرْبةٌ لهم مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه . [3]قال : والحَسَنُ[3] أيضًا[4] ليِّنُ القولِ ، مِن الأدبِ الحسنِ الجميلِ ، والخُلُقِ الكريمِ ، وهو مما ارْتَضاه اللَّهُ وأحَبَّه[5] .

---

(١) القراءات واختياراتها لا تثبت بمثل هذا التعليل وإنما تثبت بالتواتر والنقل الصحيح عن النبى ﷺ .

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « لأن » .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وقال الحسن » .

(٤) بعده فى الأصل : « من » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٥/١ إلى المصنف نحوه مختصرا ، وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦١/١ (٨٤٦) نحو آخره عن الحسن .

حدَّثنا [٣/٣١ظ] المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ . قال : يَقولُ : قولوا للناسِ معروفًا[١] .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدثني حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، في قولِه : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ . قال : صِدقًا في شأنِ محمدٍ ﷺ[٢] .

حُدِّثْتُ عن يزيدَ بنِ هارونَ ، قال : سَمِعْتُ سفيانَ الثَّوْرىَّ يقولُ في قولِه : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ . قال : مُرُوهم بالمعروفِ ، وانْهَوْهم عن المُنكرِ[٣] .

حدَّثني هارونُ بنُ إدريسَ الأَصَمُّ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ المحارِبيُّ ، قال : ثنا عبدُ الملكِ بنُ أبي سُليمانَ ، قال : سأَلْتُ عطاءَ بنَ أبي رَباحٍ عن قولِ اللَّهِ : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ . قال : مَن لَقِيتَ مِن الناسِ ، فقُلْ له حَسَنًا مِن القولِ . قال : وسأَلْتُ أبا جعفرٍ فقال مثلَ ذلك .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ[٤] ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الملكِ ، عن أبي جعفرٍ وعطاءِ بنِ أبي رَباحٍ في قولِه : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ . قال : للناسِ كلِّهم[٥] .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الملكِ ، عن عَطاءٍ مثلَه[٦] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٦١ (٨٤٣) من طريق آدم به .

(٢) ذكره ابن الجوزي في ناسخه ص ١٣٢ معلقًا .

(٣) ذكره النحاس في ناسخه ص ١٠٣ معلقًا .

(٤) في م : « القاسم » ، وفي ت ٢: « نعيم » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٦١ (٨٤٤) ، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣٠٤) من طريق عبد الملك بن سليمان به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٨٥ إلى عبد بن حميد .

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٣٠٨) ، وفي مداراة الناس (١٠٦) من طريق عبد الملك به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ﴾ : أدُّوها بحدودِها[1] الواجبةِ عليكم فيها .

كما حدثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ[2] ، قال : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ﴾ : [3]فى هذه الأخلاقِ[3] ، وإقامةُ الصلاةِ تمامُ الركوعِ والسجودِ والتِّلاوةِ والخشوعِ ، والإقْبالُ عليها فيها[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ﴾ .

قد بيَّنَّا فيما مضَى قبلُ معنى الزكاةِ وما أصلُها[5] .

وأما الزكاةُ التى كان اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أمَر بها بنى إسرائيلَ الذين ذكَر أمْرَهم فى ١/٣٩٣ هذه الآيةِ ، فهى ما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا/ عثمانُ ، عن بشرٍ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ﴾ . قال : إيتاءُ الزكاةِ ما كان اللَّهُ فرَض عليهم فى أموالِهم مِن الزكاةِ ، وهى سُنَّةٌ كانت لهم غيرُ سُنَّةِ محمدٍ ﷺ ، كانت زكاةُ أموالِهم قُرْبَانًا تَهْبِطُ إليه [٣٢/٣و] نارٌ فتَحْمِلُها ، فكان ذلك تَقَبُّلَه ، ومَن لم تَفْعَلِ النارُ به ذلك كان غيرَ مُتقَبَّلٍ ، وكان الذى قرَّب مِن مَكْسَبٍ لا يَحِلُّ مِن ظُلْمٍ أو غَشْمٍ ، أو أَخْذٍ بغيرِ ما أمَره اللَّهُ عز وجل به وبيَّنه له .

---

(١) فى م : « بحقوقها » .

(٢) فى م : « مسعود » .

(٣ - ٣) فى م : « هذه » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « فى هذه » ثم بياض بمقدار كلمة .

(٤) تقدم تخريجه فى ٢٤٨/١ .

(٥) ينظر ما تقدم فى ٦١١/١ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى مُعاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ : يعنى بالزكاةِ طاعةَ اللَّهِ تعالى ذكرُه والإخلاصَ[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن يهودِ بنى إسرائيلَ ، أنهم نكَثوا عهدَه ، ونقَضوا مِيثاقَه ، بعدَ ما أخَذ مِيثاقَهم على الوفاءِ له بأن لا يَعْبُدوا غيرَه ، وبأن يُحْسِنوا إلى الآباءِ والأمهاتِ ، ويَصِلوا الأرْحامَ ، ويَتَعَطَّفوا على الأيْتامِ ، ويُؤَدُّوا حُقوقَ أهلِ المَسْكَنةِ إليهم ، ويَأْمُرُوا عبادَه بما أمَرَهم اللَّهُ به ، ويَحُثُّوهم على طاعتِه ، ويُقِيموا الصلاةَ بحُدودِها وفَرائضِها ، ويُؤْتوا زَكَواتِ أموالِهم ، فخالَفوا أمْرَه فى ذلك كلِّه ، وتوَلَّوْا عنه مُعْرِضِين ، إلا مَن عصَم اللَّهُ منهم ، فوَفَى للَّهِ بعهدِه وميثاقِه .

كما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ ، عن بشرٍ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما فرَض اللَّهُ عليهم - يعنى على هؤلاء الذين وصَف اللَّهُ أمْرَهم فى كتابِه مِن بنى إسرائيلَ - هذا الذى ذكَر أنه أخَذ مِيثاقَهم به ، أعْرَضوا عنه اسْتِثْقالًا له[2] وكَراهيةً ، وطلَبوا ما خَفَّ عليهم ، إلا قليلًا منهم ، وهم الذين استثْنَى اللَّهُ تعالى ذكرُه فقال : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ . يقولُ : أعْرَضْتُم عن طاعتى ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ ﴾ . قال : القَليلُ الذين اخْتَرْتُهم لطاعتى ، وسيَحِلُّ عِقابى بمَن تَوَلَّى وأعْرَض عنها . يقولُ : ترَكها اسْتِخْفافًا بها[3] .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٩ (٤٦٤) من طريق أبى صالح به .

(٢) سقط من : م .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٨٦ إلى المصنف .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، قال : [(١] ثنا ابنُ إسحاقَ ، قال [١)] : حدَّثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، أو عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ : أي : تركْتُم ذلك كلَّه [(٢)] .

وقال بعضُهم : عنَى اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ اليهودَ الذين كانوا على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وعنَى بسائرِ الآيةِ أسْلافَهم . كأنه ذهَب إلى أن معنى الكلامِ : ثم تولَّيتم إلا قليلًا [٣٢/٣ظ] منكم ، ثم تولَّى سَلَفُكم إلا قليلًا منهم . ولكنه جُعِل خِطابًا لبَقايا نَسْلِهم - على ما قد ذكَرْناه فيما مضَى قبلُ [(٣)] - ثم قال : وأنتم معشرَ بَقاياهم مُعْرِضون أيضًا عن الميثاقِ الذي أخَذْتُه عليكم بذلك ، وتارِكوه تَرْكَ أَوائِلِكم .

وقال آخَرون : بل قولُه : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ خطابٌ لمَن /كان بين ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ من يهودِ بني إسرائيلَ ، وذَمٌّ لهم بنقضِهم الميثاقَ الذي أُخِذ عليهم في التوراةِ وتبديلِهم أمرَ اللَّهِ وركوبِهم معاصيَه . ٣٩٤/١

القولُ في تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ .

وقولُه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾ . في المعنى والإعرابِ نظيرُ قولِه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ .

(١ - ١) سقط من الأصل .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٣٩/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٢/١ (٨٥٠) من طريق سلمة به .

(٣) تقدم في ٦٤٢/١ - ٦٤٣ .

وأمّا سَفْكُ الدمِ ، فإنه صَبُّه وإراقتُه .

فإن قال قائلٌ : وما معنى قولِه : ﴿ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ﴾ . وقال : أَوَكان القومُ يَقْتُلُون أنفسَهم ، ويُخْرِجُونَها من ديارِها ، فيُنْهَوا عن ذلك ؟

قيل : ليس الأمرُ في ذلك على ما ظَنَنْتَ ، ولكن نُهُوا عن أن يَقْتُلَ بعضُهم بعضًا ، فكان في قتلِ الرجلِ منهم الرجلَ منهم قتلُ نفسِه ، إذ كانت [(١] مِلَّتُهما واحدةً ، ودينُهما واحدًا ، وكأنَّ أهلَ الدينِ الواحدِ في ولايةِ بعضِهم بعضًا [(١)] بمنزلةِ رجلٍ واحدٍ ، كما قال ﷺ : « إنّما المؤمنون في تَراحُمِهم وتَعاطُفِهم بينَهم بمنزلةِ [(٢] الجسدِ الواحدِ [(٢)] ، إذا اشْتَكَى [(٣] منه عُضوٌ [(٣)] تداعَى له سائرُ الجسدِ بالحُمَّى والسَّهَرِ » [(٤)] .

وقد يجوزُ أن يكونَ معنى قولِه : ﴿ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾ أي : لا يَقْتُلُ الرجلُ منكم [(٥] الرجلَ منكم [(٥)] ، فيُقادَ به قِصاصًا ، فيكونَ بذلك قاتلًا نفسَه ؛ لأنه كان الذي سبَّب لنفسِه ما استحقَّتْ به القتلَ ، فأُضِيف إليه بذلك قتلُ وليِّ المقتولِ إياه قِصاصًا بوليِّه ، كما يقالُ للرجلِ يَرْكَبُ فعلًا من الأفعالِ يَسْتَحِقُّ به العقوبةَ فيعاقَبُ [(٦)] : أنت جَنَيْتَ هذا على نفسِك .

وبنحوِ الذي قلنا في ذلك قال أهلُ التأْويلِ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) في ت ٢ : « رجل واحد » .

(٣ - ٣) في م : « بعضه » .

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير ، وقد ذكره المصنف هنا بمعناه .

(٥ - ٥) سقط من : ت ٢ .

(٦) بعده في م ، ت ١ : « العقوبة » ، وفي ت ٢ : « به العقوبة » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ [٣٣/٣و] دِمَآءَكُمْ ﴾ أي : لا يقتلُ بعضُكم بعضًا ، ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ ونفسُك يا بنَ آدمَ أهلُ مِلَّتِك[(١)] .

حدَّثني المُثَنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جَعْفَرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ في قولِه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾ . يقولُ : لا يقتلُ بَعْضُكم بَعْضًا ، ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ . يقولُ : لا يُخْرِجُ بعْضُكم بعضًا من الديارِ[(٢)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾ . يقولُ : لا يَقْتُلُ بعضُكم بعضًا .

[(٣)] حُدِّثتُ عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ : ﴿ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾ .يقولُ : لا يقتلُ بعضُكم بعضًا[(٣)] بغيرِ حقٍّ ، ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ فتسفِكَ يا بنَ آدمَ دماءَ أهلِ ملَّتِك ودعوتِك .

٣٩٥/١ /القولُ في تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾ .

يعني بقولِه جلّ ثناؤه : ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾ [(٣)] أي : أقرَرتُم[(٣)] بالميثاقِ الذي أَخَذْنا

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٦٣ عقب الأثر (٨٥٢) معلقًا .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٦٢، ١٦٣ (٨٥١، ٨٥٣) من طريق آدم به .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ٢، ت ٣.

عليكم (١) ألا تَسْفِكُوا (١) دماءَكُم ولا تُخْرِجوا أنفسَكُم مِن ديارِكُم .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾ . يقولُ : أقررتم بهذا الميثاقِ (٢) .

حُدِّثْت عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اختلَف أهلُ التأويلِ فى من خُوطِب بقولِه : ﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : ذلك خطابٌ من اللَّهِ جلّ وعزّ لليهودِ الذين كانوا بين ظهرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أيامَ هجرتِه إليه مُؤَنِّبًا لهم على تضييعِهم أحكامَ ما فى أيدِيهم مِن التوراةِ التى كانوا يُقِرُّون بحُكْمِها ، فقال اللَّهُ عزَّ وجل لهم : ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾ . يعنى بذلك : أقرَّ (٣) أوائلُكم وسلفُكم ، ﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ على إقرارِهم بأخذِ الميثاقِ عليهم بأن لا يَسْفِكوا دماءَهم ، ولا يُخْرِجوا أنفسَهم من ديارِهم ، (٤) وتُصَدِّقون (٤) بأنَّ ذلك حقٌّ مِن ميثاقى عليكم (٥) . وممن حُكِى هذا القولُ عنه ابنُ عباسٍ .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ [٣٣/٣ظ] لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ

(١ - ١) فى م ، ت ٢، ت ٣: « لا تسفكون » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٣/١ (٨٥٥) من طريق آدم به .

(٣) فى م : « إقرار » .

(٤ - ٤) فى م : « ويصدقون » .

(٥) فى م : « عليهم » .

﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ : علَى أنَّ هذا حقٌّ من ميثاقِي عليكم[١] .

وقال آخرون : بل ذلك خَبرٌ من اللَّهِ جلّ وعزّ عن أوائِلِهم ، ولكنه تعالى ذكرُه أخرَج الخبرَ بذلك عنهم مُخْرَجَ المخاطبةِ على النحوِ الذى وَصَفْنا فى سائرِ الآياتِ التى هى نظائرُها ، التى قد بيَّنّا تأويلَها فيما مضَى[٢] .

وتأوَّلُوا قولَه : ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ بمعنى : وأنتم شُهودٌ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ يقولُ : وأنتم شهودٌ .

وأولى الأقاويلِ فى تأويلِ ذلك بالصوابِ عندِى أن يكونَ ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ خبرًا عن أسلافِهم ، وداخلًا فيه المخاطَبون به[٣] الذين أَدْرَكُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، كما كان قولُه : ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾ خبرًا عن أسلافِهم وإن[٤] كان خطابًا للذين أَدْرَكُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ؛ لأن اللَّهَ عزّ ذكرُه أخَذ ميثاقَ الذين كانوا على عهدِ موسى عليه السلامُ/ من بنى إسرائيلَ على سبيلِ ما قد بيَّنه لنا فى كِتابِه ، فأَلْزَمَ جَميعَ مَن بعدَهم مِن ذُرِّيَّتِهم مِن حُكْمِ التوراةِ مثلَ الذى أَلْزَم منه مَن كان على عهدِ موسى عليه السلامُ منهم ، ثم أنَّب الذين خاطبَهم بهذه الآياتِ على نقضِهم ونقضِ سلفِهم ذلك الميثاقَ ، وتبديلِهم[٥] ما وَكَّدوا على أنفسِهم له بالوفاءِ من العهودِ بقولِه :

٣٩٦/١

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٣/١ (٨٥٤) من طريق سلمة به .
(٢) ينظر ما تقدم فى ٦٤٢/١ ، ٦٤٣.
(٣) فى م : « منهم » .
(٤) فى م : « بأن » .
(٥) فى م ، ت ٢: « تكذيبهم » .

﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ وإن كان خارجًا على وجهِ الخطابِ للذين كانوا على عهدِ نبيِّنا ﷺ منهم ، فإنَّه معنيٌّ به كلُّ مَن أقرَّ[1] بالميثاقِ منهم على عهدِ موسى عليه السلامُ ومَن بعدَه ، وكلُّ مَن شَهِد منهم بتصديقِ ما فى التوراةِ ؛ لأنَّ اللَّهَ جلَّ ثناؤُه لم يَخْصُصْ بقولِه : ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ وما أشبهَ ذلك من الآيِ بعضَهم دون بعضٍ ، والآيةُ محتمِلةٌ أن يكونَ أُرِيدَ بها جميعُهم ، فإذ كان ذلك كذلك ، فليس لأحدٍ أن يَدَّعِيَ أنه أريدَ بها بعضٌ منهم دونَ بعضٍ ، وكذلك حكمُ الآيةِ التى بعدَها ، أعنى قولَه : ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ الآية ؛ لأنه قد ذُكِر أن أوائلَهم قد كانوا يفعلُون من ذلك ما كان يفعلُه أواخرُهم الذين أدركوا عصرَ نبيِّنا ﷺ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ [٣٤/٣و] وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ .

ويَتَّجِهُ قولُه جل ثناؤه: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ وجهين ؛ أحدُهما ، أن يكونَ أُريدَ به : ثم أنتم يا هؤلاء . فترَك « يا » استغناءً بدَلالةِ الكلامِ عليه ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ [يوسف : ٢٩] . وتأويلُه : يا يوسفُ أَعْرِضْ عن هذا . فيكونُ معنى الكلامِ حينئذٍ : ثم أنتم[2] يامعشرَ يهودِ بنى إسرائيلَ ، بعد إقرارِكم بالميثاقِ الذى أخذْتُه عليكم[3] ألا تَسْفِكوا[3] دماءَكم ، ولا تُخْرِجوا[4] أنفسَكم من ديارِكم[5] ، وبعد شهادتِكم على أنفسِكم بأن ذلك حقٌّ لى عليكم لازمٌ لكم الوفاءُ لى به - تَقْتلون

(١) فى م : « واثق » .
(٢) سقط من : الأصل .
(٣ - ٣) فى م : « لا تسفكون » .
(٤) فى م : « تخرجون » .
(٥) بعده فى م : « ثم أقررتم » .

أنفسَكم وتُخْرِجون فريقًا منكم من ديارِهم ، متعاونين عليهم[(١)] فى إخراجِكم إياهم بالإثمِ والعدوانِ . والتعاونُ هو التظاهرُ . وإنما قيل للتعاونِ: التظاهرُ . لتقويةِ بعضِهم ظهرَ بعضٍ ، فهو تفاعُلٌ من الظَّهْرِ ، وهو مساندةُ بعضِهم ظهرَه إلى ظهرِ بعضٍ .

والوجهُ الآخرُ أن يكونَ معناه : ثم أنتم ، القومَ[(٢)] ، تَقْتلون أنفسَكم ، فيَرْجِعُ إلى الخبرِ عن « أنتم » ، وقد اعْتُرِضَ بينهم وبين الخبرِ عنهم بـ « هؤلاء » ، كما تقولُ العربُ : أنا ذا أقوم ، أنا ذا أَجْلِسُ . ولو قيل : أنا هذا يَجْلِسُ . كان صحيحًا جائزًا ، وكذلك : أنت ذاك تقومُ .

وقد زعَم بعضُ البصريين أن قولَه : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ . فى قولِه : ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [(٣)]تنبيهٌ وتوكيدٌ[(٣)] لـ ﴿أَنتُمْ﴾ . وزعَم/ أنَّ « أنتم » وإن كانت كنايةَ أسماءِ جماعِ المخاطَبين ، فإنما جاز أن يؤكَّدوا بـ « هؤلاء » - [(٤)]و « هؤلاء » لا يؤكدُ بها[(٤)] عن مخاطَبين - كما قال خُفافُ ابنُ نُدْبةَ[(٥)] :

٣٩٧/١

أقولُ له والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَه ... تأمَّلْ[(٦)] خُفافًا إنّنِى أنا ذلكا

يريد : أنا هذا[(٧)] . وكما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] .

ثم اختلف أهلُ التأويلِ فى مَن عُنِىَ بهذه الآيةِ نحوَ اختلافِهم فى من عُنِىَ بقولِه :

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢: « عليه » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢: « قوم » .

(٣ - ٣) فى حاشية الأصل : « فى الأم : تنبيه لا توكيد » .

(٤ - ٤) فى م : « وأولى لأنها كناية » ، وفى ت١ ، ت٢ : « وأولى لا يكنى بها » .

(٥) تقدم فى ١/ ٢٣٠ .

(٦) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « تبين » .

(٧) فى الأصل : « هو » .

﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ .

ذكْرُ اختلافِ المختلِفين في ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ : أي : أهلَ الشركِ حتى تَسْفِكوا دماءَهم معهم وتُخْرِجوهم من ديارِهم معهم ، فقال : ابْتَلاهُم[1] اللَّهُ بذلك[2] مِن فعلِهم ، وقد حرَّم عليهم في التوراةِ سفكَ دمائِهم ، وافترضَ عليهم فيها فداءَ أَسْراهم ، فكانوا فريقَيْن ؛ طائفةٌ منهم بنو قينقاعَ ولِفُّهم[3] حلفاءُ الخزرجِ ، [٣٤/٣ظ] والنضيرُ وقريظةُ ولِفُّهم[3] حلفاءُ الأوسِ ، فكانوا إذا كانت بين الأوْسِ والخزرجِ حربٌ خرجتْ بنو قينقاعَ مع الخزرجِ ، وخرجتِ النضيرُ وقريظةُ مع الأوسِ ، يُظاهِرُ كلُّ واحدٍ من الفريقَيْن حلفاءَه على إخوانِه حتى يَتَسافكوا دماءَهم بينهم ، وبأيديهم التوراةُ يَعْرِفون منها ما عليهم وما لهم ، والأوسُ والخزرجُ أهلُ شركٍ يَعبدون الأوثانَ لا يَعْرِفون جنةً ولا نارًا ، ولا بعثًا ولا قيامةً ، ولا كتابًا ولا حرامًا ولا حلالًا ، فإذا وَضَعتِ الحربُ أوزارَها افتدَوْا أَسْراهم ، تصديقًا لما في التوراةِ وأخذًا به بعضُهم من بعضٍ . يَفْتَدِي بنو قينقاعَ ما كان من أَسْراهم في أيدي الأوسِ ، وتَفْتَدِي النضيرُ وقريظةُ ما كان في أيدي الخزرجِ منهم ، ويُطِلُّون[4] ما أصابُوا من الدماءِ ، وقتَلوا مَن قتَلوا منهم فيما بينهم ، مظاهرةً لأهلِ الشركِ عليهم ، يقولُ اللَّهُ عز وجل حين أنبأهم بذلك : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ

---

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ : « أنبهم » .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٣) سقط من : م . واللِّفُّ : الحزب والطائفة ، والقوم المجتمعون . والجمع لُفوف وألفاف . التاج (ل ف ف) .

(٤) الطلّ : هدر الدم ، وقيل : هو ألا يثأر به أو تقبل ديته . اللسان (ط ل ل) .

بِبَعْضٍ﴾ أى : [(١)] يُفادِيه بحُكْمِ التوراةِ ، ويقتُلُه ، وفى حكمِ التوراةِ ألا يفعَلَ ، ويُخرِجُه من دارِه ، ويُظاهِرُ [(١)] عليه مَن يُشرِكُ باللَّهِ ويعبدُ الأوثانَ من دونِه ابتغاءَ عَرَضِ الدنيا . ففى ذلك من فعلِهم مع الأوسِ والخزرجِ - فيما بلغنى - نزلتْ هذه القصةُ [(٢)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ . قال : إن اللَّهَ جلَّ ذكرُه أخَذ على بنى إسرائيلَ فى التوراةِ ألا يَقْتُلَ بعضُهم بعضًا ، وأيُّما عبدٍ أو أمةٍ وجَدْتموه من بنى إسرائيلَ فاشترُوه بما [(٣)] قام ثَمَنُه [(٣)] فأعْتِقوه ، فكانت قريظةُ حلفاءَ الأوسِ ، والنضيرُ حلفاءَ الخزرجِ ، فكانوا يَقْتَتِلُون فى حربِ سُمَيْرٍ [(٤)] ، فتقاتلُ بنو قريظةَ مع حلفائِها النضيرَ وحلفاءَها ، وكانت النضيرُ تُقاتِلُ قريظةَ وحلفاءَها ويَغْلِبونَهم ، فيُخْرِبون ديارَهم ويُخْرِجونَهم منها ، فإذا أُسِر رجلٌ من الفريقَيْن كليهما ، جَمَعوا له حتى يَفْدُوه ، فتُعَيِّرُهم العربُ بذلك ، ويقولون : كيف تقاتلونهم وتَفْدونهم ؟ قالوا : /إنا أُمِرْنا أن نَفْدِيَهم وحُرِّم علينا قتالُهم . قالوا : فَلِمَ تُقاتلُونهم ؟ قالوا : إنا نَسْتَحْيِى أن يُستَذَلَّ حلفاؤُنا . فذلك حين عَيَّرهم اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، فقال : ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [(٥)] .

١/٣٩٨

(١ - ١) فى م : « تفادونه بحكم التوارة وتقتلونه وفى حكم التوراة ألا يقتل ولا يخرج من ذلك ولا يظاهر » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٦٣ - ١٦٦ (٨٥٦، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦٤، ٨٦٧، ٨٧٠) مفرقًا من طريق سلمة به .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قدم يمينه » وبما قام ثمنه . يريد : بما بلغه ثمنه . يقال : كم قامت ناقتك ؟ أى كم بلغت . وقد قامت الأمةُ مائةَ دينار . أى بلغ قيمتها مائة دينار . اللسان (ق و م) .

(٤) سمير : رجل من بنى عمرو بن عوف . وينظر خبر هذه الحرب فى الكامل لابن الأثير ١/ ٦٥٨، والأغانى ٣/ ١٨. وسيذكره المصنف مرة أخرى فى تفسير الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٦٣ (٨٥٢، ٨٥٧) عن أبى زرعة ، عن عمرو به .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : كانت قريظةُ والنضيرُ أخوَيْن ، وكانوا بهذه البلدةِ[1] ، وكان الكتابُ بأيديهم ، وكانت الأوسُ والخزرجُ أخوَيْن فافترَقا ، وافترَقَتْ قريظةُ والنضيرُ ، فكانت النضيرُ مع الخزرجِ ، وكانت قريظةُ مع الأوسِ . قال : فاقْتَتلوا ، وكان بعضُهم يَقْتُلُ بعضًا ، فقال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ ﴾ الآية .

[٣٥/٣ظ] وقال آخرون بما حدَّثني المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ ، قال : كان في بني إسرائيلَ إذا استَضْعَفوا قومًا أَخرَجوهم من ديارِهم ، وقد أُخِذ علَيْهم الميثاقُ ألا يَسْفِكوا دماءَهم ، ولا يُخْرِجوا أنفسَهم من ديارِهم[2] .

وأما العُدْوانُ فهو الفُعْلانُ من التَّعَدِّي ، يقالُ منه : عدا فلانٌ في كذا يَعْدُو فيه عَدْوًا وعُدْوانًا ، واعْتَدَى فهو يَعْتَدِي اعتداءً . وذلك إذا جاوز حدَّه ظُلْمًا وبَغْيًا .

وقد اختلَفت القرأةُ في قراءةِ ﴿ تَظَٰهَرُونَ ﴾ ؛ فقرَأها بعضُهم : ﴿ تَظَٰهَرُونَ ﴾ . على مثالِ « تَفاعَلُون » ، بحذفِ التاءِ الزائدة - وهي التاءُ الآخرةُ ، وقرَأها آخرون : (تَظَّاهَرُونَ) . مُشدَّدةً ، بتأويلِ « تَتظاهَرُون » ، غيرَ أنهم أَدْغَموا التاءَ الثانيةَ في الظاءِ لتقاربِ مخرجَيْهما فصَيَّروهما ظاءً مشددةً[3] .

وهاتان القراءتان وإن اختلفتْ ألفاظُهما فهما مُتَّفِقَتا المعنى ، فسواءٌ بأيِّ ذلك قرَأ به القارئُ ؛ لأنهما جميعًا لغتان معروفتان وقراءتان مُسْتَفيضتان في أمْصارِ الإسلامِ بمعنًى واحدٍ ، ليس في إحداهما معنًى تَسْتَحِقُّ به اختيارَها على الأخرى ، إلا

---

(١) في م : « المثابة » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٣/١ (٨٥٣) من طريق آدم به .

(٣) وبها قرأ الكوفيون : عاصم وحمزة والكسائي ، وقرأ الباقون « تظّاهرون » بالتشديد . ينظر النشر ٢١٨/٢.

أن يختارَ مختارٌ (تَظَّاهَرُونَ) بالتشديدِ طلبًا منه تتمةَ الكلمةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ ﴾. اليهودَ ، يُؤَنِّبُهم[(١)] بذلك ، ويُعَرِّفُهم به قبيحَ أفعالِهم التى كانوا يَفْعَلونها ، فقال لهم : ثم أنتم ، بعد إقرارِكم بالميثاقِ الذى أخذْتُه عليكم ألا تَسْفِكوا دماءَكم ، ولا تُخرِجوا أنفسَكم من ديارِكم ، تَقْتُلُونَ أنفُسَكم - يعنى به : يَقْتُلُ بعضُكم بعضًا - وأنتم مع قتلِكم مَن تَقْتلون منكم ، إذا وجَدْتم الأسيرَ منكم فى أيدى غيرِكم من أعدائِكم تَفْدُونهم ويُخْرِجُ بعضُكم بعضًا من دارِه ، وقَتْلُكم إياهم وإخراجُكُموهم من ديارِهم حرامٌ عليكم ، كما حرامٌ عليكم تَرْكُهم أَسْرى فى أيدى عَدُوِّكم ، فكيف تَسْتَجِيزونَ قتلَهم ولا تَسْتَجيزونَ تَرْكَ فدائِهم من عدوِّهم ؟ أم كيف لا تَسْتَجيزون تَرْكَ فدائِهم ، وتَسْتَجيزون قتلَهم ، وهما جميعًا فى اللازمِ لكم من الحكمِ فيهم سواءٌ ؛ لأن الذى حَرَّمْتُ عليكم مِن قَتْلِهم وإخراجِهم من دورِهم نظيرُ الذى حَرَّمْتُ عليكم من تَرْكِهم أَسْرَى فى أيدى عدوِّهم ، أتؤمنون ببعضِ الكتابِ الذى فرضْتُ عليكم فيه فرائضى وبَيَّنْتُ لكم فيه حُدُودى وأخذْتُ عليكم[(٢)] بالعملِ بما /فيه ميثاقى - ٣٩٩/١ فتُصَدِّقون [٣٥/٣ظ] به ، فتُفادُون أَسْراكم مِن أيدِى عدوِّكم ، وتَكْفُرونَ ببَعْضِه ، فتَجْحَدونه فتَقْتُلُون مَن حرَّمْتُ عليكم قتلَه مِن أهلِ دينِكم ومِن قومِكم ، وتُخْرِجونهم مِن ديارِهم ، وقد علِمْتُم أن الكفرَ منكم ببَعْضِه نقضٌ منكم عهدى ومِيثاقى ؟!

(١) فى م : « يوبخهم » .

(٢) فى م : « عليه » .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ (١) أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ (١) وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ ﴾ : فادين ، واللَّهِ إن فداءَهم لَلْإيمانُ ، وإن إخراجَهم لَلْكفرُ ، فكانوا يُخْرِجونهم مِن ديارِهم ، وإذا رأَوْهم أُسارَى فى أيدى عدوِّهم افتكُّوهم[٢] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، أو عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ ﴾ : قد علِمْتُم أن ذلكم عليكم فى دينِكم ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ فى كتابِكم ﴿ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ ﴾ : أتُفادُونهم مؤمنين بذلك ، وتُخْرِجونهم كفرًا بذلك[٣] .

حدثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ ﴾ . يقولُ : إن وجدْتَه فى يدِ غَيرِك فدَيْته وأنت تَقْتُلُه[٤] بيدِك .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، قال : قال أبو جعفرٍ : كان قَتادةُ يقولُ فى قولِه : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ ﴾ : فكان إخراجُهم كفرًا وفداؤُهم إيمانًا .

حدَّثنى المثنى ، قال: حدَّثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ

(١ - ١) فى الأصل : « أسرى تفدوهم » . وفى م ، ت ١ ، ت ٢ : « أسارى تفدوهم » ، وهذه قراءات سيذكرها المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٦/١ (٨٦٨) من طريق يزيد به .

(٣) تقدم مطولًا فى ص ٢٠٧ .

(٤) بعده فى الأصل : « أو أنت تقتله » .

فى قولِه : ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية . قال : كان فى بنى إسْرائيلَ إذا استَضْعَفوا قومًا أخْرَجوهم مِن ديارِهم ، وقد أُخِذ عليهم الميثاقُ ألا يَسْفِكوا دماءَهم ، ولا يُخْرِجُوا أنفسَهم مِن ديارِهم ، وأُخِذ عليهم الميثاقُ إنْ أُسِر بعضُهم أن يُفادُوهم ، فأخْرَجوهم مِن ديارِهم ، ثم فادوهم ، فآمَنوا ببعضِ الكتابِ وكفَروا ببعضٍ ، آمَنوا بالفِداءِ ففدَوْا ، وكفَروا بالإخراجِ مِن الديارِ فأَخْرَجوا[1] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، قال : ثنا الربيعُ بنُ أنسٍ ، قال : أخْبَرَنى أبو العاليةِ ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ سَلَامٍ مرَّ على رأسِ الجالوتِ بالكوفةِ وهو يُفادِى مِن النساءِ مَن لم يَقَعْ عليه العربُ ، ولا يُفادِى مَن قد وقَع عليه العربُ ، فقال له عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ : أما إنه مَكْتوبٌ عندَك فى كتابِك : أن فَادُوهن كلَّهن[2] .

حدَّثنى القاسمُ ، قال[٣٦/٣و] : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ . قال: كفرُهم القتلُ والإخْراجُ ، وإيمانُهم الفِداءُ . قال ابنُ جُرَيْجٍ : /يقولُ : إذا كانوا عندَكم تَقْتُلونهم ، وتُخْرِجُونهم مِن ديارِهم ، وأما إذا أُسِروا تَفْدُونهم ؟ وبلَغَنى أن عمرَ بنَ الخطابِ قال فى قصةِ بنى إسرائيلَ : إن بنى إسرائيلَ قد مضَوْا ، وإنكم [3]يا أهلَ الإسلامِ[3] تُعْنَوْن بهذا الحديثِ . ١/٤٠٠

واختَلَفت القَرأَةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ ؛ فقرَأه بعضُهم : (أَسْرَى تَفْدُوهم) . وبعضُهم : (أُسارَى تُفادُوهم) . وبعضُهم :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٦٥، ١٦٦ (٨٦٦، ٨٧٢) من طريق آدم به .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٧٤/١ عن آدم بن أبى إياس فى تفسيره . مصنف ابن أبى شيبة ١٣/١٣ ، وتفسير ابن أبى حاتم ١٦٥/١ (٨٦٥) .

(٣ - ٣) فى م : « أنتم » .

(أُسارَى تَفْدُوهم) . وبعضُهم : (أَسْرى تُفادُوهم)[١] .

فمَن قرَأ ذلك : (وإن يأتوكم أسْرَى) . فإنه أراد جمعَ الأسيرِ ، إذ كان على « فَعِيل » على مثالِ جمعِ أسماءِ ذَوِى العاهاتِ التى يأتى واحدُها على تقديرِ « فَعِيل » ؛ إذ كان الأسْرُ شَبيهَ المعنى - فى الأذَى والمكروهِ الداخلِ به على الأسِيرِ - ببعضِ مَعانى العاهاتِ ، وأُلْحِق جَمْعُ المسمى[٢] به بجمعِ ما وصَفْنا ، فقيل : أَسيرٌ وأسْرَى . كما قيل : مريضٌ ومَرْضَى ، وكَسيرٌ وكَسْرَى ، وجَريحٌ وجَرْحَى .

وأما الذين قرَءوا ﴿ أُسَـٰرَىٰ ﴾ فإنَّهم أخرَجوه على مُخرجِ جمعِ « فَعْلان » ؛ إذ كان جمعُ « فعلان » الذى له « فَعْلَى » ، قد يُشارِكُ جمعَ « فعيلٍ » ، كما قالوا : سُكَارى وسَكْرى ، وكُسالى وكَسْلى ، فشبَّهوا أسيرًا - إذ جمَعوه مرةً أُسارى ، وأُخرى أَسْرى - بذلك .

وكان بعضُهم يَزْعُمُ أن معنى الأسْرَى مخالِفٌ معنى الأسارَى ، ويَزْعُمُ أن معنى الأسْرَى اسْتِئْسارُ القومِ بغيرِ أسْرٍ مِن المُسْتَأْسِرِ لهم ، وأن معنى الأسارَى معنى مَصيرِ القومِ المأْسُورِين فى أيدى الآسِرين بأسْرِهم إياهم وأخْذِهم قهرًا وغَلَبةً .

قال أبو جعفرٍ : وذلك ما لا وجهَ له يُفْهَمُ فى لغةِ أحدٍ مِن العربِ ، ولكنَّ ذلك على ما وصَفْتُ مِن جمعِ الأسيرِ مرةً على « فَعْلَى » لِمَا بيَّنْتُ مِن العلةِ ، ومرةً على « فُعَالى » لمَا ذكَرْتُ مِن تشبيهِهم جمعَه بجمعِ سَكْرانَ وكَسْلانَ وما أشْبَه ذلك .

وأولى القراءاتِ[٣] بالصوابِ فى ذلك[٤] قراءةُ مَن قرَأ : (وَإِنْ يأْتُوكُم أَسْرَى) ؛

---

(١) القراءة الأولى قرأ بها حمزة ، والثانية قرأ بها الكسائى وعاصم ونافع وأبو جعفر ، والثالثة قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وخلف ، والرابعة قراءة شاذة مما فوق العشرة . انظر النشر ٢١٨/٢.

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المستلحق » .

(٣) سقط من : م .

(٤) القراءات المتواترة لا تفاضل بينها ، قال أبو عمرو الدانى : وأئمة القراء لا يعمل فى شىء من حروف القرآن =

لأن « فُعَالى » فى جمعِ « فَعِيل » غيرُ مُستَفيضٍ فى كلامِ العربِ ، فإذ كان ذلك غيرَ مُسْتَفِيضٍ فى كلامِهم ، وكان مُستَفِيضًا فاشيًا فيهم جمعُ ما كان مِن الصفاتِ - التى بمعنى الآلامِ والزَّمانةِ - واحدُه على تقديرِ « فَعيلٍ » على « فَعْلَى » كالذى وصَفْنا قبلُ ، وكان أحدُ ذلك الأسيرَ - كان الواجبُ أن يُلْحَقَ بنَظائرِه وأشْكالِه فيُجْمَعَ جمعَها دونَ غيرِها [٣٦/٣ ظ] ممَّن خالَفَها .

وأما مَن قرَأ : ﴿ تُفَـٰدُوهُمْ ﴾ . فإنه أراد : إنكم تَفْدُونهم ممن[1] أسرَهم ، ويُفْدَى منكم الذين أسَرُوهم ؛ ففادُوكم بهم [2]أسْراهم منكم[2] .

وأما مَن قرَأ ذلك : (تَفْدوُهُمْ) فإنه أراد أنكم يا معشرَ اليهودِ إن أتاكم الذين أخْرَجْتُموهم منكم مِن ديارِهم أسْرَى ، فدَيْتُموهم فاسْتَنْقَذْتُموهم .

وهذه القراءةُ أعجبُ إلىَّ مِن الأولى - أعْنى : (أسْرَى تَفْدُوهم) - لأن الذى على اليهودِ فى دينِهم فِداءُ أسْراهم بكلِّ حالٍ ، فَدَى الآسِرون أسْراهم منهم أم لم يَفْدُوهم .

وأمّا قولُه : ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾ فإن فى قولِه : ﴿ وَهُوَ ﴾ وجهين مِن التأويلِ ؛ أحدُهما : أن يكونَ كِنايةً عن الإخراجِ الذى تَقَدَّم ذِكرُه ، فكأنه قال : وتُخْرِجون فريقًا منكم مِن ديارِهم ، وإخراجُهم مُحَرَّمٌ عليكم . ثم كرَّر الإخْراجَ الذى بعدَ ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ تكريرًا على « هو » ، لمَّا حال بينَ « الإخراجِ » و﴿ هُوَ ﴾ كلامٌ .

والتأويلُ الثانى : أن يَكونَ عِمادًا[3] لمَّا كانت الواوُ التى مع ﴿ وَهُوَ ﴾ تَقْتَضِى

= على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية ، بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل ، والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها . النشر ١٦/١ .

(١) فى م : « من » .

(٢ - ٢) فى م : « أمراكم منهم » .

(٣) هو ضمير الفصل ويسميه الكوفيون عمادا ، لكونه حافظا لما بعده حتى لا يسقط عن الخبرية ، أو كأنه =

اسمًا يَلِيها دونَ/ الفعلِ[1] ، فلما قدَّم الفعلَ قبلَ الاسمِ - الذى تَقْتَضِيه الواوُ أن يَلِيَها - ٤٠١/١ أُولِيَت « هو » ؛ لأنه اسمٌ ، كما تَقولُ فى الكلامِ : أتَيْتُك ، وهو قائمٌ أبوك . بمعنى وأبوك قائمٌ ؛ إذ كانت الواوُ تَقْتَضِى اسمًا ، فعُمِدَت بـ « هو » ؛ إذ سبق الفعلُ الاسمَ ليَصْلُحَ الكلامُ به ، كما قال الشاعرُ[2] :

فأَبْلِغْ أبا يحيى إذا ما لقِيتَه على العِيسِ فى آباطِها عَرَقٌ يَبْسُ
بأنَّ السُّلامىَّ الذى بضَرِيَّةٍ[3] أَميرَ الحِمَى قد باع حَقِّى بنى عَبْسِ
بثوبٍ ودينارٍ وَشاةٍ ودِرْهَمٍ فهل هو مرفوعٌ بما هلهنا راسُ

فأُولِيَت « هل »[4] لطلبِها الاسمَ العِمادَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ ﴾ : فليس لمن قتَل منكم قَتيلاً - فكفَر بقتلِه إياه (٥) ببعضِ حكمِ (٥) اللهِ الذى حكَم به عليه فى التَّوْراةِ ، وأخْرَج منكم فريقًا مِن ديارِهم مُظاهِرًا[6] عليهم أعداءَهم مِن أهلِ الشركِ ظُلمًا وعُدْوانًا ، وخلافًا لمَا أمَرَه اللهُ به فى كتابِه الذى أنْزَله إلى موسى - ﴿ جَزَآءُ ﴾ ، يعنى بـ« الجزاءِ » الثوابَ ، وهو العِوَضُ مما فعَل مِن ذلك والأجرُ عليه ، ﴿ إِلَّا خِزْىٌ

= عمد الاسم وقواه بتحقيق الخبر . شرح المفصل ٣/ ١١٠، شرح الرضى على الكافية ٢/ ٢٤، ٢٥.

(١) المراد بالفعل هنا : المشتقات التى تعمل عمل الفعل . ينظر مصطلحات النحو الكوفى ص٥٢ - ٥٤.

(٢) معانى القرآن للفراء ١/ ٥٢.

(٣) ضرية : أرض بنجد وينسب إليها حمى ضرية ينزلها حاج البصرة . معجم البلدان ٣/ ٢٧٢.

(٤) أى : أوليت هل الضمير « هو » .

(٥ - ٥) فى م ، ت١ ، ت٢ : « بنقض عهد » .

(٦) فى الأصل : « مظاهرة » .

فِي ٱلْحَيَوٰةِ [٣٧/٣و] ٱلدُّنْيَا ﴾ . والخِزْىُ الذُّلُّ والصَّغارُ . يقالُ منه : قد خَزِى الرجلُ يَخْزَى خِزْيًا ﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ، يعنى : فى عاجلِ الدنيا قبلَ الآخِرةِ.

ثم اختُلِف فى الخِزْىِ الذى جزاهم[1] اللهُ بما سلَف منهم[2] مِن معصيتِهم إياه ؛ **فقال بعضُهم** : ذلك هو حُكْمُ اللهِ الذى أنْزَلَه إلى نبيِّه محمدٍ ﷺ مِن أخْذِ القاتلِ بمَن قتَل والقَوَدِ به قِصاصًا ، والانتقامِ للمظلومِ مِن الظالِم .

وقال آخرون : بل ذلك هو أخْذُ الجزيةِ منهم ما أقاموا على دينِهم ذِلَّةً لهم وصَغارًا .

وقال آخرون : بل ذلك الخِزْىُ الذى جُوزُوا به فى الدنيا إخراجُ رسولِ اللهِ ﷺ النَّضِيرَ عن دِيارهم لأولِ الحَشْرِ ، وقَتْلُ مُقاتِلةِ قُرَيْظَةَ وسَبْىُ ذَرارِيِّهم ، فكان ذلك لهم خِزْيًا فى الدنيا ، ولهم فى الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ﴾ : ويومَ تَقومُ[3] الساعةُ ، يُرَدُّ مَن يَفْعَلُ ذلك منكم بعدَ الخِزْىِ الذى يَحِلُّ به فى الدنيا جَزاءً على معصيتِه اللهَ ، إلى أشدِّ العذابِ الذى أعَدَّه اللهُ لأعْدائِه .

وقد قال بعضُهم : معنى ذلك : ثم يومَ القيامةِ يُرَدُّونَ إلى أشدِّ مِن عذابِ الدنيا .

ولا معنى لقولِ قائلِ ذلك ؛ لأن اللهَ جل ثناؤُه إنما أخْبَرَ أنهم يُرَدُّون إلى أشدِّ معانى العذابِ ، ولذلك أدْخَل فيه الألفَ واللامَ ؛ لأنه عَنَى به جنسَ العذابِ كلِّه دونَ نوعٍ منه .

---

(١) فى م : « أخزاهم » .
(٢) سقط من : م .
(٣) سقط من : الأصل .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

اختَلَفت القَرَأَةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأه بعضُهم : (وما اللهُ بغافلٍ عما يعملون) . بالياءِ[1] على وجهِ الإخبارِ / عنهم ، فكأنَّهم نحَوْا بقراءتِهم معنى : ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ويومَ القيامةِ يُرَدُّ من يفعلُ ذلك منكم إلى أشدِّ العذابِ (وما اللهُ بغافلٍ عما يَعْمَلُونَ) يعنى: عَمَّا يَعْمَلُه الذين أخبَرَ اللهُ عنهم أنه ليس لهم جزاءٌ على فعلِهم إلَّا الخِزْىُ فى الحياةِ الدنيا ، ومرجعُهم فى الآخرةِ إلى أشدِّ العذابِ . ١/٤٠٢

وقرَأه آخرون : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ بالتاءِ على وجهِ المخاطبةِ . قال : فكأنَّهم نَحَوْا بقراءتِهم : أفتؤمنون ببعضِ الكتابِ وتكفُرون ببعضٍ ، [٣٧/٣ظ] وما اللّهُ بغافلٍ يا معشرَ اليهودِ عما تعملون أنتم .

وأَعجَبُ القراءتين فى ذلك إلىَّ قراءةُ من قرأ بالياءِ إتباعًا لقولِه : ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ ﴾ ولقولِه : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ ﴾ ؛ لأن قولَه : (وما اللهُ بغافلٍ عما يَعْمَلُون) . إلى ذلك أقربُ منه إلى قولِه : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ فإتباعُه الأقربَ إليه أَوْلَى مِن إلحاقِه بالأبعدِ منه .

والوجهُ الآخَرُ غيرُ بعيدٍ مِن الصوابِ .

وتأويلُ قولِه : (٢﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾٢) : وما اللهُ بساهٍ عن أعمالِهم الخبيثةِ ، بل هو مُحْصٍ لها ، وحافظُها عليهم حتى يُجازِيَهم بها فى الآخرةِ ، ويُخزِيَهم فى الدنيا فَيُذِلَّهم ويَفْضَحَهم بها[3] .

---

(١) قرأ بها نافع وابن كثير وأبو بكر ويعقوب ، وقرأ بقية العشرة بالتاء ، وكلتا القراءتين متواترة . النشر ٢/ ٢١٨.
(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.
(٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الذين أخبَر عنهم أنهم يُؤمنون ببعضِ الكتابِ فيُفَادُون أسراهم مِن اليهودِ ، ويَكْفُرون ببعضٍ فيَقْتُلون مَن حرَّم اللهُ عليهم قتلَه مِن أهلِ مِلَّتِهم ، ويُخْرِجُون مِن دارِه مَن حرَّم اللهُ عليهم إخراجَه مِن دارِه ، نقضًا لعهدِ اللهِ وميثاقِه فى التوراةِ إليهم ، فأخبرَ جل ثناؤه أن هؤلاء هم الذين اشتَرَوْا رياسةَ الحياةِ الدنيا على الضعفاءِ وأهلِ الجهلِ والغباءِ مِن أهلِ مِلَّتِهم ، وابتاعُوا المآكلَ الخَسِيسةَ الرديئةَ فيها بالإيمانِ الذى كان يكونُ لهم به فى الآخرةِ - لو كانوا أَتَوْا به مكانَ الكفرِ - الخلودُ فى الجنَانِ . وإنما وصَفهم اللهُ جل ثناؤه بأنهم اشتَرَوْا الحياةَ الدنيا بالآخرةِ ؛ لأنهم رَضُوا بالدنيا - بكُفْرِهم باللهِ فيها - عوضًا مِن نعيمِ الآخرةِ الذى أعدّه اللهُ للمؤمنين ، فجعَل تركَهم[(١)] حُظُوظَهم مِن نعيمِ الآخرةِ بكفرِهم باللهِ ثمنًا لما ابتاعوه به مِن خسيسِ الدنيا .

كما حدَّثنا[(٢] بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا[٢)] يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ : استحبُّوا قليلَ الدنيا على كثيرِ الآخرةِ[(٣)] .

ثم أخبرَ اللهُ جل ثناؤه أنهم إذ[(٤)] باعوا حظوظَهم مِن نعيمِ الآخرةِ بتركِهم

(١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت٢ ، ت ٣ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٧/١ (٨٧٧) من طريق يزيد به .

(٤) فى م : « إذا » .

طاعته ، وإيثارِهم الكفرَ به والخسيسَ مِن الدنيا عليه ، فلا[(1)] حظٌّ لهم فى نعيمِ الآخرةِ ، وأن الذى لهم فى الآخرةِ العذابُ ، غيرُ مُخَفَّفٍ عنهم فيها العقابُ ؛ لأن الذى يُخَفَّفُ عنه فيها مِن العذابِ هو الذى له حَظٌّ فى نَعِيمِها ، ولا حَظَّ لهؤلاءِ لاشترائِهم[(2)] - كان فى الدنيا[(3)] - دنياهم بآخرتِهم .

وأمَّا [٣٨/٣و] قولُه : ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ . فإنه أخبر عنهم أنهم لا يَنْصُرُهم فى الآخرةِ أحدٌ فَيَدْفَعَ عنهم بنُصْرَتِه عذابَ اللهِ، لا بقوَّةٍ[(4)] ، ولا بشفاعةٍ[(5)] ولا غيرِهما .

/القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾ . ١/٤٠٣

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ : أنزلناه إليه .

وقد بيَّنَّا أن معنى الإيتاءِ الإعطاءُ ، فيما مضَى قبلُ[(6)] .

والكتابُ الذى آتاه اللهُ موسى عليه السلامُ هو التوراةُ .

وأمَّا قولُه : ﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾ . فإنه يعنى : وأَرْدَفْنا وأَتْبَعْنا بعضَهم خلفَ بعضٍ ، كما يَقْفُو الرجلُ الرجلَ إذا سار فى أَثَرِه مِن ورائِه ، وأصلُه مِن القَفَا ، يقالُ منه : قَفَوْتُ فلانًا : إذا صِرْتَ خلفَ قفاه ، كما يقالُ : دَبَرْتُه : إذا صِرْتَ فى دُبُرِه .

ويعنى بقولِه : ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ : مِن بعدِ موسى .

ويعنى : ﴿ بِٱلرُّسُلِ ﴾ : الأنبياءَ ، وهم جَمْعُ رسولٍ ، يقالُ : هو رسولٌ ، وهم

(١) فى م : « لا » .

(٢) بعده فى م ، ت١، ت٢، ت٣ : « الذى » .

(٣) بعده فى م ، ت١، ت٢، ت٣ : « و » .

(٤) فى م : « بقوته » .

(٥) فى م : « بشفاعته » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ٥١.

رُسُلٌ . كما يقالُ : هو رَجُلٌ صبورٌ ، وهم قومٌ صُبُرٌ ، وهو رَجُلٌ شَكورٌ ، وهم قومٌ شُكُرٌ .

وإنما يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ . أى: أَتْبَعْنا بعضَهم بعضًا على مِنهاجٍ واحدٍ وشريعةٍ واحدةٍ ؛ لأن كلَّ مَن بعَثه اللهُ نبيًّا بعدَ موسى صلَوَاتُ اللهِ عليه إلى أزمانِ عيسى ابنِ مريمَ ، فإنما بعَثه يَأْمُرُ بنى إسرائيلَ بإقامةِ التوراةِ والعمَلِ بما فيها والدعاءِ إلى ما فيها ، فلذلك قيل : ﴿ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ يعنى : على مِنهاجِه وشريعتِه ، والعملِ بما كان يَعْمَلُ به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ : أعطينا عيسى ابنَ مريمَ . ويعنى بـ « البيِّناتِ » التى آتاه اللهُ إيَّاها ، ما أَظْهَرَ على يديه مِن الحُجَجِ له[(١)] ، والدلالةِ على نُبُوَّتِه ؛ مِن إحياءِ الموتى ، وإبراءِ الأَكْمَهِ[(٢] والأَبْرَصِ[٢)] ، ونحوِ ذلك مِن الآياتِ التى أبانتْ منزلتَه مِن اللهِ ، ودلَّت على صدقِه وصِحَّةِ نُبُوَّتِه .

كما حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : ثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بن جُبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ . أى : الآياتِ التى وضَع على يديه ؛ مِن إحياءِ الموتى ، وخلْقِه مِن الطينِ كهيئةِ الطيرِ ، ثم ينفُخُ فيه [٣٨/٣ظ] فيكونُ طائرًا بإذنِ اللهِ ، وإبراءِ الأسقامِ ، والخبرِ بكثيرٍ مِن الغُيُوبِ مِمَّا يَدَّخِرون فى بيوتِهم ، وما رَدَّ عليهم مِن التوراةِ مع الإنجيلِ الذى أحدَثَ اللهُ إليه[(٣)] .

---

(١) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٥٤١/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٨/١ ، ٤٨٣/٢ (٨٨١ ، ٢٥٥٥) من طريق سلمة به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ ﴾ .

أمَّا معنى قولِه : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ ﴾ فإنه : قَوَّيْناه [١]وأَعَنَّاه بِهِ[١] .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زُهَيْرٍ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضَّحَّاكِ فى قولِه : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ ﴾ . يقولُ : نصَرْناه .

يقال منه : أيَّدَكَ اللهُ ، أى : قوَّاك اللهُ ، وهو رجُلٌ ذو أيدٍ وذو آدٍ ، يراد : ذو قوةٍ . ومنه قولُ العَجَّاجِ[٢] :

مِنْ أنْ تَبَدَّلْتُ بآدِىَ آدا

/يعنى : [٣]تَبَدَّلتُ بقوَّةِ شَبابِى[٣] قوةَ المَشِيبِ . ومنه قولُ الشاعرِ[٤] : ٤٠٤/١

إنّ القِدَاحَ إذا اجْتَمَعْنَ فَرامَها ... بالكَسْرِ ذُو جَلَدٍ[٥] وبَطْشٍ أَيِّدِ

يعنى بالأَيِّد : القَوِىّ .

ثم اختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : الرُّوحُ[٦] الذى أخبَرَ اللهُ تعالى ذكرُه أنه أيَّد عيسى به هو جبريلُ عليه السلامُ .

(١ - ١) فى م : « فأعناه » .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٤٦.

(٣ - ٣) فى م، ت١ ت ٢، ت ٣: « بشبابى » .

(٤) التعازى والمراثى للمبرد ص ١٢٥.

(٥) فى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « خلد » ، وفى التعازى والمراثى : « حنق وكسر » .

(٦) فى م : « روح القدس » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ . قال : هو جبريلُ[(١)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمْرُو بنُ حَمَّادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ قولَه : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ . قال : هو جبريلُ[(٢)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زُهَيْرٍ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضَّحَّاكِ فى قولِه : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ . قال : رُوحُ القُدُسِ : جبريلُ .

وحُدِّثْتُ عن عمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ . قال : أُيِّد عيسى بجبريلَ ، وهو رُوحُ القُدُسِ[(٣)] .

حدَّثنا[(٤)] ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، عن (٥) ابنِ إسحاقَ (٥) ، قال : حدَّثنى عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الحسينِ المَكِّىُّ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ الأشعرىِّ ، أن نفرًا مِن اليهودِ سألوا رسولَ اللهِ ﷺ فقالوا : أخبِرْنا عن الرُّوحِ . قال : « أَنْشُدُكم باللهِ وبأيَّامِه عندَ بَنِى إسْرائِيلَ ، هل تَعْلَمُونَ أنَّه جِبْرِيلُ ، وهو الذى يَأْتِينى » ؟ قالوا : نعم[(٦)] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٥١/١ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٨/١ عقب الأثر (٨٨٤) من طريق عمرو به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٨/١ عقب الأثر (٨٨٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « وقال » .

(٥ - ٥) فى م : « إسحاق » .

(٦) سيرة ابن هشام ٥٤٣/١ مطولا . وسيأتى بتمامه فى ص ٢٨٥ ، وينظر ص ٢٨٣.

وقال آخَرون : الرُّوحُ الذى أيَّد اللهُ به عيسى هو الإنْجيلُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يُونسُ بنُ عبدِ الأَعْلَى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، [٣٩/٣و] قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَأَيَّدْنَهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ ﴾ . قال : أَيَّد اللهُ عيسى بالإنجيلِ رُوحًا كما جعَل القرآنَ رُوحًا للهِ ، كلاهما رُوحُ اللهِ ، كما قال اللهُ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

وقال آخَرون : الرُّوحُ هو الاسمُ الذى كان عيسى يُحْيى به المَوْتَى .

ذكرُ مَن قال ذلك

حُدِّثْتُ عن المِنْجَابِ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَأَيَّدْنَهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ ﴾ . قال : هو الاسمُ الذى كان يُحْيِى به عيسى المَوْتَى[(١)] .

/وأَوْلَى التأويلاتِ فى ذلك بالصوابِ قولُ مَن قال : الرُّوحُ فى هذا الموضعِ ٤٠٥/١ جبريلُ ؛ لأن اللهَ جل ثناؤه أخبرَنا أنه أيَّد عيسى به ، كما أخبر فى قولِه : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًاۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَۖ ﴾ [المائدة : ١١٠] . (٢)أنه أيَّده به(٢) ، فلو كان الرُّوحُ الذى أيَّده اللهُ به هو الإنجيلَ لكان قولُه : ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ - ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٩/١ (٨٨٦) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ تكريرَ قولٍ لا معنى له ؛ وذلك أنه على تأويلِ قولِ مَن قال : معنى ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ : (١)إذ أيَّدتُك بالإنجيلِ(١) . إنَّما هو : إذ أيَّدتُك بالإنجيلِ ، وإذ علَّمتُك الإنجيلَ . وهو لا يكونُ به مُؤَيَّدًا إلا وهو مُعَلَّمُه ، فذلك تكريرُ كلامٍ واحدٍ (٢)فى آيةٍ واحدةٍ(٢) مِن غيرِ زيادةِ معنًى فى أحدِهما على الآخَرِ ، وذلك خُلْفٌ مِن الكلامِ ، واللهُ تعالى ذكرُه يَتَعالَى عن أن يُخَاطِبَ عبادَه بما لا يُفِيدُهم به فائدةً .

وإذ كان ذلك كذلك ، فبيِّنٌ فسادُ قولِ مَن زعَم أن الرُّوحَ فى هذا الموضعِ الإنجيلُ ، وإن كان جميعُ كتبِ اللهِ جلَّ ثناؤه التى أوحاها إلى رسلِه روحًا منه ؛ لأنه تحيا بها القلوبُ الميِّتةُ ، وتَنْتَعِشُ بها النفوسُ المُوَلِّيةُ ، وتَهْتَدِى بها الأحلامُ الضالَّةُ .

وإنما سَمَّى اللهُ جلَّ ثناؤه جبريلَ « رُوحًا » وأضافه إلى « القُدُسِ » ؛ لأنه كان بتكوينِ اللهِ له رُوحًا مِن عندِه عن غيرِ ولادةِ والدٍ ولَده ، فسمَّاه مِن أجلِ ذلك « روحًا » ، وأضافه إلى « القدسِ » - والقدسُ هو الطُّهْرُ - كما سُمِّى عيسى ابنُ مريمَ روحَ اللهِ ، مِن أجلِ تكوينِه له رُوحًا مِن عندِه مِن غيرِ ولادةِ والدٍ ولَده .

وقد بيَّنَّا فيما مضَى مِن كتابِنا [٣٩/٣ظ] هذا أن معنى التقديسِ التطهيرُ(٣) . والقدسُ الطُّهرُ مِن ذلك .

وقد اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى معناه فى هذا الموضعِ نحوَ اختلافِهم فى الموضعِ الذى ذكرْناه .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمْرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : القدسُ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) ينظر ما تقدم فى ١/٥٠٥ وما بعدها .

البركةُ[١] .

وحُدِّثْتُ عن عمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، [٢]عن الربيعِ[٢] ، قال : القدسُ هو الربُّ[٣] .

وحدَّثني يُونُس بنُ عبدِ الأَعلَى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ قال : اللهُ القُدُسُ ، وأيَّد عيسى برُوحِه . قال : [٤]واحتَجَّ في هذا بقولِ كعبٍ[٤] : اللهُ القُدسُ . وقرَأ قولَ اللهِ جلَّ ثناؤه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ [الحشر : ٢٣] . وقال : القُدُسُ والقُدُّوسُ واحدٌ .

وحدَّثني يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ[٥] ، قال : أخبرني عمْرُو بنُ الحارثِ ، عن سعيدِ بنِ أبي [٦]هلالٍ ، عن[٦] هلالِ بنِ[٧] أسامةَ ، عن عطاءِ بنِ يسارٍ ، قال : قال كعبٌ[٨] : اللهُ القُدُسُ .

القولُ في تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٩/١ (٨٨٨) من طريق عمرو به .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) بعده في م : « تعالى ذكره » . والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٩/١ (٨٨٧) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤ - ٤) في م : « نعت » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « واحتج بقول بعث » .

(٥) بعده في ت ٢ : « قال : قال ابن زيد » .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧) بعده في الأصل : « أبي » . وهو هلال بن علي بن أسامة . وقد ينسب إلى جده كما في تهذيب الكمال ٣٤٣/٣٠ .

(٨) في م : « نعت » . وينظر تفسير ابن كثير ١٧٦/١ .

يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ . اليهودَ مِن بنى إسرائيلَ .

حدَّثنى بذلك محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ .

قال أبو جعفرٍ : يقولُ اللهُ جل ثناؤه لهم : يا معشرَ يهودِ بنى إسرائيلَ ، لقد آتينا موسى التوراةَ ،/ وتابَعْنا مِن بعدِه الرسلَ[1] إليكم ، وآتينا عيسى ابنَ مريمَ البيِّناتِ والحُجَجَ إذ بعثْناه إليكم ، وقوَّيْناه بروحِ القُدُسِ ، وأنتم كُلَّما جاءكم رسولٌ مِن رُسُلى بغيرِ الذى تهواه نفوسُكم استكبرتُم عليه[2] - تجبُّرًا وبَغْيًا - استكبارَ إمامِكم إبليسَ ، فكذَّبتُم مِنهم بعضًا ، وقتَلْتُم بعضًا ، أفهذا[3] فعلُكم أبدًا برسلى !

وقولُه : ﴿ أَفَكُلَّمَا ﴾ وإن كان خرَج مَخْرَجَ التقريرِ فى الخطابِ فهو بمعنى الخبرِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ .

اختلفت القَرأَةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأه بعضُهم : ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ مخفَّفةَ اللامِ ساكنةً ، وهى قراءةُ عامَّةِ قرأةِ الأمصارِ فى جميعِ الأقطارِ[4] . وقرأه بعضُهم : (وقالوا قلوبُنا غُلُفٌ) . مثقَّلةً[5] اللامِ مضمومةً[6] .

(١) فى م : « بالرسل » .

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عليهم » .

(٣) فى م : « فهذا » .

(٤) قرأ ذلك نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٤ .

(٥) يريد بالتثقيل هنا التحريك لا التشديد .

(٦) وبذلك قرأ أبو عمرو . المصدر السابق .

فأمَّا الذين قرءوها بسكون اللامِ وتخفيفِها ، فإنهم تأوَّلوها أنهم قالوا : قلوبُنا في أكِنَّةٍ وأغطيةٍ وغُلْفٍ ، فالغُلْفُ - على قراءةِ هؤلاء - جمعُ أغلَفَ ، وهو الذى فى غِلافٍ [٣/٤٠و] وغطاءٍ ، كما يقالُ للرجلِ الذى لم يَخْتَتِنْ : أغلَفُ . وللمرأةِ : غَلْفاءُ . وكما يقالُ للسيفِ إذا كان فى غلافِه : سيفٌ أغلَفُ ، وقوسٌ غَلْفاءُ . وجمعُها غُلْفٌ ، وكذلك جمعُ ما كان من النعوتِ ذَكَرُه على « أفعَلَ » وأنثاه على « فَعْلاءَ » ، يُجْمَعُ على « فُعْل » مضمومةَ الأولِ ساكنةَ الثانى ، مثلَ أحمرَ [(١] وحُمْرٍ ، وصَفْراءَ [١)] وصُفْرٍ ، فيكونُ ذلك جماعًا للتأنيثِ والتذكيرِ ، ولا يجوزُ تثقيلُ عينِ « فُعْلٍ » منه إلَّا فى ضرورةِ شعرٍ ، كما قال طَرَفَةُ بنُ العبدِ [(٢)] :

أيُّها الفِتْيانُ فى مَجْلِسِنا جَرِّدُوا مِنها [(٣)] وِرَادًا [(٤)] وشُقُرْ

يُرِيدُ : شُقْرًا . [(٥] إلَّا أنَّ الرَوِىَّ [٥)] اضطَرَّه إلى تحريكِ ثانيه فحرَّكه .

ومنه الخبرُ الذى حدَّثنا به ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا الحكَمُ بنُ بَشِيرِ بنِ سلمانَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ قيسٍ المُلائىُّ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ الجَمَلىِّ ، عن أبى البَخْتَرِىِّ ، عن حُذَيْفَةَ ، قال : القلوبُ أربعةٌ . ثم ذكَرها ، فقال فيما ذكَر : وقلبٌ أغلَفُ مَغضُوبٌ [(٦)] عليه ، فذاك قلبُ الكافرِ [(٧)] .

(١ - ١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « وحمر وأصفر وصفر » .

(٢) ديوان طرفة بشرح الأعلم ص ٦٩ .

(٣) منها : أى الخيل . وجردوا الخيل ، يعنى : ألقوا عنها جلالها وأسرجوها استعدادًا للقتال واللقاء . المصدر السابق .

(٤) وراد : جمع وَرْد ، وهو من الخيل ما كان بين الكميت - الأسمر - والأشقر - الأحمر - . التاج (و ر د ، ش ق ر) .

(٥ - ٥) فى م : « لأن الشعر » .

(٦) فى الأصل ، ت ١ ، : « مغضوب » .

(٧) أخرجه ابن أبى شيبة ١١/ ٣٦ ، ١٥/ ١٠٨ ، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٢٧٦ من طريق الأعمش ، عن عمرو ابن مرة به ، وأبو البخترى - سعيد بن فيروز - لم يدرك حذيفة .

ورواه شيبان بن عبد الرحمن ، عن ليث بن أبى سليم - وهو ضعيف - عن عمرو بن مرة ، عن أبى =

ذِكْرُ مَن تأوَّل[١] ذلك بمعنى[٢] أنها فى أغطيةٍ

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ أى : فى أكِنَّةٍ[٣] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن [٤]علىِّ بنِ[٤] أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ أى: فى غطاءٍ[٥] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ : فهى القلوبُ المطبوعُ عليها[٣] .

وحدَّثنى عباسُ بنُ محمدٍ ، قال : ثنا حَجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : أخبرنى عبدُ اللهِ بنُ كَثيرٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ : عليها غِشاوةٌ[٦] .

١/٤٠٧ /وحدَّثنى المُثَنَّى قال : ثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، قال : حدثنى عبدُ اللهِ

= البخترى ، عن أبى سعيد الخدرى مرفوعًا . أخرجه أحمد ١٧/٢٠٨ (١١١٢٩) ، والطبرانى فى الصغير ٢/ ١١٠ ، وأبو نعيم فى الحلية ٤/ ٣٨٥، وأبو البخترى لم يدرك أبا سعيد الخدرى . وقال أبو نعيم : غريب من حديث عمرو وتفرد به شيبان ، عن ليث .

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «قال» .

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «يعنى» .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٧٦.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١،ت ٢،ت ٣.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٠ (٨٩٥) ، ٤/١١٠٨ (٦٢٢١) عن أبيه عن أبى صالح به .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر ١/٨٧ إلى المصنف .

ابنُ[1] كَثِيرٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ : عليها غشاوةٌ .

وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأَهْوَازِيُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن الأعمشِ قولَه : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ قال : هي في غُلْفٍ .

وحدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ أي : لا تَفْقَهُ[2] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ . قال : هو كقولِه : ﴿ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ ﴾[3] [فصلت : ٥] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا [٣/٤٠ظ] إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ . قال : عليها طابَعٌ . قال : هو كقولِه : ﴿ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ ﴾[3] .

وحدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ أي : لا تَفْقَهُ[4] .

وحدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ قال : يقولون : عليها غِلافٌ ، وهو الغِطاءُ[5] .

---

(١) بعده في الأصل ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أبي » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٧٠ ، ٤/ ١١٠٨ عقب الأثر (٨٩٧ ، ٦٢٢٣) من طريق سعيد عن قتادة به .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥١ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٧٠ (٨٩٧) من طريق آدم به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٧٠ عقب الأثر (٨٩٥) عن أبي زرعة عن عمرو به .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ ﴾ . قال : يقولُ : قلبى فى غِلافٍ ، فلا يَخْلُصُ إليه ما[١] تقولُ . وقرأ : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴾[٢] .

وأمَّا الذين قرءوها : (غُلُفٌ) . بتحريكِ اللامِ وضَمِّها ، فإنهم تأوَّلوها أنهم قالوا : قلوبُنا غُلُفٌ للعلمِ . بمعنى أنها أوعيةٌ لها[٣] . والغُلُفُ - على قراءةِ[٤] هؤلاء - جمعُ غِلافٍ ، كما يُجْمَعُ الكِتابُ كُتُبًا ، والحِجَابُ حُجُبًا ، والشِّهَابُ شُهُبًا .

فمعنى الكلامِ على تأويلِ مَن قرأه : (غُلُفٌ) . بتحريكِ اللامِ وضَمِّها : وقالت اليهودُ : قلوبُنا غُلُفٌ للعلمِ ، وأوعيةٌ له أَو[٥] لغيرِه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى عُبَيْدُ بنُ أسباطَ بنِ محمدٍ القرشىُّ[٦] ، قال : ثنا أبى ، عن فُضَيْلِ بنِ مرزوقٍ ، عن عطيةَ : (وقالوا قُلُوبنا غُلُفٌ) . قال : أوعيةٌ للذِّكرِ[٧] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عُمارةَ الأسدىُّ ، قال : ثنا عُبَيْدُ اللهِ بنُ موسى ، قال : أخبرَنا فُضَيْلٌ ، عن عطيةَ فى قولِه : (غُلُفٌ) . قال : أوعيةٌ للعلْمِ[٨] .

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « مما » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٧٧.

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « قال » .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « تأويل » .

(٥) فى م ، ت ١،ت ٢، ت ٣: « و » .

(٦) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٠ ، ٤/١١٠٨ (٨٩٨، ٦٢٢٤) من طريق أسباط بن محمد به . وفيه : أوعية للمنكر .

(٨) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٠ ، ٤/١١٠٨ (٨٩٤، ٦٢٢٠)من طريق فضيل به .

وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأَهْوَازيُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا فُضَيْلُ [(١] بنُ مَرزوقٍ [١)] ، عن عطيةَ مثلَه .

وحُدِّثْتُ عن المِنْجَابِ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : (وقالوا قلوبُنا غُلُفٌ) . قال : مملوءةٌ عِلمًا لا يُحتاجُ إلى عِلْمِ [(٢)] محمدٍ ولا غيرِه [(٣)] .

١/٤٠٨ /والقراءةُ التي لا يجوزُ غيرُها في قولِه : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ هي قراءةُ مَن قرَأها : ﴿ غُلْفٌۢ ﴾ . بتسكينِ اللامِ ، بمعنى أنها في أغشيةٍ وأغطيةٍ ؛ لاجتماعِ الحُجَّةِ مِن القَرَأَةِ وأهلِ التأويلِ على صِحَّتِها ، وشذوذِ مَن شَذَّ عنهم بما خالفه مِن قراءةِ ذلك بضمِّ اللامِ . وقد دَلَّلْنا على أن ما جاءت به الحُجَّةُ مُتَّفقةً عليه ، حُجَّةٌ على مَن بلَغه ، وما جاء به المُنْفَرِدُ فغيرُ جائزِ الاعتراضُ به على ما جاءت به الجماعةُ التي تقومُ بها الحُجَّةُ نقلاً ، [(٤]قولًا أو عملًا [٤)] ، في غيرِ هذا الموضعِ ، فأغنى ذلك عن إعادتِه في هذا المكانِ .

القولُ في تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ .

يعني جل ثناؤه بقولِه : ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ : بل أقصاهم اللهُ وأبعَدهم وطرَدهم وأخزَاهم وأهلكهم بكفرِهم ، [٣/٤١و] وهو [(٥)] جُحودُهم آياتِ اللهِ وبيِّناتِه وما ابْتَعث به رسلَه ، وتكذيبُهم أنبياءَه ، فأخبَر اللهُ تعالى ذكرُه أنه أبعَدهم منه ومِن رحمتِه بما

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٧٠، ١١٠٨/٤ (٨٩٣ ، ٦٢١٩) عن أبي زرعة عن منجاب به .

(٤ - ٤) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وقولا وعملا » .

(٥) سقط من : م .

كانوا يفعَلون مِن ذلك .

وأصلُ « اللَّعْنِ » الطردُ والإبعادُ والإقصاءُ ، يقال منه : لعَن فُلانٌ[١] فلانًا يَلْعَنُه لَعْنًا ، وهو ملعونٌ . ثم يُصَرَّفُ « مفعولٌ » [٢]منه إلى « فَعِيلٍ »[٢] ، فيقال : هو لَعِينٌ . ومنه قولُ الشَّمَّاخِ[٣] :

ذَعَرْتُ بهِ القَطَا ونَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ[٤] الذِّئْبِ كالرَّجُلِ اللَّعِينِ

وفى قولِ اللهِ جلَّ ثناؤه : ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ . تكذيبٌ منه للقائلين مِن اليهودِ : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ . لأن قولَه : ﴿ بَل ﴾ . دلالةٌ على جَحْدِه جل ذكرُه ، وإنكارِه ما ادَّعَوْا مِن ذلك ، إذ كانت « بل » لا تدخُلُ فى الكلامِ إلَّا نَقْضًا لمجحودٍ .

فإذ[٥] كان ذلك كذلك ، فبيِّنٌ أن معنى الآيةِ : وقالت اليهودُ : قلوبُنا فى أَكِنَّةٍ مِمَّا تدعونا إليه يا محمدُ . فقال اللهُ تعالى ذكرُه : ما ذلك كما زعَموا ، ولكنَّ اللهَ أقصَى اليهودَ وأبعَدَهم مِن رحمتِه ، وطرَدهم عنها وأخزاهم ، بجحودِهم [٦]به وبرسلِه[٦] فقليلاً ما يؤمنون .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ فقال بعضُهم :

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الله » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « منه » .

(٣) ديوانه ص ٣٢١ .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مكان » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فإذا » .

(٦ - ٦) فى م : « له ولرسله » .

معناه : فقليلٌ منهم مَن يُؤْمِنُ . أى : لا يُؤْمِنُ منهم إلَّا قليلٌ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ : وَلَعَمْرِى ، لَمَن رجَع مِن أهلِ الشركِ أكثرُ مِمَّن رجَع مِن أهلِ الكتابِ ، إنما آمن مِن أهلِ الكتابِ رهطٌ يسيرٌ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ قال : لا يُؤْمِنُ منهم إلَّا قليلٌ[1] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا يؤمنون إلَّا بقليلٍ مِمَّا فى أيديهم .

٤٠٩/١

/ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا أبو سفيانَ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ قال : لا يُؤْمِنُ منهم إلَّا قليلٌ . قال معمرٌ : وقال غيرُه : لا يؤمِنون إلَّا بقليلٍ مِمَّا فى أيديهم .

وأَوْلَى التأويلاتِ فى قولِه : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ بالصوابِ [٤١/٣ظ] ما نحن مُبَيِّنُوهُ[2] إن شاء اللهُ ، وهو أن اللهَ جل ثناؤه أخبَر أنه لعَن الذين وصَف صفتَهم فى هذه الآيةِ ، ثم أخبَر عنهم أنهم قليلو الإيمانِ بما أنزَل اللهُ إلى نبيِّه محمدٍ ﷺ ، ولذلك

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٥١/١ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧١/١ ، ١١٠٩/٤ (٩٠٠ ، ٦٢٢٩) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « متقنوه » .

نصَب قولَه : ﴿ فَقَلِيلًا ﴾ لأنه نعتٌ للمصدرِ المتروكِ ذكرُه ، ومعناه : بل لعَنهم اللهُ بكفرِهم ، فإيمانًا قليلاً ما يؤمنون . فقد تبيَّن إذن - بما بيَّنَّا - فسادُ القولِ الذى رُوِى عن قتادةَ فى ذلك ؛ لأن معنى ذلك لو كان على ما رُوِى عنه مِن أنه يعنى به : فلا يُؤمِنُ منهم إلاَّ قليلٌ ، أو فقليلٌ منهم مَن يُؤْمِنُ . لكان « القليلُ » مرفوعًا لا منصوبًا ؛ لأنه إذا كان ذلك تأويلَه كان « القليلُ » حينئذٍ مُرَافِعًا « ما » ، وإن نُصِب « القليلُ » - و « ما » فى معنى « مَن » أو « الذى » - بقِيت « ما » لا مُرَافِعَ لها ، وذلك غيرُ جائزٍ فى لغةِ أحدٍ مِن العربِ .

فأمَّا أهلُ العربيةِ فإنهم اختَلفُوا فى معنى ﴿مَّا﴾ التى فى قوله : ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : هى زائدةٌ لا معنى لها ، وإنما تأويلُ الكلامِ : فقليلًا يؤمنون . كما قال جل ثناؤُه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] وما أشبهَ ذلك . فزعَم أن « ما » فى ذلك زائدةٌ ، وأن معنى الكلامِ : فبرحمةٍ مِن اللهِ لِنْتَ لهم . وأنشَد مُحتَجًّا لقولِه ذلك بيتَ مُهَلْهِلٍ(١) :

لَوْ بِأَبَانَيْنِ(٢) (٣)جَاءَ يَخْطُبُهَا(٣) خُضِّبَ(٤) مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ

وزعَم أنه يعنى : خُضِّب أنفُ خاطبٍ بدمٍ . وأن « ما » زائدةٌ .

وأنكَر آخَرون ما قاله قائلُ هذا القولِ فى « ما » فى الآيةِ ، وفى البيتِ الذى أنشَده ، وقالوا : إنما ذلك مِن المتكلِّم على ابتداءِ الكلامِ بالخبرِ عن عمومِ جميعِ الأشياءِ ؛ إذ كانت « ما » كلمةً تجْمَعُ كلَّ الأشياءِ ، ثم تَخُصُّ (٥)بعضَ ما عمَّته « ما » بما يُذْكَرُ(٥) بعدَها .

---

(١) شرح المفصل ١/ ٤٦، والكامل ٣/ ٩١.
(٢) أبانٌ جبَلٌ ، وهما أبانان : أبان الأسود وأبان الأبيض . قاله المبرد .
(٣ - ٣) فى الأصل ، ت١ : « جئت تخطبها » .
(٤) فى المفصل : « رُمِّل » ، وفى الكامل : « ضرج » . وكل ذلك بمعنى .
(٥ - ٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وتعمُّ ما عمَّته بما تذكره » .

وهذا القولُ عندَنا هو أَوْلَى بالصَّوَابِ ؛ لأن زيادةَ ما لا يُفِيدُ مِن الكلامِ معنًى فى الكلامِ غيرُ جائزةٍ[(١)] إضافتُه إلى اللهِ جل ثناؤه .

ولعل قائلًا أن يقولَ : هل كان للذينَ أخبرَ اللهُ عنهم أنهم قليلًا ما يؤمنون ، مِن الإيمانِ قليلٌ أو كثيرٌ ، فيقالَ فيهم : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؟ .

قيل : إن معنى الإيمانِ هو التصديقُ ، وقد كانت اليهودُ التى أخبرَ اللهُ عنها هذا الخبرَ تُصَدِّقُ بوَحْدَانيَّةِ اللهِ وبالبعثِ والثوابِ والعقابِ ، وتَكْفُرُ بمحمدٍ ﷺ وبنُبُوَّتِه ، وكلُّ ذلك كان فرضًا عليهم الإيمانُ به ؛ لأنه فى كُتُبِهم ومِمَّا جاءهم به موسى ، فصدَّقوا ببعضٍ ، [(٢)]وذلك هو[(٢)] القليلُ مِن إيمانِهم ، وكذَّبوا ببعضٍ ، وذلك هو الكثيرُ الذى أخبرَ اللهُ عنهم أنهم يَكْفُرُون به .

وقد قال بعضُهم : إنهم كانوا غيرَ [٣/٤٢و] مؤمنين بشىءٍ ، وإنما قيل : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ . وهم بالجميعِ كافرون ، كما تقولُ العربُ : قلَّما رأيتُ مثلَ هذا قطُّ . [(٣)]تُريدُ : ما رأيتُ مثلَ هذا قطُّ[(٣)] . ورُوِى عنها سماعًا منها : مرَرْتُ ببلدٍ[(٤)] قلَّما/ يُنْبِتُ إلَّا الكُرَّاثَ والبصلَ . يعنى : ما يُنْبِتُ [(٥)]شيئًا إلا[(٥)] الكُرَّاثَ والبصلَ . وما أشبهَ ذلك مِن الكلامِ الذى يُنْطَقُ به بوصْفِ الشىءِ بالقلَّةِ ، والمعنى فيه نفىُ جميعِه .

١/٤١٠

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ .

---

(١) فى م : « جائز » .

(٢ - ٢) فى م : « هو ذلك » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ،ت ٣ : « ببلاد » .

(٥ - ٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « غير » .

يعنى جلّ ثناؤه بقولِه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾: ولمَّا جاء اليهودَ مِن بنى إسرائيلَ الذين وصَف جلّ ثناؤه صفتَهم ﴿ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ يعنى بـ « الكتابِ » القرآنَ الذى أنزَله على محمدٍ ﷺ ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ يعنى : مصدِّقٌ للذى معَهم مِن الكتبِ التى أنزلها اللهُ مِن قبلِ القرآنِ .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ : وهو القرآنُ الذى أنزَله على محمدٍ ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ (١أى : للتوراةِ(١) والإنجيلِ(٢) .

وحدِّثتُ عن عمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ : وهو القرآنُ الذى أُنزِل على محمدٍ ﷺ مصدِّقٌ لما معَهم مِن التوراةِ والإنجيلِ(٣) .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤه : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أى : وكان هؤلاءِ اليهودُ - الذين لمَّا جاءهم كتابٌ مِن عندِ اللهِ مصدِّقٌ لما معهم من الكتبِ التى أنزَلها اللهُ قبلَ الفُرقانِ ، كفَروا به - يَسْتَفْتِحون بمحمدٍ ﷺ - ومعنى الاسْتِفْتاحِ : الاسْتِنْصارُ - ويَسْتَنْصِرون اللهَ به على مُشْرِكى العربِ مِن قبلِ مَبْعَثِه . (٤وذلك قولُه : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾(٤) أى : مِن قبلِ أن يُبْعَثَ .

(١ - ١) فى م : « من التوراة » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧١/١ (٩٠١) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧١/١ عقب الأثر (٩٠١، ٩٠٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤ - ٤) سقط من : م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

كما حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ قتادةَ [٤٢/٣ظ] الأنصاريِّ ، عن أشياخٍ منهم قالوا : فينا واللهِ وفيهم - يعنى : فى الأنصارِ وفى اليهودِ الذين كانوا جيرانَهم - نزَلت هذه القصةُ - يعنى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ - قالوا : كُنَّا قد علَوْناهم دهرًا فى الجاهليةِ ، ونحن أهلُ شركٍ ، وهم أهلُ كتابٍ ، فكانوا يقولون : إن نبيًّا (١)يُبعَثُ الآنَ نتَّبِعُه(١) قد أظلَّ(٢) زمانُه ، (٣)نَقْتُلكم معه(٣) قتلَ عادٍ وإرَمَ ، فلمَّا بعَث اللهُ تعالى ذكرُه رسولَه مِن قريشٍ واتَّبَعْناه ، كفَروا به ، يقولُ اللهُ : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾(٤) .

وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى آلِ زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، أو سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن يهودَ كانوا/ يَسْتَفْتِحون على الأوسِ والخزرجِ ٤١١/١ برسولِ اللهِ ﷺ قبلَ مَبْعَثِه ، فلمَّا بعَثه اللهُ من العربِ ، كفَروا به ، وجحَدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذُ بنُ جَبَلٍ ، وبشرُ بنُ البَراءِ بنِ مَعْرُورٍ أخو بنى سلِمةَ : يا معشرَ يهودَ ، اتَّقوا اللهَ وأَسْلِموا ، فقد كنتم تَسْتَفْتِحون علينا بمحمدٍ ﷺ ونحنُ أهلُ شركٍ ، وتُخْبِروننا أنه مبعوثٌ ، وتَصِفونه لنا بصفتِه . فقال سلَّامُ بنُ مِشْكَمٍ أخو

(١ - ١) فى م : « الآن مبعثه » .

(٢) فى الأصل : « أطل » .

(٣ - ٣) فى م : « يقتلكم » .

(٤) أخرجه ابن إسحاق فى سيرته ص٦٣ (٦٢) ، ومن طريقه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٧٥، ٤٣٣، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٧/١ إلى ابن المنذر . وينظر سيرة ابن هشام ٥٤١/١ .

بنى النَّضِيرِ : ما جاءنا بشيءٍ نَعْرِفُه ، وما هو بالذى كُنَّا نَذْكُرُ لكم . فأنزَل اللهُ فى ذلك مِن قولِهم : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] .

وحدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى آلِ[2] زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جُبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه[1] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمِّى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ يقولُ : يَسْتَنْصِرون بخُروجِ محمدٍ ﷺ على مشركى العربِ . يعنى بذلك أهلَ الكتابِ ، فلمَّا بعَث اللهُ محمدًا ﷺ ورَأَوْه مِن غيرِهم كفَروا به وحسَدُوه[3] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابن أبى نَجيحٍ ، عن علىٍّ الأَزْدِىِّ فى قولِ الله : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ . قال : اليهودُ ، كانوا يقولون : اللهمَّ ابعثْ لنا هذا النبىَّ يَحْكُمْ بيننا وبينَ الناسِ . ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ : يَسْتَنْصِرون به على الناسِ[4] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٢ (٩٠٥) ، وأبو نعيم فى الدلائل (٤٣) من طريق ابن إسحاق به .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٨٨ إلى المصنف .

(٤) تفسير مجاهد (ص٢٠٩) ، ومن طريقه البيهقى فى الدلائل ٧٦/٢ .

وحدَّثني المُثَنَّى قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن عليٍّ الأَزْدِيِّ - وهو البارِقيُّ - في قولِ اللهِ : ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ . فذكَر مثلَه سواءً .

وحدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، [٤٣/٣و] قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ : كانت اليهودُ تَسْتَفْتِحُ بمحمدٍ ﷺ على كفَّارِ العربِ مِن قبلُ ، وقالوا : اللهمَّ ابعثْ هذا النبيَّ الذي نَجِدُه مكتوبًا في التوراةِ يُعَذِّبْهم ويَقْتُلْهم . فلمَّا بعَث اللهُ نبيَّه محمدًا ﷺ فرأَوْا أنه بُعِث مِن غيرِهم ، كفَروا به ، حَسَدًا للعربِ ، وهم يعلَمون أنه رسولٌ ، يَجِدُونه مكتوبًا عندَهم في التوراةِ : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[(1)] .

[(2)]وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قال : كانوا يقولون : إنه سيأتي نبيٌّ . فلما جاءهم ما عرَفوا كفَروا بِهِ[(2)] .

وحدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ ، قال : كانت اليهودُ تَسْتَنْصِرُ بمحمدٍ ﷺ على مُشْرِكي العربِ ، يقولون : اللهمَّ ابعثْ هذا النبيَّ الذي نَجِدُه مكتوبًا عندَنا حتى يُعَذِّبَ المشركين ويَقْتُلَهم ، فلمَّا بعَث اللهُ محمدًا ﷺ ورَأَوْا أنه مِن غيرِهم كفَروا به ، حسدًا للعربِ ، وهم يعلمون أنه رسولُ اللهِ ، فقال اللهُ : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبي نعيم .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

والأثر في تفسير عبد الرزاق ٥٢/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧١/١ (٩٠٤) عن الحسن بن يحيى به .

ﭐلۡكَٰفِرِينَ ﴾[١].

وحدَّثنى موسى بنُ هارونَ، قال: حدَّثنا عمْرٌو، قال: حدَّثنا أسباطُ، عن السُّدِّىِّ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ/ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ قال: كانتِ العربُ تَمُرُّ باليهودِ فيُؤْذُونهم، وكانوا يَجِدون محمدًا ﷺ فى التوراةِ، فيَسألون[٢] اللهَ أن يبعثَه فيُقاتِلوا معه العربَ، فلما جاءَهم محمدٌ كفَروا به حين لم يكنْ مِن بنى إسرائيلَ[٣].

١/٤١٢

وحدَّثنا القاسمُ، قال: حدثنا الحسينُ، قال: حدثنى حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ، قال: قلتُ لعطاءٍ: قولُه: ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾؟ قال: كانوا يَسْتَفْتِحون على كفارِ العربِ بخروجِ النبىِّ ﷺ ويَرْجُون أن يكونَ منهم، فلما خرَج ورأَوْه ليس منهم كفَروا، وقد عَرَفوا أنه الحقُّ وأنه نبىُّ اللهِ ﷺ، قال اللهُ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾.

[٤]قال ابنُ جريجٍ: وقال مجاهدٌ[٤]: يَسْتَفْتِحون بمحمدٍ، تقولُ: إنه يخرجُ. ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ ﴾ وكان من غيرِهم ﴿ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٢/١ (٩٠٦) من طريق آدم به.

(٢) فى م: «ويسألون».

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٥٣٦/٢ من طريق عمرو، عن أسباط، عن السدى، بإسناده المعروف.

(٤ - ٤) فى م، ت ٢، ت٣: «قال حدثنا ابن جريج وقال مجاهد»، وفى ت ١: «قال حدثنا ابن جريج قال حدثنا مجاهد».

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٢/١ (٩٠٧) من طريق حجاج عن ابن جريج، عن مجاهد نحوه.

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : وقال ابنُ عباسٍ: كانوا يَسْتَفْتِحون على كفارِ العربِ .

[٤٣/٣ظ] وحدَّثنى المثنى ، قال : حدثنى الحِمّانيُّ[1] ، قال : حدَّثنا شَريكٌ ، عن أبى الجَحّافِ[2] ، عن مُسلمٍ البَطِينِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ قولَه : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ قال : هم اليهودُ ، عَرَفوا محمدًا أنه نبىٌّ وكفَروا به[3] .

وحُدِّثت عن المنجابِ ، قال : حدثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ قال : كانوا يَسْتَظْهِرون ، يقولون : نحن نُعِينُ محمدًا عليهم[4] . وليسوا كذلك ، يَكْذِبون[5] .

وحدثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : سألْتُ ابنَ زيدٍ عن قولِه : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ . قال : كانت يهودُ يَسْتَفْتِحون على كفارِ العربِ ، يقولون : أما واللهِ لو قد جاء النبىُّ الذى بَشَّر به موسى وعيسى ؛ أحمدُ ، لكان لنا عليكم . وكانوا يَظُنون أنه منهم ، (٦ وكانوا بالمدينةِ ٦) والعربُ حولَهم ، وكانوا يَسْتَفْتِحون عليهم به ويَسْتَنْصِرون به ، فلما (٧ كان مِن غيرِهم أَبَوْا أن يُؤْمِنوا ٧) به وحَسَدوه . وقرأ قولَ

---

(١) فى الأصل : « الجمانى » .

(٢) فى النسخ : « الحجاف » وهو داود بن أبى عوف ، أبو الجحاف الكوفى . ترجمته فى تهذيب الكمال ٨/ ٤٣٤.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤) فى الأصل : « عليكم » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧١/١ (٩٠٣) عن أبى زرعة ، عن منجاب به .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٧ - ٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « جاءهم ما عرفوا كفروا » .

اللهِ : ﴿ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة : ١٠٩] قال : قد تَبيَّنَ لهم أنه رسولُ اللهِ ، فمِن هنالك نَفَع اللهُ الأوسَ والخزرجَ بما كانوا يَسْمَعون منهم أن نبيًّا خارجٌ .

فإن قال لنا قائلٌ : فأين جوابُ قولِه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ ؟ قيل : قد اختلف أهلُ العربيةِ فى جوابِه ؛ فقال بعضُهم : هو مما تُرِك جوابُه استغناءً بمعرفةِ المخاطَبين به بمعناه وبما قد ذُكِر من أمثالِه فى سائرِ القرآنِ ، وقد تفعَلُ العربُ ذلك إذا طال الكلامُ ، فتأتى بأشياءَ لها أجوبةٌ فتَحْذِفُ/ أجوبتَها لاستغناءِ سامعيها بمعرفتِهم بمعناها عن ذكرِ الأجوبةِ ، كما قال جل ثناؤُه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [الرعد : ٣١] . فترَك جوابَه . والمعنى : ولو أن قرآنًا سوى هذا القرآنِ سُيِّرَتْ به الجبالُ لَسُيِّرَتْ بهذا القرآنِ . (١) فترَك قولَه : لسُيِّرَتْ بهذا القرآنِ (١) . استغناءً بعلمِ السامعين بمعناه . قالوا : فكذلك قولُه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ .

٤١٣/١

وقال آخرون : جوابُ قولِه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ . فى « الفاءِ » التى فى قولِه : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ . وجوابُ الجزاءَيْن فى ﴿ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ . كقولِك : لما قُمْتَ فلما جِئْتَنا أحسَنْتَ . بمعنى : لما جِئْتَنا إذ قُمْتَ أحسنْتَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

[٤٤/٣و] قد دلَّلْنا على معنى « اللعنةِ » وعلى معنى « الكفرِ » فيما مضَى بما فيه الكفايةُ (٢) .

(١ - ١) سقط من : م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) ينظر معنى « اللعنة » فى ص ٢٣١ ، وتقدم معنى الكفر فى ٢٦٢/١ .

فمعنى الآيةِ : فخِزْىُ اللهِ وإبعادُه على الجاحدِين ما قد عَرَفوا من الحقِّ عليهم للهِ ولأنبيائِه ، المنكِرين ما قد ثَبَت عندهم صحَّتُه من نبوةِ محمدٍ ﷺ . وفى إخبارِ اللهِ عز وجل عن اليهودِ بما أخبَر عنهم بقولِه : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ : البيانُ الواضحُ أنهم تَعَمَّدوا الكفرَ بمحمدٍ ﷺ بعد قيامِ الحجةِ بنبوتِه عليهم وقَطْعِ اللهِ عُذْرَهم بأنه رسولُه إليهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا ﴾ .

ومعنى قولِه جل ثناؤه : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ : ساء ما اشْتَرَوْا به أنفسَهم .

وأصلُ « بِئْسَ » « بَئِسَ » من البُؤْسِ ، سُكِّنَتْ همزتُها ثم نُقِلت حركتُها إلى الباءِ ، كما قيل فى : ظَلِلْتُ : ظِلْتُ . وكما قيل للكَبِدِ : كِبْدٌ . فنُقِلَتْ حركةُ الباءِ إلى الكافِ لما سُكِّنتِ الباءُ . وقد يَحْتَمِلُ أن تكونَ « بِئْسَ » - وإن كان أصلُها « بَئِسَ » - من لغةِ الذين ينقُلُون حركةَ العينِ من « فَعِل » إلى الفاءِ ، إذا كانت عينُ الفعلِ أحدَ حروفِ الحلقِ الستةِ ، كما قالوا من : لَعِبَ ، لِعْبَ . ومن : سَئِم ، سِئْمَ . وذلك فيما يقالُ لغةٌ فاشِيَةٌ فى تميمٍ ، ثم جُعِلَتْ دَلالةً[1] على الذمِّ والتوبيخِ ووُصِلَتْ بـ « ما » .

ثم اختلَف أهلُ العربيةِ فى معنى « ما » التى مع ﴿ بِئْسَمَا ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويِّى البصرةِ : هى وحدَها - اسمٌ ، و ﴿ أَن يَكْفُرُوا۟ ﴾ تفسيرٌ له ، نحوَ : نِعْمَ رجلًا زيدٌ . و ﴿ أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ ﴾ بدلٌ مِن ﴿ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ .

---

(١) فى م : « دالة » .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ : معنى ذلك : بئس الشيءُ اشتَرَوْا به أنفسَهم أن يَكْفُروا . فـ « ما » اسمُ « بِئْسَ » ، و﴿ أَن يَكۡفُرُواْ ﴾ الاسمُ الثانى . وزعَم أنَّ قولَه[1] : ﴿ أَن يَكۡفُرُواْ ﴾[2] إن شِئْتَ جعلْتَ : ﴿ أَن ﴾/ فى موضِعِ رفعٍ ، وإن شِئْتَ فى موضعِ خفضٍ ؛ أما الرفعُ : فبِئْسَ الشيءُ هذا أن يَفْعلوا . وأما الخفضُ : فبِئْسَ الشيءُ اشتَرَوْا به أنفسَهم بأن[3] يَكْفُروا بما أنزَل اللهُ بَغْيًا . قال : وقولُه : ﴿ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [المائدة : ٨٠] كمثلِ ذلك . قال[4] : والعربُ تجْعَلُ « ما » وحدَها فى هذا البابِ بمنزلةِ الاسمِ التامِّ ، كقولِه : ﴿ فَنِعِمَّا هِيَۖ ﴾ [البقرة : ٢٧١] . وبئسما أنت . واسْتَشْهد لقولِه ذلك برَجَزٍ لبعضِ[5] الرُّجّازِ[6] :

١/٤١٤

لا تَعْجَلا فى السَّيْرِ وادْلُواها[7]

[٤٤/٣ظ] لَبِئْسَما بُطْءٌ ولا نَرْعاها[8]

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى النسخ : « ينزل الله من فضله » ، والمثبت من معانى القرآن للفراء ١/ ٥٦، وينظر تفسير القرطبى ٢/ ٢٨.

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « أن » .

(٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٥) فى م : « بعض » .

(٦) هو زفر بن الخيار المحاربى ، والرجز فى التكملة والذيل والصلة ، واللسان ، والتاج (ن ب ل) ، واللسان (د ل و) باختلاف عما هنا .

(٧) دلوت الناقة والإبل دلوا : سقتها سوقا رفيقا رويدا .

(٨) فى الأصل ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « انزعاها » ، وفى الموضع الأول من اللسان والتاج : « ترعاها » .

والعربُ تقولُ : لبِئْسَما تزويجٌ ولا مَهْرٌ . فيَجْعَلون « ما » وحدَها اسمًا بغيرِ صلةٍ .

قال أبو جعفرٍ : وقائلُ هذه المقالةِ لا يُجيزُ أن يكونَ الذى يَلِى « بئْسَ » معرفةً مُوَقَّتةً ، وخبرُه معرفةً موقتةً . وقد زعَم أن « بئسما » بمعنى[1] : بِئْسَ الشىءُ اشتَرَوْا به أنفسَهم . فقد صارتْ « ما » بصِلَتِها اسمًا موقَّتًا ؛ لأنَّ « اشتَرَوْا » فعلٌ ماضٍ من صلةِ « ما » ، فى قولِ قائلِ هذه المقالةِ ، وإذا وُصِلَتْ بماضٍ من الفعلِ كانت معرفةً موقَّتةً معلومةً ، فيصيرُ تأويلُ الكلامِ حينئذٍ : بئس شراؤُهم كفرُهم . وذلك عنده غيرُ جائزٍ ، فقد تبيَّنَ فسادُ هذ القولِ .

وكان آخرُ منهم[2] يزعُمُ أنَّ ﴿ أَن ﴾ فى موضعِ خفضٍ إن شِئْتَ ، ورفعٍ إن شِئْتَ . فأما الخفضُ فأن تَرُدَّه على الهاءِ التى فى ﴿ بِهِۦ ﴾ . على التكريرِ على كلامَيْن ، كأنك قُلْتَ : اشتَرَوْا أنفسَهم بالكفرِ . وأما الرفعُ فأن يكونَ مُكَرَّرًا[3] على موضعِ « ما » التى تَلِى « بِئْسَ » . قال : ولا يجوزُ أن يكونَ رفعًا على قولِك : بِئْس الرجلُ عبدُ اللهِ .

وقال بعضُهم : ﴿ بِئْسَمَا ﴾ شىءٌ واحدٌ [4]يُعْرَبُ بما[4] بعدَه ، كما حُكِىَ عن العربِ : بئسما تَزويجٌ ولا مَهْرٌ . فرفَع « تَزويجٌ » بـ« بئسما » ، كما يقالُ : بئسما زيدٌ . ونعمّا[5] عمرٌو . فيكونُ « بئسما » رفعًا بما عادَ عليها من الهاءِ ، كأنك

---

(١) فى م : « بمنزلة » .

(٢) هو الفراء فى معانى القرآن ١/ ٥٦.

(٣) فى معانى القرآن : « مكرورا » .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « يعرف ما » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « بئسما » .

قُلْتَ: (١) شيءٌ بِئْسَ (١) الشيءُ اشترَوْا به أنفسَهم. وتكونُ «أنْ» مترجِمةً (٢) عن «بئسما» .

وأولى هذه الأقوالِ عندى بالصوابِ قولُ من جعَل : ﴿ بِئْسَمَا ﴾ مرفوعًا بالراجعِ من الهاءِ فى قولِه : ﴿ ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ ﴾ كما رَفَعوا ذلك بـ « عبدِ اللهِ » ، إذ قالوا : بئسما عبدُ اللهِ . وجَعَل ﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ مترجِمةً عن ﴿ بِئْسَمَا ﴾ . فيكونُ معنى الكلامِ حينئذٍ : بئس الشيءُ باع اليهودُ به أنفسَهم كفرُهم بما أنزَلَ اللهُ بغيًا وحسدًا أن يُنَزِّلَ اللهُ من فضلِه . وتكونُ ﴿ أَن ﴾ التى فى قولِه : ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ ﴾ . فى موضعِ نصبٍ ؛ لأنه يَعْنِى به : أن يَكْفُروا بما أنزَل اللهُ من أجلِ أن يُنَزِّلَ اللهُ من فضلِه على مَن يشاءُ من عبادِه . وموضعُ ﴿ أَن ﴾ جَزاءٌ (٣) . وكان بعضُ أهلِ العربيةِ من الكوفيِّين (٤) يزعُمُ أنَّ ﴿أَن ﴾ فى موضِعِ خفضٍ بنيةِ الباءِ . وإنما اختَرْنا (٥) فيها النصبَ لتمامِ الخبرِ قبلَها ، ولا خافضَ معها يَخْفِضُها ، والحرفُ الخافضُ لا يُخْفَضُ به مُضْمَرًا .

وأما قولُه : ﴿ ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ فإنه يَعْنِى به : باعُوا به أنفسَهم .

كما حدثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ . يقولُ : باعُوا به (٦) أنفسَهم ﴿ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (٧) .

(١ - ١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بئس شىء » .

(٢) الترجمة هى تسمية الكوفيين لما يسميه البصريون عطف البيان . همع الهوامع ١/ ١٢١ .

(٣) فى م : « جر » . وينظر معانى القرآن ١/ ٥٨ .

(٤) هو الكسائى . ينظر معانى القرآن الموضع السابق .

(٥) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أجزنا » .

(٦) سقط من : م .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٢ ، ١٩٥ (٩٠٨ ، ١٠٣٠) من طريق عمرو به .

وحدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ[(١)] ، قال : حدثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال مجاهدٌ : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ : يهودُ ، شَرَوُا الحقَّ بالباطلِ ، وكتمانَ ما [٣/٤٥و] جاء به محمدٌ ﷺ / بأن يُبيِّنوه[(٢)] . ٤١٥/١

والعربُ تقولُ : [(٣)]شَرَيْتُ الشىءَ[(٣)] . بمعنى : بِعْتُه . و﴿ ٱشْتَرَوْا۟ ﴾ فى هذا الموضِعِ « افتعلوا » مِن « شَرَيت » . وأكثرُ[(٤)] كلامِ العربِ - فيما بلَغنا - أن يقولوا : شَرَيتُ . بمعنى : بِعتُ ، و : اشْتَريتُ . بمعنى : ابْتَعتُ . وقِيلَ : إنما سُمِّىَ الشارى[(٥)] شاريًا ؛ لأنه باع نفسَه ودنياه بآخرتِه . ومن ذلك قولُ يزيدَ بنِ مُفرِّغ الحِمْيرىِّ[(٦)] :

وشَرَيْتُ بُرْدًا ليتنى من قبلِ[(٧)] بُرْدٍ كُنْتُ هامَهْ[(٨)]

ومنه قولُ المُسيَّبِ بنِ عَلَسٍ[(٩)] :

يُعْطَى بِها ثَمَنًا فَيَمْنَعُها ويقولُ صاحِبُها[(١٠)] ألا تَشْرِى[(١١)]

يعنى به : بِعْتُ بُرْدًا . وربما استُعْمِلَ « اشْتَريتُ » [(١٢)]فى معنى[(١٢)] : بِعْتُ ،

---

(١) فى م : « الحسن » .

(٢) فى م : « بينوه » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٢ (٩٠٩) من طريق حجاج به .

(٣ - ٣) فى م : « شريته » .

(٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) الشارى واحد الشراة : وهم الخوارج . التاج (ش ر ى) .

(٦) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٦٨٩ ، وأمالى الزجاجى ص ٤٢ ، والأضداد ص ٧٣ .

(٧) فى مصادر التخريج : « بعد » .

(٨) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كهامة » . يقال : هذا هامة اليوم أو غد . أى يموت اليوم أو غدا . اللسان (هـ و م) .

(٩) الأضداد ص ٧٤ ، وهو فى الخزانة ٣/٢٣٧ ضمن أبيات للأعشى .

(١٠) كذا فى النسخ ، وفى مصدرى التخريج : « صاحبه » ، وهو الصواب ، راجع الخزانة .

(١١) فى ت ٢ ، ت ٣ : « تشترى » .

(١٢ - ١٢) فى م : « بمعنى » .

و « شَرَيتُ » فى معنى : ابْتَعتُ . والكلامُ المُستَفيضُ[(١)] هو ما وصَفتُ .

وأما معنى قولِه : ﴿ بَغْيًا ﴾ فإنه يعنى به : تعدِّيًا وحسدًا .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ بَغْيًا ﴾ . قال : أى حسدًا ، وهم اليهودُ[(٢)] .

وحدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ بَغْيًا ﴾ . قال : بَغَوْا على محمدٍ ﷺ وحسَدوه ، وقالوا : إنما كانت الرسلُ مِن بنى إسرائيلَ ، فما بالُ هذا مِن بنى إسماعيلَ ؟ فحسَدوه أن يُنَزِّلَ اللهُ مِن فضلِه على مَن يشاءُ مِن عبادِه .

وحدَّثنى المُثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ بَغْيًا ﴾ يعنى : حسدًا ﴿ أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ وهم اليهودُ ، كفروا بما أُنزِل على محمدٍ ﷺ[(٣)] .

وحُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

فمعنى الآيةِ : بئس الشىءُ باعوا به أنفسَهم ، الكفرُ بالذى أنْزَله اللهُ فى كتابِه على موسى ، مِن نبوَّةِ محمدٍ ﷺ والأمرِ بتصديقِه واتباعِه ، مِن أجلِ أن أنْزَل اللهُ مِن فضلِه - وفضلُه حكمتُه وآياتُه ونبوَّتُه - ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ يعنى به : على محمدٍ ﷺ ، بغيًا وحسدًا لمحمدٍ ﷺ مِن أجل أنه كان مِن ولدِ إسماعيلَ ، ولم يكنْ مِن بنى إسرائيلَ .

---

(١) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فيهم » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٣/١ (٩١٠ ، ٩١١) من طريق آدم به .

فإن قال قائلٌ : وكيف باعت اليهودُ أنفسَها بالكفرِ ، فقيل : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ . وهل يُشتَرى بالكفرِ شيءٌ ؟

قيل : إن معنى الشراءِ والبيعِ عندَ العربِ هو إزالةُ مالكٍ مِلْكَه إلى غيرِه بعِوَضٍ يَعْتاضُه منه ، ثم تَستعملُ العربُ ذلك فى كلِّ مُعْتاضٍ مِن عملِه عِوَضًا ، شرًّا أو خيرًا ، فتقولُ : نِعْمَ ما باع به فلانٌ نفسَه ، وبئس ما باع به فلانٌ نفسَه . بمعنى : نِعْمَ الكَسْبُ أكْسَبها ، وبئس الكَسْبُ أكْسَبها . إذا أوْرَثها بسَعْيِه عليها خيرًا أو شرًّا . فكذلك معنى قولِه جل ثناؤه : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا [٣/٤٥ظ] بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ . لمّا أوْبقوا أنفسَهم بكفرِهم بمحمدٍ ﷺ فأهْلَكوها ، خاطَبهم اللهُ والعربَ بالذى يَعْرِفونه فى كلامِهم ، فقال : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ يعنى بذلك : بئس ما أكْسَبوا أنفسَهم بسعيِهم ، وبئس العِوَضُ اعْتاضُوا مِن كفرِهم باللهِ فى تكذيبِهم محمدًا ؛ إذ كانوا قد رَضُوا عِوَضًا مِن ثوابِ اللهِ وما أعدَّ لهم - لو كانوا/ آمَنوا باللهِ وما أنْزَل على أنبيائِه - بالنارِ وما أعدَّ لهم بكفرِهم بذلك . ٤١٦/١

وهذه الآيةُ - وما أخبَر اللهُ فيها عن حسدِ اليهودِ محمدًا ﷺ وقومَه مِن العربِ ، مِن أجلِ أن اللهَ جعَل النبوةَ والحِكمةَ فيهم دونَ اليهودِ مِن بنى إسرائيلَ ، حتى دعَاهم ذلك إلى الكفرِ به مع علمِهم بصدقِه ، وأنه للهِ نبيٌّ مبعوثٌ ورسولٌ مُرْسَلٌ - نَظِيرةُ الآيةِ الأُخْرى فى سورةِ النساءِ ، وذلك قولُه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝٥١ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝٥٢ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٥١ - ٥٤] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ .

قد ذكَرْنا تأويلَ ذلك وبَيَّنَّا معناه ، ولكنا نذكرُ الرِّوايةَ بتصحيحِ ما قلنا فيه :

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ قتادةَ الأنصاريِّ ، عن أشياخٍ منهم قولَه : ﴿ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ . أى : أن اللهَ تعالى جعلَه فى غيرِهم[1] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : هم اليهودُ ، لما بعَث اللهُ نبيَّه محمدًا ﷺ فرأَوا أنه بُعِث من غيرِهم ، كفَروا به حسدًا للعربِ ، وهم يَعْلمون أنه رسولُ اللهِ ﷺ ، يَجِدونه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ[2] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ مثلَه .

وحُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

وحدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ ، قال : قالوا : إنما كانت الرسلُ مِن بنى إسرائيلَ ، فما بالُ هذا مِن بنى إسماعيلَ ؟

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن علىٍّ الأَزْدِىِّ ، قال : نزَلت فى اليهودِ[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ .

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٢٣٦.

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٢٣٨.

(٣) تقدم تخريجه فى ص ٢٣٧.

[٤٦/٣و] يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ ﴾ : فرجَعت اليهودُ من بنى إسرائيلَ - بعدَ الذى كانوا عليه مِن الاسْتِنصارِ بمحمدٍ ﷺ والاستفتاحِ به ، وبعدَ الذى كانوا يُخبِرون[1] الناسَ مِن قبلِ مَبْعثِه أنه نبىٌّ مَبْعوثٌ - مُرْتَدين على أعقابِهم حين بعَثه اللهُ نبيًّا مرسلاً ، [2]وانصرَفت[2] بغضبٍ من اللهِ ، اسْتَحقوه منه بكفرِهم بمحمدٍ حينَ بعَثه[3] ، وجُحودِهم بنبوَّتِه ، وإنكارِهم إياه أن يكونَ هو الذى يَجِدون صفتَه فى كتابِهم ، عِنادًا منهم له ، وبغيًا وحسدًا له وللعربِ ، عَلى غَضَبٍ سالفٍ كان مِن اللهِ عليهم قبلَ ذلك ، سابقٍ غضبَه الثانىَ ؛ لكفرِهم[4] / كان قبلَ ذلك ، بعيسى ابنِ مريمَ ، أو لعبادتِهم العجلَ ، أو لغيرِ ذلك مِن ذنوبٍ كانت لهم سَلَفت ، اسْتحقُّوا[5] بها الغضبَ مِن اللهِ . ٤١٧/١

كما حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ - فيما [6]يرَى أبو جعفرٍ الطبرىُّ[6] - عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ ﴾ : فالغضبُ على الغضبِ ، غضبُه عليهم فيما كانوا ضَيَّعوا مِن التوراةِ وهى معهم ، وغضبٌ بكفرِهم بهذا النبىِّ الذى أحْدَث اللهُ إليهم[7] .

وحدَّثنا ابنُ بشارٍ[8] ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ وعبدُ الرحمنِ ، قالا : ثنا سفيانُ ،

---

(١) بعده فى م : « به » .
(٢ - ٢) فى م : « فباءوا » .
(٣) فى م : « بعث » .
(٤) بعده فى م : « الذى » .
(٥) فى م : « يستحقون » .
(٦ - ٦) فى م : « أروى » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « أرى » .
(٧) سيرة ابن هشام ٥٤٢/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٣/١ (٩١٥) من طريق سلمة به .
(٨) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « يسار » .

عن أبي بكرٍ[(١)] ، عن عكرمةَ : ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ . قال : كُفْرٌ بعيسى وكفرٌ بمحمدٍ صلَّى اللَّهُ عليهما وسلَّم .

وحدثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ يمانٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبي بكرٍ[(١)] ، عن عكرمةَ : ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ . قال : كفرُهم بعيسى ومحمدٍ ﷺ .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا الثوريُّ ، عن أبي بكرٍ[(١)] ، عن عكرمةَ مثلَه[(٢)] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن الشعبيِّ ، قال : الناسُ يومَ القيامةِ على أربعةِ مَنازلَ : رجلٌ كان مؤمنًا بعيسى فآمَن بمحمدٍ ﷺ ، فله أجْران ، ورجلٌ كان كافرًا بعيسى فآمَن بمحمدٍ صلَّى اللَّهُ عليهما وسلَّم ، فله أجرٌ ، ورجلٌ كان كافرًا بعيسى فكَفَر بمحمدٍ ﷺ ، فباءَ بغضبٍ على غضبٍ ، ورجلٌ كان كافرًا بعيسى مِن مُشرِكى العربِ ، فمات بكُفرِه قبلَ محمدٍ ﷺ ، فباءَ بغضبٍ .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ : غَضِب اللهُ عليهم بكفرِهم بالإنجيلِ وبعيسى صلى اللَّه عليه ، وغَضِب عليهم بكفرِهم بالقرآنِ وبمحمدٍ ﷺ[(٣)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن

---

(١) في الأصل ، م ، ت ١ : « بكير » . وينظر تهذيب الكمال ٣٣/ ١٥٩.

(٢) في الأصل : « نحوه » .

والأثر في تفسير عبد الرزاق ١/ ٥١ . وأبو بكر هو الهذلي ، ضعيف .

(٣) ذكره البغوى في تفسيره ١/ ١٢١ عن قتادة ، وعزاه السيوطى في الدر المنثور ١/ ٨٨ إلى المصنف وعبد بن حميد .

مجاهدٍ: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾: اليهودُ، غضَبٌ[1] بما كان مِن تبديلِهم التوراةَ قبلَ خروجِ النبيِّ ﷺ ، ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ جُحودُهم [٣/٤٦ظ] النبيَّ ﷺ و كفرُهم بما جاء به[2] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ يقولُ : غَضِب اللهُ عليهم بكفرِهم بالإنجيلِ وعيسى ، ثم غَضِب[3] عليهم بكفرِهم بمحمدٍ ﷺ وبالقرآنِ[4] .

وحدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ : أما الغضبُ الأولُ ، فهو حين غَضِب اللهُ عليهم فى العجلِ ، وأما الغضبُ الثانى ، فغَضِب عليهم حين كفَروا بمحمدٍ ﷺ[5] .

وحدَّثنى القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن[6] عطاءٍ وعبيدِ بنِ عميرٍ فى قولِه : ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ . قال : غَضِب اللهُ عليهم فيما كانوا فيه مِن قبلِ خروجِ النبيِّ ﷺ / من تبديلِهم وكفرِهم ، ثم غَضِب عليهم فى محمدٍ ﷺ إذ خرَج فكَفَروا به . ١/٤١٨

وقد بيَّنّا معنى الغضَبِ من اللهِ على مَن غَضِب[7] من خلقِه ، واختلافَ المختلِفِين فى صفتِه فيما مضَى من كتابِنا هذا بما أغْنَى عن إعادتِه[8] .

---

(١) سقط من : م .

(٢) ذكره البغوى فى تفسيره ١/١٢١ عن مجاهد .

(٣) فى م : « غضبه » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٣ (٩١٤) من طريق آدم به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٤ (٩١٧) عن أبى زرعة ، عن عمرو به .

(٦) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « و » .

(٧) بعده فى م : « عليه » .

(٨) ينظر ما تقدم فى ١/ ١٨٩، ١٩٠.

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩٠ ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ : وللجاحدِين نبوّةَ محمدٍ ﷺ من الناسِ كلِّهم عذابٌ من اللهِ ، إمَّا فى الآخرةِ وإمّا فى الدنيا والآخرةِ ، ﴿ مُّهِينٌ ﴾ . وهو المُذِلُّ صاحبَه المخْزِى ، الملْبِسُه هوانًا وذِلّةً .

فإن قال قائلٌ : وأىُّ عذابٍ هو غيرُ مُهِينٍ صاحبَه ، فيكونَ للكافرين المُهِينُ منه ؟

قيل : إن المُهِينَ هو الذى قد بيّنّا أنه المُورِثُ صاحبَه ذِلّةً وهوانًا ، الذى يَخْلُدُ فيه صاحبُه فلا ينتقلُ من هوانِه إلى عزٍّ وكرامةٍ أبدًا ، وهو الذى خصَّ اللهُ به أهلَ الكفرِ به وبرسلِه ، وأما الذى هو غيرُ مُهِينٍ لصاحبِه ، فهو ما كان تمحيصًا لصاحبِه ، وذلك[(١)] كالسارقِ من أهلِ الإسلامِ ، يَسْرِقُ ما يجِبُ عليه به القطعُ فتُقْطَعُ يدُه ، والزانى منهم يَزْنِى فيقامُ عليه الحدُّ ، وما أشبهَ ذلك من العذابِ والنَّكالِ الذى جعَله اللهُ كفاراتٍ للذنوبِ التى عَذَّبَ بها أهلَها ، وكأهلِ الكبائرِ[(٢)] من أهلِ الإسلامِ الذين يُعَذَّبُون فى الآخرةِ بمقاديرِ أجرامِهم التى ارتكَبُوها ليُمَحَّصُوا من ذنوبِهم ، ثم يَدخُلون الجنةَ ، فإن كلَّ ذلك وإن كان عذابًا ، فغيرُ مُهِينٍ مَن عُذِّبَ به ، إذ كان تعذيبُ اللهِ له[(٣)] به ليُمَحِّصَه به[(٤)] من آثامِه ، ثم يُورِدُه مَعْدِنَ العزِّ والكرامةِ ، ويُخَلِّدُه فى نعيمِ الجِنانِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه [٣/٤٧و] : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ .

يَعْنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ : وإذا قيل لليهودِ من بنى إسرائيلَ ،

---

(١) بعده فى م : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « هو » .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الكتاب » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إياه » .

(٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

الذين كانوا بين ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللهِ ﷺ : ﴿ ءَامِنُوا ﴾ أى : صَدِّقوا ﴿ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ يَعْنى بقولِه : ﴿ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ من القرآنِ على محمدٍ ﷺ ﴿ قَالُوا نُؤْمِنُ ﴾ أى : نُصَدِّقُ ﴿ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ يعنى : بالتوراةِ التى أنزلَها اللهُ على موسى .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَيَكْفُرُونَ ﴾ : ويَجْحَدُون ، ﴿ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ يَعْنى : بما وراءَ التوراةِ .

وتأويلُ « وراء » فى هذا الموضعِ : « سوى » ، كما يقالُ للرجلِ يتكلَّمُ[1] بالحَسَنِ : ما وراءَ هذا الكلامِ شىءٌ . يُرادُ به : ليس عندَ المتكلمِ به شىءٌ سِوَى ذلك الكلامِ . فكذلك معنى قولِه : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ أى : بما سوى التوراةِ وبما بعدَه من كتبِ اللهِ التى أنزلَها إلى رسلِه .

كما/ حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ١/٤١٩ قولَه : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ يقولُ : بما بعده[2] .

وحدثنا المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ أى : بما بعدَه ، يَعْنى : بما بعدَ التوراةِ[3] .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ يقولُ : بما بعده[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ .

---

(١) فى م : « المتكلم » .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٤ عقب الأثر (٩٢١) معلقًا .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٤ (٩٢١) من طريق آدم به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٤ عقب الأثر (٩٢١) من طريق ابن أبى جعفر به .

يَعْنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ أى : وما وراء الكتابِ الذى أُنْزِل عليهم ، من الكتبِ التى أنزلها اللهُ إلى أنبيائِه ، الحقُّ . وإنما يَعْنى بذلك تعالى ذكرُه القرآنَ الذى أنزَلَه إلى محمدٍ ﷺ .

كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ : وهو القرآنُ ، يقولُ اللهُ جل ثناؤُه : ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾[1] .

وإنما قال تعالى ذكرُه : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ . لأنَّ كتبَ اللهِ يُصَدِّقُ بعضُها بعضًا ، ففى الإنجيلِ والقرآنِ من الأمرِ باتباعِ محمدٍ ﷺ ، والإيمانِ به وبما جاء به ، مثلُ الذى من ذلك فى توراةِ موسى عليه السلامُ ، فلذلك قال جل ثناؤُه لليهودِ - إذ أخبرَهم عما وراءَ كتابِهم الذى أنزَلَه على موسى ، من الكتبِ التى أنزَلَها إلى أنبيائِه - أنه الحقُّ مُصدِّقًا للكتابِ الذى معهم . يَعْنى أنه له مُوافِقٌ فيما اليهودُ به مُكَذِّبون[2] . وذلك خَبَرٌ من اللهِ جل ثناؤُه أنهم من التَّكْذِيبِ [٤٧/٣ظ] بالتوراةِ على مثلِ الذى هم عليه من التكذيبِ بالإنجيلِ والفرقانِ ، عنادًا للهِ ، وخلافًا لأمرِه ، وبَغْيًا على رسلِه صلواتُ اللهِ عليهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

يَعْنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ : قلْ يا محمدُ ليهودِ بنى إسـرائيلَ الذين إذا قُلْتَ لهم : ﴿ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ قالوا لك : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٤/١ (٩٢٢) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) بعده فى م : « قال » .

أُنزِلَ عَلَيۡنَا ﴾ - : لم تَقْتُلون - إن كنتم يا معشرَ اليهودِ مؤمنين بما أنزلَ اللهُ عليكم - أنبياءَه ، وقد حَرَّم اللهُ فى الكتابِ الذى أنزلَ عليكم قَتْلَهم ، بل أمَرَكم فيه باتباعِهم وطاعتِهم وتصديقِهم . وذلك من اللهِ جل ثناؤُه تكذيبٌ لهم فى قولِهم : ﴿ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ﴾ وتَعْيِيرٌ لهم .

كما حدثنا موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ ، قال : قال اللهُ تعالى ذكرُه وهو يُعَيِّرُهم ، يعنى اليهودَ : ﴿ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[1] .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف قيل[2] : ﴿ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ ﴾ فابتدأ الخبرَ على لفظِ المستقبلِ ، ثم أخبَر أنه قد مضَى ؟

قيل : إن أهلَ العربيةِ مُختلِفون فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُ البصريِّين : /معنى ذلك : فلم قَتَلْتم أنبياءَ اللهِ من قبلُ ، كما قال جل ثناؤُه : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ [البقرة : ١٠٢] أى : ما تَلَتْ . وكما قال الشاعرُ[3] : ١/٤٢٠

ولقد أمُرُّ على اللئيمِ يسُبُّنى فمَضَيْتُ عنه وقلتُ لا يَعْنِينى

يريدُ بقولِه : ولقد أمُرُّ : ولقد مَرَرْتُ . واستدلَّ على أن ذلك كذلك بقولِه : فمضَيْتُ عنه . ولم يَقُلْ : فأمْضِى عنه . وزعَم أن « فعَل » و « يفعَلُ » قد تَشْتَرِكُ فى معنًى واحدٍ ، واسْتَشْهَدَ على ذلك بقولِ الشاعرِ[4] :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٥ (٩٢٤) عن أبى زرعة ، عن عمرو به .

(٢) بعده فى م : « لهم » .

(٣) البيت لشمر بن عمرو الحنفى فى الأصمعيات ص ١٢٦، ولرجل من بنى سلول فى الكتاب ١/ ٢٤، وبلا نسبة فى الصاحبى ص ٣٦٤، واللسان (ث م م ، م ن ى) .

(٤) هو الطرماح ، والبيت فى ذيل ديوانه (ملحق بالديوان) صفحة ٥٧٢.

وإنى لآتِيكم تَشَكُّرَ[١] ما مَضَى من الأمرِ واسْتِيجابَ ما كانَ فى غَدِ

يعنى بذلك : ما يكونُ فى غدٍ . وبقولِ الحُطَيْئَةِ[٢] :

شَهِد الحُطَيئَةُ يومَ يَلْقَى ربَّه أنَّ الوَلِيدَ أحَقُّ بالعُذْرِ

يعنى : يَشْهَدُ . وكما قال الآخرُ[٣] :

فما أُضْحِى ولا أَمْسَيْتُ إلَّا [٤]أَرانى منكُمْ[٤] فى كُوَّفانِ[٥]

فقال : أُضْحِى . ثم قال : ولا أمْسَيْتُ .

١/٤٢١ وقال بعضُ نحويِّى الكوفيِّين[٦] : إنما [٣/٤٨و] قيل : /﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ فخاطَبهم بالمستقبلِ من الفعلِ ومعناه الماضى ، كما يُعَنِّفُ الرجلُ الرجلَ على ما سلَف منه من فِعْلٍ ، فيقولُ له : ويحكَ لِمَ تَكْذِبُ ، ولِمَ تُبَغِّضُ نفسَك إلى الناسِ ! كما قال الشاعرُ[٧] :

إذا ما انْتَسَبْنا لم تَلِدْنى لَئِيمَةٌ ولم تَجِدِى من أن تُقِرِّى بها[٨] بُدًّا

(١) فى م : « بشكرى » .

(٢) ديوانه ص ٢٣٣.

(٣) البيت فى الصاحبى ص ٣٦٤، واللسان (ك و ف) .

(٤ - ٤) فى الصاحبى : « رأونى منهم » .

(٥) يقولون : وقعنا فى كُوفَان وكُوَّفان . أى عناء ومشقة ، كأنهم اشتقوا ذلك من الرمل المتكوف ؛ لأن المشى فيه يُعنِّى . مقاييس اللغة ٥/ ١٤٧. وفى حاشية الأصل : « كوفان من كيف » .

(٦) هو الفراء فى معانى القرآن ١/ ٦٠، ٦١.

(٧) تقدم البيت فى ص ٥٧.

(٨) فى م : « به » .

فالجزاءُ للمستقبَلِ ، والولادةُ كلُّها قد مضَت ، وذلك أن المعنى معروفٌ ، فجاز ذلك .

قال : ومثلُه فى الكلامِ : إذا نظَرتَ فى سيرةِ عمرَ لم يُسِئْ[(١)] . المعنى : لم تَجِدْه أساء . فلما كان أمرُ عمرَ لا يُشَكُّ فى مُضِيِّه ، لم يَقَعْ فى الوَهْمِ أنه مُسْتَقْبَلٌ ، فلذلك صَلَحت : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ مع قوله : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ .

قال : وليس الذين خوطِبوا بالقتلِ هم القَتَلةَ ، إنما قتَل الأنبياءَ أسلافُهم الذين مَضَوْا ، فتوَلَّوْهم[(٢)] على ذلك ورَضُوا ، فنُسِب القتلُ إليهم .

والصوابُ فى ذلك من القولِ عندنا أن اللهَ تعالى ذكرُه خاطَب الذين أدرَكوا رسولَ اللهِ ﷺ من يهودِ بنى إسرائيلَ - بما خاطَبهم به[(٣)] فى سورةِ « البقرةِ » وغيرِها من سائرِ السورِ - بما سلَف من إحسانِه إلى أسلافِهم ، وما[(٤)] سلَف من كُفْرانِ أسلافِهم نِعَمَه ، وارتكابِهم معاصيَه ، واجترائِهم عليه وعلى أنبيائِه ، فأضاف[(٥)] ذلك إلى المخاطَبين به ، نظيرَ قولِ العربِ بعضِها لبعضٍ : فعَلْنا بكم يومَ كذا[(٦)] وكذا ، وفعلْتُم بنا يومَ كذا[(٦)] وكذا - على نحوِ ما قد بيَّنّا فى غيرِ موضعٍ من كتابِنا هذا[(٧)] - يَعْنُون بذلك أن أسلافَنا فعَلُوا ذلك بأسلافِكم ، وأن أوائلَنا فعَلُوا ذلك بأوائِلكم ،

---

(١) فى م : « تجده يسىء » .
(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قتلوهم » .
(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٤) فى م : « بما » .
(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وأضاف » .
(٦) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كذا » .
(٧) ينظر ما تقدم فى ٦٤٢/١ ، ٦٤٣ .

فكذلك ذلك فى قولِه : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ . (١) وما أشبَهَه . فإذ كان ذلك معناه ، وكان قولُه : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ﴾ (١) - وإن كان قد خرَج على لفظِ الخبرِ عن المخاطَبين به - خبرًا من اللهِ تعالى ذكرُه عن فعلِ السالفين منهم - على نحوِ الذى بيَّنَّا - جاز أن يُقالَ : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ . إذ كان معناه : قل : فلمَ يَقْتُلُ أسلافُكم أنبياءَ اللهِ من قبلُ . وكان معلومًا بأن قولَه : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ إنما هو خبرٌ عن فعلِ سَلَفِهم .

وتأويلُ قولِه : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أى : من قبلِ اليومِ .

أما قولُه : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . فإنه يَعْنى : إن كنتم مؤمنين بما أنزَل اللهُ عليكم كما تَزْعُمون (٢) . وإنما يعْنى (٣) بذلك اليهودَ الذين أدركُوا رسولَ اللهِ ﷺ وأسلافَهم : إن كانوا وكنتم - كما تزعُمون أيها اليهودُ - مؤمنين . وإنما عَيَّرهم جل ثناؤُه [٣/٤٨ظ] بقتلِ أوائلِهم أنبياءَه عندَ قولِهم - حين قيل لهم : ﴿ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ (٤) قالوا : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ لأنهم كانوا لأوائلِهم الذين تولَّوْا قتْلَ أنبياءِ اللهِ مع قيلِهم : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ مُتوَلِّين ، وبفعلِهم راضِين ، فقال لهم : إن كنتم كما تزعُمون مؤمنين بما أُنزِلَ عليكم ، فلمَ تتَولَّون قَتَلَةَ أنبيائى (٥) ، وترْضَوْن أفعالَهم.

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٢) فى م ، ت١ ، ت ٢ ، ت ٣: « زعمتم » .

(٣) فى م ، ت١ ، ت ٢ ، ت ٣: « عنى » .

(٤) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « قالوا » .

(٥) فى م : « أنبياء الله ، أى » ، وفى م ، ت١ ، ت ٢ ، ت ٣: « أنبياء الله » .

ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ أى : جاءَكم بالبيناتِ الدالةِ على صدقِه وحقيقةِ[(١)] نبوَّتِه ، كالعصا التى تحوَّلَتْ ثعبانًا مُبينًا ، ويدِه التى أخرَجها بيضاءَ للناظِرين ، وفَلْقِ البحرِ ، ومَصيرِ أرضِه له طريقًا يَبَسًا ، والجرادِ والقُمَّلِ والضفادِعِ ، وسائرِ الآياتِ التى بيَّنَتْ صدقَه وحقيقةَ[(١)] نبوَّتِه . وإنما سمّاها اللهُ جلَّ ثناؤه بيِّناتٍ ، لتبيُّنِها للناظِرين إليها أنها مُعجزةٌ لا يَقْدِرُ على أن يأْتِىَ بها بَشَرٌ إلا بتسخيرِ اللهِ ذلك له ، وإنما هى جمعُ بَيِّنةٍ مثلَ طَيِّبةٍ وطَيِّباتٍ .

ومعنى الكلامِ : ولقد جاءَكم يا معشرَ يهودِ بنى إسرائيلَ موسى بالآياتِ البيِّناتِ على[(٢)] أمرِه وصدقِه وحقيقةِ[(١)] نبوتِه .

وقولُه : ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ يقولُ جل ثناؤُه لهم : ثم اتَّخذْتم العجلَ من بعدِ موسى[(٣)] . فالهاءُ التى فى قولِه : ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ من ذكرِ موسى . وإنما قال : من بعدِ موسى ؛ لأنهم اتخذُوا العجلَ من بعدِ أن فارَقَهم موسى ماضيًا إلى ربِّه لموعدِه ، على ما قد بَيَّنّا فيما مضَى من كتابِنا هذا[(٤)] . وقد يجوزُ أن تكونَ الهاءُ التى فى : ﴿ بَعْدِهِۦ ﴾ من[(٥)] ذكرِ المجىءِ ، فيكونُ تأويلُ الكلامِ حينئذٍ : ولقد جاءَكم موسى بالبيناتِ ، ثم اتخذتمُ العجلَ من بعدِ مجىءِ[(٦)] موسى بالبيناتِ[(٦)] وأنتم ظالمون . كما تقولُ : جِئْتَنى فكَرِهْتُك[(٧)] . يَعْنى : فكَرِهْتُ مجيئَك .

---

(١) فى م : « حقية » .

(٢) زيادة من : م .

(٣) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إلها » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٦٦٨/١ وما بعدها .

(٥) فى م : « إلى » .

(٦ - ٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « البينات » .

(٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فكرهته » .

وأما قولُه : ﴿ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ فإنه يَعنى بذلك أنكم فعلْتُم ما فعلْتُم من عبادةِ العجلِ وليس ذلك لكم ، وعبَدْتُم غيرَ الذى كان يَنْبَغى لكم أن تَعْبُدُوه ؛ لأن العبادةَ لا تَنْبَغى لغيرِ اللهِ . وهذا تَوبيخٌ من اللهِ جل ثناؤُه لليهودِ ، وتَعْييرٌ منه لهم ، وإخبارٌ منه لهم أنهم (١) إذ كانوا قد (١) فعلُوا ما فعلُوا من اتخاذِ العجلِ [٤٩/٣و] إلهًا وهو لا يَمْلِكُ لهم ضَرًّا ولا نفعًا ، بعدَ الذى عَلِموا أن ربَّهم هو الربُّ الذى يَفْعَلُ من الأعاجيبِ وبدائعِ الأفعالِ ما أجْراه على يَدَىْ موسى صلواتُ اللهِ عليه ، من الأمورِ التى (٢) عايَنُوها التى (٢) لا يَقْدِرُ عليها أحدٌ من خلقِ اللهِ ، ولم يَقْدِرْ عليها فرعونُ وجندُه مع بطشِه و كثرةِ أتباعِه ، وقُرْبِ عهدِهم بما عايَنُوا من عجائبِ حكمِ اللهِ فيهم ، فهم إلى تكذيبِ محمدٍ ﷺ ، /وجحودِ ما فى كتبِهم التى زعموا أنهم بها مؤمِنون من صفتِه ونعتِه ، مع بُعْدِ ما بينَهم وبين عهدِ موسى مِن المدةِ - أسرعُ ، وإلى التكذيبِ بما جاءَهم به موسى مِن ذلك أقربُ .

١/٤٢٢

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾ : واذْكُروا إذ أخَذْنا عُهودَكم بأن خُذوا ما آتيناكم مِن التوراةِ التى أنْزَلتُها إليكم أن تَعْملوا بما فيها مِن أمْرِى ، وتَنْتهوا عما نَهَيْتُكم فيها بجدٍّ منكم فى ذلك ونشاطٍ ، فأعْطَيتم على العملِ بذلك مِيثاقَكم ، إذ رفَعنا فوقَكم الجبلَ .

وأما قولُه : ﴿ وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ فإن معناه : واسْمَعوا ما أمرتُكم به ، وتَقَبَّلوه بالطاعةِ . كقولِ الرجلِ للرجلِ يأمرُه بالأمرِ : سمِعتُ وأطعتُ . يعنى بذلك : سمِعتُ قولَك وأطعتُ أمرَك . كما قال الراجزُ (٣) :

(١ - ١) فى م : « إذا كانوا » .
(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٣) ذكره المصنف فى تاريخه ٥/ ٢٩٩ .

السَّمْعُ والطَّاعَةُ والتَّسْلِيمْ

خَيْــــرٌ وأغفى لبَنِي تَمِيمْ

يعنى بقولِه : السمعُ : قبولُ ما تسمعُ ، والطاعةُ لِما تُؤْمرُ . فكذلك معنى قولِه ﴿ وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ : اقْبَلُوا ما سمِعتم ، واعْمَلوا به .

قال أبو جعفرٍ : فمعنى الآيةِ إذن : وإذ أخَذْنا مِيثاقَكم أن خُذُوا ما آتيناكم بقوةٍ ، واعْمَلوا بما سمِعتم ، وأطيعوا اللهَ ، ورفَعنا فوقَكم الطورَ مِن أجلِ ذلك .

وأما قولُه : ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا ﴾ فإن الكلامَ خرَج مَخْرجَ الخبرِ عن الغائبِ بعد أن كان الابتداءُ بالخطابِ ، وذلك ما وصَفنا مِن أن ابتداءَ الكلامِ إذا كان حكايةً ، فالعربُ تُخاطِبُ فيه ثم تَعودُ فيه إلى الخبرِ عن الغائبِ ، وتُخْبِرُ عن الغائبِ ثم تُخاطِبُ ، كما قد بَيَّنا ذلك فيما مضى قبلُ . فكذلك ذلك فى هذه الآيةِ ؛ لأن قولَه ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾ بمعنى : قُلْنا لكم فأجَبْتمونا . وأما قولُه : ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا ﴾ فإنه خبرٌ مِن اللهِ عن اليهودِ الذين أخَذ ميثاقَهم أن يَعْملوا بما فى التوراةِ ، وأن يُطِيعوا اللهَ فيما [٩/٣٤٩ظ] يَسْمعون منها ، أنهم قالوا حين قِيلَ لهم ذلك : سمِعنا قولَك ، وعصَينا أمرَك .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ .

اختَلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم : تأويلُه : وأُشْرِبوا فى قلوبِهم حبَّ العِجلِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ قال : أُشْرِبوا حبَّه حتى خَلَص ذلك إلى

قلوبهم[١] .

١/٤٢٣ /حدَّثني المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ قال : أُشْرِبوا حبَّ العِجلِ بكُفرِهم[٢] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ قال : أُشْربوا حبَّ العجلِ في قلوبِهم[٣] .

وقال آخرون : معنى ذلك أنهم سُقُوا الماءَ الذي ذُرِّيَ فيه سُحالةُ[٤] العجلِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ : لمَّا رجَع موسى إلى قومِه أخَذ العجلَ الذي وجَدهم عاكفين عليه فذبحَه[٥] ، ثم حَرَقَه[٦] بالمبردِ ، ثم ذَرَّاه في اليَمِّ ، فلم يَبْقَ بحرٌ يومئذٍ يَجْرِي إلا وقَع فيه شيءٌ منه ، ثم قال لهم موسى : اشْرَبوا منه . فشرِبوا منه ، فمن كان يُحِبُّه خرَج على شاربه الذهبُ ، فذلك حين يَقولُ اللهُ عز وجل : ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[٧] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال :

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٥٢/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٦/١ (٩٣٤) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٦/١ عقب الأثر (٩٣٤) من طريق آدم به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٦/١ عقب الأثر (٩٣٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) السحالة : ما سقط من الذهب والفضة ونحوها إذا برد . التاج (س ح ل) .

(٥) أي : شقه .

(٦) في م : « خرقه » . وحرقه بالمبرد : برده . وينظر ما تقدم في ١/ ٦٨١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٦/١ (٩٣٣) من طريق عمرو به .

لما سُحِل فأُلْقِى فى اليّم استقبلوا جِرْيةَ الماءِ ، فشرِبوا حتى ملئوا بطونَهم ، فأَوْرَث ذلك مَن فعَله منهم جُبْنًا .

قال أبو جعفرٍ : وأَوْلَى التأويلين اللذين ذكَرتُ بقولِ اللهِ جل ثناؤُه : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ تأويلُ مَن قال : وأُشْرِبوا فى قلوبِهم حبَّ العجلِ ؛ لأن الماء لا يُقالُ منه : أُشْرِب فلانٌ فى قلبِه . وإنما يُقالُ ذلك فى حبِّ الشيءِ ، فيُقالُ منه : أُشْرِب قَلْبُ فلانٍ حبَّ كذا . بمعنى : سُقِىَ ذلك حتى غلَب عليه وخالطَ قلبَه . كما قال زُهيرٌ[(1)] :

فَصَحَوْتُ عَنْهَا بَعْد حُبٌّ داخلٍ والحُبُّ يُشْرَبُهُ فُؤَادُكَ دَاءُ

ولكنه ترَك ذِكْرَ « الحبِّ » اكْتِفاءً بفهمِ السامعِ لمعنى الكلامِ ؛ إذ كان معلومًا [٣/٥٠و] أن العجلَ لا يُشْرِبُ القلبَ ، وأن الذى يُشْرِبُ القلبَ منه حبُّه . كما قال جل ثناؤُه : [(٢)] ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ [(٢)] [الأعراف : ١٦٣] . ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف : ٨٢] . وكما قال الشاعرُ[(٣)] :

حسِبتَ بُغامَ[(٤)] راحلتى عَناقًا[(٥)] وما هى وَيْبَ[(٦)] غيرِك بالعَناقِ

يعنى بذلك : حسبتَ بُغامَ راحلتى بُغامَ عناقٍ .

---

(١) شرح ديوانه ص ٣٣٩.

(٢ - ٢) ليست فى : الأصل .

(٣) البيت فى اللسان (و ى ب) (ب غ م) ، وفى النوادر ص ١١٦ ، ومعانى القرآن للفراء ١/ ٦٢، منسوب لذى الخِرَق الطهوى يخاطب ذئبا تبعه فى طريقه ، وفى اللسان (ع ن ق) منسوب لقريط بن أنيف ، وغير منسوب فى مجالس ثعلب ١/ ٧٦.

(٤) بغام الناقة : صوت لا تفصح به . اللسان (ب غ م) .

(٥) العناق : الأنثى من المعز . اللسان (ع ن ق) .

(٦) الويب : كلمة بمعنى ويل . اللسان (و ى ب) .

وكما قال طَرفةُ بنُ العبدِ[(١)] :

ألا إنَّنِى سُقِّيتُ أسودَ حالِكًا ألا بَجَلِى[(٢)] مِن الشَّرَابِ ألا بَجَلْ

يعنى بذلك : سُقِيتُ سَمًّا أسودَ . فاكْتَفى بذكرِ « أسودَ » من ذِكْرِ « السَّمِّ » لمعرفةِ السامعِ معنى ما أراد بقولِه : سُقِيتُ أسودَ . ويُرْوَى :

ألا إنَّنى سُقِّيتُ أسْوَدَ سالخًا[(٣)]

وقد تقولُ العربُ : إذا سرَّك أن تَنْظُرَ إلى السخاءِ فانْظُر إلى هَرِمٍ أو إلى حاتمٍ . فتَجْتَزِئُ بذِكرِ الاسمِ مِن ذكرِ فعلِه ، إذا كان معروفًا بشجاعةٍ أو سخاءٍ ، أو ما أشْبَهَ ذلك مِن الصفاتِ ، ومنه قولُ الشاعرِ[(٤)] :

يَقُولون جاهِدْ يا جَمِيلُ بِغَزْوَةٍ وإن جِهادًا طَيِّئٌ وَقِتالُها

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

يَعْنى بذلك جل ثناؤُه : قل يا محمدُ ليهودِ بنى إسرائيلَ : بئس الشىءُ يَأْمُرُكم به إيمانُكم ، إن كان يأمرُكم بقتلِ أنبياءِ اللهِ ورسلِه ، والتكذيبِ بكُتُبِه ، وجُحودِ ما جاء مِن عندِه . ومعنى إيمانِهم : تَصْديقُهم /الذى زعَموا أنهم به مصدِّقون مِن كتابِ اللهِ ، إذ قِيلَ لهم : آمِنوا بما أنزَل اللهُ . فقالوا : نُؤمنُ بما أُنزِلَ علينا . ١/٤٢٤

وقولُه : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أى : إن كُنتُم مُصدِّقين - كما زعَمتم - بما

---

(١) ديوانه ص ١١٥.

(٢) بجلى : حسبى . التاج (ب ج ل) .

(٣) السالخ : الأسود من الحيات شديد السواد وأقتل ما يكون من الحيات . اللسان (س ل خ) .

(٤) معانى القرآن للفراء ٦٢/١ ، ومجالس ثعلب ١/ ٧٦، واللسان (غ ز ى) .

أنزَل اللهُ عليكم . وإنما كذَّبهم اللهُ بذلك لأن التوراةَ تَنْهَى عن ذلك كلِّه ، وتأمُر بخلافِه ، فأخبَرهم أنّ تصديقَهم بالتوراةِ إن كان يأمُرهم بذلك ، فبئس الأمْرُ تأمُرُ به . وإنما ذلك نَفْيٌ مِن اللهِ تعالى ذِكْرُه عن التوراةِ أن تكونَ تأمُرُ بشيءٍ مما يَكْرهُه اللهُ مِن أفعالِهم ، وأن يكونَ التصديقُ بها يدلُّ على شيءٍ مِن مخالفةِ أمرِ اللهِ ، وإعلامٌ منه جل ثناؤُه [٣/٥٠ظ] أن الذى يأمُرهم بذلك أهواؤُهم ، والذى يَحْمِلُهم عليه البغْىُ والعدوانُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذه الآيةُ مما احتجَّ اللهُ به لنبيِّه محمدٍ ﷺ على اليهودِ الذين كانوا بين ظَهْرانَىْ مُهاجَرِه ، وفضَح بها أحبارَهم وعلماءَهم ، وذلك أن اللهَ جل ثناؤُه أمَر نبيَّه ﷺ أن يَدْعوَهم إلى قضيةٍ عادلةٍ بينَه وبينَهم ، فيما كان بينَه وبينَهم مِن الخلافِ ، كما أمَره اللهُ أن يَدْعوَ الفريقَ الآخرَ مِن النَّصارَى - إذ خالفوه فى عيسى صلواتُ اللهِ عليه ، وجادلوه فيه - إلى فاصلةٍ بينَه وبينَهم مِن المُباهَلَةِ ، وقال لفريقِ اليهودِ : إن كنتم مُحِقِّين فتمنَّوُا الموتَ ، فإن ذلك غيرُ ضارِّكم إن كنتم مُحِقِّين فيما تَدَّعون مِن الإيمانِ وقُربِ المَنْزِلةِ مِن اللهِ ، بل إن أُعْطِيتُم أُمْنِيَتَكم مِن الموتِ إذا تمنَّيتم ، فإنما تَصِيرون إلى الراحةِ مِن تَعَبِ الدنيا ونصبِها وكَدَرِ عَيْشِها ، والفوزِ بجوارِ اللهِ فى جِنانِه ، إن كان الأمرُ كما تَزْعُمون ، مِن أنّ الدارَ الآخرةَ لكم خالصةٌ دونَنا ، وإن لم تُعْطَوْها علِم الناسُ أنكم المُبطِلون ، ونحن المُحِقُّون فى دعوانا ، وانْكَشف أمرُنا وأمرُكم لهم . فامْتَنعت اليهودُ مِن إجابةِ النبىِّ ﷺ إلى ذلك لعلْمِها أنها إن تمنَّت الموتَ هلَكَت ، فذَهَبت دنياها ، وصارت إلى خِزْىِ الأبدِ فى آخرتِها ، كما امتنع فريقُ النَّصارى الذين جادلوا النبىَّ ﷺ فى عيسى ، إذ دُعُوا إلى المُباهلةِ - مِن المباهلةِ ، فبلَغنا أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « لو أن اليهودَ تمنَّوا الموتَ لماتوا ، ولرأَوا

مقاعدَهم مِن النارِ ، ولو خرَج الذين يُباهِلون رسولَ اللهِ ﷺ لرجَعوا لا يَجِدون أهلًا ولا مالًا » .

حدَّثنا بذلك أبو كريبٍ ، قال : حدثنا[1] زكريا بنُ عديٍّ ، قال : حدَّثنا عُبيدُ اللهِ ابنُ عمرٍو ، عن عبدِ الكريمِ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ[2] .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : حدَّثنا عَثَّامُ بنُ عليٍّ ، عن الأعْمشِ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ قال : لو تمنَّوا الموتَ لشَرِقَ أحدُهم بريقِه[3] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمرٌ ، عن عبدِ الكريمِ الجزَريِّ ، / عن عكرمةَ في قولِه : ﴿ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ قال : [٥١/٣و] قال ابنُ عباسٍ : لو تمنَّى اليهودُ الموتَ لماتوا[4] . ١/٤٢٥

حدَّثني موسى ، قال : أخبَرنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثني ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ - قال أبو جعفرٍ : فيما أرى - أنا - عن سعيدٍ ، أو عِكْرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لو تمنَّوه يومَ قال لهم ذلك ، ما بقِي على ظَهرِ الأرضِ

---

(١) بعده في م : « أبو » .

(٢) إسناده صحيح . أخرجه البزار (٢١٨٩ - كشف) ، وابن مردويه - كما في الفتح ٧٢٤/٨ - من طريق زكريا بن عدى به . وأخرجه أحمد ٩٩/٤ (٢٢٢٦) ، والنسائى فى الكبرى (١١٠٦١) ، وأبو يعلى (٢٦٠٤) من طريق عبيد الله بن عمرو به .

(٣) الأعمش لم يدرك ابن عباس . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٧/١ (٩٣٦) من طريق عثام ، عن الأعمش قال : لا أظنه إلا عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٧/١ (٩٣٨) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٩/١ إلى ابن المنذر وأبى نعيم .

يهوديٌّ إلا مات[(١)] .

قال أبو جعفرٍ : فانْكَشف - لِمَن كان مُشْكِلاً عليه أمرُ اليهودِ يومَئذٍ - كَذِبُهم وبُهْتُهم وبَغْيُهم على رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابه ، وظَهَرت حُجَّةُ رسولِ اللهِ وحُجةُ أصحابِه عليهم ، ولم تَزَلْ - والحمدُ للهِ - ظاهرةً عليهم وعلى غيرِهم مِن سائرِ أهلِ المللِ ، وإنما أُمِرَ رسولُ اللهِ ﷺ أن يقولَ لهم : ﴿ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ لأنهم -فيما ذكر لنا- قالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة : ١٨] وقالوا : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ [البقرة : ١١١] . فقال اللهُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قل لهم إن كنتم صادقين فيما تَزْعُمون فتَمنَّوُا الموتَ . فأبان اللهُ كَذِبَهم بامْتِناعِهم مِن تَمنِّى ذلك ، وأفلَجَ حُجَّةَ رسولِ اللهِ ﷺ .

وقد اختَلف أهلُ التأويلِ فى السببِ الذى مِن أجلِه أمَر اللهُ نبيَّه ﷺ أن يَدْعوَ اليهودَ إلى أن يَتمنَّوُا الموتَ ، وعلى أىِّ وجهٍ أُمِروا أن يَتمنَّوه ؛ فقال بعضُهم : أُمِروا أن يَتمنَّوه على وجهِ الدعاءِ على الفريقِ الكاذبِ منهما .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال اللهُ لنبيِّه ﷺ : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أى : ادْعُوا بالموتِ على أىِّ الفريقين أكْذَبُ[(٢)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٧ (٩٤٠) من طريق سلمة به .

(٢) سيأتى بتمامه فى ص ٢٧٢، ٢٧٣.

وقال آخرون بما حدَّثنى بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ ﴾ : وذلك أنهم قالوا : ﴿ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ . وقالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ . فقِيلَ لهم : ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، قال : قالت اليهودُ : ﴿ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ وقالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ . فقال اللهُ : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً [٥١/٣ظ] مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فلم يَفْعَلوا[2] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنى [3]ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه[3] ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ / لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ ﴾ الآية : وذلك بأنهم قالوا : ﴿ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ وقالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾[4] . ٤٢٦/١

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ ﴾ فإنه يقولُ : قُلْ يا محمدُ : إن كان نعيمُ الدارِ الآخرةِ ولَذَّاتُها لكم يا مَعْشَرَ اليهودِ عندَ اللهِ . فاكْتفَى بذِكْرِ الدارِ مِن ذِكْرِ نعيمِها لمعرفةِ المُخاطبين بالآيةِ معناها .

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٧٧ عقب الأثر (٩٣٥) معلقًا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٧٦، ١٧٧ (٩٣٥) من طريق آدم به .

(٣ - ٣) فى م : « أبو جعفر » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٧٧ عقب الأثر (٩٣٥) من طريق ابن أبى جعفر به .

وقد بَيَّنَّا مَعْنى الدارِ الآخرةِ فيما مضى بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(١)] .

وأمـا تأويلُ قولِه : ﴿ خَالِصَةً ﴾ فإنه يعنى به : صافيةً . كما يُقالُ : خَلَص لى [(٢)]هذا الأمرُ[(٢)] . بمعنى : صار لى وَحْدى وصَفَا لى ، يُقالُ منه : خَلَصَ لى هذا الشىءُ فهو يخْلُصُ خلوصًا وخالصةً . والخالصةُ مصدرٌ ، مِثْلُ العافية ، ويقالُ للرجلِ : هذا خُلْصَانى . يعنى به : خالِصَتى مِن دونِ أصحابِى .

وقد رُوِىَ عن ابنِ عباسٍ أنه كان يَتأولُ قولَه : ﴿ خَالِصَةً ﴾ : خاصةً . وذلك تأويلٌ قريبٌ مِن مَعْنى التأويلِ الذى قُلْناه فى ذلك .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمَارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ﴾ قال : قُلْ يا محمدُ لهم - يَعْنِى اليهودَ - إن كـانت لكم الدارُ الآخرةُ ، يَعْنِى الخيرَ[(٣)] ﴿ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً ﴾ . يقولُ : خاصةً لكم[(٤)] .

وأما قولُه : ﴿ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ ﴾ فإن الذى يَدلُّ عليه ظاهِرُ التنزيلِ أنهم قالوا : لنا الدارُ الآخرةُ عندَ اللهِ خالصةً مِن دونِ جميعِ الناسِ . ويُبَيِّنُ أن ذلك كان قولَهم - مِن غيرِ استِثناءٍ منهم مِن ذلك أحدًا مِن بنى آدمَ - إخبارُ اللهِ عنهم أنهم قالوا : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ . إلا أنه قد رُوِىَ عن ابنِ عباسٍ قولٌ غيرُ ذلك .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٢٥١/١ ، ٢٥٢ .

(٢ - ٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فلان » .

(٣) كذا فى النسخ ، وفى الدر المنثور : « الجنة » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٩/١ إلى المصنف .

ذكرُ ذلك

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ ﴾ يقولُ : مِن دونِ محمدٍ ﷺ وأصحابِه الذين استهزأتم بهم ، وزعَمتم أن الحقَّ فى أيدِيكم ، وأن الدارَ الآخرةَ لكم دونَهم .

وأما قولُه : ﴿ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ ﴾ فإن تأويلَه : تَشهَّوه وأَرِيدوه . وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ أنه قال فى تأويلِه : فسَلُوا الموتَ . [٥٢/٣و] ولا يُعْرَفُ التَّمنى بمعنى المسألةِ فى كلامِ العربِ . ولكنى أحْسِبُ أن ابنَ عباسٍ وجَّه مَعْنى الأُمْنِيةِ - إذ كانت محبةَ النفسِ وشهوتَها - إلى معنى الرَّغْبةِ والمسألةِ ، إذ كانت المسألةُ هى رغبةَ السائلِ إلى اللهِ فيما سأله .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ ﴾ يقولُ : فسَلُوا الموتَ ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللهِ جل ثناؤُه عن اليهودِ وكراهتِهم الموتَ ، وامتناعِهم من الإجابةِ إلى ما دُعُوا إليه مِن تمنِّى الموتِ ؛ لعلمِهم بأنهم إن فعَلوا ذلك فالوعيدُ بهم نازلٌ ، والموتُ بهم حالٌّ ، ولمعرفتِهم بمحمدٍ ﷺ أنه رسولٌ مِن اللهِ إليهم مرسلٌ ، وهم به مُكذِّبون ، وأنه لن يُخبرَهم خبرًا إلا كان حقًّا كما أخبَر ، فهم / يَحذَرُون أن يتمنَّوا الموتَ ، خوفًا أن يَحِلَّ بهم عقابُ اللهِ بما كسَبت أيديهم مِن الذنوبِ . ١/٤٢٧

كالذى حدَّثنى محمدُ بنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ

إسحاقَ ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ - فيما يرى أبو جعفرٍ - عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾ الآية . أي : ادْعُوا بالموتِ على أيِّ الفريقين أكذبُ ، فأبَوا[1] ذلك على رسولِ اللهِ ﷺ . يقولُ اللهُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي : لعلمِهم بما عندَهم مِن العلمِ بك والكفرِ بذلك[2] .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ . يقولُ : يا محمدُ ، ولن يتَمنَّوه أبدًا ؛ لأنهم يَعْلَمون أنهم كاذبون ، ولو كانوا صادقين لتَمنَّوه ، ورَغِبوا في التعجيلِ إلى كَرامتي ، فليس يتَمنَّونه أبدًا بما قدَّمت أيديهم[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ قولَه : ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ : وكانت اليهودُ أشدَّ الناسِ[4] فرارًا مِن الموتِ ، ولم يكونوا ليتَمنَّوه أبدًا .

وأما قولُه : ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ [٥٢/٣ظ] أَيْدِيهِمْ ﴾ . فإنه يَعْني به : بما أسْلَفَتْه أيديهم . وإنما ذلك مَثَلٌ ، على نحوِ ما تَتَمَثَّلُ به العربُ في كلامِها ، فتقولُ للرجلِ يُؤْخَذُ بجَرِيرةٍ جرَّها ، أو جنايةٍ جَناها فيعاقَبُ عليها : نالك هذا بما جَنَتْ يداك ، وبما كَسبت يداك ، وبما قَدَّمت يداك . فتُضِيفُ ذلك إلى اليدِ ، ولعلَّ الجنايةَ التي جَناها فاستحقَّ عليها العقوبةَ كانت باللسانِ أو بالفَرْجِ أو بغيرِ ذلك مِن أعضاءِ جسدِه سِوَى

---

(١) في م : « قالوا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٤٢/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٧/١ (٩٣٧، ٩٤٠) من طريق سلمة به .

(٣) تقدم أول هذا الأثر في ص ٢٧١.

(٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٣.

اليدِ . وإنما قِيلَ ذلك بإضافتِه إلى اليدِ ؛ لأن عُظْمَ جِناياتِ الناسِ بأيديهم ، فجَرَى الكلامُ باستعمالِ إضافةِ الجناياتِ التي يجنيها الناسُ إلى أيديهم ، حتى أُضِيفَ كلُّ ما عُوقِبَ عليه الإنسانُ مما جَناه بسائرِ أعضاءِ جسدِه إلى أنها عقوبةٌ على ما جَنَتْه يَداه[(١)] ، فلذلك قال جل ثناؤُه للعربِ : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعنى به : ولن يَتمنَّى اليهودُ الموتَ بما قدَّموا أمامَهم فى حياتِهم مِن كفرِهم باللهِ ، فى مخالفتِهم أمرَه وطاعتَه فى اتباعِ محمدٍ ﷺ وما جاءهم[(٢)] به مِن عندِ اللهِ ، وهم يَجِدونه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ ، ويَعْلمون أنه نبيٌّ مبعوثٌ . فأضاف جل ثناؤُه ما انطَوت عليه قلوبُهم ، وأضْمَرته نفوسُهم ، ونَطَقت به ألسنتُهم ؛ مِن حسدِ محمدٍ ﷺ والبغيِ عليه ، وتكذيبِه وجُحودِ رسالتِه - إلى أيديهم ، وأنه مما قدَّمته أيديهم لعلمِ العربِ بمعنى ذلك فى منطقِها وكلامِها ، إذ كان جل ثناؤُه إنما أنزَل القرآنَ بلسانِها ، وبلغتِها خاطَبها[(٣)] .

ورُوِىَ عن ابنِ عباسٍ فى ذلك ما حدَّثنا به أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ يقولُ : بما أسْلَفت أيديهم[(٤)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ : ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ . قال : إنهم عَرَفوا أن محمدًا ﷺ نبيٌّ فكَتَموه .

وأما قولُه : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ فإنه يعنى جل ثناؤُه : واللهُ ذو علمٍ بظَلَمةِ بنى آدمَ - يهودِها / ونَصارَاها وسائرِ أهلِ [(٥)] مللِها غيرِهم [(٥)] - وما يَعْملون . ٤٢٨/١

---

(١) فى م : « يده » .
(٢) فى م : « جاء » .
(٣) سقط من : م .
(٤) ليست فى : الأصل .
(٥ - ٥) فى م : « الملل غيرها » .

وظلمُ اليهودِ كفرُهم باللهِ فى خلافِهم أمرَه وطاعتَه فى اتباعِ محمدٍ ﷺ ، بعدَ أن كانوا يَسْتَفْتِحون به وبمَبْعثِه ، وجُحودِهم نبوتَه وهم عالمون أنه نبيُّ اللهِ ورسولُه إليهم .

وقد دَلَّلْنا على معنى الظلمِ فيما مضَى بما أغنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ .

[٥٣/٣و] يَعْنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ اليهودَ . يقولُ : يا محمدُ ، لتَجِدَنَّ أشدَّ الناسِ حِرصًا على الحياةِ فى الدنيا ، وأشدَّهم كراهةً للموتِ ، اليهودَ ، كما حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ - فيما يرَى[(٢)] أبو جعفرٍ - عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، أوعكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ . يعنى اليهودَ[(٣)] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، [(٤)]عن الربيعِ[(٤)] ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ . يعنى اليهودَ[(٥)] .

وحدَّثنى المثنَّى ، [(٤)]قال : ثنا إسحاقُ[(٤)] ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[(٦)] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٥٥٩/١ ، ٥٦٠ .

(٢) فى م : « يروى » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٤٢/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٨/١ (٩٤٤ ، ٩٤٦) ، والحاكم ٢/ ٢٦٣ من طريق مسلم البطين عن سعيد به بزيادة : ﴿ ومن الذين أشركوا ﴾ قال : الأعاجم . وستأتى بقيته فى ص ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٢.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٨/١ عقب الأثر (٩٤٤) من طريق آدم به .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٨/١ عقب الأثر (٩٤٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وإنما كراهتُهم الموتَ لعلمِهم بما لَهم فى الآخرةِ من الخزْيِ والهَوانِ الطويلِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ .

يَعْنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ : وأحرصَ من الذين أشركُوا على الحياةِ . كما يقالُ : هو أَشجعُ الناسِ ومن عنترةَ . بمعنى : هو أشجعُ من الناسِ ومن عنترةَ . فكذلك قولُه : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ . لأن معنى الكلامِ : ولَتَجِدَنَّ يا محمدُ اليهودَ من بنى إسرائيلَ أحرصَ من[1] الناسِ على حياةٍ ومن الذين أشركُوا . فلمّا أُضِيفَ ﴿ أَحْرَصَ ﴾ إلى ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ ، وفيه تأويلُ « مِن » - أُظْهِرَتْ بعدَ حرفِ العطفِ رَدًّا على التأويلِ الذى ذكَرْنا .

وإنما وصَف اللهُ جل ثناؤُه اليهودَ بأنهم أحرصُ الناسِ على الحياةِ ، لعِلْمِهم بما قد أَعَدَّ لهم فى الآخرةِ على كفرِهم ، مما لا يُقِرُّ به أهلُ الشركِ ، فهم للموتِ أكْرَهُ من أهلِ الشركِ الذين لا يُؤْمِنون بالبعثِ ؛ لأنهم يُؤمنون بالبعثِ ويَعْلَمون ما لهم هنالك من العذابِ ، وأنَّ المُشركِينَ لا يُصَدِّقُون ببعثٍ ولا عقابٍ ، فاليهودُ أحرصُ منهم على الحياةِ وأكْرَهُ للموتِ .

وقيل : إن الذين أَشركُوا ، الذين أخبرَ اللهُ تعالى ذكرُه أن اليهودَ أحرصُ منهم فى هذه الآيةِ على الحياةِ ، هم المجوسُ . [2]وقيل : هم[2] الذين لا يُصَدِّقُون بالبعثِ .

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

٤٢٩/١

/ ذكرُ من قال : هم المجوسُ

حدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ : يعني المجوسَ[1] .

وحدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : [٥٣/٣ظ] ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ . قال : المجوسُ .

وحدَّثني يونسُ ، قال : أخبرَني ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ . قال : يهودُ أحرصُ من هؤلاء على الحياةِ .

ذكرُ من قال : هم الذين يُنْكِرون البعثَ

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : ثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثني محمدُ ابنُ أبي محمدٍ - فيما يَرَى[2] أبو جعفرٍ - عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ : وذلك أن المشركَ لا يَرْجُو بعثًا بعد الموتِ ، فهو يُحبُّ طولَ الحياةِ ، وأن اليهوديَّ قد عرَف ما له في الآخرةِ من الخِزْيِ ، [3]لما ما ضَيَّع بما[3] عنده من العلمِ[4] .

القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ .

وهذا خبرٌ من اللهِ جل ثناؤُه[5] عن الذين أشرَكُوا ، الذين أخبَر أن اليهودَ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٩/١ (٩٤٧) من طريق آدم به .

(٢) في م : « يروى » .

(٣ - ٣) في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « بما ضيع مما » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٤٣/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٩/١ (٩٥٠) من طريق سلمة به .

(٥) بعده في : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بقوله » .

أحرصُ منهم على الحياةِ ، يقولُ جل ثناؤُه : يَوَدُّ أحدُ هؤلاءِ الذين أشرَكُوا - [1]ليأسِه بفناءِ[1] دنياه وانقضاءِ أيامِ حياتِه ، من[2] أن يكونَ له بعد ذلك نُشورٌ أو مَحْيَا ، أو فَرَحٌ أو سُرُورٌ - لو يُعَمَّرُ [3]في الدنيا[3] ألفَ سنةٍ ، حتى جعَل بعضُهم تحيةَ بعضٍ : [4]عِشْ ألفَ[4] عامٍ . حرصًا منهم على الحياةِ .

كما حدَّثنا محمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسنِ بنِ شقيقٍ ، قال : سمِعتُ أبى عليًّا يقولُ[2] : أخبرَنا أبو حمزةَ ، عن الأعمشِ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ . قال : هو قولُ الأعاجمِ : هَزار[2] سال زِه نَوْروز مِهْرْجان دَر[5][6] .

وحُدِّثت عن نُعَيمٍ النحْوىِّ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ . قال : هو قولُ أهلِ الشركِ بعضِهم لبعضٍ إذا عَطِس : زِه هَزار سال[7] .

حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سعيدٍ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالا : ثنا إسماعيلُ ابنُ عُلَيَّةَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ . قال : حُبِّبَتْ إليهم الخطيئةُ طولَ العُمُرِ[8] .

(١ - ١) فى م : « إلا بعد فناء » .

(٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤ - ٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عشرة آلاف » .

(٥) فى النسخ : « حر » .

وهزار : ألف ، وسال : سنة ، وزه : عِش ، ونوروز ومهرجان : من أعياد الفرس ، ودر : حرف جر بمعنى : فى . وينظر المعجم الذهبى ص ٢٥٨، ٣١٦، ٣٢٧، ٥٥١، ٦٠٣.

(٦) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٨٤/١ عن المصنف .

(٧) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٩/١ عقب الأثر (٩٤٩) معلقًا .

(٨) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٩/١ (٩٤٩) من طريق ابن علية ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد .

حدَّثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : حدثني ابنُ مَعْبَدٍ ، عن ابنِ عُلَيَّةَ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ في قولِه : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ ﴾ . فذكَر مثلَه .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ حتى بلَغ : ﴿ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ [٥٤/٣و] سَنَةٍ﴾ : ويهودُ أحرصُ من هؤلاء على الحياةِ ، وقد وَدّ هؤلاءِ لو يُعَمَّرُ أحدُهم ألفَ سنةٍ[1] .

٤٣٠/١ / وحُدِّثت عن أبي معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ . قال : هو قولُ أحدِهم إذا عَطَس : زِه هَزار سال . يقولُ : [2] عِشْ ألفَ [2] سنةٍ[3] .

القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ .

يعني جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ : وما التعميرُ وطولُ البقاءِ بمُزَحْزِحِه من عذابِ اللهِ .

و[4] قولُه : ﴿ هُوَ ﴾ . عِمادٌ ، لطلَبِ « ما » الاسمَ أكثرَ من طلبِها الفعلَ ، كما

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٨٥/١ .

(٢ - ٢) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عشرة آلاف » .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢٠١ - تفسير) ، والحاكم ٢٦٣/٢ من طريق أبي معاوية به . وأخرجه ابن أبي شيبة ٤٧٣/١٠ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٩/١ (٩٤٨) من طريق ابن نمير ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد به ، وأخرجه الحاكم ٢٦٣/٢ ، ٢٦٤ من طريق قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد به . وتقدم في ص ٢٧٨ عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٩/١ إلى ابن المنذر .

(٤) بعده في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « هو » .

قال الشاعرُ[1] :

* فهل هو مَرفُوعٌ بما هَاهُنا راسُ *

و ﴿أَنْ﴾ التى فى : ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ رَفْعٌ بـ﴿مُزَحْزِحِهِۦ﴾ ، و[2] ﴿هُوَ﴾ التى مع ﴿مَا﴾[3] من ذكرِه[3] ، عمادٌ للفعلِ ؛ لاستقباحِ[4] العربِ النكرةَ قبل المعرفةِ .

وقد قال بعضُهم : إن ﴿هُوَ﴾ التى مع ﴿وَمَا﴾ كنايةٌ مِن ذكرِ العُمُرِ . كأنه قال : يَوَدُّ أحدُهم لو يُعَمَّرُ ألفَ سنةٍ ، وما ذلك العُمُرُ بمُزَحْزِحِه من العذابِ . وجعَل : ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ مُتَرْجِمًا[5] عن ﴿هُوَ﴾ . يُرِيدُ : ما هو بمُزَحْزِحِه التعميرُ .

وقال بعضُهم : قولُه : ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ نظيرُ قولِك : ما زيدٌ بمُزَحْزِحِه أن يُعَمَّرَ .

وأقربُ هذه الأقوالِ عندنا إلى الصوابِ ما قلْناه ، وهو أن يكونَ ﴿هُوَ﴾ عمادًا ، نظيرُ قولِك : ما هو قائمًا[6] عمرٌو .

وقد قال قومٌ من أهلِ التأويلِ : إنَّ ﴿أَن﴾ التى فى قولِه : ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ بمَعْنَى : وإنْ عُمِّرَ . وذلك قولٌ لمعانى كلامِ العربِ المعروفِ مخالفٌ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ :

---

(١) تقدم تخريج البيت فى ص ٢١٥ ، وينظر تعريف العماد هناك أيضًا .

(٢) فى م : « أو » .

(٣ - ٣) فى م : « تكرير » .

(٤) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لاستفتاح » .

(٥) ينظر تعريف الترجمة فى ص ٢٤٦ .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قائم » .

﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ . يقولُ : وإن عُمِّر[1] .

وحدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

وحدَّثني يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ،قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ أَن يُعَمَّرَ ﴾ : ولو عُمِّرَ[2] .

وأما تأويلُ قولِه :﴿ بِمُزَحْزِحِهِۦ ﴾ فإنه: بمُبْعِدِه ومُنْجِيه[3] ، كما قال الحُطَيئةُ[4] :

وقالُوا تَزَحْزَحْ لا بِنا فَضْلُ حاجةٍ   إليكَ ولا مِنّا لِوَهْيِكَ[5] راقِعُ

[٣/٥٤ظ] يعني بقولِه : تَزَحْزَحْ : تَباعَدْ . يقالُ منه : زَحْزَحَه يُزَحْزِحُه زَحْزَحَةً وزِحْزَاحًا ، وهو عنك يُزَحْزَحُ . أي : هو مُتباعِدٌ .

فتأويلُ الآيةِ : وما طولُ العمُرِ بمُبْعِدِه من عذابِ اللهِ ولا مُنْجِيه[3] منه ؛ لأنه لا بُدَّ للعُمُرِ من الفناءِ ومصيرِه إلى اللهِ .

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثني ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ – قال أبو جعفرٍ : فيما أرى – عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، أو

(١) سيأتي بتمامه في ص ٢٨٢.

(٢) سيأتي تخريجه في ص ٢٨٣ .

(٣) في م : « بمنحيه » .

(٤) البيت في الاختيارين ص ٢٢٧، والأغاني ١٤/ ١٥٧، منسوب لقيس بن الحدادية ، ونسب الشطر الأخير ابن برى – كما في اللسان (و هـ ى) إلى الحطيئة . والشطر الأول في الاختيارين :

* وقالت تزحزح لابنا خلت خلة *

وفي الأغاني :

* فقالت تزحزح ما بنا كبر حاجة *

(٥) في الاختيارين والأغاني : « لفقرك » . والوهي : خرق قليل من السقاء . اللسان (و هـ ى) .

عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ . أى : ما هو بمُنجيه من العذابِ [1] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ . يقولُ : وإنْ عُمِّر ، فما [2] ذلك بمُغْنيه [2] من العذابِ ولا منجِيه [3] .

٤٣١/١ / وحدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

وحدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ : فهم الذين عادَوْا جبريلَ عليه السلامُ [4] .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ : ويهودُ أحرصُ على الحياةِ من هؤلاءِ ، وقد وَدَّ هؤلاءِ لو يُعَمَّرُ أحدُهم ألفَ سنةٍ ، وليس [5] بمُزَحْزِحِه من العذابِ لو عُمِّر كما عُمِّر إبليسُ ، لم يَنْفَعْه ذلك إذا [6] كان كافرًا ، لم [7] يُزَحْزِحْه ذلك

---

(١) تقدم أوله فى ص ٢٧٥ ، ٢٧٧.

(٢ - ٢) فى م : « ذاك بمغيثه » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٩/١ (٩٥١) من طريق آدم به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٨٤/١ عن العوفى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٩/١ إلى المصنف .

(٥) بعده فى م ، ت ١، ت ٣: « ذلك » ، وفى ت ٢: « ذاك » .

(٦) فى م : « إذ » .

(٧) فى م : « ولم » .

من العذابِ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ۝٩٦ ﴾ .

يَعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ : واللهُ ذو إبصارٍ بما[(٢)] يَعمَلون ، لا يَخْفَى عليه شىءٌ من أعمالِهم ، بل هو بجميعِها مُحيطٌ ، ولها حافظٌ ذاكرٌ ، حتى يُذِيقَهم بها من العقابِ جزاءَها .

وأصلُ بصيرٍ مُبْصِرٌ ، من قولِك[(٣)] : أبْصَرْتُ فأنا مُبْصِرٌ . ولكنّه صُرِف إلى « فَعِيلٍ » ، كما صُرِفَ مُسْمِعٌ إلى سَمِيعٍ ، وعذابٌ مؤلمٌ إلى أليمٍ ، ومُبدِعُ السماواتِ إلى بَديعٍ ، وما أشبهَ ذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ .

أجمع أهلُ العلمِ بالتأويلِ جميعًا على أن هذه الآيةَ نزَلتْ جوابًا لليهودِ مِن بنى إسرائيلَ ، إذ زعَموا أنَّ جبريلَ عدوٌّ لهم ، وأن ميكائيلَ وَلِيٌّ لهم . ثم اختلَفوا فى السببِ [٣/٥٥و] الذى مِن أجلِه قالوا ذلك ؛ فقال بعضُهم : إنما[(٤)] كان سببُ قيلِهم ذلك مِن أجلِ مناظرةٍ جرَتْ بينهم وبين رسولِ اللهِ ﷺ فى أمرِ نبوَّتِه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ[(٥)] بُكَيرٍ ، عن عبدِ الحميدِ بنِ بَهْرامَ ، عن

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٨٥.

(٢) فى الأصل : « ما » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قول القائل » .

(٤) ليست فى : الأصل .

(٥) فى م : « عن » .

شهرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه قال : حضَرَتْ عِصابةٌ من اليهودِ رسولَ اللهِ ﷺ فقالوا : يا أبا القاسمِ ، حدِّثْنا عن خِلالٍ نسألُك عنهنَّ لا يَعْلَمُهن إلا نبيٌّ . فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « سَلُوا عمَّا شِئْتُم ،ولكن اجعَلُوا لى ذِمّةَ اللهِ وما أخَذ يَعْقُوبُ على بَنِيه ، لَئِنْ أنا حَدَّثْتُكم شيئًا فعَرَفْتُموه لَتُتابِعُنِّى[1] على الإسلامِ » . فقالوا : ذلك لك . فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « سَلُونى عمّا شِئْتُم » . فقالوا : أخبِرْنا عن أربعِ خِلالٍ نسألُك عنهن ؛ أخبِرْنا أىُّ الطعامِ حرَّم إسرائيلُ على نفسِه من قبلِ أن تُنَزَّلَ التوراةُ ، وأخبِرْنا كيف ماءُ المرأةِ وماءُ الرجلِ ، وكيف يكونُ الذكرُ منه والأُنثى ، وأخبِرْنا بهذا النبىِّ الأُمِّىِّ فى[2] النومِ ، ومن[2] وَلِيُّه مِن الملائكةِ . فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « عليكم عَهْدُ اللهِ لَئِنْ أنا أَنْبَأْتُكم لَتُتابِعُنِّى[3] » . فأعطَوْه ما شاء مِن عهدٍ وميثاقٍ ، فقال : « نَشَدْتُكم/ بالذى أنْزَلَ التوْراةَ على موسى ، هل تَعْلَمون أن إسْرائِيلَ يعقوبَ[4] مَرِض مَرَضًا شديدًا ، فَطال سَقَمُه منه ، فنَذر للهِ[4] نَذْرًا لَئِن عافاه اللهُ مِن سَقَمِه ، لَيُحَرِّمَنَّ أحبَّ الطعامِ والشرابِ إليه ، وكانَ أحبُّ الطعامِ إليه لُحْمانُ[5] الإبلِ » - قال أبو جعفرٍ : فيما أرى أنا - « وأحَبُّ الشرابِ إليه أَلْبانُها ؟ » فقالوا : اللهمَّ نعم . فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « [6]اللهُمَّ اشْهَدْ عليهم[6] . وأنْشُدُكم باللهِ الذى لا إلهَ إلا هو ، الذى أنْزَلَ التوراةَ على موسى ، هل تَعْلَمون أنَّ ماءَ الرَّجُلِ أبْيَضُ غليظٌ ، وأن ماءَ المرأةِ أصفرُ رقيقٌ ، فأيُّهما عَلا كان له الوَلَدُ والشَّبَهُ بإذنِ اللهِ ، إذا[7] عَلا ماءُ الرجلِ ماءَ المرأةِ كان الوَلَدُ ذَكَرًا بإذنِ اللهِ ، وإذا علا ماءُ

١/٤٣٢

---

(١) فى ت ٢، ونسخ من الطيالسى : « لتبايعنى » .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ت١ ، ت ٢: « التوراة و » .

(٣) فى ت ١، ت ٣، ونسخ من الطيالسى : « لتبايعنى » ، وفى ت ٢: « لتبايعوه » ، وغير منقوطة فى الأصل .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « لحم » .

(٦ - ٦) فى م : « أشهد الله عليكم » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « أشهد عليكم » .

(٧) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فإذا » .

المرأةِ ماءَ الرجلِ كان الولَدُ أُنثى بإذنِ اللهِ ؟ » قالوا : اللهمَّ نعَم . قال : « اللهمَّ اشْهَدْ » . قال : « وأَنْشُدُكم بالذى أَنزَل التوراةَ على موسى ، هل تَعلَمون أن هذا النبيَّ الأُمِّيَّ تَنامُ عيناه ولا يَنامُ قلبُه ؟ » قالوا : اللهمَّ نعَم . قال : « اللهمَّ اشْهَدْ » . قالوا[1] : أنت الآنَ ، فحدِّثْنا مَن وَليُّك مِن الملائكةِ ، فعندَها نجامِعُك[2] أو نُفارِقُك . قال : « فإن وَليِّى جبريلُ ، ولم يَبْعَثِ اللهُ نبيًّا قَطُّ إلَّا وهو وليُّه » . قالوا : فعندَها نُفارِقُك ؛ لو كان وليُّك سواه مِن الملائكةِ تابَعْناك وصدَّقْناك . قال : « فما يَمْنَعُكم أن تُصدِّقوه ؟ » قالوا : إنه عدوُّنا . فأنزَل [٣/٥٥ظ] اللهُ عزّ وجل : ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ . إلى قولِه : ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . فعندَها باءوا بغضَبٍ على غضَبٍ[3] .

وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الحسينِ المكِّىُّ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ الأشعرىِّ ، أن نفرًا مِن اليهودِ جاءوا رسولَ اللهِ ﷺ فقالوا له : يا محمدُ ، أخبِرْنا عن أربعِ خصالٍ[4] نسألُك عنهنَّ ، فإن فعَلتَ اتَّبعْناكَ وصدَّقْناكَ وآمنَّا بكَ . فقال لهم[4] رسولُ اللهِ ﷺ : « عليكم بذلك عهدُ اللهِ وميثاقُه ، لئن أنا أخبَرْتُكم بذلك لَتُصدِّقُنِّى » . قالوا : نعم . قال : « فسلُوا عمَّا بدَا لكم » . فقالوا : أخبِرْنا كيف يُشْبِهُ الولدُ أُمَّه وإنما النطفةُ مِن الرجلِ ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « أَنْشُدُكم باللهِ وبأَيَّامِه[5] عندَ بَنى إسرائيلَ ، هل تَعلَمونَ أن نُطفةَ الرَّجُلِ بَيضاءُ غليظةٌ ، ونُطْفةَ المرأةِ صفراءُ رَقيقةٌ ، فأيَّتُهما عَلَت[6] صاحبتَها

---

(١) فى الأصل : « فقالوا » .

(٢) فى م : « نتابعك » .

(٣) أخرجه الطيالسى (٢٨٥٤) ، وابن سعد فى الطبقات ١/ ١٧٤ ، وعبد بن حميد فى تفسيره - كما فى تفسير ابن كثير ١/ ١٨٦ - وأحمد ١/ ٢٧٣، ٢٧٨ (٢٤٧١، ٢٥١٤) ، وعبد الله بن أحمد فى زوائد المسند ١/ ٢٧٨ (٢٥١٥) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٠٤ (٣٨١٦) ، والطبرانى فى الكبير (١٣٠١٢) ، والبيهقى فى الدلائل ٦/ ٢٦٦، ٢٦٧ من طرق عن عبد الحميد بن بهرام به .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « بآياته » .

(٦) فى م : « غلبت » .

كان لها الشَّبَهُ ؟ » قالوا : اللهمَّ نعم . قالوا : فأخبِرْنا كيف نومُك ؟ قال : « أَنْشُدُكم باللهِ وبأيَّامِه عندَ بَنِى إسرائيلَ ، هل تعلَمون أن (١) نومَ هذا (٢) النبيِّ الذى تزعُمون أنى لستُ به ، تنامُ عينُه (٣) وقلبُه يقظانُ؟ » (١) قالوا : اللهمَّ نعم . قال : « (٤) فكـذلك نَوْمِى ؛ تنامُ عَينى وقَلْبى يقظانُ » . قالوا : فأخبِرْنا عمّا (٤) حرَّم إسرائيلُ على نفسِه (٥) ، فقال : « (٦) أَنشُدُكم باللهِ وبأيَّامِه عندَ بَنى إسرائيلَ (٦) ، هل تَعْلَمون أنه كان أحبُّ الطعامِ والشرابِ إليه أَلْبانُ الإبلِ ولُحُومُها ، وأنه اشْتَكَى شكوَى فعافاه اللهُ منها ، فحرَّم أحَبَّ الطعامِ والشرابِ إليه شُكْرًا (٧) للهِ ، فحرَّم على نَفْسِه لُحُومَ الإبِلِ وأَلْبانَها ؟ » قالوا : اللهمَّ نعَم . قالوا : فأخبِرْنا عن الرُّوحِ . قال : « أَنشُدُكم باللهِ وبأيَّامِه عندَ بنى إسْرائيلَ ، هل تَعْلَمون أنه جبريلُ ، وهو الذى يَأْتِينى ؟ » قالوا : نعَم ، ولكنه/ لنا عدوٌّ ، وهو مَلَكٌ إنما يأتِى بالشِّدَّةِ وسفْكِ الدماءِ ، فلولا ذلك اتبعْناك . فأنزَل اللهُ فيهم : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ . إلى قوله : ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨) .

١/٤٣٣

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : حدَّثنى القاسمُ بنُ أبى بَزَّةَ ، أن يهودَ سألوا النبيَّ ﷺ مَن صاحبُه الذى يَنْزِلُ عليه بالوحيِ ؟ فقال : « جبريلُ » . قالوا : فإنه لنا عدوٌّ ، ولا يأتى إلَّا بالحربِ والشدَّةِ والقتالِ . فنزَل : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ الآية . قال ابنُ جُرَيْجٍ : وقال

(١ - ١) فى م : « هذا النبى الأمى تنام عيناه ولا ينام قلبه » .
(٢) سقط من : الأصل .
(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ : « عيناه » .
(٤ - ٤) فى م : « اللهم اشهد . قالوا : أخبرنا أى الطعام » .
(٥) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « من قبل أن تنزل التوراة » .
(٦ - ٦) سقط من : م .
(٧) فى الأصل : « تشكرا » .
(٨) سيرة ابن هشام ٥٤٣/١ . وتقدم طرف منه فى ص ٢٢٢ .

مجاهدٌ : قالت يهودُ : يا محمدُ ، ما يَنْزِلُ جبريلُ إلَّا بشدَّةٍ وحربٍ وقتالٍ[(١)] ، وإنه لنا لعدوٌّ . فنزَل : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ الآية[(٢)] .

وقال آخَرون : بل كان سَبَبُ قِيلِهم ذلك مِن أجلِ مُناظرةٍ جرَت بين عمرَ بنِ الخطابِ رضِى اللهُ عنه وبينهم [٣/٥٦و] فى أمرِ النبىِّ ﷺ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ المُثنَّى ، قال : ثنا رِبْعِىُّ ابنُ عُلَيَّةَ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن الشَّعْبِىِّ ، قال : نزَل عمرُ بنُ الخطابِ الرَّوْحاءَ[(٣)] ، فرأَى رجالًا يَبْتَدِرُون أحجارًا يُصَلُّون إليها ، فقال : ما بالُ[(٤)] هؤلاءِ ؟ قالوا : يَزْعُمون أن رسولَ اللهِ ﷺ صلَّى هلهنا . قال : فكرِه ذاك ، وقال : إنَّما رسولُ اللهِ ﷺ أدركَتْه الصلاةُ بوادٍ ، فصلَّى ، ثم ارتحل وترَكه . ثم أنشأ يُحدِّثُهم فقال : كنتُ أشْهَدُ اليهودَ يومَ مِدْراسِهم[(٥)] ، فأَعْجَبُ مِن التوراةِ كيف تُصَدِّقُ الفُرقانَ ، ومِن الفرقانِ كيف يُصَدِّقُ التوراةَ ، فبينما أنا عندَهم ذاتَ يومٍ قالوا : يا بنَ الخطابِ ، ما مِن أصحابِك أحدٌ أحبُّ إلينا منك . قلتُ : ولِمَ ذلك ؟ قالوا : إنك تَغْشانا وتَأْتِينا . قال : قلتُ : إنى آتِيكم فأَعْجَبُ مِن الفُرْقانِ كيف يُصَدِّقُ التوراةَ ، ومِن التوراةِ كيف تُصَدِّقُ الفرقانَ . قال : ومرَّ رسولُ اللهِ ﷺ فقالوا : يا بنَ الخطابِ ، ذاك صاحبُكم فالحَقْ به . قال : فقلتُ لهم عند ذلك : نَشَدْتكم باللهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو ، وما استرعاكم مِن حَقِّه واسْتَوْدَعَكم مِن كتابِه ، أَتَعْلَمون أنه

(١) فى م : « قالوا » .

(٢) أخرجه سنيد فى تفسيره - كما فى تفسير ابن كثير ١/١٨٦ - عن حجاج بن محمد به .

(٣) الروحاء : بئر مأثورة ارتوى منها النبى ﷺ فى غزوة بدر تبعد عن المدينة نحو ٧٥ كيلو متر . صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار ٥/ ١٧٩.

(٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢.

(٥) المدراس : البيت الذى يدرس فيه اليهود التوراة . ينظر النهاية ٢/ ١١٣.

رسولُ اللهِ ؟ قال : فسكَتوا . قال : فقال عالـمُهم وكبيرُهم : إنه قد عظَّم عليكم فأَجِيبوه . قالوا : أنت عالـمُنا وسيِّدُنا ، فأَجِبْه أنت . قال : أَمَّا إذ نشدْتَنا [(١] بما نَشَدْتنا [١)] به ، فإنّا نَعْلَمُ أنه رسولُ اللهِ . قال : قلتُ : وَيْحَكم ! فأَنَّى[(٢)] هلكتُم ! قالوا : إنَّا لم نَهْلِكْ . قال : قلتُ : كيف ذاك وأنتم تَعْلَمون أنه رسولُ اللهِ ، ثم لا تتَّبِعونه ولا تُصَدِّقونه ؟ قالوا : إن لنا عدوًّا مِن الملائكةِ وسِلْمًا مِن الملائكةِ ، وإنه قُرِن بنبوَّتِه[(٣)] عدُوُّنا مِن الملائكةِ . قال : قلتُ : ومَن عدوُّكم ومَن سِلْمُكم ؟ قالوا : عدوُّنا جبريلُ وسِلْمُنا ميكائيلُ . قال : قلتُ : وفيمَ عاديْتُم جبريلَ وفيمَ سالمتم ميكائيلَ ؟ قالوا : إن جبريلَ مَلَكُ الفظاظةِ والغلظةِ والإعسارِ والتشديدِ والعذابِ ونحوِ ذلك ، وإن ميكائيلَ ملَكُ الرأفةِ والرحمةِ والتخفيفِ ونحوِ هذا . قال : قلتُ : وما منزِلتُهما مِن ربِّهما ؟ قالوا : أحدُهما عن يمينِه والآخرُ عن يسارِه . قال : فقلتُ : فواللهِ الذى لا إلهَ إلا هو ، إنهما والذى بينهما لعَدوٌّ لمَن عاداهما ، وسِلْمٌ لمَن سالَمهما ، ما يَنْبَغى لجبريلَ أن يُسالمَ عدوَّ ميكائيلَ ، و[(٤] ما ينْبَغِى [٤)] لميكائيلَ أن يُسالمَ عدوَّ جبريلَ . قال : ثم قمتُ فاتَّبعْتُ النبىَّ ﷺ ، فلحِقْتُه وهو خارجٌ مِن خَوْخَةٍ[(٥)] لبنى فلانٍ ، فقال لى : « يا بنَ الخطابِ ، ألا / أُقرِئُك آياتٍ نزَلْنَ قبلُ[(٦)] » ؟ فقرَأ علىَّ : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا [٣/٥٦ظ] لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ حتى قرَأ الآياتِ . قال : قلتُ : بأبى وأمى يا رسولَ اللهِ ، والذى بعَثك بالحقِّ ، لقد جِئتُ وأنا أُريدُ أن أُخبِرَك

١/٤٣٤

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٢) فى م : « أى » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « به » .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لا » .

(٥) فى م : « خرقة » . والخوخة : باب صغير كالنافذة الكبيرة ، وتكون بين بيتين ينصب عليها باب . النهاية ٨٦/٢.

(٦) سقط من : م .

الخبرَ ، فأسمعُ اللطيفَ الخبيرَ قد سبَقنى إليك بالخبرِ[١] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ[٢] إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن داودَ ، عن الشَّعْبىِّ ، قال : قال عمرُ : كنتُ رجلاً أغْشَى اليهودَ فى يومِ مِدْراسِهم . ثم ذكَر نحوَ حديثِ رِبْعِىٍّ .

وحدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِر لنا أن عمرَ بنَ الخطابِ انْطَلَق ذاتَ يومٍ إلى اليهودِ ، فلمَّا أبْصَروه رحَّبوا به ، فقال لهم عمرُ : أمَا واللهِ ما جئتُ لحُبِّكم ولا للرغبةِ فيكم ، ولكن جئتُ لأسْمَعَ منكم . فسألهم وسألوه ، فقالوا : مَن صاحبُ صاحبِكم ؟ فقال لهم : جبريلُ . فقالوا : ذاك عدوُّنا مِن أهلِ السماءِ ، يُطْلِعُ محمدًا على سرِّنا ، وإذا جاء جاء بالحربِ والسَّنَةِ[٣] ، ولكنَّ صاحبَ صاحبِنا ميكائيلُ ، وكان إذا جاء جاء بالخِصْبِ وبالسِّلْمِ . فقال لهم عمرُ : أفتَعْرِفون جبريلَ وتُنْكِرون محمدًا ؟ ففارَقَهم عمرُ عندَ ذلك وتوجَّه نحوَ رسولِ اللهِ ﷺ ليُحدِّثَه حديثَهم ، فوجَده قد أُنْزِلت عليه هذه الآيةُ : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٤] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن قتادةَ ، قال : بلغَنا أن عمرَ بنَ الخطابِ أقبلَ إلى[٥] اليهودِ يومًا . فذكَر نحوَه .

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه فى مسنده - كما فى المطالب العالية (٣٨٩١) - من طريق داود به . وقال السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٩٠: صحيح الإسناد ، ولكن الشعبى لم يدرك عمر .

(٢) فى م : « قال : ثنا » .

(٣) السنة : القحط والجدب . اللسان (س ن هـ) .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٩٠ إلى المصنف .

(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « على » .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ قال : قالت اليهودُ : إن جبريلَ هو عدوُّنا ؛ لأنه يَنْزِلُ بالشِّدَّةِ والحربِ والسَّنَةِ ، وإن ميكائيلَ يَنْزِلُ بالرخاءِ والعافيةِ والخِصْبِ ، فجبريلُ عدوُّنا . فقال اللهُ تعالى ذكرُه : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾[1] .

وحدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمَّادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . قال : كان لعمرَ بنِ الخطابِ أرضٌ بأعلَى المدينةِ ، فكان يأتيها ، وكان مَمَرُّه على طريقِ مِدْراسِ اليهودِ ، وكان كُلَّما [2]مرَّ عليهم[2] دخَل عليهم فيسمَعُ[3] منهم ، وإنه دخَل عليهم ذاتَ يومٍ ، فقالوا : يا عمرُ ، ما فى أصحابِ محمدٍ أحدٌ أحبُّ إلينا منك ، إنهم يَمُرُّون بنا فيُؤْذُوننا ، وتَمُرُّ بنا فلا تُؤْذِينا ، وإنَّا لنَطْمَعُ فيك . قال لهم عمرُ : أىُّ يمينٍ فيكم أعظمُ ؟ قالوا : الرحمنُ الذى أنزَل التوراةَ على موسى بطُورِ سَيْنَاءَ . قال لهم عمرُ : فأَنْشُدُكم بالرحمنِ الذى أنزَل التوراةَ على موسى بطُورِ سَيْنَاءَ ، أتجِدُون محمدًا ﷺ عندَكم . فأُسْكِتوا ، فقال : تكلَّموا ، ما شأنُكم ؟ فواللهِ ماسألتُكم وأنا شاكٌّ فى شىءٍ مِن دينى . فنظَر بعضُهم إلى بعضٍ ، فقام رجلٌ منهم فقال : أخبِروا الرجلَ ، لتُخبِرُنَّه أو لأُخبِرَنَّه . قالوا : نعم ، إنَّا لَنجِدُه مكتوبًا عندَنا ، ولكنَّ [٣/٥٧و] صاحبَه مِن الملائكةِ الذى يأتيه بالوحىِ هو جبريلُ ، وجبريلُ عدوُّنا ، وهو صاحبُ كلِّ عذابٍ أو قِتالٍ أو خَسْفٍ ، ولو أنه كان وليَّه ميكائيلَ إذن لآمنَّا به ، فإن ميكائيلَ صاحبُ كلِّ رحمةٍ وكلِّ غَيْثٍ . قال لهم عمرُ : فأَنْشُدُكم بالرحمنِ/ الذى أنزلَ ١/٤٣٥

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٢، ٥٣.

(٢ - ٢) سقط من : م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) فى م : « سمع » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « فسمع » .

التوراةَ على موسى بطُورِ سَيْناءَ ، أين مكانُ جبريلَ مِن اللهِ ؟ قالوا : جبريلُ عن يمينِه ، وميكائيلُ عن يسارِه . قال عمرُ : فأشْهَدُ[1] أن الذى هو عدوٌّ للذى عن يمينِه عدوٌّ للذى هو عن يسارِه ، والذى هو عدوٌّ للذى هو عن يسارِه ، عدوٌّ للذى هو عن يمينِه ، وأنه مَن كان عدوَّهما فإنه عدوٌّ للهِ . ثم رجَع عمرُ ليُخْبِرَ النبيَّ ﷺ فوجَد جبريلَ قد سبَقه بالوحيِ ، فدعاه النبيُّ ﷺ فقرَأه عليه ، فقال عمرُ : والذى بعَثك بالحقِّ ، لقد جئتُك وما أُرِيدُ إلَّا أن أُخْبِرَك[2] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ الحَجَّاجِ الرازيُّ ، قال : [3]ثنا أبو زُهَيْرٍ عبدُ الرحمنِ بنُ مَغْراءَ ، عن مجالدٍ[3] ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : انْطَلق عمرُ إلى يهودَ ، فقال : إنى أَنْشُدُكم بالذى أنزَل التوراةَ على موسى ، هل تَجِدون محمدًا ﷺ فى كتابِكم ؟ فقالوا : نعَم . فقال : فما يَمْنَعُكم أن تتَّبِعوه ؟ فقالوا : إن اللهَ لم يَبْعَثْ رسولًا إلَّا كان له مِن الملائكةِ كِفْلٌ ، وإن جبريلَ هو الذى يَتَكَفَّلُ بمحمدٍ ﷺ ، وهو عدوُّنا مِن الملائكةِ ، وميكائيلُ سِلْمُنا ، فلو كان هو الذى يأتيه اتَّبَعْناه . قال : فإنى أَنْشُدُكم بالذى أنْزَل التوراةَ على موسى ، ما منزلتُهما مِن ربِّ العالمين ؟ قالوا : جبريلُ عن يمينِه ، وميكائيلُ عن جانبِه الآخرِ . فقال : إنى أَشْهَدُ ما يقولان إلَّا بإذنِ اللهِ ، وما كان ميكائيلُ ليُعادِىَ سِلْمَ جبريلَ ، وما كان جبريلُ لِيُسالِمَ عدوَّ ميكائيلَ . إذ مرَّ نبىُّ اللهِ ﷺ ، فقالوا : هذا صاحبُك يا بنَ الخطابِ . فقام إليه ، فأتاه وقد أُنزِل عليه : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[4] .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « فأشهدكم » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٠/١ إلى المصنف .

(٣ - ٣) فى م : « ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، قال : ثنا زهير ، عن مجاهد » .

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة ٢٨٥/١٤ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨١/١ من طريق مجالد به .

وحدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرَنا حُصَيْنُ[1] بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن ابنِ أبى ليلى فى قولِه : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ . قال : قالت اليهودُ للمسلمين : لو أن ميكائيلَ كان الذى يَنْزِلُ عليكم لَتَبِعْناكم ، فإنه يَنْزِلُ بالرحمةِ والغَيْثِ ، وإن جبريلَ يَنْزِلُ بالعذابِ والنِّقْمَةِ ، وهو لنا عدوٌّ . قال : فنزَلت هذه الآيةُ : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾[2] .

وحدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرَنا[3] عبدُ الملكِ ، عن عطاءٍ بنحوٍ مِن ذلك .

وأمَّا تأويلُ الآيةِ ، أعنى قولَه : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ . فهو أن اللهَ تعالى ذكرُه يقولُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قل يا محمدُ لمعاشرِ اليهودِ مِن بنى إسرائيلَ الذين زعَموا أن جبريلَ [٥٧/٣ظ] لهم عدوٌّ ، من أجلِ أنه صاحبُ عذابٍ وسطواتٍ وعقوباتٍ ، لا صاحبُ وَحْيٍ وتنزيلٍ ورحمةٍ ، فأَبَوْا اتِّباعَك ، وجحَدوا نبوَّتَك ، وأنكَروا ما جئتَهم به مِن آياتى وبيِّناتِ حُكْمِى ، مِن أجلِ أن جبريلَ وليُّك وصاحبُ وحيِى إليك ، وزعَموا أنه لهم عدوٌّ - : مَن يكنْ مِن الناسِ لجبريلَ عَدُوًّا ، ومُنْكِرًا أن يكونَ صاحبَ وحيِ اللهِ إلى أنبيائِه ، وصاحبَ رحمتِه ، فإنى له ولىٌّ وخليلٌ ، ومُقِرٌّ بأنه صاحبُ وحيِ اللهِ إلى أنبيائِه ورسلِه ، وأنه هو الذى يُنَزِّلُ وحىَ اللهِ على قلبى مِن عندِ ربى ، بإذنٍ من ربى له بذلك ، فيَرْبِطُ به على قلبى ويَشْدُدُ به فؤادِى .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ ابنُ عُمارةَ ،

---

(١) فى الأصل : « أبو حصين » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٢/١ (٩٦١) من طريق حصين بن عبد الرحمن به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩١/١ إلى ابن المنذر .

(٣) فى الأصل : « وأخبرنا » .

عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ . قال : وذلك أن اليهودَ قالت حين سألتْ محمدًا ﷺ عن أشياءَ كثيرةٍ ، فأخبرَهم بها على ما هي عندَهم - : إلَّا جبريلَ ، فإن جبريلَ كان/ عندَ اليهودِ ١/٤٣٦ صاحبَ عذابٍ وسَطْوةٍ ، ولم يكنْ عندَهم صاحبَ وَحْيٍ - يعني : تنزيلٍ مِن اللهِ على رسلِه - ولا صاحبَ رحمةٍ . فأخبَرَهم رسولُ اللهِ ﷺ فيما سألوه عنه ؛ أن جبريلَ صاحبُ وَحْيِ اللهِ ، وصاحبُ نِقَمِه[1] ، وصاحبُ رحمتِه . فقالوا : ليس بصاحبِ وحيٍ ولا رحمةٍ ، وهو لنا عدوٌّ . فأنزَل اللهُ تعالى ذكرُه إكذابًا لهم : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ ﴾ . يقولُ : فإن جبريلَ ﴿ نَزَّلَهُۥ ﴾ . يقولُ : نزَّل القرآنَ [2]مِن عندي ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ . يقولُ : على قلبِك يا محمدُ : ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ[2] : بأمرِ اللهِ . يقولُ[3] : يَشُدُّ به فؤادَك ، ويَرْبِطُ به على قلبِك - يعني : بوحْيِنا الذي نَزَل به جبريلُ عليك مِن عندِ اللهِ - وكذلك يَفعلُ بالمرسلينَ والأنبياءِ مِن قبلِك[4] .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : أنزَل الكتابَ على قلبِك بإذنِ اللهِ .

وحُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ . يقولُ : نَزَّل الكتابَ على قلبِك جبريلُ[5] .

---

(١) في م : « نقمته » .
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣) سقط من : م .
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٨٠ (٩٥٣، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧) من طريق أبي كريب به .
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٨٠ عقب الأثر (٩٥٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

وإنما قال جل ثناؤه : ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ . وهو يعنى بذلك قلبَ محمدٍ ﷺ ، وقد أمَر محمدًا ﷺ فى أولِ الآيةِ أن يُخْبِرَ اليهودَ بذلك عن نفسِه ، ولم يَقُلْ : فإنه نَزَّله على قلبى . ولو قِيلَ : على قلبى . كان صوابًا مِن الكلامِ ؛ لأن مِن شأنِ العربِ إذا أمَرَت رجلاً أن يَحْكِىَ ما قِيلَ له عن نفسِه ، أن تُخْرِجَ فعلَ المأمورِ مرةً مضافًا إلى (١) كنايتِه ، كهيئةِ (١) المخبِرِ عن نفسِه ، إذ كان هو المُخبَرَ عن نفسِه ، ومرةً مضافًا إلى اسمِه ، كهَيْئةِ كنايةِ اسمِ المخاطبِ ؛ لأنه به مُخاطبٌ . فتقولُ فى نظيرِ ذلك : [٣/٥٨و] قُلْ للقومِ : إن الخيرَ عندِى كثيرٌ . فتُخْرِجُ كنايةَ اسمِ (٢) المأمورِ كهيئةِ اسمِ (٢) المخبرِ عن نفسِه ؛ لأنه المأمورُ أن يُخبرَ بذلك عن نفسِه . وقلْ للقومِ : إن الخيرَ عندَك كثيرٌ . فتُخْرِجُ كنايةَ اسمِه أُخرى (٣) كهيئةِ كنايةِ اسمِ المُخاطَبِ ؛ لأنه وإن كان مأمورًا بقيلِ ذلك ، فهو مخاطبٌ مأمورٌ بحكايةِ ما قِيلَ له . وكذلك : لا تقلْ للقومِ : إنى قائمٌ . ولا تَقُلْ لهم : إنك قائمٌ . والياءُ مِن « إنى » اسمُ المأمورِ بقولِ ذلك على ما وَصَفنا . ومِن ذلك قولُ اللهِ عز وجل : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ ﴾ و (سَيُغْلَبُونَ) (٤) [آل عمران : ١٢] بالياءِ والتاءِ (٥) مثلَ الذى وصَفنا سواءً (٥) .

وأما جبريلُ ، فإن للعربِ فيه لغاتٍ ، فأما أهلُ الحجازِ فإنهم يقولون : جِبريلُ وميكالُ . بغيرِ همزٍ ، بكَسْرِ الجيمِ والراءِ من جِبريلَ ، وبالتخفيفِ . وعلى القراءةِ بذلك عامةُ قَرأةِ أهلِ المدينةِ والبصرةِ (٦) .

(١ - ١) فى م : « كناية نفس » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) سقط من : م .

(٤) سيأتى تخريج هاتين القراءتين فى موضعها .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦) وهى قراءة أبى عمرو وحفص عن عاصم . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٦ .

وأما تميمٌ وقيسٌ وبعضُ نجدٍ فإنهم يقولون : جَبْرَئِيلُ ومِيكائِيلُ . على مثالِ : جَبْرَعيل ومِيكاعيل . بفتحِ الجيمِ والراءِ ، وبهمزٍ ، وزيادةِ ياءٍ بعدَ الهمزةِ . وعلى القراءةِ بذلك عامةُ قَرَأةِ أهلِ الكوفةِ[١] ، كما قال جريرُ بنُ عطيةَ[٢] :

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبوا بمُحَمَّدٍ   وبجَبْرَئِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكالاَ

وقد ذُكِرَ عن الحسنِ البصريِّ وعبدِ اللهِ بنِ كثيرٍ أنهما كانا يقرأان : (جَبْرِيل) . بفتحِ الجيمِ وتركِ الهمزِ .

وهى قراءةٌ غيرُ جائزةِ القراءةُ بها[٣] ؛ لأن « فَعْليلَ »[٤] فى كلامِ العربِ غيرُ موجودٍ . وقد أجاز[٥] ذلك بعضُهم ، وزعَم أنه اسمٌ أعْجَميٌّ ، كما يُقالُ : سَمْوِيلُ[٦] . وأنشَد فى ذلك[٧] :

بحيث لو وُزِنَتْ لَخْمٌ بأجْمَعِها   [٨]ما وَازَنَتْ[٨] رِيشَةً مِن رِيشِ سَمْوِيلا[٩]

/ وأما بنو أسدٍ فإنها تقولُ : جِبْرِينُ . بالنونِ . ٤٣٧/١

وقد حُكِيَ عن بعضِ العربِ أنها تَزِيدُ فى جبريلَ أَلِفًا فتقولُ : جِبرائيلُ وميكائيلُ .

وقد حُكِيَ عن يحيى بنِ يَعْمَرَ أنه كان يقرأُ : (جَبْرَئِلّ) بفتحِ الجيمِ ، والهمزِ ، وتركِ المدِّ ، وتشديدِ اللامِ[١٠] .

---

(١) وهى قراءة حمزة والكسائى ، ورواية عن أبى بكر عن عاصم . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٧.
(٢) ديوانه ١/ ٥٢.
(٣) بل هى قراءة متواترة مستفيض نقلها .
(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فعيل » .
(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « اختار » .
(٦) فى ت ٢، ت ٣: « شمويل » ، وسمويل : طائر ، وقيل: بلدة كثيرة الطير. اللسان (س م ل) . والبيت فيه .
(٧) البيت للربيع بن زياد العبسى ، وهو فى الفاخر ص ١٧٣، والأغانى ١٧/ ١٨٦.
(٨ - ٨) فى مصادر التخريج : « لم يعدلوا » .
(٩) فى ت ١، ت ٣: « شمويلا » ، بالشين ، وهو رواية للبيت ، ويروى أيضًا : « قِثميلا » .
(١٠) مختصر الشواذ لابن خالويه ، والبحر المحيط ٣١٨/١ .

فأما « جَبْر » و« ميك » ، فإنهما هما الاسمان اللذان أحدُهما بمعنى « عَبْدٍ » ، والآخرُ بمعنى « عُبَيدٍ » .

وأما « إيل » فهو اللهُ تعالى ذِكْرُه ، كما حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا جابرُ بنُ نوحٍ الحِمَّانيُّ ، عن الأعمشِ ، عن المنهالِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : جبريلُ وميكائيلُ كقولِك : عبدُ اللهِ .

وحدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا [٣/٥٨ظ] يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، عن يزيدَ النَّحْويِّ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : جبريلُ : عبدُ اللهِ ، وميكائيلُ : عُبَيدُ اللهِ ، وكلُّ اسمِ « إيلَ » فهو اللهُ .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن الأعمشِ ، عن إسماعيلَ بنِ رجاءٍ ، عن عميرٍ[(١)] مولى ابنِ عباسٍ ، [(٢)]عن ابنِ عباسٍ[(٢)] ، أن إسرائيلَ وميكائيلَ وجبريلَ وإسرافيلَ ، كقولِك : عبدُ اللهِ[(٣)] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن الأعمشِ ، عن المنهالِ بنِ عمرٍو ، عن عبدِ اللهِ بنِ الحارثِ ، قال : « إيلُ » اللهُ بالعِبْرانيةِ[(٣)] .

وحدَّثنا الحسينُ بنُ يزيدَ الطَّحَّانُ[(٤)] ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، قال: ثنا قيسٌ ، عن عاصمٍ ، عن عِكْرِمةَ ، قال : جبريلُ اسمُه عبدُ اللهِ ، وميكائيلُ اسمُه عُبَيدُ اللهِ ، « إيلُ » اللهُ[(٥)] .

---

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « عمر » . وينظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٨١.

(٢ - ٢) سقط من: م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) تقدم فى ١/٥٩٣ .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « الضحاك » . وينظر تهذيب الكمال ٦/ ٥٠١.

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٨٧ عن المصنف . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٩١ إلى ابن المنذر .

وحدَّثني الحسينُ بنُ عمرِو بنِ محمدٍ العَنْقَزِيُّ[1] ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن [2]محمدِ بنِ عمرِو بنِ علقمةَ ، عن[2] محمدِ ابنِ عمرِو بنِ عطاءٍ ، عن عليِّ بنِ حسينٍ ، قال : اسمُ جبريلَ عبدُ اللهِ ، واسمُ ميكائيلَ عُبَيدُ اللهِ ، واسمُ إسرافيلَ عبدُ الرحمنِ ، وكلُّ مُعَبَّدٍ بـ « إيل » فهو عبدُ اللهِ .

حدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا قَبيصةُ بنُ عُقْبةَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن محمدٍ المَدنيِّ - قال المثنَّى : قال قبيصةُ : أُراه محمدَ بنَ إسحاقَ - عن محمدِ بنِ عمرِو بنِ عطاءٍ ، عن عليِّ بنِ حسينٍ ، قال : ما تَعُدُّون جبريلَ في أسمائِكم ؟ قال : جبريلُ عبدُ اللهِ ، وميكائيلُ عُبيدُ اللهِ ، وكلُّ اسمٍ فيه « إيلُ » فهو مُعَبَّدٌ للهِ .

[2]وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن محمدِ بنِ عمرِو بنِ عطاءٍ ،عن عليِّ بنِ حسينٍ ، قال : اسمُ جبريلَ عبدُ اللهِ ، وميكائيلَ عبيدُ اللهِ ، وكلُّ اسمٍ فيه « إيلُ » فهو مُعَبَّدٌ للهِ[2] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ عمرِو بنِ عطاءٍ ، عن عليِّ بنِ حسينٍ ، قال : قال لي : هل تَدْرِي ما اسمُ جبريلَ مِن أسمائِكم ؟ قال : قلت : لا . قال : عبدُ اللهِ . فهل تَدْرِي ما اسمُ ميكائيلَ مِن أسمائِكم ؟ قلتُ : لا . قال : عُبيدُ اللهِ . قال : وقد سَمَّى لي إسـرافيلَ[3] باسمِ نحوِ ذلك فنَسِيتُه ، إلَّا أنَّه

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « العبقرى » ..

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٣) في م : « إسرائيل » .

قد قال لى : أرأيتَ كلَّ اسمٍ يَرْجِعُ إلى « إيل » ، فهو مُعَبَّدٌ للهِ[١] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن خُصَيفٍ ، عن عِكْرِمةَ فى قولِه : ﴿ جِبْرِيلَ ﴾ . قال : « جبر » عبدٌ ، « إيلُ » اللهُ ، و « ميكا » قال : عبدٌ ، « إيلُ » اللهُ[٢] .

فهذا تأويلُ مَن قرأ : (جَبْرَائيل) . بالفتحِ ، والهمزِ ، والمدِّ ، وهو إن شاء اللهُ معنى مَن قرَأ بالكسرِ ، وتَرَكَ الهمْزَ .

وأما تأويلُ مَن قرأ ذلك بالهمزِ وتَرْكِ المدِّ وتشديدِ اللامِ ، فإنه قصَد بقراءتِه ذلك كذلك ، إلى إضافةِ « جَبْر » و « ميكا » إلى اسمِ اللهِ [٥٩/٣و] الذى يُسَمَّى به بلسانِ العربِ ، دون السريانىِّ والعِبْرانىِّ ، وذلك أن « الإلَّ » بلسانِ العربِ : / اللهُ ، كما قال اللهُ تعالى ذكرُه : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة : ١٠] . فقال جماعةٌ مِن أهلِ العلمِ : « الإلُّ » هو اللهُ . ومنه قولُ أبى بكرٍ الصديقِ رضِى اللهُ عنه لوفدِ بنى حَنيفةَ ، حين سألَهم عما كان مُسَيلِمةُ يقولُه ، فأخبروه - فقال لهم : وَيحَكُم ! أين ذُهِبَ بكم ؟ فواللهِ ، إن هذا الكلامَ ما خرَج مِن إلٍّ ولا بِرٍّ[٣] . يعنى بقولِه : مِن إلٍّ : مِن اللهِ .

٤٣٨/١

وقد حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن سليمانَ التيمىِّ ، عن أبى مِجْلزٍ فى قولِه : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ . قال : قولُه : « جبريلُ »

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « به » .
والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٨٢ (٩٦٦) ، وأبو الشيخ فى العظمة (٣٨٤) من طريقين عن ابن إسحاق به .

(٢) علقه البخارى فى باب قوله : ﴿ من كان عدوًّا لجبريل ﴾ من كتاب التفسير . فتح البارى ٨/ ١٦٥، وعلقه أيضًا ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٨٢ عقب الأثر (٩٦٦) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٩١ إلى وكيع .

(٣) ينظر تاريخ المصنف ٣/ ٣٠٠.

« ميكائيلُ » « إسرافيلُ » ، كأنه يقولُ حين يُضِيفُ « جبر » و « ميكا » و « إسرا[(١)] » إلى « إيلَ » يقولُ : عبدُ اللهِ ، فقال : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا ﴾ . كأنه يقولُ : لا يَرْقُبون اللهَ عز وجلَّ[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ : القرآنَ . ونصَب ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ على القطعِ مِن « الهاءِ » التى فى قوله : ﴿ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ فمعنى الكلامِ : فإن جبريلَ نزَّل القرآنَ على قلبِك يا محمدُ ، مصدِّقًا لما بين يَدَيِ القرآنِ . يعنى بذلك : مُصدِّقًا لما سلَف مِن كُتُبِ اللهِ أمامَه ، ونزَل على رسلِه الذين كانوا قبلَ محمدٍ ﷺ . وتصديقُه إياها مُوافقةُ معانِيه معانِيَها فى الأمرِ باتِّباعِ محمدٍ ﷺ ، وما جاء به مِن عندِ اللهِ ، وفى[(٣)] تصديقِه .

كما حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ يقولُ : مصدِّقًا ﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . يقولُ : لما قبلَه مِن الكُتُبِ التى أنزَلها اللهُ ، والآياتِ ، والرسلِ الذين بعَثهم اللهُ بالآياتِ ، نحو موسى ونوحٍ وهودٍ وشعيبٍ وصالحٍ ، وأشباهِهم مِن المرسلين[(٤)] .

وحدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[(٥)] : مِن التوراةِ والإنجيلِ[(٦)] .

---

(١) فى الأصل : « سرا فى » .
(٢) ينظر ما سيأتى فى تفسير هذه الآية من سورة التوبة .
(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « هى » .
(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٠/١ (٩٥٧) من طريق أبى كريب به .
(٥) بعده إحالة غير واضحة فى الأصل .
(٦) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨١/١ عقب الأثر (٩٥٨) معلقًا .

وحُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَهُدًى ﴾ : ودليلٌ وبرهانٌ ، وإنما سمَّاه اللهُ جل ثناؤُه هدًى لاهتداءِ المؤمنِ به ، واهتداؤُه به اتخاذُه إياه هاديًا يَتْبعُه ، وقائدًا يقْتادُ لأمرِه ونهيِه ، وحلالِه وحرامِه . والهادى مِن كلِّ شىءٍ ما تَقدَّم أمامَه . ومِن ذلك قيل لأوائلِ الخيلِ : هَوادِيها . وهو ما تَقدَّم أمامَها ، [٥٩/٣ظ] ولذلك[(٢)] قِيلَ للعُنقِ : الهادى . لتَقدُّمِها أمامَ سائرِ الجسدِ .

وأما البُشْرَى ، فإنها البِشارةُ . أَخْبَر اللهُ عبادَه المؤمنين أن القرآنَ لهم بُشْرَى منه ؛ لأنه أعْلَمهم فيه ما أعدَّ لهم مِن الكرامةِ عندَه فى جِنانِه ، وما هم إليه صائرون فى مَعادِهم مِن ثوابِه ، وذلك هو البُشْرَى الذى[(٣)] بَشَّر اللهُ المؤمنين بها فى كتابِه ؛ لأن البِشارَةَ فى كلامِ العربِ إعلامُ الرجلِ [(٤)]الرجلَ ما[(٤)] لم يكنْ به عالمًا مما يُسَرُّ به مِن الخيرِ ، قبلَ أن يَسْمَعَه مِن غيرِه ، أو يَعْلَمَه مِن قِبَلِ غيرِه . وقد رُوِىَ عن قتادةَ فى ذلك قولٌ قريبُ المعنى مما قُلْناه .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ : [(٥)]جعَل اللهُ هذا القرآنَ هُدًى وبُشْرَى للمؤمنين[(٥)] ؛/لأن المؤمنَ ٤٣٩/١

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨١/١ عقب الأثر (٩٥٨) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) فى م ، ت ٢: « كذلك » .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « التى » .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بما » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

إذا سمِع القرآنَ حفِظه ووعاه[(١)] ، وانتَفع به ، واطْمَأنَّ إليه ، وصدَّق بموعودِ اللهِ الذى وعَد فيه ، وكان على يقينٍ مِن ذلك[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ[(٣)] فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨ ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللهِ جلَّ ثناؤُه [(٤)] عن عداوتِه[(٤)] مَن عاداه وعادَى جميعَ ملائكتِه ورسلِه ، وإعلامٌ منه أن مَن عادَى جبريلَ فقد عاداه وعادَى ميكائيلَ ، وعادَى جميعَ ملائكتِه ورسلِه ؛ لأنَّ الذين سمَّاهم اللهُ فى هذه الآيةِ هم أولياءُ اللهِ وأهلُ طاعتِه ، ومَن عادَى للهِ وَلِيًّا فقد عادَى اللهَ وبارَزه بالمحاربةِ ، ومن عادَى اللهَ فقد عادَى جميعَ أهلِ طاعتِه وولايتِه ؛ لأنَّ العدوَّ للهِ عدوٌّ أوليائِه ، والعدوَّ لأوليائِه عدوٌّ له . فلذلك[(٥)] قال اللهُ تعالى ذكرُه لليهودِ الذين قالوا : إنَّ جبريلَ عدوُّنا مِن الملائكةِ ، وميكائيلَ وليُّنا منهم : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ . مِن أجلِ أنَّ عدوَّ جبريلَ عدوُّ كلِّ وليٍّ للهِ ، فأخبرَهم جلَّ ثناؤُه أنَّ مَن كان عدوًّا لجبريلَ ، فهو لكلِّ مَن ذكَره ؛ مِن ملائكتِه ورسلِه وميكائيلَ ، عدوٌّ ، وكذلك عدوٌّ بعضِ رسلِ اللهِ عدوٌّ للهِ ولكلِّ وليٍّ للهِ[(٦)] .

وقد حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا عبيدُ اللهِ - يعنى العَتَكىَّ - عن رجلٍ مِن قريشٍ ، قال : سأل النبىُّ ﷺ اليهودَ فقال : « أسألُكم

---

(١) فى م : « ورعاه » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨١/١ (٩٥٩) من طريق يزيد به .

(٣) فى الأصل : « ميكائل » ، وهى قراءة نافع . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٦ .

(٤ - ٤) فى م : « من كان عدو لله » .

(٥) فى م : « فكذلك » .

(٦) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

بكتابِكم الذى تَقْرَءُونَ ، هل تَجِدُونى[1] قد بشَّر بى عيسى أن يَأْتِيَكم رسولٌ اسمُه أحمدُ ؟ » فقالوا : اللهمَّ نعم[2] ، وجَدْناك فى كتابِنا ، ولكنَّا كرِهْناك لأنَّك تَسْتَحِلُّ الأموالَ وتُهَرِيقُ الدِّماءَ . فأنزَل اللهُ : [٦٠/٣و] ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ . الآية[3] .

وحدِّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن حصينِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى ، قال : إنَّ يهوديًّا لقِىَ عمرَ فقال له : إنَّ جبريلَ الذى يَذْكُرُه صاحبُك هو عدوٌّ لنا . فقال له عمرُ : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ . قال : فنزَلتْ[4] على لسانِ عمرَ[5] .

وهذا الخبرُ يدلُّ على أنَّ اللهَ تعالى ذكرُه أنزَل هذه الآيةَ توبيخًا لليهودِ فى كفرِهم بمحمدٍ ﷺ ، وإخبارًا منه لهم أن من كان لمحمدٍ ﷺ عدوًّا فاللهُ له عدوٌّ ، وأنَّ عدوَّ محمدٍ ﷺ مِن الناسِ كلِّهم مِن الكافرين باللهِ الجاحِدين آياتِه .

فإن قال قائلٌ : أوَ ليس جبريلُ وميكائيلُ مِن الملائكةِ ؟ قيل : بلى . فإن قال : فما معنى تَكريرِ ذِكرِهما بأسمائهما وقد مضَى ذِكرُهما فى الآيةِ فى جملةِ أسماءِ الملائكةِ ؟ قيل : معنى إفرادِ ذكرِهما بأسمائِهما أن اليهودَ لمَّا قالت : جبريلُ عدوُّنا وميكائيلُ وليُّنا . وزعَمتْ أنَّها تكْفُرُ[6] بمحمدٍ ﷺ مِن أجلِ أن جبريلَ صاحبُ محمدٍ ﷺ ، أعلَمهم اللهُ أن من كان لجبريلَ عدوًّا ، فإنَّ اللهَ له عدوٌّ ، وأنَّه مِن

---

(١) فى م : « تجدون به » وفى ت ١، ت ٢: « تجدونه » ، وفى ت ٣: « تجدون » .

(٢) سقط من : م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩١/١ إلى المصنف .

(٤) فى الأصل، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فنزل » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٢/١ (٩٦١) من طريق أبى جعفر به .

(٦) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: « كفرت » .

الكافرين . فنصَّ عليه باسمِه وعلى ميكائيلَ باسمِه ، لئلا يقولَ منهم قائلٌ : إنما قال اللهُ : مَن كان عدوًّا للهِ وملائكتِه ورسلِه . ولسنا للهِ ولا لملائكتِه ورسلِه بأعداءٍ ؛ لأنَّ الملائكةَ اسمٌ عامٌّ يَحتَمِلُ خاصًّا ، وجبريلُ / وميكائيلُ غيرُ داخِلَيْنِ فيه . وكذلك ١/٤٤٠ قولُه : ﴿ وَرُسُلِهِۦ ﴾ . فلستَ يا محمدُ بداخلٍ فيهم . فنصَّ اللهُ تعالى ذكرُه على أسماءِ مَن زعَموا أنَّهم أعداؤُه بأعيانِهم ؛ ليقطَعَ بذلك تلبيسَهم على أهلِ الضعفِ منهم ، ويَحْسِمَ تمويهَهم أمورَهم على المنافقين .

وأما إظهارُ اسمِ اللهِ في قولِه : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ . وتكريرُه فيه - وقد ابتَدَأ أوَّلَ الخبرِ بذكرِه فقال : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾ - [(1] فإرادةُ نَفْيِ الشكِّ عن سامعِ ذلك أن الذي هو عدوٌّ من عادَى جبريلَ أو ملائكتَه أو رسلَه ، اللهُ جلَّ ثناؤُه [1)] ، ولئلّا يلتبِسَ - لو ظهَر ذلك بكنايةٍ ، فقيل : فإنه عدوٌّ للكافرين - على سامِعِه - مَن المعنيُّ بالهاءِ التي في قولِه[2] : فإنَّه . آللهُ[3] ، أم جبريلُ ، أم ميكائيلُ ؟ إذ لو جاء ذلك بكنايةٍ على ما وصَفْنا - فإنه - لالتبَس[4] معنى ذلك على مَن لم يُوقَّفْ على المعنيِّ بذلك ؛ لاحتمالِ الكلامِ ما وصَفتُ .

وقد كان بعضُ أهلِ العربيةِ يوجِّهُ ذلك إلى نحوِ قولِ الشاعرِ[5] :

ليت الغرابَ غداةَ يَنْعَبُ دائبًا[6] كان الغرابُ مُقَطَّعَ الأَوْدَاجِ[7]

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) بعده في م : « أم رسل الله جل ثناؤه » .

(٤) في م : « يلتبس » .

(٥) هو جرير بن عطية . والبيت في ديوانه ١/ ١٣٦ .

(٦) في الديوان : « بالنوى » .

(٧) الوَدَج : عرق في العنق ، وهما ودجان . تاج العروس (و د ج) .

[٣/٦٠ظ] وأنه إظهارُ الاسمِ الذى حظُّه الكنايةُ عنه .

والأمرُ فى ذلك بخلافِ ما قال ؛ وذلك أن الغرابَ الثانىَ لو كان مَكْنيًّا عنه لما التبسَ على أحدٍ يعقِلُ كلامَ العربِ أنه كنايةُ اسمِ الغرابِ الأولِ ؛ إذ كان لا شىءَ قبلَه يحتملُ الكلامُ أن يوجَّهَ إليه غيرُ كنايةِ اسمِ الغرابِ الأولِ ، وأنَّ قبلَ[1] قولِه : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ . أسماءً[2] لو جاء اسمُ اللهِ تعالى ذكرُه مكنيًّا عنه ، لم يُعْلَمْ مَن المقصودُ إليه بكنايةِ الاسمِ إلا بتوقيفٍ مِن حجةٍ ، فلذلك اختلَف أمراهما .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ . أى : أنزَلنا إليك يا محمدُ علاماتٍ واضحاتٍ دالَّاتٍ على نُبوَّتِك ، وتلك الآياتُ هى ما حَواه كتابُ اللهِ الذى أنزَله إلى محمدٍ ﷺ مِن خَفايا علومِ اليهودِ ، ومَكنونِ سرائرِ[3] أخبارِهم وأخبارِ[3] أوائلِهم مِن بنى إسرائيلَ ، والنبأُ عما تضمَّنتْه كتبُهم التى لم يكنْ يعلمُها إلا أحبارُهم وعلماؤُهم ، وما حرَّفه أوائلُهم وأواخرُهم وبدَّلوه مِن أحكامِهم التى كانت فى التوراةِ ، فأطلَع اللهُ تعالى ذكرُه فى كتابِه الذى أنزَله إلى نبيِّه محمدٍ ﷺ ، فكان فى ذلك مِن أمرِه الآياتُ البيناتُ لمَن أنصَف نفسَه ، ولم يدْعُه إلى إهلاكِها الحسدُ والبغىُ ؛ إذ كان فى فطرةِ كلِّ ذى فِطرةٍ صحيحةٍ تصديقُ مَن أتَى بمثلِ الذى أتَى به محمدٌ ﷺ مِن الآياتِ البيناتِ التى وصفتُ ، عن غيرِ تعلُّمٍ تعلَّمه مِن بشرىٍّ[4] ، ولا أخْذِ شىءٍ منه عن آدمىٍّ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك رُوِى الخبرُ عن ابنِ عباسٍ .

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « قيل » .

(٢) فى م : « اسما » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « أحبارهم وأحبار » .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بشر » .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ . يقولُ : فأنت تَتلوه عليهم وتُخبرُهم به غُدوةً وعشيةً وبينَ ذلك ، وأنت عندَهم أمىٌّ لم تقرأْ كتابًا ، وأنت تُخبرُهم بما فى أيديهم على وجهِه ، يقولُ اللهُ : ففى ذلك لهم عبرةٌ وبيانٌ ، وعليهم حجةٌ لو كانوا يعلمون[(١)] .

/ وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : ثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، أو[(٢)] عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال [(٣)]ابنُ صُوريَا[(٣)] الفِطْيَوْنى[(٤)] لرسولِ اللهِ ﷺ : يا محمدُ ، ما جئتَنا بشىءٍ نعرِفُه ، وما أنزَل اللهُ عليك مِن آيةٍ بينةٍ فنتَّبِعَك لها[(٥)] . فأنزَل اللهُ [(٦)]فى ذلك من قولِه[(٦)] : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ [٦١/٣و] إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[(٧)] .

١/٤٤١

---

(١) فى الأصل : « يعقلون » .

والأثر ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٩٢، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٤/١ إلى المصنف .

(٢) فى م ، ت ٢: « و » .

(٣ - ٣) فى سيرة ابن هشام ١/ ٥٤٨: « أبو صلوبا » ، وفى نسختين منها : « ابن صلوبا » .

وقد ذكر ابن إسحاق - كما فى سيرة ابن هشام ٥١٤/١ - الأعداء من بنى النضير فقال : ومن بنى ثعلبة بن الفطيون ؛ عبد الله بن صوريا الأعور ، ولم يكن بالحجاز فى زمانه أحد أعلم بالتوراة منه ، وابن صلوبا ...

(٤) فى م ، ت ٢: « القطيونى » . بالقاف . وضبط فى الأصل : « الفَطْيُونى » . والمثبت موافق لما فى المعرب ص ٢٩٣، والروض الأنف ٣٩٧/٤ حيث ذكراه : الفِطْيَوْن ، وضبطه فى الجمهرة ٣/ ١١١: الفِطْيُون .

وقال السهيلى : والفطيون كلمة عبرانية ، وهى عبارة عن كل من ولى أمر اليهود وملكهم .

(٥) فى م : « بها » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) سيرة ابن هشام ٥٤٨/١ .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ ابنُ جبيرٍ أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال ابنُ صُوريا لرسولِ اللهِ ﷺ . فذكَر مثلَه[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ ﴾ : وما يجحَدُ بها . وقد دلَّلنا فيما مضَى مِن كتابِنا هذا على أن معنى الكفرِ الجحودُ ، بما أغنَى عن إعادتِه هلهنا[(٢)] ، وكذلك بيَّنا معنى الفِسْقِ ، وأنه الخروجُ من[(٣)] الشىءِ إلى غيرِه[(٤)] .

فتأويلُ الآيةِ : ولقد أنزَلنا إليكَ - فيما أوحَينا إليك مِن الكتابِ - علاماتٍ واضحاتٍ ، تُبيِّنُ لعلماءِ بنى إسرائيلَ وأحبارِهم ، الجاحدين نبوَّتَك والمكذِّبين رسالتَك ، أنك لى إليهم رسولٌ مُرْسَلٌ ، ونبىٌّ مبعوثٌ ، وما يجحَدُ تلك الآياتِ الدالَّاتِ على صدقِك ونبوَّتِك ، التى أنزَلتُها إليك فى كتابى ، فيكذِّبَ بها منهم ، إلا الخارجُ منهم مِن دينِه ، التاركُ منهم فرائضى عليه فى الكتابِ الذى يَدينُ بتصديقِه ، فأما المتمسكُ منهم بدينِه والمتَّبعُ منهم حكمَ كتابِه ، فإنه بالذى أنزَلتُ إليك مِن آياتى مصدِّقٌ ، وهم الذين كانوا آمنوا باللهِ وصدَّقوا رسولَه محمدًا ﷺ مِن يهودِ بنى إسرائيلَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٣/١ (٩٧٠) من طريق يونس بن بكير به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٦٢.

(٣) فى م : « عن » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ١/ ٤٣٤.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

اختلَف أهلُ العربيةِ فى حكمِ الواوِ التى فى قولِه : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويِّى البصريين هى واوٌ تُجعَلُ مع حروفِ الاستفهامِ ، وهى مثلُ الفاءِ فى قولِه : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ﴾ [البقرة : ٨٧] . قال : وهما زائدتان فى هذا الوجهِ ، وهى مثلُ الفاءِ التى فى قولِه : أفاللهِ[1] لتصنَعنَّ كذا وكذا . وكقولِك للرجلِ : أفلا تقومُ ؟ قال[2] : وإن شئتَ جعلتَ الواوَ والفاءَ هٰهنا حرفَ عطفٍ .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفيِّينَ: هى حرفُ عطفٍ أدخِل عليها أَلِفُ[3] الاستفهامِ .

والصوابُ عندى فى ذلك مِن القولِ أنها واوُ عطفٍ أدخِلت عليها ألفُ الاستفهامِ ، كأنه قال جلّ ذكرُه : وإذ أخَذْنا ميثاقَكم ورفَعْنا فوقَكم الطورَ ، خذوا ما آتيناكم بقوةٍ واسمَعوا ، قالوا : سمِعنا وعصَينا . [٦١/٣ظ] و[4] كلما عاهَدوا عهدًا نبَذه فريقٌ منهم . ثم أدخَل ألفَ الاستفهامِ على « وكلما » ، فقال : قالوا : سمِعْنا وعصَينا . أوَكلَّما عاهَدوا عهدًا نبَذه فريقٌ منهم .

وقد بيَّنا فيما مضَى أنه غيرُ جائزٍ أن يكونَ فى كتابِ اللهِ حرفٌ / لا معنَى له[5] ، فأغنَى ذلك عن إعادةِ البيانِ على فسادِ قولِ مَن زعَم أن الواوَ والفاءَ مِن قولِه : ٤٤٢/١

---

(١) فى م ، ت ٢: « فالله » .

(٢) سقط من : م ، ت ٢.

(٣) فى م ، ت ٢: « حرف » .

(٤) فى م ، ت ٢: « أو » .

(٥) ينظر ما تقدم فى ٤٦٦/١ وما بعدها .

﴿ أَوَكُلَّمَا ﴾ . و﴿ أَفَكُلَّمَا ﴾ . زائدتان لا معنَى لهما .

وأما العهدُ ، فإنه الميثاقُ الذى أعطَته بنو إسرائيلَ ربَّهم لَيعمَلُنَّ بما[1] فى التوراةِ مرةً بعدَ أُخرى ، ثم نقَض بعضُهم ذلك مرةً بعدَ أخرى ، فوبَّخهم جلَّ ذكرُه بما كان منهم مِن ذلك ، وعيَّر به أبناءَهم إذ سلكوا منهاجَهم فى نقضِ[2] ما كان جلَّ ذكرُه أخَذ عليهم بالإيمانِ به مِن أمرِ محمدٍ ﷺ مِن العهدِ والميثاقِ ، فكفَروا به[3] ، وجحَدوا ما فى التوراةِ مِن نعتِه وصفتِه ، فقال تعالى ذكرُه : أوَكلما عاهَد اليهودُ مِن بنى إسرائيلَ ربَّهم عهدًا ، وأوثَقُوه ميثاقًا ، نبَذه فريقٌ منهم فترَكه ونقَضه !

كما حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، قال : ثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال مالكُ بنُ الصَّيْفِ[4] حينَ بُعِث رسولُ اللهِ ﷺ ، وذكَر لهم ما أُخِذ عليهم مِن الميثاقِ ، وما عهِد اللهُ إليهم فيه : واللهِ ما عهِد اللهُ إلينا فى محمدٍ ﷺ عهدًا ، وما أخَذ له علينا ميثاقًا . فأنزَل اللهُ جلَّ ثناؤه : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[5] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى[6] زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، أو عن

---

(١) فى م ، ت ٢، ت ٣: « بها » .

(٢) فى م ، ت ٢، ت ٣: « بعض » .

(٣) سقط من : م ، ت ٢، ت ٣.

(٤) فى م ، ت ٢، ت ٣، ونسخة من سيرة ابن هشام : « الصيف » ، وهما روايتان فيه .

(٥) سيرة ابن هشام ٥٤٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٣/١ (٩٧٣) من طريق يونس بن بكير به .

(٦) بعده فى م ، ت ٢، ت ٣: « آل » ، وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٣٨٢.

سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه .

وأما « النَّبْذُ » فإن أصلَه فى كلامِ العربِ الطَّرْحُ ، ولذلك قيل للملقوطِ : المنبوذُ . لأنه مطروحٌ مرميٌّ به ، ومنه سمِّى النبيذُ نبيذًا ؛ لأنه زبيبٌ أو تمرٌ يُطرَحُ فى وعاءٍ ، ثم يعالَجُ [(١)] بما عُولج به [(١)] ، وأصلُه « مفعولٌ » صُرف إلى « فعيلٍ » ، أعنى أن النبيذَ أصلُه منبوذٌ ، ثم صُرِف إلى « فعيلٍ » ، فقيل : نبيذٌ . كما قيل : كفٌّ خضيبٌ ، ولحيةٌ دهينٌ . بمعنى مخضوبةٍ ومدهونةٍ . يقالُ منه : نبَذتُه أنبِذُه نَبْذًا . كما قال أبو الأسودِ الدُّؤلىُّ [(٢)] :

نـظَـرتَ إلـى عُـنـوانِـه فـنـبَـذتَـه كنَبْذِكَ نعلاً أخلَقَتْ مِن نِعالِكا

فمعنى قولِه جلَّ ذكرُه : ﴿ نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ : طرَحه فريقٌ منهم ، فترَكه ورفَضه ونقَضه .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ يقولُ : نقَضه فريقٌ منهم [(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ قولَه : ﴿ نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ . قال : لم يكنْ فى [٣/٦٢و] الأرضِ عهدٌ يعاهِدون عليه إلا نقَضُوه ، ويعاهِدونَ اليومَ ويَنقُضون غدًا . قال : وفى قراءةِ عبدِ اللهِ : (نقَضه فريقٌ منهم) [(٤)] .

(١ - ١) فى م : « بالماء » .

(٢) فى م : « الديلى » ، وفى ت ٢ ، ت ٣ : « الديلمى » .

والبيت فى مجاز القرآن ١/ ٤٨ ، واللسان (خ ل ق ، ع ن ن) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٨٤ (٩٧٥) من طريق يزيد به .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٩٥ إلى المصنف ، وقراءة ابن مسعود ذكرها ابن عطية فى المحرر الوجيز ١/ ٣٣٦ ، وأبو حيان فى البحر المحيط ١/ ٣٢٤ .

والهاءُ التي في قولِه : ﴿ نَّبَذَهُۥ ﴾ مِن ذكرِ « العهدِ » ، فمعناه : أَوَكلما عاهَدوا عهدًا نبَذ ذلك العهدَ فريقٌ منهم !

و « الفريقُ » الجماعةُ ، لا واحدَ له مِن لفظِه ، بمنزلةِ الجيشِ والرهطِ الذي لا واحدَ له مِن لفظِه .

والهاءُ والميمُ اللتان في قولِه : ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ ﴾ . مِن ذكرِ اليهودِ مِن بني إسرائيلَ .

وأما قولُه : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . فإنه يعنى جلَّ ثناؤه : بل أكثرُ هؤلاءِ الذين كلَّما عاهَدوا اللهَ عهدًا[1] ووَاثَقُوه موثقًا ، نقَضه فريقٌ منهم لا يؤمنون .

١/٤٤٣ ولذلك وجهان مِن التأويلِ : **أحدُهما** ، أن يكونَ الكلامُ / دلالةً على الزيادةِ والتكثيرِ في عددِ المكذِّبين الناقِضين عهدَ اللهِ على عددِ الفريقِ ، فيكونَ الكلامُ حينَئذٍ معناه : أَوَكلما عاهَدتِ اليهودُ مِن بني إسرائيلَ ربَّها عهدًا نقَض فريقٌ منهم ذلك العهدَ ؟ لا ، ما ينقُضُ ذلك منهم فريقٌ ، ولكن الذي ينقُضُ ذلك فيكفُرُ باللهِ أكثرُهم لا القليلُ منهم . فهذا أحدُ وجهَيْه .

والوجهُ الآخرُ ، أن يكونَ معناه : أَوَكلما عاهَدتِ اليهودُ ربَّها عهدًا نبَذ ذلك العهدَ فريقٌ منهم ؟ لا ، ما ينبِذُ ذلك العهدَ فريقٌ منهم فينقُضُه ، على الإيمانِ منهم بأن ذلك غيرُ جائزٍ لهم ، ولكنَّ أكثرَهم لا يصدِّقون باللهِ ورسلِه ، ولا بوعدِه ووعيدِه .

وقد دلَّلْنا فيما مضَى مِن كتابِنا هذا على معنى الإيمانِ وأنه التصديقُ[2] .

---

(١) ليست في : الأصل .

(٢) ينظر ما تقدم في ١/ ٢٤١.

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ : (١) ولـمَّا جاء(١) أحبارَ اليهودِ وعلماءَها مِن بنى إسرائيل ﴿ رَسُولٌ ﴾ يعنى بالرسولِ محمدًا ﷺ .

كما حدَّثنى موسى بنُ هارونَ قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ ﴾ . قال : لمَّا جاءهم محمدٌ ﷺ(٢) .

وأما قولُه : ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ . فإنه يَعنى به أن محمدًا ﷺ يُصدِّقُ التوراةَ ، والتوراةُ تصدِّقُه فى أنه نبىٌّ للهِ مبعوثٌ إلى خلقِه .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ فإنه : للذِى(٣) هو مع اليهودِ ، وهو التوراةُ . فأخبَر اللهُ جلَّ ثناؤه أن اليهودَ لمَّا جاءهم رسولٌ(٤) مِن اللهِ بتصديقِ ما فى أيديهم مِن التوراةِ ، بأن محمدًا ﷺ [٦٢/٣ظ] نبىٌّ للهِ ؛ ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ ﴾ . يعنى بذلك أنهم جحَدوه ورفَضوه بعدَ أن كانوا به مقرِّين ؛ حسدًا منهم له وبغيًا عليه .

وقولُه : ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . وهم علماءُ اليهودِ الذين أعطاهم اللهُ العلمَ بالتوراةِ وما فيها . ويعنى بقولِه : ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ : التوراةَ . وبقولِه : نَبَذوه ﴿ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ : جعَلوه وراء ظهورِهم . وهذا مَثَلٌ ، يقالُ لكلِّ رافضٍ أمرًا

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٤/١ (٩٧٧) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣) فى الأصل : « الذى » .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « رسول الله ﷺ » .

كان منه على بالٍ : قد جعَل فلانٌ هذا الأمرَ منه بظَهْرٍ ، وجعَله وراءَ ظهرِه . يعنى به : أعرَض عنه وصدَّ وانصرَف .

كما حدَّثني موسى قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ . قال : لمَّا جاءهم محمدٌ ﷺ عارَضوه بالتوراةِ فخاصَموه بها ، فاتَّفقتِ التوراةُ والقرآنُ ، فنبَذوا التوراةَ وأخَذوا بكتابِ آصَفَ وسحْرِ هاروتَ وماروتَ ، فذلك قولُ اللهِ : ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

ومعنى قولِه : ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ : كأنَّ هؤلاء الذين نبَذوا كتابَ اللهِ مِن علماءِ اليهودِ – فنقَضوا / عهدَ اللهِ بتركِهم العملَ بما واثَقوا اللهَ على أنفسِهم العملَ [2]به مما[2] فيه – لا يعلَمون ما في التوراةِ مِن الأمرِ باتباعِ محمدٍ ﷺ وتصديقِه . وهذا مِن اللهِ جلَّ ثناؤه إخبارٌ عنهم أنهم جحَدوا الحقَّ على علمٍ منهم به ومعرفةٍ ، وأنهم عانَدوا أمرَ اللهِ فخالَفوه على علمٍ منهم بوجوبِه عليهم .

١/٤٤٤

كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ قال : ثنا يزيدُ قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ . يقولُ : نقَضه فريقٌ مِن الذين أوتوا الكتابَ ﴿ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . أى : أن القومَ قد[3] كانوا يعلَمون ، ولكنهم أفسَدوا علمَهم و[4]جحَدوه وكتَموه وكفَروا به[4] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٤/١ (٩٧٧، ٩٧٩) من طريق عمرو بن حماد به .

(٢ - ٢) في ت ٢، ت ٣، م : « بما » .

(٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) في م : « جحدوا وكفروا وكتموا » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٥/١ (٩٨٠) من طريق يزيد به إلى قوله : وراء ظهورهم ، وأخرج بقيته (٩٨١) ، من طريق شيبان النحوى ، عن قتادة .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ ﴾ . الفريقَ مِن أحبارِ يهودَ وعلمائِها الذين وصَفهم جلَّ ثناؤه بأنهم نبَذوا كتابَه الذى أنزَله إلى[1] موسى وراءَ ظهورِهم ، تجاهلًا منهم وكفرًا بما هم به عالِمون ، كأنهم لا يعلَمون ، فأخبَر عنهم أنهم رفَضوا كتابَه الذى [٦٣/٣و] يعلَمون أنه تنزيلٌ[2] مِن عندِه على نبيِّه [3]موسى صلواتُ اللهِ عليه[3] ، ونقَضوا عهدَه الذى أخَذه عليهم فى العملِ بما فيه ، وآثَروا السحرَ الذى تلَتْه الشياطينُ فى ملكِ سليمانَ بنِ داودَ صلى اللهُ عليه فاتَّبعوه ، وذلك هو الخَسارُ والضلالُ المبينُ .

واختلف **أهلُ التأويلِ** فى الذين عُنوا بقولِه : ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : عنَى اللهُ تبارَك وتعالى بذلك اليهودَ الذين كانوا بينَ ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللهِ ﷺ ؛ لأنهم خاصَموا رسولَ اللهِ ﷺ بالتوراةِ ، فوجَدوا التوراةَ للقرآنِ موافقةً ، تأمُرُ مِن اتباعِ محمدٍ ﷺ وتصديقِه بمثلِ الذى يأمُرُ به القرآنُ ، فخاصَموه بالكتبِ التى كان الناسُ اكتتَبوها مِن الكهنةِ على عهدِ سليمانَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾[4] . قال : كانت الشياطينُ تصعَدُ إلى السماءِ

---

(١) فى م : « على » .

(٢) فى م ، ت ٢، ت ٣: « منزل » .

(٣ - ٣) فى م ، ت ٢، ت ٣: « ﷺ » .

(٤) بعده فى الأصل : « على عهد سليمان » .

١/٤٤٥ فتقعُدُ منها / مقاعدَ للسمعِ ، فيستمِعون مِن كلامِ الملائكةِ فيما يكونُ فى الأرضِ مِن موتٍ أو غيثٍ[(١)] أو أمرٍ ، فيأتون الكهنةَ فيُخبِرونهم ، فتحدِّثُ الكهنةُ الناسَ فيجِدونه كما قالوا ، حتى إذا أمِنَتْهم الكهنةُ كذَبوا لهم ، فأدخَلوا فيه غيرَه ، فزادُوا مع كلِّ كلمةٍ سبعينَ كلمةً ، فاكتتَب الناسُ ذلك الحديثَ فى الكتبِ ، وفَشا فى بنى إسرائيلَ أن الجنَّ تعلَمُ الغيبَ ، فبعَث سليمانُ فى الناسِ فجمَع تلك الكتبَ ، فجعَلها فى صندوقٍ ، ثم دفَنها تحتَ كرسيِّه ، ولم يكنْ أحدٌ مِن الشياطينِ يستطيعُ أن يدنُوَ مِن الكرسيِّ إلا احترَق ، وقال : لا أسمَعُ أحدًا يذكُرُ أن الشياطينَ تعلَمُ الغيبَ إلا ضرَبتُ عنقَه . فلما مات سليمانُ وذهَبتِ العلماءُ الذين كانوا يعرِفون أمرَ سليمانَ ، وخلَف بعد ذلك خَلْفٌ ، تمثَّل شيطانٌ[(٢)] فى صورةِ إنسانٍ ، ثم أتَى نفرًا مِن بنى إسرائيلَ فقال لهم[(٣)] : هل أدلُّكم على كنزٍ لا تأْكُلونه[(٤)] أبدًا ؟ قالوا : نعم . قال : فاحفِروا تحتَ الكرسيِّ ، وذهَب معهم فأَراهم المكانَ ، وقام ناحيةً ، فقالوا له : فادْنُ . قال : لا ، ولكنِّى هلهنا فى أيديكم ، فإن لم تجِدوه فاقتُلونى . فحفَروا فوجَدوا تلك الكتبَ ، فلمَّا أخرَجوها قال الشيطانُ : إن سليمانَ إنما كان يضبُطُ الإنسَ والشياطينَ والطيرَ بهذا السحرِ . ثم طار فذهَب ، وفَشا فى الناسِ أن سليمانَ كان ساحرًا ، واتَّخذتْ بنو إسرائيلَ تلك الكتبَ ، فلمَّا جاء محمدٌ خاصَموه بها ، فذلك حينَ يقولُ اللهُ : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَطِينَ [٣/٦٣ظ] كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾[(٥)] .

---

(١) فى تفسير ابن أبى حاتم وابن كثير : « غيب » .

(٢) فى م : « الشيطان » .

(٣) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) أكل فلان عمرَه : إذا أفناه . تهذيب اللغة ١٠/ ٣٦٩ . والمراد : لا يفنى .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٨٦ (٩٨٧) من طريق عمرو بن حماد به إلى قوله : « إلا احترق » ، وذكره ابن كثير بتمامه فى تفسيره ١/ ١٩٤ .

وحدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ . قال[1] : إن اليهودَ سألوا محمدًا ﷺ زمانًا عن أمورٍ مِن التوراةِ ، لا يسألونه عن شىءٍ مِن ذلك إلا أنزَل اللهُ عليه ما سألوا عنه فيخصِمُهم[2] ، فلمَّا رأَوْا ذلك قالوا : هذا أعلمُ بما أُنزِل إلينا منَّا . وإنهم سألوه عن السحرِ وخاصَموه به ، فأنزَل اللهُ : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ . وإن الشياطينَ عَمَدوا إلى كتابٍ فكتَبوا فيه السحرَ والكهانةَ وما شاء اللهُ مِن ذلك ، فدفَنوه تحتَ مجلسِ سليمانَ - وكان سليمانُ لا يعلَمُ الغيبَ - فلما فارَق سليمانُ الدنيا استخرَجوا ذلك السحرَ ، وخدَعوا به الناسَ وقالوا : هذا علمٌ كان سليمانُ يكتُمُه ويحسُدُ الناسَ عليه . فأخبرَهم النبىُّ ﷺ بهذا الحديثِ ، فرجَعوا مِن عندِه وقد خَزُوا[3] وأدحَض اللهُ حجتَهم[4] .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ . قال : لمَّا جاءهم رسولُ اللهِ مُصَدِّقًا لِما معهم ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ الآية . قال : اتَّبعوا السحرَ ، وهم أهلُ الكتابِ . فقرَأ حتى بلَغ : ﴿ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ .

وقال آخرون : بل عنى اللهُ بذلك اليهودَ الذين كانوا على عهدِ سليمانَ .

---

(١) فى م ، ت ٢، ت ٣: « قالوا » .

(٢) خصمه يخصمه خصمًا وخصومة : غلبه . تاج العروس (خ ص م) .

(٣) فى م ، ت ٣: « حزنوا » ، وفى ت ٢: « خزيوا » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٩٤، ١٩٥ عن الربيع . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٥/١ إلى المصنف وابن أبى حاتم عن أبى العالية . وهو عند ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٦/١ (٩٨٥) .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : تَلَتِ الشياطينُ / السحرَ على اليهودِ على ملكِ سليمانَ ، فاتَّبعتْه اليهودُ على ملكِه . ٤٤٦/١ يعنى : اتَّبعت السحرَ على ملكِ سليمانَ .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : عمَدتِ الشياطينُ حين عَرَفت موتَ سليمانَ بنِ داودَ عليه السلامُ ، فكتَبوا أصنافَ السحرِ : مَن كان يحبُّ أن يبلُغَ كذا وكذا ، فليقُلْ[(١)] كذا وكذا . حتى إذا صنَّفوا[(٢)] أصنافَ السحرِ ، جعَلوه فى كتابٍ ثم ختَموا عليه بخاتَمٍ على نقشِ خاتَمِ سليمانَ ، وكتَبوا فى عُنوانِه : هذا ما كتَب آصَفُ بنُ بَرْخِيَا الصديقُ للملكِ سليمانَ بنِ داودَ مِن ذخائرِ كنوزِ العلمِ . ثم دفَنوه تحتَ كرسيِّه . فاستَخرَجتْه بعدَ ذلك بقايا بنى إسرائيلَ حين أحدَثوا ما أحدَثوا ، فلما عثَرُوا عليه قالوا : [(٣)] واللهِ [(٣)] ما كان سليمانُ بنُ داودَ إلا بهذا . فأفشَوُا السحرَ فى الناسِ ، [٦٤/٣و] وتعلَّموه وعلَّموه ، فليس فى أحدٍ أكثرُ منه فى يهودَ ، فلما ذكَر رسولُ اللهِ ﷺ -فيما نزَل عليه مِن اللهِ- سليمانَ بنَ داودَ ، وعدَّه فى مَن عدَّه مِن المرسلين ، قال مَن كان بالمدينةِ مِن يهودَ : ألَا تَعجَبون لمحمدٍ ، يزعُمُ أن ابنَ داودَ كان نبيًّا ، واللهِ ما كان إلا ساحرًا . فأنزَل اللهُ فى ذلك مِن قولِهم على محمدٍ : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ [(٣)] الآية [(٤)] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ [(٣)] عَلَىٰ مُلْكِ

---

(١) فى م : « فليفعل » .

(٢) فى م ، ت ٢، ت ٣: « صنعوا » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ٢، ت ٣.

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٩٥. وهو فى سيرة ابن هشام ١/ ٥٤٤ مختصرًا .

سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا﴾ . قال : كان حينَ ذهَب مُلكُ سليمانَ ، ارتدَّ فِئامٌ[١] مِن الجنِّ والإنس واتَّبَعُوا الشهواتِ ، فلما رجَع اللهُ إلى سليمانَ ملكَه ، أقام[٢] الناسُ على الدِّينِ كما كان[٣] ، وإن سليمانَ ظهَر على كتبِهم فدفَنها تحتَ كرسيِّه ، وتوفِّى سليمانُ حِدْثانَ[٤] ذلك ، فظهَرت الجنُّ والإنسُ على الكتبِ بعدَ وفاةِ سليمانَ ، وقالوا : هذا كتابٌ مِن اللهِ نزَل على سليمانَ أخفاه مِنَّا ؛ فأخَذوا به فجعَلوه دينًا ، فأنزَل اللهُ : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . واتَّبَعُوا [٥]الشهَواتِ التي كانت[٥] تَتْلو الشياطينُ ، وهي المعازفُ واللعِبُ ، وكلُّ شيءٍ يصُدُّ عن ذكرِ اللهِ[٦] .

والصوابُ مِن القولِ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ . أن ذلك من اللهِ جلَّ ذكرُه توبيخٌ لأحبارِ اليهودِ الذين أدرَكوا رسولَ اللهِ ، فجحَدوا نبوَّتَه وهم يعلَمون أنه للهِ رسولٌ مرسَلٌ ، وتأنيبٌ منه لهم في رفْضِهم تنزيلَه ، وهجْرِهم العملَ به ، وهو في أيديهم يعلَمونه ويعرِفون أنه كتابُ اللهِ ، واتباعِهم واتباعِ أوائلِهم وأسلافِهم ما تَلَتْه الشياطينُ في عهدِ سليمانَ . وقد بيَّنا وجهَ جوازِ إضافةِ أفعالِ أسلافِهم إليهم فيما مضَى ، فأغنَى ذلك عن إعادتِه في هذا

---

(١) الفئام : الجماعة الكثيرة : اللسان (ف أ م) .

(٢) في م : « قام » ، وفي تفسير ابن أبي حاتم وابن كثير : « وقام » .

(٣) في م : « كانوا » .

(٤) حدثان الأمر ، بالكسر : أوله وابتداؤه كحداثته . التاج (ح د ث) .

(٥ - ٥) في م ، ت ٢ ، ت ٣ : « ما » .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٨٥ (٩٨٤) عن محمد بن سعد به .

الموضِعِ[(١)] .

وإنما اختَرنا هذا التأويلَ ؛ لأن المتَّبِعَةَ ما تَلَتْه الشياطينُ فى عهدِ سليمانَ وبعدَه ، إلى أن بعَث اللهُ نبيَّه بالحقِّ ، [(٢)] من السحرةِ لم تَزَلْ[(٢)] فى اليهودِ ، ولا دلالةَ فى الآيةِ أن اللهَ أراد بقولِه : ﴿ وَاتَّبَعُوا ﴾ . بعضًا منهم دونَ بعضٍ ، إذ كان جائزًا فصيحًا فى كلامِ العربِ إضافةُ ما وصَفنا مِن اتِّباعِ أسلافِ المُخبَرِ عنهم بقولِه : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ ﴾ . إلى أخلافِهم بعدَهم ، ولم يكنْ بخصوصِ ذلك عن رسولِ اللهِ ﷺ أثرٌ منقولٌ ، ولا حجةٌ تدلُّ عليه ، فكان الواجبُ [٣/٦٤ظ] مِن القولِ فى ذلك أن يقالَ : كلُّ مُتَّبِعٍ ما تَلَتْه الشياطينُ على عهدِ سليمانَ مِن اليهودِ داخلٌ فى معنى الآيةِ . على النحوِ الذى قلنا .

١/٤٤٧ / **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ ﴾ .**

ويعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ مَا تَتْلُوا ﴾ : الذى تَتلو . فتأويلُ الكلامِ إذن : واتَّبَعوا الذى تَتلو الشياطينُ .

واختلَف [(٣)]**أهلُ التأويلِ**[(٣)] فى تأويلِ قولِه : ﴿ تَتْلُوا ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : يعنى بقولِه : ﴿ تَتْلُوا ﴾ : تُحدِّثُ وتَروِى وتتكلَّمُ به وتخبِرُ ، نحوَ تلاوةِ الرجلِ القرآنَ ، وهى قراءتُه . ووجَّه قائلو هذا القولِ تأويلَهم ذلك إلى أن الشياطينَ هى التى علَّمت الناسَ السحرَ ورَوَته لهم .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/٦٤٢ ، ٦٤٣.

(٢ - ٢) فى م : « وأمر السحر لم يزل » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللهِ : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ . قال : كانت الشياطينُ تستَمِعُ الوحيَ ، فما سمِعوا مِن كلِمةٍ زادوا فيها مائتَين مثلَها ، فأرسَل سليمانُ إلى ما كتَبوا مِن ذلك[1] ، فلما توفِّي سليمانُ وجَدَته الشياطينُ فعلَّمَته الناسَ ، وهو السحرُ[2] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ . قال[3] : مِن الكهانةِ والسحرِ . قال[3] : وذُكِر لنا ، واللهُ أعلمُ ، أن الشياطينَ ابتَدعتْ كتابًا فيه سحرٌ وأمرٌ عظيمٌ ، ثم أفشَوْه في الناسِ وعلَّموهم إيَّاه[4] .

وحدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدثني حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال لي عطاءٌ : قولُه : ﴿ مَا تَتْلُوا۟ ﴾ . قال : نُراه ما تُحدِّثُ[5] .

وحدَّثني سَلْمُ[6] بنُ جُنادةَ السُّوائيُّ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن المنهالِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : انطلَقت الشياطينُ في الأيامِ التي ابتُلي فيها سليمانُ ، فكتبَتْ فيها كتبًا فيها سحرٌ وكفرٌ ، ثم دفَنوها تحتَ كرسيِّ

---

(١) بعده في م : « فجمعه » .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ١٩٥.

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٧/١ (٩٩٢) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة نحوه بزيادة في أوله ستأتي في ص ٣٢٧ ، ٣٢٨.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف .

(٦) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « سالم » .

سليمانَ ، ثم أخرَجوها فقرَءوها على الناسِ[(١)] .

وقال آخرون : معنى قولِه : ﴿ مَا تَتْلُواْ ﴾ : ما [(٢)] تتَّبعُ وتأتَمُّه [(٢)] وتعمَلُ به .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا [(٣)] الحسينُ بنُ عمرِو بنِ محمدٍ العَنقزِىُّ [(٣)] ، قال : حدَّثنا أبى ، عن أسباطَ ، عن السدىِّ ، عن أبى مالكٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ تَتْلُواْ ﴾ . قال : تتَّبِعُ[(٤)] .

وحدَّثنى نصرُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأودىُّ ، قال : ثنا يحيى بنُ إبراهيمَ ، عن سفيانَ الثورىِّ ، [٦٥/٣و] عن منصورٍ ، عن أبى رزينٍ مثلَه .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك أن يقالَ : إن اللهَ تعالى ذكرُه أخبَرَ عن الذين أخبَرَ عنهم أنهم اتَّبعوا ما تَتلوا الشياطينُ على عهدِ سليمانَ ؛ باتباعِهم ما تَلَته الشياطينُ . ولقولِ القائلِ : هو يتلو كذا . فى كلامِ العربِ معنيان : أحدُهما : الاتِّباعُ ، كما يقالُ : تَلوتُ فلانًا . إذا مشَيتَ خلفَه وتبِعتَ أثَرَه ، كما قال جلَّ ثناؤه : (هُنَالِكَ تَتْلُو[(٥)] كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ) [يونس : ٣٠] . يعنى بذلك : تتَّبعُ . والآخرُ : القراءةُ والدراسةُ ، كما يقالُ : فلانٌ يَتلو القرآنَ . بمعنى أنه يقرَؤُه ويدرُسُه ، كما قال حسانُ بنُ ثابتٍ[(٦)] :

١/٤٤٨ / نَبىٌّ يَرى ما لا يَرى الناسُ حولَه ... ويَتْلو كتابَ اللهِ فى كلِّ مَشهَدِ

---

(١) سيأتى بتمامه فى ص ٣٢٣.

(٢ - ٢) فى م : « تتبعه وترويه » .

(٣ - ٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الحسن بن عمرو العبقرى » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف .

(٥) فى م ، ت ٣ : « تبلو » . وهى قراءة نافع وابن كثير وعاصم وأبى عمرو وابن عامر . والمثبت قراءة حمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٣٢٥.

(٦) ديوانه ص ٣٧٧.

ولم يخبرْنا اللهُ تعالى ذكرُه بأىِّ مَعْنَيَيِ[(١)] التلاوةِ كانت تلاوةُ الشياطينِ الذين تَلَوْا ما تَلَوْه مِن السحرِ على عهدِ سليمانَ ، بخبرٍ يقطَعُ العذرَ ، وقد يجوزُ أن تكونَ الشياطينُ تَلَت ذلك دراسةً وروايةً وعملاً به[(٢)] ، فتكونَ كانت له[(٢)] متَّبِعةً[(٣)] بالعملِ ، ودِراسةً[(٤)] بالروايةِ ، فاتَّبعتِ اليهودُ منهاجَها فى ذلك فعمِلتْ به ورَوَته .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ : فى ملكِ سليمانَ . وذلك أن العربَ تضَعُ « فى » موضعَ « على » ، و « على »[(٥)] موضعَ « فى » . مِن ذلك قولُ اللهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه : ٧١] . يعنى به : على جذوعِ النخلِ ، وكما يقالُ : فعلتُ كذا فى عهدِ كذا ، وعلى عهدِ كذا . بمعنًى واحدٍ .

وبما قلنا فى[(٦)] ذلك كان ابنُ جريجٍ وابنُ إسحاقَ يقولان فى تأويلِه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ . يقولُ : فى ملكِ سليمانَ[(٧)] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : قال ابنُ إسحاقَ فى قولِه : ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ . أى : فى ملكِ سليمانَ[(٨)] .

---

(١) فى م : « معنى » .
(٢) سقط من : م ، ت ٢، ت ٣.
(٣) فى م : « متبعته » .
(٤) فى م : « دارسته » .
(٥) بعده فى م ، ت ٢، ت ٣: « فى » .
(٦) فى م ، ت ٢، ت ٣: « من » .
(٧) عزاه فى الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف .
(٨) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٦/١ (٩٨٨) من طريق سلمة به .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ .

[٦٥/٣ظ] إن قال لنا قائلٌ : وما هذا الكلامُ مِن قولِه : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ . ولا خبرَ مضَى[(١)] قبلُ عن أحدٍ أنه أضاف الكفرَ إلى سليمانَ ، بل إنما ذكَر اتباعَ مَن اتبعَ مِن اليهودِ ما تَلَته الشياطينُ ، فما وجهُ نفيِ الكفرِ عن سليمانَ بعقبِ الخبرِ عن اتباعِ مَن اتبعَ[(٢)] الشياطينَ في العملِ بالسحرِ وروايتِه مِن اليهودِ ؟

قيل : وجهُ ذلك أن الذين أضاف اللهُ جلّ ثناؤُه إليهم اتباعَ ما تلَته الشياطينُ على عهدِ سليمانَ من السحرِ والكفرِ من اليهودِ ، نسَبوا ما أضافه اللهُ تعالى ذكرُه إلى الشياطينِ من ذلك إلى سليمانَ بنِ داودَ ، وزعَموا أن ذلك كان مِن عملِه[(٣)] وروايتِه ، وأنه إنما كان يستعبِدُ من كان[(٤)] يستعبِدُ من الإنسِ والجنِّ والشياطينِ وسائرِ خلقِ اللهِ بالسحرِ[(٥)] ، فحسَّنوا بذلك - من ركوبِهم ما حرَّم اللهُ عليهم مِن السحرِ - لأنفسِهم عندَ من كان جاهلًا بأمرِ اللهِ ونهيِه ، وعندَ من كان لا علمَ له بما أنزَل اللهُ في ذلك مِن التوراةِ . وتبرَّأ - بإضافةِ ذلك إلى سليمانَ - من سليمانَ ، وهو نبيُّ اللهِ صلى الله عليه ، منهم بشرٌ ، وأنكَروا أن يكونَ كان للهِ رسولًا ، وقالوا : بل كان ساحرًا . فبرَّأ اللهُ جلَّ ثناؤُه سليمانَ بنَ داودَ من السحرِ والكفرِ عندَ من كان منهم يَنْسِبُه إلى السحرِ والكفرِ ، لأسبابٍ ادَّعَوْها عليه قد ذكَرنا بعضَها قبلُ ، وسنذكُرُ

---

(١) في م ، ت ٢ ، ت ٣ : « معنا » .

(٢) في م : « اتبعت » ، وفي ت ٢ ، ت ٣ : « اتبعته » .

(٣) في م ، ت ٢ : « علمه » .

(٤) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) بعده في الأصل ، ت ١ : « دون الشياطين » .

باقىَ ما حضَرَنا ذكرُه منها ، وأكذَبَ الآخرين الذين كانوا يعمَلون بالسحرِ ، مُتَزيِّنِين عندَ أهلِ الجهلِ فى علمِهم[1] ذلك بأن سليمانَ كان يعمَلُه ، فنفَى اللهُ عن سليمانَ عليه السلامُ أن يكونَ كان ساحرًا أو كافرًا ، وأعلَمهم أنهم إنما اتَّبَعوا فى عملِهم / بالسحرِ ما تَلته الشياطينُ فى عهدِ سليمانَ ، دونَ ما كان سليمانُ يأمُرُهم به[2] مِن طاعةِ اللهِ ، واتِّباعِ ما أمَرهم به فى كتابِه الذى أنزَله على موسى صلى اللهُ عليه . ١/٤٤٩

ذكرُ الدِّلالةِ[3] على صحةِ ما قلنا من الأخبارِ والآثارِ

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدثنا يعقوبُ القُمِّىُّ ، عن جعفرِ بنِ أبى المغيرةِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : كان سليمانُ يتتبَّعُ ما فى أيدى الشياطينِ من السحرِ ، فيأخُذُه فيدفِنُه تحتَ كرسيِّه فى بيتِ خَزائنِه[4] ، فلم تقدِرِ الشياطينُ أن يصِلوا إليه ، فدنَت[5] إلى الإنسِ فقالوا لهم : أتريدون العلمَ الذى كان سليمانُ يسخِّرُ به الشياطينَ والرياحَ وغيرَ ذلك ؟ قالوا : نعم .قالوا : فإنه فى بيتِ [٣/٦٦و] خزائنِه[4] وتحتَ كرسيِّه . فاستَثارته الإنسُ فاستَخرَجوه فعمِلوا به ، فقال أهلُ الحِجا[6] : كان سليمانُ يعمَلُ بهذا ، وهذا سحرٌ . فأنزَل اللهُ على لسانِ نبيِّه محمدٍ ﷺ براءةَ سليمانَ فقال : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ الآية . [7]فأبرَأ اللهُ[7] سليمانَ على لسانِ نبيِّه ﷺ[8] .

---

(١) فى م : « عملهم » .

(٢) سقط من : م ، ت ٢، ت ٣.

(٣) فى م ، ت ٢، ت ٣: « الدلائل » .

(٤) فى م ، ت ٢، ت٣ وتفسير ابن كثير : « خزانته » .

(٥) فى تفسير ابن كثير : « فدبت » .

(٦) فى م ، ت ٢، ت ٣: « الحجاز » ، والحجا : العقل والفطنة والمقدار . القاموس المحيط (ح ج ى) .

(٧ - ٧) فى م ، ت ٢، ت ٣، وتفسير ابن كثير : « فأنزل الله براءة » .

(٨) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٩٥.

حدَّثني أبو السائبِ السُّوائيُّ ، قال : حدّثناه أبو معاوية ، قال : حدَّثنا الأعمشُ ، عن المنهالِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان الذى أصاب سليمانَ بنَ داودَ فى سببِ أناسٍ من أهلِ امرأةٍ يقالُ لها : جَرادَةُ . وكانت مِن أكرمِ نسائِه عليه ، قال : فكان هَوَى سليمانَ أن يكونَ الحقُّ لأهلِ الجَرادَةِ فيَقْضِىَ لهم ، فعوقِب حينَ لم يكنْ هواه فيهم واحدًا . قال : وكان سليمانُ إذا أراد أن يدخُلَ الخلاءَ ، أو يأتىَ شيئًا مِن نسائِه ، أعطَى الجَرادَةَ خاتَمَه ، فلما أراد اللهُ أن يبتَلِىَ سليمانَ بالذى ابتَلاه به ، أعطَى الجَرادَةَ ذاتَ يومٍ خاتَمَه ، فجاء الشيطانُ فى صورةِ سليمانَ فقال لها : هاتى خاتمى . فأخَذه فلبِسه ، فلما أُلبسه دانتْ له الشياطينُ والجنُّ والإنسُ . قال : فجاء سليمانُ فقال : هاتى خاتمى . فقالت : كذَبتَ لستَ سليمانَ . قال : فعرَف سليمانُ أنه بلاءٌ ابتُلِى به . قال : فانطلَقت الشياطينُ فى تلك الأيامِ فكتَبتْ كُتُبًا فيها سحرٌ وكفرٌ ، ثم دفَنوها تحتَ كرسىِّ سليمانَ ، ثم أخرَجوها فقرءَوها على الناسِ ، وقالوا : إنما كان سليمانُ يغلِبُ الناسَ بهذه الكتبِ . قال : فبرِئَ الناسُ مِن سليمانَ وأكفَروه حتى بعَث اللهُ محمدًا ﷺ ، فأنزَل اللهُ : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ . يعنى : الذى كتَب الشياطينُ مِن السحرِ والكفرِ ، ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ . فأنزَل اللهُ عذرَه[1] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى الصنعانىُّ ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ عمرانَ بنَ حُدَيرٍ[2] ، عن أبى مِجْلَزٍ ، قال : أخَذ سليمانُ من كلِّ دابةٍ عهدًا ،

---

(١) أخرجه النسائى فى الكبرى (١٠٩٩٣) ، وفى تفسيره (١٣) من طريق أبى معاوية به بأطول مما هنا . وابن عساكر فى تاريخه ٢٤٨/٢٢ من طريق جعفر بن عون ، عن الأعمش به مختصرًا . وذكره ابن كثير فى تفسيره ١٩٣/١ عن المصنف . وإسناده ضعيف لعنعنة الأعمش ، والمتن فيه نكارة واضحة .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « جبير » .

فإذا أصِيب رَجلٌ فسُئل[1] بذلك العهدِ ، خُلِّى[2] عنه ، فزاد[3] الناسُ السَّجعَ والسحرَ وقالوا : هذا كان يعمَلُ به سليمانُ . فقال اللهُ : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾[4] .

وحدَّثنا ابنُ[5] حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن حُصينِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن عمرانَ ، [6]وهو عمرانُ[6] بنُ الحارثِ ، قال : بينا نحن عندَ ابنِ عباسٍ ، إذ جاءه رجلٌ فقال له ابنُ عباسٍ : مِن أين جئتَ ؟ قال : مِن العراقِ . قال : مِن أيِّه ؟/ قال : مِن الكوفةِ . ١/٤٥٠ قال : فما الخبرُ ؟ قال : ترَكتُهم يتحدَّثون [٣/٦٦ظ] أن عليًّا خارجٌ إليهم . ففزِع[7] ثم قال[7] : ما تقولُ لا أبا لك ! لو شعَرنا ما نكَحنا نساءَه ، ولا قسَّمنا ميراثَه ، أمَا [8]إنى سأُحدِّثُكم عن[8] ذلك ، إنَّه كانت الشياطينُ يَسترِقون السمعَ مِن السماءِ ، فيجِىءُ[9] أحدُهم بكلمةِ حقٍّ قد سمِعها ، فإذا جُرِّبَ[10] منه صِدْقٌ ، كذَب معها سبعين كِذْبةً . قال : فيُشرِبُها قلوبَ الناسِ ، فأطلَع اللهُ عليها سليمانَ فدفَنها تحتَ كرسيِّه ، فلمّا توفِّى سليمانُ قام شيطانٌ بالطريقِ فقال : ألَا أدلُّكم على كَنزِه المُمَنَّعِ الذى لا كنزَ له[11] مثلُه ؟

---

(١) فى تفسير ابن كثير ، والدر المنثور : « فسأل » . وقوله : « فسئل » . لعله يريد : فسئل له .

(٢) فى الأصل : « خلت » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٣ ، والدر المنثور : « فرأى » ، وفى ت ٢ : « فرأوا » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٩٦ عن المصنف . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٩٦ إلى المصنف وابن المنذر .

(٥) فى م : « أبو » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧ - ٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فقال » .

(٨ - ٨) فى م : « أحدثكم من » .

(٩) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فيأتى » .

(١٠) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « حدث » .

(١١) سقط من : م .

تحتَ الكرسيِّ . فأخرَجوه فقالوا : هذا سحرٌ . فتَناسَخها الأممُ - حتى بَقاياها[(١)] ما يتحدَّثُ به أهلُ العراقِ - فأنزَل اللهُ عذرَ سليمانَ : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾[(٢)] .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِر لنا ، واللهُ أعلمُ ، أن الشياطينَ ابتَدعَت كتابًا فيه سحرٌ وأمرٌ عظيمٌ ، ثم أفشَوْه في الناسِ وعلَّموهم[(٣)] إياه ، فلما سمِع بذلك سليمانُ نبيُّ اللهِ ، تتبَّع[(٤)] تلك الكتبَ ، فأتَى بها فدفَنها تحتَ كرسيِّه ، كراهيةَ أن يَتعَلَّمَها الناسُ ، فلمَّا قبَض اللهُ نبيَّه سليمانَ ، عمَدت الشياطينُ فاستخرَجوها مِن مكانِها التي كانت فيه فعلَّموها الناسَ ، فأخبَروهم أن هذا علمٌ كان يكتُمُه سليمانُ ويستأثِرُ به ، فعَذَر اللهُ[(٥)] سليمانَ وبرَّأه مِن ذلك ، فقال : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾[(٦)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ ، قال : كتَبت الشياطينُ كتُبًا فيها سحرٌ وشركٌ ، ثم دفَنتْ تلك الكتبَ تحتَ كرسيِّ سليمانَ ، فلما مات استخرَجَ الناسُ تلك الكتبَ فقالوا : هذا علمٌ كتَمَناه سليمانُ . فقال اللهُ : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾[(٧)] .

---

(١) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «بقاياهم».
(٢) أخرجه الحاكم ٢/٢٦٥ وابن عساكر في تاريخه ٢٢/٢٥٥ من طريق جرير به . وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢٠٧ - تفسير) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٨٧ (٩٨٩) من طرق عن حصين به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٩٥ إلى سفيان بن عيينة وابن المنذر .
(٣) في م ت ١، ت ٢، ت ٣: «أعلموهم».
(٤) في م ، ت ١، ت ٣: «فتتبع».
(٥) بعده في م ت ١، ت ٢، ت ٣: «نبيه».
(٦) تقدم طرف منه في ص ٣١٩، وسيأتي تخريجه في ص ٣٢٩.
(٧) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٣، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٢٢/٢٥٤ من طريق معمر به .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا (١ الحسينُ ، قال : حدَّثنى ١) حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ الآية[٢]. قال : كانت الشياطينُ تستمِعُ الوحىَ من السماءِ ، فما سمِعوا مِن كلِمةٍ زادوا فيها مثلَها ، وإن سليمانَ أخذ ما كتبوا مِن ذلك فدفَنه تحت كرسيِّه ، فلما توفِّى وجَدَته الشياطينُ فعلَّمَته الناسَ[٢].

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن أبى بكرٍ ، عن شهرِ بنِ حَوْشبٍ ، قال : لمَّا سُلِب سليمانُ مُلكَه ، كانتِ الشياطينُ تكتُبُ السحرَ فى غَيْبةِ سليمانَ ، فكتبَت : مَن أراد أن يأتىَ كذا وكذا ، فليستقبِلِ الشمسَ ولْيقلْ كذا وكذا ، ومن أراد أن يفعَلَ كذاوكذا ، فليستدبِرِ الشمسَ ولْيقلْ كذا وكذا . [٣/ ٦٧و] فكتَبَته وجعلَتْ عُنوانَه : هذا ما كتَب آصَفُ بنُ بَرْخِيَا للملكِ سليمانَ بنِ داودَ مِن ذخائرِ كنوزِ العلمِ . ثم دفَنَته تحتَ كرسيِّه ، فلما مات سليمانُ قام إبليسُ خطيبًا فقال : يا أيُّها الناسُ ، إن سليمانَ لم يكنْ نبيًّا ، إنما كان ساحرًا ، فالتَمِسوا سحرَه فى متاعِه وبيوتِه . ثم دلَّهم على المكانِ الذى دُفِن فيه ، فقالوا : واللهِ لقد كان سليمانُ ساحرًا ، هذا سحرُه ، بهذا تعبَّدَنا ، وبهذا قهَرَنا . فقال المؤمنون : بل كان نبيًّا مؤمنًا . فلما بعَث / اللهُ النبيَّ ﷺ ، جعَل يذكُرُ الأنبياءَ حتى ذكَر داودَ وسليمانَ ، فقالتِ اليهودُ : انظُروا إلى محمدٍ ، يخلِطُ الحقَّ بالباطلِ ، يذكُرُ سليمانَ مع الأنبياءِ ، وإنما كان ساحرًا يركَبُ الريحَ . فأنزَل اللهُ عذرَ سليمانَ ، فقال[٣] : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ ﴾ الآية[٤]. ١/٤٥١

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) تقدم تخريجه من طريق عمرو بن دينار عن مجاهد فى ص ٣١٩.

(٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٩٥ عن المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٩٥ إلى المصنف .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال : حدثنا سلمةُ، قال : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ ٱلشَّيَطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ : وذلك أن رسولَ اللهِ ﷺ - فيما بلَغنى - لمَّا ذكَر سليمانَ بنَ داودَ فى المرسَلين، قال بعضُ أحبارِ يهودَ : ألَا تعجَبون مِن محمدٍ، يزعُمُ أن ابنَ داودَ كان نبيًّا، واللهِ ما كان إلا ساحرًا. فأنزَل اللهُ فى ذلك مِن قولِهم : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ ٱلشَّيَطِينَ كَفَرُوا ﴾. أى : باتباعِهم السحرَ، [١]وعملِهم[١] به، ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾[٢].

فإذ[٣] كان الأمرُ فى ذلك ما وصَفنا، وتأويلُ قولِه : ﴿ وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ ٱلشَّيَطِينَ كَفَرُوا ﴾. ما ذكَرنا، فبيِّنٌ[٤] أن فى الكلامِ متروكًا، ترِك ذكرُه اكتفاءً بما ذكِر منه، وأن معنى الكلامِ : واتَّبَعوا ما تَتْلو الشياطينُ مِن السحرِ على مُلْكِ سليمانَ، فتُضِيفُه إلى سليمانَ، وما كفَر سليمانُ فيعمَلَ بالسحرِ، ولكنَّ الشياطينَ كفَروا يعلِّمون الناسَ السحرَ.

وقد كان قتادةُ يتأوَّلُ قولَه : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ ٱلشَّيَطِينَ كَفَرُوا ﴾. على [٥]نحوِ ما ذكَرنا[٥].

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ، قال : حدثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ، قال : حدثنا سعيدٌ، عن

(١ - ١) فى ت٢، ت٣ : «وعلمهم».

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤٤.

(٣) فى م : «فإذا».

(٤) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «فتبين».

(٥ - ٥) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «ما قلنا».

قتادةَ : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَطِينَ كَفَرُوا ﴾ . يقولُ : ما كان عن مشورتِه ، ولا عن رضًا منه ، ولكنه شيءٌ افتعَلَته الشياطينُ دونَه[1] .

وقد دلَّلنا فيما مضَى قبلُ على اختلافِ المختلِفين فى معنى : ﴿ تَتْلُوا ﴾ . وتوجيهِ مَن وجَّه ذلك إلى أنه[2] بمعنى « تلَت » ، إذ كان الذى قبلَه خبرًا ماضيًا ، وهو قولُه : ﴿ وَاتَّبَعُوا ﴾ . وتوجيهِ الذين وجَّهوا ذلك إلى خلافِ ذلك ، وبيَّنا فيه وفى نظيرِه الصوابَ مِن القولِ ، فأغنَى ذلك عن إعادتِه فى هذا الموضِعِ[3] .

وأمَّا معنى قولِه : ﴿ مَا تَتْلُوا ﴾ . فإنه بمعنى : الذى تتلو ، وهو [٦٧/٣ظ] السحرُ .

كما[4] حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَنَ ﴾ . أى : السحرَ .

ولعلَّ قائلًا أن يقولَ : أوَ ما كان السحرُ إلا أيامَ سليمانَ ؟

قيل له : بل[5] قد كان ذلك قبلَ ذلك ، وقد أخبرَ اللهُ عن سَحَرةِ فرعونَ بما[6] أخبرَ عنهم ، وقد كانوا قبلَ سليمانَ ، وأخبرَ عن قومِ نوحٍ أنهم قالوا لنوحٍ إنه ساحرٌ .

فإن[7] قال : فكيف أخبرَ عن اليهودِ أنهم اتبَعوا ما تَلَته الشياطينُ فى[8] عهدِ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٧/١ (٩٩٠) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة .
(٢) فى م : « أن تتلو » .
(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٢٥٦ .
(٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بلى » .
(٦) فى م : « ما » .
(٧) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٨) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « على » .

سليمانَ ، [١]دون الخبرِ عنهم أنهم اتَّبعوا ما تَلَته الشياطينُ من ذلك أيامَ نوحٍ وأيامَ موسى ؟

قيل : إنما أخبرَ اللهُ بذلك ، تعالى ذكرُه ، عن اتِّباعِهم ما تَلَتْهُ الشياطينُ على عهدِ سليمانَ[١] ؛ لأنهم أضافوا ذلك إلى سليمانَ - على ما قد قدَّمنا البيانَ عنه - فأراد اللهُ تعالى ذكرُه تَبرئَةَ سليمانَ مما نَحَلُوه وأضافوا إليه مما كانوا وجَدوه ، إما فى خزائنِه[٢] وإما تحتَ كرسيِّه ، على ما جاءت به الآثارُ التى قد ذكَرناها من ذلك ، فخصَّ[٣] الخبرَ عما كانت اليهودُ اتبعتْه مما[٤] تَلَته الشياطينُ أيَّامئذٍ[٥] دونَ غيرِه لذلك من[٦] السببِ ، وإن كانت الشياطينُ قد كانت تاليةَ السحرِ والكفرِ قبلَ ذلك .

١/٤٥٢ / **القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه :** ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اختلف أهلُ التأويلِ[٧] فى تأويلِ « ما » التى فى قولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم :** معناها[٨] الجحدُ ، وهى بمعنى « لَمْ » .

(١ - ١) فى م : « قيل » .

(٢) فى الأصل : « خزانته » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فحصر » .

(٤) فى م : « فيما » .

(٥) فى م : « أيام سليمان » .

(٦) سقط من : م ، ت ١ .

(٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « العلم » .

(٨) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « معناه » .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمي ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ . فإنه يقولُ : لم يُنزِلِ اللهُ السحرَ[1] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا حكَّامٌ ، عن أبي جعفرٍ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ . قال : ما أنزَل اللهُ عليهما السحرَ[2] .

فتأويلُ الآيةِ على هذا المعنى الذي ذكَرناه عن ابنِ عباسٍ والربيعِ - مِن توجيهِهما معنى قولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ . أي[3] : ولم ينزِلْ على الملكين : واتَّبعوا الذي تَتلو الشياطينُ على مُلكِ سليمانَ مِن السحرِ ، وما كفر سليمانُ ، ولا أنزَل اللهُ السحرَ على الملكَينِ ، ولكنَّ الشياطينَ كفَروا ، يعلِّمون الناسَ السحرَ ببابلَ هاروتَ وماروتَ . فيكونُ حينئذٍ قولُه : ﴿ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ . مِن المؤخَّرِ الذي معناه التقديمُ .

فإن [٦٨/٣و] قال لنا قائلٌ : وكيف وجهُ تقديمِ ذلك ؟

قيل : وجهُ تقديمِه أن يقالَ : واتبَعوا ما تَتلو الشياطينُ على ملكِ سليمانَ ، [4]وما كفَر سليمانُ[4] ، وما أنزِل على الملكَين ، ولكنَّ الشياطينَ كفَروا ، يعلِّمون الناسَ السحرَ ببابلَ هاروتَ وماروتَ . فيكونُ معنيًّا بـ ﴿ ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ جبريلُ وميكائيلُ ؛

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٨/١ (٩٩٧) عن محمد بن سعد به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٨/١ عقب الأثر (٩٩٨) من طريق أبي جعفر به .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إلى » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

لأَنَّ سحَرةَ اليهودِ ، فيما ذكِر ، كانت تزعُمُ أن اللهَ أنزَل السحرَ على لسانِ جبريلَ وميكائيلَ إلى سليمانَ بنِ داودَ ، فأكذَبها اللهُ بذلك ، وأخبرَ نبيَّه محمدًا ﷺ أن جبريلَ وميكائيلَ لم ينزِلا بسحرٍ قطُّ ، وبرَّأ سليمانَ مما نحَلوه من السحرِ ، وأخبرَهم أن السحرَ مِن عملِ الشياطينِ ، وأنها تعلِّمُ الناسَ ذلك[1] ببابلَ ، وأن الذين يعلِّمونهم ذلك رجُلان ؛ اسمُ أحدِهما هاروتُ ، واسمُ الآخرِ ماروتُ ، فيكونُ هاروتُ وماروتُ على هذا التأويلِ ترجمةً عن[2] الناسِ وردًّا عليهم .

وقال آخرون[3] : تأويلُ « ما » التى فى قولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ : الذى .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : قال معمرٌ : قال قتادةُ والزهريُّ ، عن عُبيدِ[4] اللهِ : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ . كانا ملَكَينِ مِن الملائكةِ ، فأُهبِطا ليحكُما بينَ الناسِ ؛ وذلك أن الملائكةَ سخِروا مِن حكّامِ[5] بنى آدمَ . قال : فحاكَمتْ إليهما[6] امرأةٌ ، فحافَا[7] لها ، ثم ذهَبا يصعَدان فحِيل بينَهما وبينَ ذلك ، وخُيِّرا بينَ عذابِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ ، فاختارا عذابَ

---

(١) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) فى م ، ت ٢، ت ٣: « على » .

(٣) بعده فى م : « بل » .

(٤) فى م : « عبد » ، وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٠٢، والدر المنثور ١/ ٩٩.

(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، وتفسير عبد الرزاق : « أحكام » .

(٦) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « إليهم » .

(٧) فى تفسير عبد الرزاق : « فحابيا » . والمثبت موافق لما فى الدر . وقوله : « فحافا » . ضبط فى الأصل بتشديد الفاء ، وضبطناه بالتخفيف على أصل الفعل ، ومعناه : جارا وظلما ومالا عن القصد فى الحكم . وانظر التاج (ح ى ف) .

الدنيا . قال معمرٌ : وقال قتادةُ : فكانا يعلِّمان الناسَ السحرَ ، فأخِذ عليهما ألا يعلِّما[1] أحدًا حتى يقولا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[2] .

وحدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمّادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : أما قولُه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ / بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ . فهذا سحرٌ آخرُ خاصَموه به أيضًا . يقولُ : خاصَموه بما أنزِل على الملَكَين ، وأن كلامَ الملائكةِ فيما بينَهم ، إذا علِمتْه الإنسُ فصُنِع وعمِل به كان سحرًا[3] . ٤٥٣/١

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ : فالسحرُ سِحران : سحرٌ تعلِّمُه الشياطينُ ، وسحرٌ يعلِّمُه هاروتُ وماروتُ[4] .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ . قال : التفريقُ بينَ المرءِ وزوجِه[5] .

وحدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ . [٦٨/٣ظ] فقرَأ حتى بلَغ : ﴿ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . قال : الشياطينُ والملَكان يعلِّمون الناسَ

---

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « يعلمان » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٥٣/١، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٩/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٨/١ (٩٩٦) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٦/١ إلى ابن المنذر .

السحرَ .

فمعنى الآيةِ على تأويلِ هذا القولِ الذى ذكَرناه عمَّن ذكَرنا عنه : واتبَعتِ اليهودُ الذى تَلتِ الشياطينُ فى مُلكِ سليمانَ والذى أُنزِل على الملكَين ببابلَ هاروتَ وماروتَ .

[١]وقال قائلو هذه المقالةِ : إن اللهَ أنزَل السحرَ على هاروتَ وماروتَ ببابلَ[١] . وهما ملَكان مِن ملائكةِ اللهِ ، سنذكُرُ ما روِى مِن الأخبارِ فى شأنِهما بعدُ[٢] إن شاء اللهُ .

وقالوا : إن قال لنا قائلٌ : وهل يجوزُ أن يُنزِلَ اللهُ السحرَ ، أم هل يجوزُ لملائكتِه أن تعلِّمَه الناسَ ؟

قلنا له : إنَّ اللهَ تبارَك وتعالى قد أنزَل الخيرَ والشرَّ كلَّه ، وبيَّن جميعَ ذلك لعبادِه ، فأوحاه إلى رسلِه ، وأمَرهم بتعليمِ خلقِه وتعريفِهم ما يحِلُّ لهم مما يحرُمُ عليهم ، وذلك كالزِّنَا والسَّرَقِ[٣] وسائرِ المعاصى التى عرَّفَهُموها[٤] ونهَاهم عن ركوبِها ، فالسحرُ أحدُ تلك المعانى[٥] التى أخبرَهم بها ونَهاهم عن العملِ بها .

وقالوا : ليس فى العلمِ بالسحرِ إثمٌ ، كما لا إثمَ فى العلمِ بصنعةِ الخمرِ ونحتِ الأصنامِ والطَّنابيرِ[٦] والملاعبِ ، وإنما الإثمُ فى عملِه وتسويتِه .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « السرقة » . وهما بمعنى .

(٤) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عرفتمهوها » .

(٥) فى م : « المعاصى » .

(٦) الطنابير ، جمع الطُّنْبُور والطُّنْبار : من آلات الطرب ، ذو عنق طويل وستة أوتار ، معرب تَنْبور . الألفاظ الفارسية المعربة ص ١١٣.

قالوا : وكذلك لا إثمَ فى العلمِ بالسحرِ ، وإنما الإثمُ فى العملِ به ، وأن يَضُرَّ به مَن لا يَحِلُّ ضَرُّه به .

قالوا : فليس فى إنزالِ اللهِ إياه على الملَكَين ، ولا فى تعليمِ الملَكَين مَن علَّماه مِن الناسِ إثمٌ ؛ إذ[1] كان تعليمُهما مَن علَّما ذلك بإذنِ اللهِ لهما بتعليمِه ، بعدَ أن يُخبِراه أنَّهما فتنةٌ ، وينهياه عن السحرِ والعملِ به والكفرِ ، وإنما الإثمُ على مَن يتعلَّمُه منهما ويعمَلُ به ؛ إذ كان اللهُ تعالى ذكرُه قد نَهى[2] عن تعلُّمِه والعملِ به .

قالوا : ولو كان اللهُ أباح لبنى آدمَ أن يتعلَّموا ذلك ، لم يكنْ مَن تعلَّمَه[3] حَرِجًا ، كما لم يكونا حَرِجَين[4] لعلمِهما به ؛ إذ كان علمُهما بذلك عن تنزيلِ اللهِ إليهما .

وقال آخرون : معنى « مَا » معنى « الذى » ، وهى عطفٌ على « مَا » الأُولى ، غيرَ أن الأُولى فى معنى السحرِ ، ومعنى[5] الآخِرةِ فى معنى التفريقِ بينَ المرءِ وزوجِه .

فتأويلُ الآيةِ على هذا القولِ : واتَّبَعوا السحرَ الذى تَتلو الشياطينُ فى مُلكِ سليمانَ ، والتفريقَ[6] بينَ المرءِ وزوجِه الذى أُنزِل على الملَكَين ببابلَ هاروتَ وماروتَ .

---

(١) فى م : « إذا » .

(٢) فى م : « نهاه » .

(٣) بعده فى الأصل : « منهما » .

(٤) الحِرْج والحَرَج : الإثم ، والحارج : الآثم . قال ابن سيده : أراه على النسب ؛ لأنه لا فعل له . اللسان (ح ر ج) . وقال الشيخ شاكر عن استعمال الحرج بمعنى الآثم : وأهل اللغة ينكرون ذلك ، لا يقال للآثم إلا « الحارج » .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « الذى » .

ذكر من قال ذلك

١/٤٥٤ / حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ : وهما يعلِّمان ما يفرِّقون به بينَ المرءِ وزوجِه ، وذلك قولُ اللهِ - (١ وقالوا : كفَر سليمانُ ١) -: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ . فكان يقولُ : أمَّا السحرُ فإنما تُعلِّمُه الشياطينُ ، وأما الذى يعلِّمه المَلَكان فالتفريقُ بينَ المرءِ وزوجِه ، كما قال اللهُ تعالى[(٢)] .

وقال آخرون : جائزٌ أن تكونَ « مَا » بمعنى « الذى » ، وجائزٌ أن تكونَ بمعنى « لم » .

[٦٩/٣و] ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثنى الليثُ بنُ سعدٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ ، وسأله رجلٌ عن قولِ اللهِ : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ . فقال الرجلُ : يعلِّمان الناسَ ما أُنزِل عليهما ، أم يعلِّمان الناسَ ما لم يَنزِلْ عليهما ؟ قال القاسمُ : ما أبالى أيَّتهما كانت[(٣)] .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : حدَّثنى أنسُ[(٤)] بنُ عياضٍ ، عن بعضِ أصحابِه ، أن

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٩٨/١ عن المصنف . وينظر طبقات ابن سعد ٥/ ١٨٧.

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بشر » . وينظر تهذيب الكمال ٣/ ٣٤٩.

القاسمَ بنَ محمدٍ سُئل عن قولِ اللهِ : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ . فقيل له : أُنزِل أو لم يُنزَلْ ؟ فقال : لا أبالى أىَّ ذلك كان ، إلَّا أنى آمنتُ به[١] .

والصوابُ من القولِ فى ذلك عندنا قولُ من وجَّه « ما » التى فى قولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ . إلى[٢] معنى « الذى » دونَ معنى « ما » التى هى بمعنى الجحدِ . وإنما اخترتُ ذلك من أجلِ أن « مَا » إن وجِّهت إلى معنى الجَحدِ فنَفَى[٣] عن الملَكين أن يكونا مُنْزلًا إليهما ، لم[٤] يَخلُ الاسمان اللذان بعدَهما - أعنى هاروتَ وماروتَ - مِن أن يكونا بدلًا منهما وترجمةً عنهما ، أو بدلًا من « الناسِ » فى قولِه : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ . وترجمةً عنهم[٥] . فإن جُعِلا بدلًا من « الملَكين » وترجمةً عنهما ، بطَل معنى قولِه : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ . لأنهما إذا لم يكونا عالِمَين بما يُفرَّقُ به بينَ المرءِ وزوجِه ، فما الذى يُتعلَّمُ منهما مما[٦] يفرِّقُ بينَ المرءِ وزوجِه ؟

وبعدُ ، فإن « مَا » التى فى قولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ . إن كانت بمعنى[٧] الجَحْدِ عطفًا على قولِه : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ . فإن اللهَ جلّ ثناؤه نفى بقولِه : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ . عن سليمانَ أن يكونَ السحرُ من عملِه أو من علمِه أو تعليمِه ، فإن كان الذى نفَى عن الملَكين من ذلك نظيرَ الذى نفَى عن سليمانَ

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٩٨ عن المصنف . وينظر طبقات ابن سعد ٥/ ١٨٧.

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « التى » .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٣: « فتنفى » .

(٤) فى م : « ولم » .

(٥) فى م : « عنهما » .

(٦) فى م : « ما » .

(٧) فى م : « فى معنى » .

منه - وهاروتُ وماروتُ هما الملكان - فمَن المتعلِّمُ منه إذن ما يفرِّقُ به بينَ المرءِ وزوجِه ؟ وعمَّن الخبرُ الذى أخبرَ عنه بقولِه : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ ؟ إنَّ خطأَ هذا القولِ لواضحٌ بيِّنٌ .

وإن كان قولُه : ﴿ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ . ترجمةً عن « الناسِ » الذين فى قولِه : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ . فقد وجَب أن تكونَ /الشياطينُ هى التى تعلِّمُ هاروتَ وماروتَ السحرَ ، وأن[(١)] تكونَ السحرةُ إنما تعلَّمت السحرَ من هاروتَ وماروتَ عن تعليمِ الشياطينِ إياهما . فإن يكنْ ذلك كذلك ، فلنْ يخلوَ هاروتُ وماروتُ عندَ قائلى[(٢)] هذه المقالةِ من أحدِ أمرين ؛ إما أن يكونا ملَكَين ، فإن كانا عندَهم[(٣)] ملَكَين ، فقد أوجَبوا[(٤)] لهما مِن الكفرِ باللهِ والمعصيةِ له - بنسبتِهم[(٥)] إياهما إلى أنهما يتعلَّمان مِن الشياطينِ السحرَ [(٦)]والكفرَ[(٦)] ويعلِّمانه الناسَ ، وإصرارِهما على ذلك ومُقامِهما عليه - أعظمَ مما ذُكِر عنهما أنهما أتَياه مِن المعصيةِ التى استحقَّا عليها العقابَ . وفى خبرِ اللهِ تعالى ذكرُه عنهما أنهما لا يعلِّمان [٦٩/٣ظ] أحدًا ما يتعلَّمُ منهما حتى يقولا له : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . ما يُغنى عن الإكثارِ فى الدَّلالةِ على خطأِ هذا القولِ ، أو أن يكونا كانا[(٧)] رجلَين من بنى آدمَ ، فإن يكن ذلك كذلك فقد كانا يجبُ أن يكونَ بهلاكِهما قد

١/٤٥٥

(١) سقط من : م .

(٢) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « قائل » ، وغير واضحة فى : ت ١ .

(٣) فى م : « عنده » .

(٤) فى م : « أوجب » .

(٥) فى م : « بنسبته » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

ارتفَع السحرُ والعلمُ به والعملُ من بنى آدمَ ؛ لأَنه إذا كان علمُ ذلك مِن قِبَلِهما يُؤخذُ ، ومنهما يُتعلَّمُ ، فالواجبُ أن يكونَ بهلاكِهما وعدمِ وجودِهما عدمُ السبيلِ إلى الوصولِ إلى المعنى الذى كان لا يوصَلُ إليه إلا بهما . وفى وجودِ السحرِ فى كلِّ زمانٍ ووقتٍ ، أبيَنُ الدَّلالةِ على فسادِ هذا القولِ . أو[1] يزعُمُ قائلو[2] ذلك أنهما رجلان مِن بنى آدمَ لم يُعْدَما مِن الأرضِ منذُ خُلِقت الأرضُ[3] ، ولا يُعدَمان[4] ما وجِد السحرُ فى الناسِ ، فيدَّعى ما لا يَخفى بُطُولُه .

فإذ[5] فسَدتْ هذه الوجوهُ التى دلَّلنا على فسادِها ، فبيِّنٌ أن معنى « ما » التى فى قولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ . بمعنى « الذى » وأن هاروتَ وماروتَ مُترجَمٌ بهما عن « الملَكَين » ، ولذلك فُتِحت أواخرُ أسمائِهما ؛ لأنهما فى موضعِ خَفضٍ بالرَّدِّ[6] على « الملَكين » ، ولكنهما لمّا كانا لا يُجْريان[7] فُتِحت أواخرُ أسمائِهما .

فإن التبَس على ذى غباءٍ ما قلنا ، فقال : وكيف يجوزُ لملائكةِ اللهِ أن تعلِّمَ الناسَ التفريقَ بينَ المرءِ وزوجِه ؟ أم كيف يجوزُ أن يُضافَ إلى اللهِ إنزالُ ذلك على الملائكةِ ؟

قيل له : إن اللهَ جلَّ ثناؤُه عرَّف عبادَه جميعَ ما أمَرهم به ، وجميعَ ما نهاهم عنه ، ثم أمَرهم ونهاهم بعدَ العلمِ منهم بما يؤمَرون به ويُنهَون عنه ، ولو كان الأمرُ

---

(١) فى م : « وقد » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قائل » .

(٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بعد » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « فإذا » .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « على الرد » .

(٧) فى م : « يجران » . والإجراء هو الصرف . ينظر مصطلحات النحو الكوفى ص ٩٨ - ١٠١ .

على غيرِ ذلك ، لَمَّا كان للأمرِ والنهْيِ معنًى مفهومٌ ، فالسحرُ مما قد نهَى عبادَه من بنى آدمَ عنه ، فغيرُ منكَرٍ أن يكونَ جلَّ ثناؤُه علَّمه الملَكَين اللذين سمَّاهما فى تنزيلِه ، وجعَلهما فتنةً لعبادِه من بنى آدمَ ، كما أخبرَ عنهما أنهما يقولان لمَن يتعلَّمُ ذلك منهما : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . ليَختبِرَ بهما عبادَه الذين نهاهم عن التفريقِ بينَ المرءِ وزوجِه ، وعن السحرِ ، فيمحِّصَ المؤمنَ بترْكِه التعلُّمَ منهما ، ويُخزِىَ الكافرَ بتعلُّمِه السحرَ والكفرَ منهما ، ويكونُ الملَكان فى تعليمِهما مَن علَّما ذلك ، للهِ مُطِيعَين ، إذ كانا عن إذنِ اللهِ لهما بتعليمِ ذلك من علَّماه يُعلِّمان ، وقد عُبِد من دونِ اللهِ جماعةٌ من أولياءِ اللهِ ، فلم يكنْ ذلك لهم ضائرًا ، إذ لم يكنْ ذلك بأمرِهم إياهم به ، بل عُبِد بعضُهم والمعبودُ عنه ناهٍ ، فكذلك الملَكان غيرُ ضائرِهما سحرُ مَن سحَر ممن تعلَّم ذلك منهما بعدَ نهْيِهما إياه عنه ، وعظَتِهما له بقولِهما : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ [٣/٧٠و] فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . إذ كانا قد أدَّيَا ما أُمِرا به بقيلِهما ذلك .

كما حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن عوفٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . (١) قال : قولُه : ﴿ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ (١) : أُخِذ عليهما ذلك(٢) .

٤٥٦/١ / ذكرُ بعضِ الأخبارِ التى (٣) جاءت فى شأنِ (٣) الملكين (١) وأمرِهما (١) ، ومَن قال : إن هاروتَ وماروتَ هما الملكان اللذان ذكَر اللهُ فى قولِه : ﴿ (١) وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ (١) بِبَابِلَ ﴾ .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٢ (١٠١١) من طريق عباد بن منصور ، عن الحسن نحوه مطولا .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « فى بيان » .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا معاذُ بنُ هشامٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، عن قتادةَ ، قال : حدثنا أبو شعبةَ العدوىُّ فى جنازةِ يونسَ بنِ جبيرٍ أبى غَلَّابٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : إن اللهَ تبارك وتعالى أفرَج السماءَ لملائكتِه ينظُرون إلى أعمالِ بنى آدمَ ، فلما أبصَروهم يعمَلون بالخطايا ، قالوا : يارَبِّ ، هؤلاء بنو آدمَ الذى خلَقتَ بيدِك ، وأسجَدتَ له ملائكتَك ، وعلَّمته أسماءَ كلِّ شىءٍ ، يعمَلون بالخطايا . قال : أمَا إنكم لو كنتم مكانَهم لعمِلتُم مثلَ أعمالِهم . قالوا : سبحانَك ما كان ينبغى لنا . قال : فأمِروا أن يَختاروا [(١)] ملَكين ليهبِطَا [(١)] إلى الأرضِ . قال : فاختاروا هاروتَ وماروتَ ، فأُهبِطا إلى الأرضِ ، وأحِلَّ لهما ما فيها مِن شىءٍ ، غيرَ ألا يُشْرِكا باللهِ شيئًا ، ولا يسرِقا ، ولا يزنيا ، ولا يشرَبا الخمرَ ، ولا يقتُلا النفسَ التى حرَّم اللهُ إلا بالحقِّ . قال : فما أشْهرا [(٢)] حتى عرَض لهما بامرأةٍ [(٣)] قد قُسِم لها نصفُ الحسنِ ، يقالُ لها : بِيذُخْتُ [(٤)] . فلما أبصَراها كشَرا [(٥)] بها إرْبًا [(٦)] ، فقالت : لا ، إلَّا أن تُشرِكا باللهِ ، وتشرَبا الخمرَ ، وتقتُلا النفسَ ، وتسجُدا لهذا الصنمِ . فقالا : ما كنا لنشرِكَ باللهِ شيئًا . فقال أحدُهما للآخرِ : ارجِعْ إليها . فقالت : لا ، إلَّا أن تشرَبا الخمرَ . فشرِبا حتى ثَمِلا [(٧)] ، ودخَل عليهما سائلٌ فقتَلاه ، فلما وقَعا فيما وقَعا فيه مِن الشرِّ ، أفرَج اللهُ

(١ - ١) فى م : « من يهبط » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « استمرا » . وأشهر : أتى عليه شهر . التاج (ش هـ ر) .

(٣) فى م : « امرأة » .

(٤) فى الأصل : « بيدخت » . بالدال المهملة . وتقال بالوجهين . ينظر نهاية الأرب ١/ ٣٩ .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى م : « أرادا » ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « كسرا » . وكتب فى حاشية الأصل : « فى الأم : كُسرا » وصححها .

وكشَر عن أسنانه : إذا أبدى ، يكون فى الضحك وغيره . وقد كاشره : إذا ضحك فى وجهه وباسطه . والكَشْرُ ضرب من النكاح . التاج (ك ش ر) . ولعله كنى بذلك عن إرادة الزنا والمراودة .

(٦) فى م : « زنا » .

(٧) ثمِل يَثْمَل ثمَلا : إذا سكر وأخذ فيه الشراب . اللسان (ث م ل) .

السماءَ لملائكتِه ، فقالوا : سبحانَك كنتَ أنتَ[(١)] أعلمَ . قال : فأوحَى اللهُ إلى سليمانَ ابنِ داودَ أن يُخيِّرَهما بينَ عذابِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ ، فاختارا عذابَ الدنيا ، فكُبِّلا مِن أكعبِهما إلى أعناقِهما بمثلِ أعناقِ البُخْتِ[(٢)] ، وجُعِلا ببابلَ[(٣)] .

حدَّثني المثنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا الحجاجُ بنُ المنهالِ ، قال : حدَّثنا حمادٌ[(٤)] ، عن[(٥)] عليِّ بنِ زيدٍ ، عن أبي عثمانَ النهديِّ ، [٧٠/٣ظ] عن ابنِ مسعودٍ وابنِ عباسٍ أنهما قالا : لمّا كثُر بنو آدمَ وعصَوْا ، دعَت الملائكةُ عليهم والأرضُ والسماءُ والجبالُ : ربَّنا [(٦)]ألّا تهلِكُهم[(٦)] ؟ فأوحَى اللهُ إلى الملائكةِ : إني لو أنزلْتُ الشهوةَ والشيطانَ مِن قلوبِكم ، ولو نزَلتم لفعَلتُم أيضًا .قال : فحدَّثوا أنفسَهم أن لو[(٧)] ابتُلوا اعتصَموا . فأوحَى اللهُ إليهم أن اختاروا ملكين مِن أفضلِكم . فاختاروا هاروتَ وماروتَ ، فأهبِطا إلى الأرضِ ، وأنزِلت الزُّهَرةُ إليهما في صورةِ امرأةٍ مِن أهلِ فارسَ ، كان أهلُ فارسَ يسمُّونها بِيذُخْتْ . قال : فوقَعا بالخطيئةِ ، وكانت الملائكةُ يستغفِرون للذين آمنوا : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر : ٧] . فلما وقَعا بالخطيئةِ استغفَروا لمَن في الأرضِ : ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى : ٥] . فخُيِّرا بينَ عذابِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ ، فاختارا

---

(١) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) البخت : الإبل الخراسانية . اللسان (ب خ ت) .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٠/١ إلى المصنف . وإسناده ضعيف لجهالة أبي شعبة العدوي .

(٤) في م : « حجاج » ، وينظر تفسير ابن كثير ٢٠٠/١.

(٥) في الأصل : « بن » .

(٦ - ٦) في العقوبات لابن أبي الدنيا : « أهلكهم » ، وفي تفسير ابن كثير : « لا تهلكهم » ، وفي الدر المنثور : « لا تمهلهم » . وكذا في بعض طبعات ابن كثير كما أشار محققوه .

(٧) سقط من : الأصل ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

عذابَ الدنيا[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا الحجاجُ ، قال : حدَّثنا حمادٌ ، عن خالدٍ الحذَّاءِ ، عن عميرِ[(٢)] بنِ سعيدٍ ، قال : سمعتُ عليًّا يقولُ : كانت الزُّهَرةُ امرأةً جميلةً من أهلِ فارسَ ، وإنها خاصَمت إلى الملَكَين هاروتَ وماروتَ ، فراوَداها عن نفسِها ، فأبَت عليهما إلا أن يعلِّمَاها الكلامَ الذى إذا تُكُلِّم به يُعرَجُ به إلى السماءِ ، فعلَّماها ، فتكلَّمَت ، فعرَجَت إلى السماءِ فمُسِخَت كوكبًا[(٣)] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ومحمدُ بنُ المثنَّى ، قالا : ثنا مُؤَمَّلُ بنُ إسماعيلَ ، وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، جميعًا عن الثوريِّ ،عن موسى[(٤)] بنِ عقبةَ ، عن سالمٍ ، عن ابنِ عمرَ ، عن كعبٍ ، قال : ذكَرت الملائكةُ أعمالَ بنى آدمَ وما يأْتُون من الذنوبِ ، فقيل لهم : اخْتاروا منكم/ اثنين- وقال الحسنُ بنُ يحيى ١/٤٥٧ فى حديثِه : اختاروا ملَكَين - فاختاروا هاروتَ وماروتَ ، فقيل لهما : إنى أرسِلُ إلى بنى آدمَ رُسُلًا ، وليس بينى وبينَكما رسولٌ ، انزِلا ، لا تُشرِكا بى شيئًا ، ولا تزنيا ، ولا تشرَبا الخمرَ . قال كعبٌ : فواللهِ ما أمسَيا مِن[(٥)] يومِهما الذى أُهبِطا فيه إلى الأرضِ

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا فى العقوبات (٢٢١) من طريق حماد بن سلمة به .

(٢) فى م : « عمرو » .

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه فى مسنده - كما فى المطالب العالية (٣٨٩٢) - وابن أبى الدنيا فى العقوبات (٢٢٣) ، وأبو الشيخ فى العظمة (٧٠٢) ، والحاكم ٢/٢٦٥ من طريق عمير بن سعيد عن على مطولا ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين . وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٩٩ عن المصنف ، وقال : وهذا الإسناد رجاله ثقات ، وهو غريب جدا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٩٧ إلى عبد بن حميد .

(٤) فى م : « محمد » .

(٥) فى الأصل : « فى » .

حتى استكمَلا جميعَ ما نُهِيا عنه . وقال الحسنُ بنُ يحيى فى حديثِه : فما استَكمَلا يومَهما الذى أنزِلا فيه حتى عَمِلا ما حرَّم اللهُ عليهما[(١)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا معلَّى بنُ أسدٍ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ بنُ المختارِ ، عن موسى بنِ عقبةَ ، قال : حدَّثنى سالمٌ ، أنه سمِع عبدَ اللهِ يحدِّثُ عن كعبِ الأحبارِ ، أنه حدَّث أن الملائكةَ أنكَروا أعمالَ بنى آدمَ وما يأْتُون فى الأرضِ مِن المعاصى ، فقال اللهُ لهم : إنكم لو كنتم مكانَهم أتيتم ما يأتون مِن الذنوبِ ، فاختاروا منكم ملَكَين . فاختاروا هاروتَ وماروتَ اختيارًا[(٢)] ، فقال [٧١/٣و] اللهُ لهما : إنى أرسِلُ رُسلى إلى الناسِ ، وليس بينى وبينَكما رسولٌ ، انزِلا إلى الأرضِ ، ولا تُشرِكا بى شيئًا ولا تزنِيَا . فقال كعبٌ : والذى نفسُ كعبٍ بيدِه ، ما استكمَلا يومَهما الذى نزَلا فيه حتى أتَيا كلَّ[(٣)] ما حُرِّم عليهما .

وحدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : إنه كان مِن أمرِ هاروتَ وماروتَ أنهما طعَنا على أهلِ الأرضِ فى أحكامِهم ، فقيل لهما : إنى أعطَيتُ بنى[(٤)] آدمَ عشرًا مِن الشهواتِ فبها يعصوننى . قال هاروتُ وماروتُ : ربَّنا لو أعطَيتنا تلك الشهواتِ ثم نزَلنا ، لحكمْنا بالعدلِ . فقال لهما : انزِلا ، فقد أعطَيتُكما تلك الشهواتِ العشرَ ، فاحكُما بينَ الناسِ . فنزَلا ببابلِ دُنْباوَنْدَ[(٥)] ،

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٩٠ (١٠٠٦) من طريق مؤمل به . وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١/ ٥٣، وابن أبى شيبة ١٣/ ١٨٦، وابن أبى الدنيا فى العقوبات (٢٢٤) ، والبيهقى فى الشعب (١٦٤) من طريق الثورى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٨/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) سقط من : م .

(٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) فى م : « ابن » .

(٥) دُنْباوَند لغة فى دُبَاوَنْد ، ودُباوَنْد كورة من كور الرى بينها وبين طبرستان ، ودُنْباوند جبل من نواحى =

فكانا[1] يحكُمان ، حتى إذا أمسَيا عرَجا ، فإذا أصبَحا هبَطا ، فلم يزالا بذلك حتى أتَتْهما امرأةٌ تخاصِمُ زوجَها ، فأعجَبهما حسنُها - واسمُها بالعربيةِ الزُّهَرةُ ، واسمُها[2] بالنَّبطيةِ بِيذُخْتْ ، واسمُها بالفارسيةِ أناهِيذ - فقال أحدُهما لصاحبِه : إنها لتُعجِبُنى . قال الآخرُ : قد أردتُ أن أذكرَ لك ذلك[2] فاستحييتُ منك . فقال الآخرُ : هل لك أن أذكرَها لنفسِها ؟ قال : نعم ، ولكن كيف لنا بعذابِ اللهِ ؟ قال الآخرُ : إنا نرجُو رحمةَ اللهِ . فلما جاءت تخاصِمُ زوجَها ذكَرا لها[3] نفسَها ، فقالت : لا ، حتى تقضِيا لى على زوجى . فقضَيا لها على زوجِها ، ثم واعَدتْهما خَرِبةً من الخَرِبِ يأتيانها فيها ، فأتياها لذلك ، فلما أراد الذى يواقعُها ، قالت : ما أنَا بالذى أفْعَلُ حتى تخبرانى بأىِّ كلامٍ تصعَدان إلى السماءِ ، وبأىِّ كلامٍ تنزِلان منها . فأخبَراها فتكلَّمت فصعِدت ، فأنساها اللهُ ما تَنْزِلُ به ، فبقِيت مكانَها ، وجعَلها اللهُ كوكبًا - فكان عبدُ اللهِ بنُ عمرَ كلما رآها لعَنها وقال : هذه التى فتَنت هاروتَ وماروتَ - فلما كان الليلُ أرادا أن يصعَدا فلم يُطِيقا[4] ، فعرَفا الهَلَكةَ[5] ، فخُيِّرا [6]عذابَ الدنيا من عذابِ[6] الآخرةِ ، فاختارا عذابَ الدنيا[7] ، فعُلِّقا ببابلَ ، وجعَلا يكلِّمان الناسَ كلامَهما ، وهو السحرُ[8] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : لما وقَع الناسُ مِن بعدِ آدمَ فيما وقَعوا فيه مِن المعاصِى والكفرِ باللهِ ، قالت

= الرى . معجم البلدان ٢/ ٥٤٤، ٦٠٦.

(١) فى الأصل : « فكان » .

(٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) فى م ، ت ٢، ت ٣: « إليها » .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يستطيعا » .

(٥) فى م ، ت ١، ت ٣: « الهلك » .

(٦ - ٦) فى م: « بين عذاب الدنيا و » .

(٧) بعده فى م : « من عذاب الآخرة » .

(٨) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٢٠٢.

الملائكةُ فى السماءِ : أىْ ربِّ، هذا العالَمُ إنما خلقتَهم لعبادتِك وطاعتِك ، وقد رَكِبوا الكفرَ ، وقتلَ النفسِ الحرامِ ، وأكلَ المالِ الحرامِ ، والسرقةَ ، والزنا ، وشرْبَ الخمرِ . فجعَلوا يدعون عليهم ولا يَعْذِرونهم ، فقيل لهم : إنهم فى غَيْبٍ . فلم يعذِروهم ، فقيل لهم : اختاروا منكم ملَكَين آمرُهما بأمرى ، وأنْهاهما عن معصيتى . فاختاروا هاروتَ وماروتَ ، فأُهبِطا إلى/ الأرضِ ، وجعِل لهما[(١)] شهواتُ بنى آدمَ ، وأمِرا [٧١/٣ظ] أن يعبُدا اللهَ ، وألا يشرِكا به شيئًا ، ونُهِيا عن قتلِ النفسِ الحرامِ ، وأكلِ المالِ الحرامِ ، والسرقةِ ، والزنا ، وشربِ الخمرِ ، فلبِثا فى الأرضِ على ذلك زمانًا يحكُمان بينَ الناسِ بالحقِّ - وذلك فى زمانِ إدريسَ - وفى ذلك الزمانِ امرأةٌ حسنُها فى سائرِ النساءِ[(٢)] كحسنِ الزُّهَرةِ فى سائرِ الكواكبِ ، وأنها أتَت عليهما ، فخضَعا لها بالقولِ ، وأراداها على نفسِها ، وأنها أبَت إلا أن يكونا على أمرِها ودينِها ، وأنهما سألاها عن دينِها الذى[(٣)] هى عليه ، فأخرَجت لهما صنمًا ، فقالت : هذا أعبُدُ . فقالا : لا حاجةَ لنا فى عبادةِ هذا . فذهَبا فصبرَا ما شاء اللهُ ، ثم أتَيا عليها فخضَعا لها بالقولِ ، وأراداها على نفسِها ، فقالت : لا ، إلَّا أن تكونا على ما أنا عليه . فقالا : لا حاجةَ لنا فى عبادةِ هذا . فلما رأتْ أنهما قد[(٤)] أبَيا أن يعبُدا الصنمَ ، قالت لهما : اختارا إحدَى الخِلالِ الثلاثِ ؛ إما أن تعبُدا الصنمَ ، أو تقتُلا النفسَ ، أو تشرَبا هذه[(٤)] الخمرَ . فقالا : كلُّ هذا لا ينبغى ، وأهونُ الثلاثِ شُرْبُ الخمرِ . فسقَتْهما الخمرَ حتى إذا[(٥)] أخَذتِ الخمرُ فيهما[(٦)] ، وقَعا بها ، فمرَّ بهما إنسانٌ وهما فى ذلك ، فخشِيا أن يُفشِىَ عليهما

١/٤٥٨

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، والدر المنثور : « بهما » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، والدر المنثور : « الناس » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « التى » .

(٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) بعده فى الأصل : « وأنهما » .

فقتَلاه ، فلما أن ذهَب عنهما السكرُ ، عرَفا ما قد[(١)] وقَعا فيه مِن الخطيئةِ ، وأرادا أن يصعَدا إلى السماءِ فلم يستطِيعا ، فحِيل بينَهما وبينَ ذلك ، وكُشِف الغطاءُ فيما[(٢)] بينهما وبينَ أهلِ السماءِ ، فنظَرتِ الملائكةُ إلى ما قد[(١)] وقَعا فيه مِن الذنبِ ، فعجِبوا كلَّ العَجَبِ ، و[(٣)]عرَفوا أنه[(٣)] مَن كان فى غَيْبٍ فهو أقلُّ خشيةً[(٤)] ، فجعَلوا بعدَ ذلك يستغفِرون لمَن فى الأرضِ . وإنهما لمّا وقَعا فيما وقَعا فيه مِن الخطيئةِ ، قيل لهما : اختارا عذابَ الدنيا أو عذابَ الآخرةِ . فقالا : أمَّا عذابُ الدنيا فإنه ينقطِعُ [(٥)]ويذهَبُ[(٥)] ، وأمَّا عذابُ الآخرةِ فلا انقطاعَ له . فاختارا عذابَ الدنيا ، فجُعِلا ببابلَ ، فهما يعذَّبان[(٦)] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا فرجُ بنُ فَضالةَ ، عن معاويةَ ابنِ صالحٍ ، عن نافعٍ ، قال : سافَرتُ مع ابنِ عمرَ ، فلما كان مِن آخرِ الليلِ ، قال : يا نافعُ ، انظُرْ ، طلعتِ الحمراءُ ؟ [(٧)]قلتُ : لا[(٧)] . مرَّتين أو ثلاثًا ، ثم قلتُ : قد طلَعت . قال : لا مرحبًا بها[(٨)] ولا أهلًا . قلت : سبحانَ اللهِ ، نجمٌ مسخَّرٌ سامعٌ مطيعٌ ! قال : ما قلتُ لك إلا ما سمِعتُ من رسولِ اللهِ ﷺ - أو[(٩)] قال : قال لى[(١٠)] رسولُ اللهِ ﷺ - :

---

(١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى م : « علموا أن » .

(٤) فى م : « غشية » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٠٠ إلى المصنف . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٨٩ (١٠٠٥) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن قيس بن عباد ، عن ابن عباس قوله ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٢٠١ عن ابن أبى حاتم ، وقال : رواه الحاكم فى مستدركه مطولا عن ... أبى جعفر الرازى به ، ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . فهذا أقرب ما روى فى شأن الزهرة ، والله أعلم .

(٧ - ٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قالها » .

(٨) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٩) فى م : « و » .

(١٠) سقط من الأصل .

« إنَّ الملائكةَ قالت : يا ربِّ ، كيف صبرُك على بنى آدمَ فى الخطايا والذنوبِ ؟ قال : إنى ابتَليتُهم وعافَيتُكم . قالوا : لو كنا مكانَهم ما عصَيناك . قال : فاختارُوا ملَكَين منكم » . قال : « فلم يألُوا أن يختارُوا ، فاختارُوا هاروتَ وماروتَ »[1] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : أمّا شأنُ هاروتَ وماروتَ ، فإن [٧٢/٣و] الملائكةَ عجِبت من ظلمِ بنى آدمَ ، وقد جاءتْهم الرسلُ والكتبُ والبيناتُ ، فقال لهم ربُّهم : اختاروا منكم ملَكَين أُنزِلْهما يحكُمان فى الأرضِ بين بنى آدمَ . فاختاروا - [2]فلم يألُوا[2] - هاروتَ وماروتَ . فقال لهما حينَ أنزَلهما : أَعجِبتما مِن بنى آدمَ ومِن ظلمِهم ومعصيتِهم ، وإنما تأتِيهم الرسلُ والكتبُ مِن وراءَ وراءَ ؟! وأنتما ليس بينى وبينَكما رسولٌ ، فافعَلا كذا وكذا ، ودعا كذا وكذا . فأمَرهما بأمرٍ ونهاهما ، ثم نزَلا على ذلك ، ليس أحدٌ أطوعَ للهِ منهما ، فحكَما فعدَلا ، فكانا يحكُمان النهارَ بين بنى آدمَ ، فإذا أمسَيا عَرَجا وكانا مع الملائكةِ ، وينزِلان حين يصبِحان فيحكُمان فيعدِلان ، حتى أُنزِلت عليهما الزُّهَرةُ فى أحسنِ صورةِ امرأةٍ / تخاصِمُ ، فقضَيا عليها ، فلما قامت وجَد كلُّ واحدٍ منهما فى نفسِه ، فقال أحدُهما لصاحبِه : وجَدتَ مثلَ ما وجَدتُ ؟ قال : نعم . فبعَثا إليها : أنِ ائتِينا نَقْضِ لكِ . فلما رجَعت ، قالا لها - وقضيا لها - : ائتِينا . فأتتهما ، فتكشَّفا لها عن عورتِهما ، وإنما كانت شهوتُهما فى أنفسِهما ، ولم يكونا كبنى آدمَ فى شهوةِ النساءِ ولذتِها ، فلما بلَغا ذلك واستحلَّاه وافتُتِنا ، طارتِ الزُّهَرةُ فرجَعت حيث كانت ، فلما

٤٥٩

---

(١) أخرجه سنيد - كما فى الدر المنثور ٩٧/١ - ومن طريقه الخطيب ٨/ ٤٢، وابن الجوزى فى الموضوعات ١/ ١٨٦، والذهبى فى الميزان ٢/ ٢٣٦. وذكره ابن كثير فى تفسيره ١٩٩/١ عن المصنف ، وقال : غريب جدا ، وأقرب ما فى هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار ، لا عن النبى ﷺ .... وينظر تفسير ابن كثير ١٩٨/١ - ٢٠٠، والدر المنثور ١/ ٩٧، ٩٨، والضعيفة (٩١٢).

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

أمسَيا عَرَجا فزُجِرا[(١)] فلم يؤذنْ لهما ، ولم تحمِلْهما أجنِحَتُهما ، فاستغاثا برجلٍ من بنى آدمَ ، فأتَياه فقالا : ادعُ لنا ربَّك . فقال : كيف يشفَعُ أهلُ الأرضِ لأهلِ السماءِ ؟ قالا : سمِعنا ربَّك يذكُرُك بخيرٍ فى السماءِ . فوعَدهما يومًا وغدًا[(٢)] ؛ يدعو لهما ، فدَعا لهما فاستُجيب له ، فخيِّرا بين عذابِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ ، فنظَر أحدُهما إلى صاحبِه [(٣)] فقال : ألا تعلمُ [(٣)] أن أفواجَ[(٤)] عذابِ اللهِ فى الآخرةِ كذا وكذا فى الخلدِ[(٥)] ، ومع الدنيا سبعَ[(٦)] مراتٍ مثلَها . فأُمِرا أن ينزِلا ببابلَ ، فثَمَّ عذابُهما ، وزُعِم أنهما معلَّقان فى الحديدِ مَطويَّان ؛ يصطَفِقان[(٧)] بأجنِحَتِهما[(٨)] .

قال أبو جعفرٍ : وحُكِى عن بعضِ القرأةِ أنه كان يَقْرَأُ ذلك : (وما أُنزِل على المَلِكينِ) . يعنى به : رجلين مِن بنى آدمَ[(٩)] .

---

(١) فى م : « فردا » ، وفى ت ١ : « فرجعا » ، وفى ت ٢ : « فرجوا » .

(٢) فى م : « وغدا » .

(٣ - ٣) فى م : « فقالا نعلم » .

(٤) فى م : « أنواع » .

(٥) بعده فى الأصل : « نعم » . وعليها استشكال .

(٦) فى تفسير ابن كثير : « تسع » .

(٧) فى تفسير ابن كثير : « يصفقان » . واصطفق القوم : اضطربوا . اللسان (ص ف ق) .

(٨) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٠٤) من طريق أبى حذيفة به مختصرًا . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٢ (١٠٠٩) من طريق ابن جريج ، عن مجاهد مختصرا . وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٢٠٣ كاملًا ثم قال : وقد روى فى قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين ، كمجاهد والسدى والحسن و... وغيرهم ، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين ، وحاصلها راجع فى تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل ، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى ، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها ، فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن على ما أراده الله تعالى ، والله أعلم بحقيقة الحال .

(٩) قرأها كذلك ابن عباس والحسن وأبو الأسود الدؤلى والضحاك وابن أبزى ، وهى قراءة شاذة . المحتسب ١/١٠٠ ، والبحر المحيط ١/ ٣٢٩. وأخرج قراءة ابن أبزى والضحاك ابن أبى حاتم فى تفسيره (١٠٠٠، ١٠٠٢) .

وقد دلَّلْنا على خطأِ القراءةِ بذلك مِن جهةِ الاستدلالِ(١) ، فأما مِن جِهَةِ النقلِ ، فإجماعُ الحجةِ على خطأِ القراءةِ بها من الصحابةِ والتابعين وقرأةِ الأمصارِ . وكفَى بذلك شاهدًا على خطئِها .

وأما قولُه : ﴿ بِبَابِلَ ﴾ . فإنه اسمُ قريةٍ أو موضعٍ مِن مواضعِ الأرضِ .

وقد اختلَف أهلُ التأويلِ فيها ؛ فقال بعضُهم : إنها ببابلِ دُنْباوَنْدَ .

حَدَّثني بذلك موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ(٢) .

وقال بعضُهم : بل ذلك ببابلِ العراقِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ أبي الزنادِ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ في قصةٍ [٧٢/٣ظ] ذكَرتها عن امرأةٍ قدِمت المدينةَ ، فذكَرت أنها صارت بالعراقِ ببابلَ ، فأتَت بها هاروتَ وماروتَ ، فتعلَّمت منهما السحرَ(٣) .

واختُلف في معنى السحرِ ؛ فقال بعضُهم : هو خُدَعٌ ومَخاريقُ ومعانٍ يفعَلُه الساحرُ ، حتى يُخَيَّلَ إلى المسحورِ الشيءُ أنه بخلافِ ما هو به ، نظيرَ الذي يرى السَّرابَ مِن بعيدٍ ، فيُخَيَّلُ إليه أنه ماءٌ ، ويرَى الشيءَ مِن بعيدٍ(٤) فيه ، فيتبيَّنُه(٤) بخلافِ ما هو به(٥) على حقيقتِه ، وكراكبِ السفينةِ السائرةِ سيرًا حثيثًا يُخَيَّلُ إليه أن ما عاين مِن

---

(١) ينظر ما تقدم في ص ٣٣٨ ، ٣٣٩.

(٢) تقدم تخريجه في ص ٣٤٥ .

(٣) سيأتي تخريجه في ص ٣٥٣ .

(٤ - ٤) في م : « فيثبته » .

(٥) سقط من : م .

الأشجارِ والجبالِ سائرٌ معه . قالوا : فكذلك المسحورُ ، ذلك صفتُه ، يحسَبُ بعدَ الذى وصَل إليه مِن سحرِ الساحرِ أن الذى يراه أو يفعلُه بخلافِ الذى هو به على حقيقتِه .

كالذى **حدَّثنى** أحمدُ بنُ الوليدِ وسفيانُ بنُ وكيعٍ ، قالا : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أن النبيَّ ﷺ لمّا سُحِر ، كان يُخَيَّلُ إليه أنه يفعلُ الشيءَ ولم يَفْعَلْه[1] .

وحدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا ابنُ نميرٍ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، قالت : سحَر / رسولَ اللهِ ﷺ يهوديٌّ مِن يهودِ بنى زُرَيقٍ ، يقالُ له : لبيدُ ابنُ الأعصمِ . حتى كان رسولُ اللهِ ﷺ يُخَيَّلُ إليه أنه يفعلُ الشيءَ وما يَفْعَلُه[2] .

١/٤٦٠

حدَّثنا يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرَنى يونسُ ، عن ابنِ شهابٍ ، قال : كان عروةُ بنُ الزبيرِ وسعيدُ بنُ المسيِّبِ يحدِّثان أن يهودَ بنى زُرَيقٍ عقَدوا عُقَدَ سِحْرٍ لرسولِ اللهِ ﷺ ، فجعَلوها فى بئرِ حَزْمٍ[3] ، حتى كان رسولُ اللهِ ﷺ يُنكِرُ[4] بصرَه ، ودلَّه اللهُ على ما صنَعوا ، فأرسَل رسولُ اللهِ ﷺ إلى بئرِ حزْمٍ التى فيها العُقَدُ فانْتزَعها ، فكان رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ : « سحرَتْنى يهودُ بنى زريقٍ »[5] .

---

(١) أخرجه أحمد ٦/ ٥٠ (٢٤٢٨٣) ، والبخارى (٣١٧٥) من طريق يحيى بن سعيد به . وأخرجه أحمد ٦/ ٦٣ (٢٤٣٩٣) ، والبخارى (٣٢٦٨) ، ومسلم (٢١٨٩) ، وغيرهم من طرق عن هشام به .

(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٩) من طريق ابن نمير به .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حزم » بالزاى ، وفى صحيح مسلم : « بئر ذى أروان » . قال الإمام النووى فى شرح مسلم ١٤/ ١٧٧ : هكذا هو فى جميع نسخ مسلم : ذى أروان . وكذا وقع فى بعض روايات البخارى ، وفى معظمها : « ذروان » . وكلاهما صحيح ، والأول أجود وأصح ، وادعى ابن قتيبة أنه الصواب ، وهو قول الأصمعى ، وهى بئر بالمدينة فى بستان بنى زريق .

(٤) فى جامع معمر : « يغض » .

(٥) أخرجه معمر فى جامعه (١٩٧٦٤) عن ابن شهاب به ، ولم يذكر اسم البئر . وأخرجه ابن سعد ٢/ ١٩٨ من طريق ابن شهاب به ، مقتصرا على آخره .

=

وأنكَر قائلو هذه المقالةِ أن يكونَ الساحرُ يَقدِرُ بسحْرِه على قلبِ شيءٍ عن حقيقتِه ، أو[1] استسخارِ[2] شيءٍ مِن خلقِ اللهِ إلا نظيرَ الذى يقدِرُ عليه مِن ذلك سائرُ بنى آدمَ ، أو إنشاءِ شيءٍ مِن الأجسامِ سوى المخاريقِ والخُدَعِ المتخيَّلةِ لأبصارِ الناظرين ، بخلافِ حقائقِها التى وصَفنا . وقالوا : لو كان فى وُسعِ السحرةِ إنشاءُ الأجسامِ ، وقلبُ حقائقِ الأعيانِ عما هى به مِن الهيئاتِ ، لم يكنْ بينَ الباطلِ والحقِّ فصلٌ[3] ، ولجاز أن تكونَ جميعُ المحَسّاتِ[4] مما سحَرته السحرةُ فقلَبت أعيانَها . قالوا : وفى وصفِ اللهِ جلَّ وعزَّ سحرَ[5] سحَرةِ فرعونَ بقولِه : ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ٦٦] . وفى خبرِ عائشةَ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه كان إذ[6] سُحِر يخيَّلُ إليه أنه يفعَلُ الشيءَ وهو لا يفعلُه - أوضحُ الدَّلالةِ على بُطُولِ دعْوَى المدَّعِين - أن الساحرَ يُنشئُ أعيانَ الأشياءِ بسحرِه ، ويستسْخِرُ ما يتعذَّرُ استِسخارُه على غيرِه مِن بنى آدمَ ، كالمواتِ والجمادِ والحيوانِ - وصحةِ ما قلنا .

وقال آخرون : قد يقدِرُ الساحرُ بسحرِه أن يحوِّلَ الإنسانَ حمارًا ، وأن يَسحَرَ

= وقال الحافظ فى الفتح ١٠/ ٢٢٦، ٢٢٧: قال المازرى : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث ، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها ... وهذا كله مردود ؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبى ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى ، وعلى عصمته فى التبليغ ، والمعجزات شاهدات بتصديقه ، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل ، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التى لم يبعث لأجلها ، ولا كانت الرسالة من أجلها ، فهو فى ذلك عرضة لما يعترض البشر ، كالأمراض ... . وعقد القاضى عياض فى هذا البحث فصلا جيدا فى الشفا ٢/٨٦٥ وما بعدها .

(١) فى م : « و » .

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « استحسان » .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فضل » .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « المحسوسات » .

(٥) سقط من : م .

(٦) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « إذا » .

(١ الحيوانَ والجمادَ ١) ، وينشِئَ أعيانًا وأجسامًا .

واعتلُّوا في ذلك بما حدَّثنا به الربيعُ بنُ سليمانَ ، قال : ثنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرَنى ابنُ أبي الزنادِ ، قال : حدَّثنى هشامُ بنُ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ أنها قالت : قدِمت علىَّ امرأةٌ مِن أهلِ دُومَةِ الجندلِ[٢] ، جاءت تَبتغى رسولَ اللهِ ﷺ بعدَ موتِه[٣] حَدَاثةَ ذلك ، تسألُه عن شيءٍ دخَلتْ فيه من أمرِ السحرِ ولم تعمَلْ به . قالت عائشةُ لعروةَ : يا بنَ أختى ، فرأيتُها تبكى حينَ لم تجِدْ رسولَ اللهِ ﷺ فيشفِيَها ، كانت تبكى حتى إنى لأرحَمُها ، وتقولُ : إنى لأخافُ أن أكونَ قد هلَكْتُ ، كان لى زوجٌ فغاب عنى ، فدخَلَت علىَّ عجوزٌ فشكَوتُ ذلك إليها ، فقالت : إن فعَلتِ ما آمرُكِ به ، فأجعلُه يأتيك . فلما كان الليلُ جاءتْنى بكلبَين أسودَين ، فركِبتْ أحدَهما وركِبتُ الآخرَ ، فلم يكنْ كشيءٍ[٤] حتى وقَفنا ببابلَ ، فإذا برجلَين [٧٣/٣و] معلَّقَين بأرجلِهما ، فقالا : ما جاء بكِ ؟ فقلتُ : أتعلَّمُ السحرَ . فقالا : إنما نحن فتنةٌ ، فلا تكفُرى وارجِعى . فأبَيْتُ ، وقلتُ : لا . قالا : فاذهَبى إلى ذلك التنُّورِ فبُولى فيه ./ فذهَبتُ ففزِعتُ فلم أفعلْ ، فرجَعتُ إليهما ، فقالا : أفعَلتِ ؟ فقلتُ : نعم . قالا : فهل رأيتِ شيئًا ؟ قلتُ : لم أرَ شيئًا . فقالا : لم تفعَلى ، ارجِعى إلى بلادِك ولا تكفُرى . (٥ فأرْبَبْتُ وأبيتُ ٥) ، فقالا : اذهَبى إلى ذلك التنورِ فبولى فيه . فذهَبتُ فاقشعرَرْتُ وخفتُ ، ثم رجعتُ إليهما فقلتُ : قد فعلتُ .

٤٦١/١

(١ - ١) فى م : « الإنسان والحمار » .

(٢) دومة الجندل : هى ما بين برك الغماد ومكة . معجم ما استعجم ٢/ ٥٦٤ .

(٣) بعده فى الأصل : « فى » .

(٤) هذه اللفظة ليست عند ابن أبى حاتم ، حيث أورده مختصرًا ، وفى المستدرك : « مكثى » ، وفى سنن البيهقى : « كثير » .

(٥ - ٥) فى م : « فأبيت » . وأرب فلان بالمكان : إذا أقام به فلم يبرحه . التاج (ر ب ب) .

فقالا : فما رأيتِ ؟ فقلتُ : لم أرَ شيئًا . فقالا : كذَبتِ لم تفعَلى ، ارجِعى إلى بلادِك ولا تكفُرى ، فإنك على رأسِ أمرِكِ[١] . فأرْبَبْتُ وأبيتُ ، فقالا : اذهَبى إلى ذلك التنُّورِ فبولى فيه . فذهَبتُ إليه فبُلتُ فيه ، فرأيتُ فارسًا مُتقنِّعًا بحديدٍ خرَج منه[٢] حتى ذهَب فى[٣] السماءِ ، وغاب عنى حتى ما أراه . فجئتُهما فقلتُ : قد فعلتُ . فقالا : فما رأيتِ ؟ فقلتُ : رأيتُ[٤] فارسًا مُتقنِّعًا خرَج منه[٢] ، فذهَب فى السماءِ حتى ما أراه . فقالا : صدَقتِ ، ذلك إيمانُكِ خرَج منك ، اذهبى . فقلتُ للمرأةِ : واللهِ ما أعلمُ شيئًا ، وما قالا لى شيئًا . فقالت : بلى ، لن تريدى شيئًا إلا كان ، خُذى هذا القمحَ فابذُرى . فبذَرتُ ، فقلتُ : أطْلِعى . فأطْلَعتْ ، وقلت : أحْقِلى . فأحْقَلت ، ثم قلت : (٥)أفْرِكى . فأفْرَكَتْ(٥) ، ثم قلت : أيْبِسى . فأيْبَست ، ثم قلت : أطْحِنى . فأطْحَنَتْ ، ثم قلتُ : أخبِزى . فأخبَزتْ . فلمّا رأيتُ أنى لا أريدُ شيئًا إلا كان ، سُقِط فى يدِى وندِمتُ ، واللهِ يا أمَّ المؤمنين[٦] ما فعلتُ شيئًا قطُّ ولا أفعلُه أبدًا[٧] .

فقال أهلُ هذه المقالةِ بما وصَفنا ، واعتلُّوا بما ذكَرنا ، وقالوا : لولا أن الساحرَ يقدِرُ على فعلِ ما ادَّعى أنه يقدِرُ على فعلِه ، ما قدَر أن يفرِّقَ بينَ المرءِ وزوجِه . قالوا : وقد أخبرَ اللهُ تعالى ذكرُه عنهم أنهم يتعلَّمون مِن الملَكين ما يفرِّقون به بينَ المرءِ

---

(١) أى فى أوله . التاج (ر أ س) .

(٢) فى م ، ومصادر التخريج : « منى » . وقولها : « منه » . أى من البول .

(٣) فى الأصل : « إلى » .

(٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥ - ٥) فى المستدرك : « أفرخى فأفرخت » .

(٦) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « والله » .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٤ (١٠٢٢) ، والحاكم ٤/ ١٥٥ ، والبيهقى ٨/١٣٦ من طريق الربيع بن سليمان به مطولا ومختصرا . وقال الحاكم : صحيح الإسناد . وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٢٠٣ ، ٢٠٤ عن المصنف ، وقال : أثر غريب ، وسياق عجيب . وقال أيضًا : ١/ ٢٠٥ : هذا إسناد جيد إلى عائشة .

وزوجِه ، وذلك لو كان على غيرِ الحقيقةِ ، وكان على وجهِ التخييلِ والحُسبانِ ، لم يكنْ تفريقًا على صحةٍ ، وقد أخبَر اللهُ تعالى ذكرُه عنهم أنهم يفرِّقون على صحةٍ .

وقال آخرون : بل السحرُ أخْذٌ بالعينِ .

القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ .

وتأويلُ ذلك : وما يعلِّمُ الملكان من أحدٍ مِن الناسِ الذى أُنزِل عليهما مِن التَّفريقِ بينَ المرءِ وزوجِه ، حتى يقولا له : إنما نحن بلاءٌ وفتنةٌ لبنى آدمَ ، فلا تكفُرْ بربِّك .

كما حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ ، قال : إذا أتاهما - يعنى هاروتَ وماروتَ - إنسانٌ يريدُ السحرَ ، وعَظاه وقالا له : لا تكفُرْ ، إنما نحن فتنةٌ . فإذا أبَى ، قالا له : ائتِ هذا الرمادَ فبُلْ [٣/٧٣ظ] عليه . فإذا بال عليه خرَج منه نورٌ يسطَعُ حتى يدخُلَ السماءَ ، وذلك الإيمانُ ، وأقبَل[(١)] شىءٌ أسودُ كهيئةِ الدُّخانِ حتى يدخُلَ فى مسامعِه وكلِّ شىءٍ منه ، فذلك غضبُ اللهِ ، فإذا أخبرَهما بذلك علَّماه السحرَ ، فذلك قولُ اللهِ : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ الآية[(٢)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ والحسنِ : ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . قالا : أُخِذ عليهما ألَّا يعلِّما أحدًا حتى يقولا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[(٣)] .

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « قبل » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٢٠٦ عن السدى .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٣ إلى المصنف . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٢ (١٠١١، ١٠١٢) من طريق عباد بن منصور عن الحسن ، وأبى جعفر عن قتادة .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، قال : قال قتادةُ : كانا يعلِّمان الناسَ السحرَ ، فأخِذ عليهما ألَّا يعلِّما أحدًا حتى يقولا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[(١)] .

٤٦٢/١ / حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا أبو سفيانَ ، عن معمرٍ ، قال : قال غيرُ قتادةَ : أخِذ عليهما ألَّا يعلِّما أحدًا حتى يَتقدَّما إليه فيقولا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن عوفٍ ، عن الحسنِ ، قال : أخِذ عليهما أن يقولا ذلك .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : أخِذ الميثاقُ عليهما ألَّا يعلِّما أحدًا حتى يقولا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ : لا يَجترِئُ على السحرِ إلا كافرٌ[(٢)] .

وأما « الفتنةُ » فى هذا الموضعِ ، فإن معناها الاختبارُ والابتلاءُ ، مِن ذلك قولُ الشاعرِ[(٣)] :

[(٤)]وقد فُتِن[(٤)] الناسُ فى دينِهم وخَلَّى ابنُ عفّانَ شَرًّا طَويلا

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٣٣٣ .

(٢) ذكر آخره ابن كثير فى تفسيره ٢٠٦/١ عن الحسين به .

(٣) نسبه المصنف فى تاريخه ٤٢٦/٤ إلى الحباب بن يزيد المجاشعى عم الفرزدق . وفى الاستيعاب ١/ ٤١٢، والإصابة ٢/ ٢٩: الحتات بن يزيد ، وفى الإصابة : زيد . ونسبه ابن قتيبة فى معجم الشعراء ص ٢٤٠، والمبرد فى الكامل ٣/ ٢٩، وابن حجر فى الإصابة ٥/ ٦٣٧، إلى ابن الغريرة - وفى الكامل : الغريزة - النهشلى ، وذكر الخلاف فى نسبته فى أنساب الأشراف ٢٢٨/٦ فقال : وقال على بن الغدير بن المضرس الغنوى ، ويقال : إهاب بن همام ... المجاشعى . ويقال : ابن الغريرة النهشلى .

(٤ - ٤) رواية المصنف فى تاريخه : « لقد سفه » .

ومنه يقالُ : فتنتُ الذهبَ فى النارِ - إذا امتحنتَها لتعرِفَ جَوْدَتَها مِن رَداءتِها - أفتِنُها[1] فتنةً وفتونًا .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ . أى : بلاءٌ[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ .

وقولُه جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾ . خبرٌ مبتدأٌ عن المتعلِّمين مِن الملَكين ما أُنزِل عليهما ، وليس بجوابٍ لقولِه : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ . بل هو خَبرٌ مستأنفٌ ، فلذلك رفِع فقيل : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ ﴾ . فمعنى الكلامِ إذن : وما يعلِّمان مِن أحدٍ حتى يقولا : إنما نحنُ فتنةٌ . فيأبَون قبولَ ذلك منهما ، فيتعلَّمون منهما ما يفرِّقون به بينَ المرءِ وزوجِه .

وقد قيل : إن قولَه : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ ﴾ . خبرٌ عن اليهودِ معطوفٌ على قولِه : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ - ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ وجعَلوا ذلك مِن المؤخَّرِ الذى معناه التقديمُ .

والذى قلنا أشبهُ بتأويلِ الآيةِ ؛ لأن إلحاقَ ذلك بالذى يليه مِن الكلامِ ، ما كان للتأويلِ وجهٌ صحيحٌ ، أولَى مِن إلحاقِه بما قد حِيل بينه وبينه من مُعْتَرَضِ الكلامِ .

والهاءُ والميمُ والألفُ [٧٤/٣و] مِن قولِه : ﴿ مِنْهُمَا ﴾ . من ذكرِ الملَكين . ومعنى ذلك : فيتعلَّمُ الناسُ من الملَكين الذى يفرِّقون به بينَ المرءِ وزوجِه .

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ : « أفتنه » . وقوله : « أفتنها » . يريد القطعة من الذهب . كقوله : « امتحنتها ... » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٣/١ إلى المصنف . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٢/١ (١٠١٢) من طريق أبى جعفر ، عن قتادة .

و ﴿ مَا ﴾ التى مع ﴿ يُفَرِّقُونَ ﴾ بمعنى الذى . وقيل : إن[١] معنى ذلك : السحرُ الذى يفرِّقون به . وقيل : هو معنًى غيرُ السحرِ . وقد ذكَرنا اختلافَهم فى ذلك فيما مضَى قبلُ[٢] .

وأما « المرءُ » ؛ فإنه بمعنى رجلٍ ، من أسماءِ بنى آدمَ ، والأُنثى منه المرأةُ . يوحَّدُ ويثنَّى ، ولا يجمعُ ثلاثتُه[٣] على صورتِه ، يقالُ منه : هذا امرؤٌ صالحٌ ، وهذان امرآن صالحان . ولا يقالُ : هؤلاء امرؤو صِدقٍ . ولكن يقالُ : هؤلاء رجالُ صِدقٍ ، وقومُ صِدقٍ . وكذلك المرأةُ تُوحَّدُ وتُثنَّى ، ولا تُجْمَعُ على صورتِها ، يقالُ : هذه امرأةٌ ، وهاتان امرأتان . ولا يقالُ : هؤلاء امرآتٌ . ولكن : هؤلاء نسوةٌ .

وأما « الزوجُ » ، فإن أهلَ الحجازِ يقولون لامرأةِ الرجلِ : هى زوجُه . بمنزلةِ الزوجِ الذَّكرِ ، ومِن ذلك قولُ اللهِ تعالى ذكرُه : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] . وتميمٌ وكثيرٌ من قيسٍ وأهلُ نجدٍ يقولون : هى زوجتُه[٤] .

قال الشاعرُ[٥] :

فإن (٦ الذى يمشِى يُحَرِّشُ[٧] ٦) زَوْجَتى ... كماشٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى[٨] يَسْتبِيلُها[٩]

---

(١) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٣٣٦ ، ٣٣٧.

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « ثلاثيه » .

(٤) بعده فى م : « كما » .

(٥) هو الفرزدق ، والبيت فى شرح ديوانه ص ٦٠٥.

(٦ - ٦) فى شرح الديوان : « امرأ يسعى يخبب » .

(٧) حرش بينهم : أفسد وأغرى بعضهم ببعض . التاج (ح ر ش) .

(٨) الشرى : موضع تنسب إليه الأسد ، قال بعضهم : شرى موضع بعينه تأوى إليه الأسد ، وقيل : هو شرى الفرات وناحيته ، وبه غياض وآجام ومأسدة . اللسان (ش ر ى) .

(٩) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « يستقيلها » . والمراد يأخذ بولها فى يده . اللسان (ب و ل) .

٤٦٣/١

/ فإن قال قائلٌ : وكيف يفرِّقُ الساحرُ بينَ المرءِ وزوجِه ؟

قيل : قد دلَّلنا فيما مضَى على أن معنى السحرِ تخييلُ الشيءِ إلى المرءِ بخلافِ ما هو به فى عَينِه وحقيقتِه ، بما فيه الكفايةُ لمَن وفِّق لفهمِه[1] . فإذ كان ذلك صحيحًا بالذى عليه استشهَدْنا ، فتفريقُه بينَ المرْءِ وزوجِه ، تخييلُه بسحرِه إلى كلٍّ واحدٍ منهما شخصَ الآخرِ على خلافِ ما هو به فى حقيقتِه مِن حسنٍ وجمالٍ ، حتى يقبِّحَه عندَه ، فينصرِفَ بوجهِه ويعرِضَ عنه ، حتى يُحدِثَ الزوجُ لامرأتِه فِراقًا . فيكونُ الساحرُ مفرِّقًا بينَهما بإحداثِه السببَ الذى كان عنه[2] فُرْقَةُ ما بينَهما . وقد دلَّلنا فى غيرِ موضعٍ مِن كتابِنا هذا على أن العربَ تضيفُ الشيءَ إلى مُسبِّبِه من أجلِ تَسْبيبِه[3] ، وإن لم يكنْ باشرَ فعلَ ما حدَث عن السببِ ، بما أغنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[4] . فكذلك تفريقُ الساحرِ بسحْرِه بينَ الزوجَين[5] .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قاله عددٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ : وتفريقُهما أن يُؤَخِّذَ[6]

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٣٥٠ وما بعدها .

(٢) فى م : « منه » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تسببه » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ١٩٨/١ ، ١٩٩ .

(٥) فى م : « المرء وزوجه » .

(٦) التأخيذ : أن تحتال المرأة بحيل فى منع زوجها عن جماع غيرها وذلك نوع من السحر . اللسان (أ خ ذ) .

كلٌّ واحدٍ منهما عن صاحبِه ، ويُبغِّضَ كلَّ واحدٍ منهما إلى صاحبِه[١] .

وأما الذين نفَوا[٢] أن يكونَ الملكان يعلِّمان الناسَ التفريقَ بينَ المرءِ وزوجِه ، فإنهم وجَّهوا تأويلَ قولِه : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾ . إلى : فيتعلَّمون مكانَ ما علَّماهم ما يفرِّقون به بينَ المرءِ وزوجِه ، كقولِ القائلِ : ليت لنا [٣]من كذا ، كذا وكذا[٣] كما قال الشاعرُ[٤] :

جَمَعْتَ من الخيراتِ وَطْبًا وعُلبَةً[٥] وصَرًّا لأخلافِ[٦] المُزَمَّمَةِ[٧] البُزْلِ[٨]

ومِن كلِّ أخلاقِ الكِرامِ نَميمةً وَسَعْيًا على الجارِ المُجاوِرِ بالمَحْلِ[٩]

[٧٤/٣ظ] يريدُ بقولِه : جَمَعْتَ[١٠] مكانَ خيراتِ الدنيا هذه الأخلاقَ الرديئةَ والأفعالَ الدنيئةَ . ومنه قولُ الآخرِ :

صَلَدَتْ[١١] صَفَاتُك[١٢] أن تَلِينَ حُيُودُها[١٣] وَوَرِثْتَ من سَلَفِ الكِرَامِ عُقُوقا

(١) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٣/١ (١٠١٥، ١٠١٦) من طريق أبي جعفر وسعيد بن بشير ، عن قتادة نحوه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٣/١ إلى عبد حميد .

(٢) في م : « أبوا » ، وفي ت ٢، ت ٣: « بنوا » .

(٣ - ٣) في م : « كذا من كذا . أي مكان كذا » .

(٤) البيتان في أمالي المرتضى ٤٢١/١ دون نسبة .

(٥) العلبة : قدح ضخم من جلود الإبل . التاج (ع ل ب) .

(٦) الأخلاف جمع الخِلف : وهو ضرع الناقة . اللسان (خ ل ف) .

(٧) في م : « المذممة » ، وفي نسختين من الأمالي : « المزهمة » والمزممة : النوق التي علقت عليها الأزمة . اللسان (ز م م) .

(٨) البزل جمع بازل ، ويقال ذلك للبعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفطر نابه . اللسان (ب ز ل) .

(٩) في م ، ت ٢: « بالنجل » . والمحل : المكر والكيد . اللسان (م ح ل) .

(١٠) بعده في م ، ت ١، ت ٢: « من الخيرات » ، وبعده في ت٣ : « من الخيرات مكان هذه الخيرات » .

(١١) صلدت الأرض : صلبت فلم تنبت شيئا . التاج (ص ل د) .

(١٢) الصفاة : الصخرة الملساء . اللسان (ص ف ا) .

(١٣) في ت ١، ت ٣: « جلودها » ، وفي ت ٢: « جنودها » . وجبل ذو حيود : إذا كانت له حروف ناتئة=

يعنى : وَرِثتَ مكانَ سلفِ الكرامِ عُقوقًا مِن ولدِك[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾ .

يعنى بقولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾ : وما المتعلِّمون مِن الملَكين هاروتَ وماروتَ ما يفرِّقون به بينَ المرءِ وزوجِه ، بضارِّين بالذى تعلَّموه منهما مِن المعنى الذى يفرِّقون به بينَ المرءِ وزوجِه ، من أحدٍ من الناسِ ، إلا من قد قضَى اللهُ عليه أن ذلك يضُرُّه ، فأما مَن دفَع اللهُ عنه ضُرَّه وحفِظه مِن مكروهِ السحرِ والنَّفْثِ والرُّقى ، فإن ذلك غيرُ ضارِّه ولا نائلِه أذاه .

وللإذْنِ فى كلامِ العربِ أوجهٌ ؛ منها الأمرُ على غيرِ وجهِ الإلزامِ ، وغيرُ جائزٍ أن يكونَ منه قولُه : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾ ؛ لأن اللهَ جلّ ثناؤُه قد حرَّم التفريقَ بينَ الرجلِ[2] وحليلتِه بغيرِ سحرٍ - فكيف به على وجهِ السحرِ - على لسانِ الأُمةِ ؟ ومنها التخليةُ بينَ المأذونِ له والمخلَّى بينَه وبينَه/ . ومنها العلمُ[3] بالشىءِ ، يقالُ منه : قد أَذِنْتُ بهذا الأمرِ ، إذا علِمتَ به ، آذَنُ به إذنًا . ومنه قولُ الحطيئةِ[4] : ٤٦٤/١

ألا يا هِنْدُ إن جَدَّدْتِ وَصْلًا ... وإلَّا فـائْـذِنِـينى بـانْـصِـرامِ

يعنى : فأعلِمينى .

= فى أعراضه لا فى أعاليه . التاج (ح ى د) .

(١) فى م : « والديك » .

(٢) فى م : « المرء » .

(٣) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « العمل » .

(٤) البيت ليس فى ديوانه ، وهو فى التبيان ١/ ٣٨٠.

ومنه قولُه جلّ ثناؤه : ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٧٩] . وهذا هو معنى الآيةِ ، كأنه قال جلّ ثناؤه : وما هم بضارين بالذى تعلَّموا مِن الملَكين مِن أحدٍ إلا بعلمِ اللهِ . يعنى : بالذى سبَق له فى علمِ اللهِ أنه يضرُّه .

كما حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبرَنا ابنُ المباركِ ، عن سفيانَ فى قولِه : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : بقضاءِ اللهِ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ .

يعنى (٢) جلَّ ثناؤه بقولِه (٢) : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ ﴾ . أى : الناسُ الذين يتعلَّمون من الملَكين ، ما أنزِل إليهما[(٣)] من المعنى الذى يفرِّقون به بينَ المرءِ وزوجِه ، يتعلَّمون منهما السحرَ الذى يضرُّهم فى دينِهم ، ولا ينفعُهم فى مَعادِهم ؛ فأما فى العاجلِ فى الدنيا ، فإنهم قد كانوا يكسِبون به ويُصيبون به معاشًا .

[٧٥/٣و] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ .**

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ . الفريقَ الذين (٤) أخبرَ عنهم أنهم (٤) لمَّا جاءهم رسولٌ من عندِ اللهِ مصدِّقٌ لما معهم ، نبَذوا كتابَ اللهِ وراءَ ظهورِهم كأنهم لا يعلمون ، واتَّبَعوا ما تتلو الشياطينُ على ملكِ سليمانَ . فقال جلَّ ثناؤه : لقد علِم النابِذون مِن يهودِ بنى إسرائيلَ ،

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم ١٩٤/١ (١٠٢٠) من طريق ابن المبارك به .

(٢ - ٢) فى م ، ت ١ ، ت ٣: « بذلك جل ثناؤه » .

(٣) فى م : « عليهما » .

(٤ - ٤) سقط من ، م ، وفى ت ١ ، ت ٣: « أنهم » .

كتابى وراءَ ظهورِهم تجاهلًا منهم ، التاركون العملَ بما فيه ، من اتباعِك يا محمدُ واتباعِ ما جئتَ به ، بعدَ إنزالى إليك كتابى مصدِّقًا لما معهم ، وبعدَ إرساليك إليهم بالإقرارِ بما معهم وما فى أيديهم ، المؤثِرون عليه اتباعَ السحرِ الذى تَلته الشياطينُ على عهدِ سليمانَ ، والذى أنزِل على الملَكين ببابلَ هاروتَ وماروتَ - لمن اشتَرى السحرَ بكتابى الذى أنزَلتُه على رسولى فآثرَه عليه ما له فى الآخرةِ من خلاقٍ .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ . (١) أى : لمَن استحبَّه (١) ، ﴿ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ يقولُ : قد علِم ذلك أهلُ الكتابِ فى عهدِ اللهِ إليهم ؛ أن الساحرَ لا خلاقَ له عندَ اللهِ يومَ القيامةِ (٢) .

وحدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ يعنى : اليهودَ ، يقولُ : قد علِمَت اليهودُ أن من تعلَّمه و (٣) اختاره ما له فى الآخرةِ من خلاقٍ (٤) .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ : لمن اشتَرى ما يفرِّق به بينَ المرءِ وزوجِه (٥) .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٣.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٥ (١٠٢٤) من طريق يزيد به ، إلى قوله : لمن استحبه . وأخرج باقيه ١/١٩٥ (١٠٢٣ ، ١٠٢٩) من طريق سعيد وغيره عن قتادة .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٣: « أو » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٥ (١٠٣٠) من طريق عمرو بن حماد به ، إلى قوله : اليهود .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٥ (١٠٢٥) من طريق أبى حذيفة عن شبل عن ابن أبى نجيح من قوله .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَىٰهُ مَا لَهُ / فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ . قال : قد علِمت يهودُ أن فى كتابِ ١/٤٦٥ اللهِ فى التوراةِ ، أن من اشتَرى السحرَ ، وترَك دينَ اللهِ ، ما له فى الآخرةِ من خلاقٍ ، (١) ومن لم يكنْ له خَلاقٌ (١) ، فالنارُ مثْواه ومأْواه (٢) .

وأما قولُه : ﴿ لَمَنِ اشْتَرَىٰهُ ﴾ . فإن « مَن » فى موضعِ رفعٍ ، وليس قولُه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ . بعاملٍ فيها ؛ لأن قولَه : ﴿ عَلِمُوا ﴾ . بمعنى اليمينِ ، فلذلك كانت « مَن » (٣) فى موضعِ رفعٍ ؛ لأن الكلامَ بمعنى : واللهِ لَمَن اشتَرى السحرَ ما له فى الآخرةِ من خلاقٍ . ويكونُ (٤) قولُه : ﴿ عَلِمُوا ﴾ . بمعنى اليمينِ ، أُجِيبَ (٥) بلامِ اليمينِ ، فقيل : ﴿ لَمَنِ اشْتَرَىٰهُ ﴾ . كما يقالُ : أقسِمُ لَمَن قام خيرٌ ممن قعَد . وكما يقالُ : قد علمتَ لعمرٌو خيرٌ من أبيك . وأما « مَن » فهو حرفُ جزاءٍ ، وإنما قيل : اشتَراه . ولم يقلْ : يشترِه (٦) ؛ لدخولِ لامِ القسمِ على « مَن » ، ومِن شأنِ العربِ إذا أحدَثت على حرفِ الجزاءِ لامَ القسمِ ، ألا ينطِقوا فى الفعلِ معه إلا بـ « فَعَل » دونَ « يفْعَل » إلا قليلًا ؛ كراهةَ أن [٣/٧٥ظ] يُحدِثوا على الجزاءِ حادثًا وهو مجزومٌ ، كما قال اللهُ جلَّ ثناؤه : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ﴾ [الحشر : ١٢] . وقد يجوزُ إظهارُ فعلِه بعدَه على « يفعلُ » مجزومًا ، كما قال الشاعرُ (٧) :

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٣.

(٢) ينظر التبيان للطوسى ١/ ٣٨١.

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٣.

(٤) فى م ، ت ٢: « لكون » .

(٥) فى م : « حققت » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « خففت » .

(٦) فى م : « يشتروه » .

(٧) معانى القرآن للفراء ١/ ٦٦ ونسبه فى ٢/ ١٣١ إلى الكميت بن معروف عن الكسائى ، وهو فى الخزانة ١٠/ ٦٨.

لَئن تكُ قد ضاقَتْ عليكم بُيوتُكمْ لَيَعْلَمُ ربِّى أنَّ بَيتىَ واسِعُ

واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ مَا لَهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : الخلاقُ فى هذا الموضعِ النصيبُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ مَا لَهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾ . يقولُ : من نصيبٍ[1] .

وحدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ مَا لَهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾ . قال : من نصيبٍ[2] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : ثنا وكيعٌ ، قال : قال سفيانُ : سمِعنا فى قولِه : ﴿ مَا[3] لَهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾ . أنه : ما له فى الآخرةِ من نصيبٍ .

وقال آخرون[4] : الخَلاقُ هاهنا : الجِهةُ[5] .

ذِكرُ من قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٣ إلى المصنف ، وذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٥ عقب الأثر (١٠٢٦) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٥ عقب الأثر (١٠٢٦) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣) فى الأصل ، م ، ت ١، ت ٣: « وما » .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٣: « بعضهم » .

(٥) فى م : « الحجة » .

قتادةَ : ﴿ مَا[1] لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾ . قال : ليس له فى الآخرةِ جهةٌ[2] .

وقال آخرون : الخَلاقُ الدينُ .

ذِكرُ من قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، قال : قال الحسنُ : ﴿ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾ . قال : ليس له دينٌ[3] .

وقال آخرون : الخَلاقُ هلهنا القِوامُ .

١/٤٦٦ / ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾ . قال : قِوامٌ[4] .

وأولى هذه الأقوالِ بالصوابِ قولُ من قال : معنى الخلاقِ فى هذا الموضعِ النصيبُ . وذلك أن ذلك معناه فى كلامِ العربِ . ومنه قولُ النبىِّ ﷺ : « لَيُؤَيِّدَنَّ اللهُ هذا الدينَ بأقوامٍ لا خلاقَ لهم »[5] . يعنى : لا نصيبَ لهم ولا حظَّ فى الإسلامِ والدينِ . ومنه قولُ أُمية بنِ أبى الصلتِ[6] :

---

(١) فى الأصل ، م ، ت١ ، ت٣ : « وما » .

(٢) فى م : « حجة » ، وفى تفسير عبد الرزاق : « جنة » ، وفى تفسير ابن كثير ١/٢٠٧ عن عبد الرزاق : « جهة » .
والأثر فى تفسير عبد الرزاق ١/٥٤ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٥ (١٠٢٧) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٤، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٥ (١٠٢٨) عن الحسن بن يحيى به .

(٤) عزاه فى الدر المنثور ١/١٠٣ إلى المصنف .

(٥) حديث صحيح : أخرجه النسائى فى الكبرى (٨٨٨٥) ، وابن حبان (٤٥١٧) من حديث أنس . وأخرجه أحمد ٥/٤٥ (الميمنية) من حديث أبى بكرة ، ولفظه : « إن الله تبارك وتعالى سيؤيد ....» .

(٦) ديوانه ص ٥٤.

يَدْعون بالوَيْلِ فيها لا خلاقَ لهم إلا سرابيلُ مِن قِطْرٍ[1] وأغلالُ

يعنى بذلك : لا نصيبَ لهم ولا حظَّ إلا السرابيلُ [2]والأغلالُ[2] .

فكذلك قولُه : ﴿ مَا لَهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾ : ما له فى الدارِ الآخرةِ حظٌّ من الجَنَةِ ، من أجلِ أنه لم يكنْ له إيمانٌ ولا دينٌ ولا عملٌ صالحٌ يجازَى به الجنةَ ويثابُ عليه ، فيكونَ له حظٌّ ونصيبٌ من الجنةِ . وإنما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ مَا لَهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾ . فوصَفه بأنه لا نصيبَ له فى الآخرةِ ، وهو يعنى به : لا نصيبَ له من جزاءٍ وثوابٍ وجنةٍ ، دونَ نصيبِه من النارِ ؛ إذ كان قد دلَّ بذمِّه[3] جلَّ ثناؤه أفعالَهم التى نفَى [٧٦/٣و] من أجلِها أن يكونَ لهم فى الآخرةِ نصيبٌ ، على مرادِه من الخيرِ ، وأنه إنما يعنى بذلك أنه لا نصيبَ لهم فيها من الخيراتِ ، فأما من الشرورِ فإن لهم منها[4] فيها [5]أنصباءَ وأنصباءَ[5] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢ ﴾ .

قد دلَّلنا فيما مضَى قبلُ على أن معنى : ﴿ شَرَوۡاْ ﴾ : باعُوا[6] . فمعنى الكلامِ إذن : ولبئسَ ما باع به نفْسَه مَن تعلَّم السحرَ لو كان يعلمُ سوءَ عاقبتِه .

كما **حدَّثنا** موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ،عن السديِّ :

---

(١) القطر : النحاس الذائب . تاج العروس (ق ط ر) .

(٢ - ٢) زيادة من : م ، ت ١ ، ت ٣.

(٣) فى م : « ذمه » .

(٤) سقط من : م .

(٥ - ٥) فى م ، ت ١ ، ت ٣: « نصيبا » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ٢٤٥ .

﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ ﴾ يقولُ : بئس ما باعوا به أنفسَهم[(١)] .

فإن قال لنا قائل : وكيف قال جلَّ ثناؤه : ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . وقد قال قبلُ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى الْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ ﴾ . فكيف يكونون عالِمين بأن من تعلَّم السحرَ فلا خلاقَ له[(٢)] ، وهم يجهَلون أنهم بئسَ ما شرَوْا بالسحرِ أنفسَهم ؟

قيل : معنى ذلك على غيرِ الوجهِ الذى توهَّمتَه من أنهم موصوفون[(٣)] بجهلِ ما[(٣)] هم موصوفون بالعلمِ به ، ولكنَّ ذلك من المؤخَّرِ الذى معناه التقديمُ ، وإنما معنى الكلامِ : وما هم بضارِّين به من أحدٍ إلا بإذنِ اللهِ ، ويتعلَّمون ما يضرُّهم ولا ينفعُهم ، ولبئس ما شرَوْا به أنفسَهم لو كانوا يعلَمون ، ولقد علِموا لمن اشترَاه ما له فى الآخرةِ من خلاقٍ . فقولُه : ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . ذمٌّ من اللهِ تعالى ذكرُه فعْلَ المتعلِّمين من المَلَكَين التفريقَ بينَ المرءِ وزوجِه ، وخبرٌ منه جلَّ ثناؤه عنهم أنهم بئسَ ما باعوا[(٤)] أنفسَهم ، برضاهم بالسحرِ عِوضًا من[(٥)] دينِهم الذى به نجاةُ أنفسِهم من الهلكةِ ، جهلًا منهم بسوءِ عاقبةِ فعلِهم ، وخسارةِ صفقةِ بيعِهم ؛ إذ كان قد يتعلَّمُ ذلك منهما من لا يعرِفُ اللهَ ، ولا يعرِفُ حلالَه وحرامَه ، وأمرَه ونهيَه . ثم عاد إلى الفريقِ / الذى أخبرَ عنهم أنهم نبَذوا كتابَه وراءَ ظهورِهم كأنهم لا يعلَمون ، واتَّبَعُوا ما تَتْلُو الشياطِينُ على مُلْكِ سليمانَ وما أُنْزِل على المَلَكَين ، فأخبرَ عنهم أنهم قد علِموا أن من اشترَى السحرَ ما له فى الآخرةِ من

١/٤٦٧

(١) تقدم تخريجه فى ص ٢٤٦ .

(٢) فى م ، ت ٣: « لهم » .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١، ت ٣: « بالجهل بما » .

(٤) فى م : « شروا به » .

(٥) فى م : « عن » .

خلاقٍ ، ووصَفهم بأنهم يركَبون معاصيَ اللهِ على علمٍ منهم بها ، ويكفُرون باللهِ ورسلِه ، ويُؤْثِرون اتباعَ الشياطينِ والعملَ بما أحدَثَتْهُ من السحرِ ، على العملِ بكتابِه ووحيِه وتنزيلِه ، عنادًا منهم له[1] ، وبغيًا على رسلِه ، وتعدِّيًا منهم حُدودَه ، على معرفةٍ منهم بما لِمَنْ فعَل ذلك عندَ اللهِ من العقابِ والعذابِ . فذلك تأويلُ ذلك[2] .

وقد زعَم بعضُ الزاعِمين أن قولَه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ . معنيٌّ[3] به الشياطينُ ، وأن قولَه : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ معنيٌّ[3] به الناسُ .

وذلك قولٌ [4]لقولِ جميعِ[4] أهلِ التأويلِ مخالفٌ . وذلك أنهم [٧٦/٣ظ] مُجمِعون على أن قولَه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ . معنيٌّ به اليهودُ دونَ الشياطينِ ، ثم هو مع ذلك خلافُ ما دلَّ عليه التنزيلُ ؛ لأن الآياتِ قبلَ قولِه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ . وبعدَ قولِه : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ جاءت من اللهِ بذَمِّ اليهودِ ، وتوبيخِهم على ضلالِهم و [5]ذَهابِهم عن[5] وحيِ اللهِ وآياتِ كتابِه[6] ، مع علمِهم بخطأ فعلِهم ، فقولُه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ . أحدُ تلك الأخبارِ عنهم .

وقال بعضُهم : إن الذين وصَف اللهُ بقولِه : ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ

---

(١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٣.

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٣: « قوله » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٣: « يعنى » .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١ ، ت ٣: « لجميع » .

(٥ - ٥) فى م : « وذما لهم على نبذهم » ، وفى ت ١ : « وذما لهم من نبذهم » .

(٦) بعده فى م : « وراء ظهورهم » .

أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ فنفَى عنهم العلمَ، هم الذين وصَفهم اللهُ بقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَىٰهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ . وإنما نفَى عنهم جلّ ثناؤُه العلمَ بقولِه : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . بعدَ وصفِه إياهم بأنهم قد علِموا بقولِه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ . من أجلِ أنهم لم يعمَلوا بما علِموا، وإنما العالِمُ، العاملُ بعلمِه، فأما إذا خالَف عملُه علمَه، فهو فى معانى الجهَّالِ. قالوا[1] : وقد يقالُ للفاعلِ الفعلَ بخلافِ ما ينبغى أن يفعلَ، وإن كان بفعلِه عالِمًا : لو علِمتَ لأقصَرتَ. كما قال كعبُ بنُ زهيرٍ المزنيُّ، وهو يصِفُ ذئبًا وغُرابًا تبِعاه لينالا من طعامِه وزادِه[2] :

إذا حضَرانى قلتُ لو تعْلَمانه   ألم تَعْلَما أنى مِن الزَّادِ مُرْمِلُ[3]

فأخبرَ أنه قال لهما : لو تعلَمانه. فنفَى عنهما العلمَ، ثم استخبرَهما فقال : ألم تعلَما. قالوا : فكذلك قولُه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ . و : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وهذا تأويلٌ، وإن كان له مخرَجٌ ووجهٌ، فإنه خلافُ الظاهرِ المفهومِ بنفسِ الخطابِ، أعنى بقولِه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ . وقولِه : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . وإنما هو استخراجٌ. وتأويلُ القرآنِ على المفهومِ الظاهرِ بالخطابِ دونَ الخفيِّ الباطنِ منه - حتى تأتىَ دَلالةٌ من الوجهِ الذى يجبُ التسليمُ له، بمعنًى خلافِ دليلِه الظاهرِ المتعارَفِ فى أهلِ اللسانِ الذين بلسانِهم نزَل القرآنُ - أَولى[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ

---

(١) فى م : « قال » .

(٢) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٥١.

(٣) المرمل : الذى نفد زاده، وأصله من الرمل، كأنه لصق بالرمل. اللسان (ر م ل) .

(٤) سقط من : الأصل، ت١، ت٢، ت٣ .

﴿خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ .

/ يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ : لو أن الذين يتعلَّمون ٤٦٨/١ من الملَكين ما يُفرِّقون به بينَ المرءِ وزَوْجِه ﴿ءَامَنُوا﴾ فصدَّقوا اللهَ ورسولَه ، وما جاءهم به من عندِ ربِّهم ﴿وَاتَّقَوْا﴾ ربَّهم فخافُوه ، وخافوا عقابَه ، فأطاعوه بأداءِ فرائِضه ، وتجنُّبِ[1] معاصِيه – لكان جزاءُ اللهِ إياهم ، وثوابُه لهم على إيمانِهم به وتقواهم إياه ، خيرًا لهم من السحرِ وما اكْتَسَبوا به ، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أن ثوابَ اللهِ إيَّاهم على ذلك خيرٌ لهم من السحرِ ومما اكْتَسَبوا به . وإنما نفَى بقولِه : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ . العلمَ عنهم أن يكونوا عالِمين بمَبْلَغِ ثوابِ اللهِ وقَدْرِ جزائِه على طاعتِه .

والمَثُوبَةُ فى كلامِ العربِ مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : أَثَبْتُك إثابةً وثَوابًا ومَثوبةً . وأصلُ ذلك مِن : ثاب إليك الشىءُ . بمعنى : رجَع . ثم يقال : أثبْتُه إليك . أى : أرجَعْتُه[2] إليك وردَدْتُه . فكأنَّ[3] معنى إثابةِ الرجلِ الرجلَ على الهَدِيَّةِ وغيرِها ، إرجاعُه إليه[4] منها [٧٧/٣و] بَدَلًا ، ورَدُّه عليه منها عِوَضًا . ثم جُعِل كلُّ مُعَوِّضٍ غيرَه من عملِه أو هديَّتِه أو يدٍ له سلَفت منه إليه مُثِيبًا له . ومنه ثوابُ اللهِ عزَّ وجلَّ عبادَه على أعمالِهم ، بمعنى إعطائِه إياهم العِوَضَ والجزاءَ عليه ، حتى يَرْجِعَ إليهم بَدَلٌ مِن عملِهم الذى عمِلوه له .

وقد زعَم بعضُ نحويِّ أهلِ[5] البصرةِ أن قولَه : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٣: « تجنبوا » .
(٢) فى م ، ت ٣: « رجعته » .
(٣) فى م : « فكان » .
(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « إليها » .
(٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

﴿ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾ . مما اكْتُفى بدَلالةِ الكلامِ على معناه عن ذكرِ جوابِه ، وأن معناه : ولو أنهم آمَنوا واتَّقَوْا لأُثِيبوا . ولكنه اسْتُغْنى بدَلالةِ الخبرِ على المثوبةِ عن قولِه : لأُثِيبوا .

وكان بعضُ نحويِّى الكوفةِ[1] ينكِرُ ذلك ، ويرَى أن جوابَ قولِه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ - ﴿ لَمَثُوبَةٌ ﴾ وأن « لو » إنما أُجِيبت بالمثوبةِ ، وإن كانت أجْوِبتُها[2] بالماضى مِن الفعلِ ، لتقارُبِ معناها مِن معنى « لئن » فى أنهما جزاءان ، وأنهما جوابان للإيمانِ ، فأُدْخِل جوابُ كلٍّ واحدةٍ منهما على صاحبتِها ، فأُجِيبت « لو » بجوابِ « لئن » و « لئن » بجواب « لو » ، لذلك ، وإن اخْتَلَفت أجوبتُهما ، وكانت « لو » مِن حكمِها وحظِّها أنْ تُجابَ بالماضى مِن الفعلِ ، وكانت « لئن » مِن حكمِها وحظِّها أن تُجابَ بالمستقبلِ مِن الفعلِ ، لِما وصَفْنا من تقارُبهما . فكان يتأوّلُ معنى قولِه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ : ولئن آمَنوا واتَّقَوا لمثوبةٌ مِن عندِ اللهِ خيرٌ .

وبما قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ لَمَثُوبَةٌ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ يقولُ : ثوابٌ مِن عندِ اللهِ[3] .

وحدَّثنى موسى[4] ، قال : حدثنا عمرٌو ، قال : حدثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ : أمَّا المثوبةُ فهو الثوابُ[5] .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « أهل البصرة » .

(٢) فى م : « أخبر عنها » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٥٤/١ .

(٤) فى م : « يونس » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٦/١ عقب الأثر (١٠٣٣) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

وحدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، قال : حدثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾ . يقولُ : لثوابٌ مِن عندِ اللهِ[1] .

[٤/١ظ]/ *القولُ في تأويلِ قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ . ٤٦٩/١

اختلَف أهلُ التأويلِ في تأويلِ قولِه : ﴿ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ ؛ فقال بعضُهم : تأويلُه : لا تقولوا خِلافًا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا مُؤَمَّلٌ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ في قولِه : ﴿ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ . قال : لا تقولوا خِلافًا[2] .

وحدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ : لا تقولوا خِلافًا[3] .

وحدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٦/١ عقب الأثر (١٠٣٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(*) من هنا بداية الجزء الرابع من مخطوطة جامعة القرويين بفاس وسيشار إليها بالأصل ، وسيجد القارئ أرقام صفحاتها بين معقوفين .

(٢) تفسير الثوري ١/ ٤٧، ٤٨.

(٣) تفسير مجاهد ص ٢١٠ ، ٢٨٣ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٧/١ ، ٩٦٦/٣ (١٠٤٠، ٥٣٩٩) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٤/١ ، ١٦٨/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .وينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٠٥.

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازِىُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِىُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وقال آخرون : تأويلُه : أَرْعِنا سمْعَك . أىْ : اسْمَعْ مِنَّا ونسمَعَ منك .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ رَٰعِنَا ﴾ . أى : أرْعِنا سمْعَك[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو[2] ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ . لا تقولوا : اسمعْ منَّا ونَسْمَعَ منك[3] .

وحُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفَرَجِ ، قال : سمعتُ أبا مُعاذٍ يقولُ : أخبرَنا عُبَيْدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ الضَّحَّاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ رَٰعِنَا ﴾ . قال : كان الرجلُ مِن المشركين يقول : أرْعِنى سمْعَك .

ثم اختَلَف أهلُ التأويلِ فى السببِ الذى مِن أجْلِه نهَى اللَّهُ المؤمنين أن يقولوا :

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٦٠ .

(٢) فى الأصل : « عمر » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٤ إلى المصنف .

راعِنا ؛ **فقال بعضُهم** : هى كلمةٌ كانت اليهودُ تقولُها على وجْهِ الاستهزاءِ والسبِّ[(١)] ، فنهَى اللَّه تعالى ذكرُه المؤمنين أن يقولوا ذلك للنبىِّ ﷺ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بِشْرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ : قولٌ كانت [٢/٤و] تقولُه اليهودُ استهزاءً ، فزجَر اللَّهُ المؤمنين أن يقولوا كقولِهم[(٢)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبيْرِىُّ ، عن فُضَيْلِ[(٣)] بنِ مرزوقٍ ، عن عطيةَ : ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ . قال : كان أناسٌ مِن اليهودِ يقولون : أرْعِنا سمْعَك . حتى قالها أناسٌ مِن المسلمين ، فكرِه اللَّهُ لهم ما قالت اليهودُ ، فقال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ . كما قالت اليهودُ والنصارَى[(٤)] .

٤٧٠/١ / **حدَّثنا** الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ . قال : كانوا يقولون : راعِنا سمْعَك . فكان اليهودُ يأتون فيقولون مثلَ ذلك مستهْزِئين ، فقال اللَّهُ : ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾[(٥)] .

وحُدِّثتُ عن المِنْجابِ ، قال : ثنا بِشْرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ،

---

(١) فى م : « المسبة » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٤/١ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبى نعيم فى الدلائل .

(٣) فى الأصل : « فضل » . وينظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٠٥.

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٧/١ ، ٩٦٦/٣ عقب الأثر (١٠٣٨، ٥٣٩٨) معلقًا عن عطية ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٤/١ إلى المصنف وأبى نعيم فى الدلائل .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٤. وينظر ما سيأتى فى ١٠٧/٧ .

عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ . قال : كانوا يقولون للنبيِّ ﷺ : راعِنا سمْعَك . وإنما ﴿رَاعِنَا﴾ كقولِك : عاطِنا[(١)] .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ[(٢)] زيدٍ فى قولِه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ قال : ﴿رَاعِنَا﴾ القولُ الذى قاله القومُ ؛ قالوا : ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦] . قال : قال : هذا الراعِنُ - والراعِنُ الخطأُ[(٣)] - قال : فقال للمؤمنين : لاتقولوا خطأً[(٤)] كما قال القومُ ، وقولوا : انظُرْنا واسْمَعوا . قال : كانوا يَنْظُرون إلى النبيِّ ﷺ ويُكَلِّمونه ويَسْمَعُ منهم ، ويسأَلونه ويُجِيبُهم .

وقال آخَرون : بل هى كلمةٌ كانت الأنصارُ فى الجاهليَّةِ تقولُها ، فنهاهم اللَّهُ فى الإسلامِ أن يقولوها لنبيِّه ﷺ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرَنا عبدُ الملكِ[(٥)] ، عن عطاءٍ فى قولِه : ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ قال : كانت لغةً فى الأنصارِ فى الجاهليَّةِ ، فنزَلت هذه الآيةُ : ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ ولكن ﴿وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ إلى

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٦ ، ٣/٩٦٦ (١٠٣٨، ٥٣٩٨)، والطبرانى فى الكبير (١٢٦٥٩) من طريق المنجاب به . وينظر الدلائل لأبى نعيم ص ٤٤(٦) ، والفتح ٨/ ١٦٣.

(٢) فى الأصل : « أبو » .

(٣) فى م : « الخطاء » .

(٤) فى م : « خطاء » .

(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « الرزاق » .

آخرِ الآيةِ[(١)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطاءٍ : ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ . قال : كانت لغةً فى الأنصارِ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا جريرٌ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطاءٍ مثلَه .

وحدَّثنى المُثنَّى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، عن ابنِ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ . قال : إن مُشرِكى العربِ كانوا إذا حدَّث بعضُهم بعضًا يقولُ أحدُهم لصاحبِه : أرْعِنى سمْعَك . [٢/٤ظ] فنُهُوا عن ذلك[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : ﴿رَاعِنَا﴾ قولُ الساخِرِ ، فنَهاهم أن يَسْخَروا مِن قولِ محمدٍ ﷺ .

وقال بعضُهم : بل كان ذلك كلامَ يهوديٍّ مِن اليهودِ بعينِه ، يقال له : رفاعةُ بنُ زيدٍ . كان يُكَلِّمُ النبيَّ ﷺ به[(٣)] على وجهِ السَّبِّ له ، وكان المسلمون أخَذوا عنه ذلك ، فنهَى اللَّهُ المؤمنين عن قِيلِه للنبيِّ ﷺ .

/ ذكر من قال ذلك

٤٧١/١

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿يَا أَيُّهَا

(١) أخرجه النحاس فى ناسخه ص١٠٤ من طريق هشيم به ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٧/١ (١٠٣٩) من طريق عبد الملك به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٤/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٧/١ عقب الأثر (١٠٣٨) من طريق أبى جعفر به .

(٣) سقط من : الأصل .

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾ : كان رجلًا مِن اليهودِ ، مِن قبيلةٍ مِن اليهودِ يقالُ لهم : بنو قَيْنُقَاعَ . كان يُدْعَى رفاعةَ بنَ زيدِ بنِ السائبِ - قال أبو جعفرٍ : هذا خطأٌ ، إنما هو ابنُ التابوتِ ، ليس ابنَ السائبِ - كان يأتى النبيَّ ﷺ ، فإذا لقِيَه فكلَّمه فقال : أرْعِنى سمْعَك ، واسمَعْ غيرَ مُسْمَعٍ . فكان المسلمون يَحْسَبون أن الأنبياءَ كانت تُفَخَّمُ[(1)] بهذا ، فكان ناسٌ منهم يقولون : اسمعْ غيرَ مُسْمَعٍ . كقولِك : اسمعْ غيرَ صاغرٍ . هى[(2)] التى فى « النساءِ » : ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ﴾ [النساء: ٤٦] . يقولُ : إنما يُرِيدُ بقولِه طَعْنًا فى الدّينِ . ثم تقدَّم إلى المؤمنين فقال : ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾[(3)] .

والصوابُ مِن القولِ فى نهْيِ اللَّهِ جلَّ ثناؤه المؤمنين أن يقولوا لنبيِّه : ﴿رَٰعِنَا﴾ أن يقالَ : إنها كلمةٌ كرِهها اللَّهُ لهم أن يقولوها لنبيِّه ﷺ ، نظيرَ الذى ذُكِر عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « لا تَقُولُوا للعِنَبِ الكَرْمَ ، ولكِن قولوا الحَبَلَةَ »[(4)] . و « لا تَقُولُوا عَبْدِى ، ولكِنْ قُولُوا فتاىَ »[(5)] .

وما أشبهَ ذلك مِن الكلمتينِ اللَّتينِ تكونان مستعمَلتين بمعنًى واحدٍ فى كلامِ العربِ ، فتأتى الكراهةُ أو النهىُ باستعمالِ إحداهما ، واختيارِ الأُخْرَى عليها فى المخاطَباتِ .

---

(١) فى الأصل ، ت ٢ ، ت ٣ : « تعجم » .

(٢) فى م : « وهى » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٠٤ إلى المصنف وابن المنذر ، وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢١٤ .

(٤) أخرجه الدارمى ٢/ ١١٨ ، ومسلم (٢٢٤٨) من حديث وائل بن حجر ، وأخرجه البخارى (٦١٨٢) ، ومسلم (٢٢٤٧) ، وغيرهما من حديث أبى هريرة ، دون قوله : « ولكن قولوا الحبلة » .

(٥) أخرجه البخارى (٢٥٥٢) ، ومسلم (٢٢٤٩) من حديث أبى هريرة نحوه .

فإن قال[(١)] قائلٌ : فإنَّا قد علِمْنا معنى نَهْيِ النبيِّ ﷺ فى العِنَبِ أن يقالَ له : كَرْمٌ . وفى العبدِ أن يقالَ له : عبدٌ . فما المعنى فى قولِه : ﴿ رَٰعِنَا ﴾ . حينئذٍ الذى مِن أجلِه كان النهىُ مِن اللَّهِ جل ثناؤه المؤمنين عن أن يقولوه ، حتى أمَرهم أن يُؤْثِروا قولَهم[(٢)] : ﴿ ٱنظُرْنَا ﴾ عليه[(٣)] ؟

قيل : الذى فيه مِن ذلك نظيرُ الذى فى قولِ القائلِ : الكَرْمُ . للعنبِ ، و : العبدُ . للمملوكِ . وذلك أن قولَ القائلِ : عبدٌ . [(٤)]صفةُ جميعِ[(٤)] عبادِ اللَّهِ ، فكرِه النبيُّ ﷺ أن يُضَافَ بعضُ عبادِ اللَّهِ - بمعنى [٣/٤و] المعبودِ[(٥)] - إلى غيرِ[(٦)] اللَّهِ ، وأمَر أنَ يُضَافَ ذلك إلى غيرِه ، بغيرِ المعنى الذى يُضافُ إلى اللَّهِ عز وجلَّ ، فيقال : [(٧)]فتى اللَّهِ[(٧)] . وكذلك وجهُ نهيِه فى العنبِ أن يقالَ لها : كَرْمٌ . [(٨)]لأن الكَرْمَ مصدرٌ من كرَم كرْمًا[(٨)] ، وإن كانت راؤُها[(٣)] مُسَكَّنةً ، فإن العربَ قد تُسكِّنُ بعضَ الحركاتِ إذا تتابَعت على [(٩)]نوعٍ واحدٍ[(٩)] ، فكرِه أن يُوصفَ[(١٠)] بذلك العنبُ . فكذلك نهَى اللَّهُ عزَّ وجلَّ المؤمنين أن يقولوا : راعِنا . لما كان قولُ القائل : راعِنا . محتمِلًا أن يكونَ بمعنى : احْفَظْنا ونَحْفَظْك ، وارْقُبْنا ونَرْقُبْك . مِن قولِ العربِ بعضِهم لبعضٍ : رعاك

---

(١) بعده فى م : « لنا » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قوله » .

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لجميع » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « العبودية » .

(٦) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧ - ٧) فى م : « فتاى » .

(٨ - ٨) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وفى م : « خوفًا من توهم وصفه بالكرم » .

(٩ - ٩) فى الأصل ك « تنوع واحدة » .

(١٠) فى م : « يتصف » .

اللَّهُ . بمعنى : حفِظَك اللَّهُ وكَلأَك . ومحتمِلًا أن يكونَ بمعنى : أرْعِنا سمْعَك . مِن قولِهم : أرْعَيتُ به[1] سمعِى إرعاءً . أو : راعَيْتُه سمعِى رِعاءً أو مُراعاةً . بمعنى : فرَّغْتُه لسماعِ كلامِه . كما قال الأَعْشى ميمونُ بنُ قيسٍ[2] :

يُرْعِى إلى قَوْلِ ساداتِ الرِّجالِ إذَا أَبْدَوْا لهُ الحَزْمَ أو ما شاءَه ابْتَدَعا

يعنى بقولِه يُرْعِى : يُصْغِى سمعَه إليه مُفرِّغَه لذلك .

وكأنَّ اللَّهَ جل ثناؤه قد أمَر المؤمنين بتوقيرِ نبيِّه ﷺ وتعظيمِه ، حتى نهاهم جلّ ذكرُه / فيما نهاهم عنه ، عن رفعِ أصواتِهم فوقَ صوتِه ، وأن يَجْهَرُوا له بالقوْلِ كجَهْرِ بعضِهم لبعضٍ ، وخوَّفَهم على ذلك حبوطَ أعمالِهم ، تقدَّم[3] إليهم بالزجرِ لهم عن أن يقولُوا له من القولِ ما فيه جَفاءٌ ، وأمَرَهم أن يَتَخيَّرُوا لخطابِه من الألفاظِ أحسنَها ، ومن المعانى أرَقَّها ، فكان من ذلك قولُهم : ﴿ رَٰعِنَا ﴾ . لِمَا فيه[4] احتمالُ معنى : ارْعَنا نَرْعَك . إذ كانت المفاعلةُ لا تكونُ إلا مِن اثنين ، كما يقولُ القائلُ : عاطِنا وحادِثْنا وجالِسْنا . بمعنى : افعَلْ بنا نَفْعَلْ بك . ومعنى : أَرْعِنا سمعَك حتى نَفهمَك وتَفهمَ عنا . فنَهَى اللَّهُ تعالى ذكرُه أصحابَ محمدٍ أن يقولوا ذلك كذلك ، وأمرَهم[5] أن يُفرِدُوا مسألَتَه بانتظارِهم وإمهالِهم ؛ ليَعْقِلوا عنه ، بتَبْجِيلٍ منهم له وتعظيمٍ ، وألَّا يَسألُوه ما سألوه من ذلك على وجهِ الجَفاءِ والتَّجهُّمِ منهم له ، ولا بالفظاظةِ والغِلْظةِ ، تَشْبيهًا منهم باليهودِ فى خطابِهم نبىَّ اللَّهِ ﷺ بقولِهم له : ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا ﴾ [النساء : ٤٦] . يَدُلُّ على صحةِ ما قُلْنا فى ذلك قولُه :

(١) سقط من : م .
(٢) ديوانه ص ١٠٩ .
(٣) فى م : « فتقدم » ، وفى ت ١ : « يقدم » .
(٤) بعده فى م : « من » .
(٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]. فدلَّ بذلك أن الذى عاتَبهم[(١)] عليه مما يَسُرُّ اليهودَ والمشركين.

فأما التأويلُ الذى حُكِى عن مجاهدٍ فى قولِه: ﴿رَٰعِنَا﴾. أنه بمعنى: خِلافًا. فما[(٢)] لا يُعْقَلُ فى كلامِ العربِ؛ لأنَّ «رَاعَيْتُ» فى كلامِ العربِ إنما هو على أحدِ وجهَيْن؛ أحدُهما، بمعنى: فاعَلْتُ، من الرِّعْيةِ، وهى [٣/٤ظ] [(٣)]الرِّقْبةُ والكَلاءةُ[(٣)]. والآخرُ، بمعنى إفراغِ السمعِ، بمعنى: أَرْعَيْتُه سمعى. وأما «راعَيْتُ» بمعنى: «خالَفْتُ»، [(٤)]فما لا[(٤)] وجهَ له مفهومٌ فى كلامِ العربِ، إلا أن يكونَ قَرأ ذلك بالتنوينِ، ثم وَجَّهه إلى معنى الرُّعُونةِ والجهلِ والخطأ، على النحوِ الذى قال فى ذلك عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ، فيكونُ لذلك - وإن كان مخالفًا قراءةَ القَرَأةِ - معنى مفهومٌ حينئذٍ.

وأما القولُ الآخرُ الذى حُكِىَ عن عطيةَ ومَن حُكِىَ ذلك عنه أن قولَه: ﴿رَٰعِنَا﴾. كانت كلمةً لليهودِ بمعنى السبِّ والسخريةِ، فاستعملَها المؤمنون أَخْذًا منهم ذلك عنهم، فإن ذلك غيرُ جائزٍ فى صفةِ المؤمنين أن يأخُذوا مِن كلامِ أهلِ الشركِ كلامًا لا يَعْرِفون معناه، ثم يَسْتعملُونه بينهم وفى خطابِ نبيِّهم ﷺ. ولكنه جائزٌ أن يكونَ ذلك كما[(٥)] رُوِى عن قتادةَ، أنها كانت كلمةً صحيحةً مفهومةً من كلامِ العربِ، وافقَتْ كلمةً من كلامِ اليهودِ بغيرِ اللسانِ العربىِّ، هى عند اليهودِ

---

(١) فى الأصل، ت ٣: «عاقبهم».
(٢) فى م، ت ١، ت ٣: «فمما».
(٣ - ٣) فى الأصل: «الوقفة والكلمة»، وفى ت ١: «الرتبة والكلية»، وفى ت ٢: «الرقبة والكلية».
(٤ - ٤) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «فلا».
(٥) فى م: «بما».

سَبٌّ ، وهى عند العربِ : أَرْعِنى سمعَك وفرِّغْه لى[(١)] ؛ لتَفْهَمَ عنى . فعلَّم اللَّهُ جلَّ ثناؤُه معنى اليهودِ فى قيلِهم ذلك للنبىِّ ﷺ ، وأن معناها منهم خلافُ معناها فى كلامِ العربِ ، فنَهَى اللَّهُ عزَّ وجلَّ المؤمنين عن قيلِها للنبىِّ ﷺ ؛ لئلا يَجْتَرِئَ مَن كان معناه فى ذلك غيرَ معنى المؤمنين فيه ، أن يُخاطِبَ رسولَ اللَّهِ ﷺ به . وهذا تأويلٌ لم يَأْتِ الخبرُ بأنه كذلك مِن الوجهِ الذى تقومُ به الحجةُ . وإذ كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى بتأويلِ الآيةِ ما وصَفْنا ، إذ كان ذلك هو الظاهرَ المفهومَ بالآيةِ دون غيرِه .

وقد حُكِىَ عن الحسنِ البصرىِّ أنه كان يقرؤُه : (لا تقولوا راعنًا)[(٢)] . بالتنوينِ ، بمعنى : لاتقولوا قولًا راعنًا . من الرُّعونةِ ، وهى الحُمْقُ والجهلُ .

وهذه قراءةٌ لقَرأةِ المسلمين مخالِفةٌ ، فغيرُ جائزٍ لأحدٍ القراءةُ بها ، لشذوذِها وخروجِها من قراءةِ المتقدِّمين والمتأخِّرين ، وخلافِها ما جاءت به الحجّةُ من المسلمين . ومن نوَّن (راعنًا) نوَّنه بقولِه : ﴿ لَا تَقُولُوا۟ ﴾ ؛ لأنه حينئذٍ عاملٌ فيه ، ومن لم يُنَوِّنْه فإنه ترَك تنوينَه لأنه أمرٌ مَحْكِىٌّ ؛ / لأن القومَ كأنهم كانوا يقولون للنبىِّ ﷺ : راعِنا . بمعنى مَسألتِه ؛ إمّا أن يُرْعِيَهم سمعَه[(٣)] ؛ وإمّا أن يرعاهم ويَرْقُبَهم - على ما قد بيَّنْتُ فيما مضَى - فقيل لهم : لا تقولُوا فى مسألتِكم إياه : ﴿ رَٰعِنَا ﴾ . فتكونُ الدلالةُ على معنى الأمر فى ﴿ رَٰعِنَا ﴾ حينئذٍ سقوطَ الياءِ التى كانت [٤/٤و] تكونُ فى « راعَيْتُه »[(٤)] ، ويدلُّ عليها - أَعنى على الياءِ الساقطةِ - كسرةُ العينِ مِن ﴿ رَٰعِنَا ﴾ .

٤٧٣/١

---

(١) زيادة من : الأصل .

(٢) إتحاف فضلاء البشر ص ٨٨.

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى م : « يراعيه » ، وفى ت١ ت ٢، ت ٣: « راعيه » .

وقد ذُكر أن[1] قراءةَ ابنِ مسعودٍ : (لا تقولوا راعونا)[2] . بمعنى حكايةِ أمرِ[3] صالحةٍ لجماعةٍ بمراعاتِهم[4] . فإن كان ذلك من قراءتِه صحيحًا ، وُجِّه[5] أن يكونَ القومُ كأنهم نُهُوا عن استعمالِ ذلك بينهم فى خطابِ بعضِهم بعضًا ، كان خطابُهم للنبيِّ ﷺ أو لغيرِه ، ولا نعلمُ ذلك صحيحًا من الوجهِ الذى تصحُّ منه الأخبارُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا﴾ : وقولوا أيها المؤمنون لنبيِّكم ﷺ : انتظِرْنا وارقُبْنا ، نَفْهَمْ ونتبيَّنْ ما تقولُ لنا وتُعلِّمُنا .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا﴾ : فقِّهْنا[6] ، بَيِّنْ لنا يا محمدُ[7] .

حدَّثنا المثنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا﴾ : أفْهِمْنا ، بَيِّنْ لنا يا محمدُ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

يقالُ منه : نظَرْتُ الرجلَ ، أَنظُرُه نَظِرةً . بمعنى : انتظرْتُه ورقَبْتُه . ومنه قولُ

---

(١) فى الأصل ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « أنها » .

(٢) البحر المحيط ١/ ٣٣٨.

(٣) فى الأصل : « من » .

(٤) فى الأصل : « مراعاتهم » .

(٥) فى الأصل : « وجب » .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « فهمنا » .

(٧) تفسير مجاهد ص ٢١٠ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٩٨ (١٠٤٤) .

الحُطَيئةِ[1] :

وقد نَظَرْتُكُم (٢أعْشاءَ صادِرَةٍ٢) للخِمْسِ[3] طالَ بها حَوْزِى[4] وتَنْساسِى[5]

ومنه قولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد : ١٣] . يَعنى به : انتظِرُونا . (٦وقد قُرِئَ : (أنظِرونا نَقْتَبِسْ من نُورِكم)[7] . يعنى به : انْتَظِرونا . وقد قُرِئَ : (أنظِرونا)٦) . وقد قُرِئَ : (أنظِرْونا)[8] . بقطْعِ الألفِ فى الموضِعَيْن جميعًا . فمَن قَرأ ذلك كذلك ، أراد : أَخِّرْونا . كما قال جلَّ ثناؤُه ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص : ٧٩] . أى : أخِّرْنى . ولا وجهَ لقراءةِ ذلك كذلك فى هذا الموضعِ ؛ لأن أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إنما أُمِروا بالدنوِّ من رسولِ اللَّهِ ﷺ ، والاستماعِ منه ، وإلطافِ الخطابِ له ، وخَفْضِ الجناحِ ، لا بالتأخُّرِ عنه ، ولا بمسألتِه تأخيرَهم عنه . فالصوابُ - إذ كان ذلك كذلك - من القراءةِ ، قراءةُ مَن وصَل الألفَ من قولِه : ﴿ ٱنظُرْنَا﴾ ولم يَقْطَعْها ، بمعنى : انتظِرْنا .

وقد قيل : إن معنى : (أَنْظِرْنا) بقطعِ الألفِ بمعنى : أَمْهِلْنا . حُكِى عن بعضِ

---

(١) ديوانه ص ٢٨٣.

(٢ - ٢) فى الأصل : «إيناء عاشية» . والأعشاء ، واحدتها عِشْىٌ ، والعشى : ما يتعشى به . اللسان (ع ش ى) .

(٣) الخمس : من أظماء الإبل ، وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد اليوم الرابع ، أو هو أن ترد الماء يوما فتشربه ، ثم ترعى ثلاثة أيام ، ثم ترد الماء اليوم الخامس . التاج (خ م س) .

(٤) الحوز : السوق اللين . وقد حاز الإبل يحوزها ويحيزها وحوَّزها : ساقها سوقًا رويدًا . التاج (ح و ز) .

(٥) التنساس : سرعة الذهاب لورود الماء . التاج (ن س س) .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧) هى قراءة حمزة ، وقرأ الباقون بوصل الألف . حجة القراءات ص ٦٩٩ .

(٨) هى قراءة أبىّ والأعمش . البحر المحيط ١/ ٣٣٩ .

العربِ سماعًا : أَنْظِرْنى أكلِّمْك . وذكَر سامعُ ذلك من بعضِهم أنه استَثْبته فى معناه ، فأخبرَه أنه أراد : أَمْهِلْنِى . فإن لم [(١)] يكُنْ ذلك صحيحًا عنهم ، فـ « انظُرْنا » و « أَنظِرْنا » ، بقطعِ الألفِ ووصلِها متقاربتا المعنى ، غير أن الأمرَ وإن كان كذلك ، فإن القراءةَ التى لا [(٢)] أستجيزُ [٤/٤٤ظ] غيرَها قراءةُ مَن قرَأه : ﴿ وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾ . بوصلِ الألِفِ ، بمعنى : انتظِرْنا . لإجماعِ الحجةِ على تصويبِها ، ورفضِهم غيرَها من القراءاتِ [(٣)] فى ذلك [(٣)] .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ . ١/٤٧٤

يعنى جل ثناؤه بقولِه : ﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ : اسمَعُوا ما يقالُ لكم ، ويُتْلَى عليكم من كتابِ ربِّكم ، وعُوه وافهمُوه .

كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ : اسمَعُوا ما يقالُ لكم [(٤)] .

فمعنى الآيةِ إذن : يأيُّها الذين آمنوا لاتقولوا لنبيِّكم : راعِنا سمعَك وفرِّغْه لنا ، نَفْهَمْك وتَفْهَمْ عنا ما نقولُ ، ولكن قولوا : انتظِرْنا وتَرَقَّبْنا حتى نَفهمَ عنك ما تُعلِّمُنا وتبينُه لنا . واسمَعوا منه ما يقولُ لكم فعُوه واحفظُوه وافهمُوه . ثم أخبرَهم جل ثناؤه أن لمن جحَد منهم ومِن غيرِهم آياتِه ، وخالفَ أمرَه ونَهْيَه ، وكذَّب برسولِه - العذابَ الموجعَ فى الآخرةِ ، فقال : وللكافرين بى وبرسولى عذابٌ أليمٌ . يعنى بقولِه : « الأليم » . الموجِعَ . وقد ذكَرْنا الدلالةَ على ذلك فيما مضَى قبلُ وما فيه مِن الآثارِ [(٥)] .

---

(١) سقط من : م ، ت ١.

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٠٤ إلى المصنف .

(٥) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٩١ - ٢٩٣.

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ مَّا يَوَدُّ ﴾ : ما يُحِبُّ . أى : ليس يَوَدُّ[(١)] كثيرٌ مِن أهلِ الكتابِ . يقالُ منه : وَدَّ فلانٌ كذا ، يَوَدُّ ، وُدًّا ووَدًّا ووِدًّا[(٢)] ومَوَدَّةً .

وأما « المشركون » فإنهم فى موضعِ خَفْضٍ بالعطفِ على « أهلِ الكتابِ » .

ومعنى الكلامِ : ما يَوَدُّ[(٣)] الذين كفروا من أهلِ الكتابِ ولا من[(٤)] المشركين أن يُنَزَّلَ عليكم من خيرٍ من ربِّكم .

وأما « أنْ » فى قولِه : ﴿ أَن يُنَزَّلَ ﴾ فنُصِب بقولِه : ﴿ يَوَدُّ ﴾ . وقد دلَّلْنا على[(٥)] دخولِ « مِن » فى قولِه : ﴿ مِّنْ خَيْرٍ ﴾ . وما أَشبهَ ذلك من الكلامِ الذى يكونُ فى أولِه جَحْدٌ فيما مضَى ، فأغنى ذلك عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(٦)] .

فتأويلُ الكلامِ : ما يحبُّ الكافرون من أهلِ الكتابِ ولا من[(٤)] المشركين باللَّهِ من عَبَدَةِ الأوثانِ ، أن يُنَزِّلَ اللَّهُ[(٤)] عليكم شيئًا[(٤)] مِن الخيرِ الذى [(٧)]هو عندَه . والخيرُ الذى كان[(٧)] اللَّهُ يُنزِّلُه عليهم فتمنَّى المشركون [١/٥٤و] وكَفَرةُ أهلِ الكتابِ ألَّا يُنَزِّلَه[(٨)] اللَّهُ عليهم – الفرقانُ وما أوحاه إلى نبيِّه محمدٍ ﷺ من حُكْمِه وآياتِه ، وإنما أحبَّتِ

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يحب » .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) فى م : « يحب » .

(٤) زيادة من : الأصل .

(٥) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وجه » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ١٤ ، ١٥ .

(٧ - ٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كان عند » .

(٨) فى م : « ينزل » .

اليهودُ وأتباعُهم مِن المشركين ذلك حسدًا وبَغْيًا منهم على المؤمنين .

وفى هذه الآيةِ دلالةٌ بيِّنةٌ على أن اللَّهَ تبارك وتعالى نَهَى المؤمنين عن الرُّكونِ إلى أعدائِهم من أهلِ الكتابِ والمشركين ، والاستماعِ من قولِهم ، وقَبولِ شىءٍ مما يَأتونهم[(١)] به على وجهِ النصيحةِ لهم منهم ، بإطْلاعِه جلّ ثناؤُه إياهم على ما يَستبطِنُه لهم أهلُ الكتابِ والمشركون مِن الضِّغْنِ والحسدِ ، وإن أظهَرُوا بألسنتِهم خلافَ ما هم [(٢]مُستبطِنوه لهم[٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ : واللَّهُ يختصُّ مَن يشاءُ لنبوَّتِه ورسالاتِه ، فيُرسِلُه إلى من يشاءُ من خلقِه ، ويتفضَّلُ بالإيمانِ به[(٣)] على مَن أحبَّ فيَهْديه له . واختصاصُه إياهم بها ، إفرادُهم[(٤)] بها دونَ غيرِهم من خلقِه . وإنما جعَل اللَّهُ رسالتَه إلى من أرسَل إليه من خلقِه ، وهدايتَه مَن هدَى من عبادِه رحمةً[(٥)] منه له ؛ ليُصَيِّرَه / بها إلى رضاه ومحبتِه ، وفوزِه بها بالجنةِ ، واستحقاقِه بها ثناءَه[(٦)] ، وكلُّ ذلك رحمةٌ من اللَّهِ له . ١/٤٧٥

وأما قولُه : ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ . فإنه خبرٌ من اللَّهِ [(٧]جل ثناؤُه[٧)]

---

(١) فى الأصل ، ت ١: « يأتوهم » ، وحذف النون لغة . ينظر صحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ٣٦.

(٢ - ٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « مستبطنون » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل ، ت ٢، ت ٣: « إقرارهم » .

(٥) فى الأصل : « ورحمة » .

(٦) فى الأصل : « ثناء » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(١) عن أن كلَّ خيرٍ ناله عبادُه فى دينِهم ودنياهم ، فإنه مِن عندِه ابتداءً ، وتفضُّلًا منه عليهم من غيرِ استحقاقٍ منهم ذلك عليه .

وفى قولِه : ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ . تعريضٌ مِن اللَّهِ (١) تعالى ذِكرُه بأهلِ الكتابِ أن الذى آتى نبيَّه محمدًا ﷺ والمؤمنين به من الهدايةِ تَفَضُّلٌ (٢) منه ، وأن نعمَه لا تُدْرَكُ بالأمانىِّ ، ولكنها مواهبُ منه يَختصُّ بها مَن يشاءُ من خلقِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ : (٣) ما ننقُلْ مِن حكمِ آيةٍ (٣) إلى غيرِه ، فنغيِّرْه ونبدِّلْه . وذلك أن يحوِّلَ الحلالَ حرامًا ، والحرامَ حلالًا ، والمباحَ محظورًا ، والمحظورَ مباحًا . ولا يكونُ ذلك إلا فى الأمرِ والنهيِ ، والحظرِ والإطلاقِ ، والمنعِ والإباحةِ . فأما الأخبارُ فلا يكونُ منها (٤) ناسخٌ ولا منسوخٌ .

وأصلُ النسخِ من نَسْخِ أصلِ (٥) الكتابِ ، وهو نقلُه مِن نسخةٍ إلى أُخرَى غيرِها . فكذلك معنى نَسْخِ الحكمِ إلى غيرِه ، (٦) إنما هو تحويلُه ونقلُ عبادِه (٧) عنه إلى غيرِه (٦) . فإذ كان ذلك معنى نسخِ الآيةِ ، فسواءٌ - إذا نُسِخَ حكمُها فغُيِّر وبُدِّل فرضُها ، ونُقِل (٨) العبادُ عن اللازمِ كان لهم بها - (٩) أُقِرَّ خطُّها (٩) فتُرِك ، أو مُحِىَ أثرُها

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « تفضلا » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فيها » .

(٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) فى م : « عبارته » . وفى تفسير ابن كثير ١/ ٢١٥ عن المصنف : عبادة إلى غيرها .

(٨) بعده فى م : « فرض » .

(٩ - ٩) فى م : « أوفر حظها » .

فعُفِّىَ و[1] نُسِى ؛ إذ هى حينئذٍ فى كلتى حالتَيْها منسوخةٌ ، والحُكْمُ الحادثُ [٤/٥ظ] المُبْدَلُ به الحكمُ الأولُ والمنقولُ إليه فرضُ العبادِ هو الناسخُ . يقالُ منه : نسَخ اللَّهُ حكمَ[2] آيةِ كذا وكذا ، يَنْسَخُه نَسْخًا ، والنُّسخةُ الاسمُ .

وبمثلِ الذى قلنا فى ذلك كان الحسنُ البصرىُّ يقولُ[3] .

حدَّثنا سَوّارُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، قال : ثنا خالدٌ ، قال : ثنا عوفٌ ، عن الحسنِ أنه قال فى قولِه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا[4] نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ قال[5] : أُقرِئَ قرآنًا ثم نُسِّيَه ، فلم يكنْ شيئًا ، ومن القرآنِ ما قد نُسِخ وأنتم تقرءُونه[6] .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ مَا نَنسَخْ ﴾ ؛ فقال بعضُهم بما حدَّثنى به موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ : أما نسخُها فقبضُها[7] .

وقال آخرون بما حدَّثنى به المثنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ . ما نُبَدِّلْ من آيةٍ[8] .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أو » .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) بعده فى الأصل : « قال » .

(٤) فى ت ٢ ، ت ٣ : « ننساها » ، وغير منقوطة فى الأصل . وقراءة الحسن : (تَنْسها) . ينظر إتحاف فضلاء البشر ص ٨٨ ، وسيأتى ما فى هذه الكلمة من قراءات .

(٥) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال » .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٥ إلى المصنف .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٠٠ (١٠٥٧) عن أبى زرعة ، عن عمرو به .

(٨) أخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ٥ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٠١ (١٠٦٥) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٤٨٦) من طريق عبد اللَّه بن صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٤ إلى ابن المنذر .

وقال آخرون بما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن أصحابِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ أنهم قالوا : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ . نُثْبِتْ خَطَّها ، ونُبَدِّلْ حُكمَها[(١)] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ . نُثْبِتْ خطَّها ، ونُبَدِّلْ حكمَها . حدَّثت به عن أصحابِ ابنِ مسعودٍ .

٤٧٦/١ / حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنى بكرُ بنُ شرودٍ[(٢)] ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، عن أصحابِ ابنِ مسعودٍ : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ : نُثْبِتْ خطَّها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ .

اختلف أهلُ القراءةِ فى قراءةِ ذلك ، فقرَأها قَرَأةُ أهلِ المدينةِ والكوفةِ : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾[(٣)] . ولقراءةِ مَن [(٤)]قرأَهَا كذلك[(٤)] وجهانِ من التأويلِ :

أحدُهما ، أن يكونَ تأويلُه : ما نَنسَخْ يا محمدُ مِن آيةٍ فنُغَيِّرْ حكمَها أو نُنْسِكَها[(٥)] - وقد ذُكِر أنها فى مصحفِ عبدِ اللَّهِ (ما نُنْسِكَ من آيةٍ أو

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١١ ، ومن طريقه البيهقى فى الأسماء والصفات (٤٨٧) ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٩/١ (١٠٥٥) ، والنحاس فى ناسخه ص ٥٨ من طريق ابن أبى نجيح به ، وليس عند النحاس ذكر أصحاب ابن مسعود ، وأخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ٦ ، وابن أبى حاتم ٢٠٠/١ (١٠٦٢) من طريق ابن جريج ، عن مجاهد ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٥/١ إلى آدم بن أبى إياس وأبى داود فى ناسخه .

(٢) فى م ، ت١ : « شوذب » ، وفى ت٢ ، ت٣ : « شودب » .

(٣) وهى قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٨ .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « قرأ ذلك » .

(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « ننسها » .

ننسخها)[1] - نجئْ بمثلِها . فذلك تأويلُ النسيانِ . وبهذا التأويلِ قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ : كان ينسَخُ الآيةَ بالآيةِ بعدَها ، ويقرأُ نبيُّ اللَّهِ ﷺ الآيةَ أو أكثرَ مِن ذلك ثم يُنَسَّى وتُرْفَعُ[2] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . قال : كان اللَّهُ تعالى ذِكْرُه [٦/٤و] يُنْسِى نبيَّه ﷺ ما شاء ، ويَنْسَخُ ما شاء[3] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : كان عُبيدُ بنُ عُميرٍ يقولُ : ﴿ نُنسِهَا ﴾ : نَرْفَعُها مِن عندِكم[4] .

حدثنا سوَّارُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، قال : ثنا خالدُ بنُ الحارثِ ، قال : ثنا عوفٌ ، عن الحسنِ أنه قال فى قولِه : ﴿ أَوْ نُنسِهَا[5] ﴾ . قال : إن نبيَّكم ﷺ أُقْرِئَ قرآنًا ثم نُسِّيه .

وكذلك كان سعدُ بنُ أبى وقَّاصٍ [6]يتأوَّلُ الآيةَ[6] ، [7]إلَّا أنه[7] كان يَقْرَؤُها :

(١) ينظر المصاحف لابن أبى داود ص ٥٨، والناسخ والمنسوخ لأبى عبيد ص ١٠.
(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٠٥ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبى داود فى ناسخه .
(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٥.
(٤) سيأتى بأتم مما هنا فى ص ٤٠٠ .
(٥) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « ننساها » . وينظر ما تقدم فى ص ٣٨٨ .
(٦ - ٦) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « يتأوله » .
(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(أو تَنْسَها[(١)]) . بمعنى الخطابِ لرسولِ اللَّه ﷺ ، كأنه عنَى : أو تَنْسَها أنت يا محمدُ .

ذكرُ الأخبارِ [(٢)]عن ذلك[(٢)]

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرَنا يَعْلَى بنُ عطاءٍ ، عن القاسمِ بنِ ربيعةَ ، قال : سمِعتُ سعدَ بنَ أبي وقاصٍ يقولُ : (مَا نَنْسَخْ مِن آيةٍ أو تَنْسَها) . قال[(٣)] : قلتُ له : فإن سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ يقرؤُها : ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ . قال : فقال سعدٌ : إن القرآنَ لم يَنْزِلْ على المُسَيَّبِ ولا على آلِ المسيَّبِ ، قال اللَّهُ : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى : ٦] . ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[(٤)] [الكهف : ٢٤] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبد الرزاقِ ، قال : أخبرَنا هُشَيْمٌ ، قال : حدَّثنا يَعْلَى بنُ عطاءٍ ، قال : حدَّثنا القاسمُ بنُ ربيعةَ بنِ قانفٍ الثَّقَفيُّ ، قال : سمِعتُ سعدَ بنَ أبي وقاصٍ يَذْكُرُ نحوَه[(٥)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، [(٦)]قال : حدثنا ابنُ مهديٍّ ، وحدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا[(٦)] آدمُ العَسْقلانيُّ ، قالا جميعًا : حدَّثنا شعبةُ ، عن يَعْلَى بنِ عطاءٍ ، قال : سمعتُ القاسمَ بنَ ربيعةَ الثقفيَّ يقولُ : قلتُ لسعدِ بنِ أبي وقاصٍ : إني سمعتُ ابنَ المُسَيَّبِ

---

(١) في ت ١: «تنساها» ، وفي ت ٢،ت ٣: «ننساها» ، وهذه القراءة شاذة . ينظر حجة القراءات ص ١١٠.

(٢ - ٢) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «بذلك» .

(٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) أخرجه الحاكم ٢/ ٥٢١ من طريق يعقوب بن إبراهيم به . وأخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ١٠، وسعيد بن منصور في سننه (٢٠٨ - تفسير) ، وابن أبي داود في المصاحف ص ٩٦، والمزي في تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٧٥ من طريق هشيم به . وصححه الحاكم ، والقاسم مجهول . وفي المصادر اختلاف في حكاية قراءة سعد وسعيد فانظره فيها .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٥.

(٦ - ٦) سقط من : م .

يقرأُ : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ / أَوْ نُنسِهَا ﴾ . فقال سعدٌ : إن اللَّهَ لم يُنزِلِ القرآنَ على المُسَيَّبِ ولا على ابنِه[1] ، إنما هى : (ما نَنْسَخْ مِن آيةٍ أو تَنْسَها) يا محمدُ . ثم قرأ : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[2] . ٤٧٧/١

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . يقولُ : ﴿ نُنسِهَا ﴾ : نَرْفَعُها ، وكان اللَّهُ تعالى ذكرُه أنْزَل أمورًا مِن القرآنِ ثم رفَعها[3] .

والوجهُ الآخرُ منهما ، أن يكونَ بمعنى التركِ ، مِن قولِ اللَّهِ جل ثناؤه : ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧] . يعنى به : تركوا اللَّهَ فترَكهم . فيكونُ تأويلُ الآيةِ حينئذٍ على هذا التأويلِ : ما نَنْسَخْ مِن آيةٍ فنُغَيِّرْ حكمَها ، (٤)أو نترُكْها ولا نُغيِّرْ حُكمَها(٤) ولا(٥) نُبَدِّلْ فرضَها ، نأتِ بخيرٍ مِن التى نسَخْناها أو مثلِها .

وعلى هذا التأويلِ تأوَّل ذلك(٥) جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المُثَنى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن [٦/٤ظ] ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . يقولُ : أو نترُكْها لا نُبدِّلْها[6] .

---

(١) فى الأصل : « أبيك » .

(٢) أخرجه أبو داود فى ناسخه - كما فى التحفة ٣٠٩/٣ - والنسائى فى الكبرى (١٠٩٩٦) ، وابن أبى داود فى المصاحف ص ٩٦، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٠/١ (١٠٥٩) ، والحاكم ٢٤٢/٢ من طريق شعبة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٤/١ إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠١/١ عقب الأثر (١٠٦٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٥) سقط من : م .

(٦) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٨٩.

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ قولَه : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ : نَتْرُكْها لا نَنْسَخْها[1] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرَنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضَّحَّاكِ في قولِه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . قال : الناسخُ والمنسوخُ[2] .

قال : وكان عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ يقولُ في ذلك بما حدَّثني به يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . قال : نَمْحُها .

وقرَأ ذلك آخَرون : (أو نَنْسَأْها)[3] . بفتحِ النونِ وهمزةٍ بعدَ السينِ ، بمعنى : نُؤَخِّرْها . مِن قولِك : نسَأْتُ هذا الأمرَ أَنْسَؤُه نَسْأً ونَساءً ، إذا أخَّرْتَه . وهو مِن قولِهم : بعتُه بنسَاءٍ . يعنى : بتأخيرٍ . ومِن ذلك قولُ طَرَفَةَ بنِ العَبْدِ[4] :

لَعَمْرُك إنَّ المَوْتَ ما أنسَأَ[5] الفَتَى لَكَالطِّوَلِ[6] المُرْخَى وثِنْياهُ باليَدِ

يعني بقولِه : أَنْسَأَ . أَخَّر .

ومِمَّن قرَأ ذلك كذلك [8]جماعةٌ مِن الصحابةِ والتابعين ، وقرَأه[8] جماعةٌ مِن قرأةِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٠١ (١٠٦٦) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٠٠ (١٠٦١) من طريق هشيم به .

(٣) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو . حجة القراءات ص ١٠٩.

(٤) ديوانه ص ٣٧.

(٥) في الديوان : « أخطأ » .

(٦) الطول : الحبل الطويل جدًا . اللسان (ط و ل) ، والبيت فيه كرواية الديوان .

(٧) سقط من : م .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل . وهي قراءة عمر وابن عباس من الصحابة ، وقراءة النخعي وعطاء ومجاهد وعبيد ابن عمير من التابعين . ينظر البحر المحيط ١/ ٣٤٣.

المكِّيين[١] والبصريين . وتأوَّله كذلك جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالا : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرَنا عبدُ الملكِ ، عن عطاءٍ فى قولِه : ﴿ مَا نَنسَخْ من آيةٍ أو نَنسأْها[٢] ﴾ . قال : نُؤَخِّرْها[٣] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، قال : سمِعتُ ابنَ أبى نَجيحٍ يقولُ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ أو نَنسَأْهَا ﴾ . قال : نُرْجِئْها[٤] .

حدَّثنى المُثنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ أو نَنسَأْهَا ﴾ : نُرْجِئْها ونُؤَخِّرْها[٥] .

/ **حدَّثنا** أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازىُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزبيرىُّ ، قال : ثنا فُضَيلٌ ، عن عطيةَ : ﴿ أو نَنسَأْهَا ﴾ قال : نُؤَخِّرْها فلا نَنسَخْها . ٤٧٨/١

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : أخبرنى عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ ، عن عُبيدٍ الأزْدِىِّ ، عن عُبَيدِ بنِ عُمَيْرٍ : ﴿ أو نَنسَأْهَا ﴾ : إرجاؤُها[٦] وتأخِيرُها[٦] .

---

(١) فى م : « الكوفيين » .

(٢) فى الأصل ، ت٢ ، والناسخ والمنسوخ : « ننسها » ، وفى سنن سعيد : « ننسيها » .

(٣) أخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ٦ عن هشيم به . وأخرجه أبو عبيد - أيضا - وسعيد بن منصور فى سننه (٢٠٩ - تفسير) عن مروان بن معاوية عن عبد الملك به .

(٤) أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٤٨٧) من طريق ابن أبى نجيح عن أصحاب ابن مسعود . وهو تتمة الأثر المتقدم فى ص ٣٩٠ .

(٥) أخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ٦ ، ٧ من طريق جرير بن حازم عن حميد الأعرج عن مجاهد به .

(٦ - ٦) فى الأصل : « تأخيرها » .

هكذا حدَّثنا القاسمُ : عن عبدِ اللَّهِ بن كثيرٍ ، عن عُبيدِ الأزْدِيِّ ، وإنما هو : عن عليٍّ الأزديِّ .

حدَّثني أحمدُ بنُ يوسفَ ، قال : حدَّثنا القاسمُ بنُ سلَّامٍ ، قال : حدَّثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كثيرٍ ، عن عليٍّ الأزدِيِّ ، عن عُبيْدِ بنِ عُمَيْرٍ أنه قَرأها : (أو نَنْسَأْهَا)[(١)] .

قال : فتأويلُ مَن قَرأ ذلك كذلك : ما نُبدِّلْ مِن آيةٍ أنزَلناها إليك يا محمدُ ، فنُبطِلْ حُكْمَها ونُثْبِتْ خَطَّها ، أو نُؤخِّرْها فنُرْجِئْها ونُقِرَّها فلا نُغَيِّرْها ولا نُبطِلْ حُكْمَها ، نأتِ بخيرٍ مِنها أو مِثلِها .

وقد قرأ بعضُهم [٤/٧و] ذلك : (مَا نَنْسَخْ من آيةٍ أو تُنْسَها[(٢)]) . وتأويلُ هذه القراءةِ نظيرُ تأويلِ قراءةِ[(٣)] مَن قرأ : ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ . إلا أن معنى : [(٤)]﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ : أو نُنْسِكَها يا محمدُ نحن . مِن : أَنْسَاه اللَّهُ يُنْسِيه . ومعنَى مَن قرأ : (أو تُنْسَها)[(٤)] . أو تنْسَها أنتَ يا محمدُ .

وقد قرأ بعضُهم : (مَا نُنْسِخْ[(٥)] من آيةٍ) . بضَمِّ النونِ وكَسْرِ السِّينِ . بمعنَى : ما نُنْسِخْكَ يا محمدُ نحنُ مِن آيةٍ . مِن : أَنْسَختُكَ فأنا أُنْسِخُك .

قال : وذلك خطأٌ مِن القِراءةِ عندَنا ، لخروجِه عما جاءتْ به الحجّةُ مِن القرأَةِ[(٦)]

---

(١) أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٧ .

(٢) رويت هذه القراءة عن سعيد بن المسيب . المحرر الوجيز ١/ ٣٨٢.

(٣) في الأصل : « قوله » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٥) هي قراءة ابن عامر ، من السبعة . حجة القراءات ص ١٠٩.

(٦) في م : « القراءة » .

بالنقلِ المستفيضِ . وكذلك قراءةُ مَن قرَأ : (تَنْسَها) أو (تُنْسَها) . لشذوذِها وخروجِها عن القراءةِ التي جاءتْ بها الحجةُ مِن قرأَةِ الأمةِ .

وأولى القراءاتِ في قولِه : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . بالصوابِ ، قراءةُ مَن قرأ : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . بمعنى : نترُكها ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أخبرَ نبيَّه ﷺ أنه مهما بدَّل حُكمًا أو غيَّره ، أو لم يبدِّلْه ولم يغيِّره ، فهو آتيه بخيرٍ منه أو بمثلِه . فالذي هو أَوْلَى بالآيةِ إذ كان ذلك معناها ، أن يكونَ إذ قدَّم الخبرَ عما هو صانعٌ[(١)] إذا هو غيَّر وبدّل حكمَ آيةٍ - أن يُعقِّبَ ذلك بالخبرِ عما هو صانعٌ إذا هو لم يُبدِّلْ ذلك ولم يُغيِّرْ . والخبرُ الذي يجِبُ أن يكونَ عَقيبَ قولِه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ . قولُه : أو نترُكْ نَسْخَها . إذ كان ذلك المعروفَ الجاريَ في كلامِ الناسِ ، مع أن ذلك إذا قُرِئَ كذلك بالمعنى الذي وَصَفتُ ، فهو يَشتَمِلُ على معنَى الإنْساءِ الذي هو بمعنى التَّرْكِ ، ومعنى النَّسْءِ[(٢)] الذي هو بمعنَى[(٣)] التَّرْكِ . ومعنى النَّسْءِ الذي هو بمعنَى[(٣)] التأخيرِ ، إذ كان كلُّ متروكٍ فمؤخَّرٌ في[(٤)] حالِ ما هو متروكٌ .

وقد أنكَر قومٌ قراءةَ مَن قرأ : (أَوْ تَنْسها) . إذا عنَى به النسيانَ . وقالوا : غيرُ جائزٍ أن يكونَ رسولُ اللَّهِ ﷺ نَسِي مِن القرآنِ شيئًا مما نُسِخَ[(٥)] ، إلا أن يكونَ نَسِي منه شيئًا ثم ذكَره . قالوا : وبعدُ ، فإنه لو نَسِي منه شيئًا لم يكنِ الذين قرءُوه وحَفِظوه مِن أصحابِه بجائزٍ على جميعِهم أن يَنْسَوه . قالوا : وفي قولِ اللَّهِ جلّ ثناؤُه : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء : ٨٦] . ما يُنْبِئُ عن أن اللَّهَ تعالى ذِكْرُه

---

(١) في الأصل : « سايع » .

(٢) في م : « النساء » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) في م : « على » .

(٥) في م : « لم ينسخ » .

لم يُنْسِ نبيَّه شيئًا[1] آتاه مِن العلمِ .

قال أبو جعفرٍ : وهذا قولٌ يَشهَدُ على بُطُولِه وفسادِه الأخبارُ المتظاهِرَةُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه بنحوِ الذى[2] **حدثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : حدثنا/ أنسُ بنُ مالكٍ : إنَّ أولئك السَّبْعِين مِن الأنصارِ الذين قُتِلوا ببئرِ مَعُونةَ[3] قرَأْنا بهم وفيهم [٤/٧ظ] كتابًا : (بَلِّغوا عنَّا قَوْمَنا أنَّا لَقِينا ربَّنا فرَضِىَ عنَّا وأرْضَانا) . ثم إن ذلك رُفِعَ[4] .

١/٤٧٩

فالذى ذُكِرَ[5] عن أبى موسى الأشعَرىِّ أنهم كانوا يَقْرءون[6] : (لو أن لابنِ آدمَ واديين مِن مَالٍ لابتغى لهما ثالثًا ، ولا يَمْلأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ ، ويَتوبُ اللَّهُ على مَن تابَ)[7] . ثم رُفِعَ .

وما أشْبَهَ ذلك مِن الأخبارِ التى يَطُولُ بإحْصائِها الكتابُ .

وغيرُ مستحيلٍ فى فِطْرةِ ذِى عقلٍ صحيحٍ ، ولا بحُجةِ خبرٍ ، أن يُنْسِىَ اللَّهُ نبيَّه ﷺ بعضَ ما قد كان أنزَله إليه ، فإذا كان ذلك غيرَ مستحيلٍ مِن أحدِ هذين الوجهين ، فغيرُ جائزٍ لقائلٍ أن يقولَ : ذلك غيرُ جائزٍ .

وأما قولُه : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ . فإنه جل ثناؤُه لم يُخْبِرْه أنه لا يَذْهَبُ بشىءٍ منه ، وإنما أخبرَه أنه لو يشاءُ لذَهَب بجَميعِه ، فلم يَذْهَبْ

---

(١) بعده فى م : « مما » .

(٢) بعده فى م : « قلنا » .

(٣) بئر معونة : بين أرض بنى عامر وحرّة بنى سليم . معجم البلدان ١/ ٤٣٥ .

(٤) أخرجه البخارى (٤٠٩٠) من طريق يزيد به بنحوه .

(٥) فى م : « ذكرنا » .

(٦) فى الأصل : « يقولون » .

(٧) أخرجه مسلم (١٠٥٠) بنحوه . وينظر مسند الطيالسى (٥٤١) .

به ، والحمدُ للَّهِ ، بل إنما ذَهَب منه[1] بما[2] لا حاجةَ بهم إليه منه ، وذلك أن ما نَسَخ منه فلا حاجةَ بالعبادِ إليه ، وقد قال اللَّهُ تعالى ذِكْرُه : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى : ٦، ٧] . فأخبرَ أنه يُنْسِى نبيَّه منه ماشاء . فالذى ذَهَب منه الذى اسْتَثْناه اللَّهُ .

فأما نحن ، فإنما اخْتَرنا ما اخْتَرنا مِن التأويلِ طَلَبَ اتِّساقِ الكلامِ على نظامٍ فى المعنى ، لا إنكارَ أن يكونَ اللَّهُ تعالى ذِكْرُه قد كان أنسى[3] نبيَّه بعضَ ما نَسَخ مِن وحيِه إليه وتنزيلِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ .

اختَلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ . فقال بعضُهم بما حدَّثنى به المثنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ . يقولُ : خيرٍ لكم فى المنفعةِ وأرفقَ بكم[4] .

وقال آخرون بما حدَّثنى به الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا مَعمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ . يقولُ : آيةٍ فيها تَخْفِيفٌ ، فيها رُخْصَةٌ[5] ، فيها أَمْرٌ ، فيها نَهْىٌ[6] .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى ت ١، ت ٢: « ما » .

(٣) فى م : « آتى » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠١/١ (١٠٦٧) من طريق عبد الله بن صالح به . وينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٥٤، والفتح ١٥٨/٨ .

(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « رحمة » .

(٦) تفسير عبد الرزاق ٥٥/١ .

وقال آخرون : نأتِ بخيرٍ مِن التى نَسَخْناها ، أو بخيرٍ مِن التى تَرَكْناها فلم نَنْسَخْها .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ . يقولُ : نأتِ بخيرٍ مِن التى نَسَخْناها ، ﴿ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ أو مثلِ التى تَرَكْناها[1] .

فالهاءُ والألفُ اللتان فى : ﴿ مِّنْهَآ ﴾ عائدتان – على هذه المقالةِ – على الآيةِ فى قولِه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ . والهاءُ والألفُ اللتان فى قوله : ﴿ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ عائدتان على الهاءِ والألفِ اللتين فى قولِه : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ .

[٨/٤و] **وقال آخرون** بما **حدَّثنى** به المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : كان عُبيدُ بنُ عُميرٍ يقولُ : ﴿ نُنسِهَا ﴾ : نرفعُها مِن عندِكم ، فنأْتى[2] بمثلِها أو خيرٍ منها[3] .

١/٤٨٠ /**حدَّثنى** المثنَّى ، قال : حدّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ : نَرْفعُها ، نأتِ بخيرٍ منها أو بمثلِها[4] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا بكرُ بنُ شرودٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، عن أصحابِ ابنِ مسعودٍ مثلَه .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠١/١ (١٠٦٩) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) فى م : « نأت » .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢١٠ ، ٢١١ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠١/١ (١٠٦٤) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٤٨٧) عن ابن أبى نجيح عن عبيد بن عمير .

(٤) تقدم تخريجه فى ص ٣٩٣ .

والصوابُ مِن القولِ فى معنى ذلك عندَنا : ما نُبَدِّلْ مِن حُكْمِ آيةٍ فنُغَيِّرْه ، أو نَتْرُكْ تَبْدِيلَه فنُقِرَّه بحالِه ، نَأْتِ بخيرٍ[1] لكم مِن حُكْمِ الآيةِ التى نَسَخْنا فغيَّرنا حُكْمَها ، إما فى العاجلِ ؛ لخِفَّتِه عليكم ، مِن أجلِ أنه وَضْعُ فَرْضٍ كان عليكم ، فأُسْقط ثِقَلُه عنكم ، وذلك كالذى كان على المؤمنين مِن فَرْضِ قيامِ الليلِ ، ثم نُسِخ ذلك فوضِع عنهم ، فكان[2] خيرًا لهم فى عاجلِهم ، لسقوطِ عِبْءِ ذلك وثِقلِ حِمْلِه عنهم ، وإما فى الآجلِ ؛ لعِظَمِ ثوابِه مِن أجلِ مَشَقَّةِ حملِه ، وثِقَلِ عِبْئِه على الأبدانِ . كالذى كان عليهم مِن صيامِ أيامٍ مَعْدوداتٍ فى السنةِ ، فنُسِخَ وفُرِضَ عليهم مكانَه صومُ شهرٍ كاملٍ فى كلِّ حَوْلٍ . فكان فَرْضُ صومِ شهرٍ كاملٍ كلَّ سنةٍ أثْقلَ على الأبدانِ مِن صيامِ أيامٍ مَعْدوداتٍ ، غيرَ أن ذلك وإن كان كذلك ، فالثوابُ عليه أجْزَلُ ، والأجرُ عليه أكثرُ ؛ لفَضْلِ مَشَقَّتِه على مُكَلَّفيه مِن صومِ أيامٍ معدوداتٍ بذلك[3] ، وإن كان على الأبدانِ أشقَّ ، فهو خيرٌ مِن الأوَّلِ فى الآجلِ ؛ لفضلِ ثوابِه وعِظَمِ أجْرِه الذى لم يكنْ مثلُه لصومِ الأيامِ المعدوداتِ . فذلك معنى قولِه : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ . لأنه إما بخيرٍ منها فى العاجلِ لخِفَّتِه على مَن كُلِّفَه ، أو فى الآجلِ لعِظَمِ ثوابِه وكثرةِ أجرِه . أو يكونُ مِثلَها فى المشقَّةِ على البدنِ ، واستواءِ الأجرِ والثوابِ عليه ، نَظِيرَ نسخِ اللَّهِ تعالى ذِكْرُه فرضَ الصلاةِ شَطْرَ بيتِ المقدسِ إلى فرضِها شطرَ المسجدِ الحرامِ . فالتوجُّهُ شَطْرَ بيتِ المقدسِ وإن خالَف التوجهَ شطرَ المسجدِ الحرامِ[4] ، فكُلْفةُ مؤنةِ[5] التوجهِ [6]شطرَ أيِّهما توجَّه[6]

(١) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « منها » .

(٢) بعده فى م : « ذلك » .

(٣) فى م ، ت ٢ : « فذلك » .

(٤) زيادة من : ت ٢ .

(٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) فى الأصل : « فوجه شطرانهما » .

شطرَه[1] المتوجِّهُ[2] - واحدةٌ ؛ لأنَّ الذى على المتوجِّهِ شطرَ البيتِ المقدَّسِ مِن مُؤْنةِ تَوجُّهِه شطرَه ، نَظِيرُ الذى على بدنِه[3] من[4] مؤنةِ توجُّهِهِ شطرَ الكعبةِ سواءٌ . فذلك هو معنى المِثْلِ الذى قال جل ثناؤُه : ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ .

وإنما عَنَى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ : ما نَنْسَخْ [٤/٨ظ] مِن حكمِ آيةٍ أو نُنْسِه . غيرَ أن المُخاطبين بالآيةِ لمَّا كان مفهومًا عندَهم معناها ، اكتفى بدَلالةِ ذكرِ الآيةِ مِن ذِكْرِ حُكْمِها . وذلك نظيرُ سائرِ ما ذَكَرنا مِن نظائرِه فيما مَضَى مِن كتابِنا هذا ، كقولِه : ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ . بمعنى : حُبَّ العجلِ . ونحوِ ذلك[5] .

فتأويلُ الآيةِ إذن : ما نُغيِّرْ مِن حُكْمِ آيةٍ فنُبَدِّلْه ، أو نَتْرُكْه فلا نُبَدِّلْه ، نَأْتِ بخيرٍ لكم منه[6] - أيها المؤمنون - حُكْمًا منها ، أو مِثْلِ حُكْمِها ، فى الخِفَّةِ والثِّقَلِ ، والأجرِ والثوابِ .

فإن قال قائلٌ : فإنا قد عَلِمنا أن العِجْلَ لا يُشْرَبُ[7] القلوبَ ، وأنه لا يَلْتَبِسُ على مَن سمِع قولَه : ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ . أن معناه : وأُشْرِبوا فى قلوبِهم حُبَّ العجلِ . فما الذى يَدُلُّ على أن قولَه : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ لذلك نظيرٌ ؟

---

(١) فى ت ٢: « الشطر » ، وفى ت ١، ت ٣: « شطره » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى ت ٢: « يده » ، وفى ت ١، ت ٣: « يديه » .

(٤) بعده فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « نظير » .

(٥) ينظر ما تقدم فى ص ٢٦٥، ٢٦٦ .

(٦) زيادة من : الأصل .

(٧) بعده فى م : « فى » .

قيل : الذى دلَّ على أن ذلك كذلك قولُه : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ .

وغيرُ جائزٍ أن يكونَ مِن / القرآنِ شىءٌ خيرًا مِن شىءٍ ؛ لأن جميعَه كلامُ اللَّهِ ، ولا يجوزُ فى صفاتِ اللَّهِ تعالى ذِكرُه أن يقالَ : بعضُها أفضلُ مِن بعضٍ ، أو[1] بعضُها خيرٌ مِن بعضٍ . ٤٨١/١

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقولِه : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ : ألم تَعْلَمْ يا محمدُ أنى قادرٌ على تعويضِك مِمَّا نسَختُ مِن أحكامى ، وغيَّرْتُه مِن فرائضِى التى كنتُ افترَضْتُها عليك ، ما أشاءُ مِمَّا هو خيرٌ لك ولعبادى المؤمنين معك ، وأنفعُ لك ولهم ، إمَّا عاجلًا فى الدنْيا ، وإمَّا آجِلًا فى الآخرةِ ، أو بأن أبدِّلَ لكَ ولهم مكانَه مثلَه فى النفعِ لهم ، عاجلًا فى الدنْيا وآجلًا فى الآخِرَةِ ، وشَبيهَه فى الخِفَّةِ عليك وعليهم ؟ فإنى - فاعلَمْ يا محمدُ - على ذلك وعلى كلِّ شىءٍ قديرٌ .

ومعنى قولِه : ﴿ قَدِيرٌ ﴾ . فى هذا الموضعِ : قَوِىٌّ . يقالُ منه : قد قدَرْتُ على كذا وكذا - إذا قَوِيتَ عليه - أقدِرُ عليه ، وأَقْدُرُ عليه ، قُدْرَةً وقِدْرانًا ومَقْدِرَةً . وبنو مُرَّةَ مِن غَطَفَانَ تقولُ خاصةً[2] : قدِرتُ عليه . بكسرِ الدالِ .

فأمَّا مِن التقديرِ مِن قولِ القائلِ : قدَرتُ الشىءَ . فإنه يقالُ منه : قدَرتُه أَقْدُرُه قَدْرًا وقدَرًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « و » .

(٢) سقط من : م .

قال أبو جعفرٍ : إن قال لنا قائلٌ : أوَ لم يكُنْ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعلَمُ أن اللَّهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأن اللَّهَ له مُلكُ السماواتِ والأرضِ حتى قيل [٩/٤و] له ذلك ؟

قيل : بَلَى ، فقد كان بعضُهم يقولُ : إنما ذلك مِن اللَّهِ جل ثناؤه خبرٌ عن أن محمدًا ﷺ قد علِم ذلك ، ولكنه[١] أَخْرَجَ الكلامَ مُخْرَجَ التقريرِ ، كما تفعَلُ مثلَه العربُ في خطابِ بعضِها بعضًا ، فيقولُ أحدُهم لصاحبِه : ألم أُكْرِمْك ، ألم أُفْضِلْ[٢] عليك . بمعنى إخبارِه أنه قد أكرَمَه وأَفضَل[٣] عليه . يُرِيدُ : أليس قد أكرمتُك ، أليس قد أفْضلْتُ[٤] عليك . بمعنى : قد علِمتَ ذلك .

قال : وهذا قولٌ[٥] لا وجهَ له عندنا ، وذلك أن قولَه جل ثناؤه : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ . إنما معناه : أمَا عَلِمتَ . وهو حَرْفُ جَحْدٍ أُدخِلَ عليه حرفُ استفهامٍ ، وحروفُ الاستفهامِ إنما تَدْخُلُ في الكلامِ ؛ إمَّا بمعنى الاسْتِثْباتِ ، وإمَّا بمعنى النفيِ ، فأمَّا بمعنى الإثباتِ ، فذلك غيرُ معروفٍ في كلامِ العربِ ، ولا سيَّما إذا أُدخِلتْ على حروفِ الجحدِ ، ولكنَّ ذلك عندي ، وإن كان ظهَر ظُهورَ الخطابِ للنبيِّ ﷺ ، فإنما هو مَعْنيٌّ به أصحابُه الذين قال لهم[٦] اللَّهُ جل ثناؤه : ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ . والذي يَدُلُّ على أن ذلك كذلك قولُه جل ثناؤه : ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ . فعاد بالخطابِ في آخرِ الآيةِ إلى جميعِهم ، وقد ابتدأ أوَّلَها بخطابِ النبيِّ ﷺ بقولِه : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . لأن المرادَ بذلك الذين وصَفتُ أمرَهم مِن أصحابِه ، وذلك مِن كلامِ

---

(١) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قد » .

(٢) في م : « أتفضل » .

(٣) في م : « تفضل » .

(٤) في م : « تفضلت » .

(٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦) سقط من : م .

العربِ مستفيضٌ بينهم فصيحٌ ، أن يُخْرِجَ المتكلِّمُ منهم[(١)] كلامَه على وجهِ الخطابِ منه لبعضِ الناسِ ، وهو قاصدٌ به غيرَه ، وعلى / وجهِ الخطابِ لواحدٍ ، وهو يَقْصِدُ به جماعةً غيرَه ، أو جماعةٍ[(٢)] المخاطَبُ به أحدُهم ، وعلى وجهِ[(٣)] الخطابِ للجماعةِ والمقصودُ به أحدُهم ؛ مِن ذلك قولُ اللَّهِ جل ثناؤه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ ثم قال : ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ١، ٢] . فرجَع إلى خطابِ الجماعةِ ، وقد ابتدأ[(٤)] الكلامَ بخطابِ النبيِّ ﷺ . ونظيرُ ذلك قولُ الكُمَيْتِ بنِ زيدٍ في مدحِ رسولِ اللَّهِ ﷺ[(٥)] :

١/٤٨٢

إلى السِّراجِ المُنِيرِ أحْمَدَ لا يَعْدِلُنِي رَغْبَةٌ ولا رَهَبُ
عنه إلى غَيْرِه ولو رَفَعَ النَّاسُ إلىَّ العُيُونَ وارْتَقَبُوا
وقِيلَ أفْرَطْتَ بل قَصَدْتُ ولو عَنَّفَنى القائِلُونَ أوْ ثَلَبُوا[(٦)]
لَجَّ بتَفْضِيلِكَ اللِّسانُ ولو أُكْثِرَ فيك الضِّجاجُ واللَّجَبُ[(٧)]
[٩/٤ظ] أنتَ المُصَفَّى[(٨)] المَحْضُ المُهَذَّبُ في النِّسْبَةِ إنْ نَصَّ[(٩)] قَوْمَك النَّسَبُ

فأخرَجَ كلامَه على وجهِ الخطابِ للنبيِّ ﷺ ، وهو قاصدٌ بذلك أهلَ بيتِه .

---

(١) سقط من : م .
(٢) بعده في م : « و » .
(٣) في م : « هذا » .
(٤) في ت ١: « ابتدئ » .
(٥) الأبيات في الحيوان للجاحظ ٥/ ١٧٠.
(٦) ثلب : لام وعاب ، وقيل : الثلب : شدة اللوم والأخذ باللسان . التاج (ث ل ب) .
(٧) اللجب : ارتفاع الأصوات واختلاطها . التاج (ل ج ب) .
(٨) في ت ١، ونسخ الحيوان : « المصطفى » .
(٩) نص : رفع . اللسان (ن ص ص) .

فكنَى عن وصفِهم ومدحِهم بذكرِ النبيِّ ﷺ ، وعن بنى أُمَيَّةَ بالقائلين المُعَنِّفينَ ؛ لأنه معلومٌ أنه لا أحدَ يُوصَفُ [(١] من المسلمين [١)] بتعنيفِ مادحِ النبيِّ ﷺ وتفضيلِه ، ولا بإكثارِ الضِّجاجِ واللَّجَبِ فى إطنابِ القِيلِ بفضلِه . وكما قال جَمِيلُ [(٢)] بنُ مَعْمَرٍ [(٣)] :

ألا إنَّ جِيرانى العَشِيَّةَ رَائِحُ دَعَتْهُمْ دَواعٍ مِن هَوًى ومَنادِحُ [(٤)]

فقال : ألا إن جيرانى العشيةَ . فابْتَدَأ الخبرَ عن جماعةِ جيرانِه ، ثم قال : رائحُ ؛ لأن قصْدَه فى ابتدائِه ما ابْتَدَأ [(٥)] مِن كلامِه الخبرُ عن واحدٍ منهم دونَ جماعتِهم . وكما قال جَمِيلٌ أيضًا فى كلمتِه الأُخرَى [(٦)] :

خَلِيلَيَّ فيما عِشْتُما هل رَأَيْتُما قَتِيلًا بَكَى من حُبِّ قاتِلِه قَبْلِى

وهو يُريدُ قاتلتَه [(٧)] ؛ لأنه إنما يَصِفُ امرأةً ، فكنَى بوصفِ [(٨)] الرجلِ عنها وهو يَعْنِيها . فكذلك قولُه : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وإن كان ظاهرُ الكلامِ على وجهِ الخطابِ للنبيِّ ﷺ ، فإنه مقصودٌ به قصدُ أصحابِه ، وذلك بيِّنٌ بدلالةِ قولِه : ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ الآيات الثلاث بعدَها ، على أن ذلك كذلك .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « جرير » .

(٣) التبيان ١/ ٤٠١.

(٤) المنادح : المفاوز ، وأرض مندوحة : واسعة بعيدة . التاج (ن د ح) .

(٥) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « به » .

(٦) البيت فى أمالى القالى ٢/ ٧٤، والأغانى ١/ ١١٧.

(٧) فى الأصل : « قاتله » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قاتليه » .

(٨) فى م : « باسم » .

وأمّا قولُه : ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . ولم يقُلْ : مِلكُ السماواتِ . فإنه عنَى بذلك مُلْكَ السلطانِ والمملكةِ دونَ المِلْكِ ، والعربُ إذا أرادت الخبرَ عن المملكةِ التى هى مملكةُ سلطانٍ ، قالت : ملَك اللَّهُ الخلقَ مُلْكًا . وإذا أرادت الخبرَ عن المِلْكِ قالت : ملَك فلانٌ هذا الشىءَ ، فهو يَمْلِكه مِلْكًا ومَلَكَةً ومَلْكًا .

فتأويلُ الآيةِ إذن : ألم تعلَمْ يا محمدُ أن لى مُلكَ السماواتِ والأرضِ وسلطانَهما دونَ غيرِى ، أحْكُمُ فيهما وفيما فيهما ما أشاءُ[١] ، وآمُرُ فيهما وفيما فيهما بما أشاءُ ، وأنْهَى عمَّا أشاءُ ، وأَنْسَخُ وأُبَدِّلُ وأغيِّرُ مِن أحكامى التى أحْكُمُ بها فى عبادى ما أشاءُ إذا أشاءُ ، وأُقِرُّ منها ما أشاءُ .

وهذا الخبرُ وإن كان مِن اللَّهِ عزّ وجلَّ خطابًا / لنبيِّه محمدٍ ﷺ على وجهِ الخبرِ عن عَظَمتِه ، فإنه منه جل ثناؤه تكذيبٌ لليهودِ الذين أنْكَروا نسْخَ أحكامِ التوراةِ ، وجحَدوا نُبوَّةَ عيسى ومحمدٍ[٢] صلى اللَّه عليهما ، لمجيئِهما بما جاءا به مِن عندِ اللَّهِ بتغييرِ ما غيَّرَ اللَّهُ مِن أحكامِ[٣] التوراةِ ، فأخبَرهم اللَّهُ أن له مُلْكَ السماواتِ والأرضِ وسلطانَهما ، [٤]وأنَّ[٤] الخلقَ أهلُ مَمْلَكتِه وطاعتِه ، عليهم السمعُ له والطاعةُ لأمرِه ونهيِه ، وأن له أمْرَهم بما شاءَ ، ونهيَهم عمَّا شاءَ ، وإقرارَ ما شاءَ ، ونسْخَ ما شاءَ ، وإنساءَ ما شاءَ مِن أحكامِه وأمرِه ونهيِه ، ثم قال [٤/١٠و] لنبيِّه ﷺ وللمؤمنين معه : انقادُوا لأمرِى ، وانْتَهُوا إلى طاعتى فيما أَنْسَخُ وفيما أتْرُكُ[٥] ، فلا

٤٨٣/١

(١) بعده فى ت ٣: «إذا أشاء».

(٢) فى م : «أنكروا محمدًا».

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «حكم».

(٤ - ٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «فإن».

(٥) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «أنزل».

أَنْسَخُ مِن أحكامى ولا[(١)] حُدُودِى وفرائِضِى ، ولا يَهِيدَنَّكم[(٢)] خلافُ مُخالفٍ لكم فى أمرِى ونهيى ، وناسخِى ومنسوخِى ، فإنه لا قَيِّمَ بأمرِكم[(٣)] سوایَ ، ولا ناصِرَ[(٤)] لكم غيرى ، وأنا المنفردُ بوَلايتِكم والدفاعِ عنكم ، والمتوحِّدُ بنُصْرَتِكم بعزَّتى وسُلطانى وقوَّتى على مَن ناوَأكم وحادَّكم ، ونصَب حَرْبَ العداوةِ بينه وبينَكم ، حتى أُعْلِىَ حُجَّتَكم ، (٥)وأجعلَها عليهم(٥) لكم .

و « الوَلِىُّ »[(٦)] فَعِيلٌ ، مِن قولِ القائلِ : وَلِيتُ أمرَ فلانٍ . إذا صِرْتَ قيِّمًا به ، فأنا أَلِيه ، وهو[(٧)] وَلِيُّه وقَيِّمُه . ومِن ذلك قِيل : فلانٌ ولِىُّ عهدِ المسلمين . يعنى به القيِّمَ بما عُهِد إليه مِن أمرِ المسلمين .

وأمَّا « النصيرُ » ، فإنه فَعِيلٌ ، مِن قولِك : نصَرتُك أنصرُك ، فأنا ناصرُك ونصيرُك . وهو المُؤَيِّدُ والمُقَوِّى .

وأمَّا معنى قولِه: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فإنه : سِوَى اللَّهِ وبعدَ اللَّهِ . ومنه قولُ أُمَيَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ[(٨)] :

يا نَفْسُ ما لَكِ دُونَ اللَّهِ مِن وَاقِى وَمَا عَلى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنْ باقى

يُرِيدُ : ما لكِ سوى اللَّهِ وبعدَ اللَّهِ مَن يَقِيكِ المكارهَ .

---

(١) زيادة من : الأصل .

(٢) فى الأصل : « يهتدنكم » ، وفى ت ١ : « يهدينكم » . وهاده الشىء يَهيده : أفزعه . التاج (هـ ى د) .

(٣) فى ت ١ ، ت ٣: « يأمركم » .

(٤) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « يأمر » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « وأجعل الظفر عليكم » ، وفى ت ١ ، ت ٣: « وأجعل عليهم » ، وفى ت ٢: « وأجعله عليهم » .

(٦) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « معناه » .

(٧) فى ت ١: « فأنا » .

(٨) ديوانه ص ٢١ .

فمعنى الكلامِ إذن : وليس لكم أيُّها المؤمنون بعدَ اللَّهِ مِن قَيِّمٍ بأَمْرِكم[1] ، ولا نصيرٍ يؤيِّدُكم ويقوِّيكم ، فيُعِينَكم على أعدائِكم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ .

اختَلَف أهلُ التأويلِ فى السببِ الذى مِن أجلِه أُنزِلَت هذه الآيةُ ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، **وحدَّثنا** ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ بنُ الفضلِ ، قالا : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رافعُ بنُ حُرَيْمِلَةَ ووهبُ بنُ زيدٍ لرسولِ اللَّهِ ﷺ : ائتنا بكتابٍ تُنَزِّلُه علينا مِن السماءِ نَقْرَؤُه ، وفجِّرْ لنا أنهارًا نَتَّبِعْك ونُصَدِّقْك . فأَنْزَل اللَّهُ [2] فى ذلك مِن قولِهم [2] : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ الآية[3] .

[٤/١٠ظ] **وقال آخرون بما حدَّثنا** بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ : وكان موسى سئِل فقيل له : ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[4] .

/**حدَّثنى** موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أن يُرِيَهم اللَّهَ ١/٤٨٤

---

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « يأمركم » ، وغير منقوطة فى الأصل .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٥٤٨ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٠٢ (١٠٧٤) من طريق سلمة به .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٠٣ عقب الأثر (١٠٧٧) معلقا .

جهرةً ، فسألت العربُ محمدًا ﷺ أن يأتيَهم باللَّهِ[(١)] فيَرَوْنه جهرةً[(٢)] .

وقال آخرون بما حدَّثني به محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أن يُرِيَهم اللَّهَ جهرةً ، فسألت قريشٌ محمدًا ﷺ أن يَجْعَلَ لهم[(٣)] الصَّفا ذهبًا ، قال : « نعم ، [(٤)]وهو[(٤)] لكم [(٥)]كالمائدةِ لبَنِي[(٥)] إسرائيلَ[(٦)] » . فأبَوْا ورجَعوا[(٧)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : سألتْ قريشٌ محمدًا ﷺ أن يَجْعَلَ لهم الصَّفَا ذهبًا ، فقال : « نَعَمْ ، [(٨)]وهو[(٨)] لكم كالمائِدةِ لبَنِي إسرائيلَ إن كفَرْتُم » . فأبَوْا ورجَعوا ، فأنْزَل اللَّهُ : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أن يُرِيَهم اللَّهَ جهرةً .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وقال آخرون بما حدَّثني به المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ،

---

(١) فى الأصل : « الله » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١/٢٠٣ (١٠٧٧) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٧ إلى ابن المنذر .

(٣) فى م : « الله له » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « هو » .

(٥ - ٥) فى م : « كمائدة بنى » .

(٦) بعده فى م : « إن كفرتم » .

(٧) تفسير مجاهد ص ٢١١، ومن طريقه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١/٢٠٣ (١٠٧٥) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٧ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٨ - ٨) فى الأصل : « هو » .

عن أبيه ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ ، قال : قال رجلٌ : (١) يا رسولَ اللَّهِ (١) ، لو كانت كفَّاراتُنا كفَّاراتِ بني إسرائيلَ ؟ فقال النبيُّ ﷺ : « اللهمَّ لا نَبْغِيها ، (٢) اللهمَّ لا نبغيها (٢) ، ما أعطَاكم اللَّهُ خيرٌ مما أعطَى بني إسرائيلَ ؛ كانت بنو إسرائيلَ إذا أصابَ (٣) أحدُهم الخَطيئةَ وجَدها مكتوبةً على بابِه وكفَّارتَها ، فإن كفَّرها كانت له خِزْيًا في الدنيا ، وإن لم يُكفِّرْها كانت له خِزيًا في الآخرةِ ، (٤) وقد (٤) أعْطاكم اللَّهُ خيرًا مما أعْطى بني إسرائيلَ ، قال : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ » [النساء: ١١٠] . قال : وقال : « الصلواتُ الخمسُ ، والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ ، كفَّاراتٌ لما بينَهنَّ » . وقال : « مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فلم يَعْمَلْها كُتِبت له [١١/٤و] حسنةً ، وإن عمِلها كُتِبت له عشْرَةَ أمثالِها ، ولا يَهْلِكُ على اللَّهِ إلا هالكٌ » . فأنْزَل اللَّهُ : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ (٥) .

واخْتَلف أهلُ العربيةِ في معنى « أمْ » التي في قوله : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ .

فقال بعضُ البصريِّين : هي بمعنى الاستفهامِ ، وتأويلُ الكلامِ : أتُرِيدون أن تسألوا رسولَكم ؟

وقال آخَرُ (٦) منهم : هي بمعنى استفهامٍ مُسْتَقْبَلٍ مُنْقَطِعٍ مِن الكلامِ ، كأنك تَمِيلُ بها إلى أوَّلِه ، كقولِ العربِ : إنها لإبلٌ - يا قومُ - أم شاءٌ ، ولقد كان كذا وكذا أمْ حَدْسُ (٧) نفسي .

(١ - ١) في الأصل : « لرسول الله ﷺ » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وفي تفسير ابن أبي حاتم : « ثلاثا » .

(٣) في م : « فعل » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وجد » .

(٤ - ٤) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فقد » ، وفي تفسير ابن أبي حاتم : « فما » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٣/١ (١٠٧٦) من طريق ابن أبي جعفر به . وهو مرسل .

وقوله : « الصلوات الخمس ... » . أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة .

وقوله : « من هم بحسنة فلم يعملها ... » . أخرجه مسلم (١٣١) من حديث ابن عباس .

(٦) في م : « آخرون » .

(٧) في الأصل : « حدثت » .

قال : وليس قولُه : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ على الشكِّ ، ولكنه قاله ليُقَبِّحَ له صنيعَهم . واسْتَشْهَد لقولِه ذلك ببيتِ الأَخْطَلِ[(١)] :

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أم رَأَيْتَ بوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلامِ مِن الرَّبَابِ خَيَالَا

٤٨٥/١ / وقال بعضُ نحويِّى الكوفيِّين[(٢)] : إن شِئتَ جعَلتَ قولَه : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ استفهامًا مُبتدأً[(٣)] على كلامٍ قد سبَقه ، كما قال جل ثناؤُه : ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [السجدة : ١- ٣] . فجاءت « أمْ » وليس قبلَها استفهامٌ . فكان ذلك عندَه دليلًا على أنها استفهامٌ مبتدَأٌ على كلامٍ قد سبَقه .

وقال قائلُ هذه المقالةِ : « أم » فى المعنى تكونُ ردًّا[(٤)] على الاستفهامِ على جهتين : إحداهما ، أن تُفَرِّقَ[(٥)] معنى « أىّ » ، والأُخْرَى ، أن يُسْتَفْهَمَ بها ، ويكونَ على جهةِ[(٦)] النَّسَقِ ، والذى يُنْوَى به الابتداءُ ، إلَّا أنه ابتداءٌ مُتَّصلٌ بكلامٍ ، فلو ابتدأْتَ كلامًا ليس قبلَه كلامٌ ثم استفْهمتَ ، لم يكنْ إلَّا بالألفِ أو بـ « هل » .

قال : وإن شِئتَ قلتَ فى قولِه : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ : قبلَه استفهامٌ فرُدَّ عليه ، وهو فى قولِه : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندى – على ما جاءتْ به الآثارُ التى ذكَرْناها عن أهلِ التأويلِ – أنه استفهامٌ مُبْتدَأٌ بمعنى : أَتُرِيدون أيُّها القومُ أن تَسْأَلوا رسولَكم ؟ وإنما جاز أن يَسْتَفْهِمَ القومَ بـ « أم » – وإن كانت « أم » أحدُ شروطِها أن تكونَ نَسَقًا

---

(١) شرح ديوانه ص ٣٨٥.

(٢) هو الفراء فى معانى القرآن ١/ ٧١.

(٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) فى الأصل : « تدل » .

(٥) فى م : « تعرف » .

(٦) فى الأصل : « وجه » .

فى الاستفهامِ - لتقدُّمِ ما تقدَّمَها مِن الكلامِ ؛ لأنها تكونُ استفهامًا مُبتَدأً إذا تقدَّمَها سابقٌ مِن الكلامِ ، ولم يُسْمَعْ مِن العربِ استفهامٌ بها ولمَّا يتقدَّمْها كلامٌ . [(١] ونظيرُه [١)] قولُه جل ثناؤه : ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ . وقد [٤/١١١ظ] تكونُ « أم » بمعنى « بل » إذا سبَقها استفهامٌ لا تَصْلُحُ فيه « أىّ » ، فيقولون : هل لك قِبَلَنا حقٌّ ، أم أنت رجلٌ معروفٌ بالظلمِ ؟ [(٢] يرادُ به : بل أنت رجلٌ مَعْروفٌ بالظُّلْمِ [٢)] . كما قال الشاعرُ [(٣)] :

فَوَاللَّهِ ما أَدْرِى أَسَلْمَى [(٤] تَغَوَّلَتْ أَمِ النَّوْمُ [٤)] أَمْ كُلٌّ إلىَّ حَبِيبُ

يَعنى : بل كلٌّ إلىَّ حبيبٌ .

وقد كان بعضُهم يقولُ - مُنْكِرًا قولَ مَن زعَم أن « أم » فى قولِه : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ استِفهامٌ مُستقبَلٌ مُنقطِعٌ مِن الكلامِ ، يَميلُ بها إلى أوَّلِه - : إن الأولَ خبرٌ ، والثانىَ استفهامٌ ، والاستفهامُ لا يكونُ فى الخبرِ ، والخبرُ لا يكونُ فى الاستفهامِ ، ولكن أدرَكه الشكُّ - بزَعمِه - بعدَ مُضِىِّ الخبرِ ، فاسْتَفْهَمَ .

فإذ كان بمعنى [(٥)] « أم » ما وصَفْنا ، فتأويلُ الكلامِ : أتُريدون أيُّها القومُ أن تَسْأَلوا رسولَكم مِن الأشياءِ نظيرَ ما سأَل قومُ موسى موسى [(٦)] مِن قبلِكم ، فتَكْفُروا إن مُنِعْتُموه ، بمسألَتِكم [(١)] ما لا يجوزُ فى حكمةِ اللَّهِ إعطاؤُكموه ، أو تَهْلِكوا إن كان

(١ - ١) فى الأصل : « هو ونظير » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « هو نظير » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) معانى القرآن للفراء ١/ ٧٢ ، والصاحبى ص ١٦٨ .

(٤ - ٤) فى النسخ : « تقولت أم القوم » ، والتصويب من مصدرى التخريج وما سيأتى فى تفسير الآية ٦٦ من سورة النمل .

وتغولت المرأة : تلونت . اللسان (غ و ل) .

(٥) فى م : « معنى » .

(٦) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

مِمَّا يجوزُ فى حكمتِه[٢] إعطاؤُكُموه ، فأعْطاكُموه ، ثم كفَرتُم مِن بعدِ ذلك ، كما هلَك مَن كان قبلَكم مِن الأممِ التى سألت أنبياءَها ما لم يكنْ لها مسألتُها إيَّاهم ، فلمَّا أُعْطِيَتْ كفَرَت ، فعُوجِلَت بالعقوباتِ لكفرِها بعدَ إعطاءِ اللَّهِ إيَّاها سُؤْلَها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ﴾ : ومَن يَسْتَبْدِلْ ، ﴿ ٱلْكُفْرَ ﴾ ، ويعنى بالكفرِ الجحودَ باللَّهِ وبآياتِه ، ﴿ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ ، يعنى بالتصديقِ باللَّهِ وبآياتِه والإقرارِ به .

وقد قيل : عَنى بالكفرِ فى هذا الموضعِ الشدَّةَ ، وبالإيمانِ الرخاءَ .

ولا أعرِفُ الشدةَ فى معانى الكفرِ ، ولا الرخاءَ فى معنى الإيمانِ ، إلَّا أن يكونَ قائلُ ذلك أراد - بتأويلِه الكفرَ بمعنى الشدَّةِ فى هذا الموضعِ ، وبتأويلِه الإيمانَ فى معنى الرخاءِ - ما أعَدَّ اللَّهُ للكفارِ فى الآخرةِ / مِن الشدائدِ ، وما أعَدَّ اللَّهُ لأهلِ الإيمانِ فيها مِن النعمِ[٣] ، فيكونُ ذلك وجهًا وإن كان بعيدًا مِن المفهومِ بظاهرِ الخطابِ . ١/٤٨٦

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، [٤]عن الربيعِ[٤] ، عن أبى العاليةِ : [١٢/٤و] ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ . يقولُ : يَتَبَدَّلِ

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ : « فى مسألتكم » .

(٢) فى ت ١ ، ت ٣ : « حكمه » .

(٣) فى م ، ت ٢ : « النعيم » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

الشدَّةَ بالرخاءِ[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن[(٢)] أبى جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ بمثلِه .

وفى قولِه : ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ . دليلٌ واضحٌ على صحةِ[(٣)] ما قلنا مِن أن هذه الآياتِ مِن قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا ﴾ . خطابٌ مِن اللَّهِ المؤمنين به مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وعتابٌ منه لهم على أمرٍ سلَف منهم ، ممَّا سُرَّ به اليهودُ ، وكرِهه رسولُ اللَّهِ ﷺ لهم ، فكرِهه اللَّهُ لهم ، فعاتَبهم[(٤)] على ذلك ، وأعْلَمَهم أن اليهودَ أهلُ غِشٍّ لهم ، وحسَدٍ وبَغْيٍ ، وأنهم يتمنَّوْن لهم المكارِهَ ، ويَبْغُونهم الغوائلَ ، ونهاهم أن يَنْتَصِحوهم ، وأخبرَهم أن مَن ارتدَّ منهم عن دينِه فاسْتَبْدَل بإيمانِه[(٥)] باللَّهِ وبرسولِه[(٥)] كُفرًا ، فقد أخْطأ قصدَ السبيلِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

أمَّا قولُه : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ﴾ . فإنه يعنى به : ذهَب وجارَ[(٦)] . وأصلُ الضلالِ عن الشيءِ : الذهابُ عنه والجورُ[(٧)] ، ثم يُسْتَعْمَلُ فى الشيءِ الهالكِ والشيءِ الذى لا يُؤْبَهُ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٤/١ (١٠٧٨) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) بعده فى الأصل ، م ، ت٣ : « ابن » .

(٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) فى الأصل : « فعاقبهم » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « بالله » .

(٦) فى م ، ت ١، ت ٢: « حاد » .

(٧) فى م : « الحيد » .

له ، كقولِهم للرجلِ الخاملِ الذى لا ذِكْرَ له ولا نباهةَ : ضُلٌّ بنُ ضُلٍّ ، وقُلٌّ بنُ قُلٍّ . وكقولِ الأخطلِ فى الشىءِ الهالكِ[1] :

كُنْتَ القَذَى فى مَوْجِ أَكْدَرَ[2] مُزْبِدٍ قَذَفَ الأَتِيُّ[3] بِهِ فَضَلَّ ضَلالا

يعنى : هلَك فذهَب .

والذى عنَى اللَّهُ تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ : فقد ذهَب عن سواءِ السبيلِ وجارَ عنه .

وأمَّا تأويلُ قولِه : ﴿ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ . فإنه يعنى بالسواءِ القصدَ والمَنْهَجَ . وأصلُ السواءِ الوَسَطُ . ذُكِر عن عيسى بنِ عُمرَ النحويِّ أنه قال : مازِلْتُ أكْتُبُ حتى انْقَطعَ سَوَائى . يعنى : وَسَطى . وقال حسَّانُ بنُ ثابتٍ[4] :

يا وَيْحَ أنصارِ النبىِّ ونَسْلِهِ بَعْدَ المُغَيَّبِ فِى سَوَاءِ المُلْحَدِ

يعنى بالسواءِ : الوسَطَ . والعربُ تقولُ[5] : فى سواءِ الليلِ[6] . يعنى : فى مُسْتَوى الليْلِ[6] . وسواءُ الأرضِ مستواها عندَهم .

وأمَّا « السبيل » ، فإنها الطريقُ المسبولُ ، صُرِف مِن مسبولٍ إلى سبيلٍ .

(١) شرح ديوانه ص ٣٩٢.

(٢) فى م : « أكبر » .

(٣) الأتى : السيل لا يدرى من أين أتى . اللسان (أ ت ى) .

(٤) البيت فى الأضداد ص ٤٢، ومجاز القرآن ١/ ١٥٧. وسيأتى البيت فى تفسير الآية ٥٨ من سورة الأنفال .

(٥) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « هو » .

(٦) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « السبيل » .

فتأويلُ الكلامِ إذن : ومَن يَسْتَبْدِلْ بالإيمانِ باللَّهِ وبرسولِه الكفرَ ، فيَرْتَدَّ عن دينِه ، فقد جار عن منهجِ الطريقِ ووسَطِه الواضحِ المسبولِ .

وهذا القولُ ظاهرُه الخبرُ عن زوالِ المُستبدِل بالإيمانِ الكفرَ عن الطريقِ ، [١٢/٤ظ] والمعنيُّ به الخبرُ عنه أنه قد ترك دينَ اللَّهِ الذى ارْتَضَاه لعبادِه ، وجعَله لهم طريقًا يَسْلُكونه إلى رضاه ، وسبيلًا[1] يَرْكَبونها إلى محبَّتِه والفوزِ بجنانِه . فجعَل جلَّ ثناؤه الطريقَ - الذى إذا رَكِب مَحَجَّتَه السائرُ فيه ، ولزِم وَسَطَه / المجتازُ فيه ، نجا وبلَغ حاجتَه ، وأدرك طَلِبَتَه - لدينِه الذى دعا إليه عبادَه مَثَلًا لإدراكِهم - بلزومِه واتِّباعِه - إدْراكَ[2] طَلِباتِهم فى آخرتِهم ، كالذى يُدْرِكُ اللازمُ محجَّةَ السبيلِ - بلزومِه إيَّاها - طَلِبَتَه مِن النجاةِ منها ، والوصولِ إلى الموضعِ الذى أمَّه وقصَده . وجعَل مثَلَ الجائرِ[3] عن دِينِه ، والحائدِ عن اتِّباعِ ما دعا[4] إليه مِن عبادِه[5] فى خَيْبَتِه[6] ما رجا أن يُدْرِكَه بعمَلِه فى آخرتِه ، وينالَ به فى مَعَادِه وذهابِه ، عمَّا أمَّل مِن ثوابِ عملِه ، وبُعْدِه به مِن ربِّه - مثلَ الجائرِ[3] عن منهجِ الطريقِ ، وقصدِ السبيلِ ، الذى لا يزدادُ وُغُولًا فى الوجهِ الذى سلَكه ، إلَّا ازدادَ مِن موضعِ حاجتِه بُعْدًا ، وعن المكانِ الذى أمَّه وأرادَه نَأْيًا .

١/٤٨٧

وهذه السبيلُ التى أخبرَ اللَّهُ عنها ، أن مَن يَتَبَدَّلِ الكفرَ بالإيمانِ فقد ضلَّ

---

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « سبلا » .

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « إدراكهم » .

(٣) فى م : « الحائد » .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « دعاه » .

(٥) فى م : « عبادته » .

(٦) فى م : « حياته » .

سَواءِها ، هو[(١)] الصراطُ المستقيمُ ، الذى أُمِرْنا بمسألتِه الهدايةَ[(٢)] له بقولِه : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وقد صَرَّح هذا القولُ مِن قولِ اللَّهِ جل ثناؤُه ، بأن خطابَه بجميعِ هذه الآياتِ مِن قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا ﴾ وإن صرَف فى بعضِه الكلامَ إلى خطابِ النبىِّ ﷺ ، إنما هو خطابٌ منه للمؤمنين [(٣)] من أصحابِه[(٣)] ، وعِتابٌ منه لهم ، ونهىٌ عن انتصاحِ اليهودِ ونُظَرائِهم مِن أهلِ الشركِ ، وقبولِ آرائِهم فى شىءٍ مِن أمورِ دينِهم ، ودليلٌ على أنهم كانوا اسْتَعملوا ، أو مَن اسْتَعمل منهم ، فى [(٤)] خطابِ ومسألةِ[(٤)] رسولِ اللَّهِ ﷺ الجفاءَ ، وما لم يكنْ له استعمالُه معَه ، تأسِّيًا فى ذلك باليهودِ أو ببعضِهم ، قال لهم ربُّهم ناهيًا لهم[(٥)] عن استعمالِ ذلك : لا تقولوا لنبيِّكم ﷺ كما تقولُ[(٦)] اليهودُ : راعِنا . تأسِّيًا منكم بهم ، ولكنْ [٤/١٣و] قولوا : انْظُرْنا واسْمَعوا . فإن أذَى رسولِ اللَّهِ ﷺ كفرٌ بى وجحودٌ لحقِّى الواجبِ لى[(٧)] عليكم فى تعظيمِه وتوقيرِه ، ولمَن كفَر بى عذابٌ أليمٌ ، فإن اليهودَ والمشركين ما يَوَدُّون أن يُنَزَّلَ عليكم مِن خيرٍ مِن ربِّكم ، ولكنَّ كثيرًا منهم ودُّوا أنهم

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ،ت ٣ : « هى » .

(٢) فى م : « نفسه » .

(٣ - ٣) فى م : « وأصحابه » .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ،ت ٣ : « خطابه ومسألته » .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « له » .

(٧) زيادة من : م .

يَرُدُّونكم مِن بعدِ إيمانِكم كفَّارًا ؛ حسَدًا مِن عندِ أنفسِهم لكم ولنبيِّكم محمدٍ ﷺ ، مِن بعدِ ما تبينَّ لهم الحقُّ فى أمرِ محمدٍ ﷺ ، وأنه نبيٌّ إليهم وإلى خلقى كافةً .

وقد قيل : إن اللَّهَ جل ثناؤُه عنَى بقولِه : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ كعبَ بنَ الأشرفِ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِيِّ فى قولِه : / ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ : هو كعبُ بنُ الأشرفِ[1] . ١/٤٨٨

وحدَّثنا القاسِمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا أبو سفيانَ المَعْمَرِىُّ[2] ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرِيِّ وقتادةَ : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال : كعبُ بنُ الأَشْرفِ[3] .

وقال بعضُهم بما **حدَّثنا** به ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، **وحدَّثنا** أبو كُريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيرٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ ، وأبو ياسرِ ابنُ أَخْطَبَ ، مِن أشدِّ يهودَ للعربِ حسدًا ، إذْ خَصَّهم اللَّهُ برسولِه ﷺ ، وكانا جاهدَيْن فى ردِّ الناسِ عن الإسلامِ بما استطاعا ، فأنزَل اللَّهُ فيهما : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ الآية[4] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٥، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٠٤ (١٠٨٢) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) فى م : « العمرى » . وينظر تهذيب الكمال ٢٥/ ١٠٩.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٠٧ إلى المصنف .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤٨ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٠٤ (١٠٨١) من طريق سلمة .

وليس لقولِ القائلِ : عَنَى بقولِه : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ كعبَ بنَ الأشرفِ . معنًى مفهومٌ ؛ لأن كعبَ بنَ الأشرفِ واحدٌ ، وقد أخبرَ اللَّهُ جلّ ثناؤُه أن كثيرًا منهم يَوَدُّون لو يَرُدُّون المؤمنين كفارًا بعد إيمانِهم ، والواحدُ لا يقالُ له : كثيرٌ . بمعنى الكثرةِ فى العددِ ، إلا أن يكونَ قائلُ ذلك أرادَ توجيهَ[1] الكثرةِ التى وصَف اللَّهُ بها مَن وصَفه بها فى هذه الآيةِ ، الكثرةَ فى العزِّ ورفعةِ المنزلةِ فى قومِه وعشيرتِه ، كما يقالُ : فلانٌ فى الناسِ كثيرٌ . يرادُ به كثرةُ المنزلةِ والقدْرِ . فإن كان أراد ذلك فقد أخطأَ ؛ لأن اللَّهَ جل ثناؤُه قد وصَفَهم بصفةِ الجماعةِ ، فقال : ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ . فذلك دليلٌ على أنه عَنَى به[2] الكثرةَ فى العددِ . أو يكونَ ظَنَّ أنه من الكلامِ الذى يَخْرُجُ مَخْرَجَ الخبرِ عن الجماعةِ ، والمقصودُ بالخبرِ عنه الواحدُ ، نظيرَ ما قلْنا آنفًا فى بيتِ جَميلٍ ، فيكونُ ذلك أيضًا خطأً . وذلك أن الكلامَ إذا كان بذلك المعنى فلابدَّ من دَلالةٍ فيه تدلُّ على أن ذلك معناه ، ولا دلالةَ تدلُّ فى قولِه : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أن المرادَ به واحدٌ دونَ جماعةٍ كثيرةٍ ، فيجوزَ صرفُ تأويلِ الآيةِ إلى ذلك ، وإحالةُ دليلِ ظاهرِها[3] إلى غيرِ الغالبِ فى الاستعمالِ .

[١٣/٤ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ .**

يعنى جلّ ذكرُه بقولِه : ﴿حَسَدًا﴾ . أن كثيرًا من أهلِ الكتابِ يَوَدُّون للمؤمنين ما أخبرَ جل ثناؤُه عنهم أنهم يَوَدُّونه لهم ، من الرِّدَّةِ عن إيمانِهم إلى الكفرِ ، حسَدًا منهم وبَغْيًا عليهم . فالحسَد إذن منصوبٌ على غيرِ النعتِ للكفارِ ، ولكن على

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: «بوجه» .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: «ظاهره» .

وجهِ المصدرِ الذى يأتى خارجًا من معنى الكلامِ الذى يخالفُ لفظُه لفظَ المصدرِ ، كقولِ القائلِ لغيرِه : تمنَّيْتُ لك ما تمنَّيْتُ من السوءِ حسَدًا منى لك . فيكونُ الحسَدُ مصدرًا مِن معنى قولِه : تمنَّيْتُ (١) لك ما تمنَّيْتُ (١) من السوءِ . لأنَّ فى قولِه : تمنَّيْتُ لك ذلك . معنى : حَسَدْتُك على ذلك . فعلى هذا نَصْبُ الحسدِ ؛ لأنَّ فى قولِه : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ . معنى[٢] : حسَدكم أهلُ الكتابِ على ما أَعْطاكم اللَّهُ من التوفيقِ ، ووَهَب لكم من الرَّشادِ لدينِه والإيمانِ (٣) به وبرسولِه ﷺ (٣) ، وخَصَّكم بهِ من أن جعَل رسولَه إليكم رجلًا منكم ، رَءُوفًا بكم رَحيمًا ، ولم يجعَلْه منهم ، فتكونوا لهم تبَعًا . فكان قولُه : ﴿حَسَدًا﴾ . مصدرًا مِن ذلك المعنى .

وأما قولُه : ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ . فإنه يَعْنى بذلك[٤] : من قِبَلِ أنفسِهم . كما يقولُ القائلُ : لى عندك كذا وكذا . بمعنى : لى قِبَلَك .

وكما حدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، (٥) عن أبيه ، عن الربيعِ (٥) قولَه : ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ : (٦) من قِبَلِ أنفسِهم (٦) .

وإنما أخبرَ اللَّهُ جل / ثناؤُه عنهم المؤمنين أنهم وَدُّوا ذلك للمؤمنين من عندِ أنفسِهم ، إعلامًا منه لهم أنهم لم يُؤْمَروا بذلك فى كتابِهم ، وأنهم يَأْتُونَ ما يَأْتُون من ٤٨٩/١

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) فى م : « يعنى » .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، وفى ت ٢ ، ت ٣ : « برسوله » .

(٤) فى ت ١ ، ت ٣ : « به ذلك » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ٢ ، وفى ت ١ ، ت ٣ : « فى » .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ،ت ٣ .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٥/١ (١٠٨٥) من طريق ابن أبى جعفر به .

ذلك على علمٍ منهم بنَهْيِ اللَّهِ إياهم عنه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقولِه : ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ . أى : من بعدِ ما تَبَيَّنَ لهؤلاءِ الكثيرِ من أهلِ الكتابِ - الذين يَوَدُّون أنهم يَرُدُّونكم كفارًا من بعدِ إيمانِكم - الحقُّ فى أمرِ محمدٍ ﷺ ، وما جاء به من عندِ ربِّه ، والمِلَّةِ التى دعا إليها ، فأضاء لهم أن ذلك الحقُّ الذى لا[1] يَمْتَرُون فيه .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ : من بعدِ ما تَبَيَّنَ لهم أن محمدًا رسولُ اللَّهِ ، والإسلامَ دينُ اللَّهِ[2] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ[3] : ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ . يقولُ : تبَيَّنَ لهم أن محمدًا رسـولُ اللَّهِ ﷺ ، يَجِدُونه مكتوبًا عندهم فى التوراةِ والإنجيلِ[4] .

وحدِّثْت عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه ، وزاد فيه : فكفَروا به حسدًا وبَغْيًا ، إذ كان من غيرِهم .

وحدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ [٤/١٤و] مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ : فإنَّ[5] الحقَّ هو محمدٌ ﷺ ، وتَبَيَّنَ لهم أنه هو الرسولُ[6] .

---

(١) سقط من : ت ٣.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٧ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) بعده فى م : « عن أبى العالية » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٠٥ عقب الأثر (١٠٨٧) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) فى م : « قال » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٠٥ عقب الأثر (١٠٨٧) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

وحدَّثني يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ . قال : قد تَبيَّنَ لهم أنه رسولُ اللَّهِ .

فدَلَّ جلَّ ثناؤُه بقيلِه ذلك أن كُفْرَ الذين قَصَّ قِصَّتَهم في هذه الآيةِ باللَّهِ وبرسولِه ، عنادٌ ، وعلى علمٍ منهم ومعرفةٍ بأنهم على اللَّهِ مُفْتَرُون .

كما حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ : يقولُ اللَّهُ تعالى ذكرُه : من بعدِ ما أضاءَ لهم الحقُّ لم يَجْهَلُوا منه شيئًا ، ولكنَّ الحسدَ حملَهم على الجَحْدِ ، فعيَّرهم اللَّهُ ولامَهم ووَبَّخهم أشدَّ الملامةِ[(١)] .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ فَٱعْفُواْ ﴾: فتجاوَزُوا عما كان منهم من إساءةٍ وخطأٍ في رأيٍ أشارُوا به عليكم في دينِكم ، إرادةَ صدِّكم عنه ، ومحاولةَ ارتدادِكم بعد إيمانِكم ، وعما سلَفَ منهم من قيلِهم لنبيِّكم ﷺ : ﴿ وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِ ﴾ [النساء : ٤٦] . ﴿ وَٱصْفَحُواْ ﴾ عما كان منهم من جهلٍ في ذلك ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ ، فيُحْدِثَ لكم من أمرِه فيهم[(٢)] ما يشاءُ ، ويَقْضِيَ فيهم بما[(٣)] يريدُ . فقضَى فيهم [(٤)]بعدَ ذلك[(٤)] تعالى ذكرُه ، وأتى بأمرِه ، فقال لنبيِّه ﷺ وللمؤمنين به : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ / أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ١/٤٩٠

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٠٥ (١٠٨٦) من طريق أبي كريب به .

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فيكم » .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ما » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] . فنسَخ العفوَ جل ثناؤُه عنهم والصفحَ ، بفرضِ قتالِهم على المؤمنين ، حتى تصيرَ كلمتُهم وكلمةُ المؤمنين واحدةً ، أو[1] يُؤَدُّوا الجِزْيةَ عن يدٍ صَغارًا .

كما حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . نسَخ ذلك قولُه : ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة : ٥][2] .

حدثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ : فأتى اللَّهُ بأمرِه فقال : ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ فقرأ[3] حتى بلَغ ﴿ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ . أي : صَغارًا ونِقْمةً لهم ، فنسَختْ هذه الآيةُ ما كان قبلَها ﴿ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾[4] .

وحدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ قال : اعفُوا عن أهلِ الكتابِ حتى يُحْدِثَ اللَّهُ أمرًا ، فأَحدَثَ اللَّهُ بعدُ فقال : [٤/ ١٤ظ] ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[5] .

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن

---

(١) في الأصل : « و » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٦/١ (١٠٨٩) من طريق أبي صالح به .

(٣) زيادة من : الأصل .

(٤) أخرجه ابن الجوزي في ناسخه ص ١٣٦ من طريق همام عن قتادة نحوه .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٦/١ عقب الأثر (١٠٩٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ قال : نسخَتْها : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾[1].

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ . قال : هذا منسوخٌ نسَخه : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[2].

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : قد دَلَّلْنا فيما مضَى على معنى القديرِ وأنه القويُّ[3] . فمعنى الآيةِ هلهنا : إنَّ اللَّهَ على كلِّ ما يشاءُ [4] ويُريدُ[4] - بالذين وصَفْتُ لكم[5] أمرَهم من أهلِ الكتابِ وغيرِهم - قديرٌ ؛ إن شاء الانتقامَ منهم بعنادِهم ربَّهم ، وإن شاء هدايَتَهم[6] لما هداكم[7] له من الإيمانِ ، لا يَتعذَّرُ عليه شىءٌ أرادَه ، ولا يمتنعُ[8] عليه أمرٌ شاء قضاءَه ؛ لأن له الخلقَ والأمرَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : قد دلَّلْنا فيما مضَى قبلُ[9] على معنى إقامةِ الصلاةِ ، وأنها أداؤُها

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٥، ومن طريقه ابن الجوزى فى ناسخه ص ١٣٧ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٠٦ عقب الأثر (١٠٩٠) ، والنحاس فى ناسخه ص ١٠٦ من طريق عمرو به .

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٤٠٣ .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل .

(٥) فى ت ٢: « لك » .

(٦) فى م : « هداهم » .

(٧) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « الله » .

(٨) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يتعذر » .

(٩) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

بحدودِها وفروضِها ، وعلى تأويلِ الصلاةِ ، وما أصلُها ، وعلى معنى إيتاءِ الزكاةِ ، وأنه إعطاؤُها بطِيبِ نفسِ مُؤْتيها ، على ما فُرِضَت ووجَبَتْ ، / وعلى معنى الزكاةِ ، ١/٤٩١ واختلافِ المختلفين فيها ، والشواهدِ الدالةِ على صحةِ القولِ الذى اختَرْنا فى ذلك بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(١)] .

وأما قولُه : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾ . فإنه يَعنى جل ثناؤُه بذلك : ومَهْمَا تَعمَلُوا من عملٍ صالحٍ فى أيامِ حياتِكم ، فتُقَدِّموه قبلَ وفاتِكم ذُخْرًا لأنفسِكم فى مَعادِكم ، تَجِدُوا ثوابَه عند ربِّكم يومَ القيامةِ ، فيُجازِيكم به .

والخيرُ : هو العملُ الذى يَرضاه اللَّهُ .

وإنما قال : ﴿ تَجِدُوهُ ﴾ . والمعنَى : تجِدُوا ثوابَه .

كما حدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ تَجِدُوهُ ﴾ يعنى : تَجِدُوا ثوابَه عند اللَّهِ[(٢)] .

قال أبو جعفرٍ : لاستغناءِ سامِعِ[(٣)] ذلك بدليلِ ظاهرِه على معنى المرادِ منه ، كما قال عمرُ[(٤)] بنُ لَجأٍ[(٥)] :

[٤/١٥و] وسبَّحَتِ المدِينةُ لا تَلُمْها ... رَأَتْ قمَرًا بسُوقِهِمُ نهَارَا

وإنما أراد : وسبَّح أهلُ المدينةِ .

وإنما أمَرهم جل ثناؤُه فى هذا الموضعِ بما أمَرهم به من إقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٤٧، ٦١١ وما بعدهما .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٧/١ عقب الأثر (١٠٩٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « سامعى » .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عمرو » .

(٥) تقدم تخريجه فى ٢٨٧/١ .

وتقديمِ الخيراتِ لأنفسِهم ؛ ليَتَطَهَّرُوا بذلك من الخطأ الذى سَلَف منهم فى استِنْصاحِهم اليهودَ ، وركونِ من كان ركَن منهم إليهم ، وجفاءِ من كان جَفَا منهم فى خطابِه رسولَ اللَّهِ ﷺ بقولِه : ﴿ رَٰعِنَا ﴾ . إذ كانت إقامةُ الصلَواتِ كفارةً للذنوبِ ، وإيتاءُ الزكاةِ تطهيرًا للنفوسِ والأبدانِ من أدناسِ الآثامِ ، وفى تقديمِ الخيراتِ إدراكُ الفوزِ برِضْوانِ اللَّهِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ .

وهذا خبرٌ من اللَّهِ جل ثناؤُه للذين خاطَبَهم بهذه الآياتِ من المؤمِنين ، أنهم مَهْما فعَلُوا من خيرٍ أو[1] شرٍّ ، سرًّا و[2] عَلانيةً ، فهو به بَصِيرٌ ، لا يَخْفَى عليه منه شىءٌ ، فيَجْزِيهم بالإحسانِ جزاءَه ، وبالإساءةِ مثلَها .

وهذا الكلامُ وإن كان خرَج مَخْرَجَ الخبرِ ، فإن فيه وعْدًا ووَعيدًا ، وأمرًا وزَجْرًا ، وذلك أنه أعلمَ القومَ أنه بَصِيرٌ بجميعِ أعمالِهم ، لِيَجِدُّوا فى طاعتِه ؛ إذ كان ذلك مَذخورًا لهم عندَه حتى يُثِيبَهم عليه ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . ولِيَحْذَرُوا معصيتَه ، إذ كان مُطَّلِعًا على راكِبِها ، بعد تَقَدُّمِه إليه فيها بالوعيدِ عليها ، وما أوْعَدَ عليه ربُّنا جل ثناؤُه فمَنْهِىٌّ عنه ، وما وعَد عليه فمأمورٌ به .

أما قولُه : ﴿ بَصِيرٌ ﴾ . فإنه مُبْصِرٌ ، صُرِف إلى بَصيرٍ ، كما صُرِف مُبْدِعٌ إلى بَدِيعٍ ، ومُؤْلِمٌ إلى أَليمٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « و » .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أو » .

يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ وَقَالُوا ﴾ : وقالت اليهودُ والنصارَى ، ﴿ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ ﴾ .

فإن قال قائلٌ : وكيف جمعَ اليهودَ والنصارَى فى هذا الخبرِ ، مع اختلافِ مقالةِ الفريقَيْن ، واليهودُ تَدْفَعُ / النصارَى عن أن يكونَ لها فى ثوابِ اللَّهِ نصيبٌ ، والنصارَى تَدْفَعُ اليهودَ عن مثلِ ذلك ؟ ٤٩٢/١

قيل : إن معنى ذلك بخلافِ الذى ذهبْتَ إليه ، وإنما عَنَى به : وقالت اليهودُ : لن يَدْخُلَ الجنةَ إلا من كان [٤/١٥ظ] هودًا . وقالت النصارَى : لن يَدخُلَ الجنةَ إلا النصارَى . ولكنَّ معنى الكلامِ لما كان مفهومًا عند المخاطَبِين به معناه ، جُمِع الفريقان فى الخبرِ عنهما ، فقيل : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ ﴾ .

(١) كما حدثنى موسى ، قال : حدثنا عمرٌو ، قال : حدثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ (١) إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ الآية . قالت اليهودُ : لن يدخُلَ الجنةَ إلا مَن كان يهوديًّا . وقالت النصارَى : لن يدخُلَ الجنةَ إلا مَن كان نصرانيًّا(٢) .

وأما قولُه : ﴿ مَن كَانَ هُودًا ﴾ . فإن فى الهودِ قولين : أحدُهما ، أن يكونَ جمعَ هائدٍ ، كما عُوطٌ جمعُ عائطٍ(٣) ، وعُوذٌ جمعُ عائذٍ(٤) ، وحُولٌ جمعُ حائلٍ(٥) ، فيكونَ جمعًا للمذكرِ والمؤنثِ بلفظٍ واحدٍ ، والهائدُ : التائبُ الراجعُ إلى الحقِّ .

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٩٢/١ عقب الأثر (١٠٩٤) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٣) العُوط : الناقة إذا لم تحمل سنين من غير عُقْر . التاج (ع و ط) .

(٤) العُوذ : الحديثات النِّتاج من الظباء والإبل والخيل ومن كل أنثى . التاج (ع و ذ) .

(٥) الحُول : كل حامل ينقطع عنها الحمل سنة أو سنوات حتى تحمل . التاج (ح و ل) .

والآخرُ ، أن يكونَ مصدرًا أدَّى[1] عن الجميعِ ، كما يقالُ : رجلٌ صَوْمٌ ، وقَوْمٌ صَوْمٌ ، ورجلٌ فِطْرٌ ، وقومٌ فِطرٌ ، ونسوةٌ فِطْرٌ .

وقد قيل : إن قولَه : ﴿ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ . إنما هو : إلا مَن كان يهودِيًّا . ولكنَّه حُذِفَت الياءُ الزائدةُ ، ورجَع إلى الفعلِ من اليهوديةِ . وقيل : إنه فى قراءةِ أُبَيٍّ : (إلا من كان يهوديًّا أو نصرانيًّا)[2] .

وقد بيَّنَّا فيما مضَى معنى النصارَى ، ولِمَ سُمِّيَتْ بذلك وجُمِعت كذلك ، بما أَغْنَى عن إعادتِه[3] .

وأما قولُه : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ . فإنه خبرٌ من اللَّهِ تعالى ذكرُه عن قولِ الذين قالوا : ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ . أنه أمانىُّ منهم يَتَمَنَّوْنها على اللَّهِ ، بغيرِ حقٍّ ولا حُجَّةٍ ولا برهانٍ ، ولا يقينِ علمٍ بصحةِ ما يَدَّعون ، ولكنْ بادِّعاءِ الأباطيلِ وأمانىِّ النفوسِ الكاذبةِ .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ : أمانىُّ يَتَمَنَّوْنها على اللَّهِ كاذبةٌ[4] .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ . قال : أمانىُّ تَمَنَّوْا على اللَّهِ بغيرِ الحقِّ[5] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١١١) ﴾ .

---

(١) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٢) معانى القرآن للفراء ٧٣/١، وفيه أنها قراءة ابن مسعود أيضًا .

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٣٢- ٣٤ .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٧/١ عقب الأثر (١٠٩٥) معلقًا .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٧/١ عقب الأثر (١٠٩٥) من طريق ابن أبى جعفر به .

وهذا أمرٌ من اللهِ جل ثناؤُه لنبيِّه ﷺ بدعاءِ الذين قالُوا : ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾ إلى أمرٍ عَدْلٍ بين جميعِ الفِرَقِ ؛ مُسلِمِيها ويهودِها ونصاراها ، وهو إقامةُ الحجةِ على دَعْواهم التى ادَّعَوْا من أن الجنةَ لا يَدخُلُها إلا من كان هودًا أو نَصارَى . يقولُ اللَّهُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ : يا محمدُ ، قلْ للزاعِمِين أن الجنةَ لا يدخُلُها إلا من كان هودًا أو نصارَى ، دون غيرِهم من سائرِ البشرِ : هاتُوا حُجَّتَكم[(١)] على ما تزعُمون من ذلك ، فنُسَلِّمَ لكم [٤/١٦و] دَعْواكم ، إن كنتم فى دَعْواكم - مِن أن الجنةَ لا يدخُلُها إلا من كان هودًا أو نصارى - مُحِقِّين .

والبرهانُ : هو البيانُ والحجةُ والبيِّنةُ .

كما حدثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ . يقولُ : هاتوا بيِّنَتَكم[(٢)] .

١/٤٩٣ / وحدثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ : هاتُوا حُجَّتَكم[(٣)] .

وحدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حَجّاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ . قال : حُجَّتَكم[(٤)] .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن

---

(١) فى م : « برهانكم » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٠٧ (١٠٩٧) من طريق شيبان ، عن قتادة بنحوه .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٠٧ عقب الأثر (١٠٩٦) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٠٧ عقب الأثر (١٠٩٦) معلقًا .

الربيعِ : ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ . أى : حُجَّتَكم[١] .

وهذا الكلامُ وإن كان ظاهرُه ظاهرَ دعاءٍ للقائلين : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ . إلى إحضارِ حجةٍ على دَعْواهم ما ادَّعَوا من ذلك ، فإنه بمعنى تكذيبٍ من اللهِ لهم فى دَعْواهم وقيلِهم ؛ لأنهم لم يكونوا قادِرين على إحضارِ برهانٍ على دَعْواهم تلك أبدًا .

وقد أبان قولُه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ . على أن الذى ذُكِرَ[٢] من الكلامِ بمعنى التكذيبِ لليهودِ والنصارَى فى دَعْواهم ما ذكَر اللهُ عنهم .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ فإنه : أَحْضِرُوا وأْتُوا به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ : ليس الأمرُ[٣] كما قال الزاعمون : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ . ولكن مَن أَسلمَ وجهَه للهِ وهو مُحسِنٌ ، فهو الذى يَدخُلُها ويُنَعَّمُ فيها .

كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ ، قال : أَخْبَرَهم[٤] مَن يدْخُلُ الجنةَ (٥فقال : ﴿ بَلَىٰ٥) مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ الآية .

وقد بيَّنَّا معنى « بلى » فيما مضَى قبلُ[٦] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٧/١ عقب الأثر (١٠٩٦) من طريق ابن أبى جعفر .

(٢) فى م ، ت١، ت٢، ت ٣: « ذكرنا » .

(٣) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣.

(٤) بعده فى م : « أن » .

(٥ - ٥) فى م : « هو » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ١٧٩ .

وأما قولُه : ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ ﴾ . فإنه يَعنى بإسلامِ الوجهِ التذلُّلَ لطاعتِه والإذعانَ لأمرِه . وأصْلُ الإسلامِ الاستسلامُ ؛ لأنه مِن : استَسْلَمتُ له[١] . وهو الخُضوعُ لأمرِه . وإنما سُمِّىَ المسلمُ مسلمًا ؛ لخضوعِ جوارحِه لطاعةِ ربِّه .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ . يقولُ : أَخْلَصَ للَّهِ[٢] .

وكما قال زيدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيلٍ[٣] :

(٤وأَسْلَمْتُ٤) وَجْهِى لمن أسْلَمَتْ ... لـه المُزْنُ تَحْـمِـلُ عَـذْبًـا زُلالا

يعنى بذلك : اسْتَسْلَمْتُ لطاعةِ من اسْتَسْلَم لطاعتِه المُزْنُ وانقَدْتُ[٥] له .

/وخصَّ اللَّهُ جل ثناؤُه بالخبرِ عمن أخبرَ عنه بقولِه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ بإسلامِ وجهِه له دون سائرِ [٤/١٦ظ] جوارحِه ؛ لأن أكرمَ أعضاءِ ابنِ آدمَ وجوارحِه وجهُه ، وهو أعظمُها عليه حرمةً وحقًّا ، فإذا خضَع لشيءٍ وجهُه الذى هو أكرمُ أجزاءِ جسدِه عليه ، فغيرُه من أجزاءِ جسدِه أَحْرَى أن يكونَ (٦قد خَضَعَ٦) له . ولذلك تَذْكرُ العربُ فى مَنْطقِها الخبرَ عن الشيءِ فتُضِيفُه إلى وجهِه ، وهى تعنى بذلك نَفْسَ الشيءِ وعَيْنَه ، كقولِ الأعْشَى[٧] :

(١/٤٩٤)

---

(١) فى م : « لأمره » .
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٠٨ عقب الأثر (١٠٩٩) من طريق ابن أبى جعفر به .
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣١، والأغانى ١٢٨/٣ .
(٤ - ٤) فى الأصل ، ت ٢، والأغانى : « أسلمت » .
(٥) فى م ت١، ت٢، ت ٣: « انقادت » .
(٦ - ٦) فى م : « أخضع » .
(٧) ديوانه ص ١٤٣.

أُوَّلُ[1] الحُكْمَ على وجْهِهِ   لَيْسَ قَضَائِى بالهَوَى الجائِرِ

يعنى بقولِه : على وجهِه : على ما هو به مِن صحتِه وصوابِه . وكما قال ذو الرُّمَّةِ[2] :

فَطاوَعْتُ هَمِّى وَانْجَلَى وَجْهُ بازِلٍ[3]   مِن الأمْرِ لم يَتْرُكْ خِلاجًا[4] بُزُولُها[5]

يريدُ : وانجلَى البازلُ[6] من الأمرِ فتبيَّن . وما أشْبَهَ ذلك ، إذ كان حُسْنُ كلِّ شيءٍ وقبحُه فى وجهِه ، فكان[7] وصْفُها مِن الشيءِ وجهَه بما تَصِفُه به ، إبانةً عن عينِ الشيءِ ونفسِه . فكذلك معنى قولِه جل ثناؤُه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ . إنما يعنى : بلى مَن أسلَم للَّهِ بدنَه ، فخضَع له بالطاعةِ جَسدُه ، وهو مُحسِنٌ فى إسلامِه له جسدَه ، فله أجرُه عندَ ربِّه . فاكْتَفَى بذكرِ الوجهِ مِن ذكرِ جسدِه ، لدلالةِ الكلامِ على المعنى الذى أُرِيدَ به بذكرِ الوجهِ .

وأما قولُه : ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ فإنه يعنى به : فى حالِ إحسانِه . وتأويلُ الكلامِ : بلى مَن أخلَص طاعتَه [8]وعبادتَه للَّهِ[8] محسنًا فى فعلِه ذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ : فللمُسْلمِ وجْهَه للَّهِ محسنًا ، جزاؤه وثوابُه على إسلامِه وطاعتِه ربَّه ، عندَ اللَّهِ فى معادِه .

---

(١) فى النسخ : « وأوّل » . والمثبت من الديوان .

(٢) ديوانه ٢/ ٩٣٨.

(٣) فى النسخ ، ونسخة من الديوان : « نازل » ، والمثبت من بقية نسخ الديوان ، وأمر بازل : مستحكم ، وخطب بازل : شديد . التاج (ب ز ل) .

(٤) الخلاج : الشك . اللسان (خ ل ج) .

(٥) فى الأصل ، م ، ت : « نزولها » ، وفى ت٢ : « يرولها » . والمثبت من الديوان .

(٦) فى النسخ : « النازل » . والباء غير منقوطة فى الأصل .

(٧) فى م ، ت١، ت٢، ت ٣: « وكان فى » .

(٨ - ٨) فى م ، ت١، ت ٢: « لله وعبادته له » .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾: (١ولا خوفٌ١) على المسلمين وجوهَهم للَّهِ وهم محسِنون ، المُخلِصين للَّهِ الدينَ ، فى الآخرةِ مِن عقابِه وعذابِ جحيمِه ، ومما قَدِموا عليه مِن أعمالِهم .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ : ولا هم يَحزنون على ما خلَّفوا وراءَهم فى الدنيا ، ولا أن يُمْنَعوا ما قَدِموا عليه مِن نعيمِ ما أعدَّ اللَّهُ لأهلِ طاعتِه .

وإنما قال جل ثناؤُه : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . وقد قال قبلُ : ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ . لأن ﴿ مَنْ ﴾ التى فى قولِه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ فى لفظِ واحدٍ ومعنى جمعٍ(٢) ، فالتوحيدُ فى قولِه : ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ ﴾ للَّفظِ ، والجميعُ(٣) فى قولِه : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ . للمعنى .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ .

[١٧/٤و] ذُكِرَ أن هذه الآيةَ نزَلَت فى قومٍ مِن أهلِ الكتابين تنازَعوا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال ذلك(٤) بعضُهم لبعضٍ .

٤٩٥/١

/ ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، **وحدَّثنا** أبو كريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيرٍ ، قالا جميعًا : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما

(١ - ١) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٢) فى م ، ت١، ت٢، ت ٣: « جميع » .

(٣) فى م، ت١، ت٢، ت ٣: « الجمع » .

(٤) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت ٣.

قَدِم أهلُ نَجْرانَ مِن النصارَى على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أَتَتْهم أحبارُ يهودَ ، فتنازَعوا عندَ رسولِ اللَّه ﷺ ، فقال رافعُ بنُ حُرَيْملةَ : ما أنتم على شيءٍ . وكفَر بعيسى ابنِ مريمَ وبالإنجيلِ ، فقال رجلٌ مِن أهلِ نجرانَ مِن النصارى : ما أنتم على شيءٍ . وجحَد نبوَّةَ موسى وكفَر بالتوراةِ ، فأنزَل اللَّهُ فى ذلك مِن قولِهما : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ إلى قولِه : ﴿ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[1] .

حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ . قال : هؤلاء أهلُ الكتابِ الذين كانوا على عهدِ النبيِّ ﷺ[2] .

وأما تأويلُ الآيةِ فإنه : وقالت اليهودُ : ليست النصارَى فى دينِها على صوابٍ . وقالت النصارى : ليست اليهودُ فى دينِها على صوابٍ .

وإنما أخبَر اللَّهُ عنهم بقيلِهم ذلك المؤمنين[4] ، إعلامًا منه لهم تَضْييعَ[5] كلِّ فريقٍ منهم حُكمَ الكتابِ الذى يُظْهِرُ الإقرارَ بصِحتِه وأنه مِن عندِ اللَّهِ ، وجحودَهم مع ذلك ما أنزَل اللَّهُ فيه مِن فروضِه ؛ لأن الإنجيلَ الذى تَدينُ بصِحتِه وحقيقتِه النصارى ، يُحقِّقُ ما فى التوراةِ مِن نبوَّةِ موسى ، وما فرَض اللَّهُ على بنى إسرائيلَ فيها مِن الفرائضِ ، وأن التوراةَ التى تَدينُ بصحتِها وحقيقَتِها اليهودُ ، تُحقِّقُ نبوَّةَ عيسى ، وما

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٤٩/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٨/١ (١١٠٣) من طريق سلمة به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٩/١ عقب الأثر (١١٠٥) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) فى م ، ت١، ت٢، ت ٣: « للمؤمنين » .

(٥) فى م ، ت١، ت٢، ت ٣: « بتضييع » .

جاء به مِن عندِ اللهِ مِن الأحكامِ والفرائضِ . ثم قال كلُّ فريقٍ منهم للفريقِ الآخرِ ما أخبرَ اللهُ عنهم فى قولِه : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ . مع تلاوةِ كلٍّ واحدٍ مِن الفريقين كتابَه الذى يشهَدُ على كذبِه فى قيلِه ذلك .

فأخبَر جل ثناؤُه أن كلَّ فريقٍ منهم قال ما قال مِن ذلك ، على علمٍ منهم أنهم فيما قالوه مُبْطِلون ، وأتَوْا ما أتَوْا مِن كفرِهم بما كفروا به ، على معرفةٍ منهم بأنهم فيه مُلحِدون .

فإن قال لنا قائلٌ : أوَ كانت اليهودُ أو النصارَى بعدَ أن بعَث اللهُ رسولَه ﷺ على شيءٍ ، فيكونَ الفريقُ القائلُ ذلك منهم للفريقِ الآخرِ مُبطِلًا فى قيلِه ما قال مِن ذلك ؟

قيل : قد روَينا الخبرَ الذى ذكَرْناه عن ابنِ عباسٍ قبلُ ، مِن أن إنكارَ كلِّ فريقٍ منهم إنما كان إنكارًا لنبوَّةِ النبيِّ الذى كان يَنْتحِلُ التَّصْديقَ به وبما جاء به الفريقُ الآخرُ ، لا دفعًا منهم أن يكونَ الفريقُ الآخرُ - فى [٤/١٧ظ] الحالِ التى بعَث اللهُ فيها نبيَّنا ﷺ - على شيءٍ مِن دينِه ، بسببِ جحودِه نبوَّةَ نبيِّنا محمدٍ ﷺ . وكيف يجوزُ أن يكونَ معنى ذلك إنكارُ كلِّ فريقٍ منهم أن يكونَ الفريقُ الآخرُ على شيءٍ بعدَ ما بُعث نبيُّنا ﷺ ، وكلُّ[1] الفريقين كان جاحدًا نبوَّةَ نبيِّنا ﷺ فى الحالِ التى أنزَل اللهُ فيها هذه الآيةَ ؟/ ولكن معنى ذلك : وقالت اليهودُ : ليست النصارَى على شيءٍ مِن دينِها منذ دانَتْ دينَها . وقالت النصارى : ليست اليهودُ على شيءٍ منذ دانَتْ دينَها . وذلك هو معنى الخبرِ الذى روَيناه عن ابنِ عباسٍ آنِفًا . فكَذَّب اللهُ الفريقين فى قيلِهما ما قالا .

١/٤٩٦

(١) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « كلا » .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ : (١)ألَا وبلَى(١) ! قد كانت أوائلُ النصارَى على شيءٍ ، ولكنَّهم ابتدَعوا وتفرَّقوا ، ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ : (٢)ألَا وبلَى ! قد كانت أوائلُ اليهودِ على شيءٍ(٢) ، ولكن القومَ (٣)افترَوا وتفرَّقوا وابتدَعوا(٣) .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ(٤) : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ . قال : قال مجاهدٌ : قد كانت أوائلُ اليهودِ والنصارى على شيءٍ(٥) .

وأما قولُه : ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ . فإنه يعني كتابَ اللَّهِ التوراةَ والإنجيلَ ، وهما شاهدانِ على فريقَيِ اليهودِ والنصارى بالكفرِ ، وخِلافِهم أمرَ اللَّهِ الذى أمرَهم به فيه .

كما حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قالا جميعًا : ثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثني سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ . أى : كلٌّ يَتْلو في كتابِه تصديقَ ما كفَر به ، أى : تَكْفُرُ اليهودُ بعيسى وعندَهم التوراةُ فيها ما أخَذ اللَّهُ عليهم مِن الميثاقِ على لسانِ موسى بالتصديقِ بعيسى ، وفي الإنجيلِ مما جاء

(١ - ١) في م : « قال : بلى » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٣ - ٣) في م ، ت١، ت٢، ت٣: « ابتدعوا وتفرقوا » .

والأثر عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٠٨ إلى المصنف وعبد بن حميد ، وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٣.

(٤) في ت٢: « أبي نجيح » .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ٢٢٣.

به عيسى تصديقُ موسى ، وما جاء به مِن التوراةِ مِن عندِ اللَّهِ ، وكلٌّ يَكْفُرُ بما فى يدِ صاحبِه[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْۚ ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى الذين عَنَى اللَّهُ بقولِه : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم بما حدَّثنى** به المُثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْۚ ﴾ . قال : وقالت النصارى مِثلَ قولِ اليهودِ قبلَهم[(٢)] .

حدَّثنا بشرٌ ، (٣) قال : حدثنا [١٨/٤و] يزيدُ ، قال : حدثنا (٣) سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْۚ ﴾ قال : قالت النصارى مِثلَ قولِ اليهودِ قبلَهم[(٤)] .

وقال آخرون بما حدَّثنا به القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قلتُ لعطاءٍ : مَن هؤلاء الذين لا يعلمون ؟ قال : أُممٌ كانت قبلَ اليهودِ والنصارى ، وقبلَ التوراةِ والإنجيلِ[(٥)] .

وقال بعضُهم : عَنَى بذلك مُشرِكى العربِ ؛ لأنهم لم يكونوا أهلَ كتابٍ ، فنُسِبوا إلى الجهلِ ، ونُفِى عنهم مِن أجلِ ذلك العلمُ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٤٩/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٩/١ (١١٠٦) من طريق سلمة به .
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٩/١ عقب الأثر (١١٠٩) من طريق ابن أبى جعفر به .
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٩/١ عقب الأثر (١١٠٩) معلقا .
(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٩/١ (١١٠٨) من طريق حجاج به .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ : / فهمُ العربُ ، قالوا : ليس محمدٌ على شيءٍ[(١)] . ٤٩٧/١

والصوابُ مِن القولِ في ذلك عندَنا أن يقالَ : إن اللَّهَ أخْبَرَ تبارك وتعالى عن قومٍ وصفَهم بالجهلِ ، ونفَى عنهم العلمَ بما كانت اليهودُ والنصارى به عالِمين - أنهم قالوا بجهلِهم نظيرَ ما قالت اليهودُ والنصارى بعضُها لبعضٍ ، مما أخْبَرَ اللَّهُ عنهم أنهم قالوه في قولِه : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ . وجائزٌ أن يكونوا هم المشركين مِن العربِ ، وجائزٌ أن يكونوا أُمةً كانت قبلَ اليهودِ والنصارى ، ولا أمَّةٌ هي[(٢)] أوْلَى أن يُقالَ هي التي عُنِيت بذلك من الأُخرى ، إذ لم يَكُنْ في الآيةِ دلالةٌ على أيٍّ من أيٍّ ، ولا خبرَ بذلك عن رسولِ اللَّهِ ﷺ تثْبُتُ[(٣)] حجتُه من جهةِ النقلِ المُستفيضِ ، ولا مِن جهةِ نقلِ الواحدِ العدْلِ .

وإنما قصَد اللَّهُ جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ . إلى[(٤)] إعلامِ المؤمنين أن اليهودَ والنصارَى قد أتَوْا - مِن قيلِ الباطلِ ، وافتراءِ الكذبِ على اللَّهِ ، وجُحودِ نبوَّةِ الأنبياءِ والرسلِ ، وهم أهلُ كتابٍ يَعْلمون أنهم فيما يقولون مُبْطِلون ، وبجُحودِهم ما يجحَدون مِن ملتِهم خارِجون ، وعلى اللَّهِ مُفْترون - مِثلَ الذي قاله أهلُ الجهلِ باللَّهِ وكتُبِه ورسلِه الذين لم يَبْعثِ اللَّهُ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٩/١ (١١٠٧) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣) في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « ثبتت » .

(٤) سقط من : م .

إليهم[١] رسولًا ، ولا أوْحَى إليهم كتابًا .

وهذه الآيةُ تُنبئُ عن[٢] أن مَن أتَى شيئًا مِن معاصِى اللَّهِ على علمٍ منه بنَهْيِ اللَّهِ عنها ، فمُصيبتُه فى دينِه أعظمُ مِن مصيبةِ مَن أتَى ذلك جاهلًا به ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذِكرُه عظَّم توبيخَ اليهودِ والنصارَى بما وبَّخهم به - فى قيلِهم ما أخبَر عنهم بقولِه : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ - مِن أجلِ أنهم أهلُ كتابٍ ، قالوا ما قالوا مِن ذلك على علمٍ منهم بأنهم فيه مُبْطِلون .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ [٤/١٨ظ] يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤُه : فاللَّهُ يَقْضِى فيَفْصِلُ بينَ هؤلاءِ المُختلِفِين القائلِ بعضُهم لبعضٍ : لستم على شىءٍ مِن دينِكم . يومَ قيامِ الخلقِ لربِّهم مِن قبورِهم ، فيتبيَّنُ[٤] المحقُّ منهم مِن المُبطلِ ، بإيتائِه المحقَّ ما وعَد أهلَ طاعتِه على أعمالِهم الصالحةِ ، ومجازاتِه المُبطِلَ منهم بما أوْعَد أهلَ الكفرِ به على كفرِهم به ، فيما كانوا فيه يَخْتَلِفون مِن أديانِهم ومِلَلِهم فى دارِ الدنيا .

وأما « القيامةُ » ، فهى مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : قمتُ قِيامًا وقِيامةً . كما يقالُ : عُدْتُ فلانًا عِيادةً . و: صُنْتُ هذا الأمرَ صِيانةً . وإنما عنَى بالقيامةِ قيامَ الخلقِ مِن قبورِهم لربِّهم . فمعنى ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ : يومَ قيامِ الخلائقِ مِن قبورِهم لمحشرِهم .

---

(١) فى م : « لهم » .

(٢) فى ت١، ت٢: « على » .

(٣) فى م : « بإثابة » .

(٤) فى متن الأصل : « فيبين » ، وكتب مقابله : « فتبين » .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ .

قد دَلَّلْنا فيما مضَى قبلُ على أن تأويلَ الظُّلمِ وَضْعُ الشيءِ فى غيرِ موضعِه[1] .

فتأويلُ قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ : وأىُّ امرِئٍ أشدُّ تعدِّيًا وجُرأَةً على اللَّهِ وخلافًا لأمرِه ، مِن امرِئٍ منَع مساجدَ اللَّهِ أن يُعبدَ اللَّهُ فيها ؟

/ والمساجدُ جمعُ مسجدٍ ، وهو كلُّ مَوضِعٍ عُبِدَ اللَّهُ فيه . وقد بيَّنا معنى السجودِ فيما مضَى[2] . فمعنى المسجدِ : المَوضعُ الذى يُسْجَدُ للَّهِ فيه . كما يقالُ للموضعِ الذى يُجْلَسُ فيه : المَجلِسُ . وللمَوضعِ الذى يُنزَلُ فيه : المَنزِلُ . ثم يُجمعُ مَنازِلَ ومجالسَ ، نَظيرَ [3]جمعِ مَسجدٍ ؛ مَساجدَ[3] . وقد حُكِيَ سماعًا مِن بعضِ العربِ : مَسْجَدٌ[4] . فى واحدِ المساجدِ ، وذلك كالخطأِ مِن قائلِه . ١/٤٩٨

وأما قولُه : ﴿ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ . فإن فيه وَجْهين مِن التأويلِ : أحدُهما ، أن يكونَ معناه : ومَن أظلمُ ممن منَع مساجدَ اللَّهِ مِن أن يُذكرَ فيها اسمُه . فتكونَ ﴿ أَن ﴾ حينئذٍ نصبًا فى[5] قولِ بعضِ أهلِ العربيةِ بفَقْدِ الخافضِ ، وتَعلُّقِ الفعلِ بها . [6]وفى قولِ بعضِهم خَفضُها بمعنَى « مِن » وإن لم تكُنْ « مِن » ظاهرةً ، إذْ كان فى الكلامِ عليها دلالةٌ[6] .

والوجهُ الآخرُ ، أن يكونَ معناه : ومَن أظلمُ ممن منَع أن يُذكرَ اسمُ اللَّهِ فى

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/٥٥٩ ، ٥٦٠ .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/٧١٥ .

(٣ - ٣) فى م ، ت١، ت٢، ت ٣: « مسجد ومساجد » .

(٤) فى م : « مساجد » .

(٥) فى م ، ت١، ت٢، ت ٣: « من » .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

مساجدِه . فتكونَ ﴿ أَن﴾ حينئذٍ فى موضعِ نصبٍ تكريرًا على موضعِ [١٩/٤و] « المساجدِ » وردًّا عليه .

وأما قولُه : ﴿ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ﴾ . فإن معناه : ومَن أظلمُ ممن منَع مساجدَ اللَّهِ أن يُذْكرَ فيها اسمُه ، وممن سعَى فى خرابِ مساجدِ اللَّهِ . فـ ﴿وَسَعَىٰ﴾ إذن عطفٌ على ﴿مَّنَعَ﴾ .

فإن قال لنا قائلٌ : ومَن الذين عَنَى اللَّهُ بقولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ﴾ ؟ وأىُّ المساجدِ هى ؟

قيل : إن أهلَ التأويلِ فى ذلك مُختلِفون ؛ فقال بعضُهم : الذين مَنَعوا مساجدَ اللَّهِ أن يُذْكرَ فيها اسمُه هم النصارى ، والمسجدُ بيتُ المقدسِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمِّى ، قال : حدَّثنى أَبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ : فإنَّهم النصارى[(١)] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ﴾ : النصارى ، كانوا يَطْرَحون فى بيتِ المقدسِ الأذَى ، ويَمْنعون الناسَ أن يُصلُّوا فيه[(٢)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٠/١ (١١١١) عن محمد بن سعد به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢١٢، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٠/١(١١١٢) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٨/١ إلى عبد بن حميد .

وحدَّثني المُثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهد مثلَه .

وقال آخرون : بل هو بُخْتُنَصَّرَ وجندُه ، ومَن أعانَهم مِن النصارى ، والمسجدُ مسجدُ بيتِ المقدسِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ الآية : أولئك أعداءُ اللَّهِ النصارى ، حملَهم بُغْضُ اليهودِ على أن أعانوا بُخْتَنَصَّرَ البابليَّ المجوسيَّ على تخريبِ بيتِ المقدسِ[١] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ قال : هو بُخْتُنَصَّرَ وأصحابُه ، خرَّب بيتَ المقدسِ ، وأعانَه على ذلك النصارى[٢] .

وحدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ / ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ : فإن[٣] الرُّومَ كانوا ظاهروا بُخْتَنَصَّرَ على خرابِ بيتِ المقدسِ حتى خرَّبه ، وأمَر به أن تُطْرَحَ فيه الجِيفُ ، وإنما أعانَه الرومُ على خرابِه مِن أجلِ أن بني إسرائيلَ قتَلوا يحيى بنَ ١/٤٩٩

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٨ إلى عبد بن حميد ، وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٤.

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٥٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١/٢١٠ (١١١٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) فى م ، ت١، ت٢، ت ٣: « قال » .

زَكريا[١] .

وقال آخرون : بل عَنَى اللَّهُ عز وجل بهذه الآيةِ مُشْرِكى قريشٍ ، إذ مَنَعوا رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن المسجدِ الحرامِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك [١٩/٤ظ]

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ . قال : هؤلاء المشركون حين حالُوا بينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ الحُدَيبيةِ وبينَ أن يَدْخُلَ مكةَ ، حتى نحَر هديَه بذِى طُوًى وهادَنَهم ، وقال لهم : « ما كان أحدٌ يُرَدُّ عن هذا البيتِ ، وقد كان الرجلُ يَلْقَى قاتلَ أبيه أو أخيه فيه فما يصدُّه ! » فقالوا : لا يَدْخلُ علينا مَن قتَل آباءَنا يومَ بدرٍ وفينا باقٍ . وفى قولِه : ﴿ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ قال[٢] : إذا قطَعوا مَن يَعمُرُها بذِكْرِه ، ويأْتِيها للحجِّ والعمرةِ[٣] .

وأَوْلَى التأويلاتِ التى ذَكَرناها بتأويلِ الآيةِ قولُ مَن قال : عَنَى اللَّهُ عز وجل بقولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ النصارى ، وذلك أنهم هم الذين سعَوا فى خرابِ بيتِ المقدسِ ، وأعانوا بُخْتَنَصَّرَ على ذلك ، ومنَعوا مُؤْمنى بنى إسرائيلَ مِن الصلاةِ فيه بعدَ مُنْصرَفِ بختِنصَّرَ عنهم إلى بلادِه .

والدليلُ على صحةِ ما قلنا فى ذلك ، قيامُ الحُجةِ بأن لا قولَ فى معنى هذه الآيةِ إلا أحدُ الأقوالِ الثلاثةِ التى ذكرناها ، وأن لا مسجدَ عَنَى اللَّهُ عزّ وجل بقولِه : ﴿ فِى

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١١/١ (١١١٦) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) فى م ، ت١، ت٢، ت ٣: « قالوا » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٢٤/١ عن المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٨/١ إلى المصنف .

خَرَابِهَآ ﴾ إلا أحدُ المَسجدَيْن ، إما مَسْجدُ بيتِ المقدسِ ، وإما المسجدُ الحرامُ . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان معلومًا أن مُشرِكى قريشٍ لم يَسْعَوا قَطُّ فى تخريبِ المسجدِ الحرامِ ، وإن كانوا قد منَعوا فى بعضِ الأوقاتِ رسولَ اللَّهِ ﷺ وأصحابَه مِن الصلاةِ فيه ، صحَّ وثبَت أن الذين وصفَهم اللَّهُ عزّ وجل بالسعيِ فى خرابِ مساجدِه ، غيرُ الذين وصفَهم اللَّهُ بعمارتِها ، إذ كان مُشْرِكو[(١)] قريشٍ هم[(٢)] بنَوا المسجدَ الحرامَ فى الجاهليةِ ، وبعِمارتِه كان افْتِخارُهم ، وإن كان بعضُ أفعالِهم فيه كان منهم على غيرِ الوجهِ الذى يَرْضاه اللَّهُ منهم . وأُخرى أن الآيةَ التى قبلَ قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ . مضَت بالخبرِ عن اليهودِ والنصارَى وذمِّ أفعالِهم ، والتى بعدَها عقَّبَت[(٣)] بذمِّ النصارَى والخبرِ عن افترائِهم على ربِّهم ، ولم يَجْرِ لقريشٍ ولا لمُشركى العربِ ذِكْرٌ ، ولا للمسجدِ الحرامِ قبلَها ، فيُوجَّهَ الخبرُ بقولِ اللَّهِ عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ . إليهم وإلى المسجدِ الحرامِ . وإذ كان ذلك كذلك ، فالذى هو أوْلَى بالآيةِ أن يُوجَّهَ تأويلُها إليه ، هو ما كان نَظيرَ قصةِ الآيةِ قبلَها والآيةِ بعدَها ، إذ كان خبرُها لخبرِهما نظيرًا وشكلًا ، إلا أن تقومَ حُجةٌ يجِبُ التسليمُ لها بخلافِ ذلك ، وإن اتفَقت قصصُها فاشْتَبهت .

/فإن ظنَّ ظانٌّ أن ما قلنا فى ذلك ليس كذلك - إذ كان المسلمون لم يَلْزَمْهم قَطُّ فرضُ الصلاةِ فى [(٤)]مسجدِ بَيْتِ[(٤)] المقدسِ فَمُنِعوا مِن الصلاةِ فيه ، ١/ ٥٠٠

(١) فى م : « مشرك » .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣) فى م : « نبهت » .

(٤ - ٤) فى م : « المسجد » .

فيجوزَ[(١)] توجيهُ قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن [٢٠/٤و] يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ . إلى أنه مَعْنيٌّ به مسجدُ بيتِ المقدسِ - فقد أخطأ فيما ظَنَّ مِن ذلك . وذلك أن اللَّهَ تعالى ذِكْرُه إنما ظلَّمَ[(٢)] مَن منَع مَن كان فرضَه الصلاةُ في مسجدِ بيتِ المقدسِ مِن مؤمني بني إسرائيلَ ، وإياهم قصَد بالخبرِ عنهم بالظلمِ ، والسَّعْيِ في خرابِ المسجدِ ، وإن كان قد دلَّ بعمومِ قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ أن كلَّ مانعٍ مصليًا في مسجدٍ للَّهِ ، فرضًا كانت صلاتُه فيه أو تطوعًا ، وكلَّ ساعٍ في خرابِه[(٣)] ، فهو مِن المُعْتدين الظالمين .

القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ جل ثناؤه عمَّن مَنَع مساجدَ اللَّهِ أن يُذْكَرَ فيها اسمُه ، أنه قد حَرَّم عليهم دخولَ المساجدِ التي سَعَوا في تخريبِها ، ومَنَعوا عبادَ اللَّهِ المؤمنين مِن ذكرِ اللَّهِ عز وجل فيها ما داموا على مُناصَبةِ الحربِ ، إلا على خوفٍ ووَجَلٍ مِن العقوبةِ على دُخولِهموها .

كالذي حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ : وهم اليومَ كذلك ، لا يُوجَدُ نَصرانيٌّ في بيتِ المقدسِ إلا نُهِك ضربًا ، وأُبْلِغ إليه في العقوبةِ .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ : قال اللَّهُ عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ . وهم

---

(١) في م : « فيلجئون » .

(٢) في م : « ذكر ظلم » .

(٣) في م : « إخرابه » .

النَّصارَى ، فلا يَدْخُلون المسجدَ[1] إلا مُسارَقةً ، إن قُدِرَ عليهم عُوقِبوا[2] .

وحدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ : فليس فى الأرضِ رومىٌّ يَدْخُلُه اليومَ إلا وهو خائفٌ أن تُضْرَبَ عُنقُه ، أو قد أُخِيفَ بأداءِ الجِزْيةِ فهو يُؤَدِّيها[3] .

وحدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ . قال : نادَى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ألَّا[4] يَحُجَّ بعدَ العامِ مُشرِكٌ ، ولا يَطُوفَ بالبيتِ عُرْيانٌ » . قال : فجعَل المُشرِكون يقولون : اللهم إنا مُنِعْنا أن نُبِرَّك[5] .

وإنما قِيلَ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ فأُخرِج على وجهِ الخبرِ عن الجميعِ وهو خبرٌ عمَّن منَع مساجدَ اللَّهِ أن يُذْكَرَ فيها اسمُه ؛ لأن « مَن » فى مَعْنَى الجمعِ وإن كان لفظُه واحدًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا [٤/٢٠ظ] خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ .

أما قولُه : ﴿ لَهُمْ ﴾ . فإنه يَعْنى : للذين أخْبَرَ عنهم أنهم مَنَعوا مساجدَ اللَّهِ أن يُذْكَرَ فيها اسمُه .

---

(١) بعده فى الأصل : « الحرام » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٦، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢١١ (١١١٧) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢١١ (١١١٦) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٤) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « لا » .

(٥) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « ننزل » .

وقوله : « ألّا يحج بعد العام مشرك ... » . متفق عليه من حديث أبى هريرة ، أن أبا بكر بعثه ... يؤذن بمنى : ألا لا يحج ... وينظر فتح البارى لابن رجب ٢/ ٤٠١، ٤٠٢، وسيأتى من طرق فى أول سورة التوبة .

وأما قولُه : ﴿ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ . فإنه يَعْنى بالخزيِ الشرَّ والعارَ والذِّلةَ ؛ إما القتلُ والسَّبىُ ، وإما الذِّلةُ والصَّغارُ بأداءِ الجزيةِ .

١/٥٠١ /كما حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ . قال : يُعْطُون الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغِرون[(١)] .

وحدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ قولَه : ﴿ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ : أما خزيُهم فى الدنيا ، فإنهم إذا قام المَهْدىُّ وفُتِحت القُسطَنطينيةُ قَتَلهم ، فذلك الخزىُ[(٢)] .

[(٣)] وأما قولُه : ﴿ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ . فإن الآخرةَ صفةٌ للدارِ . وقد بيَّنَّا فيما مضَى قبلُ لِمَ قيلَ لها : آخرةٌ[(٣)] .

وأما العذابُ العظيمُ ، فإنه عذابُ جهنمَ الذى لا يُخَفَّفُ عن أهلِه ، ولا يُقْضَى عليهم فيه[(٤)] فيموتوا .

وتأويلُ الآيةِ : لهم فى الدنيا الذلةُ والهوانُ ، والقتلُ والسبىُ ، على مَنْعِهم مساجدَ اللَّهِ أن يُذْكَرَ فيها اسمُه ، وسَعْيِهم فى خرابِها ، ولهم على مَعْصِيتِهم وكفرِهم بربِّهم ، وسعيِهم فى الأرضِ فسادًا ، عذابُ جهنمَ ، وهو العذابُ العظيمُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٦، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢١١ (١١١٩) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢١١ (١١١٨) من طريق عمرو به .

(٣ - ٣) سقط من : م، ت ١، ت ٢، ت٣ . وينظر ما تقدم فى ١/ ٢٥١.

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فيها » .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ : للَّهِ مِلْكُهما وتَدْبيرُهما ، كما يُقالُ : لفلانٍ هذه الدارُ . يَعْنى أنها له مِلْكًا ، فكذلك قولُه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ . يَعْنى أنهما له مِلْكًا وخَلْقًا .

والمَشْرِقُ : موضعُ شُروقِ الشمسِ ، وهو موضعُ طلوعِها [١]منه . وكذلك المغربُ : الموضعُ الذى تَغْرُبُ فيه[١] ، كما يُقالُ لموضعِ طلوعِها منه : مَطْلِعٌ . بكسرِ اللّامِ ، كما بَيَّنَّا فى مَعْنَى المَسْجِدِ آنفًا .

فإن قال قائلٌ : أَوَما للَّهِ إلا مشرِقٌ واحدٌ ومغرِبٌ واحدٌ ، حتى قِيلَ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ ؟

قيل : إن معنى ذلك غيرُ الذى ذهَبتَ إليه ، وإنما معنى ذلك : وللَّهِ المشرِقُ الذى تَشْرُقُ منه الشمسُ كلَّ يومٍ ، والمغرِبُ الذى تَغْرُبُ فيه كلَّ يومٍ . فتأويلُه إذْ كان ذلك مَعْناه : وللَّهِ ما بينَ قُطْرِيِ المشرقِ وما بينَ قُطْرِيِ المغربِ . إذ كان شروقُ الشمسِ كلَّ يومٍ مِن موضعٍ منه لا تَعودُ لشروقِها منه إلى الحولِ الذى بعدَه ، وكذلك غروبُها كلَّ يومٍ .

فإن قال قائلٌ : أَوَ ليس - وإن كان تأويلُ ذلك ما [٢١/٤و] ذكرتَ - للَّهِ كلُّ ما دونَه ، والخلقُ خلقُه ؟ قيل : بَلَى .

فإن قال : فكيف خصَّ المشارقَ والمغاربَ بالخبرِ عنها أنها له فى هذا الموضعِ دونَ سائرِ الأشياءِ غيرِها ؟

قِيلَ : **قد اختلف أهلُ التأويلِ** فى السببِ الذى مِن أجلِه خصَّ اللَّهُ ذِكْرَ ذلك بما خصَّه به فى هذا الموضعِ ، ونحن مُبَيِّنو الذى هو أَوْلَى بتأويلِ الآيةِ بعدَ ذِكْرِنا أقوالَهم فى ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : خصَّ اللَّهُ ذلك بالخبرِ عنه[٢] مِن أجلِ أن اليهودَ كانت تُوَجِّهُ فى صلاتِها وجوهَها قِبَلَ بيتِ المقدسِ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(١ وأصحابُه يَفْعلون ١) ذلك مُدَّةً ، ثم حُوِّلوا إلى الكعبةِ ، فاستَنْكرت اليهودُ ذلك مِن فعلِ النبيِّ ﷺ فقالوا : ما ولَّاهم عن قِبْلَتِهم التى كانوا عليها . فقال اللَّهُ تبارك وتعالى لهم : المشارقُ والمغاربُ كلُّها لى ، أصْرِفُ وجوهَ عِبادِى كيف أشاءُ منها ، فأينَما (٢) تُوَلُّوا فثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ .

١/٥٠٢

/ ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان أولَ ما نسَخَ اللَّهُ مِن القرآنِ القبلةُ ، وذلك أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما هاجَر إلى المدينةِ ، وكان أكثرَ أهلِها اليهودُ ، أمرَه اللَّهُ عزَّ وجلَّ أن يَسْتَقبلَ بيتَ المقدسِ ، ففَرِحت اليهودُ ، فاسْتَقْبلها رسولُ اللَّهِ ﷺ بِضعةَ عشرَ شهرًا ، فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُحبُّ قِبْلةَ إبراهيمَ ، فكان يَدْعُو ويَنْظرُ إلى السماءِ ، فأنْزَل اللَّهُ تبارك وتعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ إلى قولِه : ﴿ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة : ١٤٤] . فارْتاب مِن ذلك اليهودُ ، وقالوا : ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ . فأنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ [البقرة : ١٤٢] . وقال : ﴿ فَأَيْنَمَا (٣) تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (٤) .

وحدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ بنحوِه (٥) .

(١ - ١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يفعل » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فحيثما » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أينما » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٨/١ ، ٢٥٣ (١٣٢٩ ، ١٣٥٥) ، والنحاس فى ناسخه ص ٧١ ، والبيهقى ٢/ ١٢ ، ١٣ من طريق أبى صالح به . وأخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ١٦ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٢/١ (١١٢٣) ، والبيهقى ١٢/٢ ، وابن الجوزى فى ناسخه ص ١٤٤ من طريق عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، نحوه . وعطاء لم يسمع من ابن عباس ، كما تقدم فى ص ٨٤ . وسيأتى فى ص ٦١٦ - مختصرا - ، ٦٢٢ ، ٦٥٧ .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم ٢١٢/١ عقب الأثر (١١٢٣) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وينظر =

وقال آخرون : بل أنزل اللهُ هذه الآيةَ قبلَ أن يَفرِضَ على محمدٍ نبيِّه ﷺ وعلى المؤمنين به ، التوجُّهَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ ، وإنما أنزلها عليه مُعْلِمًا نبيَّه بذلك وأصحابَه أن لهم التوجُّهَ بوجُوهِهم للصلاةِ حيث شاءوا مِن نواحي المشرقِ والمغربِ ؛ لأنهم لا يُوجِّهون وُجوهَهم وَجْهًا مِن ذلك وناحيةً ، إلا كان جلَّ ثناؤُه في ذلك الوجهِ وتلك الناحيةِ ؛ لأن له المشارقَ والمغاربَ ، وأنه لا يَخْلو منه مكانٌ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ [المجادلة : ٧] . قالوا : ثم نَسَخَ ذلك بالفرضِ الذي فَرَضَ عليهم في التوجُّهِ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ[(١)] .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ : ثم نسَخ ذلك بعدَ ذلك ، فقال اللهُ : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ ﴾[(٢)] .

[(٣)]**وحدَّثني** الحسنُ بنُ يحيى[(٣)] ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ . قال : هي القِبلةُ ، [٤/ ٢١ظ] ثم نسَختها القِبلةُ إلى المسجدِ الحرامِ .

= الدر المنثور ١/ ١٠٨، ١٠٩.

(١) قال ابن كثير في تفسيره ١/٢٢٧ تعليقا على قول المصنف هذا : هكذا قال ، وفي قوله : « وإنه لا يخلو منه مكان » . إن أراد علمه تعالى فصحيح ، فإن علمه تعالى محيط بجميع المعلومات ، وأما ذاته تعالى ، فلا تكون محصورة في شيء من خلقه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وهذا ما سيذكره المصنف في تفسير الآية من سورة المجادلة .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٥٨) من طريق يزيد به ، وأخرجه ابن الجوزي في ناسخه ص ١٤٥ من طريق سعيد به نحوه . وأخرجه ابن الجوزي ص ١٤٦ من طريق شيبان ، عن قتادة . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٠٩ إلى عبد بن حميد .

(٣ - ٣) في م : « حدثت عن الحسن » .

حدَّثني المُثنَّى ، قال : حدَّثنا الحجاجُ بنُ المِنهالِ ، قال : حدَّثنا همَّامُ بنُ[(١)] يحيى ، قال : سمِعتُ قتادةَ في قولِ اللَّهِ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ . قال : كانوا يُصَلُّون نحوَ بيتِ المقدسِ ورسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ قبلَ الهجرةِ ، وبعدَ ما هاجَر رسولُ اللَّهِ ﷺ صلَّى نحوَ بيتِ المقدسِ ستةَ عشرَ شهرًا ، ثم وُجِّهَ بعدَ ذلك نحوَ الكعبةِ البيتِ الحرامِ ، فنسَخها اللَّهُ في آيةٍ أُخرى : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ إلى : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ . قال : فنسَخت هذه الآيةُ ما كان قبلَها مِن أمْرِ القِبلةِ[(٢)] .

وحدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : سمِعتُه - يعني [(٣)]ابنَ زيدٍ[(٣)] - يقولُ : قال اللَّهُ لنبيِّه ﷺ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هؤلاءِ قومُ يهودَ يَسْتقبِلون بيتًا مِن بُيوتِ اللَّهِ - [(٤)]لبيتِ المَقْدسِ[(٤)] - لو أنَّا استقْبلناه » . فاستقْبله / النبيُّ ﷺ ستةَ عشرَ شهرًا ، فبلَغه أن يهودَ تقولُ : واللَّهِ ما درَى محمدٌ وأصحابُه أين قِبلتُهم حتى هَدَيْناهم . فكَرِه ذلك النبيُّ ﷺ ، ورفَع وَجهَه إلى السماءِ ، فقال اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ الآية[(٥)] .

١/٥٠٣

وقال آخرون : بل نزَلت هذه الآيةُ على النبيِّ ﷺ إذْنًا مِن اللَّهِ عز وجل له أن يُصَلِّيَ التطَوعَ حيثُ توجَّه وجهُه مِن شرقٍ أو غربٍ ، في مسيرِه في سفرِه ، وفي حالِ المُسايفةِ وشدَّةِ الخوفِ والتقاءِ الزُّحوفِ - الفرائضَ ، وأعلَمه أنه حيثُ وجَّه وجهَه فهو هنالك ، بقولِه : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ .

---

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال ثنا » .

(٢) أخرجه ابن الجوزي في ناسخه ص ١٤٥ من طريق همام به نحوه .

(٣ - ٣) في م : « زيدًا » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « زيد » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) ذكره النحاس في ناسخه ص ٧٦ ، ٧٧ معلقًا .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ إدريسَ ، قال : حدَّثنا عبدُ الملكِ ، عن سعيدِ ابنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عمرَ أنه كان يُصَلِّى حيثُ تَوجَّهتْ به راحِلتُه ، ويَذْكُرُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَفعلُ ذلك ، ويَتأوَّلُ هذه الآيةَ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[1] .

وحدَّثنى أبو السائبِ سَلْمُ بنُ جُنادةَ ، قال : حدَّثنا ابنُ فُضيلٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبى سليمانَ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عمرَ أنه قال : لمَّا[2] نزَلت هذه الآيةُ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ : أن تُصَلِّىَ أينما[3] توجَّهتْ بك راحِلتُك فى السفرِ تَطوعًا ، كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا رجَع مِن مكةَ يُصَلِّى على راحلتِه تَطوعًا ، يُومِئُ برأسِه نحوَ المدينةِ[4] .

وقال آخرون : بل نزَلت هذه الآيةُ فى قومٍ عَمِيت عليهم القِبلةُ فلم يَعْرِفوا شَطْرَها ، فصلَّوا على أنحاءٍ مختلفةٍ ، فقال اللَّهُ عزَّ وجلَّ لهم : لىَ المشارقُ والمغاربُ ، فأينَ[5] ولَّيتم وجوهَكم فهنالك وَجْهِى ، وهو قِبلَتُكم . يُعْلِمُهم[6] بذلك أن صلاتَهم ماضيةٌ .

---

(١) أخرجه أحمد ٩/ ٤٨ (٥٠٠١) عن عبد اللَّه بن إدريس به . وأخرجه أحمد ٨/ ٣٣٧ (٤٧١٤) ، ومسلم (٧٠٠/ ٣٣، ٣٤) ، والترمذى (٢٩٥٨) ، والمروزى فى السنة (٣٧٧) ، والنسائى (٤٩٠) ، وابن خزيمة (١٢٦٧) ، والنحاس فى ناسخه ص ٧٨، والحاكم ٢/ ٢٦٦، والبيهقى ٢/ ٤، والواحدى فى أسباب النزول ص ٢٥، وابن الجوزى فى ناسخه ص ١٤١ ، من طرق عن عبد الملك به .

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « إنما » .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « حيثما » .

(٤) أخرجه ابن خزيمة (١٢٦٩) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢١٢ (١١٢١) من طريق ابن فضيل به .

(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فإن » .

(٦) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « معلمهم » .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازيُّ ، قال : حدثنا أبو أحمدَ الزُّبَيرِيُّ ، قال : حدثنا أبو الرَّبيعِ السَّمَّانُ ، عن عاصمِ بنِ عبيدِ اللَّهِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عامرِ بنِ ربيعةَ ، عن أبيه ، قال : كنَّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ في ليلةٍ سوداءَ مظلمةٍ ، فنزَلْنا مَنْزِلًا ، فجعَل الرجلُ يأْخذُ الأحجارَ فيَعْملُ مسجدًا يُصَلِّي فيه ، فلما أن أصْبَحْنا إذا نحن قد صلَّيْنا على غيرِ القبلةِ ، فقلنا : يا رسولَ اللَّهِ ، لقد صلَّيْنا لَيْلتَنا هذه لغيرِ القبلةِ . فأنزل اللَّهُ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[(١)] .

وحدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا الحجاجُ ، قال : حدثنا حمَّادٌ ، قال [(٢)] أخبرنا حمادٌ ، قال[(٢)] : قلتُ للنَّخَعِيِّ : إني كنت استَيْقظتُ - أو قال : أُيْقظتُ[(٣)] . شكَّ أبو جعفرٍ - فكان في السماءِ سحابٌ ، فصَلَّيتُ لغيرِ القِبلةِ ، قال : مضَت صلاتُك ، يقولُ اللَّهُ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾[(٤)] .

[٤/٢٢و] حدَّثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : حدثنا أبي ، عن أشعثَ السَّمَّانِ ، عن عاصمِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عامرِ بنِ ربيعةَ ، عن أبيه ، قال : كنا مع النبيِّ ﷺ في ليلةٍ مُظْلمةٍ في سفرٍ ، فلم نَدْرِ أين القِبلةُ ،/ فصَلَّيْنا ؛ وصَلَّى كلُّ رجلٍ[(٥)] منا على حِيالِه ، ثم أصبَحْنا فذكَرْنا ذلك للنبيِّ ﷺ ، فأنزَل اللَّهُ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ

١/٥٠٤

---

(١) حديث ضعيف . أخرجه الطيالسي (١٢٤١) ، وعبد بن حميد (٣١٦) ، وابن ماجه (١٠٢٠) ، والبزار (٣٨١٢) ، والعقيلي ١/ ٣١، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢١١/١ (١١٢٠) ، والطبراني في الأوسط (٤٦٠) ، والدارقطني ١/ ٢٧٢، والبيهقي ٢/ ١١، وأبو نعيم في الحلية ١٧٩/١ ، وابن الجوزي في ناسخه ص ١٣٨، ١٣٩ من طريق أبي الربيع السمان به ، وأبو الربيع وعاصم ضعيفان . وقال العقيلي : حديث عامر بن ربيعة ليس يُروى من وجه يثبت متنه . وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، وهو حماد بن سلمة ، عن حماد بن أبي سليمان .

(٣) في م : « أوقظت » .

(٤) ذكره النحاس في ناسخه ص ٧٧ معلقا .

(٥) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « واحد » .

وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[(١)] .

وقال آخرون : بل نزَلت هذه الآيةُ فى سببِ النجاشىِّ ؛ لأن أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ تَنازعوا فى أمرِه ؛ مِن أجلِ أنه مات قبلَ أن يُصَلِّىَ[(٢)] القبلةَ ، فقال لهم اللَّهُ : المشارقُ والمغاربُ كلُّها لى ، فمَن وَجَّه وجهَه نحوَ شىءٍ منها يريدُنى به ، ويَبْتَغِى به طاعتى ، وجدَنى هنالك . يعنى بذلك أن النجاشىَّ وإن لم يكن صَلَّى[(٢)] القبلةَ ، فإنه كان يُوجِّهُ إلى بعضِ وُجوهِ المشارقِ أو المغاربِ وَجْهَه ، يَبْتغى بذلك رضا اللَّهِ فى صلاتِه .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا [(٣)]معاذُ بنُ هشامٍ[(٣)] ، قال : حدَّثنى أبى ، عن قتادةَ أن النبىَّ ﷺ قال : « إن أخاكم النَّجاشىَّ قد مات فصَلُّوا عليه » . قالوا : أنُصَلِّى على رجلٍ ليس بمسلمٍ ! قال : فنزلَت : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران : ١٩٩] . قال قتادةُ : فقالوا : وإنه كان لا يُصَلِّى[(٢)] القبلةَ . فأنزَل اللَّهُ : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[(٤)] .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك [(٥)]أن يقالَ[(٥)] : إن اللَّهَ تعالى ذِكْرُه إنما خصَّ الخبرَ عن المشرقِ والمغربِ فى هذه الآيةِ بأنهما له مِلْكًا - وإن كان لا شىءَ إلَّا وهو له

---

(١) أخرجه الترمذى (٣٤٥، ٢٩٥٧) ، والدارقطنى ١/ ٢٧٢، والواحدى فى أسباب النزول ص ٢٥ من طريق وكيع به .

(٢) بعده فى م : « إلى » .

(٣ - ٣) فى م : « هشام بن معاذ » ، وينظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢١٥.

(٤) سيأتى تخريجه فى سورة آل عمران .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

مِلْكٌ - إعلامًا منه لعبادِه المؤمنين أن له مِلْكَهما ومِلكَ ما بينَهما مِن الخلائقِ ، وأن على جميعِهم - إذ كان له مِلْكُهم - طاعتَه فيما أمرَهم ونهاهم ، وفيما فرَض عليهم مِن الفرائضِ ، والتوجيهَ[(١)] نحوَ الوجهِ الذى وُجِّهوا إليه ، إذ كان مِن حكمِ المماليكِ طاعةُ مالكِهم ، فأخرَج الخبرَ عن المشرقِ والمغربِ ، والمرادُ به ما[(٢)] بينَهما مِن الخلقِ ، على النحوِ الذى قد بيَّنتُ مِن الاكْتفاءِ بالخبرِ عن سببِ الشىءِ مِن ذِكْرِه والخبرِ عنه ، كما قِيل : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ . وما أشْبَهَ ذلك[(٣)] .

فمَعْنَى الآيةِ إذن : وللَّهِ مِلْكُ الخلقِ الذى بينَ المشرقِ والمغربِ ، [(٤)]يستعبِدُهم بما يشاءُ[(٤)] ، ويَحْكُمُ فيهم ما يُرِيدُ ، عليهم طاعتُه ، فولُّوا أيها المؤمنون وجوهَكم نحوَ وجهِى ، فإنكم أينما تُوَلُّوا[(٥)] وجوهَكم فهنالك وَجْهِى .

فأما القولُ فى : هل هذه الآيةُ ناسخةٌ أم منسوخةٌ ؟ أم لا هى ناسخةٌ ولا منسوخةٌ ؟ فإن الصوابَ فيه مِن القولِ أن يقالَ : إنها آيةٌ جاءت مجىءَ العمومِ ، والمرادُ منها الخاصُّ ، وذلك أن قولَه : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ . مُحْتَمِلٌ : فأينما تُوَلُّوا فى حالِ سيرِكم فى أسفارِكم فى صلاتِكم التَّطوعَ ، وفى حالِ مسايفتِكم[(٦)] عدوَّكم فى تَطوُّعِكم ومكتوبتِكم - فثَمَّ وجهُ اللَّهِ . كما قال ابنُ عمرَ والنَّخَعىُّ ومَن قال ذلك ممن ذكَرنا ذلك عنه آنفًا .

ومُحْتَمِلٌ : فأينما تُوَلُّوا مِن أرضِ اللَّهِ فتكونوا بها - فثَمَّ قِبلةُ اللَّهِ التى تُوجَّهون

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « التوجه » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « من » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٤ - ٤) فى م : « يتعبدهم بما شاء » .

(٥) فى الأصل : « تولون » .

(٦) فى الأصل : « مسابقتكم » .

وُجُوهَكم إليها ؛ لأن الكعبةَ مُمْكِنٌ لكم التوجُّهُ إليها منها .

كما حدَّثنا[1] أبو كُرَيبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ ، عن أبي سِنانٍ ، عن الضحاكِ ، والنضرِ بنِ عَرَبيٍّ ، عن مجاهدٍ / في قولِ اللَّهِ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ . قال : قِبلةُ اللَّهِ ، [٢٢/٤ظ] فأينما كُنتَ مِن شرقٍ أو غربٍ فاسْتَقْبِلْها[2] . ١/٥٠٥

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدثنا الحسينُ ، قال : حدثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : أخْبَرنى إبراهيمُ[3] بنُ أبي بكرٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : حيثُما كُنتُم فلكم قِبلةٌ تَستقبِلُونها . قال : للكعبةِ[4] .

ومُحتمِلٌ : فأينما تُوَلُّوا وجوهَكم في دُعائِكم لي ، فهنالك وَجْهي ، أَسْتَجِبْ لكم دعاءَكم .

كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال مجاهدٌ : لمَّا نزلت : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] . قالوا : إلى أين ؟ فنزلت : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[5] .

فإذ كان قولُه : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ . مُحْتَمِلًا ما ذكَرنا مِن الأوجُهِ ، لم يكنْ لأحدٍ أن يَزْعُمَ أنها ناسخةٌ ولا منسوخةٌ إلا بحُجةٍ يَجِبُ التسليمُ لها ؛ لأن

---

(١) في م : « قال » .

(٢) أخرجه الترمذى ١٨٩/٥ (٢٩٥٨) عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن النضر ، عن مجاهد . وأخرجه البيهقى ١٣/٢ من طريق أبي أسامة ، عن النضر به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٩/١ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد .

(٣) بعده في م : « عن » . وينظر تهذيب الكمال ٦٣/٢ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٢١٢/١ (١١٢٢) من طريق حجاج به .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٣٠/١ عن المصنف . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٩/١ إلى المصنف وابن المنذر .

الناسخَ لا يكونُ إلا لمنسوخٍ[(١)] ، ولم تَقُمْ حُجةٌ يَجِبُ التسليمُ لها بأن قولَه : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ . مَعْنِيٌّ به : فأينما تُوَلُّوا وجوهَكم في صلاتِكم فثَمَّ قِبلتُكم . ولا أنها نزَلت بعدَ صلاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه نحوَ بيتِ المقدسِ ، أمرًا مِن اللَّهِ لهم بها أن يَتَوجَّهوا نحوَ الكعبةِ ، فيَجُوزَ أن يقالَ : هي ناسخةٌ الصلاةَ نحوَ بيتِ المقدسِ . إذ كان مِن أهلِ العلمِ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ وأئمةِ التابعين مَن يُنْكِرُ[(٢)] أن تكونَ نزَلت في ذلك المعنى ، ولا خبرَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ثابتٌ بأنها نزَلت فيه ، وكان الاختلافُ في أمرِها موجودًا على ما وَصَفْتُ . ولا هي - إذ لم تكنْ ناسخةً لِما وَصَفْنا - قامَت حُجتُها بأنها منسوخةٌ ، إذ كانت مُحتمِلةً ما وَصَفنا مِن أن تكونَ جاءت بعمومٍ و[(٣)] معناها في حالٍ دونَ حالٍ - إن كان عُنِيَ بها التوجُّهُ في الصلاةِ - وفي كلِّ حالٍ - إن كان عُنِيَ بها الدُّعاءُ - وغيرَ ذلك مِن المعانِي التي ذكَرنا .

وقد دَلَّلنا في كتابِنا « كتابِ البيانِ عن أصولِ الأحكامِ » ، على ألا ناسخَ في آيِ القرآنِ وأخبارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إلا ما نَفَى حكمًا ثابتًا ، قد لزِم العِبادَ فرضُه ، غيرَ مُحتَمِلٍ ظاهرُه[(٤)] وباطنُه غيرَ ذلك ، فأما ما احْتَمل غيرَ ذلك - مِن أن يكونَ بمعْنى الاستثناءِ ، أو الخصوصِ والعمومِ ، أو المُجْمَلِ والمُفَسَّرِ - فمِن الناسخِ والمنسوخِ بمَعْزِلٍ ، بما أغْنَى عن تكريرِه في هذا الموضعِ . وألا منسوخَ إلا المَنْفِيُّ الذي قد كان ثَبَت حُكمُه وفرْضُه . ولم يَصِحَّ واحدٌ مِن هذين المعنيين لقولِه : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ . بحُجةٍ يَجِبُ التسليمُ لها ، فيُقالَ فيه : هو ناسخٌ أو منسوخٌ .

وأما قولُه : ﴿ فَأَيْنَمَا ﴾ . فإن مَعْناه : فحيثما .

---

(١) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بمنسوخ » .

(٢) في الأصل : « يمكن » .

(٣) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « أو » .

(٤) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « لظاهره » .

وأما قولُه : ﴿ تُوَلُّواْ ﴾ . فإن الذى هو أَوْلى بتأويلِه أن يكونَ : تُوَلُّون نحوَه وإليه . كما يقول القائلُ : وَلَّيتُ وَجْهِى نحوَ كذا ، ووَلَّيتُه إليه . بمعنى : قابلتُه وواجهتُه .

وإنما قُلْنا : ذلك أوْلَى بتأويلِ الآيةِ ؛ لإجماعِ الحُجةِ على أن ذلك تأويلُها ، وشُذوذِ مَن تأوَّلَها بأنها بمَعْنَى : تُوَلُّون [٢٣/٤و] عنه فتَسْتَدْبرونه ، (١) ففى الذى (١) تَتَوجَّهون إليه وجهُ اللَّهِ . بمَعْنَى : قِبلةُ اللَّهِ .

(٢) وقولُه : ﴿ تُوَلُّواْ ﴾ . مجزومٌ بحرفِ الجزاءِ ، وهو قولُه : ﴿ فَأَيْنَمَا ﴾ (٢) . وأما قولُه : ﴿ فَثَمَّ ﴾ . فإنه بمَعْنَى : هنالك .

/**واختُلِفَ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ ؛ فقال بعضُهم** : تأويلُ ذلك : فثَمَّ قِبلةُ اللَّهِ . يَعْنِى بذلك : وَجْهُه الذى وَجَّهَهم إليه . ١/٥٠٦

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : حدثنا وكيعٌ ، عن النضرِ بنِ عَرَبىٍّ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ . قال : قبلةُ اللَّهِ (٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى الحجَّاجُ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : أخْبَرنى إبراهيمُ ، عن مجاهدٍ ، قال : حيثُما كنتُم فلكم قِبلةٌ تَسْتقبِلُونها .

وقال آخرون : معنى قولِ اللَّهِ : ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ : فثَمَّ اللَّهُ .

(١ - ١) فى م ، ت ١ : « فالذى » ، و فى ت ٢ ، ت ٣: « فى الذى » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٣) تقدم تخريجه فى ص ٤٥٧.

وقال آخرون : معنى قولِه : ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ : فثَم تُدْرِكون بالتوجُّهِ إليه رضا اللَّهِ الذى له الوجهُ الكريمُ .

وقالوا[1] : عَنَى بالوجهِ : ذو[2] الوجهِ . وقال قائلو هذه المقالةِ : وجهُ اللَّهِ له صفةٌ .

فإن قال قائلٌ : وما هذه الآيةُ مِن التى قبلَها ؟

قيل : هى لها مُواصلةٌ ، وإنما معنى ذلك : ومَن أظلمُ مِن النصارى الذين منَعوا عبادَ اللَّهِ مساجدَه أن يُذْكرَ فيها اسمُه ، وسَعَوا فى خرابِها ، وللَّهِ المشرقُ والمغربُ ، فأينما وجَّهتم وجوهَكم فاذْكُروه ، فإن وجهَه هنالك ، يَسَعُكم فَضْلُه وأرضُه وبلادُه ، ويَعلمُ ما تعمَلون ، ولا يَمْنعكم تخريبُ مَن خرَّب [3]مساجدَ اللَّهِ ببيتِ المقدسِ[3] ، ومَنْعُهم مَن منَعوا مِن ذكرِ اللَّهِ فيه - أن تَذْكروا اللَّهَ حيثُ كنتم مِن أرضِ اللَّهِ ، تَبْتَغون به وجهَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ وَٰسِعٌ ﴾ : يَسَعُ خلقَه كلَّهم بالكِفايةِ والإفْضالِ والجودِ والتدبيرِ .

وأما قولُه : ﴿ عَلِيمٌ ﴾ . فإنه يعنى أنه عليمٌ بأعمالِهم[4] ، لا يَغيبُ عنه منها شىءٌ ، ولا يَعْزُبُ عنه[5] علمُه ، بل هو بجميعِها عليمٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وقال آخرون » .

(٢) فى م : « ذا » .

(٣ - ٣) فى م : « مسجد بيت المقدس » .

(٤) فى م : « بأفعالهم » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « عن » .

يعنى بقولِه : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ ﴾ . الذين مَنَعوا مساجدَ اللَّهِ أن يُذْكَرَ فيها اسمُه . و﴿ قَالُواْ ﴾ معطوفٌ على قولِه : ﴿ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ ﴾ .

وتأويلُ الآيةِ : ومَن أظلمُ ممن مَنَع مساجدَ اللَّهِ أن يُذْكَرَ فيها اسمُه وسَعَى فى خرابِها ، وقالوا : اتخَذ اللَّهُ ولدًا . وهم النَّصارَى الذين زعَموا أن عيسى ابنُ اللَّهِ ، فقال جلَّ ثناؤُه مُكَذِّبًا قِيلَهم ما قالوا مِن ذلك ، ومُنْتفيًا مما نَحَلُوه ، [٢٣/٤ظ] وأضافوا إليه بكَذِبِهم وفِرْيتِهم - : ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ ﴾ . يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : تنزيهًا للَّهِ ، وتَبَرِّيًا[1] مِن أن يكونَ له ولدٌ ، وعلوًّا وارتفاعًا عن ذلك .

وقد دَلَّلْنا فيما مضى على معنى قولِ القائلِ : سُبحانَ اللَّهِ . بما أغْنَى عن إعادتِه / ٥٠٧/١ فى هذا الموضعِ[2] .

ثم أخْبَر جلَّ ثناؤُه أن له ما فى السماواتِ والأرضِ مِلْكًا وخَلْقًا . ومعنى ذلك : وكيف يكونُ المسيحُ للَّهِ ولدًا ، وهو لا يَخْلو مِن[3] أن يَكونَ فى بعضِ هذه الأماكنِ ؛ إما فى السماواتِ ، وإما فى الأرضِ ، وللَّهِ مِلكُ ما فيهما ، ولو كان المسيحُ ابنًا كما زعَمتم ، لم يكنْ كسائرِ ما فى السماواتِ والأرضِ مِن خلقِه وعبيدِه ، فى ظهورِ آثارِ[4] الصنعةِ فيه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى قولِه : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : معنى ذلك : [5]كلٌّ له[5] مُطِيعون .

---

(١) فى م : « تبريئا » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٥٠٤، ٥٠٥ .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « إما » .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « آيات » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بن يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴾ : مُطِيعون[1] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ عز وجل : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴾ . قال : مُطِيعون . وقال : طاعةُ الكافرِ فى سجودِ ظِلِّه[2] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ بمثلِه ، إلا أنه زاد : يَسْجُدُ ظِلُّه وهو كارِهٌ[3] .

وحدَّثنى موسى ، قال : حدثنا عمرٌو ، قال : حدثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴾ . يقولُ : كلٌّ له مُطِيعون يومَ القيامةِ[4] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عمَّن ذَكَره ، عن عكرمةَ : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴾ . قال : الطاعةُ .

وحُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بِشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قَـٰنِتُونَ ﴾ : مُطِيعون[5] .

وقال آخرون : معنى ذلك : كلٌّ له مُقِرُّون بالعُبودةِ[6] .

---

(١) ينظر ما سيأتى فى ٣٧٩/٤ - ٣٨٣ ، وتفسير الآية ٢٦ من سورة الروم ، والدر المنثور ١١٠/١ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢١٢.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٣/١ (١١٢٩) عن أبيه ، عن أبى حذيفة به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٣١/١ عن السدى .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٠/١ إلى المصنف وابن المنذر.

(٦) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بالعبودية » .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : حدثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، عن يزيدَ النحويِّ ، عن عكرمةَ قولَه : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ . قال : كلٌّ له مُقِرٌّ بالعُبودةِ[١] .

وقال آخرون بما حدَّثنى به المُثَنَّى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، قال : حدثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ قولَه : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ . يقولُ : كلٌّ له قائمٌ يومَ القيامةِ[٢] .

وللقنوتِ فى كلامِ العربِ مَعانٍ : أحَدُها ، الطاعةُ . والآخرُ ، القِيامُ . والثالثُ ، الكفُّ عن الكلامِ والإمساكُ عنه .

وأوْلَى معانى القُنوتِ فى قولِه : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ : الطاعةُ والإقرارُ للَّهِ بالعبودةِ ، بشَهادةِ أجسامِهم بما فيها مِن آثارِ الصنعةِ ، [٢٤/٤و] والدلالةِ على وحدانيةِ اللَّهِ ، وأن اللَّهَ تعالى ذِكْرُه بارئُها وخالقُها ، وذلك أن اللَّهَ أكْذَبَ الذين زعَموا أن للَّهِ ولدًا بقولِه : ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . مِلْكًا / وخلقًا . ثم أَخبَرَ عن جميعِ ما فى السماواتِ والأرضِ أنها مُقِرَّةٌ بدلالتِها على ربِّها وخالقِها ، وأن اللَّهَ تعالى بارئُها وصانعُها - وإن جحَد ذلك بعضُهم بألسنتِهم[٣] - مُذعِنةٌ له بالطاعةِ ، بشَهادتِها له بآثارِ الصنعةِ التى فيها بذلك ، وأن المسيحَ أحدُهم ، فأنَّى يَكونُ للَّهِ ولدًا وهذه صفتُه !

١/٥٠٨

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « بالعبودية » . والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٤/١ (١١٣٢) من طريق الحسين بن واقد به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٤/١ (١١٣٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فألسنتهم » .

وقد زعَم بعضُ مَن قَصُرت معرفتُه عن توجيهِ هذا الكلامِ وجْهتَه ، أن قولَه : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴾ . خاصةٌ لأهلِ الطاعةِ وليست بعامةٍ . وغيرُ جائزٍ ادِّعاءُ خصوصٍ فى آيةٍ عامٍّ ظاهرُها ، إلا بحُجةٍ يجبُ التسليمُ لها ؛ لِما قد بيَّنَّا فى كتابِنا « كتابِ البيانِ عن أصولِ الأحكامِ » .

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عن أن المسيحَ - الذى زعَمت النصارى أنه ابنُ اللَّهِ - مُكَذِّبُهم هو والسماواتُ والأرضُ وما فيهما ، إما باللسانِ ، وإما بالدلالةِ ، وذلك أنَّه جلَّ ثناؤُه أخبَر عن جميعِهم بطاعتِهم إيَّاه ، وإقرارِهم له بالعبودةِ ، عَقِيبَ قولِه : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ . فدلَّ ذلك على صحةِ ما قلنا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ : مُبدِعُها . وإنما هو مُفْعِلٌ ، فصُرِفَ إلى فعيلٍ ، كما صُرِفَ المؤلمُ إلى الأليمِ ، والمسمعُ إلى السميعِ .

ومعنى المُبدِعِ : المُنْشِئُ والمُحْدِثُ ما لم يَسْبِقْه إلى إنشاءِ مثلِه وإحداثِه أحدٌ . ولذلك سُمِّىَ المُبْتدِعُ فى الدينِ مُبتدِعًا ؛ لإحداثِه فيه ما لم يَسْبِقْه إليه غيرُه . وكذلك كلُّ مُحْدِثٍ فعلًا أو قولًا لم يَتقدمْه فيه مُتقدِّمٌ ، فإن العربَ تُسَميه مُبتدعًا ، مِن ذلك قولُ أعْشَى بنى تَغْلبةَ فى مدحِ هَوْذةَ بنِ علىٍّ الحَنَفىِّ[(١)] :

يُرْعِى إلى قَوْلِ ساداتِ الرجالِ إذا أبْدَوْا له الحَزْمَ أو ما شاءَه ابْتَدَعا

أى : يُحْدِثُ ما شاء .

وقولُ رُؤْبةَ بنِ العجَّاجِ[(٢)] :

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٣٨٠ .

(٢) ديوان رؤبة (مجموعة أشعار العرب) ص ٨٧.

فأيُّها الغاشِى القِذافَ[1] الأَتْيَعا[2]

إن كُنْتَ للَّهِ التَّقِىَّ الأطْوعَا

فليس وَجْهُ الحقِّ أن تَبَدَّعا

يعنى : أن تُحْدِثَ فى الدينِ ما لم يَكُنْ فيه .

فمعنى الكلامِ : سُبحانَ اللَّهِ ، أنَّى يكونُ له ولدٌ وهو مالكُ ما فى السماواتِ والأرضِ ، تَشْهدُ له جميعُها بدلالتِها عليه بالوَحْدانيةِ ، وتُقِرُّ له بالطاعةِ ، وهو بارئُها وخالقُها ، ومُوجدُها مِن غيرِ أصلٍ ، ولا مِثالٍ احْتَذاها عليه ! .

وهذا إعلامٌ مِن اللَّهِ عبادَه أنَّ مما يَشْهَدُ له بذلك المسيحُ الذى أضافوا إلى اللَّهِ بُنُوَّتَه ، [٢٤/٤ظ] وإخبارٌ منه لهم أن الذى ابْتَدع السماواتِ والأرضَ مِن غيرِ أصلٍ ، وعلى غيرِ مِثالٍ ، هو الذى ابْتَدع المسيحَ مِن غيرِ والدٍ بقُدْرتِه .

وبنحوِ الذى قُلْنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا المثنى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، قال : حدثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . يقولُ : ابْتَدع خلقَها ، ولم يَشْرَكْه فى خلقِها أحدٌ[3] .

/ **وحدَّثنى** موسى ، قال : حدثنا عمرٌو ، قال : حدثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ بَدِيعُ ٥٠٩/١

(١) القذاف : سرعة السير . التاج (ق ذ ف) .

(٢) فى الديوان : « الأتبعا » . والأتيع : المتتابع : أى المتسارع فى الحمق . التاج (ت ى ع) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٤/١ عقب الأثر (١١٣٥) من طريق ابن أبى جعفر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٠/١ إلى المصنف وابن أبى حاتم عن أبى العالية . وهو عند ابن أبى حاتم ٢١٤/١ (١١٣٥) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ . يقولُ : ابتَدعها فخلَقها ، ولم يَخْلُقْ مثلَها شيئًا يتمثَّلُ[1] به[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ : وإذا أحْكَم أمرًا وحَتَمه . وأصلُ كلِّ قضاءٍ : الإحْكامُ والفراغُ منه . ومِن ذلك قِيلَ للحاكمِ بينَ الناسِ : القاضِى بينهم . لِفَصْلِه القضاءَ بينَ الخصومِ ، وقَطْعِه الحُكْمَ بينَهم وفراغِه . ومنه قيل للميتِ : قد قضَى . يُرادُ به : فرَغ مِن الدنيا وفصَل منها . ومنه قيل : ما يَنْقضِى عَجَبِى مِن فلانٍ . يُرادُ : ما ينقطِعُ . ومنه قيل : تَقَضَّى النهارُ . إذا انْصَرم . ومنه قولُه : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] . أى : فصَل الحُكْمَ فيه بينَ عبادِه بأمرِه إيَّاهم بذلك . وكذلك قولُه : ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: ٤] . أى : أعْلَمناهم بذلك وأخْبَرناهم به ، ففَرَغْنا إليهم منه . ومنه قولُ أبى ذُؤَيبٍ[3] :

وعليهما مَسْرُودتَانِ[4] قَضَاهما دَاودُ أو صَنَعُ[5] السوَابِغِ تُبَّعُ

ويُرْوَى :

* وتَعاوَرَا مَسْرُودتَيْنِ قَضَاهما *

ويَعْنى بقولِه : قضاهما : أحْكَمهما . ومنه قولُ الآخرِ فى مدحِ عمرَ بنِ

---

(١) فى م : « فتتمثل » ، وفى ت ١، ت ٣: « فتمثل » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٤/١ (١١٣٦) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٣) ديوان الهذليين ١/ ١٩.

(٤) مسرودتان : درعان . اللسان (س ر د) .

(٥) الصنع : الحاذق بالعمل . التاج (ص ن ع) .

الخطابِ رضِى اللَّهُ عنه[(١)] :

قَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ غادَرْتَ بعدَها بوَائِقَ فى أكْمامِها لم تَفَتَّقِ

ويُرْوَى : بوائجَ[(٢)] .

وأما قولُه : ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . فإنه يَعْنِى بذلك : وإذا أحْكَم أمرًا فحَتَمه فإنما يَقولُ له : كُنْ . فيكونُ ذلك الأمرُ على ما أمرَه اللَّهُ أن يكونَ وأرادَه .

فإنْ قال لنا قائلٌ : وما معنى قولِه : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ؟ وفى أىِّ حالٍ يقولُ للأمرِ الذى يَقْضِيه : كُنْ . أفى حال عدمِه – وتلك حالٌ لا يَجوزُ أمرُه ، إذ كان مُحالًا أن يُؤْمرَ إلا مأمورٌ ، فإذا لم يكنِ المأمورُ ، اسْتَحال الأمرُ ، كما محالٌ الأمرُ مِن غيرِ آمرٍ ، فكذلك محالٌ الأمرُ مِن آمرٍ إلا لمأمورٍ – أم يقولُ ذلك له فى حالِ وجودِه ، وتلك حالٌ لا يجوزُ أمرُه فيها بالحدوثِ ؛ لأنه حادِثٌ موجودٌ ، ولا [٤/٢٥و] يُقالُ للموجودِ : كُنْ موجودًا . إلا بغيرِ مَعْنَى الأمرِ بحدوثِ عَيْنِه ؟ .

قيل : قد تَنازَع المتأوِّلون معنى ذلك ، ونحن مُخْبِرون بما قالوا فيه ، والعللِ التى بها اعتلَّ كلُّ قائلٍ[(٣)] منهم لِقولِه فى ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : ذلك خبرٌ مِن اللَّهِ عن أمرِه المحتومِ – على وجهِ القضاءِ لمن قضَى عليه قضاءً مِن خلقِه الموجودين – أنه إذا أمرَه بأمرٍ نفَذ فيه قضاؤُه ، ومضى فيه أمرُه . نَظِيرُ أمرِه مَن أمَر مِن بنى إسرائيلَ بأن يكونوا قِرَدةً خاسِئين ، وهم موجودون فى حالِ أمرِه إيَّاهم بذلك ، وحَتْمِ قضائِه عليهم بما

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١/ ١٣٣، وتأويل مشكل القرآن ص ٣٤٣، وزهر الآداب ٢/ ٩٦٨، وقد نسب البيت إلى الشماخ ، وإلى أخيه جزء ، ونسبوه أيضًا إلى الجن .

(٢) البوائج : جمع بائجة ، وهى الداهية . التاج (ب و ج) .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فريق » .

قضَى فيهم ، وكالذى خسَف به وبدارِه الأرضَ ، وما أشْبَه ذلك مِن أمرِه وقضائِه ، فى من كان موجودًا مِن خلقِه فى حالِ أمرِه المحتومِ عليه . فوجَّه قائِلو هذا القولِ قولَه : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . إلى الخصوصِ دونَ العمومِ .

١/٥١٠ /وقال آخرون : بل الآيةُ عامٌّ ظاهِرُها ، فليس لأحدٍ أن يُحِيلَها إلى باطنٍ بغيرِ حُجَّةٍ يجبُ التسليمُ لها . وقالوا : إن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه عالمٌ بكلِّ ما هو كائنٌ قبلَ كونِه ، فلما كان ذلك كذلك ، كانت الأشياءُ التى لم تَكُنْ - وهى كائنةٌ ، لعلمِه بها قبل كونِها - نَظائرَ التى هى موجودةٌ ، فجاز أن يَقولَ لها : كونى . ويَأمرَها بالخروجِ مِن حالِ العدمِ إلى حالِ الوجودِ ؛ لتَصوُّرِ جميعِها له ، ولعلمِه بها فى حالِ العدمِ .

وقال آخرون : بل الآيةُ وإن كان ظاهِرُها ظاهِرَ عمومٍ ، فتأويلُها الخصوصُ ؛ لأن الأمرَ غيرُ جائزٍ إلا لمأمورٍ على ما وصَفْتُ قبلُ . قالوا : وإذْ كان ذلك كذلك ، فالآيةُ تأويلُها : وإذا قضى أمرًا ؛ مِن إحياءِ مَيِّتٍ ، أو إماتةِ حيٍّ ، ونحوِ ذلك ، فإنما يقولُ للحيِّ : كُنْ[١] مَيتًا . وللميتِ : كُنْ حيًا . وما أشْبَه ذلك مِن الأمرِ .

وقال آخرون : بل ذلك مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه خبرٌ عن جميعِ ما يُنْشِئُه ويُكوِّنُه ، أنه إذا قضاه وخلَقه وأنشأه كان ووُجِدَ . ولا قولَ هنالك عندَ قائلى هذه المقالةِ إلا وجودُ المخلوقِ ، وحدوثُ المَقْضىِّ . وقالوا : إنما قولُ اللَّهِ : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . نَظيرُ قولِ القائلِ : قال فلانٌ برأْسِه ، وقال بيدِه . إذا حرَّك رأسَه وأوْمأ بيدِه ، ولم يَقُلْ شيئًا . وكما قال أبو النَّجْمِ[٢] :

---

(١) فى الأصل : « كان » .

(٢) اللسان (ح ن ق) .

قد[1] قالتِ الأنْساعُ للبَطْنِ الْحَقِ[2]

قِدْمًا فآضَتْ كالفَنِيقِ المُحْنِقِ[3]

ولا قولَ هنالك ، إنما عَنَى أن الظَّهْرَ قد لحِق بالبطنِ . وكما قال عمرُو بنُ حُممةَ الدَّوْسِيُّ[4] :

فأصْبَحْتُ [5]مِثْلَ النّسْرِ طارَتْ فراخُه[5] إذا رَامَ تَطْيَارًا يُقالُ له قَعِ

ولا قولَ هنالك ، وإنما معناه : إذا رام طَيَرانًا وقَع . وكما قال الآخرُ[6] :

[٤/٢٥ظ] امْتَلأَ الحَوْضُ وقال قَطْنِي

مَهْلًا[7] رُوَيْدًا قَدْ مَلأْتَ بَطْنِي

وأولى الأقوالِ بالصوابِ فى قولِه : ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ . أن يُقالَ : هو عامٌّ فى كلِّ ما قضاه اللَّهُ ودبَّره[8] ؛ لأن ظاهرَ ذلك ظاهرُ عمومٍ ، وغيرُ جائزٍ إحالةُ الظاهرِ إلى الباطنِ مِن التأويلِ بغيرِ برهانٍ ؛ لما قد بَيَّنَّا فى كتابِنا « كتابِ البيانِ عن أصولِ الأحكامِ » . وإذ كان ذلك كذلك ، فأمرُ اللَّهِ تعالى

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « و » .

(٢) الأنساع : جمع نسع ، وهو سير مضفور تشد به الرحال ، ولحق البطن لحوقًا : ضمر . اللسان (ن س ع ، ل ح ق) .

(٣) آضت : رجعت . والفنيق : هو الفحل المكرم من الإبل الذى لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم . والمحنق : الضامر . اللسان (أ ى ض ، ف ن ق ، ح ن ق) .

(٤) معجم الشعراء ص ١٧.

(٥ - ٥) فى معجم الشعراء : « بين الفخ فى العش ثاويا » .

(٦) أمالى ابن الشجرى ١/ ٣١٣، ومجالس ثعلب ص ١٨٩.

(٧) فى الأصل ، م ، ت ٢، ت ٣: « سيلا » .

(٨) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « برأه » .

ذكرِه للشيءِ إذا أراد تكوينَه موجودًا بقولِه : ﴿ كُن ﴾ . فى حالِ إرادتِه جل ثناؤُه إيّاه مُكَوَّنًا[(١)] ، لا يتقدَّمُ وجودَ[(٢)] الذى أراد إيجادَه وتكوينَه ، إرادتَه إيَّاه ، ولا أمرَه بالكونِ والوجودِ - ولا يتأخَّرُ عنه ، فغيرُ جائزٍ أن يكونَ الشىءُ مأمورًا بالوجودِ مرادًا كذلك إلا وهو موجودٌ ، ولا أن يكونَ موجودًا إلا وهو مأمورٌ بالوجودِ مرادٌ كذلك . ونظيرُ قولِه : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . قولُه : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم : ٢٥] . بأن خروجَ القومِ مِن قبورِهم لا يتقدَّمُ دُعاءَ اللَّهِ إيَّاهم ولا يتأخَّرُ عنه .

ويُسأَلُ مَن زعَم أن قولَه : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ خاصٌّ فى التأويلِ -/ اعْتِلالًا بأن أمْرَ غيرِ الموجودِ غيرُ جائزٍ - عن دَعْوةِ أهلِ القبورِ ، أقبْلَ خُروجِهم مِن قبورِهم أم بعدَه[(٣)] ، أم هى فى خاصٍّ مِن الخلقِ ؟ فلن يقولَ فى ذلك قولًا إلا أُلْزِم فى الآخرِ مثلَه . ٥١١/١

وأمَّا[(٤)] الذين زعَموا أن معنى قولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . نظيرُ قولِ القائلِ : قال فلانٌ برأسِه أو بيدِه . إذا حرَّكه أو أوْمَأ . ونَظيرُ قولِ الشاعرِ [(٥)] مُخبرًا عن ناقتِه[(٥)] :

---

(١) فى ت ١، ت ٢: « تكوينا ».

(٢) فى م : « وجوده ».

(٣) فى الأصل، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بعدها ».

(٤) فى م : « يسأل ».

(٥ - ٥) سقط من : م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

والبيت للمثقب العبدى ، وهو فى ديوانه ص ١٩٥.

تقولُ إذا دَرَأْتُ[1] لها وَضِينِى[2] أهذا دِينُه أبدًا ودِينِى[3]

وما أشْبَهَ ذلك ، فإنهم لا صوابَ اللغةِ أصابوا ، ولا كتابَ اللَّهِ وما دلَّت على صحتِه الأدلةُ اتَّبَعُوا ، فيُقالُ لقائلى ذلك : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه أَخْبَرَ عن نفسِه أنه إذا قضَى أمرًا قال له : كُنْ . أفتُنْكِرون أن يكونَ قائلًا ذلك ؟ فإن أنْكَروه كذَّبوا بالقرآنِ ، وخرَجوا مِن الملةِ .

وإن قالوا : بل نُقِرُّ به ، ولكنا نَزْعُمُ أن ذلك نظيرُ قولِ القائلِ : قال الحائطُ فمال . ولا قولَ هنالك ، وإنما ذلك خبرٌ عن مَيْلِ الحائطِ .

قيل لهم : أفتُجِيزون للمُخْبِرِ عن الحائطِ بالمَيْلِ أن يقولَ : إنما قولُ الحائطِ إذا أراد أن يَميلَ أن يقولَ هكذا فيَميلَ ؟

فإن أجازوا ذلك ، خرَجوا مِن معروفِ كلامِ العربِ ، وخالفُوا مَنْطِقَها وما يُعْرَفُ فى لسانِها .

وإن قالوا : ذلك غيرُ جائزٍ . قيل لهم : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه أَخْبرَ[4] عن نفسِه أن قولَه للشىءِ إذا أراده أن يقولَ له : كُنْ . فيكونُ . [٢٦/٤و] فأَعْلَم عبادَه قولَه الذى يكونُ به الشىءُ ، ووصَفه ووكَّده . وذلك عندَكم غيرُ جائزٍ فى العبارةِ عما لا كلامَ له ولا بيانَ ، فى مثلِ قولِ القائلِ : قال الحائطُ فمال . فكيف لم تَعْلَموا بذلك فَرْقَ ما بينَ قولِ اللَّهِ : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . وقولِ القائلِ : قال الحائطُ فمال ؟ وللبيانِ عن فسادِ هذه المَقالةِ موضعٌ غيرُ هذا ، نَأْتى فيه على القولِ بما

(١) درأت وضين البعير : إذا بسطته على الأرض ثم أبركته عليه لتشده به . التاج (د ر أ) .

(٢) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر . اللسان (و ض ن) .

(٣) الدين : العادة . اللسان (د ى ن) .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « أخبرهم » .

فيه الكِفايةُ إن شاء اللَّهُ .

وإذْ كان الأمرُ فى قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . هو ما وصَفْنا ، مِن أن حالَ أمْرِه الشىءَ بالوجودِ حالُ وجودِ المأمورِ بالوجودِ ، فَبَيِّنٌ[1] بذلك أن الذى هو أولى بقولِه : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ . [2]أن يكونَ رفعًا[2] على العطفِ على قولِه : ﴿ يَقُولُ ﴾ . لأن القولَ والكونَ حالُهما واحدةٌ . وهو نظيرُ قولِ القائلِ : تاب فلانٌ فاهْتَدَى ، واهْتَدَى فلانٌ فتاب . لأنه لا يكونُ تائبًا إلا وهو مُهْتَدٍ ، ولا مُهْتَدِيًا إلا وهو تائبٌ . فكذلك لا يكونُ أن يَكونَ اللَّهُ آمِرًا شيئًا بالوجودِ إلا وهو موجودٌ ، ولا موجودًا إلا وهو آمِرُه بالوجودِ .

ولذلك اسْتَجاز مَن استجاز نَصْبَ (فيكونَ) مَن قرَأ : (إنما قولُنا لشىءٍ إذا أرَدْناه أن نقولَ له كنْ فيكونَ)[3] [النحل : ٤٠] . بالمعنى الذى وصَفْنا على معنى : أن نقولَ فيكونَ .

وأمَّا رَفْعُ مَن رفَع ذلك ، فإنه رأَى أن الخبرَ قد تمَّ عندَ قولِه : ﴿ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن ﴾ . إذ كان معلومًا أن اللَّهَ إذا حتَم قضاءَه على شىءٍ ، كان المحتومُ عليه موجودًا ، ثم ابْتَدَأ بقولِه : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ . كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾ [الحج : ٥] . وكما قال ابنُ أحْمرَ[4] :

يُعالِجُ عاقِرًا أعْيَتْ عليه ... لِيُلْقِحَها فيَنْتِجُها حُوَارَا[5]

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فتبين » .

(٢ - ٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « رفع » .

(٣) النصب والرفع قراءتان سيأتى تخريجهما فى موضعه من التفسير .

(٤) المعانى الكبير ٢/ ٨٤٦ ، والكتاب ٣/ ٥٤ .

(٥) الحوار : ولد الناقة ساعة تضعه أمه خاصة . التاج (ح و ر) .

يُريدُ : فإذا هو يَنْتِجُها حُوَارًا .

/فمعنى الآيةِ : وقالوا اتَّخذ اللَّهُ ولدًا . سبحانَه أن يكونَ له ولدٌ ، بل هو مالكُ السماواتِ والأرضِ وما فيهما ، كلُّ ذلك له مُقِرٌّ بالعبوديَّةِ ، بدلالتِه على وَحْدانيتِه . فأنَّى يكونُ له ولدٌ ، وهو ابْتَدَع السماواتِ والأرضَ مِن غيرِ أصلٍ ، كما الذى ابْتَدَع المسيحَ مِن غيرِ والدٍ بقدرتِه وسلطانِه ، الذى لا يَتَعَذَّرُ عليه به شىءٌ أراده ، بل إنما يقولُ له إذا قضاه فأراد تكوينَه : كُنْ . فيكونُ موجودًا كما أراده وشاءَه ، فكذلك كان ابتداعُه المسيحَ وإنشاؤُه ، إذ أراد خَلْقَه مِن غيرِ والدٍ . ٥١٢/١

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ .

[٢٦/٤ظ] **اختَلَف أهلُ التأويلِ** فى مَن عنَى اللَّهُ بقولِه : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : عنَى اللَّهُ بذلك النَّصارَى .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ . قال : النَّصارَى تَقولُه[(١)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه ، وزاد فيه : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ : النصارى .

وقال آخَرون : بل عنى اللَّهُ بذلك اليهودَ الذين كانوا فى زمانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٢، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٥/١ (١١٤٢) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٠/١ إلى عبد بن حميد .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا يونُسُ بنُ بُكَيرٍ ، وحدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : حدثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، قالا جميعًا : حدثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بن ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، أو عِكْرِمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رافعُ بن حُرَيْمِلةَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ : إن كنتَ رسولًا مِن عندِ اللَّهِ كما تقولُ ، فقلْ للَّهِ فلْيُكَلِّمْنا حتى نَسْمَعَ كلامَه . فأنزَل اللَّهُ فى ذلك مِن قولِه[1] : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ . الآية كلها[2] .

وقال آخَرون : بل عنَى اللَّهُ بذلك مُشْرِكى العربِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدثنا يَزِيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ : وهم كفارُ العربِ[3] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، قال : حدثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ . قال : هم كفارُ العربِ[4] .

---

(١) فى الأصل : « قولهم » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٤٩ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢١٥ (١١٤٠) من طريق سلمة به . وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٣٢.

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢١٥ عقب الأثر (١١٤١) معلقًا .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢١٥ عقب الأثر (١١٤١) من طريق ابن أبى جعفر به .

/وحدَّثني موسى ، قال : حدثنا عمرٌو ، قال : حدثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ﴾ : أما الذين لا يعلَمون فهم العربُ[1] . ٥١٣/١

وأَوْلَى هذه الأقوالِ بالصحةِ والصوابِ قولُ القائلِ : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه عَنَى بقولِه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . النَّصارى دونَ غيرِهم ؛ لأن ذلك فى سياقِ خبرِ اللَّهِ عنهم ، وعن افترائِهم عليه ، وادِّعائهم له ولدًا ، فقال جلَّ ثناؤُه مخبرًا عنهم فيما أَخْبَرَ عنهم مِن ضلالتِهم ، أنهم مع افترائِهم على اللَّهِ الكذبَ بقولِهم : ﴿ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ . تمنَّوا على اللَّهِ الأباطيلَ ، فقالوا جَهْلًا منهم باللَّهِ ، وبمنزلتِهم عندَه ، وهم باللَّهِ مُشْرِكون : ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا [٢٧/٤و] ٱللَّهُ ﴾ كما يُكَلِّمُ رسلَه وأنبياءَه ، ﴿ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ﴾ كما أتَتْهم . ولا يَنْبَغِى للَّهِ أن يُكَلِّمَ إلَّا أولياءَه ، ولا يُؤْتِىَ آيةً مُعْجِزةً على دَعْوَى مُدَّعٍ إلا لمَن كان مُحِقًّا فى دعواه ، وداعيًا إلى دينِه[2] وتوحيدِه . فأما مَن كان كاذبًا فى دعواه ، وداعيًا إلى الفِريةِ عليه ، وادِّعاءِ البنين والبناتِ له ، فغيرُ جائزٍ أن يُكَلِّمَه جل ثناؤُه ، أو يُؤْتِيَه آيةً مُعْجِزةً تكونُ مُؤَيِدةً كَذِبَه وفِريتَه عليه .

فأمَّا[3] الزاعمُ أنَّ اللَّهَ عَنَى بقولِه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . العربَ ، فإنه قائلٌ قولًا لا خبرَ بصحتِه ، ولا بُرهانَ على حقيقتِه فى ظاهرِ الكتابِ . والقولُ إذا صار إلى ذلك ، كان واضحًا خطؤُه ؛ لأنه ادَّعَى ما لا برهانَ على صحتِه . وادِّعاءُ مثلِ ذلك لن يَتعذرَ على أحدٍ .

وأما معنى قولِه : ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ﴾ . فإنه بمعنى : هَلَّا يُكَلِّمُنا اللَّهُ . كما

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٣٣/١ عن السدى .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الله » .

(٣) فى م : « وقال » ، وفى ت ٢ : « قول » .

قال الأشهبُ بنُ رُمَيْلةَ[(١)] :

تَعُدُّونَ عقْرَ النِّيبِ[(٢)] أفْضَلَ مَجْدِكُمْ[(٣)] بَنِى ضَوْطَرَى[(٤)] لَوْلا الكَمِىَّ المُقَنَّعا

يعنى : هلَّا تَعُدُّون الكمىَّ المُقَنَّعَا .

وكما حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ﴾ . قال : فهلَّا يُكلِّمُنا اللَّهُ[(٥)] .

وأمَّا « الآيَةُ » ، فقد [(٦)] بيَّنتُ فيما مضى قبلُ[(٦)] أنها العلامةُ . وإنما أخْبَرَ اللَّهُ عنهم أنهم قالوا : هلَّا تأْتينا آيةٌ على ما نُريدُ ونَسْألُ ، كما أَتَت الأنبياءَ والرسلَ ، فقال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى من عَنَى اللَّهُ بقولِه : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ؛ فقال بعضُهم فى ذلك بما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ : هم

---

(١) البيت لجرير وليس للأشهب ، ولعل المصنف قد تابع أبا عبيدة فى مجاز القرآن ١/ ٣٤، ولكن أبا عبيدة نسبه فى النقائض ٢/٨٣٣ إلى جرير ، وهو فى ديوانه ٢/ ٩٠٧.

(٢) النيب : جمع ناب ، والناب : الناقة المسنة ، سموها بذلك حين طال نابها وعظم . التاج (ن ى ب) .

(٣) فى الديوان والنقائض : « سعيكم » .

(٤) بنو ضوطرى : يقال للقوم إذا كانوا لا يُغْنُون غَناء : بنو ضوطرى . اللسان (ض ط ر) .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢١٥ (١١٤٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٦ - ٦) فى م : « ثبت فيما قبل معنى الآية » . وينظر ما تقدم فى ١/ ١٠٤.

اليهودُ[1] .

وحدَّثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : الذين من قبلهم اليهودُ .

/وقال آخرون : هم اليهودُ والنصارى ؛ لأن الذين لا يَعْلَمون هم العربُ[2] . ٥١٤/١

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ، قال : ﴿ ٱلَّذِينَ مِن [٢٧/٤ظ] قَبۡلِهِم ﴾ . يعنى : اليهودُ والنصارى وغيرُهم[3] .

وحدَّثني موسى ، قال : حدثنا عمرٌو ، قال : حدثنا أسباطُ ، عن السديِّ ، قال : قالوا - يعنى العربَ - كما قالت اليهودُ والنصارى مِن قبلِهم[4] .

وحدَّثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، قال : حدثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ ﴾ . يعنى : اليهودُ والنصارى[5] .

قال أبو جعفرٍ : قد دَلَّلنا على أن الذين عَنَى اللَّهُ تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ﴾ . هم النصارى ، فالذين قالت النصارى[6] مثلَ

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٢.

(٢) فى م : « اليهود » .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٦/١ عقب الأثر (١١٤٤) معلقا .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٦/١ عقب الأثر (١١٤٤) من طريق عمرو بن حماد به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٦/١ عقب الأثر (١١٤٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٦) سقط من : م .

قولِهم هم اليهودُ ؛ (١)لأن اليهودَ(١) سألت موسى عليه السلامُ أن يُرِيَهم ربَّهم جهرةً ، وأن يُسْمِعَهم كلامَ ربِّهم - كما قد بيَّنا فيما مَضَى مِن كتابِنا هذا(٢) - وسألوا مِن الآياتِ ما ليس لهم مسألتُه تحكُّمًا منهم على ربِّهم ، وكذلك تَمَنَّت النصارى على ربِّها تحكُّمًا منها عليه ، أن يُسْمِعَهم كلامَه ، ويُرِيَهم ما أرادوا مِن الآياتِ ، فأخبَر اللَّهُ جلَّ ثناؤُه عنهم أنهم قالوا مِن القولِ فى ذلك مِثْلَ الذى قالَته اليهودُ ، وتَمنَّت على ربِّها مِثْلَ أمانيِّها ، وأن قولَهم الذى قالوه مِن ذلك إنما يُشابهُ قولَ اليهودِ ، مِن أجلِ تَشابُهِ قلوبِهم فى الضلالةِ والكفرِ باللَّهِ . فهم وإن اختَلفتْ مذاهبُهم فى كذِبِهم على اللَّهِ ، وافترائِهم عليه ، فقلوبُهم متشابهةٌ فى الكفرِ بربِّهم والفِريةِ عليه ، وتَحكُّمِهم على أنبياءِ اللَّهِ ورسلِه عليهم السلامُ . وبمثلِ ما قلنا فى ذلك قال مجاهدٌ .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ ﴾ : قلوبُ النصارى واليهودِ .

وقال غيرُه : معنى ذلك : تَشابَهت قلوبُ كفارِ العربِ واليهودِ والنصارى وغيرِهم .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ ﴾ . يعنى العربَ واليهودَ والنصارى وغيرَهم .

وحدَّثنى المثنى ، حدثنا إسحاقُ ، قال : حدثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

(١ - ١) فى م : « و » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/٦٨٧ وما بعدها .

وغيرُ جائزٍ فى قولِه : ﴿ تَشَٰبَهَتْ ﴾ . التَّثقِيلُ ؛ لأن التاءَ فى أوَّلِها زائدةٌ ، أُدْخِلت لقولِه : « تفاعَل » . فإن ثُقِّلت صارت تاءَيْن ، ولا يَجوزُ إدْخالُ تاءَيْن زائِدَتين علامةً لمعنًى واحدٍ ، وإنما يَجوزُ ذلك فى الاستقبالِ ، لاختلافِ معنَى دُخولِهما ؛ لأن إحداهما تَدْخُلُ عَلَمًا للاستقبالِ ، والأُخرَى منهما التى فى « تفاعَل » ، ثم تُدْغَمُ إحداهما فى الأخرى فتُثَقَّلُ ، فيقالُ : تَشَّابَهُ بعدَ اليومِ قلوبُنا .

فمعنَى الآيةِ : وقالت النصارى الجُهَّالُ باللَّهِ وبعَظمتِه : هَلَّا يُكلمُنا اللَّهُ ربُّنا ، كما كَلَّم أنبياءَه ورسلَه ، أو تَجيئُنا علامةٌ مِن / اللَّهِ نَعْرِفُ بها صدقَ ما نحن عليه ، على ما نَسْأَلُ ونُريدُ . قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : فكما قال هؤلاء الجَهَلةُ مِن النصارى وتَمنَّوا على ربِّهم ، قال مَن قَبْلَهم مِن اليهودِ ، فسألوا ربَّهم أن يُرِيَهم نفسَه جَهْرةً ، ويُؤْتِيَهم آيةً ، واحتَكموا عليه وعلى رسلِه ، وتَمنَّوا الأمانيَّ ، فاشْتَبهت [٢٨/٤و] قلوبُ اليهودِ والنصارى فى تَمرُّدِهم على اللَّهِ ، وقِلَّةِ مَعرِفتِهم بعظمتِه ، وجُرْأتِهم على أنبيائِه ورسلِه ، كما اشْتَبهت أقوالُهم التى قالوها .

١/٥١٥

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ : قد بيَّنَّا العلاماتِ التى مِن أجلِها غَضِبَ اللَّهُ على اليهودِ ، وجعَل منهم القِردةَ والخنازيرَ ، وأعدَّ لهم العذابَ المُهينَ فى معادِهم ، والتى مِن أجلِها أَخْزَى اللَّهُ النصارى فى الدنيا ، وأعدَّ لهم الخزىَ والعذابَ الأليمَ فى الآخرةِ ، والتى مِن أجلِها جعَل سُكَّانَ الجِنانِ الذين أسْلَموا وجوهَهم للَّهِ وهم محسنون - فى هذه السورةِ وغيرِها ، فأُعْلِموا الأسبابَ التى مِن أجلِها استحقَّ كلُّ فريقٍ منهم مِن اللَّهِ ما فعَل به مِن ذلك . وخصَّ اللَّهُ بذلك القومَ الذين يُوقِنون ؛ لأنهم هم أهلُ التَّثبُّتِ فى الأمورِ ، والطالبون معرفةَ حقائقِ الأشياءِ على يقينٍ وصحةٍ . فأخبَر اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أنه بَيَّنَ لمَن كانت هذه الصفةُ

صفتَه ما بَيَّنَ مِن ذلك ؛ ليزولَ شَكُّه ، ويَعْلَمَ حقيقةَ الأمرِ ، إذ كان ذلك خبرًا مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه ، وخبرُ اللَّهِ الخبرُ الذى لا يُعذَرُ سامِعُه بالشكِّ فيه . وقد يَحْتَمِلُ غيرُه مِن الأخبارِ ما يَحْتَمِلُ مِن الأسبابِ العارضةِ فيه ، مِن السَّهْوِ والغَلَطِ والكذبِ ، وذلك مَنْفِيٌّ عن خبرِ اللَّهِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ .

ومعنى قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ : إنا أرسلناك يا محمدُ بالإسلامِ الذى لا أَقبَلُ مِن أحدٍ غيرَه مِن الأديانِ ، وهو الحقُّ ، مُبشِّرًا مَن اتَّبعك فأطاعك ، وقَبِل منك ما دَعوتَه إليه مِن الحقِّ ، بالنصرِ فى الدنيا ، والظَّفَرِ بالثوابِ فى الآخرةِ ، والنعيمِ المُقيمِ فيها ، ومُنْذِرًا مَن عصاك فخالفَك ، وردَّ عليك ما دَعَوْتَه إليه مِن الحقِّ ، بالخِزْيِ فى الدنيا ، والذلِّ فيها ، والعذابِ المُهينِ فى الآخرةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : قَرَأت عامَّةُ القَرأةِ : ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ . [٤/٢٨ظ] بِضَمِّ التاءِ مِن ﴿ تُسْـَٔلُ ﴾ ورَفْعِ اللامِ منها على الخبرِ ، بمعنى : يا محمدُ ، إنا أرْسَلناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا ، فبلِّغ[1] ما أُرسِلْتَ به ، فإنما عليك البلاغُ والإنْذارُ ، ولسْتَ مسئولًا عمَّن كفَر بما أَتَيْتَه به مِن الحقِّ فكان مِن أهلِ الجحيمِ .

وقَرأ ذلك بعضُ أهلِ المدينةِ : (ولا تَسألْ) . جَزْمًا بمعنى النَّهْيِ ، مفتوحَ التاءِ مِن (تَسْأَلْ) ، وبجَزْمِ اللامِ منها[2] . ومعنى ذلك على قراءةِ هؤلاء : إنا أرْسَلناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا ؛ لتُبلِّغَ ما أُرْسِلْتَ به ، لا لتسألَ عن أصحابِ الجحيمِ ، فلا تَسْأَلْ عن حالِهم .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فبلغت » .

(٢) وهذه قراءة نافع ، وقرأ الباقون كالوجه الأول . حجة القراءات ص ١١١ .

وتأوَّل الذين قرءوا هذه القراءةَ ما حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدثنا وكيعٌ ، عن موسى بنِ عُبيدةَ[١] ، عن / محمدِ بنِ كعبٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ليتَ شِعْرِى ما فعَل أبواى » . فنزَلت : (ولا تَسْأَلْ عن أصحابِ الجَحيمِ)[٢] .

١/٥١٦

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا الثوريُّ ، عن موسى بنِ عُبيدةَ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظيِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ليت شِعْرِى ما فعَل أبواى ، ليت شِعْرِى ما فعَل أبواى ، ليت شِعْرِى ما فعَل أبواى »[٣] . فنزَلت : (إنا أرْسَلْناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا ولا تَسْأَلْ عن أصحابِ الجحيمِ) . فما ذكَرهما حتى تَوفَّاه اللَّهُ[٤] .

وحدَّثنى القاسمُ ، قال : حدثنا الحسينُ ، قال : حدثنا حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : أخبرنى داودُ بنُ[٥] أبى عاصمٍ ، أن النبيَّ ﷺ قال ذاتَ يومٍ : « ليت شِعْرِى أين أبواى » . فنزَلت : (إنا أرْسَلْناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا ولا تَسْأَلْ عن أصحابِ الجحيمِ)[٦] .

والصوابُ عندى مِن القراءةِ فى ذلك قراءةُ مَن قرَأ بالرفعِ[٧] ، على الخبرِ ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قصَّ قَصصَ أقوامٍ مِن اليهودِ والنصارى ، وذكَر ضلالتَهم وكفرَهم

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عبدة » . وينظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١٠٤.

(٢) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ١/ ١١١ - ومن طريقه ابن الأعرابى فى معجمه (٧٥١) ؛ بالزيادة الآتية فى الأثر بعده .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١١١ إلى ابن عيينة وعبد بن حميد وابن المنذر ، وقال : هذا مرسل ضعيف الإسناد ... لا يقوم به حجة . وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٣٤.

(٣) بعده فى م ، ت١، ت٢، ت ٣: « ثلاثا » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٩، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢١٧ (١١٥١) من طريق الثورى به .

(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عن » . وينظر تهذيب الكمال ٨/ ٤٠٧.

(٦) إسناده مرسل . ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٢٣٤ عن المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١١١ إلى المصنف ، وقال : معضل الإسناد ، ضعيف ، لا يقوم به حجة .

(٧) القراءتان متواترتان ، لا مدخل لترجيح إحداهما على الأخرى .

باللَّهِ ، وجُرأتهم على أنبيائِهم[(١)] ، ثم قال لنبيِّه ﷺ : إنا أرسلناك يا محمدُ بشيرًا مَن آمَن بك واتبعك ، ممن قَصَصتُ عليك أنباءَه ومَن لم أقْصُصْ عليك أنباءَه ، ونذيرًا مَن كفَر بك وخالفَك . فبَلِّغْ رسالتى ، فليس عليك مِن أعمالِ مَن كفَر بك - بعدَ إبلاغِك إياه رسالتى - تَبِعةٌ ، ولا أنت مسئولٌ عما عمِل[(٢)] بعدَ ذلك . ولم يَجْرِ لمسألةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ربَّه عن أصحابِ الجحيمِ ذِكْرٌ فيكونَ لقولِه : (ولا تَسْأَلْ عن أصحابِ الجحيم) . وجهٌ يُوَجَّهُ إليه . وإنما الكلامُ موجَّهٌ معناه إلى ما دلَّ عليه ظاهرُه المفهومُ ، حتى تأتىَ دلالةٌ بينةٌ تَقومُ بها الحجةُ على أن المرادَ به غيرُ ما دلَّ عليه ظاهرُه ، فيكونَ حينئذٍ مُسلَّمًا للحجةِ الثابتةِ بذلك . ولا خبرَ تَقومُ به الحجةُ على أن النبىَّ ﷺ نُهِىَ عن أن يَسْأَلَ فى هذه الآيةِ عن أصحابِ الجحيمِ ، ولا دلالةَ تدلُّ على أن ذلك كذلك فى ظاهرِ التنزيلِ . فالواجبُ أن يكونَ تأويلُ ذلك الخبرَ عمّا[(٣)] مَضَى ذِكْرُه قبلَ هذه الآيةِ ، وعمَّن ذكَره بعدَها مِن اليهودِ والنصارى وغيرِهم مِن أهلِ الكفرِ ، دونَ النهيِ عن المسألةِ عنهم .

فإن ظنَّ [٢٩/٤و] ظانٌّ أن الخبرَ الذى رُوِىَ عن محمدِ بنِ كعبٍ صحيحٌ ، فإن فى استحالةِ الشكِّ مِن الرسولِ ﷺ - فى أن أهلَ الشركِ مِن أهلِ الجحيمِ ، وأن أبويه كانا منهم - ما يَدْفعُ صحةَ ما قاله محمدُ بنُ كعبٍ ، إن كان الخبرُ عنه صحيحًا . مع أن فى ابتداءِ اللَّهِ الخبرَ بعدَ قولِه : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ . بالواوِ ، بقولِه : ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ . وتركِه وَصْلَ ذلك بأولِه بالفاءِ ، وأن يقولَ[(٤)] : إنا أَرسَلناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا فلا[(٥)] تَسْأَلْ عن أصحابِ الجحيمِ - أوضحَ

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أنبيائه » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فعل » .

(٣) فى م : « على ما » .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يكون » .

(٥) فى م : « ولا » .

الدلائلِ على أن الخبرَ بقولِه : ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ ﴾ . أوْلَى مِن النهيِ ، والرفعُ أوْلَى به مِن الجزمِ .

وقد ذُكِرَ أنها فى قراءةِ أُبيٍّ : (وما تُسْأَلُ) . وفى قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (ولن تُسْأَلَ) . وكلتا هاتين القراءتين تَشْهَدُ للرفعِ والخبرِ فيه بالصحةِ[(١)] ، دونَ النهيِ .

/ وقد كان بعضُ نحويِّى البصرةِ يُوجِّهُ قولَه : ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ . إلى الحالِ ، كأنه كان يَرى أن معناه : إنا أرسلْناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا غيرَ مسئولٍ عن أصحابِ الجحيمِ . وذلك إذا ضَمَّ التاءَ ، وقرَأه على معنى الخبرِ . وكان يُجيزُ على ذلك قراءتَه : (ولا تَسْأَلُ) . بفتحِ التاءِ وضَمِّ اللامِ على وجهِ الخبرِ أيضًا ، بمعنى : إنا أرسلْناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا غيرَ سائلٍ عن أصحابِ الجحيمِ . ٥١٧/١

وقد بيَّنَّا الصوابَ عندنا فى ذلك .

وهذان القولان اللذان ذكَرْتُهما عن البصريِّ فى ذلك تَدْفَعُهما[(٢)] ما رُوِى عن ابنِ مسعودٍ وأُبيٍّ من القراءةِ ؛ لأن إدخالَهما ما أَدخلا فى[(٣)] ذلك من « ما » ، و « لن » ، يدلُّ على انقطاعِ الكلامِ عن أولِه وابتداءِ قولِه : ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ ﴾ . وإذا كان ابتداءً لم يكنْ حالًا .

وأما أصحابُ الجحيمِ ، [(٤)]فإنهم أهلُ الجحيمِ ، والجحيمُ[(٤)] هى النارُ بعينِها إذا شبَّ وقودُها ، ومنه قولُ أميةَ بنِ أبى الصَّلْتِ[(٥)] :

---

(١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وقراءة أُبى وابن مسعود شاذة . ينظر البحر المحيط ١/ ٣٦٧ .

(٢) فى م : « يرفعهما » .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « من » .

(٤ - ٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فالجحيم » .

(٥) ديوانه ص ٥١ .

إذا شَبَّتْ جَهَنَّمُ ثُمَّ دارَت[(١)] وأَعْرَضَ عن قَوابِسِها الجَحِيمُ

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾ : وليست اليهودُ يا محمدُ ولا النصارَى براضيةٍ عنك أبدًا ، فدَعْ طلبَ ما يُرضِيهم ويوافقُهم ، وأقْبِلْ على طلبِ رضا اللَّهِ فى دعائِهم إلى ما بعَثك اللَّهُ به من الحقِّ ، فإن الذى تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيلُ إلى الاجتماعِ فيه معك على الألفةِ والدين القيمِ ، ولا سبيلَ لك إلى إرضائِهم باتباعِ ملتِهم ؛ لأن اليهوديةَ ضدُّ النصرانيةِ ، والنصرانيةَ ضدُّ اليهوديةِ ، ولا تجتمعُ النصرانيةُ واليهوديةُ فى شخصٍ واحدٍ ، فى حالٍ واحدةٍ ، [٢٩/٤ظ] واليهودُ والنصارى لا تجتمعُ على الرضا بك ، إلا أن تكونَ يهوديًّا نصرانيًّا ، وذلك مما لا يكونُ منك أبدًا ؛ لأنك شخصٌ واحدٌ ، ولن يَجْتَمِعَ فيك دينان متضادّان فى حالٍ واحدةٍ ، وإذا لم يكنْ لك إلى اجتماعِهما فيك فى وقتٍ واحدٍ سبيلٌ ، لم يكنْ إلى إرضاءِ الفريقَيْنِ سبيلٌ ، وإذا لم يكنْ لك إلى ذلك سبيلٌ ، فالزمْ هُدَى اللَّهِ الذى لجميعِ[(٢)] الخلقِ إلى الألفةِ عليه سبيلٌ .

وأما « الملةُ » ، فإنها الدينُ ، وجمعُها المِلَلُ .

ثم قال جلَّ ثناؤُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ - لهؤلاءِ النصارَى واليهودِ الذين قالوا : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ ﴾ - : ﴿ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ ﴾ . يعنى أن بيانَ اللَّهِ هو البيانُ المُقْنِعُ ، والقضاءُ

---

(١) فى الأصل : « زارت » . وفى رواية للديوان : « فارت » .

(٢) فى م : « لجمع » ، وفى ت١ ، ت٣ : « يجتمع » ، وفى ت٢ : « يجمع » .

الفاصلُ بيننا ، فهَلُمُّوا إلى كتابِ اللَّهِ وبيانِه الذى بيَّنَ فيه لعبادِه ما اختلَفوا فيه - وهو التوراةُ التى تُقِرُّون جميعًا بأنها من عندِ اللَّهِ - يتَّضِحْ لكم فيها المُحِقُّ منا من المُبْطِلِ ، وأيُّنا أهلُ الجنةِ وأيُّنا أهلُ النارِ ، وأيُّنا على الصوابِ وأيُّنا على الخطأ .

وإنما أمَر اللَّهُ نبيَّه ﷺ أن يَدعوَهم إلى هُدَى اللَّهِ وبيانِه ؛ لأن فيه تكذيبَ اليهودِ والنصارَى فيما قالوا من أن الجنةَ لن يَدخُلَها إلا من كان هُودًا / أو نصارَى ، وبيانَ أمرِ محمدٍ ﷺ ، [(١] وأنه رسولُ اللَّهِ [١)] ، وأن المُكَذِّبَ به هو من أهلِ النارِ دونَ المصدِّقِ به. ٥١٨/١

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بذلك[(٢)] : ولئنِ اتَّبعتَ يا محمدُ هَوَى هؤلاءِ اليهودِ والنصارَى ، فيما يُرضيهم عنك من تَهَوُّدٍ وتَنَصُّرٍ ، فصِرْتَ من ذلك إلى رضاهم ، ووافقْتَ فيه محبتَهم ، من بعدِ الذى جاءَك من العلمِ ، بضلالتِهم وكفرِهم بربِّهم ، ومن بعدِ الذى اقتصَصْتُ عليك من نبئِهم فى هذه السورةِ ، ﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ ﴾ . يعنى بذلك : ليس لك يا محمدُ من ولىٍّ يَلِى أمرَك ، وقَيِّمٍ يقومُ به ، ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ يَنصُرُك من اللَّهِ ، فيدفَعَ عنك ما ينزِلُ بك منه من عقوبةٍ ، ويمنَعُك من ذلك إن أحلَّ بك ذلك ربُّك .

وقد بيَّنَّا معنى « الولىِّ » و « النصيرِ » فيما مضَى قبلُ[(٣)] .

وقد قيل : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه أنزلَ هذه الآيةَ على نبيِّه عليه السلامُ ؛ لأن اليهودَ والنصارَى دعَتْه إلى أديانِها ، وقال كلُّ حزبٍ منهم : إن الهُدَى هو ما نحن عليه ،

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) فى م : « بقوله » .

(٣) ينظر ما تقدم ص ٤٠٨ .

دونَ ما عليه غيرُنا من سائرِ المللِ . فوعَظه اللَّهُ أن يفعلَ ذلك ، وعلَّمه الحجةَ الفاصلةَ بينَهم فيما ادَّعى كلُّ فريقٍ منهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ .

[٣٠/٤و] **اختلف أهلُ التأويلِ** فى الذين عناهم اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : هم المؤمنون برسولِ اللَّهِ وبما جاء به من أصحابِه .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ : هؤلاء أصحابُ نبىِّ اللَّهِ ﷺ ، آمَنوا بكتابِ اللَّهِ وصدَّقُوا به[(١)] .

وقال آخرون : بل عَنَى اللَّهُ بذلك علماءَ بنى إسرائيلَ الذين آمنوا باللَّهِ وصدَّقوا رسلَه ، فأقرُّوا بحكمِ التوراةِ ، فعمِلوا بما أمَرهم اللَّهُ فيها من اتباعِ محمدٍ ﷺ ، والإيمانِ به ، والتصديقِ بما جاء به من عندِ اللَّهِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ ﴾ . [(٢)]قال : مَن آمَن برسولِ اللَّهِ من بنى إسرائيلَ وبالتوراةِ . وقرأ[(٢)] : ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ قال :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٨/١ (١١٦١) من طريق شيبان ، عن قتادة بنحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١١/١ إلى المصنف وعبد بن حميد عن قتادة بنحوه ، وفيه زيادة .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

مَن كفر بالنبيِّ ﷺ من يهودَ ، فأولئك هم الخاسرون[(١)] .

وهذا القولُ أولى بالصوابِ من القولِ الذى قاله قتادةُ ؛ لأن الآياتِ قبلَها مضَت بأخبارِ أهلِ الكتابَيْن ، وتبديلِ مَن بدَّل منهم كتابَ اللَّهِ ، وتأوُّلِهم / إيَّاه على غيرِ تأويلِه ، وادِّعائِهم على اللَّهِ الأباطيلَ ، ولم يَجْرِ لأصحابِ محمدٍ ﷺ فى الآيةِ التى قبلَها ذكْرٌ ، فيكونَ قولُه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . موجَّهًا إلى الخبرِ عنهم ، ولا لهم بعدَها ذكرٌ فى الآيةِ التى تَتْلُوها ، فيكونَ مُوَجَّهًا ذلك إلى أنه خبرٌ مبتدأٌ عن قَصَصِ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بعدَ انقضاءِ قَصَصِ غيرِهم ، ولا جاء بأن ذلك خبرٌ عنهم أثرٌ يَجِبُ التسليمُ له . ٥١٩/١

فإذْ كان ذلك كذلك ، فالذى هو أوْلَى بمعنى الآيةِ أن يكونَ موجَّهًا إلى أنه خبرٌ عمن قصَّ اللَّهُ نبأَه[(٢)] فى الآيةِ قبلَها والآيةِ بعدَها ، وهم أهلُ الكتابيْن ؛ التوراةِ والإنجيلِ . وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويلُ الآيةِ : الذين آتيْناهم الكتابَ الذى قد عرَفته يا محمدُ ، وهو التوراةُ ، فقرءُوه واتَّبَعوا ما فيه ، فصدَّقوك وآمَنوا بك ، وبما جئتَ به مِن عندى ، فأولئك يتلونه حقَّ تلاوتِه . وإنما أُدخلت الألفُ واللامُ فى ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ لأنه معرفةٌ ، قد كان النبيُّ ﷺ وأصحابُه عرَفوا أىَّ الكتبِ عَنَى به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ .

اختَلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِ اللَّهِ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : معنى ذلك : يتَّبعونه حقَّ اتِّباعِه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ وعبدُ الأعلى ، [٤/٣٠ظ]

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٣٥/١ .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « جل ثناؤه » .

وحدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى عَدِيٍّ ، جميعًا عن داودَ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يَتَّبِعونه حَقَّ اتِّبَاعِه[(١)] .

وحدَّثنى ابنُ[(٢)] المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ الوهَّاب ، قال : حدَّثنا داودُ ، عن عكرمةَ بمثلِه[(٣)] .

وحدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدَّثنا داودُ بنُ أبى هندٍ ، عن عكرمةَ مثلَه[(٣)] .

وحدَّثنى الحسينُ بنُ عمرِو العَنْقَزِىُّ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن أسباطَ ، عن السُّدِّىِّ ، عن أبى مالكٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يُحِلُّون حلالَه ، ويُحَرِّمون حرامَه ، ولا يُحَرِّفونه[(٤)] .

وحدَّثنا موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : قال أبو مالكٍ : إن ابنَ عباسٍ قال فى : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . فذكَر مثلَه ، إلَّا أنه قال : ولا يُحَرِّفونه عن مواضِعِه[(٥)] .

وحدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : حدَّثنا المُؤَمَّلُ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، قال : حدَّثنا

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٨/١ (١١٥٩) ، وابن المقرئ فى معجمه (١٠٥) من طريق داود به . وزاد ابن أبى حاتم : ثم قرأ : ﴿والقمر إذا تلاها﴾ يقول : اتبعها . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١١/١ إلى ابن المنذر والهروى فى فضائله .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ . وينظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٣٥٩.

(٣) ينظر ما سيأتى فى ص ٤٩٢ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٨/١ (١١٥٧) من طريق عمرو بن محمد العنقزى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١١/١ إلى ابن المنذر .

(٥) أخرجه الحاكم ٢٦٦/٢ من طريق عمرو بن حماد به . وقال : صحيح الإسناد .

زُبَيْدٌ[(١)] ، عن مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ في قولِه : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يَتَّبِعونه حَقَّ اتِّباعِه[(٢)] .

وحُدِّثتُ عن عمَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ ، عن أبي العاليةِ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ : والذى نفسى بيدِه ، إن حَقَّ تلاوتِه أن يُحِلَّ حلالَه ، ويُحَرِّمَ حرامَه ، ويَقْرَأَه كما أنزَلَه اللَّهُ ، ولا يُحَرِّفَ الكَلِمَ عن مواضعِه ، ولا يَتَأَوَّلَ منه شيئًا على غيرِ تأويلِه[(٣)] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ ومنصورِ بنِ / المُعْتَمِرِ ، عن ابنِ مسعودٍ في قولِه : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ : أن يُحَلَّ حلالُه ، ويُحَرَّمَ حرامُه ، ولا يُحَرَّفَ[(٤)] عن مواضعِه[(٥)] . ٥٢٠/١

وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازيُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قال : حدَّثنا عَبَّادُ بنُ العَوَّامِ ، عمَّن ذكَره ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ : يَتَّبِعونه حَقَّ اتِّباعِه[(٦)] .

وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا عبادُ بنُ العَوَّامِ ، عن الحجَّاجِ ، عن عطاءٍ مثلَه[(٧)] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشَّارٍ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن

---

(١) في م : « يزيد » ، وفي ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « زيد » . وينظر تهذيب الكمال ٢٨٩/٩ .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٣٦/١ عن سفيان .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٣٥/١ عن أبي العالية .

(٤) في م : « يحرفه » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ٥٦/١ ، ٥٧ . وقتادة ومنصور لم يدركا ابن مسعود .

(٦) ينظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٦١ .

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٨/١ عقب الأثر (١١٥٩) معلقا .

منصورٍ ، عن أبى رَزِينٍ فى قوله : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يتَّبِعونه حَقَّ اتِّباعِه[(١)] .

وحدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ ، قال : حدَّثنا المُؤَمَّلُ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، وحدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو نُعيمٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، وحدَّثنى نصرُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأَوْدىُّ[(٢)] ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ إبراهيمَ ، عن سفيانَ ، قالوا جميعًا : عن منصورٍ ، عن أبى رَزِينٍ مثلَه .

وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن مجاهدٍ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : عمَلًا به .

وحدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هُشيمٌ ، قال : أخبرَنا عبدُ الملكِ ، عن قيسِ بنِ سعدٍ ، [(٣)]عن مجاهدٍ[(٣)] : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يتَّبِعونه حَقَّ اتِّباعِه ، ألم تَرَ إلى قولِه : ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٢] ؟ يعنى الشمسَ إذا اتَّبعها[(٤)] القمرُ[(٥)] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبرَنا ابنُ المُبارَكِ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبى سليمانَ ، عن عطاءٍ وقيسٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يعمَلون به حقَّ عمَلِه .

حدَّثنى المُثَنَّى ، [٤/٣١و] قال : حدَّثنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : أخبرَنا هُشيمٌ ، عن

---

(١) تفسير الثورى ص ٤٨ .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الأزدى » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) فى م : « تبعها » .

(٥) أخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ٦٢ عن هشيم به .

عبدِ الملكِ ، عن قيسِ بنِ سعدٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : يَتَّبِعونه حَقَّ اتِّباعِه .

وحَدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وحدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ : يعمَلون به حَقَّ عملِه[1] .

وحدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : حدَّثنا مؤمَّلُ بنُ إسماعيلَ ، قال : حدَّثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يَتَّبِعونه حَقَّ اتباعِه .

وحدَّثني عمرٌو ، قال : حدَّثنا أبو قُتيبةَ ، قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ أبي جعفرٍ ، عن[2] أيوبَ ، عن أبي الخليلِ ، عن مجاهدٍ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يَتَّبعونه حَقَّ اتباعِه .

وحدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا يحيى القَطَّانُ ، عن عبدِ المِلكِ ، عن عطاءٍ قولَه : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يَتَّبعونه حَقَّ اتباعِه ، يعمَلون به حقَّ عمَلِه[3] .

وحدَّثنا سفيانُ بنُ وَكِيعٍ ، قال : حدَّثني أبي ، عن المُبارِكِ ، عن الحسنِ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يعمَلون بمحكمِه ، ويؤمنون بمتشابِهه ، ويَكِلُون ما

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢١١ - تفسير) من طريق خصيف عن مجاهد .

(٢) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أبى » . وينظر تهذيب الكمال ٣/٤٥٧ .

(٣) تقدم من وجه آخر عن عطاء فى ص ٤٨٩ .

أَشْكَل عليهم إلى عالمِه[(١)] .

وحدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . / قال : أحَلُّوا حلالَه ، وحرَّموا حرامَه ، وعمِلوا بما فيه . ذُكِر[(٢)] لنا أن ابنَ مسعودٍ كان يقولُ : إن حقَّ تلاوتِه أن يُحَلَّ حلالُه ، ويُحَرَّمَ حرامُه ، وأن يُقْرَأَ[(٣)] كما أنزَلَه اللَّهُ ، ولا يُحَرَّفَ[(٤)] عن مواضعِه[(٥)] .

٥٢١/١

حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أبو داودَ ، قال : حدَّثنا الحكَمُ بنُ عَطِيَّةَ ، قال : سمِعتُ قَتادةَ يقولُ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يَتَّبِعونه حقَّ اتِّباعِه[(٦)] ، يحِلُّون حلالَه ، ويحرِّمون حرامَه ، ويقرءونه كما أُنْزِل .

وحدَّثني المُثَنَّى ، قال : أخبرنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : أخبرَنا هشيمٌ ، عن داودَ ، عن عكرمةَ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يَتَّبِعونه حَقَّ اتِّباعِه ، أمَا سمِعتَ قولَ اللَّهِ : ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ [الشمس : ٢] . قال : إذا اتَّبَعها[(٧)] .

وقال آخرون : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ : يَقْرَءونه حقَّ قراءتِه .

والصوابُ مِن القولِ فى تأويلِ ذلك أنه بمعنى : يَتَّبِعونه حَقَّ اتباعِه . مِن قولِ

---

(١) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ١/١١١ - ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢١٨ (١١٥٨) .

(٢) فى ت٢ : « قيل » .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « يقرأه » .

(٤) فى م : « يحرفه » .

(٥) ينظر ما تقدم فى ص ٤٨٦ ، ٤٨٩ .

(٦) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « قال اتباعه » .

(٧) فى م ، ت١ ، ت٣ : « تبعها » ، وفى ت٢ : « تبعتها » .

والأثر أخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ٦١ عن هشيم به . وأخرجه فى غريب الحديث ٤/١٧٣ عن عباد بن العوام عن داود به . وينظر ما تقدم فى ص ٤٨٨ .

القائلِ : ما زلتُ أَتلو أثرَه . إذا اتَّبع أثرَه ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ مِن أهلِ التأويلِ على أن ذلك تأويلُه . وإذ كان ذلك تأويلَه ، فمعنى الكلامِ : الذين آتيناهم الكتابَ يا محمدُ ، مِن أهلِ التوراةِ الذين آمنوا بك ، وبما جئتَهم به مِن الحقِّ مِن عندى - يَتَّبِعون كتابى الذى أنزلْتُ على رسولى موسى صلواتُ اللَّهِ عليه ، فيؤمِنون به ، ويقِرُّون بما فيه مِن نعتِك وصفتِك ، وأنك رسولى ، فَرْضٌ عليهم طاعتى فى الإيمانِ بك ، والتصديقِ بما جئتَهم به مِن عندى ، ويَعمَلون بما أحْلَلتُ لهم ، ويتَجنَّبون[(١)] ما حرَّمتُ عليهم فيه ، ولا يُحَرِّفونه عن مواضِعِه ، ولا يُبَدِّلونه ، ولا يُغَيِّرونه عمَّا[(٢)] أنزلتُه عليهم ، بتأويلٍ ولا غيرِه .

وقولُه : ﴿ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . مبالغةٌ فى صفةِ اتِّباعِهم الكتابَ ، ولزومِهم العملَ به ، كما يقالُ : إن فلانًا لعالمٌ حَقُّ عالمٍ . وكما يقالُ : إن فلانًا لفاضلٌ كلُّ فاضلٍ .

وقد اخْتَلَف أهلُ العربيةِ فى إضافةِ « حقّ » إلى المعرفةِ ؛ [٣١/٤ظ] فقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ : غيرُ جائزةٍ إضافتُه إلى معرفةٍ ؛ لأنه بمعنى « أىّ » ، وبمعنى قولِك : أفضلُ رجلٍ . قال[(٣)] : و « أَفْعَلُ » لا يُضافُ إلى واحدٍ معرفةٍ ؛ لأنه مُبَعَّضٌ ، ولا يكونُ الواحدُ [(٤)]المعرفةُ مبعَّضًا[(٤)] . فأحالوا أن يقالَ : مرَرتُ بالرجُلِ حقَّ الرجُلِ ، ومرَرتُ بالرجُلِ جِدَّ الرجُلِ . كما أحالوا : مرَرتُ بالرجُلِ أىَّ الرجُلِ . وأجازوا ذلك فى : كلِّ الرجلِ ، وعينِ[(٥)] الرجلِ ، ونفسِ الرجلِ . وقالوا : إنما أجَزْنا ذلك لأن هذه

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « يجتنبون » .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « كما » .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فلان » .

(٤ - ٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « المبعض معرفة » .

(٥) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « غير » .

الحروفَ كانتْ فى الأصلِ تواكيدَ ، فلمَّا صِرْنَ مُدُوحًا تُرِكْنَ[١] على أصولِهنَّ فى المعرفةِ .

وزعَموا أن قولَه : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . إنما جازت إضافتُه إلى « التلاوةِ » وهى مضافةٌ إلى معرفةٍ ، لأن العربَ تعتدُّ بالهاءِ إذا عادت [٢]بالنكرةِ نكرةً[٢] ، فيقولون : مرَرتُ برجلٍ واحدِ أُمِّه ، ونَسِيجِ وَحْدِه ، وسيِّدِ قومِه . قالوا : فكذلك قولُه : ﴿ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . إنما جازت إضافةُ « حقّ » إلى « التلاوةِ » وهى مضافةٌ إلى الهاءِ ؛ لاعتدادِ العربِ بالهاءِ التى فى نظائرِها فى عِدَادِ النكِراتِ . قالوا : ولو كان تأويلُ[٣] ذلك : حقَّ التلاوةِ . لوجَب أن يكونَ جائزًا : مرَرتُ بالرجُلِ حَقَّ الرجُلِ . فعلى هذا القولِ تأويلُ الكلامِ : الذين آتَيْناهم الكتابَ يَتْلُونه حَقَّ تلاوةٍ .

٥٢٢/١ / وقال بعضُ نحويِّى البصرةِ : جائزةٌ إضافةُ « حقّ » إلى النكِراتِ مع النكراتِ ، ومع المعارفِ إلى المعارفِ ، وإنما ذلك نظيرُ قولِ القائلِ : مرَرتُ بالرجُلِ غُلامِ الرجُلِ ، وبرجُلٍ غُلامِ رجلٍ . فتأويلُ الآيةِ على قولِ هؤلاء : الذين آتيناهم الكتابَ يتلُونه حقَّ التلاوةِ[٤] .

وأَوْلَى ذلك بالصوابِ عندَنا القولُ الأولُ ؛ لأن معنى قولِه : ﴿ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ : أىَّ تلاوةٍ ، بمعنى مَدْحِ التلاوةِ التى تلَوْها وتفضيلِها ، و « أىّ » غيرُ جائزةٍ إضافتُها إلى واحدٍ معرفةٍ عندَ جميعِهم ، فكذلك « حقّ » غيرُ جائزةٍ إضافتُها إلى واحدٍ معرفةٍ ، وإنما أُضِيف فى قولِه : ﴿ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ إلى ما فيه الهاءُ ؛ لِمَا وصفتُ مِن العلَّةِ التى

(١) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « مدوحا » .

(٢ - ٢) فى م : « إلى نكرة بالنكرة » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م ، ت٢ ، ت٣ : « تلاوته » .

تقدَّمَ بيانُناها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ : هؤلاء الذين أخْبَر عنهم أنهم يَتْلون ما آتاهم مِن الكتابِ حقَّ تلاوتِه .

وأمَّا قولُه : ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ ﴾ . فإنه يعنى : يُصَدِّقون به . والهاءُ التى فى قولِه : ﴿ بِهِۦۗ ﴾ عائدةٌ على الهاءِ التى فى ﴿ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . وهما جميعًا مِن ذِكْرِ الكتابِ الذى قال اللَّهُ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ . فأخْبَر اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أن المؤمنَ بالتوراةِ هو المُتَّبِعُ ما فيها مِن حلالِها وحرامِها ، والعاملُ بما فيها مِن فرائضِ اللَّهِ التى فرَضها فيها على أهلِها ، وأن أهلَها الذين هم أهلُها مَن كان ذلك صفتَه دونَ مَن كان مُحَرِّفًا لها ، مُبَدِّلًا تأويلَها ، مُغَيِّرًا سُنَنَها ، تاركًا ما فرَض اللَّهُ فيها عليه .

وإنما وصَف جلَّ ثناؤُه مَن وصَف بما وصَف به مِن مُتَّبِعى التوراةِ ، فأَثْنَى عليهم بما أَثْنَى به عليهم ؛ لأن فى اتباعِها اتباعَ محمدٍ نبىِّ اللَّهِ ﷺ وتصديقَه ؛ لأن التوراةَ تَأْمُرُ أهلَها بذلك ، وتُخْبِرُهم عن اللَّهِ تعالى ذكرُه بنُبُوَّتِه وفرْضِ طاعتِه على جميعِ خلْقِ اللَّهِ [٣٢/٤و] مِن بنى آدمَ ، وأن فى التكذيبِ بمحمدٍ ﷺ التكذيبَ بها[1] ، فأخبَر جلَّ ثناؤُه أن مُتَّبِعى التوراةِ هم المؤمنونَ بمحمدٍ ﷺ ، وهم العاملون بما فيها .

كما حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ ﴾ . قال : مَن آمن برسولِ اللَّهِ ﷺ مِن بنى إسرائيلَ وبالتوراةِ ، وأن الكافرَ بمحمدٍ ﷺ هو الكافرُ بها الخاسرُ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ

---

(١) فى م : « لها » .

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ : ومَن يَكْفُرْ بالكتابِ الذى أخبرَ أنه يَتْلُوه مَن آتاه مِن المؤمنين حَقَّ تلاوتِه .

ويعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿يَكْفُرْ﴾ : يَجْحَدْ ما فيه مِن فرائضِ اللَّهِ ونُبُوَّةِ محمدٍ ﷺ وتصديقِه ، ويُبَدِّلْه فيُحَرِّفْ تأويلَه ، أولئك هم الذين خسِروا علْمَهم وعمَلَهم ، فبَخَسوا أنفسَهم حُظوظَها مِن رحمةِ اللَّهِ ، واسْتَبْدَلوا بها سَخَطَ اللَّهِ وغضَبَه .

وقال ابنُ زيدٍ فى ذلك[1] بما حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿وَمَن / يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾ . قال : مَن كفر بالنبىِّ ﷺ مِن يهودَ ، فأولئك هم الخاسرون . ١/٥٢٣

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ .

وهذه الآيةُ عِظَةٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه لليهودِ الذين كانوا بينَ ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وتذكيرٌ منه لهم بما سلَف مِن أَيادِيه إليهم فى صُنْعِه بأوائلِهم ، استعطافًا منه لهم على دينِه ، وتصديقِ رسولِه محمدٍ ﷺ ، فقال : يا بنى إسرائيلَ ، اذْكُروا أَيادِىَّ لديكم ، وصنائِعى عندَكم ، واستنقاذى إيَّاكم مِن أَيْدِى عدوِّكم فرعونَ وقومِه ، وإنزالى عليكم المَنَّ والسَّلْوَى فى تِيهِكم ، وتمكينى لكم فى البلادِ ، بعدَ أن كنتُم مُذَلَّلينَ مقهورين ، واختصاصى الرسُلَ منكم ، وتفضيلى إيَّاكم على

---

(١) فى م : « قوله » .

عالَم مَن كنتُم بينَ ظَهْرانَيْه ، أيامَ أنتم فى طاعتى (١)تَبْتَغون مرضاتى ، فراجِعوا طاعتى(١) ، باتِّباعِ رسولى إليكم ، وتصديقِه وتصديقِ ما جاءكم به مِن عندى ، ودَعُوا التمادىَ فى الضلالِ والغىِّ .

وقد ذكَرْنا فيما مضَى النِّعَمَ التى أنْعَم اللَّهُ بها على بنى إسرائيلَ ، والمعانىَ [٣٢/٤ظ] التى ذكَّرهم اللَّهُ جلَّ ثناؤُه مِن آلائِه عندَهم ، والعالَمَ الذى فُضِّلوا عليه فيما مضَى قبلُ ، بالرِّواياتِ والشواهدِ ، فكرِهْنا تطويلَ الكتابِ بإعادتِه ؛ إذ كان المعنى فى ذلك فى هذا الموضعِ وهنالك واحدًا(٢) .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَاتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ .

وهذه الآيةُ ترهيبٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه للذين سلَفت عِظَتُه إيَّاهم بما وعَظهم به فى الآيةِ قبلَها ، يقولُ اللَّهُ لهم : واتَّقوا يا معشرَ بنى إسرائيلَ المُبدِّلينَ كتابى وتنزيلى ، المحرِّفين تأويلَه عن وجهِه ، المكذِّبين برسولى محمدٍ ﷺ - عذابَ يومٍ لا تَقْضِى فيه نفسٌ عن نفسٍ شيئًا ، ولا تُغْنِى عنها غَناءً ؛ أن تَهْلِكوا على ما أنتم عليه مِن كفرِكم ، وتكذيبِكم رسولى ، فتَمُوتوا عليه ، فإنه يومٌ لا يُقْبَلُ مِن نفْسٍ فيما لزِمها فِدْيَةٌ ، ولا يَشْفَعُ فيما وجَب عليها مِن حقٍّ لها شافعٌ ، ولا هم يَنْصُرُهم ناصرٌ مِن اللَّهِ إذا انْتَقَم منها بمعصيتِها إيَّاه .

وقد مضَى البيانُ عن كلِّ معانى هذه الآيةِ فى نظيرتِها قبلُ ، فأَغْنَى ذلك عن إعادتِه فى هذا الموضعِ(٣) .

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٥٩٤/١ - ٥٩٦ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٦٣١/١ وما بعدها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ .

٥٢٤/١ [٥٢٤/١] / يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ ﴾: وإذ اخْتبَر . يقالُ منه : ابْتَلَيتُ فلانًا أَبْتَلِيه ابتلاءً . ومنه قولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴾ [النساء : ٦] . يعنى به : اخْتَبِرُوهم . وكان اختبارُ اللَّهِ تعالى ذكرُه إبراهيمَ اختبارًا بفرائضَ فرَضها عليه ، وأمرٍ أمَره به ، وذلك هو الكلماتُ التى أوحاهنَّ إليه فكلَّفه العمَلَ بهنَّ ، امتحانًا منه له واختبارًا .

ثم اختَلَف أهلُ التأويلِ فى صفةِ الكلماتِ التى ابْتَلى اللَّهُ بها إبراهيمَ خليلَه ، صلواتُ اللَّه عليه ؛ فقال بعضُهم : هى شرائعُ الإسلامِ ، وهى ثلاثون سهمًا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدثنى عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذِ [٣٣/٤و] ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ . قال : قال ابنُ عباسٍ : لم يُبْتَلَ أحدٌ بهذا الدِّينِ فأقامه إلَّا إبراهيمُ ؛ ابتلاه اللَّهُ بكلماتٍ فأتمهنَّ ، قال : فكتَب اللَّهُ له البراءةَ ، فقال : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٧] . قال : عَشْرٌ منها فى « الأحزابِ » ، وعشْرٌ منها فى « براءةَ » ، وعشرٌ منها فى « المؤمنين » ، و « سأل سائل » . وقال : إن هذا الإسلامَ ثلاثون سهمًا[1] .

وحدثنى إسحاقُ بنُ شاهينِ الواسطىُّ ، قال : ثنا خالدٌ الطَّحَّانُ ، عن داودَ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ما ابتُلى أحدٌ بهذا الدِّينِ فقام به كلِّه غيرُ إبراهيمَ ، ابْتُلى بالإسلامِ فأتَمَّه ، فكتَب اللَّهُ له البراءةَ ، فقال : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ . فذكَر

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٧٩، وأخرجه ابن أبى شيبة ٥٢٢/١١ ، وابن عساكر فى تاريخه ١٩٤/٦ من طريق عبد الأعلى به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٠/١ (١١٦٦) ، والحاكم ٢/ ٤٧٠، ٥٥٢ من طريق داود به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١١/١ إلى ابن مردويه .

عشرًا فى « براءة » ، فقال : ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢] . وعشرًا فى « الأحزابِ » : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] ، وعشرًا فى سورةِ « المؤمنين » ، إلى قولِه : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ[1] يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون : ١ - ٩] ، وعشرًا فى « سأل سائل » : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[2] [المعارج : ٢٢ - ٣٤] .

وحدَّثنا عبدُ[3] اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ شَبُّويَه[4] ، قال : ثنا علىُّ بنُ الحسنِ ، قال : ثنا خارجةُ بنُ مُصْعَبٍ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الإسلامُ ثلاثون سهمًا ، وما ابْتَلى اللَّهُ بهذا الدِّينِ أحدًا فأقامه إلَّا إبراهيمَ ، قال اللَّهُ : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ . فكتب اللَّهُ له براءةً مِن النارِ[5] .

وقال آخرون : هى خِصالٌ عَشْرٌ مِن سُنَنِ الإسلامِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ . قال : ابتلاه اللَّهُ بالطَّهارةِ ؛ خمسٌ فى الرأسِ ، وخمسٌ فى الجسدِ ، فى الرأسِ قصُّ الشاربِ ، والمَضْمَضَةُ ، والاسْتِنْشاقُ ، والسِّواكُ ، وفَرْقُ الرأسِ ، وفى الجسدِ تقليمُ الأظفارِ ، وحلْقُ العانةِ ، والخِتَانُ ، ونَتْفُ الإبطِ ، وغَسْلُ أَثَرِ الغائطِ والبولِ بالماءِ[6] .

---

(١) فى الأصل ، ت١ : « صلاتهم » . وهما قراءتان ، وسنذكر تخريجهما فى موضعه من التفسير .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٧٩ .

(٣) فى م : « عبيد » . وينظر تاريخ بغداد ٩/٣٧١ ، والثقات لابن حبان ٨/٣٦٦ .

(٤) فى م : « شبرمة » . وينظر المصدر السابق .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٨٠ .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٧، ومن طريقه الحاكم ٢/٢٦٦ - وسقط منه أول الإسناد - والبيهقى ١/ ١٤٩.=

وحدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الحَكَمِ بنِ أبانٍ ، عن القاسمِ بنِ أبي بَزَّةَ ، عن ابنِ عباسٍ بمثلِه ، ولم يَذْكُرْ أَثَرَ البولِ[(١)] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا سليمانُ ، قال : ثنا أبو هلالٍ ، قال : ثنا قتادةُ في قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ / إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ قال : ابتلاه ؛ أمَره[(٢)] بالخِتَانِ ، وحلْقِ العانةِ ، وغسْلِ القُبُلِ والدُّبُرِ ، والسواكِ ، وقصِّ الشاربِ ، وتقليمِ الأظفارِ ، ونتْفِ الإبطِ . قال أبو هلالٍ : ونسِيتُ خَصْلةً[(٣)] . ١/٥٢٥

وحُدِّثتُ عن عمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن مَطَرٍ ، عن أبي الجَلْدِ ، قال : ابْتُلِي إبراهيمُ بعشَرةِ أشياءَ ، هنَّ في الإنسانِ سُنَّةٌ ؛ الاستنشاقُ ، وقصُّ الشاربِ ، والسواكُ ، ونتْفُ الإبطِ ، وتقليمُ الأظفارِ ، وغسْلُ البراجِمِ[(٤)] ، والخِتَانُ ، وحلْقُ العانةِ ، وغسْلُ الدُّبُرِ والفرجِ[(٥)] .

[٣٣/٤ظ] وقال بعضُهم : بل الكلماتُ التي ابْتُلِي بهنَّ عشْرُ خِلالٍ ، بعضُهنَّ في تطهيرِ الجسدِ ، وبعضُهنَّ في مناسكِ الحجِّ .

= وأخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٨٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٩/١ (١١٦٥) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١١/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(١) تفسير عبد الرزاق ٥٧/١ ، وأخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٠/١ .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٠/١ .

(٤) البراجم : العقد التى فى ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ ، الواحدة بُرْجمة . النهاية ١/ ١١٣.

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٨٠، ٢٨١: حدثنى عبدان المروزى ، ثنا عمار بن الحسن به .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا محمدُ بنُ حربٍ ، قال : ثنا ابنُ لَهِيعةَ ، عن ابنِ هُبَيْرَةَ ، عن حَنَشٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ . قال : ستَّةٌ فى الإنسانِ ، وأربعةٌ فى المشاعرِ ؛ فالتى فى الإنسانِ ؛ حلْقُ العانةِ ، والختانُ ، ونتفُ الإبطَيْن[1] ، وتقليمُ الأظفارِ ، وقصُّ الشاربِ ، والغُسلُ يومَ الجمعةِ ، وأربعةٌ فى المشاعرِ ؛ الطوافُ ، والسعىُ بينَ الصَّفا والمروةِ ، ورمىُ الجِمارِ ، والإفاضةُ[2] .

وقال آخرون : بل ذلك : ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، و[3] مناسكُ الحجِّ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : سمِعتُ إسماعيلَ بنَ أبى خالدٍ ، عن أبى صالحٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ : فمنهنَّ : ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، وآياتُ النُّسُكِ[4] .

وحدَّثنى أبو السائبِ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : سمِعتُ إسماعيلَ بنَ أبى خالدٍ ، عن أبى صالحٍ مولى أُمِّ هانئٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ . قال : منهنَّ : ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، ومنهنَّ آياتُ النسكِ ، و : ﴿ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾[4] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الإبط » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٨١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٢٠ (١١٦٨) من طريق ابن لهيعة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١١١ إلى ابن المنذر .

(٣) فى م : « فى » .

(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٨١ ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٦/ ١٩٤ من طريق ابن إدريس به .

نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ . قال : قال اللَّهُ لإبراهيمَ : إني مُبتَليك بأمرٍ ، فما هو ؟ قال : تجعَلُني للناسِ إمامًا ؟ قال : نعم . قال : ومِن ذُرِّيَّتي ؟ قال : لا يَنالُ عهدي الظالمين . قال : تجعَلُ البيتَ مثابةً للناسِ ؟ قال : نعم . وأَمْنًا ؟ قال : نعم . وتجعَلُنا مُسلِمَيْنِ لك ومِن ذُرِّيَّتِنا أمةً مسلمةً لك ؟ قال : نعم . وتُرِينا مناسكَنا وتَتُوبُ علينا ؟ قال : نعم . قال : وتجعَلُ هذا البلدَ آمِنًا ؟ قال : نعم . قال : تَرزُقُ أهلَه مِن الثمراتِ مَن آمَن[(١)] ؟ قال : نعم[(٢)] .

وحدَّثني المُثنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه .

وحدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، أخبرَه به عن عكرمةَ ، قال : فعرَضتُه على مجاهدٍ فلم يُنْكِرْه[(٣)] .

٥٢٦/١ / وحدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مجاهدٍ بنحوِه . قال ابنُ جُرَيْجٍ : فاجتمَع على هذا القولِ مجاهدٌ وعكرمةُ جميعًا[(٤)] .

وحدَّثنا سفيانُ ، قال : حدَّثني أبي ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ قال : ابْتُلِيَ بالآياتِ التي بعدَها : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[(٥)] .

---

(١) بعده في م : « منهم » .

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٢٨٢، وهو في تفسير مجاهد ص ٢١٣ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢١/١ (١١٧١) .

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ٢٨٢/١ .

(٤) أخرجه المصنف في تاريخه ٢٨٢/١ .

(٥) أخرجه المصنف في تاريخه ٢٨٢/١ ، وأخرجه ابن أبي شيبة ٥٢١/١١ عن وكيع به .

وحُدِّثتُ عن عمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ : فالكلماتُ : ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ وقولُه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً [٣٤/٤و] لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ . وقولُه : ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . وقولُه : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ ﴾ الآية . وقولُه : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ ﴾ الآية . قال : فذلك كلُّه[1] مِن الكلماتِ التى ابْتُلِىَ بهنَّ إبراهيمُ[2] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمِّى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ : فمنهنَّ : ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، ومنهنَّ : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ ، ومنهنَّ الآياتُ فى شأنِ المَنسَكِ ، والمقامُ الذى جُعِل لإبراهيمَ ، والرزقُ الذى رُزِق ساكنو البيتِ ، ومحمدٌ بُعِث[3] فى ذُرِّيَّتِهما صلى اللَّهُ عليهم[2] .

وقال آخرون : بل ذلك مناسكُ الحجِّ خاصَّةً .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا سَلْمُ بنُ قُتَيْبَةَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ نَبْهانَ ، عن قتادةَ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ . قال : مناسكُ الحجِّ[4] .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان

---

(١) فى م : « كلمة » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٣/١ .

(٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٣/١ ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٩٥/٦ من طريق شيبان ، عن قتادة به نحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٢/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر والحاكم .

ابنُ عباسٍ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ . قال : هى المناسكُ[1] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ابتلاه بالمناسكِ[2] .

وحُدِّثْتُ عن عمّارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، قال : بلغَنا عن ابنِ عباسٍ أنه قال : إن الكلماتِ التى ابْتُلِى بها إبراهيمُ ، المناسكُ[3] .

وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِىُّ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن التَّمِيمىِّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ . قال : مناسكُ الحجِّ[1] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا الحِمّانىُّ[4] ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن التَّمِيمىِّ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ . قال : منهنَّ مناسكُ الحجِّ[1] .

وقال آخَرون : هى أمورٌ ، منهن الخِتانُ .

٥٢٧/١

/ ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشّارٍ ، قال : ثنا سَلْمُ بنُ قُتَيْبَةَ ، عن يونسَ بنِ أبى إسحاقَ ، عن

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٨٤ .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٨٤ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٢١ (١١٦٩) عن الحسن بن يحيى به . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٦/ ١٩٣ من طريق محمد بن حماد الطهرانى عن عبد الرزاق به .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٨٤ .

(٤) فى حاشية الأصل : « الحمانى كذا وقع فى الأم ، وهو .. المثنى وعصره إلا أن طاهر ... عنه على معنى ... والله أعلم » . وينظر ترجمة الحمانى فى تهذيب الكمال ٣١/ ٤١٩ .

الشَّعْبيِّ : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ . قال : منهن الخِتانُ[1] .

وحدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ أبى إسحاقَ ، قال : سمِعتُ الشعبىَّ يقولُ . فذكَر مثلَه[2] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا يونسُ بنُ أبى إسحاقَ ، قال : سمِعتُ الشعبىَّ - وسأله أبو إسحاقَ عن قولِ اللَّهِ : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ - قال : منهن الختانُ يا أبا إسحاقَ[2] .

وقال آخرون : بل ذلك الخلالُ الستُّ ؛ الكوكبُ ، والقمرُ ، والشمسُ ، والنارُ ، والهجرةُ ، والختانُ ، التى ابْتُلى بهنَّ فصبَر عليهنَّ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن أبى رجاءٍ ، قال : قلتُ للحسنِ : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ؟ قال : ابتلاه بالكوكبِ[3] فرضِى عنه ، وابتلاه بالقمرِ فرضِى عنه ، وابتَلاه بالشمسِ فرضِى عنه ، وابتَلاه بالنارِ فرضِى عنه ، وابتلاه بالهجرةِ ، وابتلاه بالختانِ[4] .

[٣٤/٤ظ] وحدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان الحسنُ يقولُ : إى واللَّهِ ، لابتلاه[5] بأمرٍ فصبَر عليه ، ابتلاه بالكوكبِ[3] ، والشمسِ ، والقمرِ ، فأحسَنَ فى ذلك ، وعرَف أن ربَّه دائمٌ لا يَزولُ ،

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٤/١ ، وأخرجه ابن أبى شيبة ٥٢١/١١ عن وكيع عن يونس به .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٤/١ .

(٣) فى الأصل : « بالكواكب » .

(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٥/١، وابن عساكر فى تاريخه ١٩٣/٦ من طريق يعقوب به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢١/١ (١١٧٠) من طريق ابن علية به .

(٥) فى م : « ابتلاه » .

فوجَّه وجهَه للذى فطَر السماواتِ والأرضَ حنيفًا ، وما كان مِن المشركينَ ، ثم ابتلاه بالهجرةِ ، فخرَج مِن بلادِه وقومِه حتى لحِق بالشامِ مهاجرًا إلى اللَّهِ ، ثم ابتلاه بالنارِ قبلَ الهجرةِ ، فصبَر على ذلك ، وابتلاه اللَّه بذَبْحِ ابنِه وبالختانِ ، فصبَر على ذلك[(١)] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عمَّن سمِع الحسنَ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ . قال : ابتلاه بذَبْحِ ولدِه ، وبالنارِ ، وبالكوكبِ ، والشمسِ ، والقمرِ[(٢)] .

وحدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا سَلْمُ بنُ قُتَيْبَةَ ، قال : ثنا أبو هلالٍ ، عن الحسنِ : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ . قال : ابتلاه بالكوكبِ ، وبالشمسِ ، وبالقمرِ ، فوجَده صابرًا[(٣)] .

وقال آخرون بما حدَّثنى به موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمَّادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : الكلماتُ التى ابتلى بهنَّ إبراهيمَ ربُّه : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ إلى : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾[(٤)] .

والصوابُ فى ذلك مِن القولِ عندَنا أن يقالَ : إن اللَّهَ عز وجل أخبَر عبادَه أنه اخْتبَر إبراهيمَ خليلَه بكلماتٍ أوحاهنَّ إليه ، وأمَره أن يَعمَلَ بهنَّ ، [(٥)] فعمِل بهن[(٥)]

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٨٥ ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٦/١٩٥ من طريق شيبان، عن قتادة به .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٨٥ ، وهو تفسير عبد الرزاق ١/٥٧ ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦/١٩٣ من طريق محمد بن حماد الطهرانى عن عبد الرزاق به .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٨٥ ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٦/١٩٣ ، ١٩٤ من طريق أبى هلال به نحوه مطولًا .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٢٤٠ عن السدى .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

وأتمَّهنَّ ، كما أخبرَ اللَّهُ جل ثناؤه عنه أنه فعَل . وجائزٌ أن / تكونَ تلك الكلماتُ ٥٢٨/١ جميعَ ما ذكَره مَن ذكَرْنا قولَه فى تأويلِ الكلماتِ ، وجائزٌ أن تكونَ بعضَه ؛ لأن إبراهيمَ صلواتُ اللَّهِ عليه قد كان امْتُحِنَ فيما بلغَنا بكلِّ ذلك ، فعمِل به ، وقام فيه بطاعةِ اللَّهِ وأمرِه الواجبِ عليه فيه .

وإذ كان ذلك كذلك ، فغيرُ جائزٍ لأحدٍ أن يقولَ : عنَى اللَّهُ بالكلماتِ اللواتى ابتَلى بهنَّ إبراهيمَ شيئًا مِن ذلك بعينِه دونَ شىءٍ ، ولا عنَى به كلَّ ذلك . إلَّا بحُجَّةٍ يَجِبُ التسليمُ لها ، مِن خبرٍ عن الرسولِ ﷺ ، أو إجماعٍ مِن الحُجَّةِ ، ولم يصحَّ بشىءٍ[1] من ذلك خبرٌ عن الرسولِ بنقلِ الواحدِ ، ولا بنقلِ الجماعةِ التى يَجِبُ التسليمُ لِما نَقَلَتْه . غيرَ أنه قد رُوِى عن النبىِّ ﷺ فى نظيرِ معنى ذلك خبران لو ثَبَتا أو أحدُهما ، كان القولُ به فى تأويلِ ذلك هو الصوابَ :

أحدُهما ما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا رِشْدِينُ[2] بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى زَبّانُ[3] بنُ فائدٍ ، عن سهلِ بنِ مُعاذِ بنِ أنسٍ ، عن أبيه ، قال : كان النبىُّ ﷺ يقولُ : « ألا أُخبِرُكم لِمَ سَمَّى اللَّهُ [٤/٣٥و] إبراهيمَ خَليلَه ، الذى وفَّى ؛ لأنَّه كان يَقُولُ كُلَّما أصْبَحَ وكُلَّما أمْسَى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم : ١٧] حتى يَخْتِمَ الآيَةَ » .

والآخَرُ ما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا الحسنُ بنُ عطيَّةَ ، قال : ثنا إسرائيلُ ، عن جعفرِ بنِ الزبيرِ ، عن القاسمِ ، عن أبى أُمامةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ :

---

(١) فى م : « فيه شىء » ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « شىء » .

(٢) فى م : « راشد » ، وفى ت٢ : « رشيد » ، وفى ت١ ، ت٣ : « رشد » . وينظر تهذيب الكمال ٩/ ٢٨٢ .

(٣) فى الأصل ، م ، ت٢ ، ت٣ : « ريان » ، وفى ت١ : « زباد » . وينظر تهذيب الكمال ٩/ ٢٨١ .

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٧] . قال : « تدْرُونَ ما وَفَّى ؟ » قالوا : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . قال : « وَفَّى عَمَلَ يَوْمِه أربعَ رَكَعاتٍ فى النَّهارِ » .

فلو كان خبرُ سهلِ بنِ مُعاذٍ عن أبيه صحيحًا سَنَدُه ، كان بيِّنًا أن الكلماتِ التى ابْتُلِى بهنَّ إبراهيمُ ، فقام بهنَّ ، هى قولُه كُلَّما أصبَحَ وأمسَى : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ . أوْ كان خبرُ أبى أمامةَ عُدُولًا نَقَلَتُه ، كان معلومًا أن الكلماتِ التى أُوحِينَ إلى إبراهيمَ فابْتُلِى بالعمَلِ بهنَّ ، أن يُصَلِّىَ كلَّ يومٍ أربعَ ركَعاتٍ ، غيرَ أنهما خبرانِ فى أسانيدِهما نَظَرٌ .

فالصوابُ مِن القولِ فى معنى الكلماتِ التى أخبَرَ اللَّهُ أنه ابتَلى بهنَّ إبراهيمَ ، ما بيَّنَّا آنفًا .

ولو قال قائلٌ فى ذلك : إن الذى قاله مجاهدٌ وأبو صالحٍ والربيعُ بنُ أنسٍ ، أَوْلَى بالصوابِ مِن القولِ الذى قاله غيرُهم . كان مذهبًا ؛ لأن قولَه : ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ وقولَه : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ ، وسائرَ الآياتِ التى هى نظيرةُ ذلك - كالبيانِ عن الكلماتِ التى ذكَر اللَّهُ أنه ابتَلى بهنَّ إبراهيمَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ .

ويعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ : فأتمَّ إبراهيمُ الكلماتِ . وإتمامُه إيَّاهنَّ إكمالُه إيَّاهنَّ بالقيامِ للَّهِ بما أوجَب عليه فيهنَّ ، وهو الوفاءُ الذى قال جلَّ ثناؤه : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ . يعنى بذلك : وفَّى بما عَهِد إليه بالكلماتِ فأمَرَه به ،

مِن فرائِضه ومِحَنِه فيها .

/كما حدَّثني محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ . أي : فأدَّاهنَّ[1] . ٥٢٩/١

وحدَّثني بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ . أي : عمِل بهنَّ فأتمهنَّ[2] .

وحُدِّثْتُ عن عمَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ . أي : عمِل بهنَّ وأتمهنَّ[3] .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : [٣٥/٤ظ] ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ .

يعني جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ : فقال اللَّهُ : يا إبراهيمُ ، إني مُصَيِّرُك للناسِ إمامًا يُؤْتَمُّ به ويُقْتَدَى به .

كما حُدِّثْتُ عن عمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ليُؤَمَّ به ويُقْتَدَى به[4] .

يقال منه : أَمَمْتُ القومَ فأنا أَؤُمُّهم أَمًّا وإمامةً . إذا كنتَ إمامَهم .

وإنما أراد جلَّ ثناؤه بقولِه لإبراهيمَ : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ : إني مُصَيِّرُك

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٩٤/٦ من طريق عبد الأعلى به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٩٥/٦ من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٢/١ عقب الأثر (١١٧٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٢/١ عقب الأثر (١١٧٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

تَؤُمُّ مَن بعدَك مِن أهلِ الإيمانِ بى وبرُسُلى ، فتَقَدَّمُهم أنت ، ويَتَّبعون هَدْيَك ، ويَسْتَنُّون بسُنَّتِك التى تَعْمَلُ بها ، بأمرِى إيَّاك ووحْيى إليك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيٓ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤه بذلك : قال إبراهيمُ - لـمَّا رفَع اللَّهُ منزلته وكرَّمه ، وأعلَمَه ما هو صانعٌ به ، مِن تصييرِه إمامًا فى الخيراتِ لمن فى عصرِه ، ولمن جاء بعدَه مِن ذُرِّيَّته وسائرِ الناسِ غيرِهم ، يُهْتَدَى بهدْيِه ويُقْتَدى بأفعالِه وأخلاقِه -: يا ربِّ ، ومِن ذُرِّيَّتى فاجعلْ أئمةً يُقْتَدَى بهم ، كالذى جعَلْتنى إمامًا يُؤْتَمُّ بى ويُقْتَدَى بى . مسألةً مِن إبراهيمَ ربَّه سأله إيَّاها .

كما حُدِّثْتُ عن عمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : قال إبراهيمُ : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِيٓ ﴾ . يقولُ : واجْعَلْ مِن ذُرِّيَّتى مَن يُؤْتَمُّ ويُقْتَدَى به[1] .

وقد زعَم بعضُ الناسِ أن قولَ إبراهيمَ : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِيٓ ﴾ مسألةٌ منه ربَّه لعَقِبِه أن يكونوا على عهْدِه ودِينِه ، كما قال : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] . فأخبرَ اللَّهُ جلَّ ثناؤه أن فى عَقِبِه الظالمَ المخالفَ له فى دِينِه ، بقولِه : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

والظاهرُ مِن التنزيلِ يَدُلُّ على غيرِ الذى قاله صاحبُ هذه المقالةِ ؛ لأن قولَ إبراهيمَ صلواتُ اللَّهِ عليه : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِيٓ ﴾ . فى إثرِ قولِ اللَّهِ له جلَّ ثناؤه : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ ﴾ . فمعلومٌ أن الذى سأَل إبراهيمُ لذُرِّيَّتِه لو كان غيرَ الذى أخبَره ربُّه أنه أعطاه إيَّاه ، لكان مُبيَّنًا ، ولكنَّ المسألةَ لمَّا كانت ممَّا قد جرَى ذكرُه ، اكْتُفِىَ بالذكْرِ الذى قد مضَى مِن تكريرِه وإعادتِه ، فقال : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِيٓ ﴾ . بمعنى : ومِن

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٨/١ إلى المصنف .

ذُرِّيَّتى فاجْعَلْ مثلَ الذى جعَلْتنى به مِن الإمامةِ للناسِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ .

/ وهذا خبرٌ من اللَّهِ جل ثناؤُه عن أن الظالمَ لا يكونُ إمامًا يَقْتَدِى به أهلُ الخيرِ . ٥٣٠/١

وهو مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤه جوابٌ لإبراهيمَ[(١)] فى مسألتِه إياه أن يجعلَ من ذرِّيتِه أئمةً مثلَه . فأخبَره أنه فاعلٌ ذلك إلا بمن [٣٦/٤و] كان من أهلِ الظلمِ منهم ، فإنه غيرُ مُصَيِّرِه كذلك ، ولا جاعِلِه فى محلِّ أوليائِه عنده بالتَّكْرمةِ بالإمامةِ ؛ لأن الإمامةَ إنما هى لأوليائِه وأهلِ طاعتِه ، دون أعدائِه والكافرين به .

واختَلف أهلُ التأويلِ فى العهدِ الذى حرَم اللَّهُ تعالى ذكرُه الظالمين أن ينالُوه ؛ فقال بعضُهم : ذلك العهدُ هو النُّبوَّةُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّالِمِينَ ﴾ . يقولُ : عهدى : نبوّتى[(٢)] .

فمعنى تأويلِ[(٣)] هذا القولِ فى تأويلِه[(٤)] الآيةَ : لا ينالُ النُّبوَّةَ أهلُ الظلمِ والشركِ .

وقال آخرون : معنى العهدِ عهدُ الإمامةِ .

فتأويلُ الآيةِ على قولِهم : لا أجعلُ من كان من ذرِّيتِك [(٥)]يإبراهيمُ[(٥)] ظالمًا ،

---

(١) فى م : « لما توهم » ، وفى ت١ : « لا يوهم » ، وفى ت٢ : « لا يتوهم » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٣/١ (١١٨٢) ، من طريق عمرو به .

(٣) فى م : « قائل » .

(٤) فى م : « تأويل » .

(٥ - ٥) فى م : « بأسرهم » .

إمامًا لعبادى يُقْتَدَى به .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : لا يكونُ إمامًا ظالمٌ[1] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : لا يكونُ [2]لى إمامًا ظالمٌ[2] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن عكرمةَ بمثلِه .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو عامرٍ[3] ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : لا يكونُ إمامًا[4] ظالمٌ يُقْتَدَى به[5] .

وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأَهْوازىُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وحدَّثنا مُشَرِّفُ[6] بنُ أبانٍ الخطّابُ[7] ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن خُصَيفٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : لا أجعلُ إمامًا

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد ووكيع .

(٢ - ٢) فى م : « إمام ظالما » .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « عاصم » . وينظر تهذيب الكمال ٣٦٤/١٨ .

(٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « إمام » .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٤١/١ عن سفيان به . وينظر تفسير سفيان ص ٤٨ ، وتفسير ابن أبى حاتم ٢٢٣/١ (١١٧٩) .

(٦) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « مسروق » . وينظر تاريخ بغداد ٢٢٤/١٣ .

(٧) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الحطاب » .

ظالمًا يُقْتَدَى به .

وحدَّثني محمدُ بنُ عُبيدٍ المحاربيُّ ، قال : ثنا مُسلمُ بنُ خالدٍ الزنْجيُّ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قال : لا أجعلُ إمامًا ظالمًا يُقْتَدَى به[1] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدثني حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : لا يكونُ إمامًا ظالمٌ .

قال ابنُ جُريجٍ : وأما عطاءٌ فإنه قال : ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ فأبَى أن يجعلَ من ذريتِه ظالمًا إمامًا . قلت لعطاءٍ : ما عهدُه ؟ قال : أمرُه[2] .

/ وقال آخرون : معنى ذلك أنه لا عهْدَ عليك لظالمٍ أن تطيعَه في ظلمِه . ٥٣١/١

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . يعني : لا عهدَ لظالمٍ عليك في [٣٦/٤ظ] ظلمِه أن تطيعَه فيه[3] .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن إسرائيلَ ، عن مسلمٍ الأعورِ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : ليس للظالمين عهدٌ ، وإن عاهدْتَه فانقُضْه .

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢١٣ - تفسير) من طريق مسلم بن خالد الزنجي به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٣/١ (١١٧٨) من طريق حجاج عن ابن جريج عن عطاء ، وكذا ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٤١/١ .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٢٤١/١ .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حجاجٌ ، عن سفيانَ ، عن هارونَ بنِ عنترةَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ليس لظالمٍ عهدٌ[(١)] .

وقال آخرون : معنى العهدِ فى هذا الموضعِ الأمانُ .

فتأويلُ الكلامِ على معنى قولِهم : قال اللَّهُ : لا ينالُ أمانى أعدائى وأهلَ الظلمِ لعبادى . أى : لا أُؤَمِّنُهم مِن عذابى فى الآخرةِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ : ذلكم يومَ القيامةِ عندَ اللَّهِ ، لا ينالُ عهدَه ظالمٌ ، فأما فى الدنيا فقد نالُوا عهدَ اللَّهِ ، فوارثوا به المسلمين وعادُّوهم[(٢)] وناكَحوهم به ، فلما كان يومُ القيامةِ قصَر اللَّهُ عهدَه وكرامتَه على أوليائِه[(٣)] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : لا ينالُ عهدَ اللَّهِ فى الآخرةِ الظالمون[(٤)] ، فأما فى الدنيا ، فقد ناله الظالمُ (٥ فأمِن به ٥) ، وأكَل به وعاشَ[(٦)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ (٥ بنُ عبدِ اللَّهِ ٥) ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٢٤ (١١٨٦) من طريق سفيان به بلفظ : ليس لظالم عليك عهد فى معصية الله أن تطيعه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١١٨ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) فى الأصل : « غازوهم به » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٦/١٩٥ من طريق شيبان ، عن قتادة نحوه .

(٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، وتفسير ابن أبى حاتم : « الظالمين » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/٥٨ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٢٤ (١١٨٧) عن الحسن بن يحيى به .

إسرائيلَ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قال : لاينالُ عهدَ اللَّهِ فى الآخرةِ الظالمون ، فأما فى الدنيا ، فقد ناله الظالمُ فأَمِن به ، وأَكَل وأبصَر وعاشَ[(١)] .

وقال آخرون : بل العهدُ الذى ذكَره اللَّهُ فى هذا الموضعِ دينُ اللَّهِ .

ذكرُ من قال ذلك

حُدِّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : قال اللَّهُ لإبراهيمَ : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : فعهدُ اللَّهِ الذى عَهِد إلى عبادِه دينُه . يقولُ : لا ينالُ دينَه الظالمين ، ألا ترى أنه قال : ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ [الصافات : ١١٣] . يقولُ : ليس كلُّ ذرِّيتِك يا إبراهيمُ على الحقِّ[(٢)] .

وحدَّثنى محمدُ[(٣)] بنُ جعفرٍ ، قال : أخبرَنا يزيدُ ، قال : أخبرَنا جُويبرٌ ، عن الضحاكِ فى قولِه : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : لا ينالُ طاعَتى[(٤)] عدوٌّ لى يَعْصِينى ، ولا أَنحَلُها إلا وَلِيًّا لى يُطيعُنى[(٥)] .

٥٣٢/١ /وهذا الكلامُ وإن كان ظاهرُه ظاهرَ خبرٍ عن أنه لا ينالُ مِن ولدِ إبراهيمَ صلواتُ اللَّهِ عليه عهدُ اللَّهِ - الذى هو النبوّةُ والإمامةُ لأهلِ الخيرِ ، بمعنى الاقتداءِ به فى الدنيا ، والعهدُ الذى بالوفاءِ [(٦)]به للَّهِ[(٦)] ينجو فى الآخرةِ مَن وفَّى للَّهِ به فى الدنيا - مَن كان

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٤٢/١ عن إبراهيم .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٣/١ عقب الأثر (١١٨٠) معلقا ، وينظر تفسير ابن كثير ٢٤٢/١ .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « يحيى » .

(٤) فى م ، ت٢ ، ت٣ : « عهدى » ، وفى ت١ : « عهد » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٣/١ ، ٢٢٤ (١١٨٣ ، ١١٨٥) من طريق جويبر به .

(٦ - ٦) فى م ، ت٢ : « به » ، وفى ت١ ، ت٣ : « لله » .

منهم ظالماً مُعْتَدِيًا[(١)] ، جائرًا عن قصدِ سبيل الحقِّ ، فهو إعلامٌ من اللَّهِ تعالَى ذكرُه لإبراهيمَ أنَّ مِن ولدِه من يُشرِكُ به ، ويَزولُ[(٢)] عن قصدِ السبيلِ ، ويَظلِمُ نفسَه وعبادَه .

كالذى حدثنى إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ حبيبِ بنِ الشهيدِ ، قال : ثنا عَتَّابُ بنُ بشرٍ ، عن خُصَيفٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ لَا يَنَالُ [٣٧/٤و] عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : إنه سيكونُ فى ذرِّيتِك ظالمون[(٣)] .

وأما نَصْبُ ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، فلأن العهدَ هو الذى لا ينالُ الظالمينَ . وقد ذُكر أنه فى قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (لا يَنَالُ عَهْدِى الظالمون)[(٤)] . بمعنى أن الظالمين هم الذين لا ينالون عهدَ اللَّهِ .

وإنما جاز الرفعُ فى ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ والنصبُ ، وكذلك فى « العهدِ » ؛ لأن كلَّ ما نال المرءَ فقد ناله المرءُ . كما يقالُ : نالنى خيرُ فلانٍ ، ونِلْتُ خيرَه . فيُوجَّهُ الفعلُ مرةً إلى الخيرِ ، ومرةً إلى نفسِه .

وقد بيَّنَّا معنى الظُّلمِ فيما مضَى فكَرِهْنا إعادتَه[(٥)] .

القول فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ .

أما قولُه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ ﴾ . فإنه عطَف بـ ﴿ إِذْ ﴾ على قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ . وقولُه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ . معطوفٌ على قولِه : ﴿ يَٰبَنِىٓ

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « متعديا » .

(٢) فى م : « يجور » .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢١٢ - تفسير) من طريق عتاب بن بشر به .

(٤) ينظر تفسير القرطبى ١٠٨/٢ .

(٥) ينظر ما تقدم فى ٥٥٩/١ .

إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ﴾ . واذكُروا إذ ابتَلَى إبراهيمَ ربُّه ، وإذ جعَلْنا البيتَ مَثابةً .

والبيتُ الذى جعَله اللَّهُ مَثابةً للناسِ هو البيتُ الحرامُ .

وأما المثابةُ ، فإن أهلَ العربيةِ مختلِفون فى معناها ، والسببِ الذى من أجلِه أُنِّثتْ ؛ فقال بعضُ نحويِّى البصرةِ : أُلْحِقَت الهاءُ فى المثابةِ لمّا كثُر مَن يَثوبُ إليه ، كما يقالُ : سَيّارةٌ . لمن يُكْثِرُ ذلك ، ونَسّابةٌ .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ : بل المَثابُ والمثابةُ بمعنًى واحدٍ ، نظيرُ المَقام والمَقامةِ . والمَقامُ ذُكِّر - على قولِه - لأنه أُريدَ به الموضعُ الذى يُقامُ فيه ، وأُنِّثتِ المَقامَةُ لأنه أريد بها البُقْعَةُ . وأَنكرَ هؤلاء أن تكونَ المثابةُ للسيّارةِ[1] والنّسابةِ نَظيرَةً[2] . وقالوا : إنما أُدخلتِ الهاءُ فى السيّارةِ والنسّابةِ تشبيهًا لها بالداهيةِ[3] .

والمَثابةُ مَفْعَلَةٌ من : ثاب القومُ إلى الموضعِ ، إذا رجَعوا إليه ، فهم يَثُوبون إليه مَثابًا ومَثابةً وثوابًا .

فمعنى قولِه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ : وإذ جعَلْنا البيتَ مَرجِعًا للناسِ ومَعاذًا ، يَأْتُونه كلَّ عامٍ ، ويَرجِعون إليه فلا يَقْضُون منه وَطَرًا . ومن المثابِ قولُ وَرَقَةَ ابنِ نوفلٍ فى صفةِ الحَرَمِ[4] :

مَثابٌ لأفْنَاءِ القبائلِ كلِّها   تَخُبُّ إليه اليَعْمَلاتُ الطَّلائِحُ

ومنه قيل : ثاب إليه عقلُه ، إذا رجَع إليه بعد عُزوبِه عنه . وبنحوِ ما قلْنا فى تأويلِ ذلك قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) فى م : « كالسيارة » .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣) فى م : « بالداعية » .

(٤) ينظر تخريج البيت فى البداية والنهاية ٤٧٣/٣ .

٥٣٣/١

/ ذكرُ من قال ذلك

حدثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : لايَقْضون منه وَطَرًا[1] .

وحدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، [٣٧/٤ظ] عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهـدٍ مثلَه[2] .

وحدثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يثوبون إليه ، لا يَقْضُون منه وَطَرًا .

وحدثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : أما المثابةُ ، فهو الذى يثوبون إليه كلَّ سنةٍ ، لا يَدَعُه الإنسانُ إذا أتاه مرّةً أن يعودَ إليه .

وحدثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ يقولُ : لا يَقْضُون منه وَطَرًا ، يَأتونه ، ثم يَرجِعون إلى أهليهم ، ثم يَعُودون إليه[3] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٤ ، ومن طريقه البيهقى ١٧٦/٥ ، وفى الشعب (٣٩٩٥) ، وأخرجه البيهقى أيضا فى سننه من طريق مسلم بن خالد الزنجى ، عن ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٨/١ إلى ابن عيينة وعبد بن حميد . وستأتى بقيته فى ص ٥٢١.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٥٨/١ .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٤٢/١ عن العوفى به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٥/١ (١١٩١) من طريق مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس نحوه .

وحدثني عبدُ الكريمِ بنُ أبي عُمَيرٍ ، قال : حدثني الوليدُ بنُ مسلمٍ ، قال : قال أبو عمرٍو : حدثني عَبْدةُ بنُ أبي لُبابةَ في قولِه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال لا يَنْصَرِفُ عنه مُنْصَرِفٌ وهو يَرى أنه قد قضَى منه وَطَرًا[1] .

وحدثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبرَنا عبدُ الملكِ ، عن عطاءٍ في قولِه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يَثوبون إليه من كلِّ مكانٍ ، ولا يَقْضُون منه وَطَرًا[2] .

وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا جريرٌ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطاءٍ مثلَه .

وحدثني محمدُ بنُ عُمارةَ الأسديُّ ، قال : ثنا سهلُ بنُ عامرٍ ، قال : ثنا مالكُ بنُ مِغْوَلٍ ، عن عطيةَ في قولِه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : لا يَقْضون منه وَطَرًا[3] .

وحدثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبي الهُذَيلِ ، قال : سمِعتُ سعيدَ بنَ جُبيرٍ يقولُ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يَحُجُّون ويَثُوبون[4] .

وحدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا الثوريُّ ، عن أبي الهُذَيلِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ في قولِه : ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ قال : يَحُجُّون [5] ويَثوبونَ [5] .

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٤٢/١ عن المصنف ، وعبد الكريم بن أبي عمير ذكره الذهبي في الميزان ٣/ ٦٤٤ ، والمغني ٥٦٩/١ ، وينظر لسان الميزان ٥٠/٤ ، ٥١ .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٥/١ عقب الأثر (١١٩١) معلقا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٥/١ عقب الأثر (١١٩١) معلقا .

(٤) تفسير سفيان ص ٤٨ نحوه .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(١) وحدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : حدَّثنا عبد الرزّاقِ ، قال : أخبرنا الثَّورىُّ ، عن أبى الهُذَيْلِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ قولَه : ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يحُجُّون (١) ، ثم يَحُجُّون ، ولا يَقْضُون منه وَطَرًا[٢] .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا ابنُ دُكَيْنٍ[٣] ، قال : ثنا مِسْعَرٌ ، عن غالبٍ ، عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ : ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يَثُوبون إليه .

وحدثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : مَجْمَعًا[٤] .

٥٣٤/١ / وحدثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال حدثنى مُعاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طَلْحَةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . يقولُ : يَثُوبون إليه[٥] .

وحُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . يقولُ : يَثُوبون إليه[٦] .

وحدثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يَثُوبون إليه من البُلْدانِ كلِّها ويأتُونه[٧] .

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٥٩ .

(٣) فى م : « بكير » .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٢٥ عقب الأثر (١١٩٢) معلقا .

(٥) سقط من : الأصل ، ص ، ت١ ، ت٢ .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره - كما فى الإتقان ٢/٧ - عن أبيه ، عن عبد الله بن صالح به ، بلفظ : يثوبون إليه ثم يرجعون .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٢٥ عقب الأثر (١١٩١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٧) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٢٤٢ عن المصنف .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَأَمْنًا ﴾ .

والأمنُ مصدرٌ ؛ من قولِ القائلِ : أَمِن يَأْمَنُ أَمْنًا . وإنما سَمّاه اللَّهُ أَمْنًا ؛ لأنه كان فى الجاهليةِ مَعاذًا لمن استعاذَ به ، وكان الرجلُ منهم لو لَقِىَ به قاتلَ أبيه أو أخيه لم يَهِجْه ولم يَعْرِضْ له حتى [٣٨/٤و] يَخرُجَ منه ، وكان كما قال جل ثناؤُه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت : ٦٧] .

حدثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَأَمْنًا ﴾ . قال : مَن أَمَّ إليه فهو آمِنٌ ، كان الرجلُ يَلْقَى قاتلَ أبيه أو أخيه فلا يَعْرِضُ له[(١)] .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : أما ﴿ أَمْنًا ﴾ فمَن دخَله كان آمنًا[(٢)] .

[(٣)] **حدثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَأَمْنًا ﴾ [(٣)] . قال : تحريمُه[(٤)] ، لا يخافُ فيه مَن دخَله[(٥)] .

وحُدِّثْت عن عَمّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ وَأَمْنًا ﴾ . يقولُ : أمنًا مِن العدوِّ أن يَحْمِلَ فيه السلاحَ ، وقد كان فى الجاهليةِ

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٤٣/١ عن ابن زيد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٥/١ عقب الأثر (١١٩٤) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى الأصل : « عرمة » .

(٥) تقدم أوله فى ص ٥١٨ .

يَتَخَطَّفُ الناسُ مِن حولِهم وهم آمنون لا يُسْبَوْن[١] .

وحُدِّثْت عن المِنجابِ ، قال : أخبرَنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَأَمْنًا ﴾ . قال : أمنًا للناسِ[٢] .

وحدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ وَأَمْنًا ﴾ . قال : تحريمُه ، لا يَخافُ فيه مَن دخَله .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ .

اختلف القَرَأَةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأه بعضُهم : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . بكسرِ الخاءِ على وجهِ الأمرِ باتخاذِه مصلًّى ، وهى قراءةُ عامةِ قَرَأَةِ المِصْرَيْنِ ؛ الكوفةِ والبصرةِ ، وقراءةُ عامةِ قَرَأَةِ أهلِ مكةَ ، وبعضِ قَرَأَةِ أهلِ المدينةِ[٣] .

[٤]وذهَب الذين قرءوا ذلك إلى[٤] الخبرِ الذى حدَّثنا أبو كُريبٍ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالا : حدَّثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبرَنا حُميدٌ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال عمرُ بنُ الخطابِ : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، لو اتخذْتَ المَقامَ مُصَلًّى ! فأَنزل اللَّهُ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[٥] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٥/١ عقب الأثر (١١٩٤) من طريق ابن أبى جعفر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٨/١ إلى المصنف عن أبى العالية .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٥/١ (١١٩٣) عن أبى زرعة ، عن منجاب به .

(٣) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وعاصم وحمزة والكسائى ، وقرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء ، وسيأتى ، ينظر حجة القراءات ص ١١٣ .

(٤ - ٤) فى م : « وذهب إليه الذين قرءوه كذلك من » ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « وذهب إليه الذين قرءوه كذلك إلى أن » .

(٥) أخرجه أحمد ٢٣/١ (١٥٧) ، والبخارى (٤٠٢) ، والترمذى (٢٩٦٠) ، والنسائى فى الكبرى (١٠٩٩٨) ، وابن ماجه (١٠٠٩) من طريق هشيم به .
=

وحدثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، وحدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، جميعًا عن حُميدٍ ، عن أنَسٍ ، عن عمرَ ، عن النبىِّ ﷺ مثلَه[(١)] .

٥٣٥/١ / وحدثنا عمرُو بنُ علىٍّ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا حُمَيدٌ ، عن أنسٍ ، قال : قال عمرُ بنُ الخطابِ : قلتُ : يارسولَ اللَّهِ . فذكَر مثلَه .

قالوا : فإنما أنزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه هذه الآيةَ أمرًا منه نبيَّه ﷺ باتِّخاذِ مَقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى ، فغيرُ جائزةٍ قراءتُها وهى أمرٌ ، على وجهِ الخبرِ .

وقد زعَم بعضُ نحويِّى البصرةِ أن قولَه : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ . جزمٌ[(٢)] معطوفٌ على قولِه : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ واتَّخِذوا مصلًّى من مَقام إبراهيمَ . فكان الأمرُ بهذه الآيةِ ، وباتخاذِ المصلَّى من مَقامِ إبراهيمَ - على قولِ هذا القائلِ - لليهودِ مِن بنى إسرائيلَ الذين كانوا على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

[(٣)]وقال[(٣)] الربيعُ بنُ أنسٍ بما حدِّثت به عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، [(٤)]عن الرَّبيع بنِ أنَسٍ[(٤)] ، قال : من الكلماتِ التى ابتُلِىَ بها إبراهيمُ قولُه : [٣٨/٤ظ] ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ . يأمُرُهم أن يَتَّخِذُوا مِن مَقامِ

= وأخرجه الترمذى (٢٩٥٩) من طريق حماد بن سلمة ، عن حميد به . وينظر مسند الطيالسى (٤١) .

(١) أخرجه أحمد ٢٤/١ (١٦٠) ، وفى فضائل الصحابة (٤٣٤) من طريق ابن أبى عدى به .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣ - ٣) فى م : « كما حدثنا » ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « حدثنا » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

إبراهيمَ مُصَلًّى ، فهم يُصَلُّون خلفَ المَقامِ .

فتأويلُ قائلِ هذا القولِ : وإذ ابتلَى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتمَّهُنَّ ، قال : إنى جاعِلُك للناسِ إمامًا . قال : اتَّخِذوا من مَقامِ إبراهيمَ مصلًّى .

والخبرُ الذى ذكَرْناه عن عمرَ بنِ الخطابِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قبلُ ، يَدُلُّ على خلافِ الذى قاله هؤلاء ، وأنه أمرٌ من اللَّهِ تعالى ذكرُه بذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ ، والمؤمنين به ، وجميعَ الخلقِ المكلَّفِين .

وقرَأه بعضُ قرأةِ أهلِ المدينةِ والشامِ : (واتَّخَذوا) . بفتحِ الخاءِ ، على وجهِ الخبرِ .

ثم اختُلِف فى الذى عُطِف عليه بقولِه : (واتَّخَذوا) . إذا قُرِئَ كذلك على وجهِ الخبرِ ، فقال بعضُ نحويِّى البَصْرةِ : تأويلُه إذا قُرِئَ كذلك : وإذ جعَلْنا البيتَ مَثابةً للناسِ وأمْنًا ، [1]وإذِ اتخَذُوا[1] من مقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ : بل ذلك معطوفٌ على قولِه : ﴿ جَعَلْنَا ﴾ . فكأن معنى الكلامِ على قولِه : وإذ جعَلْنا البيتَ مثابةً للناسِ ، واتَّخَذُوه مُصَلًّى .

والصوابُ من القولِ والقراءةِ فى ذلك عندنا : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ ﴾ . بكسرِ الخاءِ[2] ، على تأويلِ الأمرِ باتخاذِ مَقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى ، للخبرِ الثابتِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ الذى ذكَرْناه آنفًا ، وأن عمرَو بنَ علىٍّ حدثنا ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا جعفرُ بنُ محمدٍ ، قال : حدثنى أبى ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قرَأ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[3] .

(١ - ١) فى م : « وإذ واتخذوا » .

(٢) القراءتان صواب لأنهما متواترتان .

(٣) أخرجه أحمد ٣٢٥/٢٢ (١٤٤٤٠) ، وأبو داود (١٩٠٧ ، ١٩٠٩) ، وابن خزيمة (٢٧٥٤) من طريق يحيى بن سعيد به مطولًا ، وهو جزء من حديث جابر الطويل فى صفة حجة النبى ﷺ فى صحيح مسلم (١٢١٨) ، وينظر مسند الطيالسى (١٧٧٣) .

ثم اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . وفى مقامِ إبراهيمَ ؛ فقال بعضُهم : مقامُ إبراهيمَ هو الحجُّ كلُّه .

/ذكرُ من قال ذلك

٥٣٦/١

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا ابنُ جُرَيْجٍ ، عن عَطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ . قال : الحجُّ كلُّه مقامُ إبراهيمَ[1] .

وحدثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . قال : الحجُّ كلُّه .

وحدثنا أبو كُريبٍ ، قال: ثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن عطاءٍ ، قال : الحجُّ كلُّه مَقامُ إبراهيمَ .

وقال آخرون : مَقامُ إبراهيمَ عَرَفةُ والمُزْدَلِفَةُ والجِمارُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصِمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن عطاءِ بنِ أبى رَباحٍ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . قال : لأنى قد جعَلْتُه إمامًا ، فمَقامُه عَرَفةُ والمُزْدَلِفَةُ والجِمارُ[2] .

وحدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : [٣٩/٤و] أخبرَنا عبدُ الرزّاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ[3] ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٥٩/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٦/١ (١١٩٧) من طريق حجاج ، عن ابن جريج به مطولًا .

(٢) تفسير مجاهد ٢١٤/١ .

(٣) بعده فى م : « عن قتادة » .

مُصَلًّى ﴾ . قال : مَقامُه جَمْعٌ[١] وعَرَفةُ ومِنًى . لا أعلمُه إلا وقد ذكَر مكةَ[٢] .

وحدثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا أبو عاصِمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . قال : مَقامُه عَرفةُ .

وحدثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا داودُ ، عن الشعبيِّ ، قال : نزلَتْ عليه وهو واقـفٌ بعرفةَ مَقامِ إبراهيمَ ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[٣] الآية [المائدة : ٣] .

وحدثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا بشرُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا داودُ بنُ أبي هندٍ ، عن الشعبيِّ مثلَه .

وقال آخرون : مَقامُ إبراهيمَ الحرمُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدِّثْتُ عن حمادِ بنِ زيدٍ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . قال : الحرمُ كلُّه مَقامُ إبراهيمَ[٤] .

وقال آخرون : بل مَقامُ إبراهيمَ هو الحَجَرُ الذي قام عليه إبراهيمُ حين ارتفَع بناؤُه ، وضَعُف عن رَفْعِ الحِجارةِ .

---

(١) جمع : المزدلفة . اللسان (ج م ع) .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٥٨/١ .

(٣) سيأتي هذا الأثر في سورة المائدة من طريق عبد الأعلى ، وابن علية ، وليس فيه : عرفة مقام إبراهيم .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٦/١ عقب الأثر (١١٩٨) معلقا .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنا ابنُ[1] سِنانٍ القزّازُ ، قال : ثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ المجيدِ أبو عليٍّ الحنفيُّ ، قال : ثنا إبراهيمُ بنُ نافعٍ ، قال : سمِعتُ كَثيرَ بنَ كَثيرٍ يُحدِّثُ عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : جعَل إبراهيمُ يَبْنيه ، وإسماعيلُ يُناوِلُه الحجارةَ ، ويقولان[2] : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ . فلمّا ارتفع البنيانُ وضعُف الشيخُ عن رَفْعِ الحجارةِ ، قام على حجَرٍ ، فهو مَقامُ إبراهيمَ[3] .

وقال آخرون : بل مَقامُ إبراهيمَ ، هو مَقامُه الذى هو فى المسجدِ الحرامِ .

/ ذكرُ من قال ذلك

٥٣٧/١

حدثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ : إنما أُمِروا أن يُصلُّوا عندَه ولم يُؤْمَروا بمَسْحِه ، ولقد تَكلَّفَت هذه الأمةُ شيئًا ما[4] تَكلَّفَتْه الأممُ قبلَها ، ولقد ذكَر لنا بعضُ مَن رأى أثَرَ عَقِبِه وأصابِعِه[5] ، فما زالت هذه الأمةُ يَمسَحُونه حتى اخْلَوْلَق[6] وانْمَحَى[7] .

---

(١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) فى الأصل : « يقولون » .

(٣) أخرجه البخارى (٣٣٦٥) من طريق إبراهيم بن نافع به مطولًا ، وليس فيه : فهو مقام إبراهيم . وكذلك أخرجه البخارى (٣٣٦٤) من طريق معمر ، عن أيوب وكثير بن كثير ، عن سعيد به مطولًا ، وهذه العبارة عند الأزرقى فى أخبار مكة ٢٧٣/١ ، ٢٧٤ من طريق مسلم بن خالد عن ابن جريج عن كثير به .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مما » .

(٥) بعده فى الأصل ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فيها » ، وفى تفسير ابن كثير ٢٤٦/١ « فيه » . والمثبت موافق لما فى أخبار مكة والدر المنثور .

(٦) خلق الشىء خلقا واخلولق : املاسّ ولان واستوى . اللسان (خ ل ق) .

(٧) فى الأصل : « امحى » .

والأثر أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ٢٧٢/١ من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٩/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وحدِّثت عن عمّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ : (١) يأمُرُهم أن يتَّخِذوا مِن مَقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى (١) ، فهم يُصلُّون خلفَ المقامِ .

وحدثنى موسى (٢) ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ : وهو الصلاةُ عند مَقامِه فى الحَجِّ . والمقامُ هو الحَجَرُ الذى كانت زوجةُ إسماعيلَ وَضَعَتْ (٣) تحت قَدَمِ إبراهيمَ حين غسَلتْ رأسَه ، فوضَع إبراهيمُ رِجْلَه عليه وهو راكِبٌ ، فغسَلتْ شِقَّه ، ثم رفَعتْه (٤) من تحتِه وقد غابت رِجْلُه فى الحَجَرِ ، فوضَعته تحت الشِّقِّ الآخَرِ فغسَلته ، فغابت رِجْلُه أيضًا فيه ، فجعَلها اللَّهُ من شعائِرِه ، فقال : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ (٥) .

وأولى هذه الأقوالِ بالصوابِ عندنا ما قاله القائلون : إنَّ مَقامَ إبراهيمَ هو المَقامُ المعروفُ بهذا الاسمِ ، الذى هو فى المسجدِ الحرامِ ؛ لما روَيْنا آنفًا عن عمرَ بنِ الخطابِ ، ولما حدَّثنا به يوسفُ بنُ سليمانَ ، قال : ثنا حاتمُ بنُ إسماعيلَ ، قال : ثنا جعفرُ ابنُ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرٍ ، قال : استلَم رسولُ اللَّهِ ﷺ الرُّكْنَ ، [٣٩/٤ظ] فرَمَل ثلاثًا ، ومشَى أربعًا ، ثم نفَذ (٦) إلى مَقامِ إبراهيمَ فقرَأ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . فجعَل المَقامَ بينَه وبينَ البيتِ ، فصلَّى ركعتين (٧) .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يونس » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وضعته » .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « دفعته » .

(٥) أخرج ابن أبى حاتم أوله فى تفسيره ٢٢٧/١ (١٢٠٢) من طريق عمرو به .

(٦) فى الأصل : « نفد » بالدال المهملة .

(٧) أخرجه مسلم (١٢١٨) ، وأبو داود (١٩٠٥) ، وابن ماجه (٣٠٧٤) من طريق حاتم بن إسماعيل به ، وهو جزء من حديث جابر الطويل فى صفة حجة النبى ﷺ ، وينظر ص٥٢٤ .

فهذان الخبرانِ يُنْبِئان أنَّ اللَّهَ تعالى ذِكْرُه إنما عَنَى بمَقامِ إبراهيمَ الذى أمَرنا[(١)] باتخاذِه مصلًّى منه[(٢)] ، هو الذى وصَفْنا ، ولو لم يكنْ على صِحَّةِ ما اختَرْنا فى تأويلِ ذلك خبرٌ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، لكان الواجبُ من القولِ فيه ما قلْنا ؛ وذلك أنَّ الكلامَ مَحْمولٌ معناه على ظاهِرِه المعروفِ دونَ باطِنِه المجهولِ ، حتى يأتىَ ما يدلُّ على خِلافِ ذلك مما يَجِبُ التسليمُ له . ولا شكَّ أنَّ المعروفَ فى الناسِ بمَقامِ إبراهيمَ ، هو[(٣)] ما وصَفتُ دونَ جميعِ الحَرَمِ ، ودونَ مَواقِفِ الحجِّ كلِّها .

وأمّا[(٣)] المُصَلَّى الذى قال اللَّه تعالى ذِكْرُه : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . **فإنَّ أهلَ التأويلِ مُختلِفون فى معناه ؛ فقال بعضُهم** : هو المُدَّعَى .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . قال : مصلَّى إبراهيمَ مُدَّعًى[(٤)] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل اتخِذُوا مصلًّى تصلُّون عنده .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بِشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : أُمِروا أن يُصلُّوا عنده[(٥)] .

---

(١) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « اللَّه » .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢١٤ - تفسير) عن سفيان به ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٢٧ (١٢٠١) من طريق زكريا بن إسحاق ، عن ابن أبى نجيح به .

(٥) تقدم تخريجه بتمامه فى ص ٥٢٧ .

٥٣٨/١ / وحدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمّادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ ، قال : هو الصلاةُ عندَه[(١)] .

فكأنَّ الذين قالوا : تأويلُ المُصَلَّى ههنا الـمُدَّعَى . وجَّهوا المُصَلَّى إلى أنه مُفَعَّل ، مِن قولِ القائلِ : صلَّيتُ . بمعنى : دعوتُ . وقائلو هذه المقالةِ هم الذين قالوا : إن مَقامَ إبراهيمَ هو الحجُّ كلُّه .

فكأنَّ معناهم فى تأويلِ هذه الآيةِ : واتَّخِذوا عرفةَ والمُزْدَلِفَةَ والمَشْعرَ والـجَمَراتِ[(٢)] وسائرَ أماكنِ الحجِّ التى كان إبراهيمُ يقومُ بها ، مُدَّعًى[(٣)] تَدْعونَنى[(٤)] عندَها ، وتَأْتَمُّون[(٥)] بإبراهيمَ خليلى صلواتُ اللَّهِ عليه فيها ، فإنى قد جعَلتُه لمَن بعدَه - مِن أوليائى وأهلِ طاعَتى - إمامًا يَقْتَدون به وبآثارِه ، فاقْتَدوا به .

وأما تأويلُ القائلين القولَ الآخرَ ، فإنه : اتَّخِذوا أيها الناسُ مِن مَقامِ إبراهيمَ مُصلًّى تُصَلُّون عندَه ، عِبادةً مِنكم لى ، وتَكْرِمةً منى لإبراهيمَ .

وهذا القولُ هو أَوْلَى بالصوابِ عندَنا ؛ لما ذَكَرنا مِن الخَبرِ عن عمرَ بنِ الخطّابِ وجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ ﴾ .

[٤/٤٠و] يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَعَهِدْنَآ ﴾ : وأَمَرْنا .

---

(١) تقدم تخريجه بتمامه فى ص ٥٢٨ .

(٢) فى م : « الجمار » .

(٣) فى م : « مداعى » .

(٤) فى الأصل : « يدعوننى » .

(٥) فى الأصل : « يأتمون » .

كما حدثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قُلتُ لعطاءٍ : ماعَهْدُه ؟ قال : أَمْرُه[1] .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ . قال : أَمَرْناه[2] .

فمعنى الآيةِ : وأَمَرْنا إبراهيمَ وإسماعيلَ بتطهيرِ بيتى للطائِفين . و« التَّطهيرُ » الذى أمَرَهما اللَّهُ به فى البيتِ هو تطهيرُه مِن الأصنامِ ، وعبادةِ الأوثانِ فيه ، ومِن الشركِ باللَّهِ .

فإن قال قائلٌ : وما معنى قولِه : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ ؟ وهل كان أيامَ إبراهيمَ - قبلَ بنائِه البيتَ - بيتٌ يُطَهَّرُ مِن الشركِ وعبادةِ الأوثانِ فى الحَرَمِ ، فيجوزَ أن يكونا أُمِرا بتَطْهيرِه ؟

قِيل : لذلك وجهانِ مِن التأويلِ ، قد [3]قال بكلٍّ[3] واحدٍ مِن الوَجْهين مِن أهلِ التأويلِ جماعةٌ ؛ **أحدُهما** : أن يكونَ معناه : وعَهِدْنا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ أن ابْنِيَا بيْتِىَ مُطَهَّرًا مِن الشركِ والرَّيْبِ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ [التوبة : ١٠٩] . فكذلك قولُه : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ ﴾ . أى : ابْنِيا بيْتِىَ على طُهْرٍ مِن الشِّركِ بى والرَّيْبِ .

كما حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ،

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٢٤٧ ، عن ابن جريج به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٢١ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٢٤٨ .

(٣ - ٣) فى م ، ت١ ، ت ٣ : « كان لكل » .

عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ . يقولُ : ابْنِيا بيتى للطائفين[1] .

فهذا أحدُ وَجْهَيْه .

والوجهُ الآخرُ منهما : أن يكونا أُمِرا بأن يُطَهِّرا مكانَ البيتِ قبلَ بِنائِه[2] والبيتَ بعدَ بِنائِه[2] ، مما كان أهلُ الشركِ باللَّهِ يَجْعَلونه فيه ، على عهدِ نوحٍ ومَن قبلَه مِن الأوثانِ ؛ ليكونَ ذلك سُنَّةً لمَن بعدَهما ، إذ كان اللَّهُ جلَّ ثناؤُه قد جعَل إبراهيمَ إمامًا يُقْتَدَى به[3] بعدَه .

٥٣٩/١ / كما حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ . قال : مِن الأصنامِ التى يَعْبُدون ، التى كان المشركون يُعَظِّمونها[4] .

[5]ذكرُ مَن قال : معنى قولِه : ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ أى : طهِّراه من الشِّرْكِ والرَّيْبِ[5]

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازىُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبيرىُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ[6] ، عن عطاءٍ ، عن عُبيدِ بنِ عُمَيرٍ : ﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾

---

(١) سقط من م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٧/١ (١٢٠٤) من طريق عمرو بن حماد به .

(٢) فى م : « بنيانه » .

(٣) بعده فى م : « من » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٤٨/١ .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى م : « أبى نجيح » .

قال : مِن الآفاتِ[(١)] والرِّيَبِ[(٢)] .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو نُعَيمٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ، عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ مثلَه[(٣)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : مِن الشركِ[(٣)] .

وحدَّثنا أحمدُ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا[(٤)] إسرائيلُ ، عن أبي حَصينٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ . قال : مِن الأوثانِ[(٥)] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ [٤٠/٤ظ] ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ . قال : مِن الشركِ وعبادةِ الأوثانِ[(٦)] .

حدثنا بِشْرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ بمثلِه ، وزاد فيه : وقولِ الزُّورِ[(٧)] .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ .

اختلَفَ أهلُ التأويلِ في معنى « الطائِفين » في هذا الموضِعِ ؛ فقال بعضُهم : هم

---

(١) في م : « الأوثان » .

(٢) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة ١٩٩/١ من طريق عثمان بن ساج ، عن ابن جريج به .

(٣) تفسير سفيان ص ٢١٠ .

(٤) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أبو » . وينظر تهذيب الكمال ٥١٥/٢.

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره ١١٤/٢ .

(٦) تفسير عبد الرزاق ٥٨/١ ، ٣٦/٢ .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢١/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

الغرباءُ الذين يَنْتابون[١] البيتَ الحرامَ مِن غربةٍ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدثنا أبو كُريبٍ ، قال ثنا أبو بكرِ بنُ عَياشٍ ، قال : ثنا أبو حَصِينٍ ، عن سعيدِ ابنِ جُبَيْرٍ فى قولِه : ﴿ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ قال : مَن أتاه مِن غربةٍ[٢] .

وقال آخرون : بل الطائفون هم الذين يَطُوفون به ، [٣]غريبًا كان[٣] أو مِن أهلِه .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدثنا محمدُ بنُ العلاءِ ، قال : ثنا وَكيعٌ ، عن أبى بكرٍ الهُذَلىِّ ، عن عطاءٍ : ﴿ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ . قال : إذا كان طائفًا بالبيتِ ، فهو مِن الطائفين[٤] .

وأوْلَى التأويلين بالآيةِ ما قاله عطاءٌ ؛ لأن الطائفَ هو الذى يَطُوفُ بالشىءِ دونَ غيرِه ، والطَّارِئُ مِن غربةٍ لا يَسْتحِقُّ اسمَ طائفٍ بالبيتِ إن لم يَطُفْ به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَالْعَاكِفِينَ ﴾ .

يعنى تعالى ذِكْرُه بقولِه : ﴿ وَالْعَاكِفِينَ ﴾ : والمُقِيمين به . والعاكِفُ على الشىءِ : المُقِيمُ عليه ، كما قال نابغةُ بنى ذُبْيانَ[٥] :

عُكُوفًا لَدَى أبياتِهِمْ يَثْمِدُونَهُمْ[٦] رَمَى اللَّهُ فِى تِلْكَ الأَكُفِّ الكَوَانِعِ[٧]

---

(١) فى م : « يأتون » . وينتابون : يأتون مرة بعد مرة . اللسان (ن و ب) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٢٨ (١٢١١) من طريق أبى بكر بن عياش به .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ : « غرباء كانوا » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٢٨ (١٢٠٩) من طريق أبى بكر الهذلى به نحوه .

(٥) ديوانه ص ١٨٩ ، وفيه : « قعودا » مكان « عكوفا » .

(٦) يثمدونهم : يطلبون معروفهم فى إلحاح . اللسان (ث م د)

(٧) الكوانع : الذليلة . اللسان (ك ن ع) .

وإنما قيل للمُعْتكِفِ : مُعْتكِفٌ . مِن أجلِ مُقامِه فى الموضِعِ الذى حَبَس نفسَه فيه للَّهِ تعالى .

/ ثم اختَلف أهلُ التأويلِ فى مَن عَنَى اللَّهُ بقولِه : ﴿ وَٱلْعَٰكِفِينَ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : عَنَى به الجالسَ فى البيتِ الحرامِ بغيرِ طوافٍ ولا صلاةٍ. ٥٤٠/١

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن أبى بكرٍ الهُذَلىِّ ، عن عطاءٍ ، قال : إذا كان طائفًا بالبيتِ ، فهو مِن الطائفين ، وإذا كان جالسًا ، فهو مِن العاكفين[1] .

وقال بعضُهم : العاكفون : هم المُعْتَكِفون المجاوِرون .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبيرىُّ ، قال : ثنا شريكٌ ، عن جابرٍ ، عن مُجاهدٍ [٤١/٤و] وعكرمةَ : ﴿ طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ ﴾ . قال : العاكِفون[2] المجاوِرون .

وقال بعضُهم : العاكفون هم أهلُ البلدِ الحرامِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا أبو بكرِ بنُ عياشٍ ، قال : ثنا أبو حَصينٍ ، عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ فى قولِه : ﴿ وَٱلْعَٰكِفِينَ ﴾ قال : أهلُ البلدِ[3] .

---

(١) الشطر الأول تقدم فى ص٥٣٤، والشطر الثانى ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٨/١ عقب الأثر (١٢١٢) معلقا .

(٢) سقط من : م .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٨/١ عقب الأثر (١٢١٣) معلقا .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : العاكفون أهلُه[١] .

وقال آخرون : العاكفون هم المُصلُّون .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ فى قولِه : ﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ ﴾ قال : العاكِفون المصلون .

وأوْلَى هذه التأويلاتِ بالصوابِ ما قاله عطاءٌ ، وهو أن العاكفَ فى هذا الموضِعِ المقيمُ فى البيتِ مجاورًا فيه بغيرِ طوافٍ ولا صلاةٍ ؛ لأن صِفَةَ العُكوفِ ما وصَفنا مِن الإقامةِ بالمكانِ ؛ والمقيمُ بالمكانِ قد يكونُ مقيمًا به وهو جالسٌ ومصلٍّ وطائفٌ ونائمٌ[٢] ، وعلى غيرِ ذلك مِن الأحوالِ ، فلما كان جلَّ ثناؤُه قد ذكَر فى قولِه : ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ المُصلِّين والطائفين ، عُلِمَ بذلك أن الحالَ التى عَنَى جلَّ ثناؤُه مِن العاكِفِ غيرُ حالِ المُصلِّى والطائفِ ، وأن الذى[٣] عَنَى مِن أحوالِه هو العُكوفُ بالبيتِ على سبيلِ الجِوارِ فيه ، وإن لم يَكُنْ مُصلِّيًا فيه ولا راكعًا ولا ساجدًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ﴾ جماعةَ القومِ الراكعين فيه له ،

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٨/١ عقب الأثر (١٢١٣) معلقا .

(٢) فى م : « قائم » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « التى » .

واحدُهم « راكِعٌ » . وكذلك ﴿ ٱلسُّجُودِ ﴾ هم جماعةُ القومِ الساجدين فيه له ، واحدُهم « ساجِدٌ » ، كما يُقالُ : رجلٌ قاعِدٌ ، ورجالٌ قُعودٌ ، ورجلٌ جالسٌ ، ورجالٌ جُلوسٌ . وكذلك : رجلٌ ساجدٌ ، ورجالٌ سجودٌ .

وقيل[1] : عُنِى بـ ﴿ ٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ : المصلُّون .

٥٤١/١

/ ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ ، عن أبى بكرٍ الهُذلىِّ ، عن عطاءٍ : ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ قال : إذا كان يُصَلِّى فهو مِن الرُّكَّعِ السُّجودِ[2] .

[٤١/٤ظ] **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ ، أهلُ الصلاةِ[2] .

وقد أتينا فيما مضَى على بيانِ معنى « الركوعِ » و« السجودِ » ، فأغْنَى ذلك عن إعادتِه[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ : واذْكُروا إذ قال إبراهيمُ : ربِّ اجْعَلْ هذا البلدَ بلدًا آمنًا . يعنى بقولِه : ﴿ ءَامِنًا ﴾ : آمنًا مِن الجبابرةِ وغيرِهم ، أن يُسَلَّطوا عليه ، ومِن عقوبةِ اللَّهِ أن تنالَه ، كما تنالُ سائرَ البلدانِ ، مِن خَسْفٍ وائتفاكٍ[4] وغرقٍ ، وغيرِ ذلك مِن سخطِ اللَّهِ ومَثُلاتِه التى تُصيبُ سائرَ

---

(١) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « بل » .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٩/١ عقب الأثر (١٢١٦) معلقا .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٦١٣/١ ، ٧١٥ .

(٤) فى م : « انتقال » . والائتفاك : الانقلاب ، يقال منه : ائتفكت بهم الأرض ، أى انقلبت . ينظر اللسان (أ ف ك) .

البلادِ غيرَه .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِرَ لنا أن الحرَمَ حُرِّمَ [(١] بحيالِه إلى العرشِ [١)] . وذُكِر لنا أن البيتَ هبَط مع آدمَ حينَ هبَط ، قال اللَّهُ له : أُهْبِطُ معك بيتى يُطافُ حولَه كما يُطافُ حولَ عَرْشِى . فطافَ حولَه آدمُ ومَن كان بعدَه مِن المؤمنين ، حتى إذا كان زمنُ الطُّوفانِ - حين أغْرَق اللَّهُ قومَ نوحٍ - رفَعه وطَهَّره فلم تُصِبْه عُقوبةُ أهلِ الأرضِ ، فتتبَّع منه إبراهيمُ أثرًا ، فبَناه على أساسٍ قديمٍ كان قبلَه [(٢)] .

فإن قال لنا قائلٌ : أو ما كان الحرمُ آمنًا إلا بعدَ ما سأَل إبراهيمُ ربَّه له الأمانَ ؟

قيل : قد اختُلِفَ في ذلك ؛ فقال بعضُهم : لم يَزَلِ الحرمُ آمنًا مِن عقوبةِ اللَّهِ وعقوبةِ جبابرةِ خلقِه ، منذُ خُلِقَتِ السماواتُ والأرضُ .

واعْتَلُّوا في ذلك بما حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ أبى سعيدٍ المَقْبُرِىُّ ، قال : سمِعت أبا شُرَيحٍ الخُزاعىَّ يقولُ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما افْتَتح مكةَ قَتَلت خُزاعةُ رجلًا مِن هُذَيلٍ ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ خطيبًا فقال : « يا أيُّها الناسُ ، إن اللَّهَ حرَّم مكةَ يومَ خلَق السماواتِ والأرضَ ، فهى حرامٌ بحرامِ [(٣)] اللَّهِ إلى يومِ القيامةِ ، لا يَحِلُّ لامرئٍ يُؤْمنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ أن يَسْفِكَ فيها [(٤)] دمًا ، أو يَعْضِدَ بها شجرًا [(٥)] ، وإنها لا تَحِلُّ لأحدٍ بعدِى ،

(١ - ١) فى حاشية الأصل : « فى الأم : بحياله العرش » .

(٢) أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١/‏٣٥٥ من طريق يزيد به إلى قوله : « العرش » .

(٣) فى م ، ت ٢ : « بحرمة » .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بها » .

(٥) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ألا » .

لا[1] تَحِلُّ لى إلا هذه الساعةَ غضبًا[2] على أهلِها ، ألا فهى قد رجَعت على حالِها بالأمسِ ،/ ألَا لِيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائِبَ ، فمَن قال : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد قتَل بها ، فقولوا : إنَّ اللَّهَ قد أحلَّها لرسولِه ولم يُحِلَّها لك »[3] . ١/٥٤٢

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحيمِ بنُ سليمانَ ، وحدَّثنا ابنُ حميدٍ وابنُ وكيعٍ ، قالا : ثنا جريرٌ ، جميعًا عن يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال [٤/٤٢و] رسولُ اللَّهِ ﷺ لمكةَ حين افتتَحها : « هذه حَرَمٌ حرَّمها اللَّهُ يومَ خلَق السماواتِ والأرضَ وخلَق الشمسَ [4] والقمرَ [4] ووضَع هذين الأخْشَبَيْنِ ، لم تَحِلَّ لأحدٍ قبلى ، ولا تَحِلُّ لأحدٍ بعدى ، أُحِلَّت لى ساعةً من نهارٍ »[5] .

قالوا : فمكةُ لم تَزَلْ منذ خُلِقت حرَمًا آمنًا مِن عقوبةِ اللَّهِ وعقوبةِ الجبابرةِ .

قالوا : وقد أَخبَرَت عن صحةِ ما قلنا مِن ذلك الروايةُ الثابتةُ[6] عن رسولِ اللَّهِ ﷺ التى ذكرناها .

قالوا : ولم يسأَلْ إبراهيمُ ربَّه أن يؤمِّنَه من عقوبتِه وعقوبةِ الجبابرةِ ، ولكنه سأله أن يؤمِّنَ أهلَه من الجدوبِ والقحوطِ ، وأن يرزُقَ ساكنيه[7] من الثمراتِ ، كما أخبر ربُّه عنه أنه سأله بقولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لم » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عصى » .

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٨٣/٥ من طريق يونس بن بكير به ، وأخرجه أحمد ٣٠٠/٤ (١٦٣٧٧) ، والطحاوى ٢٦٠/٢ ، والطبرانى في الكبير ١٨٥/٢٢ (٤٨٥) من طرق عن ابن إسحاق به بنحوه ، كما أخرجه البخارى (١٠٤، ١٨٣٢، ٤٢٩٥) ، ومسلم (١٦٥٤) من طريق سعيد بن أبى سعيد المقبرى به بنحوه .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة ٤٩٦/١٤، ٤٩٧ ، والدارقطنى ٢٣٥/٤ من طريق يزيد به .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الثانية » .

(٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ساكنه » .

﴿ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ .

قالوا : وإنما سأل ربَّه ذلك ؛ لأنه أَسْكَن فيه ذرِّيَّته ، وهو غيرُ ذى زَرْعٍ ولا ضَرْعٍ ، فاستعاذ بربِّه من أن يُهلكَهم بها جوعًا وعطشًا ، فسأله أن يؤمِّنَهم مما حذِر عليهم منه .

قالوا : وكيف يجوزُ أن يكونَ إبراهيمُ صلواتُ اللَّهِ عليه سأل ربَّه تحريمَ الحرمِ ، وأن يؤمِّنَه من عقوبتِه وعقوبةِ جبابرةِ خلقِه ، وهو القائلُ حينَ حلَّه ونزَله بأهلِه وولدِه : ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

قالوا : فلو كان إبراهيمُ هو الذى حرَّم الحرمَ أو سأل ربَّه تحريمَه لَمَا قال : ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم : ٣٧] ، عندَ نزولِه به ، ولكنه حُرِّم قبلَه وحُرِّم بعدَه .

وقال آخرون : كان الحرمُ حلالًا قبلَ دعوةِ إبراهيمَ كسائرِ البلادِ غيرِه ، وإنما صار حرامًا[(١)] بتحريمِ إبراهيمَ إياه ، كما كانت مدينةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ حلالًا قبل تحريمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إياها ، [(٢)]فصارت حرامًا بتحريمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إياها[(٢)] .

قالوا : والدليلُ على صحةِ ما قلنا فى ذلك ما حدَّثنا به ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهدىٍّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن إبراهيمَ حرَّم بيتَ اللَّهِ وأمَّنه ، وإنى حرَّمت المدينةَ ما بينَ لابَتَيْها[(٣)] ، فلا يصادُ صَيْدُها ، ولا تُقْطَعُ عِضاهُها[(٤)] »[(٥)] .

---

(١) فى الأصل : « حرما » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) اللابتان : تثنية لابة ، وهى الحرَّة ، وهى الأرض ذات الحجارة السوء التى قد ألبستها لكثرتها . النهاية ٤/٢٧٤ .

(٤) العضاه : أعظم الشجر ، وقيل : ما عظم من شجر الشوك . اللسان (ع ض هـ) .

(٥) أخرجه النسائى فى الكبرى (٤٢٨٤) عن ابن بشار به ، وأخرجه مسلم (١٣٦٢) من طريق سفيان به .

حدثنا أبو كريبٍ وأبو السائبِ ، قالا : (١) حدثنا ابنُ إدريسَ ، وحدثنا أبو كريبٍ ، قال (١) ثنا عبدُ الرحيمِ الرازىُّ ، (٢) قالا جميعًا : سمِعنا (٢) أشعثَ ، عن نافعٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ إبراهيمَ كانَ عبدَ اللَّهِ وخَليلَهُ ، وإنى عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، وإنَّ إبراهيمَ حرَّم مكَّةَ وإنى حرَّمتُ المَدِينَةَ ما بينَ لابَتَيْها ؛ عِضاهَها وَصَيْدَها ، ولا يُحْمَلُ فيها سلاحٌ لقتالٍ ، ولا يُقْطَعُ منها شَجَرةٌ إلا لعَلَفِ بَعِيرٍ » (٣) .

/ وحدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بكرُ بنُ مُضَرَ ، عن ابنِ الهادِ ، عن أبى بكرِ بنِ محمدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عثمانَ ، عن رافعِ بنِ خَديجٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ إبراهيمَ حرَّم مكةَ ، وإنى أُحَرِّمُ (٤) ما بينَ لابَتَيْهـا » (٥) . ٥٤٣/١

وما أشبَه ذلك مِن الأخبارِ التى يطولُ باستيعابِ ذكرِها [٤٢/٤ظ] الكتابُ .

قالوا : وقد أخبَر اللَّهُ تعالى ذكرُه فى كتابِه أنَّ إبراهيمَ قال : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ ولم يخبِرْ عنه أنَّه سأَله أن يجعَلَه آمنًا مِن بعضِ الأشياءِ دونَ بعضٍ ، فليس لأحدٍ أن يَدَّعِىَ أن الذى سأَله مِن ذلك الأمانُ له مِن بعضِ الأشياءِ دونَ بعضٍ إلا بحُجَّةٍ يَجِبُ التسليمُ لها .

قالوا : وأما خبرُ أبى شُرَيحٍ وابنِ عباسٍ فخبران لا تَثْبُتُ بمثلِهما فى الدينِ حجةٌ

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢ - ٢) فى م : « سمعت » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قالا سمعنا » .

(٣) عزاه المتقى الهندى فى كنز العمال (٣٨١٥٦) إلى المصنف عن نافع به ، وأخرجه مسلم (١٣٧٣) ، والترمذى (٣٤٥٤) من طريق سهيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة بنحوه .

(٤) بعده فى م : « المدينة » .

(٥) أخرجه أحمد ٥٠٩/٢٨ (١٧٢٧٣) ، ومسلم (١٣٦١) والبيهقى ١٩٧/٥ ، ١٩٨ من طريق قتيبة به ، وأخرجه الطبرانى فى الكبير (٤٣٢٦) من طريقين عن بكر به ، وأخرجه أحمد ٥٠٧/٢٨ ، ٥٠٨ (١٧٢٧١)، والطحاوى ١٩٣/٤ ، والطبرانى (٤٣٢٥ ، ٤٣٢٧ ، ٤٣٢٨) من طرق عن يزيد به .

لما فى أسانيدِهما مِن الأسبابِ التى (١) يَجِبُ التثبتُ (١) فيها مِن أجلِها .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه جعَل مكةَ حَرَمًا حينَ خلَقها وأنشأَها ، كما أخبَر النبىُّ ﷺ أنه حرَّمها يومَ خلَق السماواتِ والأرضَ بغيرِ تحريمٍ منه لها على لسانِ أحدٍ مِن أنبيائِه ورسلِه ، ولكنْ بمنعِه جلَّ ثناؤُه مَن أرادها بسوءٍ ، وبدفعِه عنها مِن الآفاتِ والعقوباتِ وعن ساكنيها ، ما أحلَّ بغيرِها وغيرِ ساكنيها مِن النَّقِماتِ ، فلم يَزَلْ ذلك أمرَها حتى بَوَّأَها اللَّهُ إبراهيمَ خليلَه ، وأسكَن بها أهلَه هاجرَ وولدَه إسماعيلَ ، فسأَل حينَئذٍ إبراهيمُ ربَّه إيجابَ (٢) فرضِ تحريمِها على عبادِه على لسانِه ؛ ليكونَ ذلك سنةً لمن بعدَه مِن خلقِه يَسْتَنُّون به (٣) فيها ، إذ كان جلَّ ثناؤُه قد اتَّخَذَه خليلًا ، وأخبَرَه أنَّه جاعلُه للناسِ إمامًا يُقْتَدى به ، فأجابَه ربُّه إلى ما سأَله ، وألزَم عبادَه حينَئذٍ فرضَ تحريمِه على لسانِه .

فصارت مكةُ بعدَ أن كانت ممنوعةً بمنعِ اللَّهِ إياها بغيرِ إيجابِ اللَّهِ فرضَ الامتناعِ منها على عبادِه ، ومحرَّمةً بدفعِ اللَّهِ عنها بغيرِ تحريمِه إياها على لسانِ أحدٍ مِن رسلِه - فرضًا تحريمُها على خلقِه على لسانِ خليلِه إبراهيمَ عليه السلامُ ، وواجبًا على عبادِه الامتناعُ مِن استحلالِها ، واستحلالِ صيدِها وعِضاهِها ، بإيجابِه الامتناعَ مِن ذلك ؛ ببلاغِ إبراهيمَ رسالةَ اللَّهِ إليه بذلك إليهم (٤) ، فلذلك أُضيف تحريمُها إلى إبراهيمَ صلواتُ اللَّهِ عليه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ إبراهيمَ (٥) حَرَّمَ مَكَّةَ » ؛ لأن فرضَ تحريمِها الذى ألزَم اللَّهُ عبادَه على وجهِ العبادةِ له بِه - دونَ التحريمِ

(١ - ١) فى م : « لا يجب التسليم » .

(٢) فى م ، ت ٣ : « إيجاد » .

(٣) فى م : « بها » .

(٤) فى م : « إليه » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الله » .

الذى لم يَزَلِ (١ اللَّهُ منفردًا ١) لها به على وجهِ الكِلاءَةِ والحفظِ لها قبلَ ذلك - كان عن مسألةِ إبراهيمَ ربَّه إيجابَ فرضِ ذلك على لسانِه ، لزِم العبادَ فرضُه دونَ غيرِه .

فقد تبيَّنَ إذن بما قلنا صحةُ معنى الخبرين ؛ أعنى خبرَ أبى شريحٍ وابنِ عباسٍ ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « إنَّ اللَّهَ حرَّم مكةَ يومَ خلَق الشمسَ والقمرَ » . وخبرَ جابرٍ وأبى هريرةَ ورافعِ بنِ خَدِيجٍ وغيرِهم ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « اللهمَّ إنَّ إبراهيمَ حرَّم مكةَ » . وأنْ ليس أحدُهما دافعًا صحةَ معنى الآخرِ كما ظنَّه بعضُ الجهالِ .

وغيرُ جائزٍ فى أخبارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أنْ يكونَ بعضُها دافعًا بعضًا إذا ثبَت صحتُها ، وقد جاء الخبران اللذان رُوِيا فى ذلك عن رسولِ اللَّهِ ﷺ مَجيئًا ظاهرًا مستفيضًا يَقْطَعُ عذرَ مَن بلَغه .

/ وأمّا (٢) قولُ إبرهيمَ صلواتُ اللَّهِ عليه : ﴿ رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم ٣٧] . فإنَّه [٤٣/٤و] إنْ يَكُنْ قال ذلك (٢) قبلَ إيجابِ اللَّهِ فرضَ تحريمِه على لسانِه على خلقِه ، فإنما عنى بذلك تحريمَ اللَّهِ إياه الذى حرَّمه بحياطتِه إياه وكِلاءتِه (٣) ، مِن غيرِ تحريمِه إياه على خلقِه على وجهِ التعبدِ لهم بذلك ، وإن يكنْ قال ذلك بعدَ تحريمِ اللَّهِ إياه على لسانِه على خلقِه على وجهِ التعبدِ ، فلا مسألةَ لأحدٍ علينا فى ذلك . ٥٤٤/١

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾ .

وهذه مسألةٌ مِن إبراهيمَ ربَّه أن يَرْزُقَ مؤمنى أهلِ مكةَ مِن الثمراتِ دونَ

(١ - ١) فى م ، ت ١ : « متعبدًا لها » .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) فى م ، ت ١ : « كلائه » .

كافريهم ، وخصَّ بمسألةِ ذلك للمؤمنين دونَ الكافرين ، لما أعلَمه اللَّهُ - عند مسألتِه إياه أن يَجْعَلَ مِن ذريِّتِه أئمةً يُقْتَدَى بهم - أنَّ منهم الكافرَ الذى لاينالُ عهدَه ، والظالمَ الذى لا يُدْرِكُ وِلايتَه ، فلما[1] علِم أنَّ مِن ذريِّتِه الظالمَ والكافرَ ، خصَّ بمسألتِه ربَّه أن يَرْزُقَ مِن الثمراتِ مِن سكانِ مكةَ المؤمنَ منهم دونَ الكافرِ ، وقال اللَّهُ له : قد أجَبت دعاءَك ، وسأَرزُقُ مع مؤمنى أهلِ هذا البلدِ كفَّارَهم ، فأُمَتِّعُه به قليلًا .

فأمَّا « مَنْ » فى قولِه : ﴿ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ فإنه نصبٌ على الترجمةِ والبيانِ عن « الأهلِ » ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [البقرة : ٢١٧] . بمعنى : يسألونك عن قتالٍ فى الشهرِ الحرامِ . وكما قال تعالى ذكرُه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] . بمعنى : ولِلَّهِ حِجُّ البيتِ على مَن استطاع إليه سبيلًا .

وإنما سأَل إبراهيمُ ربَّه ما سأَل مِن ذلك ؛ لأنه حلَّ بوادٍ غيرِ ذى زرعٍ ولا ماءٍ ولا أهلٍ ، فسأَل أن يَرْزُقَ أهلَه ثمرًا ، وأن يَجْعَلَ أفئدةً من[2] الناسِ تَهْوِى إليهم . فذُكِرَ أنَّ إبراهيمَ لما سأَل ذلك ربَّه ، نقَل اللَّهُ الطائفَ مِن[3] فلسطينَ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، قال : ثنا هشامٌ ، قال : قرَأتُ على محمدِ بنِ مسلمٍ الطائفىِّ أنَّ إبراهيمَ لما دعا للحَرَمِ : ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ : نقَل اللَّهُ الطائفَ مِن[3] فلسطينَ[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى قائلِ هذا القولِ ، وفى وجهِ قراءتِه ؛ فقال بعضُهم : قائلُ

(١) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أن » .

(٢) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٣) زيادة من مصدر التخريج .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٣٠ (١٢٢٢) من طريق هشام به .

[٤٣/٤ظ] هذا القولِ ربُّنا تعالى ذكرُه . وتأويلُه على قولِهم : قال اللَّهُ : ومَن كفَر بى فأُمَتِّعُه برِزقى مِن الثمراتِ قليلًا فى الدنيا إلى أن يَأْتِيَه أجلُه . وقرَأ قائلو هذه المقالةِ ذلك : ﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ ﴾ بتشديدِ التاءِ ورفعِ العينِ[1] .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : حدَّثنى أبو العاليةِ ، عن أُبَىِّ بنِ كعبٍ فى قولِه : ﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ﴾ . قال : هو قولُ الربِّ تبارك وتعالى[2] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : قال ابنُ إسحاقَ : لما قال إبراهيمُ : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ وعزَل[3] الدعوةَ عمن أبَى اللَّهُ أن يَجْعَلَ له الوِلايةَ ؛ انقطاعًا إلى اللَّهِ ومحبتِه[4] ، وفِراقًا لمن خالَف أمرَه ، وإن كانوا مِن ذريتِه حينَ عرَف أنه كائنٌ[5] / منهم ظالمٌ لا ينالُ عهدَه ، ١/٥٤٥ بخبرِه عن ذلك حين أخبَره ، فقال اللَّهُ : ومن كفر ، فإنى أرْزُقُ البَرَّ والفاجرَ فأُمَتِّعُه قَلِيلًا[6] .

وقال آخرون : بل قال ذلك إبراهيمُ خليلُ الرحمنِ على وجهِ المسألةِ منه ربَّه أن يَرْزُقَ الكافرَ أيضًا مِن الثمراتِ بالبلدِ الحرامِ ، مثلَ الذى يَرْزُقُ به المؤمنَ ، ويُمَتِّعُه بذلك قليلًا[7] فى حياتِه حتى تَخْتَرِمَه مَنِيَّتُه . وقرأ قائلو ذلك : (وَمَنْ كَفَرَ فَأَمْتِعْهُ قَلِيلًا[7] ثم

---

(١) هى قراءة نافع وابن كثير وعاصم وأبى عمرو وحمزة والكسائى ، وقرأ ابن عامر : (فأُمْتِعُه) . خفيفة من : أمتَعْتُ . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١٧٠.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٠/١ (١٢٢٤) من طريق أبى جعفر به .

(٣) فى م : « عدل » .

(٤) فى م ، ت١ : « محبة » .

(٥) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣: « كان » .

(٦) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٥٣/١ عن ابن إسحاق .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

اضْطَرُّه إلى عَذَابِ النَّارِ) . بتخفيفِ التاءِ وجزمِ العينِ ، وفتحِ الراءِ من (اضْطَرَّه) ، ووصلِ[1] (ثم اضطَرَّه) بغيرِ قطعِ ألفِها[2] ، على وجهِ الدعاءِ مِن إبراهيمَ ربَّه لهم والمسألةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : قال أبو العاليةِ : كان ابنُ عباسٍ يقولُ : ذلك قولُ إبراهيمَ يَسْأَلُ ربَّه أن (مَن كفر فأمْتِعْه قليلًا)[3] .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، [4]عن أبيه[4] ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ : (وَمَنْ كَفَرَ فَأَمْتِعْه قَلِيلًا) . يقولُ : ومَن كفَر فارْزُقْه أيضًا (ثم اضْطَرَّه إلى عذابِ النارِ)[5] .

والصوابُ مِن القراءةِ في ذلك عندَنا والتأويلِ ما قاله أُبيُّ بنُ كعبٍ [6]وقرأ به[6] ؛ لقيامِ الحجةِ بالنقلِ المستفيضِ وراثةً[7] بتصويبِ ذلك ، وشذوذِ ما خالَفه مِن القراءةِ ، وغيرُ جائزٍ الاعتراضُ بمن كان جائزًا عليه في نقلِه الخطأُ والسهوُ على مَن كان ذلك غيرَ جائزٍ عليه في نقلِه .

وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويلُ الآيةِ : قال اللَّهُ : يا إبراهيمُ ، قد أجبتُ دعوتَك ورزَقتُ مؤمني أهلِ هذا البلدِ مِن الثمراتِ وكفارَهم متاعًا لهم إلى بلوغِ آجالِهم ، ثم

---

(١) في م ، ت١، ت٢، ت٣: « فصل » .

(٢) وهي قراءة ابن عباس ومجاهد . البحر المحيط ٣٨٤/١ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣٠/١ (١٢٢٤) من طريق أبي جعفر به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت٢ .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٥٣/١ عن مجاهد .

(٦ - ٦) في م : « وقراءته » .

(٧) في م ، ت١ : « دراية » .

أضطرُّه كفارَهم بعدَ ذلك [٤٤/٤و] إلى عذاب النارِ .

وأما قولُه : ﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ﴾ فإنه يعنى : فأَجْعَلُ ما أَرْزُقُه مِن ذلك فى حياتِه متاعًا يَتَمَتَّعُ به إلى وقتِ مماتِه .

وإنما قلنا : إنَّ ذلك كذلك ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه إنما قال ذلك لإبراهيمَ جوابًا لمسألتِه ما سأل مِن رزقِ الثمراتِ لمؤمنى أهلِ مكةَ ، فكان معلومًا بذلك أن الجوابَ إنما هو فيما سألَه إبراهيمُ لا فى غيرِه . وبالذى قلنا فى ذلك قاله مجاهدٌ ، وقد ذكَرنا الروايةَ بذلك عنه .

وقال بعضُهم : تأويلُه : فأمتِّعُه بالبقاءِ فى الدنيا .

وقال غيرُه : فأمتِّعُه قليلًا فى كفرِه ما أقام بمكةَ ، حتى أبعَثَ محمدًا ﷺ فيقْتُلَه إن أقام على كفرِه أو يُجْلِيَه عنها . وذلك وإن كان وجهًا يَحْتَمِلُه الكلامُ ، فإن دليلَ ظاهرِ الكلامِ على خلافِه ؛ لما وصَفنا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ﴾ : ثم أَدْفَعُه إلى [(١)] النارِ وأَسُوقُه إليها ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [الطور : ١٣] . ومعنى الاضْطرارِ الإكراهُ . يقالُ : اضْطَرَرتُ فلانًا إلى هذا الأمرِ ، إذا أَلجأْتَه إليه وحمَلتَه عليه . فكذلك معنى قولِه : ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ﴾ : أَدْفَعُه إليه وأَسُوقُه سحبًا وجرًّا على وجهِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

---

(١) بعده فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « عذاب » .

١/٥٤٦ / قد دلَّلنا على أنَّ « بئس » أصلُه « بئِس » مِن « البُؤْسِ » ، سُكِّنَ ثانيه ونُقِلت حركةُ ثانيه إلى أولِه ، كما قيل للكبِدِ : كِبْدٌ . وما أشبَه ذلك .

فمعنى الكلامِ : وساء المصيرُ عذابُ النارِ ، بعدَ الذى كانوا فيه مِن متاعِ الدنيا الذى مَتَّعْتُهم فيها .

وأما « المصيرُ » فإنه « مَفعِلٌ » مِن قولِ القائلِ : صِرْتُ مَصيرًا صِلْحًا[١] . وهو الموضعُ الذى يَصِيرُ إليه [٢]من جهنمَ . فتأويلُ الكلامِ : وبئس المكانُ الذى يصيرُ إليه[٢] الكافرُ باللَّهِ[٣] عذابُ النارِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ ﴾ .

[٤/٤٤ظ] يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ : واذكروا إذ يرفَعُ إبراهيمُ القواعدَ مِن البيتِ ، و « القواعدُ » جمعُ قاعدةٍ ، يقالُ للواحدةِ مِن قواعدِ البيتِ : قاعدةٌ . وللواحدةِ مِن قواعدِ النساءِ - وهن[٤] عجائزُهن - قاعدٌ . فتُلْقَى[٥] هاءُ التأنيثِ ؛ لأنَّها « فاعلٌ » مِن قولِ القائلِ : قد قعَدت عن الحيضِ . ولا حظَّ فيه للذكورِ ، كما يقالُ : امرأةٌ طاهرٌ وطامثٌ ؛ لأنه لا حظَّ فى ذلك للذكورِ ، ولو عُنِى به القُعودُ الذى هو خلافُ القيامِ لقيل : قاعدةٌ . ولم يَجُزْ حينَئذٍ إسقاطُ هاءِ التأنيثِ . وقواعدُ البيتِ : إساسُه[٦] .

(١) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « صالحا » ، وكلاهما بمعنًى .
(٢ - ٢) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .
(٣) بعده فى م : « من » .
(٤) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .
(٥) فى م : « فتلغى » وهما بمعنى .
(٦) الإساس : جمع ، واحده الإس مثلثة ، والإس أصل البناء كالأساس والأسس . التاج (أ س س) .

ثم اختلَف أهلُ التأويلِ في « القواعدِ » التي رفَعها إبراهيمُ وإسماعيلُ مِن البيتِ ، أهما أحدَثا ذلك ، أم هي قواعدُ كانت له قبلَهما ؟ **فقال قومٌ** : هي قواعدُ بيتٍ كان بناه آدمُ أبو البشرِ بأمرِ اللَّهِ إياه بذلك ، ثم درَس مكانُه وتَعَفَّى أثرُه بعدَه حتى بَوَّأه اللَّهُ إبراهيمَ عليه السلامُ فبناه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا ابنُ جريجٍ ، عن عطاءٍ ، قال : قال آدمُ : أىْ[1] ربِّ ، إنى لا أسمعُ أصواتَ الملائكةِ . قال : خطيئتُك[2] ، ولكنِ اهبِطْ إلى الأرضِ فابنِ لى بيتًا ، ثم احْفُفْ به كما رأيتَ الملائكةَ تَحُفُّ ببيتىَ الذى فى السماءِ . فيَزْعُمُ[3] الناسُ أنه بناه مِن خمسةِ أجبُلٍ ؛ من حِراءٍ ، وطورِ زَيْتا[4] ، وطورِ سَيْناءَ ، و[5]لُبنانٍ ، والجُودىِّ ، وكان رُبْضُه[6] من حِراءٍ ، فكان هذا بناءَ آدمَ حتى بناه إبراهيمُ بعدُ[7] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن أيوبَ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ

---

(١) فى م : « يا » .

(٢) فى م : « بخطيئتك » .

(٣) فى الأصل : « فزعم » .

(٤) طور زيتا : علم مرتجل لجبل بقرب رأس عين عند قنطرة الخابور على رأسه شجر زيتون يسقيه المطر ولذلك سمى طور زيتا ، وجبل زيتا : مطل على مسجد بيت المقدس شرقى وادى سلوان . معجم البلدان ٥٥٨/٣ .

(٥) بعده فى م : « جبل » .

(٦) الرُّبْضُ : أساس البناء . وقيل : وسط الشىء . التاج (ر ب ض) .

(٧) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٢) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢٧/١ ، ١٣١ إلى ابن المنذر والبيهقى . وينظر أخبار مكة للأزرقى ٧/١ ، ونقله ابن كثير فى تفسيره ٢٥٩/١ عن عبد الرزاق ، وقال : وهذا صحيح إلى عطاء ، ولكن فى بعضه نكارة ، والله أعلم .

ٱلْبَيْتِ ﴾ . قال : القواعدُ التي كانت قواعدَ البيتِ قبلَ ذلك[(١)] .

وقال آخرون : بل هي قواعدُ بيتٍ كان اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أهبَطه لآدمَ مِن السماءِ إلى الأرضِ ، يَطُوفُ به كما كان[(٢)] يَطُوفُ بعرشِه في السماءِ ، ثم رفَعه إلى السماءِ أيامَ الطوفانِ ، فرفَع إبراهيمُ قواعدَ ذلك البيتِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الوهّابِ ، قال : ثنا أيوبُ ، عن أبي قِلابةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ / عمرٍو[(٣)] ، قال : لما أهبَط اللَّهُ آدمَ مِن الجنةِ قال : إني مُهبِطٌ معك - أو منزِلٌ معك - بيتًا يُطافُ[(٤)] حولَه ، كما يُطافُ حولَ عرشي ، ويُصَلَّى عندَه ، كما يُصَلَّى عندَ عرشي . فلما كان زمنُ الطوفانِ رفِع ، فكانت الأنبياءُ يَحُجونَه ولا يَعْلَمون مكانَه ، حتى بَوَّأه اللَّهُ إبراهيمَ وأعلَمه مكانَه ، فبناه مِن خمسةِ أجْبُلٍ : من حِراءٍ ، وثَبِيرٍ ، ولُبنانٍ ، وجبلِ الطورِ ، وجبلِ الخَمَرِ[(٥)] .

١/٥٤٧

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/٥٨، ٥٩، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٣١ (١٢٣٢) من طريق محمد ابن ثور ، عن معمر به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٢٦، ١٢٧ إلى ابن المنذر ، وصحح الحافظ إسناده في الفتح ٨/ ١٧٠.

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) في ت١، ت٢، ت٣ : « عمر » .

(٤) في ت١، ت٢، ت٣: « فطف » .

(٥) في ت١، ت٢، ت٣ : « الحمر » . وبعده في حاشية الأصل : « جبل بالشام » . وبعده في الدر المنثور : « وهو جبل بيت المقدس » . وجبل الخمر يراد به جبل بيت المقدس ، سمى بذلك لكثرة كرومه . معجم البلدان ٢/٢١.

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم والطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرو . ينظر مجمع الزوائد ٣/٢٨٨، والدر المنثور ١/١٢٧. وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٠٩٣) عن معمر ، عن أيوب قال : بنيت الكعبة من خمسة أجبل . فذكر نحو أثر عطاء السابق . وينظر البداية والنهاية ٣/٤٧٧.

وحدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا إسماعيلُ ابنُ عليةَ ، قال : ثنا أيوبُ ، عن أبى قِلابةَ ، قال : لما أُهبِط آدمُ . ثم ذكَر نحوَه[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا هشامُ بنُ حسانَ ، عن سَوّارٍ [(٢)] ختَنِ عطاءَ ، عن [(٢)] عطاءِ بنِ أبى رباحٍ ، قال : [٤/٤٥و] لما أهبَط اللَّهُ آدمَ مِن الجنةِ كان رِجلاه فى الأرضِ ورأسُه فى السماءِ ، يَسْمَعُ كلامَ أهلِ السماءِ ودعاءَهم ، يأنَس إليهم ، فهابَتِ[(٣)] الملائكةُ حتى شكَت إلى اللَّهِ فى دعائِها وفى صلاتِها ، فخفَضه اللَّهُ[(٤)] إلى الأرضِ ، فلما فقَد ما كان يَسْمَعُ منهم ، استوحَش حتى شكا ذلك إلى اللَّهِ فى دعائِه وفى صلاتِه ، فوجِّه إلى مكةَ ، فكان موضعُ قدمِه قريةً وخَطْوُه مفازةً ، حتى انتهى إلى مكةَ ، وأنزَل اللَّهُ ياقوتةً مِن ياقوتِ الجنةِ ، فكانت على موضعِ البيتِ الآنَ ، فلم يَزَلْ يَطُوفُ به حتى أنزَل اللَّهُ الطوفانَ ، فرُفِعت تلك الياقوتةُ ، حتى بعَث اللَّهُ إبراهيمَ فبناه ، فذلك قولُ اللَّهِ : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾[(٥)] [الحج : ٢٦] .

وحدَّثنا الحسنُ ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ ، قال : وضَع اللَّهُ البيتَ مع آدمَ[(٦)] ؛ أهبَط اللَّهُ آدمَ إلى الأرضِ ، وكان مَهْبِطُه بأرضِ الهندِ ، وكان رأسُه فى السماءِ ورِجلاه فى الأرضِ ، فكانت الملائكةُ تَهابُه ، فنُقِص إلى

---

(١) أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١/ ٣٠ من طريق أيوب به .

(٢ - ٢) فى م ، ت١ ، ت٣ : « عن » ، وفى ت٢: « ختن » .

(٣) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « فهابته » .

(٤) سقط من : م .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٢٣ . وأخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٠) ، وابن عساكر فى تاريخه ٧/ ٤٢١ من طريق هشام بن حسان به ، وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١/ ٧، وأبو الشيخ فى العظمة (١٠٢١) من طريق طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، وطلحة متروك .

(٦) بعده فى م : « حين » .

ستين ذِراعًا ، فحزِن آدمُ إذ فقَد أصواتَ الملائكةِ وتسبيحَهم ، فشكا ذلك إلى اللَّهِ تعالى ، فقال اللَّهُ : يا آدمُ ، إنى قد أهبَطتُ لك بيتًا تَطوفُ به كما يُطافُ حولَ عرشى ، وتصَلِّى عندَه كما يُصَلَّى عندَ عَرْشى . فانطَلَق إليه آدمُ ، فخرَج ومُدّ له فى خطوِه ، فكان (١) بينَ كلِّ خُطوتين (١) مفازةٌ ، فلم تَزَلْ تلك المفاوزُ بعدَ ذلك ، فأتى آدمُ البيتَ فطاف به ومَن بعدَه مِن الأنبياءِ (٢) .

وحدَّثنا الحسنُ ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن أَبانٍ أنَّ البيتَ أُهبِط ياقوتةً واحدةً ، أو دُرّةً واحدَةً ، حتى إذا أغرَق اللَّهُ قومَ نوحٍ رفَعه وبقِىَ أساسُه ، فبوَّأه اللَّهُ لإبراهيمَ ، فبناه بعدَ ذلك (٣) .

وقال آخرون : بل كان موضعُ البيتِ ربوةً حمراءَ كهيئةِ القبةِ ، وذلك أن اللَّهَ لما أراد خلْقَ الأرضِ علا الماءَ زَبَدةٌ حمراءُ أو بيضاءُ ، وذلك فى موضعِ البيتِ الحرامِ ، ثم دَحَا اللَّهُ الأرضَ مِن تحتِها ، فلم يَزَلْ ذلك كذلك حتى بوَّأه اللَّهُ إبراهيمَ ، فبناه على أساسِه . وقالوا : أساسُه على أركانٍ أربعةٍ فى الأرضِ السابعةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال جريرُ بنُ حازمٍ : حدَّثنى حميدُ بنُ قيسٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : كان موضعُ البيتِ على الماءِ قبلَ

(١ - ١) فى الأصل ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « كل خطوة بين » ، وفى التاريخ والمصنف : « بين كل خطوة » . والمثبت موافق لما سيأتى فى تفسير الآية (٢٦) من سورة الحج ، وكذلك هو فى الدر المنثور .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/١٢٣ . وأخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٦) ، وهو فى تفسيره ٢/ ٣٤ ، وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١/١٢ من طريق معمر به نحوه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٥٣ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٦) ، وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١/١٠ من طريق معمر به .

أن يَخْلُقَ اللَّهُ السماواتِ والأرضَ ، مثلَ الزُّبَدةِ البيضاءِ ، ومِن تحتِه دُحِيَت الأرضُ[(١)] .

/ وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا ابنُ جُرَيجٍ ، ٥٤٨/١ قال : قال عطاءٌ وعمرُو بنُ دينارٍ : بعَث اللَّهُ رِياحًا فصَفَقت الماءَ ، فأبرَزَتْ في موضعِ البيتِ عن حَشَفةٍ[(٢)] كأنها القبّةُ ، فهذا البيتُ منها ، فلذلك هي أمُّ القُرَى . قال ابنُ جُريجٍ : قال عطاءٌ : ثم وَتَدها بالجبالِ كي لا تَكَفَّأَ ؛ تَميدَ[(٣)] ، [٥/٤٤ظ] فكان أولَ جبلٍ أبو قُبَيسٍ[(٤)] .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يعقوبُ القُمِّيُّ ، عن حفصِ بنِ حميدٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : وُضِعَ البيتُ على أركانِ الماءِ ، على أربعةِ أركانٍ ، قبلَ أن تُخلَقَ الدُّنْيا بألفَى عامٍ ، ثم دُحِيت الأرضُ مِن تحتِ البيتِ[(٥)] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يعقوبُ ، عن هارونَ بنِ عنترةَ ، عن عطاءِ بنِ أبي رباحٍ ، قال : وَجَدوا بمكةَ حجرًا مكتوبًا فيه[(٦)] : إنى أنا اللَّهُ ذو بكةَ ، بنَيْتُه يومَ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٩٠٩٧) من طريق حميد به بمعناه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٢٨ إلى عبد بن حميد بآخره .

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « حسنة » . وفى مصنف عبد الرزاق : « خشفة » ، وبالحاء والخاء روايتان ، وتروى بالعين أيضا بدل الفاء .

والحشفة : صخرة رخوة حولها سهل من الأرض . التاج (ح ش ف) .

والخشفة واحدة الخشف : وهى حجارة تنبت فى الأرض نباتا . ذكره ابن الأثير فى النهاية ٢/ ٣٥ عن الخطابى .

(٣) فى م : « بميد » .

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٨٩) ، وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١/ ٤ من طريق آخر عن عطاء، عن ابن عباس ، نحوه .

(٥) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٩٠١) من طريق يعقوب القمى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٢٨ إلى عبد بن حميد .

(٦) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عليه » .

صُغْتُ[(١)] الشمسَ والقمرَ ، وحفَفْتُه بسبعةِ أملاكٍ حنفاءَ[(٢)] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ وغيرِه مِن أهلِ العلمِ ، أن اللَّهَ لمَّا بَوَّأ لإبراهيمَ مكانَ البيتِ ، خرَج إليه مِن الشامِ ، وخرَج معه بإسماعيلَ وبأمِّه هاجرَ ، وإسماعيلُ طفلٌ صغيرٌ يَرْضَعُ ، وحُمِلُوا - فيما حدَّثنى - علَى البُراقِ ، ومعه جبريلُ يَدُلُّه على مَوْضعِ[(٣)] البيتِ ومَعالمِ الحرمِ ، فخرَج وخرَج معه جبريلُ - يقال : كان لا يمرُّ بقريةٍ إلا قال : أبهذه أُمِرتَ ياجبريلُ ؟ فيقولُ جبريلُ : امْضِهْ - حتى قَدِم به مكةَ ، وهى إذ ذاك عِضَاهُ سَلَمٍ وسَمُرٍ[(٤)] ، وبها[(٥)] أناسٌ يقالُ لهم : العَماليقُ خارجَ مكةَ وما حولَها ، والبيتُ يومَئذٍ رَبوةٌ حمراءُ مَدَرَةٌ . فقال إبراهيمُ لجبريلَ : أههنا أُمِرتَ أن أضَعَهما ؟ قال : نعم . فعمَد بهما[(٦)] إلى موضعِ الحِجرِ فأنزَلهما فيه ، وأمر هاجرَ أمَّ إسماعيلَ أن تتخِذَ فيه عريشًا ، فقال : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ إلى قولِه : ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[(٧)] [إبراهيم : ٣٧] .

قال ابنُ حميدٍ : قال سلمةُ : قال ابنُ إسحاقَ : ويَزْعُمون - واللَّهُ أعلمُ - أن ملكًا مِن الملائكةِ أتَى هاجرَ أمَّ إسماعيلَ - حينَ أنزَلهما إبراهيمُ مكةَ قبلَ

---

(١) فى م : « صنعت » .

(٢) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « حفا » .

(٣) فى الأصل : « مواضع » . وينظر مصدر التخريج .

(٤) السَّلَمُ شجر من العضاه وورقها القَرَظ الذى يدبغ به الأديم ، والسَّمُرُ ضرب من العضاه ، وقيل من الشجر صغار الورق قصار الشوك وله بَرَمَةٌ صفراء يأكلها الناس . اللسان (س ل م ، س م ر) .

(٥) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « يروبها » .

(٦) فى الأصل : « بها » .

(٧) أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١/ ٢١، ٢٢ من طريق محمد بن إسحاق عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحده ، وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٦٠ .

أن يَرْفعَ إبراهيمُ وإسماعيلُ القواعدَ مِن البيتِ - فأشار لها[1] إلى البيتِ ، وهو[2] رَبْوةٌ حمراءُ مَدَرَةٌ ، فقال لها[3] : هذا أولُ بيتٍ وُضِعَ للناسِ[4] ، وهو بيتُ اللَّهِ العتيقُ ، واعْلَمِى أن إبراهيمَ وإسماعيلَ هما يَرْفعانِه[5] . فاللَّهُ أعلمُ .

وحدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا هشامُ بنُ حسانَ ، قال : أخْبَرنى حُميدٌ ، عن مجاهدٍ ، قال : خلَق اللَّهُ مَوْضِعَ هذا البيتِ قبلَ أن يَخْلُقَ شيئًا مِن الأرضِ بألْفَى سنةٍ ، وأركانُه فى الأرضِ السابعةِ[6] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا ابنُ عُيَينةَ ، قال : أخْبَرنى بِشْرُ بنُ عاصمٍ ، عن ابنِ المسيّبِ ، قال : حدَّثنا كعبٌ أن البيتَ كان غُثاءةً على الماءِ قبلَ أن يَخلُقَ اللَّهُ الأرضَ بأربعين سنةً ، ومنه دُحِيَت الأرضُ . قال : وحدَّثنا[7] علىُّ بنُ أبى طالبٍ أن إبراهيمَ أقْبَل مِن إرمينيةَ ومعَه / السكينةُ تَدُلُّه ، [8]حتى تبوَّأَ[8] البيتَ ، كما تَتبوأُ العنكبوتُ بيتَها . قال : فرَفَعت عن أحجارٍ يُطِيقُه - أو لا يُطيقُه - ثلاثون رجلًا . قال : قلت : يا أبا محمدٍ ، فإن اللَّهَ يقولُ : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ قال : كان ذلك بعدُ[9] .

٥٤٩/١

(١) فى النسخ : « لهما » . والمثبت من أخبار مكة .

(٢) فى الأصل : « هى » . والمثبت من أخبار مكة .

(٣) فى النسخ : « لهما » .

(٤) فى م ، ت١ ، ت٢، ت٣: « فى الأرض » . وينظر مصدر التخريج .

(٥) أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ٢٣/١ من طريق ابن إسحاق به بنحوه .

(٦) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٧) ، وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ٣/١ ، ٤ من طريقين عن هشام به . وليس فى الموضع الثانى ذكر حميد .

(٧) بعده فى م : « عن » .

(٨ - ٨) فى م ، ت١ ، ت٢ : « علة تبوئ » .

(٩) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٨) .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا أن يقالَ : إن اللَّهَ جلَّ ثناؤه [٤٦/٤و] أخْبَر عن إبراهيمَ خليلِه أنه وابنَه إسماعيلَ رفَعا القواعدَ مِن البيتِ الحرامِ . وجائزٌ أن يكونَ ذلك قواعدَ بيتٍ كان أَهْبَطه مع آدمَ ، فجَعله مكانَ البيتِ الحرامِ الذى بمكةَ . وجائزٌ أن يكونَ ذلك كان القُبَّةَ التى ذكَرها عطاءٌ مما أنشَأه اللَّهُ مِن زَبَدِ الماءِ . وجائزٌ أن يكونَ كان ياقوتةً أو درةً أُهْبِطتا مِن السماءِ . وجائزٌ أن يكونَ كان آدمُ بناه ثم تَهَدَّم حتى رفَع قَواعِدَه إبراهيمُ وإسماعيلُ . ولا علمَ عندَنا بأىِّ ذلك كان من أىٍّ ؛ لأن حقيقةَ ذلك لا تُدْرَكُ إلا بخبرٍ عن اللَّهِ أو[(1)] عن رسولِه ﷺ بالنَّقْلِ المُسْتفيضِ . ولا خبرَ بذلك تقومُ به الحجةُ ، فيَجِبَ التسليمُ لها ، ولا هو - إذ لم يَكُنْ به خَبَرٌ على ما وصفنا - مما [(2)]يُدْرَكُ علمُه[(2)] بالاستدلالِ والمقاييسِ ، فيُمَثَّلَ بغيرِه ، ويُسْتنبطَ عِلمُه مِن جهةِ الاجتهادِ . فلا قولَ فى ذلك هو أوْلَى بالصوابِ مما قلنا واللَّهُ تعالى أعلمُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾ .

يعنى تعالى ذِكْرُه بذلك وإذْ يَرْفَعُ إبراهيمُ القواعِدَ من البيتِ وإسماعيلُ . يقولان : رَّبنا تقبَّلْ منا . وذُكِرَ أن ذلك كذلك فى قراءةِ ابنِ مسعودٍ[(3)] ، وهو قولُ جماعةٍ مِن أهلِ التأويلِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

= وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٢/١ (١٢٣٥، ١٢٣٦) ، والأزرقى فى أخبار مكة ٣/١، ٢٩ من طريق ابن عيينة به . وأخرجه الحاكم ٢٦٧/٢ من طريق بشر بن عاصم به ، بأثر على وحده . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢٦/١ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن على وحده .

(١) فى م ، ت١، ت٢، ت٣ : « و » .

(٢ - ٢) فى م : « يدل عليه » .

(٣) المصاحف ص ٥٧ .

السديّ ، قال : بنَيا وهما يَدْعوان الكلماتِ التى ابْتَلى بها إبراهيمَ ربُّه ، قال : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ - ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾[1] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : أخْبَرنى ابنُ كثيرٍ ، قال : ثنا سعيدُ بنُ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾ قال : قاما[2] يَرْفعان القواعدَ مِن البيتِ ، ويقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قال : وإسماعيل يَحْمِلُ الحجارةَ على رقبتِه ،والشيخُ يَبْنِى[3] .

فتأويلُ الآيةِ على هذا القولِ : وإذ يَرْفعُ إبراهيمُ القواعدَ مِن البيتِ وإسماعيلُ قائلِين : ربنا تَقبَّلْ مِنَّا .

وقال آخرون : بل قائلُ ذلك كان إسماعيلَ .

فتأويلُ الآيةِ على هذا القولِ : وإذ يَرفعُ إبراهيمُ القواعدَ مِن البيتِ ، وإذ يقولُ إسماعيلُ : ربَّنا تَقبلْ مِنَّا . فيَصِيرُ حينئذٍ ﴿ إِسْمَٰعِيلُ ﴾ مرفوعًا بالجملةِ التى بعدَه ، و « يقولُ » حينئذٍ خبرٌ له دونَ إبراهيمَ .

/ ثم اختلف أهلُ التأويلِ فى الذى رفَع القواعدَ ، بعدَ إجماعِهم على أن إبراهيمَ كان ممن رفَعها ؛ فقال بعضُهم : رفَعها إبراهيمُ وإسماعيلُ جميعًا . ١/٥٥٠

[٤٦/٤ظ] ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٢/١ (١٢٣٧) من طريق عمرو به .

(٢) فى م : « هما » .

(٣) أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ٢٥/١، ٢٦ من طريق ابن جريج به مطولاً .

السديِّ : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ . قال : فانطلَق إبراهيمُ حتى أتَى مكةَ ، فقام هو وإسماعيلُ وأخذا المعاولَ لا يَدْرِيان أين البيتُ ، فبعَث اللَّهُ ريحًا يقال لها : ريحُ الخَجُوجِ[(١)] ، لها جَناحان ورأسٌ ، فى صورةِ حيَّةٍ ، فكنَست لهما ما حولَ الكعبةِ[(٢)] عَنْ أساسِ البيتِ الأولِ ، واتَّبَعاها بالمَعاولِ يَحْفِران حتى وضَعا الأساسَ ، فذلك حين يقولُ : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الحج : ٢٦] . فلما بنَيا القواعدَ فبلَغا مكانَ الرُّكنِ ، قال إبراهيمُ لإسماعيلَ : يا بُنيّ ، اطْلُبْ لى حجرًا حسنًا أضعْه هلهنا . قال : يا أبَتِ إنى كسلانُ لَغِبٌ[(٣)] . قال : علىَّ ذلك . فانطلَق يطلُبُ حجرًا ، فجاءه بحجرٍ فلم يَرْضَهْ ، فقال : ائْتِنى بحجرٍ أحسنَ مِن هذا . فانْطَلق يَطْلُبُ له حجرًا ، وجاءه جبريلُ بالحجرِ الأسودِ مِن الهندِ ، وكان أبيضَ ، ياقوتةً بيضاءَ مثلَ الثَّغامةِ[(٤)] ، وكان آدمُ هبَط به مِن الجنةِ فاسودَّ مِن خطايا الناسِ ، فجاءه إسماعيلُ بحجرٍ فوجدَه عندَ الركنِ ، فقال : يا أبتِ ، مَن جاءك بهذا ؟ فقال : (٥)جاء به(٥) مَن هو أنشطُ مِنك . فبنَياه[(٦)] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن عمرَ[(٧)] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عروةَ[(٨)] ، عن[(٩)] عبيدِ بنِ عميرٍ الليثيِّ ، قال : بَلَغنى أن إبراهيمَ

---

(١) ريح خجوج : شديدة المرور فى غير استواء . النهاية ٢/١١ .

(٢) بعده فى م : « و » .

(٣) لَغَب يلغُب لَغْبًا : أعيا أشد الإعياء . اللسان (ل غ ب) .

(٤) الثغامة : نبت أبيض الزهر والثمر يشبه به الشيب ، وقيل : هى شجرة تبيض كأنها الثلج . النهاية ١/٢١٤.

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٥٢ مختصرا ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٣٢ (١٢٣٧) من طريق عمرو به . وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/٥٣ من طريق أسباط به نحوه .

(٧) فى الأصل ، م ، ت١ ، ت٣ : « عمرو » .

(٨) فى النسخ : « عتبة » ، والمثبت من تاريخ المصنف ١/٢٦١ . وينظر تهذيب الكمال ٢١/٤١٣.

(٩) فى ت٢ ، ت٣ : « بن » .

وإسماعيلَ هما رفَعا قواعدَ البيتِ[(١)] .

وقال آخرون : بل رفَع قواعدَ البيتِ إبراهيمُ ، وكان إسماعيلُ يُناوِلُه الحجارةَ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أحمدُ بنُ ثابتٍ الرازيُّ ، قال : ثنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا معمرٌ ، عن أيوبَ وكثيرِ بنِ كثيرِ بنِ المطلبِ بنِ أبى وداعةَ - يَزيدُ أحدُهما على الآخرِ - عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : جاء إبراهيمُ وإسماعيلُ يَبْرِى نَبْلًا قريبًا مِن زمزمَ ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يَصْنعُ الوَالدُ بالولدِ ، والوَلدُ بالوالدِ ، ثم قال : يا إسماعيلُ ، إن اللَّهَ أمَرنى بأمْرٍ . قال : فاصْنَعْ ما أمَرَك ربُّك . قال : وتُعِينُنى ؟ قال : وأُعِينُك . قال : فإن اللَّهَ أمَرَنى أن أبنىَ هلهنا بيتًا . وأشار إلى الكعبةِ مُرتفعةً على ما حولَها . قال : فعنَد ذلك رفعا القواعدَ من البيتِ . قال : فجعلَ إسماعيلُ يأتى بالحجارةِ وإبراهيمُ يَبْنى ، حتى إذا ارتفَع البناءُ جاء بهذا الحجرِ فوضَعه له ، فقام عليه وهو يَبنى ، وإسماعيلُ يُناوِلُه الحجارةَ وهما يقولان : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ حتى دَوَّر حولَ البيتِ[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ سنانٍ[(٣)] القَزازُ ، قال : ثنا عبيدُ[(٤)] اللَّهِ بنُ عبدِ المجيدِ أبو علىٍّ الحَنفىُّ ، قال : ثنا إبراهيمُ بنُ نافعٍ ، قال : سمِعتُ كثيرَ بنَ كثيرٍ يُحدِّثُ عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : جاء - يعنى إبراهيمَ - فوجَد إسماعيلَ يُصْلِحُ نَبْلًا له[(٥)] مِن وراءِ زمزمَ ،

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٦١ ، مطولًا .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩١٠٧) ، ومن طريقه البخارى (٣٣٦٤) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٣٢ (١٢٣٤) ، والبيهقى فى الدلائل ٢/٤٦، ٥٢ . وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١/ ٢٥، ٢٦ من طريق معمر به . وينظر أخبار مكة ١/٢٢، والدر المنثور ١/١٢٥.

(٣) فى م : « بشار » . وينظر تهذيب الكمال ٢٥/٣٢٣ .

(٤) فى ت١ ، ت٣ : « عبد » .

(٥) سقط من : م .

فقال إبراهيمُ : يا إسماعيلُ ، إن ربَّك قد أمرَنى أن أبنىَ له بيتًا . فقال له إسماعيلُ : فأطِعْ ربَّك فيما أمَرك به . فقال له إبراهيمُ : قد أمرَك أن تُعِينَنى عليه . قال : إذن أفْعَلَ . قال : فقام / معه ، فجَعل إبراهيمُ يَبْنِيه وإسماعيلُ يُناولُه الحجارةَ ، ويقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ . فلما ارْتَفع البنيانُ ، وضَعُف الشيخُ عن رفعِ الحجارةِ ، قام على حجَرٍ فهو مَقامُ إبراهيمَ ، فجعَل يُناولُه ويقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[(١)] . ٥٥١/١

وقال آخرون : بل الذى رفَع قواعدَ البيتِ إبراهيمُ وحدَه ، وإسماعيلُ يومئذٍ طفلٌ صغيرٌ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ [٤٧/٤و] ومحمدُ بنُ المثنى ، قالا : ثنا مُؤَمَّلٌ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن حارثةَ بنِ مُضَرِّبٍ[(٢)] ، عن علىٍّ ، قال : لما أُمِرَ إبراهيمُ ببناءِ البيتِ ، خرَجَ معه إسماعيلُ وهاجرُ ، قال : فلما قَدِم مكةَ رأى على رأسِه فى موضعِ البيتِ مثلَ الغَمامةِ فيه مثلُ الرأسِ فكلَّمه ، فقال : يا إبراهيمُ ، ابْنِ على ظلِّى - أو على قَدْرى - ولا تَزِدْ ولا تَنْقُصْ . فلما بَنَى خرَج[(٣)] وخَلَّف إسماعيلَ وهاجرَ ، فقالت

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٥٩/١، ٢٦٠ عن محمد بن سنان به . وأخرجه الحاكم ٥٥١/٢، ٥٥٢ من طريق محمد بن سنان به ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . وينظر تفسير ابن كثير ٢٥٦/١. وأخرجه البخارى (٣٣٦٥) ، والنسائى فى الكبرى (٨٣٨٠) ، وابن أبى حاتم ٢٣٢/١ (١٢٣٣) من طريق إبراهيم بن نافع به . وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١/ ٢٥، ٢٦، وابن مردويه - كما فى التفسير لابن كثير ٢٥٦/١- من طريق كثير بن كثير به .

(٢) فى م : « مصرف » . وينظر تهذيب الكمال ٣١٧/٥ .

(٣) سقط من : م .

هاجرُ : يا إبراهيمُ إلى مَن تَكِلُنا ؟ قال : إلى اللَّهِ . قالت : انْطَلِقْ فإنه لا يُضَيِّعُنا . قال : فعَطِش إسماعيلُ عَطَشًا شديدًا ، قال : فصَعِدت هاجرُ الصَّفَا فنظَرت فلم تَرَ شيئًا ، ثم أتَتِ المَروةَ فنَظَرتْ فلم ترَ شيئًا ، ثم رجَعت إلى الصَّفَا فنَظَرت فلم تَرَ شيئًا ، حتى فعَلت ذلك سبعَ مرارٍ ، فقالت : يا إسماعيلُ مُتْ حيثُ لا أراك . فأَتَتْه وهو يَفْحَصُ برجلِه مِن العطشِ ، فناداها جبريلُ ، فقال لها : مَن أنتِ ؟ فقالت : أنا هاجرُ أمُّ ولدِ إبراهيمَ . قال : إلى مَن وَكَلكما ؟ قالت : وَكَلنا إلى اللَّهِ . قال : وَكَلكما إلى كافٍ . قال : ففَحَص الغلامُ[(1)] الأرضَ بأصبعِه ، فنَبَعت زمزمُ ، فجعَلت تحبسُ الماءَ ، فقال : دَعيه ، فإنها رَوَاءٌ[(2)] .

حدَّثنا [(3)]هنادُ بنُ السريِّ[(3)] ، قال : ثنا أبو الأحوصِ ، عن سِماكٍ ، عن خالدِ بنِ عرعرةَ ، أن رجلًا قام إلى عليٍّ فقال : ألا تُخْبِرُنى عن البيتِ أهو أولُ بيتٍ وُضِعَ فى الأرضِ ؟ فقال : لا ، ولكنه أولُ بيتٍ وُضِعَ فيه[(4)] البركةُ ، مَقامُ إبراهيمَ ، ومَن دخَله كان آمنًا ، وإن شِئْتَ أنبأتُك كيف بُنِىَ ، إن اللَّهَ أَوْحَى إلى إبراهيمَ أن ابْنِ لى بيتًا فى الأرضِ . قال : فضاق إبراهيمُ بذلك ذَرْعًا ، فأرسل اللَّهُ السكينةَ - وهى ريحٌ خَجُوجٌ ، ولها رأسان - فأَتْبع أحدُهما صاحبَه حتى انْتَهت إلى مكةَ ، فتَطوَّت على مَوضعِ البيتِ

---

(١) زيادة من تاريخ المصنف .

(٢) الماء الرواء : العذب . اللسان (روى) .

والأثر أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٥٢ . وأخرجه الحاكم ٢/ ٥٥١ من طريق مؤمل به . وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١/ ٢٧، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٣١ (١٢٢٩) من طريق أبى إسحاق به ، بأوله . ونقله ابن كثير ١/ ٢٥٧، ٢٥٨ عن المصنف ، وقال : ففى هذا السياق أنه بنى البيت قبل أن يفارقهما ، وقد يحتمل - إن كان محفوظًا - أن يكون أوّلًا وضع له حوطا وتحجيرا ، لا أنه بناه إلى أعلاه ، حتى كبر إسماعيل فبنياه معًا كما قال اللَّه تعالى .

(٣ - ٣) فى م : « عباد » .

(٤) فى الأصل ، م : « فى » . والمثبت من مصادر التخريج .

كتَطوِّى الحَجَفَةِ[(١)] ، وأُمِر إبراهيمُ أن يبنىَ حيثُ تَستقرُّ السكينةُ . فبنى إبراهيمُ وبقِى حجرٌ ، فذهب الغلامُ يَبْنى[(٢)] شيئًا ، فقال إبراهيمُ : لا ، أَبْغِنى حجرًا كما آمُرُك . قال : فانْطَلق الغلامُ يَلْتمِسُ له حجرًا ، فأتاه به[(٣)] فوجَده قد رَكَّب الحجرَ الأسودَ فى مكانِه ، فقال : يا أبَتِ ، مَن أتاك بهذا الحجرِ ؟ فقال : أتانى به مَن لم يَتَّكِلْ على بنائِك ، جاء به جبريلُ مِن السماءِ . فأتَمَّاه[(٤)] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ المثنَّى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ[(٥)] ، عن سماكٍ ، قال : سمِعت خالدَ بنَ عرعرةَ يُحدِّث عن علىٍّ بنحوِه .

وحدَّثنا المثنى ، قال : ثنا أبو داودَ ، قال : ثنا شعبةُ وحمادُ بنُ سلمةَ وأبو الأحوصِ ، كلُّهم عن سماكٍ ، عن خالدِ بنِ عرعرةَ ، عن علىٍّ بنحوِه[(٦)] .

فمن قال : رفَع القواعدَ إبراهيمُ وإسماعيلُ . أو قال : رفَعها إبراهيمُ وكان إسماعيلُ يناوِلُه الحجارةَ . فالصوابُ فى قولِه أن يكونَ المضمرُ مِن القولِ لإبراهيمَ وإسماعيلَ ، ويكونُ الكلامُ حينئذٍ وإذ يَرْفَعُ إبراهيمُ القواعِدَ من البيتِ وإسماعيلُ يقولان : [٤/٤٧ظ] ربَّنا تقبَّلْ منا .

---

(١) الحجفة : التُّرس . النهاية ١/٣٤٥ .

(٢) فى م : « يبغى » .

(٣) سقط من : م .

(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٥١ .

وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/٥٦ من طريق أبى الأحوص به .

وأخرجه الحاكم ٢/ ٢٩٢، والبيهقى فى الدلائل ٢/٥٥ من طريق سماك به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٢٦ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد والحارث بن أبى أسامة . والحديث إسناده ضعيف لجهالة خالد بن عرعرة .

(٥) فى م : « سعيد » .

(٦) أخرجه إسحاق بن راهويه فى مسنده - كما فى المطالب العالية (٣٩٢٣) - والأزرقى فى أخبار مكة ١/٢٨ من طريق حماد به .

٥٥٢/١ /وقد كان يَحْتمِل على هذا التأويلِ أن يكونَ المُضمرُ مِن القولِ لإسماعيلَ خاصةً دونَ إبراهيمَ ، ولإبراهيمَ خاصةً دونَ إسماعيلَ ، لولا ما عليه عامةُ أهلِ التأويلِ مِن أن المُضمرَ مِن القولِ [(١)]في ذلك[(١)] لإبراهيمَ وإسماعيلَ جميعًا .

وأما على التأويلِ الذى رُوِىَ عن علىٍّ - أن إبراهيمَ هو الذى رفَع القواعدَ دونَ إسماعيلَ - فلا يجوزُ أن يكونَ المضمرُ مِن القولِ عندَ ذلك إلا لإسماعيلَ خاصةً .

والصوابُ مِن القولِ عندَنا فى ذلك أن المُضمرَ مِن القولِ لإبراهيمَ وإسماعيلَ ، وأن قواعدَ البيتِ رفَعها إبراهيمُ وإسماعيلُ جميعًا ؛ وذلك أن إبراهيمَ وإسماعيلَ إن كانا هما بنياها[(٢)] ورفعاها ، فهو ما قلنا . وإن كان إبراهيمُ تَفرَّد ببنائِها ، وكان إسماعيلُ يُناولُه أحجارَها[(٣)] ، فهما أيضًا رفعاها ، لأن رفعَها كان بهما ؛ مِن أحدِهما البناءُ ، ومِن الآخرِ نقلُ الحجارةِ إليها ومعونةُ وَضْعِ الأحجارِ مواضعَها . ولا تَمْتنِعُ العربُ مِن إضافةِ[(٤)] البناءِ إلى مَن كان بسببِه البناءُ ومَعونتِه . وإنما قلنا ما قلنا مِن ذلك لإجماعِ جميعِ أهلِ التأويلِ على أن إسماعيلَ معنىٌّ بالخبرِ الذى أخْبَر اللَّهُ عنه وعن أبيه أنهما كانا يقولانه ، وذلك قولُهما : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ . فمعْلُومٌ أن إسماعيلَ لم يَكُنْ ليقولَ ذلك إلا وهو إما رجلٌ كاملٌ ، وإما غلامٌ قد فَهِم مواضعَ الضُّرِّ مِن النفعِ ، ولزِمَته فرائضُ اللَّهِ وأحكامُه . وإذا كان [(١)]ذلك أمرَه[(١)] فى حالِ بناءِ أبيه ما أمَره اللَّهُ ببنائِه ورفعِه قواعدَ بيتِ اللَّهِ[(٥)] -

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « بنياهما » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « نسبة » .

(٥) بعده فى م : « كذلك » .

فمعلومٌ أنه لم يكن تاركًا معونةَ أبيه ، إما على البناءِ ، وإما على نقلِ الحجارةِ . وأىُّ ذلك كان منه ، فقد دخَل فى معنى مَن رفَع قواعدَ البيتِ ، وثبَت أن القولَ المُضمرَ خبرٌ عنه وعن والدِه إبراهيمَ صلواتُ اللَّهِ عليهما . فتأويلُ الكلامِ : وإذ يَرفَعُ إبراهيمُ القواعدَ مِن البيتِ ، يقولان : ربَّنا تَقبلْ مِنَّا عملَنا ، وطاعتَنا إياك وعبادَتنا لك ، فى انتهائِنا إلى أمرِك الذى أمَرتنا به فى بناءِ بيتِك الذى أمَرْتنا ببنائِه ، إنك أنت السميعُ العليمُ .

وفى إخبارِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه أنهما رفَعا القواعدَ مِن البيتِ وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ دليلٌ واضحٌ على أن بناءَهما ذلك لم يَكُنْ بناءَ مَسكنٍ يَسْكُنانه ولا منزلٍ يَنْزِلانِه ، بل هو دليلٌ على أنهما بنياه ورفَعا قواعدَه لكلِّ مَن أراد أن يَعْبُدَ اللَّهَ ، تقرُّبًا منهما إلى اللَّهِ بذلك ، ولذلك قالا : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾ ولو كانا بنياه مسكنًا لأنفسِهما لم يكنْ لقولِهما : ﴿ تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾ وَجهٌ مفهومٌ ؛ لأنه [(١]كان يكونُ[١)] - لو كان الأمْرُ كذلك - [(٢]سألا ربَّهما[٢)] أن يَتقبَّلَ منهما ما لا قُرْبةَ فيه إليه . وليس [(٣]من صفتِهما[٣)] مسألةُ اللَّهِ قبولَ ما لا قُربةَ إليه فيه .

[٤٨/٤و] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ .**

وتأويلُ قولِه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ : إنك أنت السميعُ دعاءَنا ومَسألتَنا إياك قَبولَ ما سألناك قَبولَه منا مِن [(٤]طاعتِنا لك[٤)] فى بناءِ بيتِك الذى أمَرْتنا ببنائِه ، العليمُ بما فى ضمائرِ نفوسِنا مِن الإذعانِ لك بالطاعةِ والمصيرِ إلى ما فيه لك

(١ - ١) فى م : « كانا يكونان » .

(٢ - ٢) فى م : « سائلين » .

(٣ - ٣) فى م : « موضعهما » .

(٤ - ٤) فى م : « طاعتك » .

الرضا والمحبةُ ، وما نُبْدِى وما[1] نُخْفِى مِن أعمالِنا .

كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ : أخْبَرنى ابنُ[2] كثيرٍ ، قال : ثنا سعيدُ بنُ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ يقولُ : تَقبَّلْ مِنَّا إنك سميعُ الدعاءِ[3] .

/القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ . ١/٥٥٣

وهذا أيضًا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن إبراهيمَ وإسماعيلَ ، أنهما كانا يَرفعان القواعدَ مِن البيتِ وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾ . يعنيان بذلك : واجْعَلْنا مُستسلِمَيْنِ لأمرِك ، خاضعيَنِ لطاعتِكَ ، لا نُشْرِكُ معَك فى الطاعةِ أحدًا سواك ، ولا فى العبادةِ غيرَك .

وقد دلَّلْنا فيما مضَى على أن معنى « الإسلامِ » الخضوعُ للَّهِ بالطاعةِ[4] .

وأمَّا قولُه : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ فإنهما خصَّا بذلك بعضَ الذُّرِّيَّةِ ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذكرُه قد كان أعلمَ إبراهيمَ خليلَه قبلَ مسألتِه هذه أن مِن ذُرِّيَّتِه مَن لا يَنالُ عهدَه ، لظلمِه وفجورِه ، فخَصَّا بالدعوةِ بعضَ ذُرِّيَّتِهما . وقد قيل : إنهما عنَيا بذلك العربَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) زيادة من : ت ٣.

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « أبو » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٥٥٧.

(٤) ينظر ما تقدم فى ص ٤٣٢ ، ٤٣٣.

السُّدِّىِّ : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ : يَعنيانِ العربَ[١] .

وهذا قولٌ يَدُلُّ ظاهرُ الكتابِ على خلافِه ؛ لأن ظاهرَه يَدُلُّ على أنهما دَعَوَا اللَّهَ أن يَجْعَلَ مِن ذُرِّيَّتِهما أهلَ طاعتِه وولايتِه والمُسْتَجِيبينَ لأمرِه ، وقد كان فى ولدِ إبراهيمَ العربُ وغيرُ العربِ ، والمستجيبُ لأمرِ اللَّهِ والخاضعُ له بالطاعةِ مِن الفريقين ، فلا وجهَ لقولِ مَن قال : عنَى إبراهيمُ بدعائِه ذلك فريقًا مِن ولدِه بأعيانِهم دونَ غيرِهم ، إلَّا التحكُّمَ الذى لا يعْجِزُ عنه أحدٌ .

[٤/٤٨ظ] وأمَّا « الأُمَّةُ » فى هذا الموضعِ ، فإنه يَعنى بها الجماعةَ مِن الناسِ ، مِن قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف : ١٥٩] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ .

اختلَفتِ القَرَأَةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأه بعضُهم : ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ . بمعنى رُؤيةِ العينِ ، أى : أظهِرْها لأعيُنِنا حتى نراها . وذلك قراءةُ عامَّةِ قرأةِ[٢] الحجازِ والكوفةِ . وكان بعضُ مَن يُوَجِّهُ تأويلَ ذلك إلى هذا التأويلِ يُسَكِّنُ الراءَ مِن (أَرْنا)[٣] ، غيرَ أنه يُشِمُّها كسرةً[٤] .

واختلف قائلو هذه المقالةِ وقَرَأَةُ هذه القراءةِ فى تأويلِ قولِه : ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : هى مناسكُ الحجِّ ومعالِمُه .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٣٤ (١٢٤٦) من طريق عمرو به .

(٢) فى م : « أهل » .

(٣) تسكين الراء قراءة ابن كثير المكى ، والسوسى عن أبى عمرو ، ويعقوب الحضرمى ، وهو من العشرة . والاختلاس قراءة الدورى عن أبى عمرو ، والباقون بكسر الراء . ينظر النشر ٢/ ٢٢٢، وإتحاف فضلاء البشر ص ٩٠.

(٤) المراد بالإشمام هنا : الاختلاس ، أى : إخفاء الحركة ، وهو الإتيان بثلثى الحرف بحيث يكون المنطوق به من الحركة أكثر من المحذوف منها . ينظر الوافى فى شرح الشاطبية ص ٢٠٣.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ : فأراهما اللَّهُ مناسِكَهما بالطوافِ بالبيتِ ، والسعْيِ بينَ الصفا والمروةِ ، والإفاضةِ مِن عَرَفاتٍ ، والإفاضَةِ مِن جَمْعٍ ، ورمْيِ الجمارِ ، حتى أكمل اللَّهُ الدِّينَ - أو : دِينَه[1] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ قال : أرِنا نُسُكَنا وحجَّنا[2] .

/حدَّثنا موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : لمَّا فرَغ إبراهيمُ وإسماعيلُ مِن بنيانِ البيتِ أمَرَه اللَّهُ أن يُنادىَ ، فقال : ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج : ٢٧] . فنادَى بينَ أَخْشَبَىْ مكةَ[3] : يا أيُّها الناسُ ، إن اللَّهَ يأمرُكم أن تَحُجُّوا بيتَه . قال : فوقَرت فى قلبِ كلِّ مؤمنٍ ، فأجابه كلُّ شىءٍ[4] سمِعه مِن جبلٍ أو شجرٍ أو دابَّةٍ : لبَّيْكَ لبَّيْك . فأجابوه بالتلبيةِ : لبَّيْك اللهمَّ لبَّيْك . وأتاه مَن أتاه ، فأمَره اللَّهُ أن يَخْرُجَ إلى عرفاتٍ ونعَتها فخرَج ، فلمَّا بلَغ الشجرةَ عندَ العَقَبَةِ اسْتَقْبَله الشيطانُ فردَّه[5] ، فرمَاه بسبعِ حَصَياتٍ يُكَبِّرُ معَ كلِّ حصاةٍ ، فطار فوقَع على الجمرةِ الثانية أيضًا ، فصدَّه فرماه وكبَّر ، فطار فوقَع على الجمرةِ الثالثةِ ، فرماه وكبَّر ، فلمَّا رأى أنه

١/٥٥٤

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٣٩ إلى عبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٩.

(٣) الأخشب من الجبال الغليظ ، والأخشبان : جبلان يضافان تارة إلى مكة ، وتارة إلى منى ، وهما واحد ، أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان ، ويقال : أحدهما أبو قبيس ، والآخر الجبل الأحمر المشرف هنالك . معجم البلدان ١/ ١٥٩، ١٦٣.

(٤) فى م : « من » .

(٥) سقط من : م .

لا يُطِيقُه ، ولم يَدْرِ إبراهيمُ أين يذهبُ ، فانطلق حتى أتى ذا المجازِ ، فلمَّا نظَر إليه فلم يَعْرِفْه جاز ، فسُمِّى ذا المجازِ ، ثم انْطَلق حتى وقَع بعرفاتٍ ، فلمَّا نظَر إليها عرَف النعتَ ، قال : قد عرَفتُ . فسُمِّى عرفاتٍ ، فوقَف إبراهيمُ بعرفاتٍ ، حتى إذا أمسى ازْدَلَف إلى جَمْعٍ ، فسُمِّيتِ المُزْدَلِفةَ ، فوقَف بجمعٍ ، ثم أقبل حتى أتى الشيطانُ حيثُ لقِيه أوَّلَ مرَّةٍ ، فرمَاه بسبعِ حَصَياتٍ سبعَ مرَّاتٍ ، ثم أقام بمِنًى حتى فرَغ مِن الحجِّ وأمرِه ، وذلك قولُه : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾[1] .

وقال آخرون - [٤٩/٤و] ممَّن قرَأ هذه القراءةَ -: المناسكُ : المذابحُ . فكان تأويلُ هذه الآيةِ على قولِ مَن قال ذلك : وأرِنا كيف نَنْسُك لك يارَبَّنا نسائكَنا فنَذْبَحُها لك .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ قال : ذَبْحَنا .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا الثوريُّ ، عن ابن جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ، قال : مذابحَنا[2] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[3] .

وحدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

---

(١) ذكره البغوى فى تفسيره ٢٢٨/١ بنحوه .

(٢) تفسير الثورى ١/ ٤٩، وتفسير عبد الرزاق ٥٩/١ ، ولفظ تفسير الثورى : « ذبائحنا » .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢١٤. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٥/١ (١٢٥١) من طريق سفيان ، عن ابن أبى نجيح به .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال لى[(١)] عطاءٌ : سمعتُ عُبيدَ بنَ عُميرٍ يقولُ : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ . قال : مذابحَنا .

وقرأ ذلك آخرون : (وأرْنا مَناسِكَنا) . بتسكينِ الراءِ ، وزعَموا أن معنى ذلك : وعَلِّمْنا ودُلَّنا عليها . لا أن معناها : أرِناها بأبصارِنا . وزعَموا أن ذلك نظيرُ قولِ حُطائِطِ بنِ يَعفُرَ أخى الأسودِ بنِ يَعْفُرَ[(٢)] :

أَرِينِى جَوَادًا ماتَ هَزْلًا لأَنَّنِى[(٣)] أَرَى ما تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلًا مُخَلَّدَا

يعنى بقولِه : أرينى : دُلِّينى عليه وعَرِّفِينى مكانَه . ولم يَعْنِ به رؤيةَ العينِ . وهذه قراءةٌ رُوِيتْ عن بعضِ المُتقدِّمين .

/ ذكرُ مَن قال ذلك

١/٥٥٥

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال عطاءٌ : (أَرْنَا مَنَاسِكَنا) : أخرِجْها لنا ، علِّمْناها[(٤)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا ابنُ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ المُسَيَّبِ ، قال علىُّ بنُ أبى طالبٍ : لمَّا فرَغ إبراهيمُ مِن بناءِ البيتِ ، قال : قد[(٥)] فعَلتُ أىْ ربِّ ، فأَرْنَا مناسِكَنا - أَبْرِزْها لنا ، علِّمْناها - فبعَث اللَّهُ جبريلَ عليه السلامُ فحجَّ به[(٦)] .

---

(١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) البيت مختلف فى نسبته : فهو لحطائط بن يعفر فى الحماسة ٢/٣٥٨ ، ومجاز القرآن ١/٥٥ ، والشعر والشعراء ١/ ٢٤٨، ٢٥٦، وسمط اللآلى ٢/ ٧١٤، ولحاتم الطائى فى ديوانه ص ٤٠ ، ولمعن بن أوس فى ديوانه ٤٩ ، ولدريد بن الصمة أو حطائط أو حاتم أو معن فى اللسان (أ ن ن) ، وسيأتى ٩/٤٨٨ منسوبًا لدريد .

(٣) فى ت ١، ت ٢: « أننى » ، وفى الشعر والشعراء وسمط اللآلى : « لعلنى » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٣٤ (١٢٤٩) من طريق حجاج به .

(٥) سقط من : م .

(٦) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٩) مطولًا .

والقولُ (١) عندى فى ذلك أن تأويلَ (أرنا) بكسرِ الراءِ وتسكينِها (١) واحدٌ ؛ فمَن كسَر الراءَ جعَل علامةَ الجزمِ سقوطَ الياءِ التى فى قولِ القائلِ : (٢) أريتُه ، أُرِيه (٢) . وأقرَّ الراءَ مكسورًا كما كانت قبلَ الجزمِ . ومَن سكَّن الراءَ مِن (أرْنا) توهَّم أن إعرابَ الحرفِ فى الراءِ فسكَّنها للجزمِ (٣) ، كما فعَلوا ذلك فى « لم يكن » « ولم يكُ » ، وسواءٌ كان ذلك مِن رؤيةِ العينِ ، أو مِن رؤيةِ القلبِ ، ولا معنى لفرقِ مَن فرَّق بين رؤيةِ العينِ فى ذلك وبين رؤيةِ القلبِ .

وأمَّا « المناسكُ » فإنها جمعُ مَنْسِكٍ ، [٤٩/٤ظ] وهو الموضعُ الذى يُنْسَكُ للَّهِ فيه ، ويُتَقَرَّبُ إليه فيه بما يُرْضِيه مِن عملٍ صالحٍ ؛ إمَّا بذبحِ ذبيحةٍ له ، وإما بصلاةٍ أو طوافٍ أو سعْيٍ ، وغيرِ ذلك مِن الأعمالِ الصالحةِ ، ولذلك قيل لمشاعرِ الحجِّ : مناسكُه ؛ لأنها أماراتٌ وعلاماتٌ يعتادُها الناسُ ، ويَتَرَدَّدون إليها .

وأصلُ « المنسِك » فى كلامِ العربِ : الموضعُ المعتادُ الذى يَعتادُه الرجلُ ويألفُه ، يقال : إن لفلانٍ منسِكًا . وذلك إذا كان له موضعٌ يعتادُه لخيرٍ أو لشرٍّ ، ولذلك سُمِّيت المناسكُ مناسكَ ؛ لأنها تُعْتَادُ ويُتَرَدَّدُ إليها بالحجِّ والعمرةِ ، وبالأعمالِ (٤) التى يُتَقَرَّبُ بها إلى اللَّهِ .

وقد قيل : إن معنى النسكِ : عبادةُ اللَّهِ ، وإن الناسكَ إنما سُمِّى ناسكًا بعبادتِه ربَّه . فتأوَّل قائلُو هذه المقالةِ قولَه : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ : وعلِّمْنا عبادتَك كيف نعبُدُك ، وأين نعبدُك ، وما يُرْضِيك عنَّا فنفعلُه . وهذا القولُ وإن كان مذهبًا يحتمِلُه الكلامُ ، فإن الغالبَ على معنى المناسكِ ما وصَفْنا قبلُ مِن أنها مناسكُ الحجِّ التى

(١ - ١) سقط من : م .
(٢ - ٢) فى م : « أرنيه » .
(٣) فى م : « فى الجزم » .
(٤) فى الأصل : « للأعمال » .

ذكَرْنا معناها ، وخرَج هذا الكلامُ مِن قولِ إبراهيمَ وإسماعيلَ على وجهِ المسألةِ منهما ربَّهما لأنفسِهما ، وإنما ذلك منهما مسألةُ ربِّهما لأنفسِهما وذُرِّيَّتِهما المسلمين ، فلمَّا ضمَّا ذُرِّيَّتَهما المسلمين إلى أنفسِهما صارا كالمُخبِرَيْن عن أنفسِهما بذلك . وإنما قلنا : إن ذلك كذلك ؛ لتقدم الدعاءِ منهما للمسلمين مِن ذُرِّيَّتِهما قبلُ فى أوَّلِ الآيةِ ، وتأخرِه بعدُ فى الآيةِ الأُخرى .

فأمَّا الذى فى أوَّلِ الآيةِ فقولُهما : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ . ثم جَمَعَا أنفسَهما والأُمَّةَ المسلمةَ مِن ذُرِّيَّتِهما فى مسألتِهما ربَّهما أن يُرِيَهم مناسكَهم فقالا : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ .

وأمَّا الذى[1] فى الآيةِ التى بعدَها : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ . فجعَلا المسألةَ لذُرِّيَّتِهما خاصَّةً .

وقد ذُكِر أنها فى قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (وأَرِهِمْ مَنَاسِكَهُمْ)[2] . يعنى بذلك : وأرِ ذُرِّيَّتنا المسلمةَ مناسكَهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

أمَّا التوبةُ فأصلُها الأَوْبَةُ مِن مكروهٍ إلى محبوبٍ ، فتوبةُ العبدِ إلى ربِّه أوبتُه ممَّا يكرَهُه اللَّهُ منه بالندمِ عليه والإقلاعِ عنه ، والعزمِ على تركِ العودِ فيه . وتوبةُ الربِّ على عبدِه عَوْدُه عليه بالعفوِ له عن جُرْمِه والصفحِ له عن عقوبةِ ذنبِه ، مغفرةً منه له ، وتَفَضُّلًا عليه .

---

(١) فى م : « التى » .

(٢) ينظر البحر المحيط ١/ ٣٩٠.

١/٥٥٦ / فإن قال لنا قائلٌ : وهل كانت لهما ذنوبٌ فاحتاجا إلى مسألةِ ربِّهما التوبةَ ؟

قيل : إنه لا أحدَ مِن خلقِ اللَّهِ إلَّا وله مِن العملِ فيما بينه وبين ربِّه ما يَجِبُ عليه الإنابةُ منه والتوبةُ ، فجائزٌ أن يكونَ ما كان مِن قِيلِهما[(١)] ما قالا مِن ذلك[(٢)] ، [٥٠/٤و] إنما خصَّا به الحالَ التى كانا عليها مِن رفْعِ قواعدِ البيتِ ؛ لأن ذلك كان أحْرَى الأماكنِ أن يستجيبَ اللَّهُ فيها دعاءَهما ، وليَجْعَلا ما فعَلا مِن ذلك سُنَّةً يُقْتَدَى بها بعدَهما ، وتتَّخِذَ الناسُ تلك البقعةَ بعدَهما موضعَ تَنَصُّلٍ مِن الذُّنُوبِ إلى اللَّهِ . وجائزٌ أن يكونا عَنَيا بقولِهما : ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ ﴾ : وتُبْ على الظَّلَمةِ مِن أولادِنا وذُرِّيَّتِنا ، الذين أعلَمْتَنا أمرَهم مِن ظلمِهم وشِركِهم ، حتى يُنِيبوا إلى طاعتِك . فيكونُ ظاهرُ الكلامِ على الدعاءِ لأنفسِهما ، والمعنىُّ به ذُرِّيَّتُهما ، كما يقالُ : أكرَمنى فلانٌ فى ولدى وأهلى ، وبرَّنى فلانٌ ، إذا برَّ ولدَه .

وأمَّا قولُه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ فإنه يعنى به : إنك أنت العائدُ على عبادِك بالفضلِ ، والمُتفضِّلُ عليهم بالعفوِ والغفرانِ ، الرحيمُ بهم ، المستنقذُ مَن تشاءُ منهم برحمتِك مِن هَلَكتِه ، المُنجِى مَن تُرِيدُ نجاتَه منهم برأفتِك مِن سَخَطِك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ ﴾ .

وهذه دعوةُ إبراهيمَ وإسماعيلَ صلواتُ اللَّهِ عليهما لنبيِّنا محمدٍ ﷺ خاصَّةً ، وهى الدعوةُ التى كان نبيُّنا ﷺ يقولُ : « أنا دعوةُ أبى إبراهيمَ ، وبُشْرَى عيسى » .

حدَّثنا بذلك ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن ثورِ بنِ

---

(١) فى م : « قبلهما » .

(٢) بعده فى م : « و » .

يزيدَ ، عن خالدِ بنِ معدانَ الكَلاعيِّ ، أن نفرًا مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قالوا له : يارسولَ اللَّهِ ، أخْبِرْنا عن نفسِك . قال : « نعم ، أنا دعوةُ أبي إبراهيمَ ، وبُشْرَى عيسى عليه السلامُ »[1] .

حدَّثني عمرانُ بنُ بَكَّارٍ الكَلاعيُّ ، قال : ثنا أبو اليمانِ ، قال : ثنا [2]أبو بكرِ بنُ[2] أبي مريمَ ، عن سعيدِ بنِ سُوَيْدٍ ، عن العِرْباضِ بنِ ساريةَ السُّلَميِّ ، قال : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إني عندَ[3] اللَّهِ في أُمِّ الكتابِ لخاتمُ النبيِّين ، وإن آدمَ لمُنْجدِلٌ[4] في طِينتِه ، وسوف أُنَبِّئُكم بتأويلِ ذلك[5] ؛ دعوةُ أبي إبراهيمَ ، وبشارةُ عيسى قومَه ، ورُؤْيا أُمِّي »[6] .

حدَّثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرَني معاويةُ بنُ صالحٍ ، وحدَّثني عُبَيْدُ بنُ آدمَ بنِ أبي إياسٍ العَسْقَلانيُّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : ثنا الليثُ بنُ سعدٍ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، قالا جميعًا : عن سعيدِ بنِ سُوَيْدٍ ، عن

---

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٢/ ١٦٥ ، مطولا . وأخرجه ابن إسحاق في السيرة ص ٢٨- ومن طريقه الحاكم ٢/ ٦٠٠، والبيهقي في الدلائل ١/ ٨٣، مطولا . وصححه الحاكم .

(٢ - ٢) في م : « أبو كريب عن » . وينظر تهذيب الكمال ٣٣/ ١٠٩.

(٣) في ت ١، ت ٣: « عبد » .

(٤) المنجدل : الملقى على الجَدَالة ، وهي الأرض . النهاية ١/ ٢٤٨.

(٥) بعده في م : « أنا » .

(٦) أخرجه أحمد ٢٨/ ٣٩٥ (١٧١٦٣) ، والحاكم ٢/ ٦٠٠، والبيهقي في الدلائل ١/ ٨٣ من طريق أبي اليمان به . وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٠٩) ، والبزار (٢٣٦٥ - كشف) ، والطبراني في الكبير ١٨/ ٢٥٣ (٦٣١) ، وابن بشران في الأمالي (٤٠) من طريق أبي بكر به . وصححه الحاكم ، وتعقبه الذهبي بضعف أبي بكر . وقد خولف فيه .

وقال البيهقي : قصر أبو بكر بن أبي مريم بإسناده فلم يذكر فيه عبد الأعلى بن هلال ، وقصر بمتنه فجعل الرؤيا بخروج النور منها وحده ، وكذلك قال خالد بن معدان عن أصحاب النبي ﷺ .

عبدِ اللَّهِ[(١)] بنِ هلالٍ السُّلَمِيِّ ، عن عِرْبَاضِ بنِ ساريةَ السُّلَميِّ ، عن النبيِّ ﷺ بنحوِه[(٢)] .

وحدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثني معاويةُ ، عن سعيدِ بنِ سُوَيْدٍ ، عن عبدِ الأعلى بنِ هلالٍ السُّلَميِّ ، عن عِرْبَاضِ بنِ ساريَةَ أنه قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ . فذكَر نحوَه[(٣)] .

١/٥٥٧ / [٤/٥٠ظ] وبمثلِ الذى قلنا فى ذلك قال جماعةٌ[(٤)] أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ : ففعَل اللَّهُ ذلك ، فبعَث فيهم رسولًا مِن أنفسِهم يعرِفون وجهَه ونَسَبَه ، يُخْرِجُهم مِن الظلماتِ إلى النورِ ، ويَهْدِيهم إلى صراطِ العزيزِ الحميدِ[(٥)] .

---

(١) قوله : « عبد الله » . هكذا قال ابن مهدى عند أحمد . والصواب : عبد الأعلى . كما قال عبد الله بن أحمد ٣٨٦/٢٨ (١٧١٥٤) . وكذلك هو فى المصادر .

(٢) أخرجه المصنف فى تفسير الآية ٦ من سورة الصف ، عن يونس به . وفيه : عبد الأعلى بن هلال . على الصواب . وفيه زيادة بعد قوله : « ورؤيا أمى » .

وأخرجه ابن حبان (٦٤٠٤) ، وأبو نعيم فى الدلائل (٩) ، والبغوى فى تفسيره ١/ ١٥١، من طريق ابن وهب به . وأخرجه ابن سعد ١/ ١٤٨، ١٤٩، وأحمد ٣٨٢/٢٨ (١٧١٥١) ، والطبرانى فى الكبير ١٨/ ٢٥٢ (٦٣٠) من طريق الليث به ، بالزيادة . وأخرجه أحمد ٣٧٩/٢٨ (١٧١٥٠) - ومن طريقه أبو نعيم فى الدلائل (١٠) - من طريق معاوية به .

(٣) أخرجه الفسوى فى تاريخه ٢/ ٣٤٥، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٦/١ (١٢٥٤) ، والطبرانى فى الكبير ٢٥٢/١٨ (٦٢٩) ، والآجرى فى الشريعة (٩٤٨) ، والبيهقى فى الدلائل ١/ ٨٠، ١٣٠/٢ من طريق أبى صالح به . وينظر تعجيل المنفعة ١/ ٥٨٣، ٥٨٤، ولسان الميزان ٣/ ٣٣، ومسند الطيالسى (١٢٣٦) ، والصحيحة (١٩٢٥) ، والضعيفة (٢٠٨٥) .

(٤) بعده فى م : « من » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم ٢٣٦/١ (١٢٥٧) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٩/١ إلى عبد بن حميد .

وحدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمْرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ : وهو محمدٌ ﷺ[1] .

وحُدِّثت عن عمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ : هو محمدٌ ﷺ ، فقيل له : قد [2]استجبتُ لك[2] ، وهو فى آخرِ الزمانِ[3] .

ويعْنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾ : يقْرأُ عليهم كتابَك الذى تُوحِيه إليه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ .

ويعْنى بالكتابِ القرآنَ . وقد بيَّنتُ فيما مضَى لمَ سُمِّى القرآنُ كتابًا ، وما تأويلُه[4] . وهو قولُ جماعةِ[5] أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ : [6]قال : الكتابُ[6] القرآنُ .

ثم اختَلف أهلُ التأويلِ فى معنى « الحكمةِ » التى ذكَرها اللَّهُ فى هذا الموضعِ ؛

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٦/١ (١٢٥٦) عن أبى زرعة ، عن عمرو به .

(٢ - ٢) فى م : « استجيب ذلك » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٩/١ إلى المصنف وابن أبى حاتم عن أبى العالية ، وهو عند ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٦/١ (١٢٥٥) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٢٢٨/١ - ٢٣١.

(٥) بعد فى م : « من » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

فقال بعضُهم : هى السُّنَّةُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ . أى : السُّنَّةَ[١] .

وقال بعضُهم : الحكمةُ هى المعرفةُ بالدِّينِ والفقهُ فيه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قلتُ لمالكٍ : ما الحكمةُ ؟ قال : المعرفةُ بالدِّينِ ، والفقهُ فيه ، والاتِّباعُ له[٢] .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ قال : الحكمةُ : الدِّينُ [٣]التى لا يعرفونها[٣] إلَّا به ﷺ ، يُعَلِّمُهم إيَّاها . قال : والحكمةُ : العقلُ فى الدِّينِ . وقرأ : ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦٩] . وقال لعيسى : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٤٨] . قال : وقرأ ابنُ زيدٍ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا ﴾ [الأعراف : ١٧٥] . قال : لم يَنْتَفِعْ بالآياتِ حين[٤] لم

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٣٧ عقب الأثر (١٢٦٢) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٣٩ إلى المصنف وعبد بن حميد ، مطولا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٣٢ (٢٨٢٩) ، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم (٧٠) من طريق ابن وهب به نحوه مطولا .

(٣ - ٣) فى م : « الذى لايعرفونه » .

(٤) فى م : « حيث » .

تَكُنْ معَها حكمةٌ . قال : والحكمةُ شىءٌ يَجْعَلُه اللَّهُ فى القلبِ يُنَوِّرُه[1] له به[2] .

والصوابُ مِن القولِ عندَنا فى « الحكمةِ » أنها العِلْمُ بأحكامِ اللَّهِ التى لا يُدْرَكُ عِلْمُها إلَّا ببيانِ الرسولِ ﷺ والمعرفةِ بها ، وما دَلَّ عليه ذلك مِن نظائرِه ، وهو عندى مأخوذٌ [٥١/٤و] مِن « الحُكْمِ » الذى بمعنى الفصلِ / بين الحقِّ والباطلِ ، بمنزلةِ « الجِلْسةِ والقِعْدَةِ » مِن الجلوسِ والقعودِ ، يقال منه : إن فلانًا لحكيمٌ بيِّنُ الحِكمةِ . يعْنى بذلك أنه لبيِّنُ الإصابةِ فى القولِ والفعلِ . ٥٥٨/١

وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويلُ الآيةِ : ربَّنا وابعَثْ فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياتِك ، ويُعَلِّمُهم كتابَك الذى تُنزِّلُه عليهم ، وفصلَ قضائِك ، وأحكامَك التى تُعلِّمُه إيَّاها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ .

قد دلَّلْنا فيما مضَى قبلُ على أن معنى التزكيةِ التطهيرُ ، وأن معنى الزكاةِ النماءُ والزيادةُ[3] . فمعنى قولِه : ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ فى هذا الموضعِ : ويُطَهِّرُهم مِن الشركِ باللَّهِ ، وعبادةِ الأوثانِ ويُنَمِّيهم ويُكَثِّرُهم بطاعةِ اللَّهِ .

كما حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ . قال : يعنى بالزكاةِ طاعةَ اللَّهِ والإخلاصَ[4] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حَجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ :

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ينور » .

(٢) ينظر تفسير ابن أبى حاتم ٥٣٤/٢ (٢٨٣٨) ، وما سيأتى فى تفسير ، الآية (٢٦٩) من هذه السورة .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٦١١/١ ، ٦١٢ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٧/١ (١٢٦٥) من طريق عبد الله بن صالح به .

قولَه : ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ قال : يُطَهِّرُهم مِن الشركِ ويُخَلِّصُهم منه[١] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بذلك : إنك يارَبُّ أنت العزيزُ . يعنى : القوىُّ الذى لا يُعْجِزُه شئٌ أرادَه ، فافعلْ بنا وبذُرِّيَّتِنا ما سألْناه وطلَبْناه منك . والحكيمُ الذى لا يَدْخُلُ تدبيرَه خَلَلٌ ولا زَلَلٌ ، فأَعْطِنا ما يَنْفَعُنا وينفعُ ذُرِّيَّتَنا ، ولا يَنْقُصُك ولا يَنْقُصُ خزائنَك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ .

يعْنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ : وأىُّ الناسِ يَزْهَدُ فى ملَّةِ إبراهيمَ ويترُكُها رغبةً عنها إلى غيرِها . وإنما عنَى اللَّهُ بذلك اليهودَ والنصارَى لاختيارِهم ما اختارُوا مِن اليهوديَّةِ والنَّصْرانيةِ على الإسلامِ ؛ لأن ملَّةَ إبراهيمَ هى الحنيفيَّةُ المُسْلِمةُ ، كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ [آل عمران : ٦٧] فقال تعالى ذكرُه لهم : ومَن يَزْهَدُ فى ملَّةِ إبراهيمَ الحنيفيَّةِ المسلمةِ إلَّا مَن سفِه نفسَه .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ : رغِب عن ملَّتِه اليهودُ والنصارَى ، واتَّخذوا اليهوديةَ والنصرانيةَ بدعةً ليستْ مِن اللَّهِ ، وترَكوا ملةَ إبراهيمَ ، يعنى الإسلامَ حنيفًا ، [٥١/٤ظ] كذلك بعَث اللَّهُ نبيَّه محمدًا ﷺ بملةِ إبراهيمَ[٢] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٩/١ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٨/١ عقب الأثر (١٢٧٠) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٩/١ إلى عبد بن حميد .

حُدِّثتُ عن عمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن / مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ قال : رغِبت اليهودُ والنصارَى عن ملةِ إبراهيمَ وابْتَدَعوا اليهوديةَ والنصرانيةَ وليستْ مِن اللَّهِ ، وترَكوا ملةَ إبراهيمَ الإسلامَ[1] . ٥٥٩/١

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ .

يعْنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ : إلَّا مَن سفِهت نفسُه . وقد بيَّنَّا فيما مضَى أن معنى السفَهِ الجهلُ[2] . فمعنى الكلامِ : وما يَرْغَبُ عن ملةِ إبراهيمَ الحنيفيَّةِ إلَّا سفيهٌ جاهلٌ بموضعِ حظِّ نفسِه فيما يَنْفَعُها ويَضُرُّها فى مَعَادِها .

كما حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ قال : إلَّا مَن أخطأَ حظَّه[3] .

وإنما نصَب « النفسَ » على معنى المفسَّرِ ؛ وذلك أن « السفَهَ » فى الأصلِ للنفسِ ، فلمَّا نُقِل إلى « مَن » نُصِبت « النفسُ » بمعنى التفسيرِ[4] ، كما يقالُ : هو أوسعُكم دارًا . فتدخلُ الدارُ فى الكلامِ على أن السَّعةَ فيها لا فى الرجلِ ، فكذلك النفسُ ، أُدْخِلت لأن السفهَ للنفسِ لا لـ « مَن » ، ولذلك لم يَجُزْ أن يقالَ : نفسَه[5] سَفِه أخوك . وإنما جاز أن يُفَسَّرَ بالنفْسِ وهى مضافةٌ إلى معْرفةٍ ؛ لأنها فى تأويلِ نكرةٍ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٨/١ (١٢٧٠) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية من قوله .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٣٠٢.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٩/١ إلى المصنف .

(٤) يريد بالتفسير هنا التمييز . مصطلحات النحو الكوفى ص ٢٩ .

(٥) سقط من : م .

وقد قال بعضُ نحويِّى البصرةِ : إن قولَه : ﴿ سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ جرَت مَجْرَى « سفه » إذا كان الفعلُ غيرَ مُتَعَدٍّ ، وإنما عدَّاه إلى « نفسِه » و « رأيِه » وأشباهِ ذلك مما هو فى المعنى نحوُ « سَفِه » ، إذا هو لم يَتَعَدَّ ، فأمَّا « غبِن » و « خسِر » فقد يَتَعَدَّى إلى غيرِه ، يقال : غبِن خمسين وخسِر خمسين .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ : ولقد اصطفَيْنا إبراهيمَ . والهاءُ التى فى قولِه : ﴿ ٱصْطَفَيْنَٰهُ ﴾ مِن ذكْرِ إبراهيمَ .

والاصطفاءُ الافتعالُ ، مِن الصفوةِ ، وكذلك « اصطفيْنا » : افتعلْنا ، منه ، صُيِّرت تاؤُها طاءً لقربِ مخرجِها مِن مخرجِ الصادِ .

ويعْنى بقولِه : ﴿ ٱصْطَفَيْنَٰهُ ﴾ : اخترْناه ، واجْتبيْناه للخُلَّةِ ، ولنُصَيِّرَه فى الدنيا لمَنْ بعدَه إمامًا . وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن أن مَن خالف إبراهيمَ فيما سنَّ لِمَن بعدَه فهو للَّهِ مخالفٌ ، وإعلامٌ منه خلقَه أن مَن خالف ما جاء به محمدٌ ﷺ ، فهو لإبراهيمَ مخالفٌ ، وذلك أن اللَّهَ تعالى ذكرُه أخبرَ أنه [٤/٥٢و] اصطفاه لخُلَّتِه ، وجعَله للناسِ إمامًا ، وأخبرَ أن دينَه كان الحنيفيَّةَ المسلمةَ ، ففى ذلك أوضحُ البيانِ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن أن مَن خالفه فهو للَّهِ عدوٌّ ، لمخالفتِه الإمامَ الذى نصَبه لعبادِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ : وإن إبراهيمَ فى الدارِ الآخرةِ لمن الصالحين ، والصالحُ مِن بنى آدمَ هو المُؤَدِّى حقوقَ اللَّهِ عليه . فأخبرَ تعالى ذكرُه عن إبراهيمَ خليلِه أنه فى الدنيا له صَفِىٌّ ، وفى الآخرةِ ولىٌّ ، وأنه واردٌ مواردَ أوليائِه المُوفِين بعهدِه .

٥٦٠/١ / **القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ**

ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقولِه : ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ ﴾ : إذ قال لإبراهيمَ[1] ربُّه : أَخْلِصْ لىَ العبادةَ ، واخْضَعْ لى بالطاعةِ .

وقد دلَّلنا فيما مضَى على معنى « الإسلامِ » فى كلامِ العربِ ، فأغْنى ذلك عن إعادتِه[2] .

وأمَّا معنى قولِه : ﴿ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فإنه يعنى تعالى ذكرُه : قال إبراهيمُ مُجيبًا لربِّه : خضَعتُ بالطاعةِ ، وأخلَصتُ العبادةَ لمالكِ جميعِ الخلائقِ ومُدَبِّرِها دونَ غيرِه .

فإن قال قائلٌ : قد علِمتَ أنَّ « إذ » وقتٌ ، فما الذى وُقِّتَ به ، وما الذى جلبَه[3] ؟ . قيل : هو صلةٌ لقولِه : ﴿ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ . وتأويلُ الكلامِ[4] : ولقد اصْطَفَيناه فى الدنيا حين قال ربُّه : أسلِمْ . قال : أسْلَمْتُ لربِّ العالمين . وإنَّما معنى الكلامِ[4] : ولقد اصْطَفَيناه فى الدنيا حين قلنا له : أسْلِمْ . قال : أسلمتُ لربِّ العالمين . فأظْهَر اسمَ اللَّهِ تعالى ذكرُه فى قولِه : ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ ﴾ على وجهِ الخبرِ عن غائبٍ ، وقد جرَى ذكرُه قبلُ على وجهِ الخبرِ عن نفسِه ، كما قال خُفَافُ ابنُ نُدْبَةَ[5] :

أقُولُ لَهُ والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ تَأَمَّلْ خُفَافًا إنَّنِى أنا ذَالِكا

فإن قال لنا قائلٌ : وهل دعا اللَّهُ جل ثناؤه إبراهيمَ إلى الإسلامِ . قيل له[6] :

---

(١) فى م : « له » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٤٣١، ٤٣٢.

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « صلته » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) تقدم تخريجه فى ١/ ٢٣٠ .

(٦) زيادة من : م .

نعم ، قد دعاه إليه .

فإن قال : وفي أيِّ حالٍ دعاه إليه ؟ قيل : حينَ قال : ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[الأنعام: ٧٨، ٧٩] . وذلك هو الوقتُ الذى قال له ربُّه : أسلِمْ . مِن بعدِ ما امتحَنه بالكوكبِ[(١)] والقمرِ والشمسِ .

[٥٢/٤ظ] **القول في تأويلِ قولِه جل ثناؤُه** : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ ﴾ : ووصَّى بهذه الكلمةِ ، أعنى بالكلمةِ قولَه : ﴿ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [(٢)]وهى[(٢)] الإسلامُ الذى أمَر به نبيَّه ﷺ ، وهى إخلاصُ العبادةِ والتوحيدِ للَّهِ ، وخضوعُ القلبِ والجوارحِ له .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ ﴾ : عهِد إليهم بذلك وأمرَهم به .

وأمَّا قولُه : ﴿ وَيَعۡقُوبُ ﴾ فإنه يعنى : ووصَّى بذلك أيضًا يعقوبُ بَنِيه .

كما حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ ﴾ يقولُ : ووصَّى بها يعقوبُ بَنِيه بعد إبراهيمَ[(٣)] .

وحدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمِّى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ ﴾ : وصَّاهم بالإسلامِ ، ووصَّى يعقوبُ بمثلِ ذلك[(٤)] .

---

(١) فى م : « بالكواكب » .

(٢ - ٢) فى م : « وهو » .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٩/١ عقب الأثر (١٢٧٦) معلقًا .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٩/١ (١٢٧٥، ١٢٧٦) عن محمد بن سعد به .

/ وقال بعضُهم : قولُه ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ ﴾ خبرٌ مُنْقَضٍ . وقولُه : ﴿ وَيَعْقُوبُ ﴾ خبرٌ مُبْتَدَأٌ ، كأنه[1] قال : ووَصَّى بها إبراهيمُ بَنيه بأنْ يقولوا : أسلَمْنا لربِّ العالمين . ووصَّى يعقوبُ بَنيه أنْ : يا بنيَّ إن اللهَ اصْطَفَى لكم الدينَ فلا تموتُنَّ إلَّا وأنتم مسلمون . ٥٦١/١

ولا معنى لقولِ مَن قال ذلك ؛ لأنَّ الذى أوْصَى به يعقوبُ بَنيه نظيرُ الذى أوصَى به إبراهيمُ بَنيه مِن الحَثِّ على طاعةِ اللَّهِ والخضوعِ له والإسلامِ .

فإن قال قائلٌ : فإنْ كان الأمرُ [2]على ما[2] وصفتَ مِن أنَّ معناه : ووصَّى بها إبراهيمُ بَنِيه ويعقوبُ أن يا بنيَّ . فما بالُ « أنْ » محذوفةً مِن الكلامِ ؟

قيل : لأن الوصيةَ قولٌ ، فحُمِلت على معناها ، وذلك أن ذلك لو جاء بلفظِ القولِ[3] لم تَحْسُنْ معه « أن » ، وإنما كان يقالُ : وقال إبراهيمُ لبَنِيه ويعقوبُ : يابَنيَّ . فلمَّا كانت الوصيةُ قولًا حُملتْ على معناها دونَ لفظِها ، فحُذفتْ « أن » التى تَحْسُنُ معَها ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١١] . وكما قال الشاعرُ[4] :

إنِّى سَأُبْدى لَكَ فيما أُبْدِى
لِى شَجَنانِ شَجَنٌ[5] بنَجْدِ
وشَجَنٌ لى بِبِــــلادِ السِّنْدِ

---

(١) فى م : « فإنه » .

(٢ - ٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « كما » .

(٣) فى الأصل : « القرآن » .

(٤) معانى القرآن ١/ ٨٠، ١٨٠، واللسان (ش ج ن) بغير نسبة .

(٥) الشجَن : الحاجة أينما كانت . اللسان (ش ج ن) .

فحُذِفت « أنْ » إذ كان الإبداءُ باللسانِ فى المعنى قولًا ، فحمَله على معناه دونَ لفظِه .

وقد قال بعضُ أهلِ العربيةِ : إنما حُذفتْ « أن » من قولِه : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ اكتفاءً بالنِّداءِ . يعنى بالنداءِ قولَه : ﴿ يَٰبَنِىَّ ﴾ وزعَم أن علَّتَه فى ذلك أن مِن شأنِ العربِ الاكتفاءَ بالأدواتِ من[1] « أنْ » ، كقولِهم : ناديتُ هل [٥٣/٤و] قمتَ ؟ وناديتُ أين زيدٌ ؟ . قال : وربَّما أدْخَلوها مع الأدواتِ فقالوا : ناديتُ أن هل قمتَ ؟ .

وقد قرَأ جماعةٌ مِن القَرَأَةِ : (وأوصَى بها إبراهيمُ)[2] . بمعنى : عهِد .

وأمّا مَن قرَأ : ﴿ وَوَصَّىٰ ﴾ مشدَّدةً ، فإنه يعنى بذلك أنه عهِد إليهم عهدًا بعد عهدٍ ، وأوصَى وصيةً بعد وصيةٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾ : إن اللَّهَ اختار لكم هذا الدِّينَ الذى [3]عَهِدنا فيه إليكم[3] ، واجتباه لكم . وإنما أدخَل الألفَ واللامَ فى ﴿ ٱلدِّينَ ﴾ ؛ لأن الذين خُوطبوا مِن ولدِهما وبَنِيهما بذلك كانوا قد عرَفوه بتوصيتِهما إيَّاهم به ، وعهدِهما إليهم فيه ، ثم قالا لهم بعد أن عرّفاهموه : إنَّ اللَّهَ اصطفَى لكم هذا الدينَ الذى قد عهِدنا إليكم فيه ، فاتَّقوا[4] أن تموتوا إلَّا وأنتم عليه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ .

إن قال لنا قائلٌ : أوَ إلى بنى آدمَ الموتُ والحياةُ فيُنْهَى أحدُهم أن يموتَ إلَّا على حالةٍ دونَ حالةٍ ؟

---

(١) فى م ، ت ١: « عن » .

(٢) وهى قراءة نافع وابن عامر ، والباقون بدون همز وتشديد الصاد . السبعة لابن مجاهد ص ١٧١.

(٣ - ٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عهد إليكم فيه » .

(٤) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « اللَّه » .

قيل له : إن معنى ذلك على غيرِ الوجهِ الذى ظننتَ ، وإنما معناه : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أى : فلا تُفارِقُنَّ هذا الدِّينَ – وهو الإسلامُ – أيامَ حياتِكم ، وذلك أن أحدًا لا يَدْرِى متى تأتيه مَنِيَّتُه ، فلذلك قالا لهم : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ لأنكم لاتدرون متى تأتيكم مَناياكم مِن ليلٍ أو نهارٍ ، فلا تُفارِقوا الإسلامَ فتأتيَكم مناياكُم وأنتم على غيرِ الدِّينِ الذى اصطفاه لكم ربُّكم فتموتوا وربُّكم عليكم ساخطٌ ، فتَهْلِكوا .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ . ٥٦٢/١

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ﴾ : أكنتُم شهداءَ[1] . ولكنَّه اسْتَفْهم بـ « أمْ » إذ كان استفهامًا مستأنَفًا على كلامٍ قد سبَقه ، كما قيل : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ [٥٣/٤ظ] ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [السجدة : ١-٣] . وكذلك تفعلُ العربُ فى كلِّ استفهامٍ ابتدأْته بعدَ كلامٍ قد سبَقه ، تَستفهِمُ فيه بـ « أمْ » .

والشهداءُ جمعُ شهيدٍ ، كما الشُّركاءُ جمعُ شَرِيكٍ ، والخُصَماءُ جمعُ خَصيمٍ .

وتأويلُ الكلامِ : أكنتُم يا معشرَ اليهودِ والنصارى المُكذِّبين بمحمدٍ ﷺ ، الجاحدِين نبوَّتَه – حُضورَ يعقوبَ وشُهودَه إذ حضَره الموتُ . أى : إنَّكم لم تحْضُروا ذلك ، فلا تَدَّعوا على أنبيائى ورُسُلى الأباطيلَ ، وتَنْحُلوهم اليهوديَّةَ والنَّصرانيةَ ، فإنّى ابْتَعَثْتُ خليلى إبراهيمَ وولدَه إسحاقَ وإسماعيلَ وذُرِّيَّتَهم بالحنيفيَّةِ المسلمةِ ، وبذلك وصَّوْا بَنِيهم ، وبه عهِدوا إلى أولادِهم مِن بعدِهم ، فلو حضَرْتُموهم فسمِعتُم منهم علِمْتُم أنَّهم على غيرِ ما تَنْحُلونهم مِن الأديانِ والمِلَلِ[2] .

---

(١) سقط من : م .

(٢) بعده فى م : « من بعدهم » .

وهذه الآياتُ نزَلت تكذيبًا مِن اللَّهِ تعالى لليهودِ والنصارى فى دعواهم إبراهيمَ وولدَه و[1] يعقوبَ أنَّهم كانوا على ملَّتِهم ، فقال لهم فى هذه الآيةِ : ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ فتَعْلَموا ما قال لولدِه ، وقال له ولدُه ؟ ثم أعلَمَهم ما قال لهم وقالوا له .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ : يعنى أهلَ الكتابِ[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ : إذ قال يعقوبُ لبَنِيه . و ﴿إِذْ﴾ هذه مُكَرَّرةٌ إبدالًا مِن ﴿إِذْ﴾ الأُولى ، بمعنى : أم كنتُم شهداءَ يعقوبَ إذ قال يعقوبُ لبَنِيه حينَ حضورِ موتِه ؟ .

ويعنى بقولِه : ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى﴾ : أىَّ شىءٍ تَعْبُدون مِن بعدِى ؟ أى : مِن بعدِ وفاتى ؟ ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ﴾ يعنى به : قال بَنُوه له : نَعْبُدُ معبودَك الذى تعبُدُه ، ومعبودَ آبائِك إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ أى : نُخْلِصُ له العبادةَ ، ونُوَحِّدُ له الرُّبُوبِيَّةَ ، فلا نشرِكُ به شيئًا ولا نتَّخذُ دونَه ربًّا .

ويعنى بقولِه : ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: ونحن له خاضِعون بالعبودةِ والطاعةِ .

---

(١) سقط من : م .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٣٩ (١٢٧٨) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية من قوله .

ويَحتَمِلُ قولُه : ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ أن تكونَ بمعنى الحالِ ، كأنهم قالوا : نعبُدُ إلهَكَ مُسلمينَ له بطاعتِنا وعبادتِنا إيَّاه . ويَحتمِلُ أن يكونَ خبرًا مُستأنفًا ، فيكونَ بمعنى : نعبدُ إلهَك بعدَك ، ونحن له الآن وفى كلِّ حالٍ مسلمون .

٥٦٣/١ / **قال أبو جعفرٍ** : وأحسنُ هذين الوجهين فى تأويلِ ذلك أن يكونَ بمعنى الحالِ ، وأن يكونَ بمعنى : نعبُدُ إلهَك وإلهَ آبائِك إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ مسلمينَ لعبادتِه .

وقيل : إنما قُدِّم ذكرُ إسماعيلَ على إسحاقَ ؛ لأن إسماعيلَ كان أسنَّ مِن إسحاقَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ بنُ [٥٤/٤و] عبدِ الأعلى ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ قال : يُقالُ : بدَأ بإسماعيلَ لأنه أكبرُ[١] .

وقرَأ بعضُ القرأةِ[٢] : (وَإِلَه أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ)[٣] . ظنًّا منه أن إسماعيلَ إذ كان عمًّا ليعقوبَ ، فلا يجوزُ أن يكونَ فى من تُرْجِم به عنِ الآباءِ وداخلًا فى عِدادِهم . وذلك من قارئِه[٤] كذلك قِلَّةُ علم منه بمَجارِى كلامِ العربِ ، والعربُ لا تَمْتَنِعُ مِن أن تَجْعَلَ الأعمامَ بمعنى الآباءِ ، والأخوالَ بمعنى الأُمَّهاتِ ، فلذلك دخَل إسماعيلُ فى مَن تُرْجِم به عن الآباءِ .

و ﴿ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ ترجمةٌ عن الآباءِ فى موضعِ جرٍّ ، ولكنَّهم نُصِبوا بأنهم[٥] لا يُجْرَون .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٩/١ إلى المصنف .

(٢) فى م : « المتقدمين » .

(٣) هى قراءة ابن عباس والحسن وابن يَعمر والجحدرى وأبى رجاء . ينظر البحر المحيط ٤٠٢/١ .

(٤) فى الأصل : « قراءته » .

(٥) فى م ، ت١ ، ت٢ : « لأنهم » .

والصوابُ مِن القراءةِ عندنا فى ذلك : ﴿ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ ﴾ لإجماعِ القَرَأةِ على تصويبِ ذلك وشذوذِ مَن خالَفه مِن القَرَأةِ ممَّن قرَأ خلافَ ذلك .

ونُصِب قولُه : ﴿ إِلَٰهًا﴾ على الحالِ من قولِه : ﴿ إِلَٰهَكَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ وولدَهم . يقولُ لليهودِ والنصارى : يا معشرَ اليهودِ والنصارى ، دَعُوا ذكْرَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والمسلمينَ مِن أولادِهم بغيرِ ما هم أهلُه ، ولا تَنْحُلوهم [(١] الكفرَ و [١)] اليهوديَّةَ والنصرانيَّةَ فتُضِيفُوها إليهم ، فإنهم أُمَّةٌ - ويعنى بالأُمَّةِ فى هذا الموضعِ الجماعةَ والقرنَ مِن الناسِ - ﴿ قَدْ خَلَتْ ﴾ : قد [(٢)] مضَت لسبيلِها .

وإنما يقالُ للذى قد مات فذهَب : قد خلَا . لتخلِّيه مِن الدنيا ، وانفرادِه مما [(٣)] كان مِن الأُنْسِ بأهلِه وقُرَنائِه فى دنياه ، وأصلُه مِن قولِهم : خلا الرجلُ . إذا صار إلى المكانِ الذى لا أنيسَ له فيه وانفرَد مِن الناسِ ، فاسْتُعمِل ذلك فى الذى يموتُ على ذلك الوجهِ .

ثم قال تعالى ذكْرُه لليهودِ والنصارى : إن لـمَن نحَلْتُموه ضلالكم [(٤)] وكفرَكم الذى أنتم عليه مِن أنبيائى ورسلى ما كسَب [(٥)] .

(١ - ١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كفر » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بما » .

(٤) فى م ، ت ٣ : « بضلالكم » .

(٥) فى م : « كسبت » .

والهاءُ والألفُ فى قولِه : ﴿ لَهَا ﴾ عائدةٌ إن شئتَ على ﴿ تِلْكَ ﴾ ، وإن شئتَ على ﴿ أُمَّةٌ ﴾ .

ويعنى بقولِه : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ أى : ما عمِلت مِن خيرٍ ، ولكم يا معشرَ اليهودِ والنصارى مثلُ ذلك ما عمِلتم ، ولا تُؤاخَذون أنتم أيها [(1)] الناحِلوهم ما تنحُلونهم [(1)] من المِلَلِ ، فتُسألوا عمَّا كان إبراهيمُ وإسماعيلُ وإسحاقُ ويعقوبُ وولدُهم يعمَلون فيكسِبون مِن خيرٍ [٥٤/٤ظ] وشرٍّ ؛ لأن لكلِّ نفسٍ ما كسَبت ، وعليها ما اكتسَبت ، فدَعُوا انتحالَهم وانتحالَ مِلَلِهم ، فإن الدعاوَى غيرُ مُغْنِيَتِكم عندَ اللَّهِ شيئًا [(2)] ، وإنما يُغْنى عنكم عنده ما سلَف لكم مِن صالحِ أعمالِكم إن كنتم عمِلتموها وقدَّمْتُموها أمامَكم [(2)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا ﴾ .

/ يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا ﴾ : وقالتِ اليهودُ لمحمدٍ ﷺ وأصحابِه من المؤمنين : كونوا يهُودًا تَهْتَدُوا . وقالتِ النصارَى لهم : كونوا نَصارَى تَهْتَدُوا . ويعنى بقولِه : ﴿ تَهْتَدُوا ﴾ . أى : تُصِيبوا طريقَ الحقِّ . ٥٦٤/١

كما **حدَّثنا** أبو كُريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيرٍ ، **وحدثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، جميعًا عن ابنِ إسحاقَ ، قال : حدثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال: حدثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ ابنُ صُوريا الأعورُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ : ما الهُدَى إلا ما نحن عليه ، فاتَّبِعْنا يا محمدُ تَهْتَدْ . وقالتِ النصارَى مثلَ ذلك ، فأَنزل اللَّهُ فيهم : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ

(١ - ١) فى م ، ت ١ ، ت ٣: « الناحلون مانحلتموهم » ، وفى ت ٢: « الناحلون ما ينحلونهم » .
(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢، ت ٣.

نَصَـٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[(١)] .

فاحتجَّ اللَّهُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ أبلغَ حُجةٍ وأوجزَها وأكملَها ، وعلَّمها محمدًا نبيَّه ﷺ فقال : يا محمدُ ، قل للقائلين لك من اليهودِ والنصارَى ولأصحابِك : كونوا هُودًا أو نَصارَى تَهْتَدُوا -: بل تعالَوْا فلنَتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيمَ التى يُجْمِعُ[(٢)] جميعُنا على الشهادةِ لها بأنها دينُ اللَّهِ الذى ارْتَضاه واجْتَباه وأمَر به ، فإنَّ دينَه كان الحَنِيفيةَ المسلِمةَ ، ونَدَعْ سائرَ المللِ التى نَخْتَلِفُ فيها فيُنكرُها بعضُنا ويُقِرُّ بها بعضُنا ، فإن ذلك على اختلافِه لا سبيلَ لنا إلى[(٣)] الاجتماعِ عليه ، كما لنا السبيلُ إلى الاجتماعِ على ملةِ إبراهيمَ .

وفى نَصْبِ قولِه : ﴿ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾ أوجُهٌ ثلاثةٌ :

أحدُها : أن يُوَجَّهَ معنى قولِه : ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَـٰرَىٰ ﴾ إلى معنى : وقالوا : اتَّبِعُوا اليهوديةَ والنصرانيةَ . لأنهم إذ قالوا : ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَـٰرَىٰ ﴾ إلى اليهوديةِ والنصرانيةِ دَعَوْهم ، ثم يُعطَفُ على ذلك المعنى بالملةِ ، فيكونُ معنى الكلامِ حينئذٍ : قلْ يا محمدُ : لا نتبعُ اليهوديةَ والنصرانيةَ ، ولا نتَّخِذُها ملةً ، بل نتَّبعُ ملةَ إبراهيمَ حنيفًا . ثم يُحذَفُ « نتَّبعُ » الثانيةُ ، ويُعطَفُ بالملةِ على إعرابِ « اليهوديةِ » و « النصرانيةِ » .

والآخرُ : أن يكونَ نَصْبُه بفعلٍ مُضْمَرٍ بمعنى « نَتَّبِعُ » .

والثالثُ : أن يكونَ أُريدَ : بل نكونُ أصحابَ ملةِ إبراهيمَ ، أو أهلَ ملةِ إبراهيمَ . ثم حذَف الأهلَ والأصحابَ ، وأُقِيمتِ الملةُ [٤/٥٥و] مُقامَهم ، إذ كانت مُؤَديةً عن

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٤٩ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٤١ (١٢٩٠) من طريق يونس به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٤٠ إلى ابن المنذر . وينظر تفسير البغوى ١/ ١٥٥، وتفسير ابن كثير ١/ ٢٧١.

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « تجمع » .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « على » .

معنى الكلامِ ، كما قال الشاعرُ[(١)] :

حَسِبْتَ بُغامَ راحلتى عَناقًا وما هى وَيْبَ غيرِكَ بالعَناقِ

يعنى صوتَ عَناقٍ . فتكونُ الملةُ حينئذٍ منصوبةً عطفًا فى الإعرابِ على اليهودِ والنصارَى . وقد يجوزُ أن يكونَ منصوبًا على وجهِ الإغراءِ باتباعِ ملةِ إبراهيمَ .

وقرَأ بعضُ القَرَأةِ ذلك رفعًا[(٢)] ، فتأويلُه على قراءةِ من قرَأه رفعًا : بل الهُدى ملةُ إبراهيمَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ .

والمِلَّةُ الدينُ ، وأما الحَنِيفُ فإنه المستقيمُ من كلِّ شىءٍ . وقد قيل : إن الرجلَ الذى تُقْبِلُ إحدى قدمَيْه على الأخرى إنما قيل له : أَحْنَفُ . نظرًا له إلى السلامةِ ، كما قيل للمَهْلَكةِ من البلادِ : المَفَازَةُ . بمعنى الفوزِ بالنجاةِ فيها[(٣)] والسلامةِ ، وكما قيل لِلَّديغِ : السَّليمُ . تفاؤُلًا له بالسلامةِ من الهلاكِ ، وما أَشبهَ ذلك .

/ فمعنى الكلامِ إذن : قلْ يا محمدُ : بل نَتَّبِعُ ملةَ إبراهيمَ مستقيمًا . فيكونُ « الحنيفُ » حينئذٍ حالًا من « إبراهيمَ » . ٥٦٥/١

وأما أهلُ التأويلِ ، **فإنهم اختلَفوا فى تأويلِ ذلك ، فقال بعضُهم** : الحَنِيفُ الحاجُّ . وقال[(٤)] : إنما سُمِّى دينُ إبراهيمَ الإسلامَ الحَنِيفيةَ ؛ لأنه أوّلُ إمامٍ لَزِم العِبادَ الذين كانوا فى عصْرِه ، والذين جاءُوا بعدَه إلى يومِ القيامةِ - اتباعُه فى مناسكِ الحجِّ ، والائتمامُ به فيه . قالوا : فكلُّ من حجَّ البيتَ فنَسَك مَناسِكَ إبراهيمَ على ملتِه ، فهو حَنِيفٌ مسلمٌ على دينِ إبراهيمَ .

---

(١) تقدم فى ص ٢٦٥ .

(٢) هى قراءة ابن هرمز الأعرج وابن أبى عبلة وابن جندب . ينظر مختصر ابن خالويه ص ١٧، والبحر المحيط ١/ ٤٠٦.

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « منها » .

(٤) فى م ، ت ٢، ت ٣: « قيل » .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنا محمدُ بنُ بشّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ ، قال : ثنا القاسمُ بنُ الفضلِ ، عن كَثيرٍ أبى سهلٍ ، قال : سألتُ الحسنَ عن الحَنيفيةِ ، قال : حجُّ البيتِ .

وحدثنى محمدُ بنُ عُمارةَ[1] الأسدىُّ ، قال : ثنا عبيدُ[2] اللَّهِ بنُ موسى ، قال : أخبرَنا فُضَيلٌ ، عن عطيةَ فى قولِه : ﴿ حَنِيفًا ﴾ قال : الحَنيفُ الحاجُّ[3] .

وحدثنى الحسينُ بنُ علىٍّ الصُّدائىُّ ، قال : ثنا أبى ، عن الفُضَيلِ ، عن عطيةَ مثلَه .

وحدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حَكّامُ بنُ سلمٍ[4] ، عن عَنْبسةَ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن القاسمِ بنِ أبى بَزَّةَ ، عن مجاهدٍ ، قال : الحَنيفُ الحاجُّ .

وحدثنى الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا ابنُ التَّيْمِىِّ ، عن كَثيرِ بنِ زيادٍ ، قال : سألتُ الحسنَ عن الحَنيفيةِ ، قال : هو حَجُّ هذا البيتِ . قال ابنُ التَّيْمِىِّ : وأخبرَنى جُويبرٌ ، عن الضحاكِ [٤/٥٥ظ] بنِ مُزاحِمٍ مثلَه[5] .

وحدثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا ابنُ مَهْدِىٍّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن السدىِّ ، عن مجاهدٍ ﴿ حُنَفَآءَ ﴾ [الحج: ٣١] قال : حُجّاجًا[6] .

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «عبادة».

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «عبد».

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤١، عقب الأثر (١٢٩١) معلقا .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «سالم».

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٩.

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٩/٤ إلى عبد بن حميد وهو فى تفسير سفيان ص ٢١٢ عن السدى من قول ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤١/١ عقب الأثر (١٢٩١) من طريق أسباط ، عن السدى . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٤٠، ٣٥٩/٤ إلى ابن المنذر عن السدى .

وحدثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ حَنِيفًا ﴾ قال : حاجًّا[(١)] .

حدِّثت عن وكيعٍ ، عن فُضَيلِ بنِ غَزْوانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ القاسمِ ، قال : كان ناسٌ[(٢)] من مُضَرَ يَحُجُّون البيتَ في الجاهليةِ يُسَمَّوْن حُنفاءَ ، فأنزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾[(٣)] .

وقال آخرون : الحَنِيفُ المتَّبِعُ . كما وصَفْنا قبلُ مِن قولِ الذين قالوا : إن معناه الاستقامةُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنا محمدُ بنُ بشّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ حُنَفَآءَ ﴾ قال : مُتَّبِعِين[(٤)] .

وقال آخرون : إنما سُمِّي دينُ إبراهيمَ الحنيفيةَ ؛ لأنه أوّلُ إمامٍ سَنَّ للعبادِ الخِتانَ ، فاتَّبعه مَن بعدَه عليه . قالوا : فكلُّ مَن اخْتَتَنَ على سبيلِ اخْتِتانِ إبراهيمَ ، (٥) وهو (٥) على ما كان عليه إبراهيمُ من الإسلامِ ، فهو حَنيفٌ على ملةِ إبراهيمَ .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤١/١ (١٢٩١) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٩/٤ إلى ابن المنذر .

(٢) في م ، ت ١، ت ٢: « الناس » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٩/٤ إلى ابن أبي حاتم .

(٤) تفسير سفيان ص ٢١٢، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤١/١ (١٢٩٢) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٩/٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٥ - ٥) في م : « فهو » .

٥٦٦/١ / وقال آخرون : قولُه : ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ﴾ : بل ملةَ إبراهيمَ مُخلِصًا . فالحَنيفُ على قولِهم ، المُخْلِصُ دينَه للَّهِ وحدَه .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء: ١٢٥] . يقولُ : مخْلِصًا[(١)] .

وقال آخرون : بل الحَنيفيةُ الإسلامُ ، فكلُّ مَن ائتَمَّ بإبراهيمَ فى مِلَّتِه فاستقام عليها فهو حَنيفٌ .

قال أبو جعفرٍ : والحَنيفُ عندى هو الاستقامةُ على دينِ إبراهيمَ واتباعُه على مِلَّتِه ، وذلك أن الحَنيفيةَ لو كانت حجَّ البيتِ ، لوجَب أن يكونَ الذين كانوا يَحُجُّونه فى الجاهليةِ من أهلِ الشركِ كانوا حنفاءَ ، وقد نَفَى اللَّهُ جل ثناؤه أن يكونَ ذلك تَحَنُّفًا بقولِه : ﴿ وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧] . وكذلك القولُ فى الختانِ ؛ لأن الحَنيفيةَ لو كانت هى الخِتانَ ، لوجَب أن يكونَ اليهودُ حنفاءَ ، وقد أخرجَهمُ اللَّهُ من ذلك بقولِه : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ [آل عمران: ٦٧] . فقد صحَّ إذن أن الحنيفيةَ ليست الختانَ وحدَه ، ولا حجَّ البيتِ وحدَه ، ولكنّه هو ما وصَفْنا من الاستقامةِ على ملةِ إبراهيمَ واتباعِه عليها والائتمامِ به فيها .

فإن قال قائلٌ : أَوَما كان مَن كان قبلَ إبراهيمَ عليه السلامُ من الأنبياءِ وأتباعِهم مستقيمين على ما أُمِروا به من طاعةِ اللَّهِ استقامةَ إبراهيمَ وأتباعِه ؟ قيل : بلى .

فإن قال قائلٌ : فكيف أُضِيفَ الحَنيفيةُ إلى إبراهيمَ وأتباعِه على مِلَّتِه خاصةً دونَ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٧٤/٤ (٦٠١١) من طريق أحمد بن المفضل به .

سائرِ الأنبياءِ قبلَه وأتباعِهم ؟

قيل : إن كلَّ مَن كان قبلَ إبراهيمَ من الأنبياءِ كان حنيفًا مُتَّبِعًا طاعةَ اللَّهِ ، ولكنَّ اللَّهَ تعالى ذكرُه لم يَجعلْ أحدًا منهم إمامًا لمن بعدَه من عِبادِه إلى قيامِ الساعةِ ، كالذى فعَل مِن ذلك بإبراهيمَ ، فجعَله إمامًا فيما بيَّنه من مناسكِ الحجِّ [٥٦/٤و] والختانِ ، وغيرِ ذلك من شرائعِ الإسلامِ - يُقتدَى[1] به أبدًا إلى قيامِ الساعةِ ، وجعَل ما سنَّ من ذلك علَمًا مُميِّزًا بين مؤمِنى عبادِه وكفارِهم ، والمطيعِ منهم له والعاصى ، فسُمِّىَ الحنيفُ من الناسِ حنيفًا باتِّباعِه مِلَّته واستقامتِه على هَدْيِه ومِنهاجِه ، وسُمِّى الضَّالُّ عن ملَّتِه بسائرِ أسماءِ المللِ ، فقيل : يهودىٌّ ونصرانىٌّ ومَجوسىٌّ ، وغيرُ ذلك من صنوفِ المللِ .

وأما قولُه : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ . فإنه يقولُ : إنه لم يكنْ ممن يَدِينُ بعبادةِ الأوثانِ والأصنامِ ، ولا كان من اليهودِ ولا من النصارَى ، بل كان حنيفًا مسلمًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ .

/ يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : قولوا أيُّها المؤمنون لهؤلاء اليهودِ والنصارَى الذين قالوا لكم : كونوا هُودًا أو نصارَى تَهتدُوا -: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ . أى : صدَّقْنا . ٥٦٧/١

وقد دلَّلْنا فيما مضَى على أن معنى الإيمانِ التصديقُ ، بما أَغنى عن إعادتِه[2] .

﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ يقولُ : وصدَّقْنا أيضًا بالكتابِ الذى أَنزَل اللَّهُ إلى نبيِّنا محمدٍ ﷺ . فأضاف الخطابَ بالتنزيلِ إليهم ، إذ كانوا مُتَّبِعيه ومأمورين مَنْهِيِّين به ، فكان وإن كان تنزيلًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ - بمعنى التنزيلِ إليهم لِلذى لهم فيه من

---

(١) فى م : « تعبدا » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٤٠ ، ٢٤١ .

المعانى التى وَصَفْتُ .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ : وصدَّقْنا أيضًا وآمَنّا بما أُنزِل إلى إبراهيمَ وإلى إسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ . وهم الأنبياءُ من ولدِ يعقوبَ .

وقولُه : ﴿ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ يعنى : وآمَنّا أيضًا بالتوراةِ التى آتاها اللَّهُ موسى ، وبالإنجيلِ الذى آتاه عيسى ، والكتبِ التى آتى النبيِّين كلَّهم ، وأَقْرَرْنا وصدَّقْنا أن ذلك كلَّه حقٌّ وهُدًى ونورٌ من عندِ اللَّهِ ، وأن جميعَ مَن ذكَر اللَّهُ من أنبيائِه كانوا على حقٍّ وهُدًى يُصَدِّقُ بعضُهم بعضًا على مِنهاجٍ واحدٍ فى الدعاءِ إلى توحيدِ اللَّهِ والعملِ بطاعتِه .

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ . يقولُ : لا نؤمنُ ببعضِ [٤/٥٦ظ] الأنبياءِ ونكفُرُ ببعضٍ ، ونتبرَّأُ من بعضٍ ونتَوَلَّى بعضًا ، كما تبرَّأَتِ اليهودُ من عيسى ومحمدٍ عليهما السلامُ وأقرَّتْ بغيرِهما[١] من الأنبياءِ[٢] ، وكما تبَرَّأَتِ النصارَى من محمدٍ ﷺ ، وأقرَّت بغيرِه من الأنبياءِ ، بل نَشهَدُ لجميعِهم أنهم كانوا رسلَ اللَّهِ وأنبياءَه ، بُعِثوا بالحقِّ والهُدَى .

وأما قولُه : ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ فإنه يعنى تعالى ذكرُه : ونحن للَّه خاضِعون بالطاعةِ ، مُذْعِنون له بالعبودةِ . فذُكِر أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال ذلك لليهودِ ، فكَفروا بعيسى وبمن يُؤْمِنُ به .

كما حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيرٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جُبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ نفرٌ من يهودَ فيهم أبو ياسرِ بنُ أَخْطَبَ ، ورافعُ بنُ أبى رافعٍ ، وعازَرُ وخالدٌ ، وزيدٌ ، وإزارُ بنُ أبى إزارٍ ، وأَشْيَعُ ، فسألوه عمن يُؤْمِنُ به من الرسلِ ، فقال : « أُومِن باللَّهِ وما أُنزِلَ إلينا ، وما أُنزِلَ إلى

---

(١) فى الأصل : « بغيره » .

(٢) فوقها إحالة فى الأصل ، وفى الحاشية كلام غير مقروء .

إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ ، وما أُوتِىَ موسى وعيسى ، وما أُوتِىَ النبيُّون من ربِّهم ، لا نُفرِّقُ بين أحدٍ منهم ونحن له مُسلِمُون » . فلما ذكَر عيسى جَحَدوا نُبُوَّتَه وقالوا : لا نُؤْمِنُ بعيسى ، ولا نُؤْمِنُ بمن آمَن به . فأنزَل اللَّهُ فيهم : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٥٩] .

وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ . فذكَر نحوَه ، / إلا أنه قال : ونافعُ بنُ أبى نافعٍ . مكانَ رافعِ بنِ أبى رافعٍ[(١)] . ٥٦٨/١

وقال قتادةُ : أُنزِلت هذه الآيةُ أمرًا من اللَّهِ تعالى ذكرُه للمؤمنين بتصديقِ رسلِه كلِّهم .

حدثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ : أمَر اللَّهُ المؤمنين أن يُؤمِنوا ويُصَدِّقُوا بأنبيائِه ورسلِه كلِّهم[(٢)] ، ولا يُفرِّقوا بين أحدٍ منهم[(٣)] .

وأما الأسباطُ الذين ذكَرهم اللَّهُ ، فهم اثنا عشَرَ رجلًا من ولدِ يعقوبَ بنِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٦٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤٣، ١١٦٤/٤ (١٢٩٩، ٦٥٥٩) من طريق سلمة به .

(٢) فى الأصل : « كلها » .

(٣) أخرج آخره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٣/١ (١٣٠٥) من طريق يزيد به ، وأخرج أوله (١٣٠٤) من طريق شيبان النحوى عن قتادة .

إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، ولَد كلٌّ رجلٍ منهم أُمةً من الناسِ ، فسُمُّوا أسباطًا .

كما حدثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : الأسباطُ : يوسفُ وإخوتُه بنو يعقوبَ ، ولَد اثنَىْ عشَرَ رجلًا ، فولَد كلٌّ رجلٍ منهم أُمةً من الناسِ ، فسُمُّوا أسباطًا[(١)] .

حدثني موسى ، قال : ثنا [٥٧/٤و] عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : أما الأسباطُ فهم بنو يعقوبَ ؛ يوسفُ ، وبِنيامِينُ ، ورُوبيلُ ، ويهوذَا ، وشَمْعُونُ ، ولَاوِى ، ودانُ ، وقهاثُ[(٢)] .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ[(٣)] ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : الأسباطُ : يوسفُ وإخوتُه بنو يعقوبَ اثنا عشَرَ رجلًا ، فوُلِد لكلٌّ رجلٍ منهم أُمةٌ من الناسِ ، فسُمُّوا الأسباطَ[(٤)] .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدثني محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : نكَح يعقوبُ بنُ إسحاقَ - وهو إسرائيلُ - ابنةَ خالِه ليا ابنةَ ليانَ بنِ تبويلَ[(٥)] بنِ إلياسَ ، فولَدت له رُوبيلَ بنَ يعقوبَ ، وكان أكبرَ ولدِه ، وشَمْعُونَ بنَ يعقوبَ ، ولَاوِى ابنَ يعقوبَ ، ويهوذا بنَ يعقوبَ ، وربالونَ[(٦)] بنَ يعقوبَ ، ويشجرَ بنَ يعقوبَ ، ودينةَ بنتَ يعقوبَ ، ثم تُوُفِّيَت ليا بنتُ ليانَ ، فخلَف يعقوبُ على أختِها راحيلَ بنتِ ليانَ بنِ

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٣/١ عقب الأثر (١٣٠٠) معلقًا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٣/١ (١٣٠١) من طريق عمرو به .

(٣) فى الأصل : « أسباط » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٣/١ عقب الأثر (١٣٠٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) فى م : « توبيل » ، وفى ت ٣: « يوبيل » ، وفى تاريخ المصنف : « بتويل » .

(٦) فى م : « ريالون » .

تبويلَ بنِ إلياسَ ، فوَلَدتْ له يوسفَ بنَ يعقوبَ وبِنْيامِينَ[١] بنَ يعقوبَ[١] ، وهو بالعربيةِ شدادٌ[٢] ، ووُلِد له من سُرِّيَّتَيْنِ له ، اسمُ إحداهما زلفةُ ، واسمُ الأخرى بلهةُ[٣] ، أربعةُ نفرٍ : دانُ بنُ يعقوبَ ، ونفثالى[٤] بنُ يعقوبَ ، وجادُ بنُ يعقوبَ ، وأشرُ[٥] بنُ يعقوبَ ، فكان بنو يعقوبَ اثنَىْ عشَرَ رجلًا ، نَشَر اللَّهُ منهم اثنَىْ عَشَرَ سِبْطًا لا يُحْصِى عددَهم ولا يعلمُ أنسابَهم إلا اللَّهُ ، يقولُ اللَّهُ تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَهُمُ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ ﴾[٦] [الأعراف : ١٦٠] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ : فإن صَدَّق اليهودُ والنصارَى باللَّهِ وما أُنزِل إليكم وما أُنزِل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ ، وما أُوتِىَ موسى وعيسى ، وما أُوتِىَ النبيُّون من ربِّهم ، وأقرُّوا بذلك مثلَ ما صدَّقْتم أنتم به أيُّها المؤمِنون وأقرَرْتم ، فقد وُفِّقوا ورَشَدوا ولَزِموا/ طريقَ الحقِّ فاهتدَوا[٧] ، وهم حينئذٍ منكم وأنتم منهم لدخولِهم[٨] فى ملَّتِكم ، بإقرارِهم بذلك . فدَلَّ تعالى ذكرُه بهذه الآيةِ على أنه لم يَقْبَلْ من أحدٍ عملًا إلا بالإيمانِ بهذه

٥٦٩/١

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « أشد » .

(٣) فى م : « بلهية » .

(٤) فى الأصل : « تفثالى » .

(٥) فى م : « أشرب » .

(٦) أخرجه المصنف فى تاريخه ٣١٧/١ .

(٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « واهتدوا » .

(٨) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بدخولهم » .

المعانى التى (١) عدَّها قبلَها (١) .

كما حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : حدثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ﴾ ونحو هذا . قال : أخبرَ اللَّهُ سبحانه أن الإيمانَ هو العروةُ الوُثْقَى ، وأنه لا يَقْبَلُ عملًا إلا به ، ولا يُحَرِّمُ الجنةَ إلا على مَن تَرَكه (٢) .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ فى ذلك قراءةٌ جاءت مصاحفُ المسلمين بخلافِها ، وأجمعتْ قَرَأَةُ القرآنِ على تركِها .

وذلك ما حدثنا به محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن أبى حمزةَ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : لا تقولوا : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ﴾ - [٥٧/٤ظ] فإنه ليس للَّهِ مِثلٌ - ولكن قولوا : (فإن آمَنوا بالذى آمَنتم به) . أو قال : (فإن آمَنوا بما آمَنتم به) (٣) .

فكأن ابنَ عباسٍ فى هذه الروايةِ - إن كانت صحيحةً عنه - وَجَّه تأويلَ قراءةِ من قرَأ : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ : فإن آمَنوا بمثلِ اللَّهِ ، وبمثلِ ما أُنْزِل على إبراهيمَ وإسماعيلَ . وذلك إذا صُرِف إلى هذا الوجهِ شِرْكٌ -لا شكَّ - باللَّهِ العظيمِ ؛ لأنه لا مثلَ للَّهِ تعالى ذكرُه فيُؤْمَنَ أو يُكْفَرَ به ، ولكنَّ تأويلَ ذلك على غيرِ المعنى الذى وُجِّه إليه تأويلُه ، وإنما معناه ما وصَفْنا ، وهو : فإن صدَّقوا مثلَ تصديقِكم بما صدَّقْتم به مِن جميعِ ما عدَدْنا عليكم من كُتبِ اللَّهِ وأنبيائِه ، فقد اهتدَوْا . فالتشبيهُ إنما وقَع

(١ - ١) فى الأصل : « عددها فيها » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٤/١ (١٣٠٧) من طريق أبى صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبى داود فى المصاحف ص ٧٦ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٤/١ (١٣٠٦) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٦٠٣) من طريق شعبة به . وعنه ابن أبى داود « أبو جمرة » وأبو حمزة هو عمران بن =

بين التصديقَيْنِ والإقرارَيْن اللذين هما إيمانُ هؤلاءِ وإيمانُ هؤلاءِ ، كقولِ القائلِ : مرَّ عمرٌو بأخيك مثلَ ما مررْتُ به . يعنى بذلك : مرَّ عمرٌو بأخيك مثلَ مرورِى به . فالتمثيلُ[(١)] إنما دخَل تمثيلًا بين المرورَيْن ، لا بين عمرٍو وبين المتكلِّمِ ، فكذلك قولُه : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ إنما وقَع التمثيلُ بين الإيمانَيْنِ لا بين المؤمَنِ به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ : وإن تَوَلَّى هؤلاءِ الذين قالوا لمحمدٍ ﷺ وأصحابِه : كونوا هُودًا أو نَصارَى . فأعرَضوا ، ولم يُؤمِنوا مثلَ إيمانِكم أيها المؤمنون باللَّهِ ، وبما جاءت به الأنبياءُ ، وابْتُعِثتْ به الرسلُ ، وفَرَّقُوا بين رسلِ اللَّهِ ، وبين اللَّهِ ورسُولِه[(٢)] ، فصدَّقوا ببعضٍ وكَفروا ببعضٍ ، فاعلَمُوا أيها المؤمنون أنهم إنما هم فى عِصيانٍ وفِراقٍ وحربٍ للَّهِ ولرسولِه ولكم .

كما حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، [(٣)]قال : حدَّثنا سعيدٌ[(٣)] عن قتادةَ : ﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ﴾ أى : فى فِراقٍ[(٤)] .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ﴾ يعنى : فِراقٍ[(٥)] .

وحدثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا

= أبى عطاء القصاب ، وأبو جمرة نصر بن عمران كلاهما رويا عن ابن عباس ، وروى عنهما شعبة .

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « والتمثيل » .

(٢) فى م ، ت ١ : « ورسله » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤٤ عقب الأثر (١٣١١) معلقًا .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤٤ عقب الأثر (١٣١١) من طريق ابن أبى جعفر به .

﴿هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ قال : الشِّقاقُ المنازعةُ والمحاربةُ ، إذا شاقَّ فقد حارَبَ ، وإذا حارَبَ فقد شاقَّ ، وهما واحدٌ فى كلامِ العربِ . وقرأ : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ [النساء : ١١٥].

وأصلُ الشِّقاقِ عندنا ، واللَّهُ أعلمُ ، مأخوذٌ من قولِ القائلِ : شقَّ علىَّ[١] هذا الأمرُ ، إذا كَرَثَه[٢] وآذاه . ثم قيل : شاقَّ فلانٌ فلانًا . بمعنى : نال كلُّ واحدٍ منهما مِن صاحبِه ما كَرَثَه / وآذاه [٥٨/٤و] وأثقلَتْه مَساءتُه ، ومنه قولُ اللَّهِ تعالى ذكرُه ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: ٣٥]. بمعنى : فِراقَ بينِهما . ١/٥٧٠

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧)﴾.

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾: فسيَكْفِيك اللَّهُ يا محمدُ هؤلاءِ الذين قالوا لك ولأصحابِك : ﴿كونوا هُودًا أو نَصارَى تَهْتَدُوا﴾ . من اليهودِ والنصارَى ، إن هم تَوَلَّوْا عن أن يُؤْمِنوا مثلَ[٣] إيمانِ أصحابِك باللَّهِ ، وبما أُنزِل إليك ، وما أُنزِل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ وسائرِ الأنبياءِ غيرِهم ، وفَرَّقوا بين اللَّهِ ورسلِه ، إما بقتلٍ بالسيفِ ، وإما بجَلاءٍ عن جِوارِك ، وغيرِ ذلك من العقوباتِ ، فإن اللَّهَ هو السميعُ لما يقولون لك بألسنتِهم ، ويُبْدُون لك بأفواهِهم من الجهلِ والدعاءِ إلى الكفرِ والمِلَلِ الضالَّةِ ، العليمُ بما يَنْطُوون[٤] لك ولأصحابِك من المؤمنين عليه[٥] فى أنفسِهم من الحسَدِ والبغضاءِ ، ففعَل اللَّهُ بهم ذلك عاجلًا ، وأَنجزَ وَعْدَه ، فكفاهم[٦] نبيَّه ﷺ بتسليطِه إياه عليهم حتى قَتَل بعضَهم ، وأَجلَى بعضًا ، وأَذلَّ بعضًا وأَخزاه بالجِزْيةِ والصَّغارِ .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ت ٣: «عليه».

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: «كربه» ، وكرثه الأمر يَكْرِثُه ساءه واشتد عليه وبلغ منه المشقة . اللسان (كرث) .

(٣) فى م ، ت ٢: «بمثل».

(٤) فى م : «يبطنون» ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: «ينطرون».

(٥) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ .

(٦) فى م ، ت ٢: «فكفى».

القول فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بالصِّبغةِ صبغةَ الإسلامِ ، وذلك أن النصارَى إذا أرادت أن تُنَصِّرَ أطفالَهم جعَلتهم فى ماءٍ لهم تزعُمُ أن ذلك لها تقديسٌ بمنزلةِ الخِتَانةِ[1] لأهلِ الإسلامِ ، وأنه صِبغةٌ لهم فى النصرانيةِ ، فقال اللَّهُ تعالى ذكرُه ، إذ قالوا لنبيِّه محمدٍ ﷺ وأصحابِه المؤمنين به : ﴿ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ﴾ : قل لهم يا محمدُ : أيُّها اليهودُ والنصارَى ، بل اتَّبِعُوا ملةَ إبراهيمَ صِبغةَ اللَّهِ التى هى أحسنُ الصِّبَغِ ، فإنها هى الحَنيفيّةُ المُسلِمةُ ، ودَعُوا الشركَ باللَّهِ والضلالَ عن مَحَجّةِ هُداه .

ونَصَب « الصِّبغةَ » مَن قرَأها نَصْبًا على الردِّ على « الملةِ » ، وكذلك رفَع « الصِّبغةَ » مَن رفَع « المِلةَ » على ردِّها عليها . وقد يجوزُ رفعُها على غيرِ هذا الوجهِ ، وذلك على الابتداءِ ، بمعنى : هى صِبغةُ اللَّهِ . وقد يجوزُ نصبُها على غيرِ وجهِ الردِّ على « الملةِ » ، ولكن على قولِه : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ صبغةَ اللَّهِ ، بمعنى : آمَنَّا هذا الإيمانَ . فيكونُ الإيمانُ حينئذٍ هو صِبغةَ اللَّهِ .

وبمثلِ [٤/٥٨ظ] الذى قلنا فى تأويلِ « الصِّبغةِ » قال جماعةٌ من أهلِ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ : إن اليهودَ تَصْبُغُ أبناءَها يهودَ ، والنصارَى تَصْبُغُ أبناءَها نصارَى ، وإن صبغةَ اللَّهِ الإسلامُ ، فلا صِبْغةَ أحسنُ من الإسلامِ ولا أَطْهرُ ، وهو دينُ اللَّهِ الذى بعَث به نوحًا والأنبياءَ بعدَه[2] .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « غسل الجنابة » . وينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٨٢.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٤١ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حجّاجٌ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال لى عطاءٌ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ : صَبَغت اليهودُ أبناءَهم ، خالَفُوا الفِطرةَ .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : دينَ اللَّهِ .

٥٧١/١

/ ذكرُ من قال ذلك

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ قال : دينَ اللَّهِ[1] .

وحدثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن أبى جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ قال : دينَ اللَّهِ ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ : ومَن أحسنُ من اللَّهِ دينًا[2] ؟.

وحدثنا المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[3] .

وحدثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازىُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيرىُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[4] .

وحدثنى المثنَّى ، قال : ثنا أبو نُعَيمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وحدثنى المثنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٦٠.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٥/١ عقب الأثر (١٣١٣، ١٣١٥) من طريق أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٥/١ عقب الأثر (١٣١٣، ١٣١٥) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه عبد بن حميد - كما فى الفتح ١٦١/٨ من طريق منصور ، عن مجاهد ، وهو فى تفسير سفيان ص ٤٩ من قوله .

مجاهدٍ مثلَه .

وحدثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزبيريُّ ، قال : ثنا فُضَيلُ بنُ مرزوقٍ ، عن عطيةَ قولَه : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ قال : دينَ اللَّهِ[1] .

وحدثنا موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ يقولُ : دينَ اللَّهِ ، ومن أحسنُ من اللَّهِ دينًا[2] ؟ .

وحدثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ قال : دينَ اللَّهِ[3] .

وحدثني يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ قال : دينَ اللَّهِ .

وحدثني ابنُ البَرْقيِّ ، قال : ثنا عمرُو بن أبي سلمةَ ، قال : سألتُ ابنَ زيدٍ عن قولِ اللَّهِ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ [4]قال : دينَ اللَّهِ[4] .

وقال آخرون : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ : فطرةَ اللَّهِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ،

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٥/١ عقب الأثر (١٣١٣) معلقًا .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٥/١ عقب الأثر (١٣١٣، ١٣١٥) من طريق عمرو به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤١/١ إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٥/١ (١٣١٣) من طريق الضحاك ، عن ابن عباس .

(٤ - ٤) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فذكر مثله » .

عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ قال : فطرةَ اللَّهِ التى فطَر الناسَ عليها[١] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا محمدُ بنُ حربٍ ، قال : ثنا ابنُ لَهيعةَ ، عن جعفرِ بنِ ربيعةَ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ [٥٩/٤و] مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ . قال : الصِّبغةُ الفطرةُ .

وحدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ : الإسلامَ ، فطرةَ اللَّهِ التى فطرَ الناسَ عليها . قال ابنُ جريجٍ : قال لى عبدُ اللَّهِ بنُ كَثيرٍ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ قال : دينَ اللَّهِ ، ومَن أحسنُ من اللَّهِ دينًا ؟ قال : هى فطرةُ اللَّهِ .

قال أبو جعفرٍ : ومن قال هذا القولَ فوجَّه الصِّبغةَ إلى الفطرةِ ، فمعناه : بل نَتَّبِعُ فطرةَ اللَّهِ وملَّته / التى خلَق عليها خلقَه ، وذلك الدينُ القيِّمُ ، من قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر : ١] بمعنى : خالقِ السماواتِ والأرضِ . /٥٧٢

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ .

وقولُه تعالى ذكرُه: ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ أمرٌ من اللَّهِ تعالى ذكرُه نبيَّه ﷺ أن يقولَه لليهودِ والنصارَى الذين قالوا له ولمَن تَبعه من أصحابِه : ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ فقال لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قُلْ : بل نَتَّبِعُ ملةَ إبْرَاهيمَ حَنيفًا صِبغَةَ اللَّهِ ، ونَحنُ لَهُ عابِدُونَ - [٢]ويعنى بالعابدين[٢] : الخاضعِين للَّهِ المستكِينِين له - فى اتِّباعِنا ملةَ إبْرَاهيمَ ودَيْنُونَتِنا له بذلك ، غيرَ مستكبِرين عليه[٣] فى اتِّباعِ أمرِه والإقرارِ برسالةِ[٤]

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٤ ، وعزاه الحافظ فى الفتح ٨/ ١٦١، والسيوطى فى الدر المنثور ١٤١/١ إلى عبد ابن حميد من طريق ابن أبى نجيح به .

(٢ - ٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يعنى ملة » .

(٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « رسالته » .

رُسلِه ، كما استكبَرت اليهودُ والنصارَى ، فكفَروا بمحمدٍ ﷺ استكبارًا وبَغْيًا وحسَدًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ .

يعنى تعالَى ذكرُه بقولِه : ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ ﴾ : قل يا محمدُ لمَعاشرِ اليهودِ والنصارَى الذين قالوا لك ولأصحابِك : ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾ . وزعَموا أن دينَهم خيرٌ من دينِكم ، وكتابَهم خيرٌ من كتابِكم ؛ لأنه كان قبلَ كتابِكم ، وزعَموا أنهم من أجلِ ذلك أَوْلَى باللَّهِ منكم - : أتُحاجُّوننا فى اللَّهِ وهو ربُّنا وربُّكم ؟ بيدِه الخيراتُ ، وإليه الثوابُ والعقابُ ، والجزاءُ على الأعمالِ ، الحسناتِ منها والسيئاتِ ، فتزعُمون أنكم أوْلى باللَّهِ منا من أجلِ أن نبيَّكم قبلَ نبيِّنا ، وكتابَكم قبلَ كتابِنا ، وربُّكم وربُّنا واحدٌ ، وإنّما[1] لكلِّ فريقٍ منا ما عَمِل واكتسَب من [٤/٥٩ظ] صالحِ الأعمالِ وسيِّيها ، وعليها[2] يُجازَى ، فيُثابُ أو يُعاقَبُ ، لا على الأنسابِ وقِدَمِ الدينِ والكتابِ .

ويعنى بقولِه : ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا ﴾ قلْ : أتُخاصِموننا وتُجادِلوننا ؟

كما **حدثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ ﴾ قل : أتُخاصِمُوننا ؟

حدثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا ﴾ : أتُخاصِمُوننا ؟

حدثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمِّى ، قال : حدثنى

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « إن » .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ (١﴿ أَتُحَآجُّونَنَا ﴾ : أتُجادِلوننا١) ؟

فأمّا قولُه : ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ فإنه يعنى : ونحنُ للهِ مُخْلِصو العبادةِ والطاعةِ ، لا نُشرِكُ به شيئًا ، ولا نَعبُدُ غيرَه أحدًا ، كما عبَد أهلُ الأوثانِ معه الأوثانَ ، وأصحابُ العجلِ معه العجلَ . وهذا من اللهِ تعالى ذكرُه توبيخٌ لليهودِ واحتجاجٌ لأهلِ الإيمانِ ، بقولِه تعالى ذكرُه للمؤمنين من أصحابِ محمدٍ ﷺ : قولوا - أيها المؤمنون لليهودِ والنصارَى الذين قالوا لكم : ﴿ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ﴾ -: أتُجادلوننا[2] فى اللهِ . وإنما[3] يعنى بقولِه : ﴿ فِى ٱللَّهِ ﴾ : فى دينِ اللهِ الذى أمَرنا أن نَدِينَه به ، وربُّنا وربُّكم واحدٌ عَدْلٌ لا يَجورُ ، وإنما يُجازِى العبادَ على ما اكْتَسَبوا ، فتزعُمون أنّكم أَوْلَى باللهِ منا لقِدَمِ دينِكم وكتابِكم ونبيِّكم ، ونحن مُخلِصون له العبادةَ / لم نُشرِكْ به شيئًا ، وقد أشرَكْتُم فى عبادتِكم إياه ، فعَبد بعضُكم العجلَ ، وبعضُكم المسيحَ ، فأنَّى تكونوا خيرًا منا ، وأَوْلَى باللهِ منا ؟ ٥٧٣/١

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وفى قراءةِ ذلك وجهان ؛ **أحدُهما** : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ ﴾ بالتاءِ[4] ، فمَن قرَأه كذلك ، فتأويلُه : قل يا محمدُ - للقائلين لك من اليهودِ والنصارَى : ﴿ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ﴾ -: أتُجادِلُوننا فى اللهِ ؟ أمْ تَقولُونَ : إن إبْراهيمَ ؟

(١ - ١) فى الأصل : « تحاجون : تجادلون » .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٤١، إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٤٥ (١٣١٦) من طريق الضحاك ، عن ابن عباس بلفظ « أتخاصموننا » .

(٢) فى م ، ت ٢، ت ٣: « أتحاجوننا » .

(٣) سقط من : م .

(٤) وهى قراءة حفص عن عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى . ينظر حجة القراءات ص ١١٥ .

فيكونُ ذلك معطوفًا على قولِه ﴿ أَتُحَآجُّونَنَا ﴾ .

والوجهُ الآخرُ منهما : (أم يقولون) بالياءِ[1] . ومن قرأ ذلك كذلك وجَّه قولَه : (أم يقولون) إلى أنه استفهامٌ مُستأنَفٌ كقولِه : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [يونس : ٣٨] . وكما يقالُ : إنها لإبلٌ أم شاءٌ ؟ وإنما جعَله استفهامًا مستأنَفًا لمجيءِ خبرٍ مُستأنَفٍ ، كما يقالُ : أتقومُ أم يقومُ أخوك ؟ فيصيرُ قولُه : أم يقومُ أخوك ؟ خبرًا مستأنَفًا بجُملةٍ[2] ليست من الأوّلِ واستفهامًا مبتدأً ، ولو كان نَسَقًا على الاستفهامِ الأوّلِ لكان خبرًا عن الأوّلِ ، فقيل : أتقومُ أم تقعدُ ؟

وقد زعَم بعضُ أهلِ العربيةِ أن ذلك إذا قُرِئ [٤/٦٠و] كذلك بالياءِ ، فإن كان الذى بعد « أَمْ » جملةً تامةً فهو عطفٌ على الاستفهامِ الأوّلِ ؛ لأن معنى الكلامِ قيل : أىُّ هذين الأمرَيْن كائنٌ ، أهذا أم هذا ؟

والصوابُ من القراءةِ عندنا فى ذلك : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ ﴾ بالتاءِ دون الياءِ[3] ، عطفًا على قولِه : ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا ﴾ بمعنى : أىَّ هذين الأمرَيْن تفعَلون ؟ أتُجادِلُوننا فى دينِ اللَّهِ ؟ فتزعُمون أنكم أَوْلَى منّا ، وأَهْدَى منّا سبيلًا ، وأمْرُنا وأمْرُكم ما وصَفْنا على ما قد بيَّنّاه آنفًا[4] ، أم تزعُمون أن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ ومن سمَّى اللَّهُ كانوا هُودًا أو نَصارَى على مِلَّتِكم ؟ فيَضِحُ[5] للناسِ بَهْتُكم وكَذِبُكم ؛ لأن اليهوديةَ والنصرانيةَ حدَثَتْ بعدَ هؤلاءِ الذين سمّاهم اللَّهُ من أنبيائِه . وغيرُ جائزةٍ قراءةُ ذلك بالياءِ لشذوذِها عن قراءةِ القرَأةِ .

---

(١) وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو ، وأبى بكر عن عاصم . حجة القراءات ص ١١٥ .

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « لجملة » .

(٣) القراءتان كلتاهما صواب ؛ لأنهما متواترتان .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « أيضا » .

(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يصح » .

وهذه الآيةُ أيضًا احتجاجٌ من اللَّهِ تعالى ذكرُه لنبيِّه ﷺ على اليهودِ والنصارَى الذين ذكَر اللَّهُ قَصَصَهم ، يقولُ اللَّهُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ لهؤلاءِ اليهودِ والنصارَى : أتُحاجُّوننا فى اللَّهِ ، وتزعُمون أن دينَكم أفضلُ من دينِنا ، وأنَّكم على هُدًى ونحن على ضَلالةٍ ببُرهانٍ من اللَّهِ تعالى ذكرُه فتَدْعُوننا إلى دينِكم ؟ فهاتُوا برهانَكم على ذلك فنتَّبِعَكم عليه . أم تقولون : إنّ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هودًا أو نصارَى على دينِكم ؟ فهاتوا على دَعْواكم ما ادَّعيتم من ذلك بُرهانًا فنُصَدِّقَكم ، فإن اللَّهَ قد جعَلَهم أئمةً يُقْتَدَى بهم ، ثم قال تعالى ذكرُه لنبيِّه ﷺ : قل لهم يا محمدُ إن ادَّعَوا أن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هُودًا أو نَصارَى : أأنتم أعْلمُ بهم وبما كانوا عليه من الأديانِ أم اللَّهُ ؟

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ .

١/٥٧٤ / يعنى جلَّ ثناؤُه بذلك : فإن زعَمَتْ يا محمدُ اليهودُ والنصارَى الذين قالوا لك ولأصحابِك : ﴿ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ ، أن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هُودًا أو نصارَى ، فمن أظلمُ منهم ؟! يقولُ : وأىُّ امرِئٍ أظلمُ منهم وقد كَتَموا شهادةً عندَهم من اللَّهِ بأن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا مسلمين ، فكَتَموا ذلك ونحَلُوهم اليهوديةَ والنصرانيةَ .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فحدثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا [٦٠/٤ظ] عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ قال : فى قولِ يهودَ لإبراهيمَ وإسماعيلَ ومَن ذُكِر معهما : إنهم كانوا يهودَ أو نصارَى . فيقولُ اللَّهُ : لاتَكْتُموا منى شهادةً إن كانت عندَكم فيهم . وقد عَلِم أنهم كاذبون[١] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٥، وعزاه السيوطى أيضا فى الدر المنثور ١٤١/١ إلى عبد بن حميد .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيح ، عن مجاهدٍ : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ : فى قولِ اليهودِ لإبراهيمَ وإسماعيلَ ومن ذُكِر معهما : إنهم كانوا يهودَ أو نصارَى . فقال اللهُ لهم : لا تَكْتُموا منى الشهادةَ فيهم إن كانت عندَكم فيهم ، وقد عَلِم اللهُ أنهم كانوا كاذبين .

وحدّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى إسحاقُ ، عن أبى الأشهبِ ، عن الحسنِ أنه تلا هذه الآيةَ : ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ . إلى قوله : ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ قال الحسنُ : واللهِ لقد كان عندَ القومِ من اللهِ شهادةٌ أن أنبياءَه بُرآءُ من اليهوديةِ والنصرانيةِ ، كما أن عندَ القومِ من اللهِ شهادةً أن دماءَكم وأموالكم حرامٌ بينكم ، فبم استحلُّوها[(1)] ؟ .

وحدِّثت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ : أهلُ الكتابِ كتَموا الإسلامَ ، وهم يَعلمون أنه دينُ اللهِ ، وهم يَجِدُونه مكتوبًا عندهم فى التوراةِ والإنجيلِ ، أنهم لم يكونوا يهودَ ولا نصارَى ، وكانت اليهوديةُ والنصرانيةُ بعدَ هؤلاءِ بزمانٍ[(2)] .

وإنما عَنَى تعالى ذكرُه بذلك أن اليهودَ والنصارَى إن ادَّعَوْا أن إبراهيمَ ومن سُمِّىَ معه فى هذه الآيةِ كانوا هودًا أو نصارَى ، تبيَّنَ[(3)] لأهلِ الشركِ الذين هم نصراؤُهم كَذِبُهم وادِّعاؤُهم على أنبياءِ اللهِ الباطِلَ ؛ لأن اليهوديةَ والنصرانيةَ حدَثت

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤١/١ إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٦/١ (١٣٢٠) من طريق عباد بن منصور ، عن الحسن بنحوه .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٦/١ عقب الأثر (١٣١٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) فى م : « بين » .

بعدَهم ، وإن هم نَفَوْا عنهم اليهوديةَ والنصرانيةَ ، قيل لهم : فهَلُمّوا إلى ما كانوا عليه من الدينِ ، فإنا وأنتم مُقِرُّون جميعًا بأنّهم كانوا على حقٍّ ، ونحن مختلِفون فيما خالَف الدينَ الذى كانوا عليه .

وقال آخرون : بل عَنَى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ اليهودَ فى كتمانِهم أمرَ محمدٍ ﷺ ونبوّتَه ، وهم يَعلمون ذلك ويَجِدُونه فى كُتُبِهم .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ [٦١/٤و] بنُ زريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ : أولئك أهلُ الكتابِ ، كَتَموا الإسلامَ / وهم يَعلمون أنه دينُ اللَّهِ ، واتَّخَذُوا اليهوديةَ والنصرانيةَ ، وكَتَموا محمدًا ﷺ وهم يَعلمون أنه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يَجِدُونه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ[(١)] .

١/٥٧٥

وحدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ قال : الشهادةُ ، النبىُّ ﷺ مكتوبٌ عندَهم ، وهو الذى كَتَموا[(٢)] .

وحدثنى المثنَّى [(٣)] قال : حدثنى إسحاقُ[(٣)] ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ نحوَ حديثِ بشرِ بنِ معاذٍ ، عن يزيدَ بنِ زريعٍ[(٤)] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤١/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٦٠.

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٦/١ عقب الأثر (١٣١٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

حدثني يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ قال : هم يهودُ يُسألون عن النبيِّ ﷺ وعن صفتِه في كتابِ اللَّهِ عندَهم ، فيَكْتُمون الصفةَ .

وإنما اخترْنا القولَ الذي قُلْناه في تأويلِ ذلك ؛ لأنَّ قولَه تعالى ذكرُه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ في إثْرِ قصةِ مَن سمَّى اللَّهُ من أنبيائِه ، وأمامَ قَصِّه[1] لهم ، فأَوْلَى بالذي هو بينْ ذلك أن يكونَ من قَصصِهم دون غيرِه .

فإن قال قائلٌ : وأيَّةُ شهادةٍ عندَ اليهودِ والنصارَى من اللَّهِ في أمرِ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ ؟

قيل : الشهادةُ التي عندَهم من اللَّهِ في أمرِهم ما أنزل اللَّهُ إليهم في التوراةِ والإنجيلِ ، وأَمْرَهم فيهما[2] بالاستنانِ بسنتِهم واتباعِ مِلَّتِهم ، وأنهم كانوا حنفاءَ مسلمين ، فتلك هي الشهادةُ التي عندهم من اللَّهِ التي كتَموها حين دعاهم نبيُّ اللَّهِ ﷺ إلى الإسلامِ ، فقالوا له : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ . وقالوا له ولأصحابِه : ﴿ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ﴾ . فأنزل اللَّهُ فيهم هذه الآياتِ بتكذيبِهم[3] وكتمانِهم الحقَّ ، وافترائِهم على أنبياءِ اللَّهِ الباطلَ والزُّورَ .

القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ .

يعني تعالى ذكرُه بذلك : وقل لهؤلاءِ اليهودِ والنصارَى الذين يحاجُّونك يا محمدُ : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من كتمانِكم الحقَّ فيما ألزَمَكم في كتابِه بيانَه للناسِ ، من أمرِ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ

---

(١) في م : « قصته » .

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ : « فيها » .

(٣) في م : « في تكذيبهم » .

والأسباطِ و[(1)] أمرِ الإسلامِ ، وأنهم كانوا مسلمين ، وأن الحنيفيّةَ المسلمةَ دينُ اللَّهِ الذى على جميعِ الخلقِ الدَّينُونةُ به دونَ اليهوديةِ والنصرانيةِ وغيرِهما [٦١/٤ظ] من المللِ ، ولا هو ساهٍ عن عقابِكم على فعلِكم ذلك ، بل هو مُحصٍ عليكم حتى يُجازيَكم به من الجزاءِ ما أنتم له أهلٌ في عاجلِ الدنيا وآجلِ الآخرةِ . فجازاهم جلَّ ذكرُه عاجلًا فى الدنيا بقَتْلِ بعضِهم [(٢)] وتَشريدِ بعضِهم [٢)] وإجلائِه عن وطنِه ودارِه ، وهو مُجازِيهم فى الآخرةِ العذابَ المُهِينَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ ﴾ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ .

٥٧٦/١ / كما حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ يعنى : إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ[(٣)] .

حدثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ بمثلِه[(٣)] .

وقد بَيَّنَّا فيما مضَى أن الأُمةَ الجماعةُ[(٤)] .

فمعنى الآيةِ إذن : قلْ يا محمدُ لهؤلاءِ الذين يُجادِلُونك فى اللَّهِ من اليهودِ والنصارَى إن كتَموا ما عندَهم من الشهادةِ فى أمرِ إبراهيمَ ومَن سَمَّينا معه ، وأنَّهم

---

(١) فى م : « فى » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤١/١ إلى المصنف .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٥٦٦ .

كانوا مسلمِينَ، وزَعَمُوا أنّهم كانوا هودًا أو نصارَى، فكَذَبوا : إنّ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ أُمةٌ قد خَلَتْ ؛ أى : مضَت لسبيلِها، فصارت إلى ربِّها، وخَلَت بأعمالِها، وإنما[1] لها[2] عندَ اللَّهِ ما كانت[3] كَسَبت من خيرٍ فى أيامِ حياتِها، وعليها ما اكْتَسَبت من شرٍّ، لا ينفعُها غيرُ صالحِ أعمالِها، ولا يضرُّها غيرُ سَيِّئِها، فاعلَموا أيها اليهودُ والنصارَى ذلك، فإنّكم إن كان هؤلاءِ - و[4]هم الذين بهم تَفْتَخِرون وتزعُمون أن بهم تَرْجُون النجاةَ من عذابِ ربِّكم مع سيئاتِكم، وعظيمِ خطيئاتِكم - لا ينفعُهم عندَ اللَّهِ غيرُ ما قدَّمُوا من صالحِ الأعمالِ، ولا يضرُّهُمْ غيرُ سيِّئِها، فأنتم كذلك أَحْرَى ألا ينفعَكم عند اللَّهِ غيرُ ما قَدَّمْتُم من صالحِ الأعمالِ، ولا يضرُّكم غيرُ سَيِّئِها، فاحذَرُوا على أنفسِكم وبادِرُوا خروجَها بالتوبةِ وبالإنابةِ إلى اللَّهِ مما أنتم عليه من الكفرِ والضلالةِ والفِرْيةِ على اللَّهِ وعلى أنبيائِه ورسلِه، ودَعُوا الاتّكالَ على فضائلِ الآباءِ والأجدادِ، فإنما لكم ما كَسَبتم، وعليكم ما اكْتَسَبتم، ولاتُسألُون عمّا كان إبراهيمُ وإسماعيلُ وإسحاقُ ويعقوبُ والأسباطُ يَعمَلون من الأعمالِ ؛ لأن كلَّ نفسٍ قَدِمَتْ على اللَّهِ يومَ القيامةِ فإنما تُسألُ عما كَسَبت وأَسْلَفت، دون ما أَسلفَ غيرُها.

[٦٢/٤و] / **القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ .** ١/٢

يعنى بقولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ : سيقولُ الجُهالُ من الناسِ، وهم اليهودُ وأهلُ النفاقِ . وإنما سمّاهم اللهُ عز وجل سفهاءَ ؛ لأنهم سفِهوا الحقَّ،

---

(١) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «آمالها».

(٢) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) سقط من : م، ت ١.

(٤) سقط من : م.

فتجاهَلتْ أحبارُ اليهودِ ، وتغاظمَت جُهّالُهم وأهلُ الغباءِ منهم عن[1] اتباعِ محمدٍ ﷺ ، إذ كان من العربِ ولم يكنْ من بنى إسرائيلَ ، وتحيَّرَ المنافقون فتبلَّدوا .

وبما قلنا فى السفهاءِ أنهم هم اليهودُ وأهلُ النفاقِ قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال : هم اليهودُ

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ﴾ قال : اليهودُ تقولُه حين ترَك بيتَ المقدسِ[2] .

وحدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وحدثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ ، عن إسرائيلَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البراءِ : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : اليهودُ[3] .

وحدِّثتُ عن أحمدَ بنِ يونسَ ، عن زهيرٍ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البراءِ : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : اليهودُ[4] .

---

(١) فى ت ١ ، ت ٣ : « عند » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢١٥. وأخرجه الثورى فى تفسيره ص ٥٠ عن رجل ، عن مجاهد . وينظر الفتح ٨/ ١٧١.

(٣) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ١/ ١٤٢ - وأخرجه ابن المقرئ فى معجمه (٧١٧) من طريق وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق به . وأخرجه البخارى (٣٩٩) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤٧ (١٣٢٣) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٢٨ من طريق إسرائيل به . وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد وأبى داود فى ناسخه وابن المنذر .

(٤) سيأتى مطولا فى ص ٦٢٠.

وحدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا الحِمّانيُّ ، قال : حدَّثنا شريكٌ ، عن أبي إسحاقَ ، عن البراءِ في قولِه : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ قال : أهلُ الكتابِ[1] .

/ وحدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : حدثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ ابنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : اليهودُ[2] . ٢/٢

وقال آخَرون : السفهاءُ المنافقون .

ذِكرُ من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ ، قال : نزلَت : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ : في المنافقين[3] .

القولُ في تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ .

يعني جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ ﴾ : أيُّ شيءٍ صرفَهم عن قبلتِهم ؟ وهو من قولِ القائلِ : ولاني فلانٌ دُبُرَه . إذا حوَّل وجهَه عنه واستدْبَره ، فكذلك قولُه : ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ ﴾ : أيُّ شيءٍ حوَّل وجوهَهم ؟

وأما قولُه : ﴿ عَن قِبْلَتِهِمُ ﴾ فإن قبلةَ كلِّ شيءٍ ما قابلَ وجهَه ، وإنما هي فِعْلَةٌ ، بمنزلةِ الجِلْسَةِ والقِعْدةِ [4]وصِفوةِ الشيءِ[4] ، [٦٢/٤ظ] من قولِ القائلِ : قابلتُ فلانًا ، إذا صرتَ قُبالتَه ، أقابِلُه ، فهو لي قِبلةٌ ، وأنا له قِبلةٌ ، إذا قابلَ كلُّ واحدٍ منهما بوجهِه وجهَ صاحبِه .

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٠٠١) ، والبغوى في الجعديات (٢١٣٢) من طريق شريك به . وسيأتى مطولا في ص ٦٢٠.

(٢) تقدم مطولا في ص ٤٥٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٧/١ (١٣٢٤) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وسيأتى مطولا في ص ٦٤٠.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

فتأويلُ الكلامِ إذن إذْ كان ذلك[1] معناه : سيقولُ السفهاءُ من الناسِ لكم أيها المؤمنون باللهِ وبرُسلِه[2] ، إذا حوّلتم وجوهَكم عن قبلةِ اليهودِ التى كانت لكم قبلةً ، قبلَ أمرِى إياكم بتحويلِ وجوهِكم عنها شطرَ المسجدِ الحرامِ : أىُّ شىءٍ حوّل وجوهَ هؤلاء فصرَفها عن الموضعِ الذى كانوا يستقبِلونه بوجوهِهم فى صلاتِهم ؟

فأعلمَ اللهُ جل ثناؤُه نبيَّه ﷺ ما اليهودُ والمنافقون قائِلون من القولِ عند تحويلِ اللهِ[3] قبلتَه وقبلةَ أصحابِه ، عن الشامِ إلى المسجدِ الحرامِ ، وعلّمَه ما ينبغِى أن يكونَ مِن ردِّه عليهم من الجوابِ ، فقال له : إذا قالوا ذلك لكَ يا محمدُ ، فقلْ لهم : ﴿ لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وكان سببَ ذلك أن النبىَّ ﷺ صلَّى نحوَ بيتِ المقدسِ مدةً سنذكُرُ مبلَغَها فيما بعدُ إن شاء اللهُ تعالى ، ثم أرادَ اللهُ تعالي صرفَ قبلةِ نبيِّه ﷺ إلى المسجدِ الحرامِ ، فأخبرَه عما اليهودُ قائلُوه من القولِ عند صرفِه وجهَه ووُجوهَ أصحابِه شَطْرَه ، وما الذى ينبغِى أن يكون من مَردِّه[4] عليهم من الجوابِ .

ذكرُ المدةِ التى صلّى[5] رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابُه نحوَ بيتِ المقدسِ ، وما كان سببُ صلاتِه نحوَه ، وما الذى دعا اليهودَ والمنافقين إلى قيلِ ما قالوا عند تحويلِ اللهِ قبلةَ المؤمنين عن بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ

اختلَف أهلُ العلمِ فى المدّةِ التى صلّى[5] رسولُ اللهِ ﷺ نحوَ بيتِ المقدسِ بعدَ الهجرةِ ؛ فقال بعضُهم بما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيرٍ ، وحدَّثنا ابنُ

(١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) فى م : « رسوله » ، وفى ت١ ، ت٣ : « برسوله » .

(٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) فى م : « رده » .

(٥) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « صلاها » .

حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، قالا جميعًا : حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولَى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عكرمةُ - / شكَّ محمدُ بنُ أبى محمدٍ - عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما صُرِفت القبلةُ عن الشامِ إلى الكعبةِ - وصُرِفت فى رجبٍ على رأسِ سبعةَ[1] عشرَ شهرًا من مَقدَمِ رسولِ اللهِ ﷺ المدينةَ - أتى رسولَ اللهِ ﷺ رفاعةُ بنُ قيسٍ ، وقَرْدَمُ بنُ عمرٍو ، وكعبُ بنُ الأشرفِ ، ونافعُ بنُ أبى نافعٍ - هكذا قال ابنُ حميدٍ ، وقال أبو كُريبٍ : ورافعُ بنُ أبى رافعٍ - والحجاجُ بنُ عمرٍو ، حليفُ كعبِ بنِ الأشرفِ ، والربيعُ ابنُ الربيعِ بنِ أبى[2] الحُقَيقِ ، وكِنانةُ [3]بنُ الربيعِ[3] بنِ أبى الحُقَيقِ ، [٦٣/٤و] فقالوا له : يا محمدُ ، ما ولَّاك عن قبلتِك التى كنت عليها وأنت تزعُمُ أنك على ملةِ إبراهيمَ ودينِه ، ارجِعْ إلى قبلتِك التى كنتَ عليها نتبِعْك ونصدِّقْك . وإنما يُريدون فتنتَه عن دينِه ، فأنزَل اللهُ فيهم : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[4] .

٣/٢

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ ، قال : قال البراءُ : صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ نحوَ بيتِ المقدسِ سبعةَ عشرَ شهرًا . قال : وكان يشتهِى أن يُصرفَ إلى الكعبةِ . قال : فبينا نحن نصلِّى ذات يومٍ ، فمرَّ بنا مارٌّ ، فقال : ألا هل علِمتم أن النبىَّ ﷺ قد صُرِف إلى الكعبةِ ؟ قال : وقد صلَّينا ركعتَين إلى هلهنا ، وصلَّينا ركعتَين إلى هلهنا .

(١) فى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « تسعة » .

(٢) سقط من : ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣ - ٣) زيادة من : م . وهو كذلك فى سيرة ابن هشام .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٥٠/١ ، وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٥٧٥/٢ من طريق يونس بن بكير به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٧/١، ٢٤٨ (١٣٢٧) من طريق سلمة به .

قال أبو كريبٍ : فقيل له : فيه أبو إسحاقَ ؟ فسكَت .

وحدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن أبي بكرِ بنِ عياشٍ ، عن أبي إسحاقَ ، عن البراءِ ، قال : صلَّينا بعدَ قدومِ النبيِّ ﷺ المدينةَ ستةَ[1] عشرَ شهرًا إلى بيتِ المقدسِ[2] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيانَ ، قال : ثنا أبو إسحاقَ ، عن البراءِ بنِ عازبٍ ، قال : صلَّيتُ مع النبيِّ ﷺ نحوَ بيتِ المقدسِ ستةَ عشرَ شهرًا أو سبعةَ عشرَ شهرًا - شكَّ سفيانُ - ثم صُرِفْنا إلى الكعبةِ[3] .

وحدَّثني المثنَّى ، قال : حدثنا النُّفيليُّ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ ، قال : ثنا زُهيرٌ ، قال : ثنا أبو إسحاقَ ، عن البراءِ أن رسولَ اللهِ ﷺ كان أوّلَ ما قدِم المدينةَ نزَلَ على أجدادِه أو أخوالِه من الأنصارِ ، وأنه صلَّى قِبَلَ بيتِ المقدسِ ستةَ عشرَ [4]أو سبعةَ عشرَ[4] شهرًا ، وكان يُعجِبُه أن تكونَ قبلتُه قِبَلَ البيتِ ، وأنه صلَّى صلاةَ العصرِ ومعه قومٌ ، فخرَج رجلٌ ممن صلَّى معه ، فمرَّ على أهلِ المسجدِ وهم ركوعٌ ، فقال : أشهَدُ لقد صليتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ مكةَ . فداروا كما هم قِبَلَ البيتِ ، وكان يُعجِبُه أن يحوَّلَ قِبَلَ البيتِ ، وكان اليهودُ قد[5] أعجَبَهم هذا[5] ؛ أن كان رسولُ اللهِ ﷺ

---

(١) في م : « سبعة » .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٠١٠) ، والدارقطني ٢٧٣/١ من طريق أبي بكر بن عياش به .

وأورد الحافظ في الفتح ٩٧/١ الخلاف في هذه المدة ، وقال : وشذت أقوال أخرى ؛ ففي ابن ماجه من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق في هذا الحديث : « ثمانية عشر شهرا » . وأبو بكر سيئ الحفظ ، وقد اضطرب فيه ، فعند ابن جرير من طريقه في رواية : « سبعة عشر » . وفي رواية : « ستة عشر » .

(٣) تفسير سفيان ص ٥٢. وأخرجه النسائي (٤٨٧) عن ابن بشار به . وأخرجه أحمد ٥١١/٣٠ (١٨٥٣٩) ، والبخاري (٤٤٩٢)، ومسلم (٥٢٥)، وابن خزيمة (٤٢٨) من طريق يحيى به.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٥) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

يصلِّى قِبَلَ بيتِ المقدسِ وأهلِ الكتابِ ، فلما ولَّى وَجْهَه قِبَلَ البيتِ أنكَروا ذلك[(١)] .

وحدَّثنا عمرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن ابنِ المسيَّبِ ، قال : صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ نحوَ بيتِ المقدسِ بعد أن قَدِم المدينةَ ستةَ عشرَ شهرًا ، ثم وُجِّه نحوَ الكعبةِ قبلَ بدرٍ بشهرين[(٢)] .

وقال آخَرون بما حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعدٍ الكاتبُ ، قال : / حدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ ، قال : صُرِف[(٣)] نبيُّ اللهِ ﷺ نحوَ بيتِ المقدسِ تسعةَ أشهرٍ أو عشرةَ أشهرٍ ، فبينما هو [٦٣/٤ظ] قائمٌ يصلِّى الظهرَ بالمدينةِ ، وقد صلَّى ركعتين نحوَ بيتِ المقدسِ ، انصرفَ بوجهِه إلى الكعبةِ ، فقال السفهاءُ : ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾[(٤)] .

٤/٢

وقال آخَرون بما حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا أبو داودَ ، قال : ثنا المسعودِيُّ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن ابنِ أبى ليلى ، عن معاذِ بنِ جبلٍ أن رسولَ اللهِ ﷺ قدِم المدينةَ ، فصلَّى نحوَ بيتِ المقدسِ ثلاثةَ عشرَ شهرًا[(٥)] .

---

(١) أخرجه البيهقى فى المعرفة (٦٥٨) من طريق النفيلى به . وأخرجه ابن سعد ١/ ٢٤٢، ٢٤٣ ، وأحمد ٣٠/ ٤٥٣، ٤٥٤ (١٨٤٩٦) ، والبخارى (٤٠ ، ٤٤٨٦) ، وابن منده فى الإيمان (١٦٧) ، والبيهقى ٣/٢ من طريق زهير به . وينظر مسند الطيالسى (٧٥٥) .

(٢) أخرجه سفيان فى تفسيره ص ٥١، ومالك فى الموطأ ١٩٦/١ - ومن طريقه الشافعى فى مسنده (١٩٠) ، والبيهقى فى المعرفة (٦٥٦) ، وفى الدلائل ٥٧٣/٢ - عن يحيى بن سعيد به . وينظر علل الدارقطنى ٤/ ٣٦٥، والتمهيد ٢٣/ ١٣٤، وفتح البارى لابن رجب ١/ ١٨٠، ١٨١.

(٣) فى م : « صلى » .

(٤) إسناده ضعيف ؛ عثمان بن سعد ضعيف . وأخرجه البزار (٤٢٠ - كشف) عن عمرو بن على به . وأخرجه ابن خزيمة (٤٣٤) من طريق أبى عاصم به . وقال الهيثمى : حديث أنس بن مالك فى الصحيح أن ذلك فى صلاة الصبح . والذى فى صحيح مسلم (٥٢٧) ليس فيه ذكر النبى ﷺ .

(٥) إسناده منقطع ؛ ابن أبى ليلى لم يدرك معاذا . وأخرجه أبو داود (٥٠٧) عن ابن المثنى به . والحديث فى مسند الطيالسى (٥٦٧) ، وفيه : فصلى سبعة عشر شهرا .

وحدَّثني أحمدُ بنُ المِقْدامِ ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ أبي ، قال : ثنا قتادةُ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ أن الأنصارَ صلَّت القبلةَ الأُولَى قبلَ قدومِ النبيِّ ﷺ بثلاثِ حِجَجٍ ، وأن النبيَّ ﷺ صلَّى القبلةَ الأُولَى بعد قُدومِه المدينةَ ستةَ[1] عشرَ شهرًا[2] . أو كما قال . وكِلا الحديثين يحدِّث قتادةُ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ .

ذكرُ السببِ الذي كان من أجلِه [3]ﷺ يصلِّي[3] نحوَ بيتِ المقدسِ ، قبلَ أن يُفرضَ عليه التوجُّهُ شطرَ الكعبةِ

اختلَف أهلُ العلمِ في ذلك ؛ فقال بعضُهم : كان ذلك باختيارٍ من النبيِّ ﷺ ، [4]من غيرِ أن يكونَ اللهُ فرَض ذلك عليه[4] .

ذِكرُ من قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ أبو تُميلةَ ، قال : ثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، [5]عن عكرمةَ ، و[5] عن يزيدَ النحويِّ ، عن عكرمةَ والحسنِ البصريِّ ، قالا : أوَّلُ ما نُسِخ من القرآنِ القبلةُ ، وذلك أن النبيَّ ﷺ كان يستقبِلُ صخرةَ بيتِ المقدسِ ، وهي قبلةُ اليهودِ ، فاستقبلَها النبيُّ ﷺ سبعةَ عشرَ شهرًا ، ليؤمنوا به ويتَّبِعوه ، ويَدعُو بذلك الأُمِّيين من العربِ ، فقال اللهُ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[6] .

---

(١) في الأصل : « ثلاثة » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤٣/١ إلى المصنف .

(٣ - ٣) في م : « يصلي رسول الله ﷺ » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤٢/١ إلى المصنف عن عكرمة وحده . وعزاه أيضًا إلى أبي داود في ناسخه عن ابن عباس بلفظه .

وحدَّثني المثنَّى بنُ إبراهيمَ ، [1] قال : حدَّثنا إسحاقُ [1] ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قولِه : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ﴾ : يعنُون بيتَ المقدسِ .

قال الربيعُ : قال أبو العاليةِ : إن نبيَّ اللهِ ﷺ خُيِّرَ بين [2] أن يُوجِّهَ وجهَه حيث شاء ، فاختارَ بيتَ المقدسِ ، لكى يتألَّفَ أهلَ الكتابِ ، فكانت قبلةَ [3] ستةَ عشرَ شهرًا ، وهو في ذلك يقلِّبُ وجهَه في السماءِ ، ثم وجَّهه اللهُ إلى البيتِ الحرامِ [4] .

وقال آخرون : بل كان فعلُ ذلك من النبيِّ ﷺ وأصحابِه بفرضِ اللهِ عليهم .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا [٦٤/٤و] عبدُ الله بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنا معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، / عن ابنِ عباسٍ قال : لما هاجرَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى المدينةِ ، وكان أكثرَ [5] أهلِها اليهودُ ، أمرَه اللهُ أن يستقبِلَ بيتَ المقدسِ ، ففرِحت اليهودُ ، فاستقبَلها رسولُ اللهِ ﷺ بضعةَ عشرَ شهرًا ، فكان رسولُ اللهِ ﷺ يحبُّ قبلةَ إبراهيمَ عليه السلامُ ، وكان يدْعو وينظُرُ إلى السماءِ ، فأنزلَ اللهُ : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ الآية . فارْتاب من ذلك اليهودُ ، وقالوا : ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ ؟ فأنزَل اللهُ : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ [6] .

٥/٢

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، قال : قال ابنُ

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣) في م : « قبلته » .

(٤) ينظر تفسير ابن أبى حاتم ٢٤٨/١ (١٣٢٧) .

(٥) سقط من : م .

(٦) تقدم تخريجه في ص٤٥٠ .

جُريجٍ : صلّى رسولُ اللهِ ﷺ أوّلَ ما صلّى إلى الكعبةِ ، ثم صُرِف إلى بيتِ المقدسِ ، فصلّت الأنصارُ نحوَ بيتِ المقدسِ قبلَ قدومِه عليه السلامُ ثلاثَ حِجَجٍ ، وصلّى بعدَ قدومِه ستةَ عشرَ شهرًا ، ثم ولاه اللهُ إلى الكعبةِ .

ذكرُ السببِ الذى من أجلِه قال [(١)]من قال[(١)] :
﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾

اختلَف أهلُ التأويلِ فى ذلك ؛ فرُوِى عن ابنِ عباسٍ فيه قولان ؛ أحدُهما ، ما حدَّثنا به ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال ذلك قومٌ من اليهودِ للنبىِّ ﷺ ، فقالوا له : ارجِعْ إلى قبلتِك التى كنتَ عليها نتَّبِعْك ونصدِّقْك . يُريدون فتنَه عن دينِه[(٢)] .

والقولُ الآخرُ : ما ذكَرتُ من حديثِ علىِّ بنِ أبى طلحةَ عنه الذى مضَى قبلُ[(٣)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ قال : صلّت الأنصارُ نحوَ بيتِ المقدسِ حولَيْن قبلَ قدومِ نبىِّ اللهِ ﷺ المدينةَ ، وصلّى نبىُّ اللهِ ﷺ بعدَ قدومِه المدينةَ مهاجرًا نحوَ بيتِ المقدسِ ستةَ عشرَ شهرًا ، ثم وجَّهه اللهُ بعد ذلك إلى الكعبةِ البيتِ الحرامِ ، فقال فى ذلك قائلُون من الناسِ : ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾؟ لقد اشتاق الرَّجلُ إلى مولدِه . فقال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تقدم مطولا فى ص ٦١٨، ٦١٩ .

(٣) تقدم فى ص ٦٢٣.

وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[(١)] .

[(٢)]وقال آخرون : بل قائِلو[(٢)] هذه المقالةِ المنافقون ، وإنما قالوا ذلك استهزاءً بالإسلامِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ ، قال : لما وُجِّه النبيُّ ﷺ قِبلَ المسجدِ الحرامِ ، اختلَفَ الناسُ فيها فكانوا أصنافًا ، فقال المنافقون : ما بالُهم كانوا على قبلةٍ زمانًا ثم تركوها وتوجَّهوا[(٣)] غيرَها ؟! فأنزَل اللهُ في المنافِقين : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ﴾ . الآية كلَّها[(٤)] .

[٦٤/٤ظ] القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ .

يعني جل ثناؤُه بذلك : قلْ يا محمدُ - لهؤلاء الذين قالوا لك ولأصحابِك : ما ولَّاكم عن قبلتِكم من بيتِ المقدسِ التي كنتم على التوجُّهِ إليها ، إلى التوجُّهِ شطرَ المسجدِ الحرامِ ؟ - : للهِ مُلكُ المشرقِ والمغربِ - يعني بذلك : مُلكُ ما بينَ قُطْرَيْ مَشرقِ الشمسِ ، وقُطْرَيْ مَغربِها ، وما بينهما من العالَمِ - يَهْدى من يشاءُ من خَلْقِه / فيسدِّدُه ويوفِّقُه إلى الطريقِ القويمِ ، وهو الصراطُ المستقيمُ - ويعني بذلك : إلى قبلةِ إبراهيمَ الذى جعلَه للناسِ إمامًا - ويخذُلُ من يشاءُ منهم فيضِلُّه عن سبيلِ الحقِّ . ٦/٢

وإنما عَنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ : قلْ يا محمدُ : إنّ اللهَ هدانا بالتوجُّهِ شطرَ المسجدِ الحرامِ لقبلةِ إبراهيمَ ، وأضلَّكم أيها

---

(١) سيأتي بتمامه فى ص ٦٣٩ ، ٦٤٠ .

(٢ - ٢) فى م : « وقيل قائل » .

(٣) بعده فى م : « إلى » .

(٤) سيأتي بتمامه فى ص ٦٤٠، ٦٤١، ٦٦٨ .

اليهودُ والمنافقون وجماعةُ الشركِ باللهِ ، فخذَلكم عما هدَانا له من ذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ : كما هدَيناكم أيها المؤمنون بمحمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ ، وبما جاءَكم به من عندِ اللهِ ، فخصَصْناكم بالتوفيقِ لقبلةِ إبراهيمَ وملّتِه ، وفضَّلناكم بذلك على من سواكم من أهلِ المللِ ، كذلك خصَصْناكم أيضًا ففضَّلناكم على غيرِكم من أهلِ الأديانِ ؛ بأن جعَلْناكم أمةً وسطًا . وقد بيّنا أن « الأمَّةَ » هى القرنُ من الناسِ ، والصِّنْفُ منهم وغيرهم[(١)] .

وأما « الوسطُ » فإنه فى كلامِ العربِ الخيارُ ، يقالُ منه : فلانٌ واسِطُ[(٢)] الحسَبِ فى قومِه . أى : متوسِّطُ الحسَبِ ، إذا أرادُوا بذلك الرفعَ فى حسبِه ، وهو وسطٌ فى قومِه وواسطٌ . كما يقالُ : شاةٌ يابسةُ اللبنِ ، ويَبَسةُ اللَبنِ . وكما قال جل ثناؤُه : ﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ [طه : ٧٧] . وقال زهيرُ بنُ أبى سُلْمَى فى « الوسطِ »[(٣)] :

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الأنامُ بحُكمِهِمْ إذا نَزَلَت إحدَى الليالى بمُعْظَمِ

قال أبو جعفرٍ : وأنا أرَى أن « الوسَطَ » فى هذا الموضعِ هو [٤/٦٥و] الوسَطُ الذى بمعنى الجزءِ الذى هو بين الطرفَين ، مثلَ وسَطِ الدارِ ، [(٤)] محرَّكةُ الوسطِ مثقَّلتُه[(٤)] ، غيرُ جائزٍ فى سينِه التخفيفُ . وأرَى أن اللهَ تبارَك وتعالى إنما وصَفهم بأنهم

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/٢٢٤ ، ٢/٥٨٨ .

(٢) فى م : « وسط » .

(٣) شرح ديوان زهير ص ٢٧ . والبيت فيه هكذا :

لحى حلال يعصم الناس أمرهم إذا طرقـــت .....

وأنشده الجاحظ فى البيان والتبيين ٣/٢٥٥ غير منسوب هكذا :

هم وسط يرضى الإله بحكمهم إذا طـــرقت ....

(٤ - ٤) فى م : « محرك الوسط مثقله » ، وفى ت ٢ : « محركة الوسط مثقلة » .

وسَطٌ ، لتوسُّطِهم في الدينِ ، فلا هم أهلُ غلوٍّ فيه غلوَّ النصارَى الذين غَلَوْا بالترهُّبِ ، وقيلِهم في عيسى ما قالوا فيه ، ولا هم أهلُ تقصيرٍ فيه تقصيرَ اليهودِ الذين بدَّلوا كتابَ اللهِ ، وقتَلوا أنبياءَهم ، وكذَبوا على ربِّهم ، وكفَروا به ، ولكنهم أهلُ توسُّطٍ واعتدالٍ فيه ، فوصَفهم اللهُ بذلك ، إذْ كان أحبُّ الأمورِ إلى اللهِ أوساطُها[1] .

/وأما التأويلُ فإنه جاء بأن الوسَطَ العدْلُ ، وذلك هو معنى الخيارِ ؛ لأن الخيارَ ٧/٢ من الناسِ عُدولُهم .

ذكر من قال : الوسطُ العَدْلُ

حدَّثني سلمُ[2] بنُ جُنادةَ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالا : ثنا حفصُ بنُ غِياثٍ ، عن الأعمشِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي سعيدٍ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ في قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : « عدلًا »[3] .

حدَّثنا مجاهدُ بنُ موسى ومحمدُ بنُ بشارٍ ، قالا : ثنا جعفرُ بنُ عونٍ ، عن الأعمشِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي سعيدٍ ، عن النبيِّ ﷺ مثلَه[4] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا مؤمَّلٌ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً

---

(١) في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أوسطها » .

(٢) في م : « سالم » .

(٣) في م : « عدولا » .

والحديث أخرجه الإسماعيلي - كما في الفتح ١٧٢/٨ - من طريق حفص بن غياث به ، مختصرا . وأخرجه أحمد ١٧/ ١٢٢، ٣٧٢ (١١٠٦٨، ١١٢٧١) ، والترمذي (٢٩٦١) ، والنسائي في الكبرى (١١٠٠٦) ، وأبو يعلى (١٢٠٧) ، وابن حبان (٧٢١٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٤٨، ٢٤٩ (١٣٣١) ، والإسماعيلي ، وأبو عمرو بن منده في فوائده (١) من طرق عن الأعمش به ، مختصرا . وسيأتي مطولا في ص ٦٣٠ .

(٤) سيأتي مطولا في ص ٦٣٠، ٦٣١.

وَسَطًا ﴾ قال : « عدلًا »[1] .

وحدَّثني عليُّ بنُ عيسى ، قال : حدَّثنا سعيدُ بنُ سليمانَ ، عن حفصِ بنِ غِياثٍ ، [2]عن الأعمشِ[2] ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ في قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : « عدلًا »[3] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ يمانٍ ، عن أشعثَ ، عن جعفرٍ ، عن سعيدٍ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : عدلًا .

وحدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللهِ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . قال : عدلًا[4] .

وحدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو[5] حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : عدلًا .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : عُدولًا[6] .

وحدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ،

---

(١) في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « عدولا » .
والأثر في تفسير الثورى ص ٥٠ . وأخرجه الحاكم ٢/٢٦٨ بإسناد منقطع عن الأعمش به .
(٢ - ٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٤٤ إلى المصنف .
(٤) تفسير مجاهد ص ٢١٥، بلفظ : عدولا . وستأتى بقيته فى ص ٦٣٣.
(٥) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
(٦) تفسير عبد الرزاق ١/ ٦٠، ٦١.

عن الربيع فى قولِه : ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : عدلًا .

وحدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . يقولُ : جعَلكم أمة عدلًا[(١)] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبرنا ابنُ المباركِ ، عن رِشْدِين[(٢)] بنِ سعدٍ ، قال : أخبرنى [٦٥/٤ظ] ابنُ أنْعُمٍ المَعافِرِىُّ ، عن حِبّانَ بنِ أبى جَبَلَةَ يُسْنِدُه[(٣)] إلى رسولِ اللهِ ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . قال : « الوسَطُ العدلُ »[(٤)] .

/ وحدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن عطاءٍ ومجاهدٍ وعبدِ اللهِ بنِ كَثيرٍ : ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . قالوا : عدلًا . قال مجاهدٌ : عدولًا . ٨/٢

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . قال : هم وسطٌ بين النبىِّ ﷺ وبين الأُمَمِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

والشهداءُ جمعُ شهيدٍ .

فمعنى ذلك : وكذلك جعَلناكُم أُمةً [(٥)]عدلًا لتكونوا[(٥)] شهداءَ لأنبيائى ورُسلى

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٤/١ إلى المصنف .
(٢) فى م : « راشد » ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « رشد » .
(٣) فى م ، ت٢ ، ت٣ : « بسنده » .
(٤) سيأتى مطولا فى ص ٦٣٥، ٦٣٦ .
(٥ - ٥) فى م : « وسطا عدولا » .

على أُمِمها بالبلاغِ ، أنها قد بلَّغت ما أُمِرت ببلاغِه من رسالاتى إلى أُمِمها ، ويكونَ رَسولى محمدٌ ﷺ شهيدًا عليكم بإيمانِكم به ، وبما جاءكم به من عندى .

(١) وقيل : معنى « عَلَيْكُمْ » فى قولِه : ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾ : لكم . كأن تأويلَه عندهم : ويكونَ الرسولُ شهيدًا لكم .

وقال قائلُ هذه المقالةِ : هذا نظيرُ قولِه : ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ [المائدة : ٣] إنما هو : وما ذبح للنصُبِ (١) .

حدَّثنى أبو السّائبِ ، قال : حدَّثنا حفصٌ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « يُدْعَى بنُوحٍ عليه السلامُ يومَ القيامَةِ ، فيُقالُ له : هل بلَّغْتَ ما أرْسِلتَ به ؟ فيقولُ : نعم . فيقالُ لقَومِه : هل بَلَّغَكم ؟ فيقولُون : ما جاءَنا من نَذيرٍ . فيُقالُ له : من يَعْلَمُ ذاك ؟ فيقولُ : محمَّدٌ وأُمَّتُه » . فهو قولُه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾ (٢) .

وحدَّثنا مجاهدُ بنُ موسى ، قال : حدَّثنا جعفرُ بنُ عوْنٍ ، قال : أخبَرنا الأعمشُ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ بنحوِه ، إلا أنه زاد فيه : (٣) « فتُدْعَوْن فتَشْهَدون (٣) أنه قد بلَّغ » (٤) .

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٢٢ - تفسير) ، وابن أبى شيبة ١١/ ٤٥٤ ، وأحمد ١٧/ ٣٨٣ ، ١١٢/١٨ (١١٢٨٣ ، ١١٥٥٨) ، والبخارى (٣٣٣٩ ، ٤٤٨٧ ، ٧٣٤٩) ، وفى خلق أفعال العباد (١٥٨) ، وابن ماجه (٤٢٨٤) ، والنسائى فى الكبرى (١١٠٠٧) ، وابن أبى الدنيا فى الأهوال (١٩٦) ، وأبو يعلى (١١٧٣) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤٩ ، ٢٥٠ (١٣٣٢ ، ١٣٣٦) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٤٦٤) من طرق عن الأعمش به ، مطولا . وتقدم مختصرا فى ص ٦٢٧ .

(٣ - ٣) فى م : « فيدعون ويشهدون » .

(٤) أخرجه الترمذى ٥/١٩١ (٢٩٦١) عن ابن بشار عن جعفر بن عون ، مطولا . وتقدم فى ص ٦٢٧ عن ابن بشار ، مختصرًا .

=

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا مؤمَّلٌ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ الخدريِّ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بأن الرسلَ قد بلَّغوا ، ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ بما عمِلْتم أو فعَلْتم[(١)] .

وحدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ فُضَيلٍ ، عن أبى مالكٍ الأشْجعىِّ ، عن المغيرةِ ابنِ عُتَيْبةَ[(٢)] بنِ النَّهّاسِ ، أن مُكْتِبًا[(٣)] لهم حدَّثهم ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ، أن النبىَّ ﷺ قال : « إنِّى وأُمَّتى لعلى كَوْمٍ[(٤)] يومَ القيامةِ مُشْرِفين على الخلائقِ ، ما أحدٌ من الأُممِ إلا ودَّ أنه [٦٦/٤و] منا[(٥)] أيَّتُها[(٦)] الأُمَّةُ ، وما من نبىٍّ كذَّبه قومُه إلا نحن شُهَداؤُه يومَ القيامةِ أنه قد بلَّغ رسالاتِ ربِّه ونصَح لهم . قال : [(٧)] والرسولُ عليكم شهيدٌ[(٧)] » .

وحدَّثنى عصامُ بنُ رَوّادِ[(٨)] بنِ الجرّاحِ العسقلانىُّ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال :

= وأخرجه عبد بن حميد (٩١١) - وعنه الترمذى ١٩٠/٥ (٢٩٦١) - والبيهقى فى الشعب (٢٦٤) من طريق جعفر به .

(١) تفسير سفيان ص ٥١.

(٢) فى م : « عيينة » . ينظر الجرح والتعديل ٢٢٧/٨ .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « مكاتبا » . والمكتب : المعلِّم . التاج (ك ت ب) .

(٤) الكوم : المواضع المشرفة ، واحدها كومة . النهاية ٢١١/٤ .

(٥) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « منها » .

(٦) هذه اللفظة تقال فى الاختصاص ، وتختص بالمخبر عن نفسه ، كما فى حديث كعب بن مالك : فتخلفنا أيتها الثلاثة . يريد تخلفهم عن غزوة تبوك وتأخر توبتهم . ينظر النهاية ٨٨/١، واللسان (أيا) .

(٧ - ٧) فى م : « ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

والحديث عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٤/١ إلى المصنف . وأخرجه ابن مردويه وابن أبى حاتم - كما فى تفسير ابن كثير ٢٧٦/١ - من طريق عبد الواحد بن زياد ، عن أبى مالك الأشجعى به . وينظر المؤتلف للدارقطنى ٢١٣٢/٤ .

(٨) فى م : « وراد » ، وفى ت٢ ، ت٣ : « داود » . ينظر الجرح والتعديل ٢٦/٧ .

حدَّثنا الأوزاعىُّ ، عن يحيى بنِ أبى كثيرٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ أبى[(١)] الفضلِ ، عن أبى هريرةَ ، قال : خرَجْتُ مع النبىِّ ﷺ فى جِنازةٍ ، فلما صُلِّى على الميتِ قال الناسُ : نِعمَ الرجلُ . فقال النبىُّ ﷺ : « وَجَبَتْ » . ثم خرَجْتُ معه فى جِنازةٍ أُخرى ، فلمّا صلَّوْا على الميتِ قال الناسُ : بئسَ الرجلُ . فقال النبىُّ ﷺ : « وَجَبَتْ » . فقام إليه أُبىُّ بنُ كعبٍ فقال : يا رسولَ الله ، ما قولُك : وَجَبتْ ؟ قال : « قولُ اللهِ : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ » .

٩/٢ / وحدَّثنى علىُّ بنُ سهلٍ الرمْلىُّ ، قال : حدّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، قال : حدَّثنى أبو عمرٍو ، عن يحيى ، قال : حدَّثنى عبدُ اللهِ بنُ أبى الفضلِ المدينىُّ ، قال : حدَّثنى أبو هريرةَ ، قال : أُتى رسولُ اللهِ ﷺ بجِنازةٍ ، فقال الناسُ : نِعمَ الرجلُ . ثم ذكَر نحوَ حديثِ عصامٍ ، عن أبيه[(٢)] .

[(٣)] حدَّثنا العباسُ بنُ الوليدِ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى الأوزاعىُّ ، قال : حدَّثنى يحيى بنُ أبى كثيرٍ ، قال : حدَّثنى عبدُ اللهِ ، قال : حدَّثنى أبو هريرةَ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ بنحوِه[(٣)] .

وحدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا زيدُ بنُ حُبَابٍ ، قال : حدَّثنا عكرمةُ بنُ عمارٍ ، قال : حدَّثنى إياسُ بنُ سلمةَ بنِ الأكوعِ ، عن أبيه ، قال : كنا مع النبىِّ ﷺ فمُرَّ

---

(١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٩/١ (١٣٣٤) من طريق الوليد به . وعبد الله بن أبى الفضل مجهول . وأخرجه أحمد ١٢/ ٥١٣، ١٦/ ٢٨٧، ٤٨٧ (٧٥٥٢، ١٠٤٧١، ١٠٨٣٦) ، وغيره عن أبى هريرة بمعناه دون ذكر أُبى بن كعب ، وقال فى آخره : « إنكم شهداء الله فى الأرض » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

بجنازةٍ عليه فأُثْنِى عليها ثناءٌ[1] حسنٌ ، فقال : « وَجَبَتْ » . ومُرَّ عليه بجنازةٍ أُخرى ، فأُثْنِى عليها دونَ ذلك ، فقال : « وَجَبَتْ » . قالوا : يا رسولَ اللهِ ، ما « وجَبَتْ ؟ » قال : « الملائكةُ شُهداءُ اللهِ فى السماءِ ، وأنتم شُهداءُ اللهِ فى الأرضِ ، فما شَهِدْتم عليه [2]من شىءٍ[2] وَجَبَتْ » . ثم قرأ : « ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ »[3] الآية [التوبة : ١٠٥] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ : تكونوا شهداءَ لمحمدٍ ﷺ على الأممِ ؛ اليهودِ والنصارَى والمجوسِ[4] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، قال : يأتى النبىُّ ﷺ يومَ القيامةِ بإذنِه[5] ليس معه أحدٌ ، فتَشْهَدُ له أمةُ محمدٍ ﷺ أن قد[6] بلَّغهم .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن أبيه ، أنه سمِع عُبيدَ بنَ عُميرٍ [2]يقولُ . فذكَر[2] مثلَه[7] .

---

(١) فى م : « بثناء » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة ٣٦٨/٣ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٧٧/٦ (١٠٠٥٥) ، والطبرانى فى الكبير (٦٢٥٩، ٦٢٦٢) من طرق عن إياس بن سلمة به .

(٤) تقدم أوله فى ص ٦٢٧ .

(٥) فى ت٢ : « بادية » ، وغير منقوطة فى ت١ . وينظر الدر المنثور ١٤٦/١ .

(٦) كتب مقابله فى حاشية الأصل : « ربه لا صلى » . ولم نهتد إلى صوابها .

(٧) تفسير مجاهد ص ٢١٥ . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٦/١ إلى عبد بن حميد .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : حدثني ابنُ أبي نَجيحٍ ، عن أبيه ، قال : يأتي النبيُّ ﷺ يومَ القيامةِ . فذكَر مثلَه ، ولم يذكُرْ عُبيدَ بنَ عُميرٍ[(١)] .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ أي : أنَّ رسلَهم قد بلَّغت قومَها عن ربِّها ، ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ على أنه قد بلَّغ رسالاتِ ربِّه [٦٦/٤ظ] إلى أمتِه .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادَةَ : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ : لتكونَ هذه الأمةُ شهداءَ على الناسِ أن الرسُلَ قد بلَّغتهم ، ويكونَ الرسولُ على هذه الأمةِ شهيدًا أن قد بلَّغ ما أُرْسِل به[(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن زيدِ ابنِ أسلمَ ، أنّ قومَ نوحٍ يقولون يومَ القيامةِ : لم يبلِّغْنا نوحٌ . فيُدْعَى نوحٌ فيُسألُ : هل بلَّغتَهم ؟ فيقولُ : نعم ، [(٣)] قد بلَّغتُهم [(٣)] . فيقالُ : من شُهودُك ؟ فيقولُ : أحمدُ وأُمتُه . فتُدْعَوْن فتُسألون فتقولون : نعم قد بلَّغهم . فيقولُ قومُ نوحٍ : كيف تَشْهدون[(٤)] علينا ولم تُدْرِكونا[(٥)] ؟ قالوا : قد جاءنا[(٦)] نبيُّ اللهِ فأخبَرنا أنه قد بلَّغكم ، وأُنزلَ عليه أنه قد بلَّغكم ، فصدَّقْناه . قال : فيُصدَّق نوحٌ [(٧)] ويكذبون هم [(٧)] . قال : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[(٨)] .

---

(١) بعده في م : « مثله » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٦٠/١ ، ٦١ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) في الأصل : « يشهدون » .

(٥) في الأصل : « يدركونا » .

(٦) في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « جاء » .

(٧ - ٧) في م : « ويكذبونهم » .

(٨) تفسير عبد الرزاق ٦١/١ .

/ حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، أن الأممَ يقولون يومَ القيامةِ : واللهِ لقد كادت هذه الأمةُ أن يكونوا[1] أنبياءَ كلُّهم . لِما يَرَوْن اللهَ أعطاهم[2] . ١٠/٢

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ المباركِ ، عن رِشدِينَ[3] بنِ سعدٍ ، قال : أخبَرنى ابنُ أنعمِ المَعافرِىُّ ، عن حِبّانَ بنِ أبى جَبَلةَ ، يُسْنِدُه[4] إلى رسولِ اللهِ ﷺ قال : « إذا جمَع اللهُ عبادَه يومَ القيامَة كان أوّلَ من يُدْعَى إسْرافيلُ ، فيقولُ له ربُّه : ما فعَلْتَ فى عَهْدى ؟ هل بَلَّغْتَ عَهْدى ؟ فيقولُ : نعم رَبِّ ، قد بَلَّغْتُه جبْريلَ . فيُدْعَى جبْرِيلُ فيقالُ له : هل بَلَّغَكَ[5] إسْرافيلُ عَهْدى ؟ فيقولُ : نعم ربِّ ، قد بَلَّغنى . فيُخَلَّى عن إسرافيلَ ، ويقالُ لجبريلَ : هل بَلَّغْتَ عَهْدى ؟ فيقولُ : نعم قد بَلَّغْتُ الرُّسُلَ . فتُدْعَى الرسلُ فيقالُ لهم : هل بَلَّغَكم جبريلُ عَهْدِى ؟ فيقولون : نعم رَبَّنا . فيُخَلَّى عن جبريلَ ، ثم يقالُ للرسلِ : ما فَعَلتم بعَهْدى ؟ فيقولون : بلَّغْنا أُمَمَنا . فتُدْعَى الأُممُ فيقالُ : هل بَلَّغَكم الرسلُ عَهْدى ؟ فمنهم المُكَذِّبُ ، ومنهم المُصدِّقُ ، فتقولُ الرسلُ : إن لنا عليهم شُهودًا يَشْهَدون أنْ قد بَلَّغْنا مع شَهادتِك . فيقولُ : من يَشْهَدُ لكم ؟ فيقولون : أُمَّةُ أحمدَ . فتُدْعَى أُمةُ أحمدَ . فيقولُ : أتَشْهَدُون أن رُسُلى هؤلاء قد بَلَّغوا عَهْدى إلى من أُرْسِلوا إليه ؟ فيقولون : نعم رَبَّنا ، شهِدْنا أنْ قد بَلَّغوا . فتقولُ تلك الأُممُ : ربَّنا[6] ، كيف يَشْهَدُ علينا من لم يُدْرِكْنا ؟ فيقولُ لهم الرَّبُّ : كيف تَشْهَدون على من لم تُدْرِكوا ؟

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « تكون » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٦١/١ .

(٣) فى م : « راشد » ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « رشد » .

(٤) فى م : « بسنده » .

(٥) فى م : « بلغت » .

(٦) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

فيقولون : رَبَّنا بَعَثْتَ إلينا رسولًا ، وأنزَلْت إلينا عهدَك وكتابَك ، وقصَصْتَ علينا أنهم قد بَلَّغوا ، فشهِدْنا بما عَهِدْتَ إلينا . فيقولُ الرَّبُّ : صَدَقُوا . فذلك قولُه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . والوسطُ العدلُ : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ . قال ابنُ أنعمٍ : فبلَغنى أنه يشهَدُ يومئذٍ أمةُ محمدٍ إلا من كان فى قلبِه [٦٧/٤و] حِنَةٌ[1] على أخيه[2] .

حدثنا المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا أبو زهيرٍ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضحاكِ فى قولِه : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ : يَعنى بذلك الذين استقاموا على الهدَى ، فهم الذين يكونون شهداءَ على الناسِ يومَ القيامةِ ، لتكذيبِهم رسلَ اللهِ ، وكفرِهم بآياتِ اللهِ .

وحدِّثتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ . يقولُ : لتكونوا شهداءَ على الأُمَمِ الذين خلَوْا من قبلِكم بما جاءَتهم به[3] رسلُهم ، وبما كذَّبوهم ، / فقالوا يومَ القيامةِ ١١/٢ وعجِبوا : إن أمةً لم يكونوا فى زمانِنا ، فآمَنوا بما جاءَت به رسلُنا ، وكذَّبنا نحن بما جاءُوا به ! فعجِبوا كلَّ العجبِ[4] .

وقولُه : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ يعنى : بإيمانِهم به ، وبما أُنزِل عليه .

---

(١) الحنة : العداوة ، وهى لغة قليلة فى الإحنة . النهاية ١/٤٥٣ .

(٢) إسناده مرسل ضعيف ؛ رشدين وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم ضعيفان . وأخرجه ابن المبارك فى الزهد (١٥٩٨) ، ومن طريقه ابن أبى الدنيا فى الأهوال (٢٣٧) .

(٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٤٩ (١٣٣٥) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، بأوله .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثني عمِّي، قال: حدَّثني أبي، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ: ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾: يعنى أنهم شُهداءُ[(١)] على القرونِ بما سمَّى اللهُ لهم.

حدَّثنا القاسمُ، قال: حدَّثنا الحسينُ، قال: حدَّثني حجاجٌ، قال: قال ابنُ جُريجٍ: قلتُ لعطاءٍ: ما قولُه: ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ قال: أمةُ محمدٍ شُهداءُ[(١)] على من ترَك الحقَّ حين جاءَه، [(٢)]والإيمانَ[(٢)] والهدَى ممن كان قبلَنا. [(٣)]وقالها[(٣)] عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ. قال: وقال عطاءٌ: هم[(٤)] شهداءُ على من ترَك الحقَّ، من[(٥)] ترَكه من الناسِ أجمعين، جاء ذلك أمةَ محمدٍ في كتابِهم، ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ على أنهم قد آمَنوا بالحقِّ حين جاءَهم، وصدَّقوا به[(٦)].

حدَّثني يونسُ، قال: أخبَرنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ في قولِه: ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ قال: رسولُ الله ﷺ شاهدٌ على أمَّتِه، وهم شهداءُ على الأممِ، وهم أحدُ الأشهادِ الذين قال اللهُ: ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١] [(٧)]والأشهادُ أربعةٌ: [(٧)] الملائكةُ الذين يُحصُون أعمالَنا، لنا وعلينا. وقرَأ قولَه: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق: ٢١] وقال: هذا يومُ القيامةِ. قال: والنبيُّون شهداءُ على أُممِهم. قال: وأمةُ محمدٍ شهداءُ

---

(١) في م، ت١، ت٢، ت٣: «شهدوا».

(٢ - ٢) في م، ت١، ت٢، ت٣: «الإيمان».

(٣ - ٣) سقط من: ت١، ت٢، ت٣، وفي م: «قالها».

(٤) سقط من: م، ت١، ت٢، ت٣.

(٥) في م: «ممن».

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٥٠ (١٣٣٧) من طريق حجاج به.

(٧ - ٧) في م: «الأربعة».

على الأُمِ . قال : والأطوارُ الأجسادُ والجلودُ[١] .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾ : ولم نجعَلْ صرْفَكَ عن القبلةِ التى كنتَ على التوجُّهِ إليها يا محمدُ ، فصرَفْناكَ عنها ، إلا لنعلَمَ من يتَّبِعُكَ[٢] ممن ينقلِبُ على [٤/٦٧ظ] عَقِبيه .

والقبلةُ التى كان ﷺ عليها ، التى عناها اللهُ بقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾ ، هى القبلةُ التى [٣]كان يتوجَّهُ[٣] إليها قبلَ أن يَصْرِفَه[٤] إلى الكعبةِ .

كما حدَّثنى موسى بنُ هارونَ قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، عن أسباطَ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾ يَعنى بيتَ المقدِسِ[٥] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قلت لعطاءٍ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾ ؟ قال : القبلةُ بيتُ المقدسِ[٦] .

وإنما ترَك ذكرَ الصرفِ عنها اكتِفاءً بدَلالةِ ما قد ذُكِر من الكلامِ على معْناه ،

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٢/٥ إلى المصنف وابن أبى حاتم ، بلفظ : الأشهاد أربعة .... وقوله : « الأطوار » . لعل الصواب : « الأطراف » . وفى التبيان ٢/ ٧: قال ابن زيد : الأشهاد أربعة ... والجوارح كما قال : ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ .

(٢) بعده فى م : « ممن لا يتبعك » .

(٣ - ٣) فى م : « كنت تتوجه » .

(٤) فى م : « يصرفك » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٠/١ عقب الأثر (١٣٤٠) عن أبى زرعة ، عن عمرو به .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٠/١ (١٣٤٠) من طريق حجاج به .

كسائرِ ما قد ذكرْنا فيما مضَى من نظائرِه[(١)] .

وإنما قلنا ذلك معْناه ؛ لأن محنةَ اللهِ أصحابَ رسولِه فى القبلةِ إنما كانت - فيما تظاهَرَت به الأخبارُ - عند / التحويلِ من بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ ، حتى ارتدَّ - فيما ١٢/٢ ذُكر - رجالٌ ممن كان قد أسلَم واتَّبعَ رسولَ اللهِ ﷺ ، وأظهَر[(٢)] كثيرٌ من المنافقين من أجلِ ذلك نفاقَهم ، وقالوا : ما بالُ محمدٍ يحوِّلُنا مرةً إلى هلهنا ، ومرةً إلى هلهنا . ومرةً إلى ههنا . وقال المسلمون [(٣)] فى أنفسِهم وفى من[(٣)] مضَى من إخوانِهم المسلمين ، وهم يصلُّون نحوَ بيتِ المقدسِ : بطَلَتْ أعمالُنا وأعمالُهم وضاعتْ . وقال المشرِكون : تحيَّرَ محمدٌ فى دينِه . فكان ذلك فتنةً للناسِ وتمحيصًا للمؤمنين ، فلذلك قال جل ثناؤُه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ بمعنى[(٤)] : وما جعلْنا صرفَك عن القبلةِ التى كنتَ عليها . ونحويلَك إلى غيرِها . كما قال جل ثناؤُه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] بمعنى : وما جعلْنا خبرَك عن الرؤْيا التى أريناك . وذلك أنه لو لم يكنْ أخبرَ القومَ بما كان أُرِىَ ﷺ ، لم يكنْ فيه على أحد فتنةٌ . وكذلك القبلةُ الأُولى التى كانت نحوَ بيتِ المقدسِ لو لم يكنْ صرفٌ عنها إلى الكعبةِ ، لم يكنْ فيها على أحدٍ فِتْنةٌ ولا محنةٌ .

ذِكرُ الأخبارِ التى رُوِيت فى ذلك بمعْنى ما قلنا

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، قال :

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/١٣٩ - ١٤١ ، ١٧٨ - ١٨٠ .

(٢) فى الأصل : « أصر » .

(٣ - ٣) فى م : « فيما » .

(٤) فى م : « أى » .

كانت القبلةُ فيها بلاءٌ وتمحيصٌ ، صلَّتِ الأنصارُ نحوَ بيتِ المقدسِ حولَيْنِ قبل قدومِ نبيِّ اللهِ ﷺ المدينةَ[1] ، وصلَّى نبيُّ اللهِ بعد قُدومِه المدينةَ مهاجرًا نحوَ بيتِ المقدسِ ستةَ[2] عشرَ شهرًا ، ثم وَجَّهه اللهُ بعدَ ذلك إلى الكعبةِ البيتِ الحرامِ ، فقال فى ذلك قائلون من الناسِ : ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ ؟ لقد اشتاقَ الرجلُ إلى مولدِه ! قال اللهُ : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ [٤/٦٨و] مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . فقال أناسٌ لمَّا صُرِفتِ القبلةُ نحوَ البيتِ الحرامِ : كيف بأعمالِنا التى كنا نعمَلُ فى قبلتِنا الأُولَى ؟ فأنزلَ اللهُ جل ثناؤُه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ ، وقد يَبْتلى اللهُ العبادَ بما شاء من أمرِه ، الأمرَ بعدَ الأمرِ ؛ ليعلمَ من يُطيعُه ممن يَعصِيه ، وكلُّ ذلك مقبولٌ إذا كان فى إيمانٍ باللهِ ، وإخلاصٍ له ، وتسليمٍ لقضائِه[3] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : كان النبىُّ ﷺ يصلِّى قِبَلَ بيتِ المقدسِ ، فنَسختها الكعبةُ ، فلمّا توَجَّه قِبَلَ المسجدِ الحرامِ ، اختلفَ الناسُ فيها فكانوا أصنافًا ؛ فقال المنافقون : ما بالُهم كانوا على قبلةٍ زمانًا ، ثم ترَكوها وتوجَّهوا[4] غيرَها ؟ وقال المسلمون : ليت شِعْرَنا عن إخوانِنا الذين ماتوا وهم يصلُّون قِبَلَ بيتِ المقدسِ ، هل تقبَّل اللهُ منّا ومنهم أم لا ؟ وقالت اليهودُ : إن محمدًا اشتاقَ إلى بلدِ أبيه ومولدِه ، ولو ثبَت على قبلتِنا ، لكنا نرجُو أن يكونَ هو صاحبَنا الذى ننتظِرُ . وقال المشركون من أهلِ مكةَ : تحيَّرَ (٥)محمدٌ على(٥) دينِه ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « سبعة » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٣/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وتقدم أوله فى ص ٦٢٤، ٦٢٥ .

(٤) بعده فى م : « إلى » .

(٥ - ٥) فى م : « على محمد » .

فتوجَّه بقبلتِه إليكم ، وعلِم أنكم كنتم أهدَى منه ، ويوشِكُ أن يدخُلَ فى دينِكم . فأنزَل اللهُ فى المنافقين : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ وأنزلَ فى الآخَرين الآياتِ بعدَها[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قلتُ لعطاءٍ : ﴿ إِلَّا / لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ ؟ فقال عطاءٌ : يَبتليهم ليعلمَ من يُسلِمُ لأمرِه . قال ابنُ جُريجٍ : بلَغنى أن ناسًا ممن أسلَم رجَعوا فقالوا : مرَّةً هلهنا ومرَّةً هلهنا[2] !   ١٣/٢

فإن قال لنا قائلٌ : أوَ ما كان اللهُ عالمًا بمن يتَّبعُ الرسولَ ممن ينقلِبُ على عَقِبيه ، إلا بعدَ اتِّباعِ المتَّبِعِ ، وانقلابِ المنْقلِبِ على عَقِبيه ، حتى قال : ما فعَلْنا الذى فعَلْنا من تحويلِ القبلةِ إلا لنعلَمَ المتَّبِعَ رسولَ اللهِ من المنقلِبِ على عَقِبيه ؟

قيل : إن اللهَ جل ثناؤُه هو العالمُ بالأشياءِ كلِّها قبلَ كونِها ، وليس قولُه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [3]بخبرٍ عن[3] أنه لم يعلَمْ ذلك إلا بعدَ وجودِه .

فإن قال : فما معْنى ذلك ؟

قيل له : أمّا معْناه عندَنا فإنه : وما جعَلْنا القبلةَ التى كنتَ عليها إلا ليعلمَ رسولى وحِزْبى وأوْليائى مَن يتَّبِعُ الرسولَ ممن ينقلِبُ على عَقِبيه ، فقال جل ثناؤُه : ﴿ إِلَّا

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٢/١ إلى المصنف . وتقدم أوله فى ص ٦٢٤. وينظر ما سيأتى فى ص ٦٨٧.

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥١/١ عقب الأثر (١٣٤٢) معلقًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٦/١ إلى المصنف .

(٣ - ٣) فى م : « يخبر » .

لِنَعْلَمَ ﴾ . ومعناه : ليعلَمَ رسولى وأوليائى . إذْ كان رسولُه وأولياؤُه من حزْبِه ، وكان من شأنِ العربِ إضافةُ ما فعَلته أتباعُ الرئيسِ إلى الرئيسِ ، وما فعَل بهم إليه ، نحوَ قولِهم : فتَح عمرُ بنُ الخطابِ سوادَ العراقِ ، وجبَى خراجَها . وإنما فعَل ذلك أصحابُه عن سببٍ كان منه فى ذلك .

وكالذى رُوِى فى نظيرِه عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « يقولُ اللهُ : مَرِضْتُ فلم يَعُدْنى عَبْدى ، واسْتقْرَضْتُه فلم يُقْرِضْنى ، وشَتَمَنى ولم يَنْبَغِ له أن يَشْتُمَنى » .

[٤/٦٨ظ] حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا خالدٌ ، عن محمدِ بنِ جعفرٍ ، عن العلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « يقولُ[(١)] اللهُ : استقْرَضْتُ عَبْدى فلم يُقْرِضنى ، وشَتَمَنى ولم يَنْبَغِ له أن يَشْتُمَنى ، يقولُ : وادَهْراه . [(٢)]وأنا[(٢)] الدهْرُ ، أنا الدهْرُ » .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن العلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ بنحوِه .

فأضاف تعالى ذكرُه الاستقراضَ والعيادةَ إلى نفسِه ، وإن[(٣)] كان ذلك بغيرِه ، إذْ كان ذلك عن سَببِه .

وقد حُكِى عن العربِ سماعًا : أجوعُ فى غيرِ بطنى ، وأعْرَى فى غيرِ ظهرِى . بمعنى جوعِ أهلِه وعيالِه ، وعُرْيِ ظهورِهم . فكذلك قولُه : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ بمعنى :

(١) فى م : « قال » .
(٢ - ٢) فى الأصل : « أنا » .
(٣) فى م : « قد » .

يعلَمُ أوليائى وحِزْبى . وبنحوِ ما[(١)] قلْنا فى ذلك [(٢)]قالت جماعةٌ من[(٢)] أهلِ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدثنى معاويةُ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ . قال ابنُ عباسٍ : لنَميزَ أهلَ اليقينِ من أهلِ الشكِّ[(٣)] والرِّيبةِ[(٤)] .

وقد[(٥)] قال بعضُهم : إنما قيلَ ذلك من أجلِ أن العربَ تضَعُ العِلْمَ مكانَ الرؤْيةِ ، والرؤيةَ مكانَ العلمِ ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ [الفيل : ١] ، فزعَم أن معنى : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ألم تعْلَمْ ؟ وزعَم / أن معنى قولِه : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ بمعنى : إلا لنرى من يتَّبِعُ الرسولَ . وزعَم أن قولَ القائلِ : رأيْتُ وعلِمتُ وشهِدتُ . حروفٌ تتعاقَبُ ، فيوضَعُ بعضُها موضعَ بعضٍ ، كما قال جريرُ ابنُ عطيةَ[(٦)] :

١٤/٢

كأنَّك لم تَشْهَدْ لَقِيطًا وحاجِبًا ... وعمرَو بنَ عمرٍو إذ دعا[(٧)] يا لدارِمِ

بمعنى : كأنك لم تعلَمْ لقيطًا ؛ لأن بينَ هُلْكِ لَقيطٍ وحاجبٍ وزمانِ جريرٍ ما لا يَخْفى بُعدُه من المُدَّةِ ، وذلك أن الذين ذكَرهم هلكوا فى الجاهليةِ ، وجريرٌ كان بعدَ

---

(١) فى م : « الذى » .

(٢ - ٢) فى م : « قال » .

(٣) فى م : « الشرك » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٠/١ (١٣٤١) من طريق أبى صالح به .

(٥) سقط من : م .

(٦) ديوان جرير ١٠٠٤/٢ .

(٧) فى الديوان : « دعوا » .

بُرهةٍ مضَت من مجىءِ الإسلامِ .

وهذا تأويلٌ بعيدٌ ؛ من أجلِ أن الرؤْيةَ وإن استُعْملت فى موضعِ العلمِ ، من أجلِ أنه مستحِيلٌ أن يَرَى أحدٌ شيئًا ، فلا توجِبُ له[1] رؤيتُه إياه علمًا بأنه قد رآه ، إذا كان صحيحَ الفِطرةِ ، فجاز من الوجهِ الذى أثبَتَه رؤيةً أن يُضافَ إليه إثباتُه إياه علمًا ، وصحَّ أن يدُلَّ بذكرِ الرؤيةِ على معنى العلمِ من أجلِ ذلك ، فليس ذلك وإن جاز[2] فى الرؤيةِ - لما وصفْنا - بجائزٍ فى العلمِ ، فيدُلَّ بذكرِ الخبرِ عن العلمِ على الرؤْيةِ ؛ لأن المرءَ قد يعلَمُ أشياءَ كثيرةً لم يرَها ولا يراها ، ويستَحِيلُ أن يَرَى شيئًا إلا علِمه ، [3]على ما[3] قد قدَّمنا البيانَ ، مع أنه غيرُ موجودٍ فى شىءٍ من كلامِ العربِ أن يقالَ : علِمتُ كذا . بمعنى : رأيتُه . وإنما يجوزُ توجيهُ معانى ما فى كتابِ اللهِ الذى أنزَله على محمدٍ ﷺ من الكلامِ ، إلى ما كان موجودًا مثلَه فى كلامِ العربِ ، دونَ ما لم يكنْ موجودًا فى كلامِها ، فموجودٌ فى كلامِها : رأيتُ[4] . [٦٩/٤و] بمعنى : علِمتُ[5] . وغيرُ موجودٍ فى كلامِها : علِمتُ[5] بمعنى : رأيتُ[4] . فيجوزُ توجيهُ قولِه[1] : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ إلى معنى : إلَّا لنرَى .

وقال آخرون : إنما قيل : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ من أجلِ أنَّ المنافقين واليهودَ وأهلَ الكفرِ باللهِ أنكَروا أن يكونَ اللهُ تعالى ذكرُه يعلَمُ الشىءَ قبلَ كونِه ، وقالوا - إذْ قيل لهم : إن قومًا من أهلِ القبلةِ سيرْتدُّون على أعقابِهم إذا حُوِّلت قبلةُ محمدٍ إلى الكعبةِ - : ذلك غيرُ كائنٍ . أو قالوا : ذلك باطلٌ . فلمَّا فعَل اللهُ ذلك ، وحوَّل القبلةَ ، وكفَر من أجلِ

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « كان » .

(٣ - ٣) فى م : « كما » .

(٤) فى الأصل : « أرأيت » .

(٥) فى الأصل : « أعلمت » .

ذلك من كفَر ، قال جل ثناؤه : ما فعَلتُ إلا ليُعلَمَ[١] عندَكم - أيها[٢] المنكِرون علْمِى بما هو كائنٌ من الأشياءِ قبل كونِه - أنى عالمٌ بما هو كائنٌ مما لم يكنْ بَعدُ .

فكأنّ معْنى قائِلِى[٣] هذا القولِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ : إلا ليتبيَّن[٤] لكم أنّا نعلمُ من يتَّبعُ الرسولَ ممّن ينقلبُ على عَقِبَيْه . وهذا وإنْ كانَ وجهًا لهُ مَخْرجٌ ، فبعيدٌ من المفهومِ .

وقال آخرون : إنّما قيل : ﴿ لِنَعْلَمَ ﴾ - وهو بذلك عالمٌ قبلَ كونِه ، وفى [٥]حالِ كونِه[٥] - على وجهِ الترفُّقِ[٦] بعبادِه واستمالتِهم إلى طاعتِه ، كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ : ٢٤] وقد عَلِم أنه على هدًى وأنهم على ضلالٍ مبينٍ ، ولكنَّه رفَق بهم فى الخطابِ ، فلم يقُلْ : إنا على هدًى وأنتم على ضلالٍ . فكذلك قولُه : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ معناه عندَهم : إلا لتعلَموا أنتم إذْ كنتم جُهّالًا به قبلَ أن يكونَ . فأضاف العلمَ إلى نفسِه ، رفقًا بخطابِهم .

وقد بيّنّا القولَ الذى هو أولَى[٧] ذلك بالحقِّ .

فأما قولُه : ﴿ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ . فإنه يعنى : الذى يتَّبعُ محمدًا ﷺ رسولَ اللهِ ، فيما يأمرُه اللهُ به ، فيتوَجَّهُ[٨] نحوَ الوجهِ الذى يتوجَّهُ نحوَه محمدٌ ﷺ .

---

(١) فى م : « لنعلم ما » .

(٢) بعده فى م : « المشركون » .

(٣) فى م : « قائل » .

(٤) فى م : « لنبين » .

(٥ - ٥) فى م : « كل حال » .

(٦) فى م : « الترفيق » .

(٧) بعده فى م : « فى » .

(٨) فى م : « فيوجه » .

١٥/٢ / وأما قولُه : ﴿ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ ﴾ فإنه يعنى به[١] : من الذى يرتدُّ عن دينِه ، فيُنافقُ ، أو يكفُرُ ، أو يخالفُ محمدًا ﷺ فى ذلك ، ممن يُظهِرُ اتِّباعَه .

كما حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ ﴾ قال : من إذا دخَلته شبهةٌ رجَع عن اللهِ ، وانقلَب كافرًا على عَقِبيْه .

وأصلُ المرتدِّ على عَقِبيه - [٢]وهو[٢] المنقلِبُ على عَقِبيه - الراجِعُ مستدبِرًا فى الطريقِ الذى قد كان قطَعه ، منصرِفًا عنه ، فقيل ذلك لكلِّ راجعٍ عن أمرٍ كان فيه ، من دينٍ أو خبرٍ[٣] ، ومن ذلك قولُه : ﴿ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴾ [الكهف : ٦٤] بمعنى : رجَعا فى الطريقِ الذى كانا سلَكاه .

وإنما قيل للمرتدِّ : مُرتدٌّ . [٤]من ذلك[٤] ؛ لرُجوعِه عن دينِه وملَّتِه التى كان عليها . وإنما قيل : رجَع على عَقِبيه . لرُجوعِه دُبُرًا على عَقِبيْه[٥] إلى الوجهِ الذى كان فيه بدءُ سيرِه قبلَ مرجِعِه عنه . فجُعل[٦] ذلك مثلًا لكلِّ تاركٍ أمرًا وآخذٍ آخرَ غيرَه ، إذا انصَرف عما كان فيه إلى الذى كان [٤/٦٩ظ] له تاركًا فأخذَه ، فقيل : ارتدَّ فلانٌ على عَقِبيْه[٥] ، وانقلَب على عَقِبيْه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ ﴾ .

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى م : « هو » .

(٣) فى م : « خير » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى م : « عقبه » .

(٦) فى م : « فيجعل » .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى التى وصَفها اللهُ جل ثناؤه بأنها كانت كبيرةً إلا على الذين هدَى اللهُ .

فقال بعضُهم : عنَى جل ثناؤُه بالكبيرةِ التوليةَ من بيتِ المقدسِ شطرَ المسجدِ الحرامِ والتحويلةَ[1] ، وإنما أُنِّثت[2] الكبيرةُ لتأنيثِ التوليةِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ [3]قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ[3] ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : قال اللهُ : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ يعنى : تحويلَها[4] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو الباهلىُّ ، قال : حدَّثنا الضَّحّاكُ بنُ مَخْلَدٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ قال : ما أُمِروا به [5]من التَّحوُّلِ[5] إلى الكعبةِ من بيتِ المقدسِ[6] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

---

(١) فى م : « التحويل » .

(٢) فى م : « أنث » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥١/١ (١٣٤٤) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٥ - ٥) فى الأصل : « فى التحويل » .

(٦) تفسير مجاهد ص ٢١٦ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم ٢٥١/١ (١٣٤٣) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٦/١ إلى عبد بن حميد .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزّاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ . قال : كبيرةٌ حين حُوِّلتِ القبلةُ إلى المسجدِ الحرامِ ، فكانت كبيرةً إلا على الذين هدَى اللهُ[(١)] .

وقال آخرون : بل الكبيرةُ هي القبلةُ بعينِها التي كان ﷺ يتوجَّهُ إليها من بيتِ المقدسِ قبلَ التحويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، [(٢)]عن الربيعِ[(٢)] ، عن أبي العاليةِ : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ . أي قبلةَ بيتِ المقدسِ : ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾[(٣)] .

١٦/٢ / وقال بعضُهم : بل الكبيرةُ هي الصلاةُ التي كانوا صلَّوْها[(٤)] إلى القبلةِ الأُولى.

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ قال : صلاتَكم حتى يَهديَكم اللهُ القبلةَ[(٥)] .

وقد حدَّثني[(٦)] يونسُ مرَّةً أُخرى فقال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ :

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٦١/١ ، ٦٢ .

(٢ - ٢) سقط من النسخ ، وهو من الأسانيد الدائرة .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥١/١ عقب الأثر (١٣٤٣) من طريق أبي جعفر به .

(٤) في م : « يصلونها » .

(٥) سيأتي بتمامه في ص ٦٥٠.

(٦) بعده في م : « به » .

﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ . قال : صلاتكم[١] هلهنا - يعنى إلى بيتِ المقدسِ ستةَ عشرَ شهرًا - وانحرافكم[٢] هلهنا .

وقال بعضُ نحويِّى البصرةِ : أُنِّث الكبيرةُ لتأنيثِ القبلةِ ، وإيّاها عنَى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ : بل أُنِّث الكبيرةُ لتأنيثِ التوليةِ والتحويلةِ .

فتأويلُ الكلامِ على معنَى [٧٠/٤و] ما تأوَّلَه قائلُو هذه المقالةِ : وما جعلنا تحويلَتَنا إيّاكَ عن القبلةِ التى كنتَ عليها وتوليتَنَاكَ عنها ، إلا لنعلَمَ من يتبعُ الرسولَ ممن ينقلِبُ على عَقِبيْه ، وإن كانت تحويلَتُنا إياك عنها وتوليتُنَاكَ لكبيرةً إلا على الذين هدَى اللهُ .

وهذا التأويلُ أولَى التأويلاتِ عندى بالصوابِ ؛ لأن القومَ إنما كبُر عليهم تحويلُ النبىِّ ﷺ وجهَه عن القبلةِ الأولَى إلى الأُخرى ، لا عينُ القبلةِ ، ولا الصلاةُ ؛ لأن القبلةَ الأولَى والصلاةَ قد كانت وهى غيرُ كبيرةٍ عليهم . إلا أن يُوجِّهَ موجِّهٌ تأنيثَ الكبيرةِ إلى القبلةِ ، ويقولَ : اجتُزِئَ بذكرِ القبلةِ من ذكرِ التوليةِ والتحويلةِ ؛ لدَلالةِ الكلامِ على معنى ذلك . كما قد وصفنا ذلك[٣] فى نظائرِه[٤] ، فيكونَ ذلك وجهًا صحيحًا ، ومذهبًا مفهومًا .

ومعنَى قولِه : ﴿ لَكَبِيرَةً ﴾ : عظيمةً .

---

(١) فى م : « صلاتك » .

(٢) فى م : « انحرافك » .

(٣) فى م : « لك » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٣٩/١ - ١٤١ ، ١٧٨ - ١٨٠ ، ٦٣٨/٢ ، ٦٣٩ .

كما حدَّثنا يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ قال : كبيرةٌ فى صدورِ الناسِ ، فيما يدخُلُ الشيطانُ به ابنَ آدمَ ، قال : ما لهم صلَّوْا إلى هلهنا ستةَ عشرَ شهرًا ثم انحرفُوا ! فكبُر[1] فى صُدورِ من لا يعرِفُ ولا يعقِلُ والمنافقين ، قالوا : أىُّ شىءٍ هذا الدينُ ؟ وأما الذين آمنوا فثبَّت اللهُ ذلك فى قلوبهم . وقرأ قولَ اللهِ : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ . قال : صلاتُكم حتى يَهدِيَكم للقبلةِ .

وأما قولُه : ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ فإنه يعنى به : وإن [2]كانت نَقْلَتُناكَ[2] عن القبلةِ التى كنتَ عليها لعظيمةً إلا على من وفَّقه اللهُ فهَداه لتصديقِك ، والإيمانِ[3] بذلك ، واتباعِك فيه ، وفيما أنزلَ اللهُ عليك .

كما حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ . يقولُ : إلا على الخاشِعين ، يعْنى المصدِّقين بما أنزَل اللهُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ قيل : عَنَى بالإيمانِ فى هذا الموضعِ الصلاةَ .

/ ذكرُ الأخبارِ التى رُويت بذلك وذكرُ قولِ من قاله

١٧/٢

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ وعُبيدُ اللهِ ، وحدَّثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا عبيدُ اللهِ بنُ موسى ، جميعًا عن إسرائيلَ ، عن سماكٍ ، عن عكرمةَ ، عن

---

(١) بعده فى م : « ذلك » .

(٢ - ٢) فى م : « كان تقليبتناك » .

(٣) بعده فى م : « بك و » .

ابنِ عباسٍ ، قال : لما وُجِّه رسولُ اللهِ ﷺ إلى الكعبةِ قالوا : كيف بمن مات من إخوانِنا قبلَ ذلك وهم يصلُّون نحوَ بيتِ المقدسِ ؟ فأنزلَ [٤/٧٠ظ] اللهُ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾[(١)].

حدَّثني إسماعيلُ بنُ موسى السُّدِّيُّ ، قال : أخبرنا شَرِيكٌ ، عن أبي إسحاقَ ، عن البراءِ في قولِ اللهِ عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ قال : صلاتكم نحوَ بيتِ المقدسِ[(٢)].

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازِيُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبيرِيُّ ، قال : حدَّثنا شريكٌ ، عن أبي إسحاقَ ، عن البراءِ نحوَه .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ نُفَيلٍ[(٣)] الحرّانيُّ ، قال : حدَّثنا زهيرٌ ، قال : حدَّثنا أبو إسحاقَ ، عن البراءِ ، قال : مات على القبلةِ قبلَ أن تُحوَّلَ إلى البيتِ رجالٌ وقُتلوا ، فلم ندرِ ما نقولُ فيهم ، فأنزلَ اللهُ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾[(٤)].

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ،

---

(١) أخرجه أحمد ٢٩٨/٥ (٣٢٤٩) - ومن طريقه الخلال في السنة (١١٤٣) - والترمذي (٢٩٦٤) ، وابن حبان (١٧١٧) من طريق وكيع به . وأخرجه الدارمي ٢٨١/١ ، والحاكم ٢٦٩/٢ من طريق عبيد الله بن موسى به . وأخرجه أحمد ٤٢٦/٤ ، ٤٩٥ ، ١١٨/٥ (٢٦٩١ ، ٢٧٧٤ ، ٢٩٦٤) ، والطبراني في الكبير (١١٧٢٩) من طرق عن إسرائيل به . وأخرجه الطيالسي (٢٧٩٥ - طبعتنا) ، وأبو داود (٤٦٨٠) من طريق سماك به .

(٢) أخرجه الطيالسي (٧٥٨ - طبعتنا) ، وسعيد بن منصور في سننه (٢٢٥- تفسير) ، والخلال في السنة (١١٤٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥١/١ (١٣٤٧) ، وأبي عمر وعثمان بن محمد السمرقندي في الفوائد المنتقاة ص (٨٥) ، وابن منده في الإيمان (١٦٨) من طرق عن شريك به .

(٣) بعده في م : « عن » .

(٤) تقدم أوله في ص ٦٢٠ .

قال : قال أناسٌ من الناسِ لما صُرِفَت القبلةُ نحوَ البيتِ الحرامِ : كيف بأعمالِنا التى كنا نَعملُ فى قبلَتِنا الأُولى[1] ؟ . فأنزل اللهُ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : لما توجَّه رسولُ الله ﷺ قِبَلَ المسجدِ الحرامِ ، قال المسلمون : ليت شِعْرَنا عن إخوانِنا الذين ماتوا وهم يصلُّون قِبَلَ بيتِ المقدسِ ، هل تقبَّل اللهُ منَّا ومنهم أم لا ؟ فأنزَل اللهُ فيهم : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ قال : صلاتَكم قِبَلَ بيتِ المقدسِ . يقولُ : إن تلك كانت[1] طاعةً وهذه طاعةٌ .

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيهِ ، عن الربيعِ ، قال : قال ناسٌ لما صُرِفت القبلةُ إلى البيتِ الحرامِ : كيف بأعمالِنا التى كنا نعملُ فى قبلَتِنا الأولَى ؟ فأنزلَ اللهُ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ الآية .

حدَّثنا القاسمُ ، قال: حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : أخبرَنى داودُ بنُ أبى عاصمٍ ، قال : لما صُرِف [2]رسولُ اللهِ ﷺ[2] إلى الكعبةِ ، قال المسلمون : هلَك أصحابُنا الذين كانوا يصلُّون إلى بيتِ المقدسِ . فنزَلت : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمِّى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ يقولُ : صلاتَكم التى صلَّيتم[3] من قبلِ أن تكونَ القبلةُ . وكان المؤمنون قد أشفَقوا على من

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) زيادة من : م .

(٣) فى م : « صليتموها » .

صلَّى منهم أن لا تُقبلَ صلاتُهم[(١)] .

/حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ ﴾ قال[(٢)] : صلاتَكم . ١٨/٢

حدَّثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ الضِّرارىُّ[(٣)] ، قال : أخبرنا مؤمَّلٌ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ فى هذه الآيةِ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ ﴾ قال : صلاتَكم نحوَ بيتِ المقدسِ .

قال أبو جعفرٍ : قد دلَّلْنا فيما مضَى على أن معنَى[(٢)] الإيمانِ التصديقُ ، وأن التصديقَ قد يكونُ بالقولِ وحدَه ، وبالفعلِ وحدَه ، وبهما جميعًا[(٤)] .

فمعنى قولِه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ ﴾ - على ما تظاهَرتْ به الرِّوايةُ من أنه الصلاةُ - : وما كان اللهُ ليُضيعَ تصديقَكم[(٥)] رسولَه عليه الصلاةُ والسلامُ بصلاتِكم التى صلَّيتُموها نحوَ بيتِ [٧١/٤و] المقدسِ عن أمرِه ؛ لأن ذلك كان منكم تصديقًا لرسولى ، واتِّباعًا لأمرِى ، وطاعةً منكم لى[(٦)] . وإضاعتُه إياه جل ثناؤُه - لو أضاعَه - تركُ إثابةِ أصحابِه وعامليه عليه ، فيذهَبُ ضياعًا ، ويصيرُ باطلًا ، كهيئةِ إضاعةِ الرجلِ مالَه ، وذلك إهلاكُه إياه فيما لا يَعتاضُ منه عِوَضًا فى عاجلٍ ولا آجلٍ . فأخبرَ اللهُ جل ثناؤُه أنه لم يكنْ بالذى[(٧)] يُبطِلُ عمَلَ عاملٍ عمِل له عملًا وهو له طاعةٌ ، فلا يُثيبُه عليه ، وإن نُسِخ ذلك الفرضُ بعدَ عملِ العاملِ إياه على ما كلَّفه من عملِه .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٦/١ إلى المصنف .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « الفزارى » . وينظر تهذيب الكمال ٤٨٢/٢٤ .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٢٤٠/١ ، ٢٤١ .

(٥) فى م : « تصديق » .

(٦) بعده فى م : « قال » .

(٧) سقط من : م ، وفى ت ١ : « عمل » .

فإن قال لنا[(١)] قائلٌ : وكيف قال اللهُ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ . فأضاف الإيمانَ إلى الأحياءِ المخاطَبين ، والقومُ المخاطَبون بذلك إنما كانوا أشفَقُوا على إخوانِهم الذين كانوا ماتوا وهم يصلُّون نحوَ بيتِ المقدسِ ، وفي ذلك من أمرِهم أُنزلت هذه الآيةُ ؟

قيل : إن القومَ وإن كانوا قد[(١)] أشفَقوا من ذلك ، فإنهم أيضًا قد كانوا مشفِقين من حُبوطِ ثوابِ صلاتِهم التي صلَّوْها إلى بيتِ المقدسِ قبلَ التحْويلِ إلى الكعبةِ ، وظنُّوا أن عملَهم ذلك قد بطَل وذهَب ضياعًا ، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ حينئذٍ ، فوجَّه الخطابَ بها إلى الأحياءِ ودخَل فيهم الموتَى منهم ؛ لأن من شأنِ العربِ إذا اجتَمع في الخبرِ المخاطَبُ والغائبُ ، أن يُغَلِّبوا المخاطَبَ ، فيُدْخِلوا[(٢)] الغائبَ في الخطابِ ، فيقولُوا لرجلٍ خاطَبوه على وجهِ الخبرِ عنه ، وعن آخرَ غائبٍ غيرِ حاضرٍ : فعلْنا بكما وصنعْنا بكما . كهيئةِ خِطابِهم لهما وهما حاضِران ، ولا يَستجِيزون أن يقولوا : فعلْنا بهما . وهم يُخاطِبون أحدَهما ، فردُّوا[(٣)] المخاطَبَ إلى عدادِ الغائبِ[(٤)] .

القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ .

ومعنى قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ أن اللهَ بجميعِ عبادِه ذُو رأفةٍ . والرأفةُ على معاني الرحمةِ ، وهي عامةٌ لجميعِ الخلقِ في الدنيا ولبعضِهم في الآخرةِ ، وأمّا الرحيمُ ، فإنه ذُو الرحمةِ للمؤمنين في الدنيا والآخرةِ على ما قد بيَّنا فيما مضَى قبلُ[(٥)] .

---

(١) سقط من : م .

(٢) في م : « فيدخل » .

(٣) في م : « فيردوا » .

(٤) في م : « الغيب » . وهما بمعنى . وينظر ص ١٨٨ .

(٥) ينظر ما تقدم في ١/١٢٤ - ١٣٤ .

وإنما أراد جل ثناؤه بذلك أن اللهَ أرحمُ بعبادِه من أن يُضِيعَ لهم طاعةً أطاعُوه بها فلا يُثِيبَهم عليها ،وأرأفُ بهم من أن يُؤاخذَهم بتركِ ما لم يَفرِضْ عليهم ، أى : فلا تأسَوْا على موتاكم الذين ماتوا وهم يصلُّون إلى بيتِ المقدسِ ، فإنى لهم – على طاعتِهم إيایَ [٧١/٤ظ] بصلاتِهم التى صلُّوها كذلك – مثيبٌ ؛ لأنى أرحمُ بهم من أن أُضيعَ لهم عملًا عمِلوه لى ، ولا تحزَنُوا عليهم ، فإنى غيرُ مؤاخِذِهم بتركِهم الصلاةَ إلى الكعبةِ ؛ لأنى لم أكنْ فرضْتُ ذلك عليهم ، وأنا أرأفُ بخلقى من أن أعاقِبَهم على تركِهم ما لم آمرْهم بعملِه .

وفى الرءوفِ لغاتٌ :إحداها ، « رَؤُفٌ » على مثالِ (فعُل) ، كما قال الوليدُ بنُ عقبةَ[1] :

وشَرُّ الطّالبين[2] فلا تَكُنْهُ /بقاتِلِ[3] عَمِّه الرَّؤُفُ الرَّحيمُ ١٩/٢

وهى قراءةُ عامَّةِ قَرَأَةِ أهلِ الكوفةِ . وَالأُخْرى : رَءوفٌ على مثالِ (فَعولٍ) . وهى قراءةُ عامةِ قَرَأَةِ أهلِ[4] المدينةِ . ورَئِفٌ ، وهى لغةُ غَطَفَانَ ، على مثالِ (فَعِل) ، مثل « حَذِر » . ورأْفٌ ، على مثالِ (فعْل) بجزمِ الهمزِ[5] ، وهى لغةٌ لبنى أسَدٍ .

---

(١) البيت فى تفسير القرطبى ١٥٨/٢ ، والبحر المحيط ٤٢٧/١ .

وللوليد بن عقبة أبيات يحض فيها معاوية على قتال على رضى الله عنهما ، وهذا البيت يدور معناه فى فلك هذه الأبيات ، غير أنه ليس منها . ينظر هذه الأبيات فى تاريخ الطبرى ٤/ ٥٦٤، واللسان (ح ل م) .

(٢) فى البحر المحيط : « الظالمين » .

(٣) فى تفسير القرطبى : « يقاتل » ، وفى البحر المحيط : « يقابل » .

(٤) سقط من : م . وقراءة « لرؤفٌ » هى قراءة أبى عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر ، وحمزة والكسائى ، وقراءة « لرءُوفٌ » هى قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم فى رواية حفص ، وروَى الكسائى عن أبى بكر عن عاصم « لرؤفٌ » .

(٥) فى م : « العين » ، والقراءتان الأخيرتان شاذتان .

والقراءةُ على أحدِ الوجْهين الأوَّلين .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : قد نرَى يا محمدُ نحن تقلُّبَ وجهِك فى السماءِ . ويعْنى بالتقلُّبِ التحوُّلَ والتصرُّفَ . ويعنى بقولِه : ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ نحوَ السماءِ وقِبَلَها .

وإنما قيل ذلك له ﷺ - فيما بلغَنا - لأنه كان قبلَ تحويلِ قبلتِه من بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ يرفعُ بصرَه إلى السماءِ ، تَنظُّرًا[1] من اللهِ جلَّ ثناؤُه أمْرَه بالتحوُّلِ[2] نحوَ الكعبةِ .

كما حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال : كان النبىُّ ﷺ يقلِّبُ وجهَه إلى[3] السماءِ يحبُّ أن يَصرِفَه اللهُ إلى الكعبةِ حتى صرَفه اللهُ إليها[4] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ فكان نبىُّ الله ﷺ يصلِّى نحوَ بيتِ المقدسِ ، يهوَى ويشتَهِى القبلةَ نحوَ البيتِ الحرامِ ، فوجَّهه اللهُ لقبلةٍ كان يهوَاها ويشتَهِيها[5] .

حدَّثنا المثنَّى ، قال : حدَّثنى إسحاقُ ، قال : حدَّثنى ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ،

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ : « ينتظر » .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « بالتحويل » .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فى » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٦٢/١ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٦/١ إلى المصنف وعبد بن حميد ، نحوه .

عن الربيعِ في قوله : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ يقولُ : نظرَك في السماءِ . وكان النبيُّ ﷺ يقلِّبُ وجهَه في الصلاةِ وهو يصلِّي نحوَ بيتِ المقدسِ ، وكان يهوَى قِبلةَ البيتِ الحرامِ ، فولَّاه اللهُ قبلةً كان يهوَاها[(1)] .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ ، قال : كان الناسُ يصلُّون قِبَلَ بيتِ المقدسِ ، [٧٢/٤و] فلما قدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ على رأسِ ثمانيةَ عشرَ شهرًا من مُهاجَرِه ، وكان إذا صلَّى رفَع رأسَه إلى السماءِ ينظُرُ ما يُؤْمَرُ ، وكان يصلِّي قِبَلَ بيتِ المقدسِ ، فنسَختْها /الكعبةُ . وكان النبيُّ ﷺ يحبُّ أن يُصلِّيَ قِبلَ الكعبةِ ، فأنزَل اللهُ : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الآية . ٢٠/٢

ثم اختُلِف في السببِ الذي من أجلِه كان النبيُّ ﷺ يهوَى قبلةَ الكعبةِ .

فقال بعضُهم : كرِهَ قبلةَ بيتِ المقدسِ من أجلِ أن اليهودَ قالوا : يتَّبِعُ قبلتَنا ويخالِفُنا في دينِنا !

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : قالت اليهودُ : يخالِفُنا محمدٌ ويتَّبِعُ قبلَتَنا . فكان يدعو اللهَ (٢)ويستفرِضُ القبلةَ(٢) ، فنزَلت : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ - وانقطَع قولُ يهودَ :

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٣/١ (١٣٥٦ ، ١٣٥٨) من طريق أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية .

(٢ - ٢) في م ، ت ٢ : « يستعرض للقبلة » . قال الشيخ شاكر : ليست بشيء . وقال : أي يطلب فرضها عليه وعلى المؤمنين ، وهذا ما لم تثبته كتب اللغة ، ولكنه صحيح العربية .

يخالِفُنا ويتَّبعُ قِبلَتَنا ! - فى صلاةِ الظهرِ ، فجعَل الرجالَ مكانَ النساءِ ، والنساءَ مكانَ الرجالِ[(١)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : سمعتُه - يعنى ابنَ زيدٍ - يقولُ : قال اللهُ لنبيِّه : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] . قال : فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « هؤلاء قَوْمُ يَهُودَ يَسْتَقبِلُون بَيْتًا من بُيُوتِ اللهِ - لبيتِ المقدسِ - لو أنا استقْبلْناه » . فاستقْبَله النبيُّ ﷺ ستةَ عشرَ شهرًا ، فبلَغه أن اليهودَ تقولُ : واللهِ ما دَرَى محمدٌ وأصحابُه أين قِبلتُهم حتى هدَيْناهم . فكرِه ذلك النبيُّ ﷺ ، ورفَع وجهَه إلى السماءِ ، فقال اللهُ : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ ﴾ الآية[(٢)] .

وقال آخرون : بل كان يهوَى ذلك من أجلِ أنه كان قبلةَ أبيه إبراهيمَ عليه السلامُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ،عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللهِ ﷺ [(٣)] لما هاجَر إلى المدينةِ ، وكان أكثرَ أهلِها اليهودُ ، أمَرَه اللهُ أن يستقبلَ بيتَ المقدسِ ، ففرِحت اليهودُ ، فاستقبَلها رسولُ الله ﷺ بضعةَ[(٤)] عشرَ شهرًا ، فكان رسولُ اللهِ ﷺ يحبُّ قبلةَ إبراهيمَ ، فكان يدْعو وينظُرُ إلى السماءِ ، فأنزَل اللهُ : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/‏١٤٧ إلى المصنف وعبد بن حميد . وأخرجه البغوى فى تفسيره ١/‏١٦١ من طريق مسلم بن خالد الزنجى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد . والزنجى ضعيف .

(٢) تقدم فى ص ٤٥٢ .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « ستة » .

﴿ ٱلسَّمَآءِ ﴾ الآية[١] .

[٧٢/٤ظ] وأما قولُه : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ فإنه يعنى : فلنصرِفَنَّك عن بيتِ المقدسِ إلى قبلةٍ ترضاها . [٢]ويَعنى بقولِه : ﴿ تَرْضَىٰهَا ﴾[٢] تهوَاها وتُحِبُّها .

وأما قولُه : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ ﴾ فإنه[٣] يعنى به[٣] : اصرِفْ وجهَك وحوِّلْه .

وقولُه : ﴿ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ يعنى بالشَّطرِ : النحوَ والقصدَ والتِّلقاءَ ، كما قال الهُذَلىُّ[٤] :

/إن العَسيرَ[٥] بها داءٌ مُخامِرُها[٦] فشَطْرَها نَظَرُ العَيْنَيْنِ مَحْسُورُ[٧] ٢١/٢

يعنى بقولِه : شَطْرَها : نحوَها . وكما قال ابنُ أحمرَ[٨] :

تَعْدُو بنا شَطْرَ جَمْعٍ[٩] وهْى عاقِدَةٌ[١٠] قد كارَبَ[١١] العَقْدُ من إيفادِها[١٢] الحقَبا[١٣]

(١) تقدم تخريجه فى ص ٤٥٠ .
(٢ - ٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
(٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
(٤) هو قيس ابن العيزارة ، والعيزارة أمه ، واسمه قيس بن خويلد . والبيت فى شرح أشعار الهذليين ٦٠٧/٢ ، واللسان (ح س ر ، ش ط ر) .
(٥) العسير : الناقة التى ركبت قبل تذليلها . اللسان (ع س ر) .
(٦) خامره الداء : خالطه . اللسان (خ م ر) .
(٧) حسر بصره : كَلَّ وانقطع نظره من طول مدى وما أشبه ذلك . اللسان (ح س ر) .
ورواية البيت فى شرح أشعار الهذليين هكذا :
إن النعوس بها داء يخامرها فنحوها بصر العينين مخزور
(٨) مجاز القرآن ٦٠/١ ، وسيرة ابن هشام ٥٥١/١ ، وخزانة الأدب ٢٥٥/٦ .
(٩) جمع : المزدلفة ، سميت بذلك لاجتماع الناس بها . اللسان (ج م ع) .
(١٠) ناقة عاقد : تعقد بذنبها عند اللقاح . اللسان (ع ق د) .
(١١) كارب الشىء : قاربه . اللسان (ك ر ب) .
(١٢) فى ت٣ : « إيقادها » . وهو لفظ رواية مجاز القرآن . والإيفاد : الإسراع . اللسان (و ف د) . فهما بمعنى .
(١٣) الحقب : حبل يشد به الرحل فى بطن البعير مما يلى ثيله ، لئلا يؤذيه التصدير ، أو يجتذبه التصدير ، =

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن[1] أبى العاليةِ : ﴿ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾ قال[2] : تلقاءَه[3] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾ نحوَه[4] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾ نحوَه[5] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ :

= فيقدمه . اللسان (ح ق ب) .

وقال فى الخزانة : وروى أيضا :

تعدو بنا شطر جمع وهى موفدة قد قارب الغرض من إيفادها الحقبا

(١) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « ابن » .

(٢) فى م : « يعنى » .

(٣) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ١٤٧/١ - وعنه ابن أبى شيبة ٣٣٥/١ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٤/١ (١٣٦١، ١٣٦٢) من طريق داود به . وأخرجه ابن عيينة فى تفسيره - كما فى الدر المنثور - وعنه سعيد بن منصور سننه (٢٢٧- تفسير) عن عاصم الأحول عن أبى العالية ، وعزاه السيوطى أيضًا فى الدر المنثور ١٤٧/١ إلى عبد بن حميد والدينورى .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره - كما فى الإتقان ٧/٢ -، والبيهقى ٣/٢ من طريق عبد الله بن صالح به .

(٥) تفسير مجاهد ص ٢١٦ ، ومن طريقه البيهقى ٣/٢ .

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾ أى : تلقاءَ المسجدِ الحرامِ[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ[(٢)] بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾ قال : نحوَ المسجدِ الحرامِ[(٣)] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾ أى : تلقاءَه[(٤)] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ : أخبرنى عمرُو بنُ دينارٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه قال : ﴿ شَطْرَهُۥ ﴾ نحوَه .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا الحِمَّانىُّ ، قال : حدَّثنا شَريكٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البراءِ : ﴿ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ قال : قِبَلَه[(٥)] .

/حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ شَطْرَهُۥ ﴾ ناحيتَه ، جانِبَه . قال : وجوانبُه شُطورُه . ٢٢/٢

ثم اختلَفوا فى المكانِ الذى أمَر اللهُ نبيَّه ﷺ أن يولِّىَ وجهَه إليه من المسجدِ الحرامِ : فقال بعضُهم : القِبلةُ التى حُوِّل إليها النبىُّ ﷺ ، وعناها اللهُ جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ ﴾ حِيالَ مِيزابِ[(٦)] الكعبةِ .

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٤/١ عقب الأثر (١٣٦٤) معلقًا .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٣ : « الحسين » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٦٢/١ . بزيادة : ﴿ وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ - أى : تلقاءه .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٤/١ عقب الأثر (١٣٦١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٤/١ عقب الأثر (١٣٦٣) معلقًا .

(٦) الميزاب : هو ما يسيل منه الماء من موضع عال . تاج العروس (و ز ب) .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني عبدُ الله بنُ أبي زيادٍ ، قال : حدَّثنا [٤/٧٣و] عثمانُ بنُ عمرَ ، قال : أخبرَنا شعبةُ ، عن يعلَى بنِ عطاءٍ ، عن يحيى بنِ قمِطَّةَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ قال : حِيالَ ميزابِ الكعبةِ[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : حدَّثنا هُشَيمٌ ، عن يعلَى بنِ عطاءٍ ، عن يحيى - يَعنى[(٢)] ابنَ قمِطَّةَ - قال : رأيتُ عبدَ اللهِ بنَ عمرٍو جالسًا فى المسجدِ الحرامِ بإزاءِ الميزابِ ، وتلا هذه الآيةَ : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ قال : هذه القِبلةُ[(٣)] ، هذه القِبلةُ[(٤)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا هشيمٌ بإسنادِه ، عن عبدِ اللهِ ابنِ عمرٍو ، نحوَه ، إلَّا أنه قال : استقبَل الميزابَ فقال : هذه القبلةُ التى قال اللهُ لنبيِّه : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ .

وقال آخرون : بل ذلك البيتُ كلُّه[(٥)] .

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/٢٦٩ من طريق شعبة به . وعزاه السيوطى أيضًا فى الدر المنثور ١/١٤٧ إلى ابن المنذر وابن أبى شيبة والطبرانى . وقال الهيثمى فى المجمع ٦/٣١٦: رواه الطبرانى من طريقين ، ورجال إحداهما ثقات .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « هى » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/٦٢، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٢٦- تفسير) ، وأحمد بن منيع فى مسنده - كما فى المطالب العالية (٣٥٧) - وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٥٣ (١٣٥٧) من طريق هشيم به.

(٥) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « قبلة وقبلة البيت الباب » .

ذكرُ من قال ذلك

(١) حدَّثني عمرانُ بنُ موسى القزّازُ ، قال : حدَّثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا عطاءُ بنُ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : البيتُ كلُّه قبلةٌ ، وقبلةُ البيتِ البابُ[٢] .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هشيمٌ ، قال : أخبرَنا عطاءُ بنُ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه(١) .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُليَّةَ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : البيتُ كلُّه قبلةٌ ، وهذه قبلةُ البيتِ . يعنى التى فيها البابُ .

والصوابُ من القولِ فى ذلك عندى ما قال اللهُ جلَّ ثناؤه : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾ فالمولِّى وجهَه شطرَ المسجدِ الحرامِ[٣] هو المصيبُ القبلةَ ، وإنما على من توجَّه إليه النيةُ بقلبِه أنه متوجِّهٌ إليه ، كما أن على مَن ائتمَّ بإمامٍ فإنما عليه الائتمامُ به وإن لم يكنْ مُحاذيًا بدَنُه بدَنَه ، وإن كان فى طرَفِ الصفِّ والإمامُ فى طرَفٍ آخرَ ، عن يمينِه أو عن يسارِه ، بعد أن يكونَ مَن خلفَه مؤتمًّا به مصلِّيًا إلى الوجهِ الذى يُصلِّى إليه الإمامُ . فكذلك حكمُ القبلةِ ، وإن لم يُحاذِها[٤] كلُّ مصلٍّ ومتوجِّهٍ إليها ببدَنِه ، غيرَ أنه متوجِّهٌ إليها . وإن كان عن يمينِها أو[٥] عن يسارِها مقابلَها ، فهو مستقبلُها ، بَعُدَ ما بينَه وبينها أو قرُب ، مِن عن يمينِها أو عن يسارِها ، بعد أن يكونَ

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) ذكره ابن رجب فى فتح البارى ٣/ ٨٠ عن المصنف من طريق عطاء به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٤٧ إلى المصنف .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « يكن يحاذيها » .

(٥) فى الأصل : « و » .

غيرَ مستدبِرِها ، ولا منحرفٍ عنها ببدنِه ووجهِه .

كما حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازيُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزبيريُّ ، قال : حدَّثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاقَ ، عن عَمِيرةَ بنِ زيادٍ الكنديِّ ، عن عليٍّ : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قال : شطْرَه فينا قِبلَه[1] .

وقبلةُ البيتِ الحرامِ[2] بابُه .

كما حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ والفضلُ بنُ الصَّبَّاحِ ، قالا : حدَّثنا هُشيمٌ ، قال : أخبرَنا عبدُ الملكِ ، /عن عطاءٍ ، قال : قال أسامةُ بنُ زيدٍ : رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ حين خرَج من البيتِ أقبلَ بوجهِه إلى [٤/٧٣ظ] البابِ ، فقال : « هذه القبلةُ ، هذه القبلةُ »[3] . ٢/٢٣

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ وسفيانُ ، قالا : حدَّثنا جريرُ بنُ عبدِ الحميدِ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبي سليمانَ ، عن عطاءٍ ، قال : حدَّثني أسامةُ بنُ زيدٍ ، قال : خرَج النبيُّ ﷺ من البيتِ ، فصلَّى ركعَتَين مستقبِلاً بوجهِه الكعبةَ ، فقال : « هذه القبلةُ » . مرَّتين[4] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحيمِ بنُ سليمانَ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطاءٍ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ نحوَه .

حدَّثنا سعيدُ بنُ يحيى الأُمويُّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا ابنُ جُريجٍ ،

---

(١) في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « قبلة » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٥٤ (١٣٦٣) من طريق إسرائيل به . وأخرجه الحاكم ٢/٢٦٩ - وعنه البيهقي ٢/٣ - من طريق أبي إسحاق به . وعزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور ١/١٤٧ إلى عبد بن حميد وابن المنذر والدينوري في المجالسة .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣) أخرجه النسائي (٢٩١٥) ، وابن خزيمة (٣٠٠٥) عن يعقوب بن إبراهيم به . وأخرجه أحمد ٥/٢٠٩ (الميمنية) عن هشيم به . وأخرجه ابن خزيمة - أيضًا - من طرق عن عبد الملك به .

(٤) أخرجه ابن خزيمة (٣٠٠٦) من طريق جرير به .

قال : قلتُ لعطاءٍ : أسمِعتَ ابنَ عباسٍ يقولُ : إنما أُمِرتم بالطوافِ ، ولم تُؤْمروا بدُخولِه؟ قال : لم يكنْ ينهَى عن دُخولِه ، ولكنى سمِعتُه يقولُ : أخبرَنى أسامةُ بنُ زيدٍ أن رسولَ اللهِ ﷺ لما دخَل البيتَ دعا فى نواحيه كلِّها ، ولم يصلِّ حتى خرَج ، فلما خرَج ركَع فى قُبُلِ القبلةِ ركعتين ، وقال : « هذه القبلةُ »[1] .

فأخبر ﷺ أن البيتَ هو القبلةُ ، وأن قبلةَ البيتِ بابُه .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : وأينما كنتم من الأرضِ أيها المؤمِنون ، فحوِّلوا وجوهَكم فى صلاتِكم نحوَ المسجدِ الحرامِ وتلقاءَه . والهاءُ التى فى : ﴿ شَطْرَهُۥ ﴾ عائدةٌ إلى المسجدِ الحرامِ . فأوجَب جلَّ ثناؤُه بهذه الآيةِ على المؤمِنين فرضَ التوجُّهِ نحوَ المسجدِ الحرامِ فى صلاتِهم حيثما كانوا من أرضِ اللهِ ، وأُدْخلت الفاءُ فى قولِه : ﴿ فَوَلُّوا ﴾ جوابًا للجزاءِ ، وذلك أن قولَه : ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ ﴾ جزاءٌ ، ومعناه : حيثما تكونوا فولُّوا وجوهَكم شطْرَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ ﴾ أحبارَ اليهودِ وعلماءَ النصارى .

وقد قيل : إنما عنَى بذلك اليهودَ خاصةً .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ وَإِنَّ

(١) أخرجه عبد الرزاق (٩٠٥٦) ، وأحمد ٥/ ٢٠١، ٢٠٨ (الميمنية) ، ومسلم (١٣٣٠) ، والنسائى (٢٩١٧) ، والبيهقى ٢/ ٣٢٨ من طريق ابن جريج به . وينظر مسند الطيالسى (٢٧٧٥) .

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ قال[1] : أُنزِل ذلك فى اليهودِ[2] .

وقولُه : ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يعنى به[1] هؤلاءِ الأحبارَ والعلماءَ من أهلِ الكتابِ ، يعلَمون أن التوجُّهَ نحوَ المسجدِ الحرامِ[1] الحقُّ الذى فرَضه اللهُ عزَّ وجلَّ على إبراهيمَ وذرِّيتِه وسائرِ عبادِه بعدَه .

ويَعنى بقولِه : ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ أنه الفرضُ الواجبُ على عبادِ اللهِ تعالى ذكرُه ، وهو الحقُّ من عندِ ربِّهم ، فرَضه عليهم .

[٧٤/٤] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : (وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[3]) .**

٢٤/٢ /يَعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : وليس اللهُ بغافلٍ عما تعملون أيها المؤمِنون فى اتِّباعِكم أمرَه ، وانتهائِكم إلى طاعتِه ، فيما ألزَمكم من فرائضِه ، وإيمانِكم به فى صلاتِكم نحوَ بيتِ المقدسِ ، ثم صلاتِكم من بعدِ ذلك شطرَ المسجدِ الحرامِ ، ولا هو ساهٍ عنه ، ولكنه جلَّ ثناؤه مُحصِيه لكم ، ومُدَّخِرُه لكم عندَه ، حتى يُجازيَكم به أحسنَ جزاءٍ ، ويُثيبَكم عليه أفضلَ ثوابٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ﴾ .

يَعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : ولئن جئتَ يا محمدُ اليهودَ والنصارَى بكلِّ برهانٍ وحُجةٍ ، وهى الآيةُ ، بأن الحقَّ هو ما جئتَهم به من فرضِ التحوُّلِ من قِبْلةِ بيتِ المقدسِ

---

(١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٤/١ (١٣٦٥) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٣) كذا فى الأصل ، م ، ت١ بالتاء ، وهى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى ، وفى ت٢ ، ت٣ بالياء وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وعاصم . ينظر حجة القراءات ص ١١٦، ١١٧.

فى الصلاةِ إلى قبلةِ المسجدِ الحرامِ ، ما صدَّقوا به ولا تبِعوا - مع قيامِ الحُجَّةِ عليهم بذلك - قبلتَك التى حوَّلتُك إليها ، وهى التوجُّهُ شَطرَ المسجدِ الحرامِ .

وأُجِيبتْ ﴿ وَلَئِنْ ﴾ بالماضى من الفعلِ ، وحكْمُها الجوابُ بالمستقبلِ ، تشبيهًا لها بـ « لو » ، فأجِيبت بما تُجابُ به « لو » لتقارُبِ معنيَيْهما . وقد مضَى البيانُ عن نظيرِ ذلك فيما مضَى[1] . وأُجِيبتْ ﴿ وَلَئِنْ ﴾[2] بجوابِ الأَيمانِ ، ولا تفعَلُ العربُ ذلك إلا فى الجزاءِ خاصةً ؛ لأن الجزاءَ مُشابهُ اليمينِ فى أن كلَّ واحدٍ منهما لا يَتِمُّ أولُه إلا بآخرِه ، ولا يتمُّ وحدَه ، ولا يصِحُّ إلَّا بما يؤكَّدُ به بعدَه . فلما بدَأ باليمينِ فأُدخِلت على الجزاءِ ، صارت اللامُ الأُولى بمنزلةِ يمينٍ ، والثانيةُ بمنزلةِ جوابٍ لها ، كما قيل : لعمرُكَ لتقُومَنَّ . إذْ كثُرت اللامُ من « لعمرُك » حتى صارت كحرفٍ من حروفِه ، فأُجِيبتْ بما تجابُ به الأَيمانُ ، إذْ كانت اللامُ تنوبُ فى الأَيمانِ عن الأَيمانِ دونَ سائرِ الحروفِ غيرِها[3] التى هى أجوبةُ الأيمانِ ، فتدلُّ على الأيمانِ ، وتعمَلُ عملَ الأجوبةِ ، ولاتدلُّ سائرُ أجوبةِ الأيمانِ[4] على الأيمانِ ، فشُبِّهت اللَّامُ التى [5] هى جوابٌ للأيمانِ [5] بالأيمانِ ، لما وصفْنا ، فأُجِيبتْ بأجوبتِها .

فكان معنى الكلامِ ، إذ كان الأمرُ على ما وصفْنا : [6] واللهِ [6] لو أتيتَ الذين أُوتوا الكتابَ بكلِّ آيةٍ ما تبِعوا قبلتَك .

وأما قولُه : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ يقولُ : وما لكَ من سبيلٍ يا محمدُ إلى

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٣٧٢ ، وينظر معانى القرآن ٨٤/١ .

(٢) فى م : « لو » .

(٣) فى م ، ت٢ ، ت٣ : « غير » .

(٤) بعده فى م ، ت٢ ، ت٣ : « لنا » .

(٥ - ٥) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فى جواب الأيمان » .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

اتِّباعِ قبلتِهم ، وذلك أن [٧٤/٤ظ] اليهودَ تستقبِلُ بيتَ المقدسِ بصلاتِها ، وأن النصارى تستقبِلُ المشرِقَ ، فأنَّى يكونُ لك السبيلُ إلى اتباعِ قبلتِهم مع اختلافِ وُجوهِها ؟! يقولُ : فالزَمْ قبلتَك التى أُمرتَ بالتوجُّهِ إليها ، ودعْ عنك ما تقولُه اليهودُ والنصارى ، وتدعُوك إليه مِن قِبلتِهم واستقبالِها .

وأما قولُه : ﴿ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ فإنه يَعنى : وما اليهودُ بتابعةٍ قبلةَ النصارى ، وما[1] النصارَى بتابعةٍ قبلةَ اليهودِ ، فمتوجِّهةٌ نحوَها .

كما حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ يقولُ : ما اليهودُ بتابِعى قبلةِ النصارَى ، ولا النصارَى بتابِعى قبلةِ اليهودِ[2] . قال : وإنما أُنزِلت هذه الآيةُ من أجلِ أن النبىَّ ﷺ لما حُوِّل إلى الكعبةِ ، قالت /اليهودُ : إن محمدًا اشتاق إلى بلدِ أبيه ومَولِده ، ولو ثبَت على قبلتِنا لكنا نَرجُو أن يكونَ هو صاحبَنا الذى ننتظِرُ . فأنزَل اللهُ جلَّ ثناؤُه فيهم : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ إلى قولِه : ﴿ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3] . ٢٥/٢

وحدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ مثلَ ذلك .

وإنما قلنا[4] : يعنى جلَّ ثناؤُه بذلك أن اليهودَ والنصارَى لا تجتمِعُ على قبلةٍ واحدةٍ ، مع إقامةِ كلِّ حزبٍ منهم على مِلَّتِه . فقال تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : يا محمدُ لا تُشعِرْ نفسَك رضا هؤلاءِ اليهودِ والنصارَى ، فإنه أمرٌ لا سبيلَ إليه ؛ لأنهم

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « لا » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٧/١ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٥/١ (١٣٦٥) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وتقدم أوله فى ص ٦٢٤ .

(٤) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

مع اختلافِ مِلَلِهم لا سبيلَ لك إلى إرضاءِ كلِّ حزبٍ منهم ، من أجْلِ أنك إن اتبَعتَ قبلةَ اليهودِ أسخَطتَ النصارَى ، وإن اتبَعتَ قبلةَ النصارَى أسخَطتَ اليهودَ ، فدعْ ما لا سبيلَ إليه ، وادْعُهم إلى ما لهم السبيلُ إليه ، من الاجتماعِ على مِلَّتِك الحنيفيَّةِ المُسلِمةِ ، وقبلتِك قبلةِ إبراهيمَ صلواتُ اللهِ عليه والأنبياءِ من بعدِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٥) ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ذكرُه : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ ولئن التمَستَ يا محمدُ رضَا هؤلاءِ اليهودِ والنصارَى الذين قالوا لك ولأصحابِك : ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾ [البقرة : ١٣٥] . فاتبَعْتَ قبلتَهم ، يَعنى : فرجَعْتَ إلى قبلَتِهم .

ويَعنى بقولِه : ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ من بعدِ ما وصَل إليك من العلمِ ، [٧٥/٤ظ] بإعلامِى إياك أنهم مقيمون على باطلٍ ، على[(١)] عنادٍ منهم للحقِّ ، ومعرفةٍ منهم بأنَّ[(٢)] القبلةَ التى وجهتُك إليها هى القبلةُ التى فَرضْتُ على أبيكَ إبراهيمَ ، صلواتُ اللهِ عليه وسائرِ ولدِه ، [(٣)]ومَن[(٣)] بعدَه من الرسلِ ، التوجُّهَ نحوَها .

﴿ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يعنى : إنك ، إذا فعَلتَ ذلك ، من عبادى الظلَمةِ أنْفسَهم ، المخالِفين أمرى ، والتارِكين طاعتى ، وأحدُهم [(٤)]وفى[(٤)] عِدادِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ .

---

(١) فى م : « وعلى » .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أن » .

(٣ - ٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « من » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « فى » .

يَعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾ أحبارَ اليهودِ وعلماءَ النصارَى . يقولُ : يعرِفُ هؤلاءِ الأحبارُ من اليهودِ ، والعلماءُ من النصارَى ، أن البيتَ الحرامَ قبلتُهم وقبلةُ إبراهيمَ وقبلةُ الأنبياءِ قبلَك ، كما يعرِفون أبناءَهم .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ يقولُ : يعرِفون أن البيتَ الحرامَ هو[(١)] القبلةُ[(٢)] .

٢٦/٢ /حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِ اللهِ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ يعنى القبلةَ[(٣)] .

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ عرَفوا أن قبلةَ البيتِ الحرامِ هى قبلتُهم التى أُمِروا بها ، كما عرَفوا أبناءَهم[(٤)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمِّى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ يعنى بذلك الكعبةَ البيتَ الحرامَ[(٥)] .

---

(١) فى الأصل ، ت١ ، ت٣ : « هى » .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٥/١ عقب الأثر (١٣٦٨) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٧/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٦/١ (١٣٧١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٥/١ عقب الأثر (١٣٦٨) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٥/١ (١٣٦٧) عن محمد بن سعد به .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ يعرِفون الكعبةَ (١)أنها هي(١) قبلةُ الأنبياءِ ، كما يعرِفون أبناءَهم(٢) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ قال : اليهودُ يعرِفون أنها هي القبلةُ ، مكةُ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ في قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ قال : القبلةُ والبيتُ .

[٤/٧٥ظ] **القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) ﴾ .**

يقولُ جلَّ ثناؤُه : وإنَّ طائفةً من الذين أوتوا الكتابَ ، وهم اليهودُ والنصارَى . وكان مجاهدٌ يقولُ : هم أهلُ الكتابِ .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ بذلك(٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ مثلَه .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي

(١ - ١) في النسخ : « من » . والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٥/١ (١٣٦٨) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢١٦ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٦/١ (١٣٧٠) .

نَجيحٍ ، (١) عن مجاهدٍ (١) مثلَه .

﴿ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ ﴾ وذلك الحقُّ هو القبلةُ التى وَجَّه اللهُ عز وجل إليها نبيَّه محمدًا ﷺ بقولِه (٢) : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة : ١٤٤] . التى كانت الأنبياءُ مِن قبلِ محمدٍ ﷺ يتوجَّهون إليها ، فكَتَمتْها اليهودُ والنصارَى ، فوجَّه بعضُهم شرقًا ، وبعضُهم بيتَ المقدسِ ، ورفَضوا ما أمَرهم اللهُ به ، وكتَموا مع ذلك أمرَ محمدٍ ﷺ ، وهم يجِدونه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ ، فأطلعَ اللهُ عزَّ وجلَّ نبيَّه محمدًا ﷺ وأمَّتَه على خيانَتِهم اللهَ تبارَك وتعالى و (٣) عبادَه ، بكتمانِهم (٤) ذلك ، وأخبَر أنهم يفعَلون ما يفعَلون من ذلك على علمٍ منهم بأن الحقَّ غيرُه ، وأن الواجبَ عليهم من اللهِ جلَّ ثناؤه خلافُه ، فقال : ﴿ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنه (٥) ليس لهم كتمانُه ، فيتعمَّدون معصيةَ اللهِ تبارَك وتعالى (٦) .

٢٧/٢ /كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ فكتَموا محمدًا ﷺ .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ قال : يكتُمون محمدًا ﷺ ، وهم يجِدونه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ (٧) .

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « يقول » .

(٣) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « خيانتهم » .

(٤) فى م : « وكتمانهم » .

(٥) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أن » .

(٦) هنا نهاية الخرم فى النسخة «ص» ، والمشار إليه فى ٧٢١/١ .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٦/١ (١٣٧٢) من طريق أبى حذيفة به .

حدَّثنا المثنَّى قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ يَعنى القبلةَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ .

يقولُ جلَّ ثناؤه : اعلمْ يا محمدُ أنَّ الحقَّ ما أعلمَك ربُّك وأتاك من عندِه ، لا ما يقولُ [٧٦/٤و] لك اليهودُ والنصارَى . وهذا من اللهِ جلَّ وعزَّ خبرٌ لنبيِّه ﷺ ، عن أن القبلةَ التى وجَّهه نحوَها هى القبلةُ الحقُّ التى كان عليها إبراهيمُ خليلُ الرحمنِ، ومَن بعدَه مِن أنبياءِ اللهِ . (١) يقولُ تعالى ذكرُه (١) له : فاعمَلْ بالحقِّ الذى أتاك من ربِّك يا محمدُ ، ولا تكونَنَّ من الممْترِين . يَعنى بقولِه : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ . أى : فلا تكونَنَّ من الشاكِّين فى أن القبلةَ التى وجَّهتُك نحوَها قبلةُ إبراهيمَ خليلى وقبلةُ الأنبياءِ غيرِه .

كما حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : قال اللهُ لنبيِّه ﷺ : ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ يقولُ : لا تكنْ فى شكٍّ ، فإنها قِبلَتُك وقبلةُ الأنبياءِ قبلَك (٢) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ قال : من الشاكِّين (٣) ، لا تَشُكَّنَّ فى ذلك .

وإنما (٤) المُمْترِى مُفْتعِلٌ ، من المِـرْيةِ ، والمِريةُ هى الشكُّ ، ومنه قولُ الأعشَى (٥) :

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٦/١ (١٣٧٣) من طريق أبى جعفر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٧/١ ، ١٤٨ إلى المصنف وأبى داود فى ناسخه عن أبى العالية .

(٣) بعده فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « قال » .

(٤) سقط من : م .

(٥) ديوان الأعشى ص ٢٣ .

تَدِرُّ[١] على أسْؤُقِ[٢] المُمْتَرِيـ نَ[٣] رَكْضًا إذا ما السَّرابُ ارْجَحَنْ[٤]

فإن قال قائلٌ : أوَ كان النبيُّ شاكًّا فى أن الحقَّ من ربِّه ، أو[٥] فى أن القبلةَ التى وجَّهه اللهُ إليها حقٌّ من اللهِ ، حتى نُهِى عن الشكِّ فى ذلك ، فقيل له : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ .

قيل : ذلك من الكلامِ الذى تُخْرِجُه العربُ مُخرَجَ الأمْرِ و[٦] النهيِ للمخاطَبِ به ، والمرادُ به غيرُه ، كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ ثم قال : ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ١، ٢] . فخرَج الكلامُ مَخرَجَ الأمْرِ للنبىِّ والنَّهىِ له ، والمرادُ به أصحابُه المؤمِنون به ، وقد بيَّنَّا نظيرَ ذلك فيما مضَى قبلُ بما أغنَى عن إعادَتِه[٧] .

٢٨/٢ /القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ .

يعنى بقولِه : [٨]﴿ وَلِكُلٍّ ﴾[٨] ولكلِّ أهلِ مِلةٍ . فحذَف أهلَ مِلةٍ ، واكتفى بدَلالةِ الكلامِ عليه .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ،

---

(١) در الفرس يدر دريرا ودرة : عدا عدوا شديدا . ومر على درته : أى لا يثنيه شىء . اللسان (د ر ر) .

(٢) أسؤق : جمع ساق ، ويجمع أيضا على سوق وسيقان . تاج العروس (س و ق) .

(٣) مِرْية الفرس : ما استخرج من جريه فدر لذلك عرقه ، ومَرَيتُ الفرس : إذا استخرجتَ ما عنده من الجرى بسوط أو غيره . اللسان (م ر ى) .

(٤) ارجحن السراب : ارتفع . اللسان (رجحن) .

(٥) فى ص : « و » .

(٦) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ : « أو » .

(٧) ينظر ما تقدم فى ص ٤٠٤ - ٤٠٦ .

(٨ - ٨) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ ﴾ قال : لكلِّ صاحبِ مِلَّةٍ[1] .

وحدَّثنا المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ فلليهودِىِّ[2] وِجْهةٌ هو مُوَلِّيها ، وللنصرانىِّ[3] وِجهةٌ هو مُوَلِّيها ، وهَداكم اللهُ أنتم أيتُها الأمةُ للقبلةِ التى هى قبلةٌ[4] .

حدَّثنى القاسمُ ، قال : حدَّثنى الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قلتُ لعطاءٍ : قولُه : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ قال : كلُّ[5] أهلِ دينٍ ؛ اليهودُ والنصارَى . قال ابنُ جُريجٍ : قال مجاهدٌ : لكلِّ صاحبِ مِلَّةٍ[6] .

[٤/٧٦ظ] حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ قال : لليهودِ قبلةٌ . وللنصارَى قبلةٌ . ولكم قبلةٌ . يُريدُ المسلمين .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾. يَعنى بذلك أهلَ الأديانِ ، يقولُ : لكلٍّ قبلةٌ يَرضَوْنها ، ووَجهُ اللهِ حيثُ توجَّه المؤمنون ، وذلك أن اللهَ قال :

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٦. وعزاه السيوطى أيضًا فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى عبد بن حميد . وستأتى بقيته فى ص ٦٧٦ ، ٦٧٧.

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ : « فلليهود » .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « للنصارى » .

(٤) فى م ، ت٣ : « قبلته » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٦/١ عقب الأثر (١٣٧٥) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) فى ص ، م ، ت٢ : « لكل » .

(٦) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٦/١ عقب الأثر (١٣٧٥) معلقًا .

﴿ فَأَيْنَمَا[1] تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2] [البقرة : ١١٥] .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ . يقولُ : لكلِّ قومٍ قبلةٌ قد وُلُّوها[3] .

فتأويلُ أهلِ هذه المقالةِ فى هذه الآيةِ : ولكلِّ أهلِ ملَّةٍ قبلةٌ هو مستقبِلُها ومُوَلٍّ وجهَه إليها .

وقال آخرون بما حدَّثنا به الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ . قال : هى صلاتُهم إلى بيتِ المقدسِ ، وصلاتُهم إلى الكعبةِ[4] .

وتأويلُ قائلى[5] هذه المقالةِ : ولكلٍّ ناحيةٍ وجَّهكَ إليها ربُّك يا محمدُ قِبلةٌ ، اللهُ مُولِّيها عبادَه .

وأمّا الوِجهةُ ، فإنها مصدرٌ مثلُ القِعدةِ والمِشيةِ ، من التوَجُّهِ . وتأويلُها : مُتَوَجَّهٌ يَتوجَّهُ إليه[6] بوَجْهِه[7] فى صلاتِه .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ،

---

(١) فى الأصل ، ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « حيث ما » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٦/١ (١٣٧٤) عن محمد بن سعد به ، ولم يذكر الآية آخره .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٦/١ عقب الأثر (١٣٧٥) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٦٢/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٧/١ (١٣٧٧) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى أبى داود فى ناسخه .

(٥) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « قائل » .

(٦) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « إليها » .

(٧) فى ص : « توجهه » . وينظر معانى القرآن ١/ ٩٠.

عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وِجْهَةٌ ﴾ . قبلةٌ[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

/حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ ﴾ . قال : وجهٌ . ٢٩/٢

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وِجْهَةٌ ﴾ . قبلةٌ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا جريرٌ ، قال : قلتُ لمنصورٍ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ . قال : نحن نقرؤها : (ولكلٍ جعَلْنا قبلةً يَرْضَونها)[2] .

وأَمَّا قولُه : ﴿ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ . فإنَّه يَعنى : هو مولٍّ وجهَه إليها ، [3]ومستقبِلُها[3] .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ . قال : هو مستقبلُها[1] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

ومعنى التوْليةِ هلهنا : الإقبالُ ، كما يقولُ القائلُ لغيرِه : انصرِفْ إليَّ . بمعنى : أقْبِلْ إليَّ . والانصِرافُ المستعمَلُ إنما هو الانصِرافُ عن الشىءِ ، ثم يقالُ : انصَرفَ إلى الشىءِ . بمعنى : أقبَلَ إليه مُنصرِفًا عن غيرِه . وكذلك يقالُ : ولَّيْتُ عنه . إذا

---

(١) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٦٧٤ .

(٢) أخرجه ابن أبى داود فى المصاحف ص ٥٥ من طريق جرير به ، والقراءة بها شاذة لمخالفتها رسم المصاحف العثمانية .

(٣ - ٣) فى م : « مستقبلها » .

أدْبَرْتَ عنه . ثم يقالُ : ولَّيتُ إليه . بمعنى : أقبلْتُ إليه مُوَلِّيًا عن غيرِه[(١)] .

والفعلُ - أَعنى التوليةَ - فى قولِه : ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ لـ « لكُلٍّ » و[(٢)] ﴿هُوَ﴾ التى مع ﴿مُوَلِّيهَا﴾ هى[(٣)] الكلُّ ، [٧٧/٤و] وُحِّدت للفظِ الكلِّ . فمعنى الكلامِ إذًا : ولكلِّ أهلِ ملةٍ وِجهةٌ ، الكلُّ[(٤)] منهم مولُّوها وُجُوهَهم .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ وغيرِه أنهم قرَءوها : (هو مُوَلَّاها)[(٥)] . بمعنى أنه مُوَجَّهٌ نحوَها . ويكونُ الكلُّ[(٦)] حينَئذٍ غيرَ مسمًّى فاعلُه ، ولو سُمِّى فاعلُه لكان الكلامُ : ولكلٍّ ذِى مِلَّةٍ وِجْهةٌ ، اللهُ مولِّيه إياها . بمعنى : مُوجِّهُه إليها .

وقد ذُكِر عن بعضِهم أنه قرَأ ذلك : (ولكُلِّ وِجْهةٍ هو موليها) بتَرْكِ التنوينِ والإضافةِ[(٧)] .

وذلك لحنٌ لا[(٨)] تجوزُ القراءةُ به ؛ لأن ذلك إذا قُرِئ كذلك ، كان الخبرُ غيرَ تامٍّ ، وكان كلامًا لا معنَى له ، وذلك غيرُ جائزٍ أن يكونَ من اللهِ تعالى ذكرُه[(٩)] .

---

(١) ينظر معانى القرآن ٨٥/١ .

(٢) سقط من : ص .

(٣) فى ص : « وهو » . وفى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « هو » .

(٤) فى م : « لكل » .

(٥) قراءة ابن عباس أخرجها ابن الأنبارى فى المصاحف كما فى الدر المنثور ١٤٨/١ ، وذكرها القرطبى فى تفسيره ٢/ ١٦٤، وأبو حيان فى البحر المحيط ١/ ٤٣٧، وابن كثير فى تفسيره ١/ ٢٨١، عن ابن عباس وأبى جعفر الباقر . ومن السبعة قرأها ابنُ عامر وحده ، والباقون بكسر اللام وبعدها ياء . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١٧١، وحجة القراءات ص ١١٧.

(٦) فى م ، ت٢ ، ت٣ : « الكلام » .

(٧) أخرج هذه القراءة ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٧/١ (١٣٧٨) بإسناده إلى ابن عباس وذكر ابن عطية فى المحرر الوجيز ٥٠/١ ٤ أن أبا عمرو الدانى حكاها عن ابن عباس ، وذكرها أبو حيان فى البحر المحيط ٤٣٧/١ غير معزوة إلى أحد ، ووصفها بالشذوذ .

(٨) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « ولا » .

(٩) وقال ابن عطية : وهى متجهة ، أى : فاستبقوا الخيرات لكلِّ وجهةٍ ولاكموها ، ولا تعترضوا فيما =

والصوابُ عندنا من القراءةِ فى ذلك : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ بمعنى[1] : ولكلٍّ وِجهةٌ وقِبلةٌ ، ذلك الكلُّ مُوَلٍّ وَجْهَه نحوَها ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ من القرأةِ على قراءةِ ذلك كذلك ، وتصويبِها إياها ، وشُذوذِ مَن خالَف ذلك إلى غيرِه ، وما جاء به النقلُ مستفِيضًا فحُجَّةٌ ، وما انفرَد به مَن كان جائزًا عليه السهوُ والغَلطُ[2] ، فغيرُ جائزٍ الاعتراضُ به على الحُجَّةِ.

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ فَاسْتَبِقُوا ﴾ : فبادِرُوا وسارِعُوا ، من الاستِباقِ ، وهو المبادرَةُ والإسراعُ .

كما حدَّثنى المثنى قال : حدَّثنى إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ . يقولُ[3] : فسارِعوا فى الخيرات[4] .

وإنما يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ أى : قد بيَّنتُ لكم أيها المؤمنون الحقَّ ، وهدَيتُكم للقبلةِ التى ضلَّت عنها اليهودُ والنصارَى ، وسائرُ أهلِ المللِ غيرِكم ، فبادِرُوا بالأعمالِ الصالحةِ ، /شكرًا لربِّكم ، وتزوَّدُوا فى دنْياكم لآخرتِكم ، ٣٠/٢ فإنِّى قد بيَّنتُ لكم سبيلَ النجاةِ ، فلا عُذرَ لكم فى التفْريطِ ، وحافِظوا على قبلتِكم ، فلا تُضيِّعوها كما ضيَّعَتْها الأمَمُ قبلكم ، فتضِلُّوا كما ضلَّتْ .

= أمركم بين هذه وهذه ...، وقدم قوله : (لكلٍّ وجهةٍ). على الأمر فى قوله: (فاستبقوا) . للاهتمام بالوجهة ...

قال أبو حيان – بعد أن نقل عنه هذا التوجيه – فى البحر المحيط ١/ ٤٣٨، ٤٣٩: وهو توجيه لا بأس به .

(١) ليست فى الأصل ، ت٢ .

(٢) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الخطأ » .

(٣) فى م : « يعنى » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٧/١ عقب الأثر (١٣٧٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

كالذى حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ يقولُ : لا تُغلَبُنَّ على قبلتِكم[(١)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ قال : الأعمالُ الصالحةُ[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ .

[٤/٧٧ظ] ومعنى قولِه : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ فى أىِّ مكانٍ وبقعةٍ تهلِكونَ فيه ، يأتِ بكم اللهُ جميعًا يومَ القيامةِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

كما حُدِّثتُ عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ يقولُ : أينما تكونوا يأتِ بكم اللهُ جميعًا يومَ القيامةِ[(٣)] .

حدَّثنا موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ . يعنى يومَ القيامةِ[(٤)] .

وإنما حَضَّ اللهُ المؤمِنين بهذه الآيةِ على طاعتِه ، والتزوُّدِ فى الدنيا للآخرةِ ، فقال جلَّ ثناؤه لهم : فاستبِقُوا أيها المؤمنون إلى العملِ بطاعةِ ربِّكم ، ولُزومِ ما هَداكم له من قبلةِ إبراهيمَ خليلِه ، وشرائعِ دينِه ، فإن اللهَ يأتى بكم وبمن خالفَ قبلَتَكم[(٥)] ودينَكم

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى المصنف .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى المصنف ، وسقط متنه من المطبوع . وينظر فتح القدير ١/ ١٥٨ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٨/١ عقب الأثر (١٣٨٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٨/١ عقب الأثر (١٣٨٢) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٥) فى م : « قبلكم » .

وشريعتَكم جميعًا يومَ القيامةِ ، من حيثُ كنتم من بقاعِ الأرضِ ، حتى يوفِّىَ[(١)] المحسنَ منكم جزاءَه بإحسانِه ، و المسىءَ عقابَه بإساءتِه ، أو يتفضَّلَ فيصفَحَ .

وأما قولُه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فإنه تعالى ذكرُه يعنى : إن اللهَ على جمعِكم - بعد مماتِكم - من قبورِكم إليه[(٢)] ، من حيثُ كنتم[(٣)] وكانت قُبورُكم[(٣)] ، وعلى غيرِ ذلك مما يشاءُ قادرٌ[(٤)] ، فبادِرُوا خُروجَ أنفسِكم بالصالحاتِ من الأعمالِ قبلَ مماتِكم ، ليومِ بعثِكم وحشرِكم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[(٥)] ﴿١٤٩﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ﴾ ومن أىِّ موضعٍ خرَجْتَ إلى أىِّ موضعٍ وجَّهْتَ ، فولِّ يا محمدُ وجهَك . يقولُ : حوِّلْ وجْهَك .

وقد دلَّلْنا على أن التَّوليةَ فى هذا الموضعِ شطرَ المسجدِ الحرامِ ، إنما هى الإقبالُ بالوجهِ نحوَه ، وقد بينَّا مَعنى الشطرِ فيما مضَى[(٦)] .

وأما قولُه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ ﴾ فإنه يعنى به جلَّ ثناؤه : وإن التوجُّهَ شطرَه لَلحقُّ الذى لا شكَّ فيه من عندِ ربِّك ، فحافِظوا عليه ، وأطِيعوا اللهَ بتوجُّهِكم[(٧)] قِبَلَه .

---

(١) فى ص : « يؤتى » .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى م ، ت٢ : « قدير » .

(٥) فى ص : (يعملون) . وهى قراءة أبى عمرو ، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى بالخطاب . إتحاف فضلاء البشر ص ٩١.

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ٦٥٩ .

(٧) فى ص : « فتوجهكم » ، وفى م ، ت٢ : « فى توجهكم » .

٣١/٢ وأما قولُه:/ ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ فإنه يقولُ : فإن اللهَ ليس بساهٍ عن أعمالِكم ، ولا بغافلٍ عنها ، ولكنه مُحصِيها لكم حتى يُجازيَكم بها يومَ القيامةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ .

[٧٨/٤و] يَعنى بقولِه : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ ومن أيِّ مكانٍ وبقعةٍ شَخَصْتَ فخرَجتَ يا محمدُ ، فحوِّلْ[1] وجهَك تلقاءَ المسجدِ الحرامِ ، وهو شطرُه .

ويَعنى بقولِه : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ وأينما كنتم أيها المؤمنون من أرضِ اللهِ ، فولُّوا وُجوهَكم فى صَلواتِكم تُجاهَه وقِبَلَهُ وقَصْدَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾ .

فقال جماعةٌ من أهلِ التأويلِ : عَنى اللهُ بالناسِ فى قولِه : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ ﴾ أهلَ الكتابِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ يَعنى بذلك أهلَ الكتابِ ، قالُوا حين صُرِف نبىُّ اللهِ إلى الكعبةِ البيتِ الحرامِ : اشتاقَ الرجلُ إلى بيتِ أبيه ودينِ قومِه[2] .

---

(١) فى م ، ت٢ ، ت٣ : « فول » .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٨/١ عقب الأثر (١٣٨٧) معلقا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قولِه : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ يعني بذلك أهلَ الكتابِ ، قالوا حينَ صُرِف نبيُّ اللهِ إلى الكعبةِ : اشتاقَ الرجلُ إلى بيتِ أبيه ودينِ قومِه[1] .

فإن قال قائلٌ : فأيَّةُ حُجَّةٍ كانت لأهلِ الكتابِ بصلاةِ رسولِ اللهِ وأصحابِه نحوَ بيتِ المقدسِ على رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه ؟

قيل : قد ذكَرْنا فيما مضَى ما رُوِى في ذلك ، قيل : إنهم كانوا يقولون : ما درَى محمدٌ وأصحابُه أين قِبلتُهم حتى هدَيناهم نحن ! وقولَهم : يخالِفُنا محمدٌ في دينِنا ويتَّبعُ قبلَتَنا[2] ! فهى الحُجَّةُ التى كانوا يحتَجُّون بها على النبيِّ ﷺ وأصحابِه ، على وجهِ الخُصومةِ منهم لهم ، والتَّمويهِ منهم بها على الجُهَّالِ وأهلِ الغَباءِ[3] من المشرِكين .

وقد بيَّنَّا فيما مضَى أن معنى حِجاجِ القومِ إيَّاه الذى ذكَره اللهُ فى كتابِه إنما هو[4] الخُصوماتُ والجدالُ ، فقطَع اللهُ ذلك من حُجَّتِهم وحسَمه ، بتحويلِ قِبلةِ نبيِّه ﷺ والمؤمنين به ، من قِبلةِ اليهودِ إلى قِبلةِ خليلِه إبراهيمَ عليه السلامُ .

/فذلك هو معنى قولِ اللهِ : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ يعنى بـ « الناس » ، الذين كانوا يحتجون عليهم بما وصَفْتُ . ٣٢/٢

وأما قولُه : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا [٧٨/٤ظ] مِنْهُمْ ﴾ فإنهم مشرِكو العربِ من قريشٍ ، فيما تأوَّله أهلُ التأويلِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٨/١ عقب الأثر (١٣٨٧) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٦٥٧ .

(٣) فى م : « العناد » .

(٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « هى » .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدّثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ : قومُ محمدٍ ﷺ .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ ، قال : هم المشركون من أهلِ مكةَ .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ : يعنى مشرِكى قريشٍ[١] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرَنا مَعمرٌ ، عن قتادةَ ، وابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، في قولِه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ قال : هم مشركو العربِ[٢] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ : والذين ظلَموا مشرِكو قريشٍ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قال عطاءٌ : هم مشرِكو قريشٍ . قال ابنُ جُريجٍ : وأخبرَني عبدُ اللهِ بنُ كثيرٍ أنه سمِع مجاهدًا يقولُ مثلَ قولِ عطاءٍ[٣] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٩/١ عقب الأثر (١٣٨٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) سيأتى مطولا فى ص ٦٨٦ .

(٣) ذكره البغوى فى تفسيره ١٦٥/١ . وينظر ما سيأتى فى ص ٦٨٧ .

فإن قال قائلٌ : فأيَّةُ حُجةٍ كانت لمشرِكى قريشٍ على رسولِ اللهِ وأصحابِه فى توجُّهِهم فى صلاتِهم إلى الكعبةِ ؟ وهل يجوزُ أن يكونَ للمشرِكين على المؤمنين - فيما أمَرهم اللهُ به أو نَهاهم عنه - حُجةٌ ؟

قيل : إن معنَى ذلك بخلافِ ما توهّمتَ وذهَبْتَ إليه ، وإنما الحُجةُ فى هذا الموضعِ الخصومةُ والجدلُ ومعنى الكلامِ : لئلَّا يكونَ لأحدٍ من الناسِ عليكم خُصومةٌ ودعوَى باطلٍ[(١)] ، غيرَ مشرِكى قريشٍ ، فإن لهم عليكم دعوَى باطلٍ[(١)] وخصومةً بغيرِ حقٍّ ، بقيلِهم لكم : رجَع محمدٌ إلى قبلَتِنا ، وسيرجِعُ إلى دينِنا . فذلك من قولِهم وأمانيِّهم الباطِلةِ ، هى الحجةُ التى كانت لقريشٍ على رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه ، ومن أجلِ ذلك استثْنى اللهُ تعالى الذين ظلَموا من قريشٍ من سائرِ الناسِ غيرِهم ، إذْ نفَى أن يكونَ لأحدٍ منهم فى قبلتِهم التى وجَّههم إليها حُجَّةٌ .

وبمثلِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك منهم

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ قومُ محمدٍ ﷺ . قال مجاهدٌ : يقولُ : حُجَّتُهم قولُهم : قد راجعْتَ[(٢)] قبلَتَنا[(٣)] .

---

(١) فى م ، ت٢ : « باطلة » .

(٢) فى م : « رجعت » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد ، بلفظ : حجتهم ...، وفى تفسير مجاهد ص ٢١٦ : ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ يعنى : أمة محمد ﷺ ، وحجتهم قولهم : تركت قبلتنا .

٣٣/٢ /حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه ، إلّا أنه قال : قولُهم : قد رجعْتَ إلى قِبلَتِنا ؟.

حدَّثنا [٧٩/٤و] الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرَنا مَعمرٌ ، عن قتادةَ ، وابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، فى قولِه : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ قالا : هم مشرِكو العربِ ، قالوا حينَ صُرِفتْ القبلةُ إلى الكعبةِ : قد رجَع إلى قبلتِكم ، فيوشِكُ أن يرجِعَ إلى دينِكم . قال اللهُ : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾[1] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ قال : حدَّثنا سعيدٌ عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ والذين ظلَموا مشرِكو قريشٍ . يقولُ : إنهم سيحتجُّون عليكم بذلك . فكانت حُجَّتُهم على نبىِّ اللهِ بانصرافِه[2] إلى البيتِ الحرامِ أنهم قالوا : سيرجِعُ إلى دينِنا كما رجَع إلى قِبلتِنا . فأنزَل اللهُ فى ذلك كلِّه[3] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[4] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فيما

---

(١) فى الأصل ، وتفسير عبد الرزاق : (واخشون) بحذف الياء ، والقرأة متفقة على إثبات الياء . وينظر إتحاف فضلاء البشر ص ٩١.

والأثر فى تفسير عبد الرزاق ٦٢/١ . وعزاه السيوطى أيضًا فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى ابن المنذر وأبى داود فى ناسخه . وينظر تفسير البغوى ١/ ١٦٥.

(٢) فى ص : « انصرافه » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد . وزاد فيه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾ .

(٤) تقدم مختصرًا فى ص ٦٨٤ .

يَذكُرُ عن أبي مالكٍ ، وعن أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ الهمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبيِّ قالوا[1] : لما صُرِف نبيُّ اللهِ نحوَ الكعبةِ بعدَ صلاتِه إلى بيتِ المقدسِ ، قال المشركون من أهلِ مكةَ : تَحيَّر على محمدٍ دينُه ، فتوجَّهَ بقبلتِه إليكم ، وعلِم أنكم كنتم أهدَى منه سبيلًا ، ويوشِكُ أن يدخُلَ فى دينِكم . فأنزَلَ اللهُ فيهم : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي ﴾[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قلتُ لعطاءٍ : قولَه : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ قال : قالت قريشٌ لمّا رجَع إلى الكعبةِ وأُمِر بها : ما كان يستغْنى عنّا ، قد استقْبلَ قبلَتَنا . فهى حُجَّتُهم ، وهم الذين ظلَموا . قال ابنُ جريجٍ : وأخبَرنى عبدُ اللهِ بنُ[3] كثيرٍ أنه سمِع مجاهدًا يقولُ مثلَ قولِ عطاءٍ ، فقال مجاهدٌ : حُجّتُهم : قولُهم : رجَعتَ إلى قِبلَتِنا[4] .

فقد أبان تأْويلُ من ذكَرنا تأْويلَه - من أهلِ التأْويلِ - قولَه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ عن صحةِ ما قلنا فى تأويلِه ، وأنه استِثْناءٌ على (٥ صحةٍ ، بمعنى ٥) الاستِثْناءِ المعروفِ ، الذى يَثْبُتُ فيه لما بعدَ حرفِ الاستثناءِ ما كان منفيًّا عما قبلَه ، كما[6] قولُ القائلِ : ما سار من الناسِ أحدٌ إلّا أخوك . إثباتٌ للأخِ من السَّيرِ ما هو

---

(١) فى الأصل ، ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « قال » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى المصنف ، وينظر ما تقدم فى ص ٦٤٠ ، ٦٤١ .

(٣) بعده فى الأصل : « أبى » . وينظر تهذيب الكمال ٤٦٨/١٥.

(٤) ينظر ما تقدم فى ص ٦٨٤ ، ٦٨٥ .

(٥ - ٥) فى م : « معنى » .

(٦) بعده فى م : « أن » .

مَنفيٌّ عن كلِّ أحدٍ من الناسِ . فكذلك قولُه : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ نَفْيٌ عن أن يكون لأحدٍ خُصومةٌ وجَدَلٌ قِبلَ رسولِ اللهِ ﷺ ، ودعوَى باطلٍ[1] عليه وعلى أصحابِه ، /بسببِ تَوجُّهِهم فى صلاتِهم قِبلَ الكعبةِ ، [٧٩/٤ظ] إلَّا الذين ظلَموا أنفسَهم من قريشٍ ، فإن لهم قِبلَهُم خصومةً ودعوَى باطلٍ[1] ، بأن يقولوا : إنما توجّهتُمْ إلينا وإلى قبلتِنا لأنا كنا منكم أهدَى سبيلًا ، وأنكم كنتم بتوجُّهِكم نحوَ بيتِ المقدسِ على ضلالٍ وباطلٍ .

٣٤/٢

وإذْ كان ذلك معنَى الآيةِ بإجماعِ الحُجَّةِ من أهلِ التأويلِ ، فبيِّنٌ[2] خطأُ قولِ من زعَم أن معنَى قولِه : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ ولا الذين ظلَموا منهم[3] . وأن معنَى[4] ﴿ إِلَّا ﴾ بمعنَى الواوِ ؛ لأن ذلك لو كان معناه ، لكان النفْىُ الأولُ عن جميعِ الناسِ – أن يكونَ لهم حُجةٌ على رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه فى تحوُّلِهم نحوَ الكعبةِ بوُجوهِهم – مُبيِّنًا عن المعنَى المرادِ ، ولم يكنْ فى ذكرِ قولِه بعدَ ذلك : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ إلا التلْبيسُ الذى يتعالَى عن أن يُضافَ إليه أو يُوصفَ به . هذا مع خُروجِ معنَى الكلامِ إذا وُجِّهَت[5] ﴿ إِلَّا ﴾ إلى معنَى الواوِ وبمعنَى[6] العطفِ ، من كلامِ العربِ . وذلك أنه غيرُ موجودةٍ « إلا » فى شىءٍ من كلامِها بمعنى الواوِ ، إلَّا مع استثناءٍ سابقٍ قد تقدّمَها ، كقولِ القائلِ : سارَ القومُ إلَّا عَمرًا إلَّا أخاك . بمعنى : إلّا عَمرًا وأخاك . فتكونُ « إلّا » حينئذٍ مؤدِّيةً عما تؤدِّى عنه الواوُ لتعلُّقِ « إلا »

---

(١) فى م : « باطلة » .

(٢) فى ص : « فتبين » .

(٣) كأنه يعنى أبا عبيدة ، فهذا القول له فى مجاز القرآن ١/ ٦٠ .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى ص : « وجهه » .

(٦) فى ص ، م : « معنى » .

الثانيةِ [١] بـ « إلّا » [١] الأُولى . ويُجمعُ أيضًا فيها بينَ « إلّا » والواوِ ، فيقالُ : سار القومُ إلّا عَمرًا ، وإلّا أخاك . فتُحذفُ إحداهما فتنوبُ الأخرَى عنها ، فيقالُ : سارَ القومُ إلّا عَمرًا وأخاك . أو : إلّا عَمرًا إلّا أخاك . لما وصَفْنا قبلُ .

فإذْ كان ذلك كذلك ، فغيرُ جائزٍ لمدَّعٍ [٢] من الناسِ أن يدّعِيَ أن ﴿ إِلَّا ﴾ فى هذا الموضعِ بمعنى الواوِ التى تأتى بمعنَى العطفِ .

وواضحٌ فسادُ قولِ من زعَم أن معنى ذلك [٣] : إلّا الذين ظلَموا منهم ، فإنهم لا حُجّةَ لهم ، فلا تَخشَوْهم ، كقولِ القائلِ فى الكلامِ [٤] : الناسُ كلُّهم لك حامدون ، إلّا الظالمَ [٥] المعتدِىَ عليك ، فإن ذلك لا يُعتدُّ بعُدْوانِه [٦] ، ولا بترْكِه الحمدَ لموضِعِ العداوةِ . وكذلك الظالمُ لا حُجةَ له ، وقد سُمِّى ظالمًا - لإجماعِ جميعِ أهلِ التأويلِ على تخْطِئةِ ما ادَّعى من التأويلِ فى ذلك . وكفَى شاهدًا على خطأِ مقالةٍ [٧] إجماعُهم على تخطِئَتِها .

وظاهرٌ بطولُ قولِ من زعَم أن الذين ظلَموا ههنا ناسٌ من العربِ كانوا يهودًا أو [٨] نصارَى ، فكانوا يحتجُّون على النبىِّ ، فأما سائرُ العربِ ، فلم تكنْ لهم حُجّةٌ ، وكانت حُجّةُ من يحتجُّ مُنكسِرةً ؛ لأنك تقولُ لمن تُريدُ أن تكسِرَ عليه حُجَّتَه : إن لك

(١ - ١) فى ص : « إلى » .

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن المثنَّى . ينظر مجاز القرآن ١/ ٦٠.

(٣) هو الفراء ، وما سيأتى هو نص كلامه فى معانى القرآن ١/ ٨٩.

(٤) فى م ، ت٢ : « كلامه » .

(٥) بعده فى معانى القرآن : « لك » .

(٦) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « بعداوته » .

(٧) فى م ، ت٢ : « مقالته » .

(٨) فى ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣: « و » .

عليَّ حُجّةً ، ولكنها مُنكسِرةٌ ، إنَّك لتحتجُّ بلا حُجَّةٍ ، وحُجّتُك ضعيفةٌ . ووَجْه[(١)] معنى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ إلى معنَى : إلّا الذين ظلموا منهم من أهلِ الكتابِ ، فإن لهم عليكم حُجةً واهيةً ، أو حُجةً ضعيفةً . ووَهَاءُ[(٢)] قولِ من قال : « إلّا » فى هذا الموضعِ بمعنى « لكن » . وضَعْفُ قولِ من زعَم أنه ابتداءٌ بمعنَى : إلّا الذين ظلَموا منهم فلا تخشوهم ؛ لأن تأويلَ أهلِ التأويلِ جاءَ فى [٤/٨٠و] ذلك بأن ذلك من اللهِ خبرٌ عن الذين ظلَموا منهم أنهم يحتَجُّون على النبيِّ وأصحابِه بما قد ذكَرْنا ، ولم يقصِدْ فى ذلك إلى الخبرِ عن صفةِ حُجّتِهم بالضعفِ ولا بالقوَّةِ – وإن كانت ضعيفةً لأنها باطلةٌ – وإنما قصَد فيه الإثباتَ للذين ظلَموا ما قد نَفَى عن الذين قبلَ حرفِ الاستثناءِ من الصفةِ .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، قال : قال الربيعُ : إن يهوديًّا خاصمَ أبا العاليةِ فقال : إن موسى كان يُصلِّى إلى صخرةِ بيتِ المقدسِ . فقال أبو العاليةِ : كان يُصلِّى عند الصخرةِ إلى البيتِ الحرامِ . قال : قال فبينى وبينَك مسجدُ صالحٍ ، فإنه نحَته من الجبلِ . قال/ أبو العاليةِ : قد صلّيتُ فيه وقبلتُه إلى البيتِ الحرامِ . قال الربيعُ : وأخبرَنى أبو العاليةِ أنه مرَّ على مسجدِ ذِى القرنين وقِبلتُه إلى الكعبةِ . ٢/٣٥

وأما قولُه : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾ يعنى : فلا تخشَوْا هؤلاء الذين وصَفْتُ لكم أمرَهم من الظلَمةِ[(٣)] ، فى حُجّتِهم وجدالِهم وقولِهم ما يقولُون من[(٤)] أن محمدًا

(١) التقدير : وظاهر بطلان قول من وجّه .

(٢) فى النسخ عدا الأصل : « وهى » وهما بمعنى . وتقدير الكلام : وظاهر وهاء .

(٣) فى م : « الظلم » .

(٤) فى ص : « فى » .

قد رجَع إلى قبلتِنا ، وسيَرْجِعُ إلى دينِنا ، أو أن يقدِرُوا لكم على ضُرٍّ في دينِكم ، أو صَدِّكم عما هَداكم اللهُ له من الحقِّ ، ولكن اخشَوْني ، فخافوا عقابي في خلافِكم أمرِي إن خالَفتُموه .

وذلك من اللهِ تقدُّمٌ إلى عبادِه المؤمنين ، بالحضِّ على لزومِ قبلتِهم والصلاةِ إليها ، وبالنَّهي عن التوجُّهِ إلى غيرِها . يقولُ جلَّ ثناؤُه : واخشَوْني أيها المؤمنون ، في ترْكِ طاعتي فيما أمَرتُكم به من الصلاةِ شطرَ المسجدِ الحرامِ .

وقد حُكِي عن السُّدِّيِّ في ذلك ما حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي ﴾ يقولُ : لا تخشَوْا أن أردَّكم في دينِهم[1] .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ .

يَعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ ومن حيث خرَجتَ من البلادِ والأرضِ إلى أيِّ بقعةٍ شَخَصْتَ ، فولِّ وجْهَك شَطْرَ المسجدِ الحرامِ ، وحيثُ كنتَ أنت يا محمدُ والمؤمنون ، فولُّوا وُجوهَكم في صلاتِكم شطْرَه ، واتَّخِذوه قِبلةً لكم ، كيلا يكونَ لأحدٍ من الناسِ عليكم[2] سِوَى مشركِي قريشٍ حُجةٌ ، وكي أُتِمَّ بذلك - من هِدايتي لكم إلى قبلةِ خليلي إبراهيمَ ، الذي جعَلْتُه إمامًا للناسِ - نعْمتي ، فأُكمِلَ لكم به فضلي عليكم ، وأتَمِّمَ به شرائعَ ملَّتِكم الحنيفيّةِ [٨٠/٤ظ] المسلمةِ التي وصَّيتُ بها نوحًا وإبراهيمَ وموسى وعيسى وسائرَ الأنبياءِ غيرَهم .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٩/١ (١٣٩٠) عن أبي زرعة ، عن عمرو به .

وإلى هنا انتهى المجلد الثاني من نسخة دار الكتب المصرية . وقد أشرنا في المقدمة إلى أن الجزء الثالث منها غير موجود وتستأنف عند قوله جل ثناؤه : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ . من الآية ٢٢٠ من سورة البقرة .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

وذلك هو نِعْمتُه التى أخبرَ جلَّ ثناؤُه أنه مُتِمُّها على رسولِه والمؤمنين به من أصحابِه .

وقولُه : ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ يعنى : وكى (١) تَهْتَدوا فتَرْشُدوا (١) للصوابِ من القِبَلِ (٢) . و ﴿ وَلَعَلَّكُمْ ﴾ عطفٌ على قولِه : ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ ، (٣) وقولُه (٣) ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ عطفٌ على قولِه : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ .

يَعنى بقولِه تعالى ذكرُه : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا ﴾ . ولأُتِمَّ نعمتى عليكم ببيانِ شرائعِ ملّتِكم الحنيفيّةِ وأهديَكم لدينِ خليلى إبراهيمَ ، فأجعَلَ لكم دَعوتَه التى دعانى بها ومسألتَه التى سألَنيها فقال : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٨] كما جعَلتُ لكم دَعوتَه التى دعانى بها ، ومسألَته التى سألَنيها فقال : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ / إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩] فابتعثْتُ منكم رسولِى الذى سألَنى خليلى إبراهيمُ وابنُه إسماعيلُ أن أبعَثَه من ذُرِّيتِهما . ٣٦/٢

فـ ﴿ كَمَآ ﴾ إذن - إذ كان ذلك معنى الكلامِ - صلةٌ لقولِ اللهِ : ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ (٤) وتأويلُه : ولأُتِمَّ نعْمتى عليكم كما أرسلْنا فيكم رسولًا منكم (٤) .

(١ - ١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « ترشدوا » .

(٢) فى م ، ت٢ : « القبلة » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) فى م : « ولا يكون قوله : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ﴾ . متعلقا بقوله : ﴿ فاذكرونى أذكركم ﴾ » . وهو جيد أيضًا .

وقد قال قومٌ[(١)] : إن مَعنى ذلك : فاذْكُرونى كما أرسَلْنا فيكم رسولًا منكم أذكُرْكم . وزعَموا أن ذلك من المقدَّمِ الذى مَعناه التأْخيرُ ، فأغرَقوا النَّزْعَ[(٢)] ، وبعُدوا من الإصابةِ ، وحمَلوا الكلامَ على غيرِ معناه المعروفِ ، وسِوَى وجهِه المفهومِ . وذلك أن الجارىَ من الكلامِ على ألسُنِ العربِ ، المفهومَ فى خطابِهم بينَهم ، إذا قال بعضُهم لبعضٍ : كما أحسَنتُ إليك يا فلانُ فأحسِنْ . أن لا يشترطوا : لأُحسن[(٣)] . لأن الكافَ فى « كما » شرطٌ ، معناه : افعَلْ كما فعَلتُ . ففى مجىءِ جوابِ : ﴿ فَاذْكُرُونِي ﴾ . بعدَه ، وهو قولُه : ﴿ أَذْكُرْكُمْ ﴾ أوضحُ الدليلِ على أن قولَه : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا ﴾ من صلةِ الفعلِ الذى قبلَه ، وأن قولَه : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ خبرٌ مبتدأٌ منقطِعٌ عن الأولِ ، وأنه من سببِ قولِه : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾ بمعزِلٍ .

وقد زعَم بعضُ النحْويين[(٤)] أن قولَه : ﴿ فَاذْكُرُونِي ﴾ إذا جُعِل قولُه : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾ جوابًا له مع قولِه : ﴿ أَذْكُرْكُمْ ﴾ نظيرُ الجزاءِ الذى يُجابُ [٨١/٤و] بجوابين ، كقولِ القائلِ : إذا أتاك فلانٌ فائتِه تُرْضِه . فيصيرُ قولُه : فائتِه[(٥)] تُرْضِه جَوابين لقولِه : إذا أتاك . وكقولِه : إن تأتنى أُحسِنْ إليكَ أُكْرِمْك .

وهذا القولُ وإن كان مذهبًا من المذاهبِ ، فليس بالأشهرِ[(٦)] الأفصحِ فى كلامِ العربِ ، والذى هو أوْلَى بكتابِ اللهِ أن يوجَّهَ إليه من اللغاتِ الأفصحُ الأعرفُ من كلامِ العربِ ، دونَ الأنْكَرِ الأجهلِ من منطقِها . هذا ، مع بُعد وَجْهِه من المفهومِ فى التأويلِ .

---

(١) هو الفراء فى معانى القرآن ١/ ٩٢.

(٢) أغرق النازع فى القوس : أى استوفى مدها ، يضرب مثلا للغلو والإفراط . اللسان (غ ر ق) .

(٣) فى م : « للآخر » .

(٤) هو من قول الفراء أيضا ، ينظر معانى القرآن ١/ ٩٢.

(٥) بعده فى م : « و » .

(٦) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بالأسهل » .

ذكرُ من قال : إن قولَه : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾ جوابٌ لقولِه : ﴿ فَاذْكُرُونِيٓ ﴾ .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، قال : سمِعتُ ابنَ أبى نَجيحٍ يقولُ فى قولِ اللهِ : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾ : كما فعَلتُ فاذْكرونى .

حدَّثنا المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(١)] .

[(٢)] وأمّا[(٢)] قولُه : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾ فإنه يَعنى بذلك العربَ ، قال لهم : الزَموا أيها العربُ طاعتى ، وتوجَّهوا إلى القِبلةِ التى أمَرْتكم بالتوجُّهِ إليها ، لتنقطِعَ حُجَّةُ اليهودِ عنكم ، فلا تكونُ لهم عليكم حُجّةٌ ، ولأُتمَّ نعمتى عليكم وتهْتدوا ، كما ابتدَأْتكم بنعمَتى ، فأرسَلْتُ فيكم رسولًا إليكم منكم . وذلك الرسولُ الذى أرسَلَه إليهم منهم محمدٌ ﷺ .

كما **حدَّثنى** المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾ يعنى محمدًا ﷺ[(٣)] .

وأما قولُه : ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ فإنه يعنى آياتِ القرآنِ . وبقولِه : ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ ويطهِّرُكم من /دَنسِ الذنوبِ : ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وهو ٣٧/٢

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٧، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٩/١ (١٣٩١) ، وينظر تفسير البغوى ١/ ١٦٦، ١٦٧. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وقد سقط أوله من المطبوع .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٩/١ عقب الأثر (١٣٩٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

القرآنُ[(١)] ، يعنى أنه يعلِّمُهم أحكامَه . ويعنى بالحكمةِ السُّنَنَ والفقهَ فى الدينِ ، وقد بيَّنا جميعَ ذلك فيما مضَى قبلُ بشواهِدِه[(٢)] .

وأما قولُه : ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ فإنه يَعنى : ويعلِّمُكم من أخبارِ الأنبياءِ ، وقَصصِ الأممِ الخاليةِ ، والخبرِ عما هو حادثٌ وكائنٌ من الأمورِ التى لم تكنِ العربُ تعلَمُها . فعلَّمهموها[(٣)] رسولُ اللهِ ﷺ . فأخبَرهم اللهُ أن ذلك كلَّه إنما يُدْرِكونه برسولِ الله ﷺ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ .

[٨١/٤ظ] يَعنى بذلك : فاذْكُرونى أيها المؤمنون بطاعتِكم إيّاىَ فيما آمُرُكم به وفيما أنْهاكم عنه ، أذكُرْكم برحْمتى إيَّاكم ومغْفِرتى لكم .

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ المباركِ ، عن ابنِ لَهيعَةَ ، عن عطاءِ بنِ دينارٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ فى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ قال : اذْكُرونى بطاعتى ، أذكُرْكم بمغفرتى[(٤)] .

وقد كان بعضُهم يتأوَّلُ ذلك أنه من الذِّكرِ بالثناءِ والمدحِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن

---

(١) فى م : « الفرقان » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٥٧٥ .

(٣) فى م : « فعلموها من » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٦٠ (١٣٩٨) من طريق ابن لهيعة به . وأخرجه ١/ ٢٦١ (١٣٩٩) من طريق ابن لهيعة به ، بلفظ : أذكركم برحمتى . وعزاه السيوطى أيضا فى الدر المنثور ١/ ١٤٨ إلى عبد بن حميد . وينظر تفسير البغوى ١/ ١٦٧ .

الربيعِ فى قولِه : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ إن اللهَ ذاكرٌ من ذكَره، وزائدٌ من شكَره، ومعذِّبٌ من كفَره[1].

حدَّثنى موسى، قال : حدَّثنا عمرٌو، قال : حدَّثنا أسباطُ، عن السُّدىِّ : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ قال : ليس مِن عبدٍ يذكُرُ اللهَ إلا ذكَره اللهُ، لا يذكُرُه مؤمنٌ إلا ذكَره برحمةٍ، ولا يذكُرُه كافرٌ إلا ذكَره بعذابٍ[2].

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾.

يَعنى : اشكُروا لى أيُّها المؤمنون فيما أنعَمتُ عليكم به من الإسلامِ، والهدايةِ للدينِ الذى شرَعتُه لأنبيائِى وأصفيائِى، ﴿ وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾. يقولُ : ولا تجْحَدوا إحسانى إليكم، فأسْلُبَكم نعمَتى التى أنعمْتُ عليكم، ولكنِ اشكُروا لى عليها، فأزيدَكم، وأُتَمِّمَ نعمَتِى عليكم، وأهدِيَكم لما هَدَيتُ له من رَضِيتُ عنه من عبادى، فإنى وَعَدتُ خلقى أن من شكَر لى زدْتُه، ومن كفَرنى حرَمتُه وسلَبتُه ما أعطَيتُه. والعربُ تقولُ : [3]شكَرتُ لك صَنيعتَك. ولا تكادُ تقولُ : شكَرتُك. وكذلك تقولُ : نصَحتُ لك[3]. ولا تكادُ تقولُ : نصَحتُك. وربما قالتْ : شكَرتُك ونصَحتُك. من ذلك قولُ الشاعرِ[4] :

هُمُ جمَعوا بُؤسَى ونُعْمَى عليكُمُ فهلَّا شَكَرتَ القَوْمَ إذ[5] لم تُقاتِلِ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٦٠، ٢٦١ عقب الأثر (١٣٩٦، ١٤٠٣) من طريق ابن أبى جعفر به، نحوه.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٠/١ عقب الأثر (١٣٩٦، ١٣٩٧) عن أبى زرعة، عن عمرو بن حماد به، نحوه.

(٣ - ٣) فى م : «نصحت لك وشكرت لك».

(٤) نسبه أبو حيان فى البحر المحيط ٤٤٧/١ إلى عمرو بن لجأ التميمى، وذكره الفراء فى معانى القرآن ٩٢/١ ولم ينسبه.

(٥) فى م : «إن».

وقال النابغةُ فى : نصَحْتُك[(١)] :

نَصَحْتُ بنى عَوْفٍ فلم يَتَقبَّلوا رسولى[(٢)] ولم تَنْجَحْ لَدَيْهِمْ وَسائِلى

/وقد دلَّلْنا على أن معنى الشكرِ الثناءُ على الرجلِ بأفعالِه المحمودَةِ، وأن معنى ٣٨/٢ الكفرِ تغطيةُ الشىءِ، فيما مضَى قبلُ، فأغنَى ذلك عن إعادتِه[(٣)].

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ [٨٢/٤و] ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾.

وهذه الآيةُ حَضٌّ من اللهِ على طاعتِه، واحتمالِ مَكْروهِها على الأبدانِ والأموالِ، فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ ﴾ على القيامِ بطاعتى، وأداءِ فرائضِى فى ناسخِ أحكامِى، والانصرافِ عما أنْسَخُه منها إلى الذى أُحْدِثُه لكم مِن فرائضِى، وأنقُلُكم[(٤)] إليه مِن أحْكَامِى، والتسليمِ لأمرِى فيما آمرُكم به فى حينِ إلزامِكم حُكْمَه، والتحوُّلِ عنه بعدَ تحويلى إيَّاكم عنه - وإنْ لحِقَكُم فى ذلك مَكْروهٌ مِن مقالةِ أعدائِكم مِن الكفارِ (٥)تَحَدُّلٌ منهم لكم بالباطلِ(٥)، أو مَشَقَّةٌ على أبدانِكم فى قيامِكم به، أو نَقْصٌ فى أموالِكم - وعلى جهادِ أعدائِكم وحربِهم فى سبيلى، بالصبرِ مِنكم لى على مكروهِ ذلك، ومشقتِه عليكم، واحتمالِ عِبْئِه[(٦)]

---

(١) ديوان النابغة صفحة ٦٧.

(٢) فى ديوان النابغة تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم صفحة ١٤٣ : « وصاتى ». والرسول : الرسالة، يؤنث ويذكر. اللسان (ر س ل).

(٣) ينظر ما تقدم فى معنى الشكر فى ١/١٣٥ - ١٣٨، وفى معنى الكفر ما تقدم فى ١/ ٢٦٢.

(٤) فى حاشية الأصل : « فى الأم وأنقله ».

(٥ - ٥) فى م : « بقذفهم لكم الباطل »، وفى ت ١ : « يحد لهم منهم لهم الباطل »، وفى ت ٢ : « لخذلهم منهم لكم بالباطل »، وفى ت ٣ : « بخذلهم منهم لكم بالباطل ». وتحدَّل أى : ظلم. ينظر التاج (ح د ل).

(٦) فى م : « عنائه ».

وثِقَلِه ، (١) وبالعزاءِ منكم عمَّن قُتِل فى سبيلى (١) ، ثم بالفَزَعِ منكم فيما ينوبُكم مِن مُفظِعاتِ الأمورِ إلى الصلاةِ لى ، فإنَّكم بالصبرِ على المكارِهِ تُدْرِكون مرضاتى ، وبالصلاةِ لى تَسْتَنْجِحون طَلِباتِكم قِبَلى ، وتُدْرِكون حاجاتِكم عندى ، فإنى مع الصابرين على القيامِ بأداءِ فرائضِى وتركِ معاصِىَّ ، أنصُرُهم وأرعاهُم وأكلؤُهم حتى يظفَرُوا بما طلَبوا وأمَّلوا مِن قِبَلى ، وقد بيَّنْتُ معنى الصبرِ والصلاةِ فيما مضَى قبلُ فكرِهْنا إعادَتَه (٢) .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ . يقولُ : استعينوا بالصبرِ والصلاةِ على مرضاةِ اللهِ ، واعلَموا أنَّهما مِن طاعةِ اللهِ (٣) .

حُدِّثتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قولَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ اعْلَموا أنهما عَوْنٌ على طاعةِ اللهِ .

وأما قولُه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ فإن تأويلَه أن اللهَ ناصِرُه وظَهِيرُه ، وراضٍ بفعلِه ، كقولِ القائلِ لآخرَ : « افعلْ يا فلانُ كذا وأنا معكَ » . يعنى : إنى ناصرُكَ على فعلِك ذلك ومعينُك عليه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ .

يعنى بذلك : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبرِ على طاعتى فى جهادِ

(١ - ١) سقط من : م، ت ١، ت ٢، ت ٣.
(٢) ينظر ما تقدم فى ١/٢٤٨ ، ٦١٧ ، ٦١٨ .
(٣) تقدم فى ١/٦٢٠ ، ٦٢١ .

عدوِّكم ، وتركِ معاصيَّ ، وأداءِ سائرِ فرائضِى عليكم ، ولا تقولوا لمَن يُقتلُ مِنكم فى سبيلى : هو ميِّتٌ . فإن ايتَ مِن خلْقِى هو مَن سلَبتُه حياتَه وأعدمْتُه حوَاسَّه ، فلا يَلْتَذُّ لذَّةً ولا يُدركُ [٨٢/٤ظ] نعيمًا ، وإنَّ مَن قُتِلَ مِنكم ومِن سائرِ خَلقِى فى سبيلِى أحياءٌ عندِى فى حَبْرةٍ[1] ونعيمٍ ، وعيشٍ هنيٍّ ، ورِزْقٍ سَنيٍّ ، فَرِحين بما آتيْتُهم مِن فضلِى وحَبَوْتُهمْ به مِن كرامتِى .

/كما حدَّثنى محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال: ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ، عن مجاهدٍ فى قولِه: ﴿ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. ٣٩/٢

[2]قال : يُرزَقون[2] من ثمرِ الجنةِ ، ويجدون ريحَها وليسُوا فيها[3] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، مثلَه .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قولَه : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢ ۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴾ ، [4]كنا نُحدَّثُ[4] أنّ أرواحَ الشهداءِ تَعارفُ فى طيرٍ بِيضٍ[5] يأْكُلْنَ من ثمارِ الجنةِ ، وأن مساكنَهم السِّدرةُ[6] ، وأن للمجاهدِ فى سبيلِ اللهِ ثلاثَ خَصَلاتٍ[7] : مَن قُتِلَ فى

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « حياة » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) تفسير مجاهد ص ٢١٧، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨١٣/٢ (٤٤٩٥) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٥٥، ٩٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٤ - ٤) فى م : « كما يحدث » .

(٥) فى الأصل : « خضر » .

(٦) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « سدرة المنتهى » .

(٧) فى م : « خصال من خير » .

سبيلِ اللهِ منهم صارَ حيًّا مَرْزوقًا ، ومَن غلَب آتاه اللهُ أجرًا عظيمًا ، ومَن ماتَ رزَقه اللهُ رِزقًا حَسنًا[1] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبَرنا مَعمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ . قال : أرواحُ الشهداءِ فى صُوَرِ[2] طيرٍ بيضٍ[3] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ . [4]قال : أحياءٌ[4] فى صورِ طيرٍ خضرٍ يطيرون فى الجنةِ حيث شاءُوا منها ، يأكلون مِن حيثُ شاءوا[5] .

حدَّثنى المثنى ، [6]قال : حدثنا إسحاقُ[6] ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ غِياثٍ ، قال : سمعتُ عكرمةَ يقول فى قولِه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ . قال : أرواحُ الشهداءِ فى طيرٍ بيضٍ[7] فى الجنةِ[8] .

فإن قال لنا قائلٌ : وما فى قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٥٥ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) فى الأصل : « صدور » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٦٣، وأخرجه كذلك فى مصنفه (٩٥٥٣، ٩٥٥٨) ، وينظر الدر المنثور ١/ ١٥٥.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) سيأتى نحوه عن الربيع فى ٦/ ٢٣١ ، ٢٣٢ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٦٣ (١٤١٢) ، والبيهقى فى الشعب (٩٦٨٦) من طريق أبى جعفر عن الربيع ، عن أبى العالية .

(٦ - ٦) سقط من : م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٧) فى م : « خضر » .

(٨) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ٥/ ٣٣٧ من طريق عثمان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٥٥ إلى=

أَمْوَٰتُۢ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ مِن خصوصيةِ الخبرِ عن المقتولِ فى سبيلِ اللهِ الذى لم يُعمَّ به غيرُه ، وقد عَلِمتَ تَظاهرَ الأخبارِ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه وصَف حالَ المؤمنينَ والكافرينَ بعدَ وفاتِهم ، فأخبرَ عن المؤمنينَ أنهم تُفتحُ لهم مِن قبورِهم أبوابٌ إلى الجنةِ يَتنَسَّمُون[(١)] منها رَوْحَها ، ويَستَعْجِلونَ اللهَ قيامَ الساعةِ ؛ لِيَصيروا إلى مساكنِهم منها ، ويُجْمَعَ بينَهم وبينَ أهاليهم وأولادِهم فيها ، وعن الكافرين أنه[(٢)] تُفْتَحُ لهم من قبورِهم أبوابٌ إلى النارِ يَنظُرونَ إليها ويُصيبُهم مِن نَتْنِها ومَكْروهِها ، ويُسلَّطُ عليهم فيها إلى قيامِ الساعةِ مَن يَقمَعُهم فيها ، ويسألون اللهَ فيها تأخيرَ قيامِ الساعةِ ؛ حَذارًا مِن المصيرِ إلى ما [٤/٨٣و] أُعِدَّ لهم فيها ، من[(٣)] أشباهِ ذلك من الأخبارِ[(٤)] . فإذا كانت الأخبارُ بذلك مُتَظَاهرةً عن رسولِ الله ﷺ ، فما الذى خُصَّ به القتيلُ فى سبيلِ اللهِ مما لمْ يُعمَّ به سائرُ البشرِ غيرُه من الحياةِ ، وسائرُ الكفارِ والمؤمنين غيرُه أحياءٌ فى البَرْزَخِ ؛ أما الكفارُ فمعذَّبونَ فيه بالمَعِيشَةِ الضَّنْكِ ، وأما المؤمنون فمُنَعَّمون بالرَّوْحِ والرَّيْحانِ ونَسِيمِ الجِنَانِ ؟

قيل : إنّ الذى خَصَّ اللهُ به الشهداءَ فى ذلك وأفادَ المؤمنين بخبرِه عنهم جلَّ ثناؤُه ، إعلامُه إيَّاهم أنَّهم مَرزُوقون مِن مآكلِ الجنةِ ومطاعِمِها فى بَرْزَخِهم قَبلَ بَعْثِهم ، ومُنعَّمُون بالذى يُنَعَّمُ به داخلُوها بعدَ البعثِ / من سائرِ البشرِ مِن لَذيذِ ٢/٤٠ مطاعِمِها ، (٥)التى لم يُعطِها(٥) اللهُ أحدًا غيرَهم فى بَرْزَخِه قبلَ مَبْعَثِه[(٦)] ، فذلك هو

= المصنف وابن أبى شيبة فى المصنف . وعثمان بن غياث ، كان يحيى بن سعيد يضعف حديثه عن عكرمة فى التفسير.

(١) فى م ، ت ١، ت ٢: « يشمون » .

(٢) فى م : « أنهم » .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « مع » .

(٤) ينظر مسند الطيالسى (٧٨٩) .

(٥ - ٥) فى م ، ت ٣: « الذى لم يطعمها » ، وفى ت ١، ت ٢: « التى لم يعطها » .

(٦) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بعثه » .

الفضيلةُ التي فضَّلهَم بها وخصَّهم بها مِن غيرِهم ، والفائدةُ التي أفاد المؤمنين بالخبرِ عنهم ، فقال جلَّ وعزَّ لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [آل عمران : ١٦٩، ١٧٠] .

وبمثلِ ذلك جاء الخبرُ عن رسولِ اللهِ ﷺ .

حدثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحيمِ بنُ سليمانَ وعَبْدَةُ بنُ سليمانَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن الحارثِ بنِ فُضيلٍ ، عن محمودِ بنِ لَبيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « الشُّهداءُ على بارقٍ[(١)] ؛ نهرٍ ببابِ الجنَّةِ ، فى قُبَّةٍ خَضْراءَ - وقال عَبْدَةُ : فى رَوْضَةٍ خَضراءَ - يَخْرُجُ عليهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الجنَّةِ بُكرَةً وَعَشِيًّا »[(٢)] .

حدثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا جابرُ بنُ نوحٍ ، عن الإفريقيِّ ، عن ابنِ يسارٍ[(٣)] السُّلَمِيِّ ، أو أبى يسارٍ[(٣)] - الطبريُّ يشكُّ - قال : أرواحُ الشهداءِ فى قِبابٍ بِيضٍ مِن قِبابِ الجنةِ ، فى كلِّ قُبةٍ زوجتانِ ، رِزْقُهمْ فى كلِّ يومٍ طلَعتْ فيه الشمسُ ثَوْرٌ وحُوتٌ ؛ فأمّا الثورُ ففيه طَعْمُ كلِّ ثَمرةٍ فى الجنةِ ، وأما الحوتُ ففيهِ طَعْمُ كلِّ شرابٍ فى الجنةِ[(٤)] .

فإن قال قائلٌ : فإن الخبرَ عمَّا ذكرتَ أن اللهَ أفاد المؤمنين بخبرِه عن الشهداءِ من النِّعمةِ التى خصَّهم بها فى البرْزَخِ ، غيرُ موجودٍ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ وإنما فيه الخبرُ عن حالِهم ؛ أمواتٌ هُمْ أمْ أحياءٌ .

---

(١) بعده فى ص ، ت٢ ، ت٣ : « على » .

(٢) سيأتى تخريجه فى ٦/ ٢٣٠.

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يشار » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٩٦ إلى المصنف .

قيل : إن المقصودَ بذكرِ الخبرِ عن حياتِهم إنما هو الخبرُ عمَّا هُمْ فيه مِنَ النِّعمةِ ، ولكنَّه جلَّ ذكرُه لمَّا كان قد أنبأ عبادَه عمَّا قد خصَّ به الشهداءَ - في قولِه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] . وعلِمُوا حالَهم بخبرِه ذلك ، ثم كان المرادُ من اللهِ في قولِه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ نَهْىَ خَلْقِه عن أن يقولوا للشهداءِ : إنَّهم مَوْتَى - ترَك إعادةَ ذكرِ ما قد بيَّنَ لهم مِن خبرِهم .

وأما قولُه : ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ فإنه يعنى به : ولكنَّكم لا ترونَهم ، فتعلَموا أنَّهم أحياءٌ ، وإنما [٤/٨٣ظ] تعلَمون ذلك بخبرِى إيَّاكم به .

وإنما رفَع قولَه : ﴿ أَمْوَٰتٌۢ ﴾ بإضمارِ مكنيٍّ من[1] أسماءِ : « من يُقتلُ فى سبيلِ اللهِ » .

ومعنى ذلك : ولا تقولوا لمن يُقتلُ فى سبيلِ اللهِ : هُم أمواتٌ . ولا يجوزُ النصبُ فى « الأمواتِ » ؛ لأنَّ « القولَ » لا يعملُ فيهم ، وكذلك قولُه : ﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ رَفعٌ بمعنى [2]بل هم[2] أحياءٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ .

/وهذا إخبارٌ من اللهِ أتباعَ رسولِه محمدٍ ، أنه مُبتلِيهم فممتحنُهم بشدائدَ من الأمورِ ؛ ليعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرسولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ على عَقِبَيْهِ ، كما ابتلاهم فامتحَنهم بتحويلِ القِبلةِ مِن بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ ، وكما امتحَن أصْفِياءَه قبلَهم ، ووعَدهم ٢/٤١

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عن » .

(٢ - ٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أنهم » .

ذلك فى آيةٍ أخرى فقال لهم : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك كان ابنُ عباسٍ وغيرُه يقولُ .

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا عبدُ اللهِ ، قال : حدثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قولَه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾ ونحوِ هذا . قال : أخبرَ اللهُ سبحانَه المؤمنين أن الدنيا دارُ بلاءٍ ، وأنه مُبتَليهم فيها ، وأمَرَهُم بالصبرِ وبشَّرهم ، فقال : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ . ثم أخبرَهم أنه هكذا فعَل بأنبيائِه وصِفْوَتِه ؛ لتَطِيبَ أنفسُهم ، فقال : ﴿ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾[(1)] .

فمعنى قولِه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ : ولَنَختَبِرَنَّكم ، وقد أتَيْنا على البيانِ عن أن معنى الابتلاءِ الاختبارُ ، فيما مضَى قبلُ[(2)] .

وقولُه : ﴿ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾ ، يعنى : من الخوفِ مِن العدوِّ ، وبالجوعِ ، وهو القَحْطُ ، يقولُ : لَنَختَبِرَنَّكم بشىءٍ مِن خوفٍ ينالُكم مِن عدُوِّكم ، وبسَنةٍ تُصيبُكم ، ينالُكم فيها مجاعةٌ وشدَّةٌ وتَعذُّرُ المطالبِ عليكم ، فتنقُصُ لذلك أموالُكم ، وحروبٍ تكونُ بينَكم ، وبينَ أعدائِكم من الكفارِ ، فينقُصُ لها عددُكم ، وموتِ ذَرارِيِّكم وأولادِكم ، وجُدوبٍ تحدُثُ ، فتَنْقُصُ لها ثمارُكم ، كلُّ ذلك امتحانٌ منِّى لكم ، واختبارٌ منِّى لكم ؛ ليتَبَيَّنَ صادقُوكُم فى إيمانِهم مِن كاذِبِيكم فيه ، ويُعرفَ أهلُ البصائرِ فى دينِه[(3)] مِنكم مِن أهلِ النفاقِ فيه ، والشكِّ والارتيابِ ،

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٦٣، ٢٦٤ (١٤١٦، ١٤١٩) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٢) ينظر ما مضى فى ١/٦٥٣ ، ٦٥٤.

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢: « دينهم » .

كلُّ ذلك خطابٌ منه لأتباعِ رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه .

كما حدثني هارونُ بنُ إدريسَ الأصمُّ الكوفيُّ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ المحاربيُّ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطاءٍ في قولِه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾ . قال : هم أصحابُ محمدٍ ﷺ[(1)] .

وإنما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ ﴾ ، ولم يقُلْ : بأشياءَ ؛ لاختلافِ أنواعِ ما أعلمَ عبادَه [٨٤/٤و] أنه مُمتَحِنُهم به ، فلما كانَ ذلك مختلفًا - وكانتْ « مِن » تدلُّ على أن مع كلِّ نوعٍ منها مُضْمَرًا « شيءٌ » ، وأنّ معنى ذلك : ولَنَبْلونَّكم بشيءٍ مِن الخوفِ ، وبشيءٍ من الجوعِ ، وبشيءٍ من نقصِ الأموالِ - اكتفَى بدَلالةِ ذِكرِ « الشيءِ » في أولِه من إعادتِه مع كلِّ نوعٍ منها . ففعَل جلَّ ثناؤُه كلَّ ذلك بهم ، فامتحَنهم بضُروبِ المِحَنِ .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قولِه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴾ . قال : قد كان ذلك ، وسيكونُ ما هو أشدُّ مِن ذلك ، قال اللهُ عند ذلك : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا /أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[(2)] . ٤٢/٢

ثم قال جلَّ ثناؤُه لنبيِّه محمدٍ : وبشِّرْ ، يا محمدُ ، الصابرين على امتحاني بما أمْتَحِنُهم[(3)] به ، والحافظين أنفسَهم عن التقدّمِ على نهْيي عما أنهاهم عنه ، والآخذين

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦٣/١ (١٤١٤، ١٤١٥)، من طريق عبد الملك به .

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٩٦٨٦) من طريق أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية .

(٣) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « امتحنتهم » .

أنفُسَهم بأداءِ ما أكلِّفُهم مِن فرائضِي مع ابتلائى إيَّاهم بما أبْتَلِيهم[(١)] به ، القَائلين إذا أصابتْهم مصيبةٌ : نحن[(٢)] للهِ ونحن[(٢)] إليه راجعون . فأمَره اللهُ عزَّ وجلَّ بأن يَخصَّ بالبشارَةِ على ما يَمْتَحِنُهم به من الشدائدِ ، أهلَ الصبرِ الذين وصَف صِفتَهم .

وأصلُ « التبشيرِ » : إخبارُ الرجلِ الرجلَ الخبرَ يَسُرُّه أو يَسوءُه لم يَسْبِقْه به إليه غيرُه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ .

يعنى بذلك : وبشِّرْ ، يا محمدُ ، [(٣)]من الصابرين[(٣)] ، الصابرين الذين يعلَمون أن جميعَ ما بهم مِن نعمةٍ فمنِّى ، فيُقِرُّون بعبودتى[(٤)] ، ويوحِّدونَنى بالرُّبوبيةِ ، ويصدِّقون بالمعادِ والرجوعِ إلىَّ ، فيَستسْلِمون لقضائى ، ويَرجُون ثَوابِى ، ويخافون عقابِى ، ويقولون - عندَ امتحانى إيَّاهم ببعضِ مِحَنِى ، وابتلائِى إيَّاهم بما وعَدتُهم أن أبتلِيَهم به من الخوفِ والجوعِ ونقصٍ من الأموالِ والأنفسِ والثمراتِ وغيرِ ذلك من المصائبِ التى أنا مُمْتَحِنُهم بها - : إنَّا مماليكُ ربِّنا ومَعْبودِنا أحياءً ونحنُ عبيدُه ، وإنَّا إليه بعدَ مَماتِنا صائرونَ . تسليمًا لقضائى ورضًا بأحكامِى .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ .

[٨٤/٤ظ] يعنى بقولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ : هؤلاءِ الصابرين الذين وصَفهم ونعَتهم . ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ يعنى : لهم ﴿ صَلَوَٰتٞ ﴾ يعنى : مغفرةٌ . وصلواتُ اللهِ على عبادِه :

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ابتليتهم » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إنا » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بعبوديتى » .

غُفرانُه[١] ، كالذى رُوِى عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « اللَّهم صَلِّ على آلِ أبى أوْفَى »[٢] . يعنى : اغفرْ لهم .

وقد بينَّا الصلاةَ وما أصلُها فى غيرِ هذا الموضعِ[٣] .

وقولُه : ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ ، يعنى : ولهم مع المغفرةِ التى[٤] صفَح عن ذنوبِهم وتغمَّدها ، رحمةٌ من اللهِ لهم ورأفةٌ .

ثم أخبَر عزَّ وجلَّ - مع الذى ذكَر أنه مُعطيهم على اصطِبارِهم على مِحَنِه تسليمًا منهم لقضائِه من المغفرةِ والرحمةِ - أنهم هم المهتدون المصيبون طريقَ الحقِّ ، والقائلون ما يُرْضِى عنهم ربَّهم[٥] ، والفاعلون ما استوجَبُوا به من اللهِ الجزيلَ مِن الثوابِ .

وقد بيَّنا معنى الاهتداءِ فيما مضَى ، وأنه بمعنى الرُّشْدِ للصوابِ[٦] .

وبمعنى ما قلنا فى ذلك قال جماعةٌ من أهلِ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) بعده فى م : « لعباده » ، وبعده فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عباده » .

(٢) أخرجه البخارى (١٤٩٧) ، ومسلم (١٠٧٨) . وينظر مسند الطيالسى (٨٥٧) .

(٣) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٤٨ .

(٤) بعده فى م : « بها » .

(٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٣٤ .

٤٣/٢ ﴿ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ . قال : أخبرَ اللهُ أنّ المؤمنَ /إذا سلَّم لأمرِ اللهِ ، ورجَّع واسْتَرْجَعَ عندَ المصيبةِ ، كتَب اللهُ[1] له ثلاثَ خصالٍ من الخيرِ : الصلاةَ مِن اللهِ ، والرحمةَ ، وتحقيقَ سبيلِ الهدَى . وقال رسولُ اللهِ ﷺ : « مَن اسْتَرْجَعَ عِنْدَ المُصِيبَةِ جَبَر اللهُ مُصِيبَتَهُ ، وأحْسَنَ عُقْباهُ ، وجعَل له خلَفًا صالحًا يَرْضاهُ »[2] .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ . يقولُ : الصلواتُ والرحمةُ على الذين صبرُوا واسْتَرْجعوا[3] .

حدثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ العُصْفُرِيِّ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : ما أُعطِيَ أحدٌ ما أُعطِيَتْ هذه الأُمةُ : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ ولو أُعطِيَها أحدٌ لأُعطِيَها يعقوبُ ، ألمْ تسمَعْ إلى قولِه : ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف : ٨٤][4] .

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ .

والصَّفَا : جمعُ صَفَاةٍ ، وهي الصخرةُ المَلْساءُ ، ومنه قولُ الطِّرِمَّاحِ بنِ حكيمٍ[5] :

أبَى لى ذُو القُوَى والطَّوْلِ ألَّا يُؤَبِّسَ[6] حافِرٌ أبَدًا صَفاتِى

(١) ليس فى : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٤/١ (١٤٢١) ، والطبرانى فى الكبير (١٣٠٢٧) ، والبيهقى فى الشعب (٩٦٨٩) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٦/١ (١٤٢٨) ، والبيهقى فى الشعب (٩٦٨٦) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٥/١ (١٤٢٢) ، والبيهقى فى الشعب (٩٦٩١) من طريق سفيان العصفرى به .

(٥) ديوانه ص ٢٤. وفيه يؤيس بدلا من يؤبس ، وهما بمعنى . وينظر التاج (أ ب س ، أ ى س) .

(٦) ذو القوى والطول : هو الله تعالى ذكره ، ويؤبس : يذلل ويكسر . ينظر التاج (أ ب س) .

وقد قيل : إن الصَّفَا واحدٌ ، وأنه يُثنَّى صفَوَان ، ويُجمعُ أَصْفاءٌ وصُفِيًّا وصِفيًّا . واستشهَدوا [٤/٨٥و] على ذلك بقولِ الراجزِ[1] :

كـأنَّ مَتْنَيْـه مِن النَّفِيِّ[2]

مَوَاقِعُ الطَّيْرِ على الصُّفِيِّ

وقالوا : هو نظيرُ عَصًا وعُصِيٌّ ورَحًا ورُحِيٌّ وأرْحَاءٌ[3] .

وأمَّا المرْوَةُ فإنَّها الحصاةُ الصغيرةُ يُجمعُ قليلُها ؛ مَرَوَاتٌ ، وكثيرُها ؛ المرْوُ مثلُ تَمْرَةٍ وتَمَراتٍ وتَمْرٍ . كما قال الأعشى ميمونُ بنُ قَيْسٍ[4] :

[5]وتُـولِّـى الأرْضَ[5] خُـفًّـا زائِـلًا[6] فـإذا مـا صـادَفَ المَرْوَ رَضَـحْ[7]

يعنى بالمَرْوِ : الحصَى[8] الصغارَ ، ومِن ذلك قولُ أبى ذُؤيبٍ الهُذَلِيِّ[9] :

/حتى كأنِّى للحَوادِثِ مَرْوَةٌ بصَفا المُشرَّقِ[10] كلَّ يَوْمٍ تُقْرَعُ ٢/٤٤

[11]ويُقالُ : المشقَّرُ[11] . وإنما عنَى اللهُ تعالى ذكرُه بقولِهِ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا

(١) هو الأخيل الطائى . كما فى اللسان (ن ف ى ، هـ ى ص ، هـ ى ض) . وينظر أمالى القالى ٢/ ٨.

(٢) فى الأصل ، ت ١، ت ٣، وفى ت ٢: « التقى » والنفى : ما وقع عن الرِّشاء من الماء على ظهر المُستقى . وقيل : هو تطاير الماء عن الرشاء عند الاستقاء . اللسان (ن ف ى) .

(٣) ينظر تفسير الطبرى تحقيق الشيخ محمود شاكر ٢/ ٢٢٥.

(٤) ديوانه ص ٢٤١.

(٥ - ٥) فى م : « وترى بالأرض » . وفى ت ٢: « وترى الأرض » .

(٦) فى الأصل : « زابلا » ، وفى الديوان : « مجمرًا » .

(٧) رضَح الحصى والنَّوى يَرْضَحه رَضْحا . كسره ودقَّه . التاج (ر ض ح) .

(٨) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « الصخر » . وينظر القاموس المحيط (م ر و) .

(٩) ديوان الهذليين ١/ ٣ وشرح أشعار الهذليين ١/ ٩، واللسان : (ش ر ق) .

(١٠) قال الضبى : المشرَّق المُصلَّى . قال ابن الأنبارى : وإنما خص المشرق ؛ لكثرة مرور الناس به . ديوان المفضليات ص ٨٥٧.

(١١ - ١١) سقط من : الأصل . والمشقر : لفظ رواية أبى عبيدة ، قال ابن الأنبارى : يعنى سوق الطائف .=

وَٱلْمَرْوَةَ ﴾ . فى هذا الموضعِ : الجبَلَيْن المسمَّيَيْنِ بهذَيْنِ الاسْمَيْنِ اللذَيْنِ فى حَرَمِه دونَ سائرِ الصَّفا والمَرْوةِ[1] ، ولذلك أدخَل فيهما الألفَ واللَّامَ ؛ ليُعْلِمَ عبادَه أنه عنَى بذلك الجبلَيْنِ المعروفَيْن بهذَيْن الاسمَيْن ، دون سائرِ الأصفاءِ والمرْوِ .

وأما قولُه : ﴿ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ . فإنه يَعْنى به : مِن معالم اللهِ التى جعَلَها جلَّ ثناؤُه لعبادِه مَعْلَمًا ومَشْعَرًا يعبدونَه عندَها إمَّا بالدُّعاءِ ، وإمَّا بالذِّكرِ[2] ، وإما بأداءِ ما فُرِضَ عليهم من العملِ عندَها ، ومنه قولُ الكُميْتِ[3] بنِ زيدٍ :

نُقَتِّلُهُمْ جِيلًا[4] فجِيلًا نَرَاهُمُ[5] شَعائِرَ قُرْبانٍ بِهِمْ نَتَقَرَّبُ[6]

وكان مجاهدٌ يقولُ فى الشعائرِ ما حدَّثنى محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، حدثنا عيسى ، وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، جميعًا عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : من الخيرِ الذى أخبَركم عنه[7] .

فكأنّ مجاهدًا كان يرى أن الشعائرَ إنما هو جمعُ شَعِيرةٍ من إشْعارِ اللهِ عبادَه أمْرَ الصفَا والمروةِ ، وما عليهم فى الطوافِ بهما ، بمعنى[8] إعلامِهم ذلك ، وذلك تأويلٌ من المَفْهومِ بعيدٌ .

= ينظر المصدر السابق .

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المرو » .

(٢) فى الأصل : « الصلاة » . وفى ت ٣ : « بالفكرة » .

(٣) البيت فى اللسان ، والتاج (ش ع ر) .

(٤) فى م : « جبيلا » .

(٥) فى م ، واللسان ، والتاج : « تراهم » . وينظر تفسير الطبرى للشيخ محمود شاكر ٢٢٦/٢ حاشية (٣) .

(٦) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « يتقرب » .

(٧) تفسير مجاهد ص ٢١٧ ، بزيادة ستأتى فى ص ٧١٦ ، ٧٢٣ ، ٧٢٨ .

(٨) فى م : « فمعناه » .

وإنما أعلَمَ اللهُ تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ . عبادَه المؤمنين أن السَّعىَ بينهما مِن مَشاعرِ الحجِّ التى سنَّها لهم ، وأمَر بها خليلَه إبراهيمَ ﷺ ، إذْ سألَه أن يُرِيَه مناسكَ الحجِّ ، وذلكَ وإنْ كان مَخرجُه مَخرَجَ الخبرِ ، فإنه مرادٌ به الأمرُ ؛ لأن اللهَ تعالى ذكرُه قد أمَر نبيَّه محمدًا ﷺ باتِّباعِ مِلةِ إبراهيمَ عليه السلامُ ، فقال له : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل : ١٢٣] وجعَل تعالى ذِكرُه إبراهيمَ إمامًا لمن بعدَه ، فإذا كان صحيحًا أن الطوافَ والسعىَ بينَ الصفَا والمروةِ مِن شعائرِ اللهِ ومن مَناسِكِ الحجِّ ، فمعلومٌ أنَّ إبراهيمَ ﷺ ، قد عمِل به ، وسنَّه لمَنْ بعدَه ، وقد أُمِرَ نبيُّنا ﷺ وأُمَّتُه باتِّباعِه ، فعليهمُ العملُ بذلكَ على ما بيَّنه رسولُ اللَّهِ ﷺ [٨٥/٤ظ] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ ﴾ .

يعنى تعالى ذِكرُه : ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ ﴾ فمَن أتاه عائدًا إليه بعدَ بدءٍ ، وكذلك كلُّ مَن أكثَرَ الاختلافَ إلى شىءٍ فهو حاجٌّ إليه ، ومنه قولُ الشاعرِ[(١)] :

وأَشْهدَ مِن عَوْفٍ حُلُولًا كَثيرةً يَحُجُّون بيتَ[(٢)] الزِّبْرِقانِ[(٣)] المُزَعْفَرَا

/يعنى بقولِه يَحجُّون : يُكثِرون التردُّدَ إليه لسُؤْدَدِه ورِياسَتِه ، وإنَّما قيل للحاجِّ : حاجٌّ . لأنه يأتى البيتَ قبلَ التعريفِ[(٤)] ، ثم يعودُ إليه للطوافِ[(٥)] يومَ النَّحرِ ٤٥/٢

(١) هو المخبل السعدى ، والبيت فى البيان والتبين ٣/ ٩٧، وفى التاج (س ب ب) . واللسان (س ب ب ، ح ج ج ، ز ب ر ق) .

(٢) كذا فى النسخ ، وفى مصادر التخريج : « سِبّ » والسب : هو العمامة كما ذهب إليه الجاحظ ووافقه الطبرى ، وذهب غيرهم إلى أن السب هنا هى الاست . ينظر تعليق الشيخ شاكر ٣/ ٢٢٨.

(٣) الزبرقان : هو حصين بن بدر الفزارى من سادات العرب . المصدر السابق (س ب ب) .

(٤) التعريف : الوقوف بعرفات . اللسان (ع ر ف) .

(٥) فى م ، ت ٣: « لطواف » وفى ت ٢: « مرة بعد أخرى لطواف » .

بعدَ التعريفِ ، ثم يَنْصَرِفُ عنه إلى مِنًى ، ثم يعودُ إليه لِطوافِ الصَّدَرِ[(١)] ، فلِتَكْرارِه العَوْدَ إليه مرَّةً بعدَ أُخرى قيل له : حاجٌّ . وأما المعتمرُ فإنما قيلَ له : مُعْتَمِرٌ . لأنه إذا طاف به انْصَرَف عنه بعدَ زيارتِه إيّاه ، وأما قولُه : ﴿ أَوِ ٱعْتَمَرَ ﴾ فإنه يعنى : أو اعتمَرَ البيتَ ،ويعنى بالاعتمارِ الزيارَةَ ، فكلُّ قاصدٍ لشيءٍ فهو له مُعتمِرٌ ، ومنه قولُ العَجّاجِ[(٢)] :

لَقَدْ سَمَا ابنُ مَعْمَرٍ حينَ اعْتَمَرْ

مَغْزًى بَعيدًا مِن بَعيدٍ وضَبَرْ[(٣)]

يعنى بقولِه حينَ اعْتَمر : حين قصَدَه وأَمَّه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ .

يعنى تعالى ذِكرُه بقولِه : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ . يقولُ : فلا حَرَجَ عليه ولا مأْثَمَ فى طوافِه بهما .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ هذا الكلامِ ، وقد قلْتَ لنا : إنّ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ وإنْ كان ظاهرُه ظاهرَ الخبرِ ، فإنَّه فى معنى الأمْرِ بالطوافِ بهما[(٤)] ؟ فكيف يكونُ أمْرًا بالطوافِ ، ثم يقالُ : لا جُناحَ على مَن حَجَّ البيتَ أو اعْتَمر فى الطوافِ بهما . وإنما يُوضعُ الجُناحُ عمن أتَى ما عليه بإتيانِه الجُناحَ والحَرَجَ ،

---

(١) طواف الصدَر : هو طواف الوداع . وسمى بذلك ؛ لأن الناس يصدرون عن مكة بهذا الطواف إلى أماكنهم بعد قضاء نسكهم . ينظر تاج العروس (ص د ر) .

(٢) ديوانه ص ٥٠ .

(٣) قال الأصمعى : إذا وثب الفرس فوقع مجموعة يداه ، فذلك الضَّبْرُ . التاج (ض ب ر) .

(٤) فى الأصل : « بينهما » .

فالأمرُ بالطوافِ بهما ، والترخيصُ فى الطوافِ بهما غيرُ جائزٍ اجتماعُهما فى حالٍ واحدةٍ ؟! قيلَ : إنّ ذلك بخلافِ ما إليه ذهبتَ[(١)] ، وإنما معنَى ذلك عندَ أقوامٍ أن النبيَّ ﷺ لما اعتمَرَ عُمرةَ القضيَّةِ تَحَوَّبَ[(٢)] أقوامٌ كانوا يَطُوفون بهما فى الجاهليةِ قبلَ الإسلامِ لصَنَمَيْن كانا عليْهما ؛ تعظيمًا منهم لهما فقالوا : وكيف نطوفُ بهما ، وقد علِمْنَا أن تعظيمَ الأصنامِ وجميعِ ما كانَ مِن ذلك يُعبدُ مِن دونِ اللهِ باللهِ شِركٌ ، (٣)وطوافُنا(٣) بهذيْن الحَجَريْن أحدُ ذلك ؛ لأن الطوافَ بهما فى الجاهِليةِ إنما كان للصنمينِ اللذينِ كانَا عليهمَا ، وقد جاء اللهُ اليومَ بالإسلامِ ولا سبيلَ إلى تعظيمِ شيءٍ مع اللهِ بمعنى العبادةِ له ؟! فأنزَل اللهُ تعالى ذِكرُه فى ذلك مِن أمرِهِمْ : [٤/٨٦و] ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ يعنى : إنّ الطوافَ بهما . فترَك ذِكرَ الطوافِ بهما اكتفاءً بذكرِهما منه ، إذْ كان معلومًا عند المخاطَبِينَ به أن معناهُ : من معالمِ اللهِ التى جعَلها عَلَمًا لعبادِه يَعبُدونَه عندَهما بالطوافِ بينَهما ويَذْكُرونه عليْهما وعندَهما ، بما هو له أهلٌ من الذِّكرِ ، فمَن حجَّ البيتَ أو اعتمَرَ فلا (٤)يَتَحَوَّبَنَّ مِن(٤) الطوافِ بهما ، مِن أجلِ ما كان أهلُ الجاهليةِ يَطوفُون بهما ، مِن أجلِ الصنَمَيْن اللّذيْن كانَا عليهما ، فإنّ أهلَ الشركِ كانوا يَطوفُون بهما كفرًا ، وأنتم تَطوفُون بهما إيمانًا بى[(٥)] وتصديقًا لرسولِى ، وطاعةً لأمْرِى ، فلا جُناحَ عليكم فى الطوافِ بهما .

والجُناحُ : الإثمُ . كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عَمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ذهب » .

(٢) فى م : « تخوّف » ، والتَّحوُّبُ : التحرُّج والتأثُّم . وينظر اللسان (ح و ب) .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٣ : « ففى طوافنا » . وفى ت ٢ : « بطوافين فى صلواتنا » .

(٤ - ٤) فى م : « يتخوفن » .

(٥) سقط من م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

السُّدىُّ : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ . يقولُ : ليس عليه إثمٌ ولكنْ له أجرٌ .

وبمثلِ الذى قلْنا فى ذلك تظاهرتِ الروايةُ عن السَّلفِ من الصحابةِ والتابعين .

/ذِكرُ الأخبارِ التى رُويتْ بذلك

٤٦/٢

حدثنى محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ أبى الشواربِ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : ثنا داودُ ، عن الشَّعبىِّ ، أن وَثَنًا كان فى الجاهليةِ على الصَّفَا يُسمَّى إسَافًا ، ووَثَنًا على المَرْوةِ يُسمَّى نائلةَ ، فكان أهلُ الجاهليةِ إذا طافوا بالبيتِ مسَحُوا الوثَنَيْن ؛ فلمَّا جاء الإسلامُ وكُسرت الأوثانُ ، قال المسلمون : إن الصَّفا والمروةَ إنما كان يُطافُ بهما من أجلِ الوثَنيْن ، وليس الطوافُ بهما مِن الشعائرِ . قال : فأنزَل اللهُ أنهما من الشعائرِ : ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾[1] .

حدثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُليَّةَ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن الشَّعبىِّ ، نحوَه ،وزادَ فيه ، قال : فجعَله اللهُ تَطوُّعَ خيرٍ .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا عبدُ الوهابِ ، قال : ثنا داودُ ، عن عامرٍ ، قال : كان صَنمٌ بالصَّفا يُدعى إسافًا ، ووَثَنٌ بالمروةِ يُدعَى نائلةَ . ثم ذكَر نحوَ حديثِ ابنِ أبى الشواربِ ، وزادَ فيه ، قال : فذُكِّرَ الصَّفا من أجل الوثَنِ الذى كان عليه مذكَّرًا ، وأُنِّثَ المروةُ من أجلِ الوثنِ الذى كان عليه مؤنَّثًا .

حدثنى يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ أبى زائدَةَ ، قال : أخبَرنى عاصمٌ الأحولُ ، قال :

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٣٤ - تفسير) من طريق داود بن أبى هند به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦٠/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وعزاه الحافظ فى الفتح ٥٠٠/٣ إلى الفاكهى وإسماعيل القاضى فى الأحكام بإسناد صحيح عن الشعبى .

قلتُ لأنسِ بنِ مالكٍ : أَكُنتم تكرهون الطوافَ بينَ الصَّفَا والمروةِ حتى نزَلتْ هذه الآيةُ ؟ فقال : نعمْ كنّا نَكرَهُ الطوافَ بينَهما ؛ لأنهما مِن شعائرِ الجاهليةِ حتى نزَلتْ هذه الآيةُ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾[(١)] .

حدثنى علىُّ بنُ سهلٍ الرَّمْلىُّ ، قال : ثنا مُؤَمَّلُ بنُ إسماعيلَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن عاصمٍ ، قال : سأَلتُ أنسًا عن الصفَا والمروةِ ، فقال : كانتا من مشاعرِ أهلِ الجاهليةِ ، فلما كان الإسلامُ أمْسَكوا عنهما ، فنَزلتْ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾[(٢)] .

حدثنى عبدُ الوارثِ بنُ عبدِ الصمدِ بنِ عبدِ الوارثِ [(٣)] قال : حدثنى أبى [(٣)] ، قال : حدثنى الحسينُ[(٤)] المعلِّمُ ، قال : ثنا شيبانُ[(٥)] أبو معاوية ، عن جابرٍ الجُعْفىِّ ، عن عمرِو بنِ حُبشىٍّ ، قال : قلتُ لابنِ عمرَ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ [٨٦/٤ظ] أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ قال : انْطلِقْ إلى ابنِ عباسٍ فاسْأَلْه ، فإنه أعلمُ مَن بقِىَ بما أُنزِل على محمدٍ ﷺ ، فأتيتُه فسألتُه ، فقال : إنه كان عندَهما أصْنامٌ[(٦)] ، فلمَّا حُرِّمْنَ أمسَكوا عن الطوافِ بينهما حتى أُنزلتْ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[(٧)] .

---

(١) أخرجه البخارى (١٦٤٨) ، ومسلم (١٢٧٨) ، والنسائى فى الكبرى (٣٩٥٩) ، وابن خزيمة (٢٧٦٨) من طرق عن عاصم به . وينظر ما سيأتى فى ص ٧١٧، ٧٢٣ .

(٢) أخرجه عبد بن حميد (١٢٢٤ - منتخب) ، والبخارى (٤٤٩٦) ، والترمذى (٢٩٦٦) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٧/١ (١٤٣٢) من طريق سفيان به .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « أبو الحسين » . ينظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٧٢.

(٥) فى م : « سنان » وهو تحريف .

(٦) بعده فى الأصل : « وعند البيت أصنام » . وليس فى مصدر التخريج .

(٧) ذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٣١ عن عمرو بن حبشى ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٩/١ إلى المصنف.

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ ، قال : حدثني معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ . وذلك أن ناسًا تحرَّجُوا[1] أن يَطَّوَّفُوا بينَ الصفَا والمروةِ ، فأخبَر اللهُ أنهما مِن شعائرِه ، والطوافُ بينَهما أحبُّ إليه[2] ، فمضت السُّنةُ بالطوافِ بينَهما[3] .

حدثني موسى ، قال : ثنا عَمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ . قال : زعَم أبو مالكٍ ، عن / ابنِ عباسٍ أنه كان فى الجاهليةِ شياطينُ ٤٧/٢ تعزِفُ[4] الليلَ أجمعَ بينَ الصفا والمروةِ ، وكانت بينَهما آلهةٌ ، فلمّا جاء الإسلامُ وظهَر ، قال المسلمون : يا رسولَ اللهِ لا تَطُوفَنَّ[5] بينَ الصفَا والمروةِ ، فإنه شِرْكٌ كنّا نَصْنَعُه[6] فى الجاهليةِ فأنزَل اللهُ : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[7] .

حدثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ قال : قالت الأنصارُ : إن السعىَ بينَ هذينِ الحَجَريْنِ مِن أمرِ الجاهليةِ ، فأنزَل اللهُ تعالى ذِكرُه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾[8] .

---

(١) فى م : « كانوا يتحرّجون » .

(٢) فى الأصل : « إلى » . وينظر مصدر التخريج .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٩/١ إلى المصنف .

(٤) عزيف الجن : جرس أصواتها . اللسان (ع ز ف) .

(٥) فى م : « نطوف » .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « نفعله » .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٧/١ (١٤٣٥) ، والحاكم ٢٧١/٢ من طريق عمرو عن أسباط به . كلاهما بزيادة فى آخره « يقول : ليس عليه إثم ولكن له أجر » . وأخرجه ابن أبى داود فى المصاحف ص ١٠٠ من طريق عامر بن الفرات ، عن أسباط به .

(٨) أخرجه سعيد بن منصور سننه (٢٣٥- تفسير) عن ابن علية به . وتقدم أوله فى ص ٧١٠ .

حدثنى محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه .

(١) حدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه (١) .

حدثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ . قال : كان أهلُ الجاهليةِ قد وضَعوا على كلِّ واحدٍ منهما صنمًا يُعَظِّمونَهما ؛ فلمَّا أسلَم المسلمون كرِهوا الطوافَ بالصفَا والمروةِ لمكانِ الصنمَيْن ، فقال اللهُ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ وقرأ : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] وسَنَّ رسولُ اللهِ ﷺ الطوافَ بهما .

حدثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عاصمٍ ، قال : قلت لأنسِ بنِ مالكٍ : الصفَا والمروةَ أكنتمْ تكرَهون أنْ تطوفُوا بهما مع الأصنامِ التى نُهيتُم عنها ؟ قال : نعمْ حتى نزَلتْ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ ﴾ (٢) .

حدثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عاصمٍ ، قال : سَمِعتُ أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ : إن الصفَا و المروةَ كانا من مشَاعرِ قريشٍ فى الجاهليةِ ، فلمَّا كان الإسلامُ تَرَكْناهُما .

وقال آخرون : بل أنزَل اللهُ تعالى ذكرُه هذه الآيةَ فى سببِ قومٍ كانوا فى الجاهليةِ لا يسعَوْنَ بينَهما ، فلما جاءَ الإسلامُ [٨٧/٤و] تَحَوَّبوا (٣) السعْىَ بينَهما كما

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٧١٥ .

(٣) فى م : « تخوّفوا » .

كانوا يَتَحَوَّبُونه[١] فى الجاهليةِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ الآيةَ ، فكان حىٌّ مِن تِهامَةَ فى الجاهليةِ لا يسعَوْن بينَهما ، فأخبَرهمُ اللهُ أنّ الصفَا والمروةَ من شعائرِ اللهِ وكان من سُنةِ إبراهيمَ وإسماعيلَ الطوافُ بينَهما[٢] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان ناسٌ من أهلِ تِهامةَ لا يَطُوفُونَ بين الصفَا والمروةِ ، فأنزلَ اللهُ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ قال : حدَّثنى الليثُ ، قال : حدَّثنى عُقيلٌ ، عن ابنِ شهابٍ ، قال : حدَّثنى عروةُ بنُ الزبيرِ ، قال : سألتُ عائشةَ فقلتُ لها : أرأيتِ قولَ اللهِ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ وقلتُ لعائشةَ : واللهِ ما على أحدٍ جُناحٌ أن لا يطُوفَ بالصفَا والمروةِ ؟ فقالتْ عائشةُ : بئسَ ما قلتَ يا ابنَ أختِى ، إن هذه الآيةَ لو كانت كما أوَّلتَها كانت : لا جُناحَ عليه أن لا يطَّوَّفَ بهما ، ولكنها إنما أُنزِلتْ فى الأنصارِ كانوا /قبلَ أنْ يُسلموا يُهِلُّونَ لمَناةَ الطاغيةِ التى كانوا يَعْبُدونَ بالمُشَلَّلِ[٣] ، وكان مَن أَهَلَّ لها يَتحرَّجُ أن يَطُوفَ بالصفَا والمروةِ ، فلمّا أسلموا سألوا رسولَ اللّهِ ﷺ عن ذلك ، فقالوا : يا رسولَ اللّهِ ، إنّا كنّا نتحرّجُ أن نطوفَ بالصَّفَا والمروةِ . فلما

٤٨/٢

(١) فى م : « يتخوّفونه » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦٠/١ إلى المصنف .

(٣) المشلّل ، بالضم ثم الفتح : جبل يُهبط منه إلى قُديدٍ (موضع قرب مكة) من ناحية البحر . ينظر معجم البلدان ٥٤٣/٤، ومعجم ما استعجم ١٠٥٥/٣، ١٢١٧/٤، ١٢٣٣.

سألوا رسولَ اللَّهِ عن ذلك ؛ أنزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ . قالت عائشةُ : ثم قدْ سنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ الطوافَ بينَهما ، فليس لأحدٍ أن يترُكَ الطوافَ بينَهما[1] .

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن الزهريِّ ، عن عُروةَ ، عن عائشةَ ، قالت : كان رجالٌ مِن الأنصارِ ممَّن يُهِلُّ لمَناةَ فى الجاهليةِ ، ومَناةُ صَنمٌ بينَ مكةَ والمدينةِ ، قالوا : يا نبيَّ اللَّهِ ، إنّا كنا لا نطوفُ بينَ الصفَا والمروةِ تعظيمًا لمناةَ ، فهلْ علينا مِن حَرَجٍ أن نطوفَ بهما ؟ فأنزَل اللَّهُ تعالَى ذِكرُه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ قال عروةُ : فقلت لعائشةَ : ما أبالِى أن لا أطوفَ بينَ الصفَا والمروةِ ، قال اللَّهُ : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ ﴾ قالت : يا ابنَ أختِى ، ألَا ترى أنه يقولُ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ . قال الزهريُّ : فذكرتُ ذلك لأبى بكرِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ ، فقال : هذا العلمُ ! قال أبو بكرٍ : ولقد سمِعتُ رِجالًا مِن أهلِ العلمِ يقولون : لمّا أنزَل اللَّهُ [٤/٨٧ظ] الطوافَ بالبيتِ ، ولم يُنزِلِ الطوافَ بينَ الصفَا والمروةِ ، قيل للنبيِّ ﷺ : إنّا كُنا نطوفُ فى الجاهليةِ بينَ الصفَا والمروةِ ، وإنّ اللَّهَ قد ذكَر الطوافَ بالبيتِ ، ولم يَذْكُرِ الطوافَ بينَ الصفَا والمروةِ ، فهل علينا مِن حرَجٍ أن لا نطوفَ بهما ؟ فأنزَل اللَّهُ تعالى ذِكرُه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ الآيةَ كلَّها . قال أبو بكرٍ : فأسمعُ هذه الآيةَ نزلتْ فى الفريقيْن كلَيْهما ؛ فيمن طافَ وفيمن لمْ يَطُفْ[2] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢/١٢٧٧) ، والبيهقى ٩٦/٥، ٩٧ من طريق ليث به . وأخرجه أحمد ١٤٤/٦، ٢٢٧ (الميمنية) ، والبخارى (١٦٤٣، ٤٨٦١)، ومسلم (٢٦١/١٢٧٧، ٢٦٣) ، والترمذى (٢٩٦٥) ، والنسائى (٢٩٦٧، ٢٩٦٨) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٦/١ (١٤٣٠، ١٤٣١) من طريق الزهرى به . وسيأتى من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه فى ص ٧٢١، ٧٢٦.

(٢) أخرجه أحمد ١٦٢/٦ (الميمنية) ، وابن أبى داود فى المصاحف ص ١٠٠ من طريق عبد الرزاق به .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، (١) قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ (١) ، قال : أخبرنا مَعمرٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان ناسٌ من أهلِ تِهامةَ لا يطوفون بينَ الصفَا والمروةِ ، فأنزلَ اللَّهُ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ (٢) .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندنَا ، أن يُقالَ : إنّ اللَّهَ تعالى ذِكرُه قد جعَل الطوافَ بينَ الصفَا والمروةِ مِن شعائرِ اللَّهِ ، كما جعَل الطوافَ بالبيتِ مِن شعائرِه ، فأما قولُه : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ فجائزٌ أن يكونَ قيلَ لكلَا الفريقين اللّذيْنِ تَحوَّب (٣) بعضُهم الطوافَ بهما مِن أجلِ الصّنميْنِ اللَّذيْنِ ذكَرهما الشعبىُّ (٤) ، وبعضُهم من أَجْلِ ما كان مِن كراهتِهم الطوافَ بهما (٥) فى الجاهليةِ على ما رُوِىَ عن عائشةَ . وأىُّ الأمريْنِ كان مِن ذلك فليسَ فى قولِ اللَّهِ تعالى ذِكرُه : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ دَلالةٌ (٦) فى الآيةِ (٦) على أنه عَنى به وضْعَ الحرَجِ عمَّن طاف بهما ، مِن أجلِ أن الطوافَ بهما كان غيرَ جائزٍ بحظْرِ اللَّهِ ذلك ، ثم جَعَل الطوافَ بهما رُخْصةً ؛ لإجماعِ الجميعِ على أنَّ اللَّهَ تعالى ذِكرُه لم يَحظُرْ ذلك فى وقتٍ ، ثم رخَّص فيه بقولِه : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ .

وإنما الاختلافُ فى ذلك بينَ أهلِ العلمِ على أوْجُهٍ ؛ فرأَى بعضُهم أن تاركَ الطوافِ بينَهما تاركٌ مِن مَناسكِ /حَجِّهِ ما لا يُجزِئُه منه غيرُ قضائِه بعَيْنِه ، كما لا ٤٩/٢

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) تقدم فى ص ٧١٨ .

(٣) فى م : « تخوف » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ص ٧١٣ .

(٥) فى الأصل : « بينهما » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

يُجزِئُ تاركَ الطوافِ ، الذى هو طوَافُ الإفاضةِ إلا قَضاؤُه بعَيْنِه ، وقالوا : هما طوافانِ أمَرَ اللَّهُ بهما ؛ أحدُهما بالبيتِ ، والآخرُ بينَ الصفَا والمروةِ ، (١) حُكْمُهما واحدٌ (١) .

ورأَى بعضُهم أن تاركَ الطوافِ بهما يُجزئُه مِن تَرْكِه فِديةٌ ، ورأَوْا أنَّ حُكمَ الطوافِ بهما حُكْمُ رَمْيِ بعضِ الجمَراتِ ، والوقوفِ بالمَشْعَرِ ، وطوافِ الصَّدَرِ ، وما أشبهَ ذلك مما يُجزِئُ تارِكَه مِن تَرْكِه فديةٌ ، ولا يَلْزَمُه العوْدُ لقضَائِه بعينِه .

ورأى آخرون أنَّ الطوافَ بهما تطوُّعٌ ؛ إنْ فعَله فاعلٌ (٢) كان مُحسنًا ، وإن ترَكه تاركٌ لم يلْزَمْه بترْكِه شيءٌ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

ذِكرُ مَن قال : إنّ الطوافَ (٣) بينَ الصفا والمروةِ واجبٌ ولا يُجزِئُ منه فديةٌ ، ومَن ترَكهُ فعليه (٤) العَوْدُ له (٤)

حدثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، قالتْ : لعَمرِى [٨٨/٤و] ما حجَّ مَن لمْ يسْعَ بينَ الصَّفَا والمروةِ ؛ لأنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى يقولُ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ (٥) .

حدثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال مالكُ بنُ أنسٍ : مَن نَسِيَ السعىَ بينَ الصفَا والمروةِ ، حتى يَسْتَبْعِدَ مِن مكّةَ فلْيَرْجِعْ فلْيَسْعَ ، وإن كان قد أصابَ النساءَ فعليه العُمْرةُ والهَدْىُ (٦) .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « صاحبه » .

(٣) فى م : « السعى » .

(٤ - ٤) فى م : « العودة » .

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٩/١٢٧٧، ٢٦٠) ، وابن ماجه (٢٩٨٦) من طريق هشام بن عروة به . وسيأتى من طريق مالك عن هشام فى ص ٧٢٦ . وسبق من طرق عن الزهرى فى ص ٧١٨، ٧١٩.

(٦) الموطأ ٣٧٤/١ (١٣٠) .

وكان الشافعيُّ يقولُ: على مَن ترَك الطوافَ[(١)] بينَ الصفا والمروةِ حتى[(٢)] يرجعَ إلى بلدِه، العوْدُ إلى مكةَ حتى يطوفَ بينَهما، لا يُجزئُه غيرُ ذلك، حدَّثنا بذلك عنه الربيعُ[(٣)] .

ذِكرُ مَن قال : يُجزئُ منه دمٌ وليس عليه عَوْدٌ لقضائِه

قال الثوريُّ فيما حدَّثني به عليُّ بنُ سهلٍ ، عن زيدِ بنِ أبي الزرقاءِ عنه[(٤)] ، وأبو حنيفةَ ، وأبو يوسفَ ، ومحمدٌ : إن عاد تاركُ الطوافِ بينَهما لقضائِه فحسنٌ ، وإن لم يعُدْ فعليه دَمٌ[(٥)] .

ذِكرُ مَن قال : الطوافُ بينَهما تطوُّعٌ ولا شيءَ على مَن ترَكه ، ومَن كان يقرأُ : (فلا جُناحَ عليه أن لا يطَّوَّف بهما)

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا ابنُ جُريجٍ ، قال : قال عطاءٌ : لو أن حاجًّا أفاض بعدَ رَمْى الجَمْرةِ ؛ جَمرةِ العقبةِ فطاف بالبيتِ ولمْ يَسْعَ ، فأصابَها ، يعنى امرأتَه ، لم يكن عليه شيءٌ ؛ لا حجٌّ ولا عمرةٌ ، من أجلِ قولِ اللَّهِ فى مصحفِ ابنِ مسعودٍ : (فمَنْ حَجَّ البيتَ [(٦)] أوِ اعتَمَرَ [(٦)] فلا جُناحَ عليه أن لا يَطَّوَّف بهما) . فعاودْتُه بعدَ ذلك ، فقلتُ له[(٧)] : إنه قد ترَك سُنةَ النبيِّ ﷺ ! قال : ألا تَسْمَعُه يقولُ: ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾ [البقرة : ١٨٤]؟ فأبَى أن يَجْعَلَ عليه شيئًا[(٨)] .

---

(١) فى ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣: « السعى » .

(٢) فى ت٢ : « حين » .

(٣) الأم ٢/٢١٠ .

(٤) ذكره ابن عبد البر فى الاستذكار ١٢/٢٠٢ (١٧٣٥١) .

(٥) ذكره ابن عبد البر فى الاستذكار ١٢/٢٠٢ (١٧٣٥٢) .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل . والقراءة فى مصحف ابن مسعود وأبى بن كعب ، وهى أيضًا قراءة أنس وابن عباس وابن سيرين وشهر بن حوشب وهى قراءة شاذة . ينظر البحر المحيط ١/٤٥٦ .

(٧) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٨) ذكره ابن عبد البر فى الاستذكار ١٢/٢٠٦ (١٧٣٧٣) عن عطاء، وروى ابن حزم القراءة فى المحلى ٧/١١١=

حدثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، قال : أخبرنا عبدُ الملكِ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنه كان يقرأُ : (إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا)[1] .

حدثني عليُّ بنُ سهلٍ ، قال : ثنا مؤمَّلٌ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن عاصمٍ ، قال : سمِعتُ أنسًا يقولُ : الطوافُ بهما[2] تطوُّعٌ[3] .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاجٌ ، قال : ثنا حمادٌ ، قال : أخبرنا عاصمٌ الأحولُ ، قال : قال أنسُ بنُ مالكٍ : هما تطوُّعٌ[3] .

/حدثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه . ٥٠/٢

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ [٨٨/٤ظ] فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ قال : فلم يُحرِّجْ من لمْ يَطفْ بهما[4] .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا حجاجٌ ، قال : ثنا حمادٌ[5] ، عن قيسٍ[6] ، عن عطاءٍ ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ قال : هما تطوُّعٌ .

= من طريق عبد بن حميد عن الضحاك عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن مسعود .

(١) أخرجه أبو عبيد في الفضائل ص ١٦٣ ، وابن أبي داود في المصاحف ص ٧٣ من طريق هشيم به . وأخرجه أبو عبيد ص ١٦٣، والبيهقي في المعرفة (٢٩٨٤) من طريق عبد الملك به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦٠/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن الأنباري .

(٢) في م ، ت١، ت٢، ت٣: « بينهما » .

(٣) تقدم طرف منه في ص ٧١٤ - ٧١٧ . وينظر تفسير الثوري ص ٥٣ .

(٤) تقدم أوله في ص ٧١٠ .

(٥) في م ، ت١، ت٢، ت٣ : « أحمد » .

(٦) في م ، ت١، ت٢، ت٣ : « عيسى بن قيس » .

حدثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عاصمٍ ، قال : قلتُ لأنسِ بنِ مالكٍ : السعىُ بينَ الصفَا والمروةِ تطوُّعٌ ؟ فقال : تطوُّعٌ[(١)] .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا أن الطوافَ بهما فرضٌ واجبٌ ، وأن على مَن ترَكه العَوْدَ لقضائِه ، ناسيًا كان ترَكَه[(٢)] أو عامدًا ، لا يُجزِئُه غيرُ ذلك ، لتظاهُرِ الأخبارِ عن النبىِّ ﷺ أنه حجَّ بالناسِ فكان مما علَّمهم من مناسكِ حجِّهم الطوافُ بهما .

ذِكرُ الروايةِ عنه بذلك

حدثنى يوسُفُ بنُ سلمانَ البصرىُّ[(٣)] ، قال : ثنا حاتمُ بنُ إسماعيلَ ، قال : ثنا جعفرُ بنُ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرٍ ، قال : لما دنا رسولُ اللَّهِ ﷺ من الصفَا فى حجَّتِه[(٤)] ، قال : « ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ ، ابدَءُوا بِمَا بَدأَ اللَّهُ به[(٥)] » . فبدأَ بالصفَا فرقِى عليه[(٦)] .

حدثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا محمودُ بنُ ميمونٍ أبو الحسنِ ، عن أبى بكرِ بنِ عياشٍ ، عن ابنِ عطاءٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، أن النبىَّ ﷺ قال : « ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ » . فأتَى الصفَا فبَدأَ بها ، فقام عليها ، ثم أتى المروةَ فقام عليها وطاف سَبْعًا[(٧)] .

---

(١) تقدم طرف منه فى ص ٧١٦ .

(٢) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٣) زيادة من الأصل .

(٤) فى م : « حجة » .

(٥) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « بذكره » .

(٦) أخرجه عبد بن حميد (١١٣٣) ، ومسلم (١٢١٨/١٤٧) ، وأبو داود (١٩٠٥) ، وابن ماجه (٣٠٧٤) من طريق حاتم بن إسماعيل به . وهذا الحديث جزء من حديث جابر ، الطويل المشهور . وينظر مسند الطيالسى (١٧٧٣) .

(٧) فى م : « وسعى » .

فإذ كان صحيحًا بإجماعِ الجميعِ مِن الأُمَّةِ أن الطوافَ بهما [(١]مما علَّم [١)] النبيُّ أُمَّتَه فى مناسكِهم ، وعَمِلَه فى حجِّه وعُمرتِه ، وكان بيانُه لأُمَّتِه جُمَلَ ما نصَّ اللَّهُ فى كتابِه ، وفرَضه فى تَنْزِيلِه ، وأمَر به مما لا[(٢)] يُدْرَكُ عِلْمُه إلَّا بِبَيانِه عليه السلامُ ، لازمًا العملُ به أُمَّتَه ، لما قد بَيَّنَّا فى كتابِنا « كتابِ البيانِ عن أصولِ الأحكامِ » إذا اخْتَلَفت الأُمةُ فى وُجُوبِه ، ثم كان مُخْتَلَفًا فى الطوافِ بينَهما : هل هو واجِبٌ أم غيرُ واجبٍ - كان بيِّنًا وُجوبُ فَرْضِه على مَن حجَّ أو اعْتَمَر لمَا وصَفْنا .

وكذلك وجوبُ العوْدِ لقضاءِ الطوافِ بينَ الصفَا والمروةِ ، لمَّا كان مُخْتَلَفًا فيها[(٣)] على مَن ترَكه ، مع إجماعِ جَميعِهم ، على أنَّ ذلك مما فعَله رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وعلَّمه أُمتَه فى حجِّهم[(٤)] ، إذْ علَّمَهُم مَناسِكَ حجِّهم ، كما طافَ بالبيتِ ، وعلَّمه أمتَه فى حجِّهم وعُمرتِهم ، إذْ علَّمهم مناسكَ حجِّهم وعمرتِهم . ثم أجمَع الجميعُ على أن الطوافَ بالبيتِ لا تُجزِئُ منه فِديةٌ ولا بَدَلٌ ، ولا يُجزِئُ تاركَه إلا العوْدُ لقضائِه ، كان نظيرًا له الطوافُ بالصفَا والمروةِ ، لا تُجزِئُ منه فديةٌ ولا جزاءٌ ، ولا يُجزِئُ تاركَه إلا العوْدُ لقضائِه ؛ إذْ كانا كلاهُما طَوافين ؛ أحدُهما بالبيتِ ، والآخرُ بالصفَا والمروةِ ، ومَن فرَّق بينَ حُكْميهما[(٥)] عُكِس عليه القولُ فيه ، ثم سُئلَ البرهانَ على التفرقةِ بينَهما .

فإنِ / اعْتَلَّ بقراءةِ مَن قرَأ : (فلا جُناحَ عليه أن لا يطَّوَّفَ بهما) . قيل : ذلك ٢/٥١ قراءةٌ[(٦)] خلافِ ما فى مصاحفِ المسلمينَ ، غيرُ جائزٍ لأحدٍ أن يزيدَ فى مصاحفِهم

(١ - ١) فى م ، ت١، ت٢: « على تعليم » . وفى ت٣: « على عمل » .

(٢) فى م : « لم » .

(٣) فى م : « فيما » .

(٤) بعده فى م : « وعمرتهم » .

(٥) فى م : « حكمهما » .

(٦) سقط من : م .

[٨٩/٤و] ما ليس فيها ، وسواءٌ قرأ ذلك كذلك قارئٌ ، أو قرأ قارئٌ : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] ، (فلا جُناحَ عليهم[١] أن لا يطَّوَّفوا به) فإنْ جازتْ[٢] إحدَى الزيادتيْنِ اللَّتيْن ليستا في المصاحِفِ[٣] كانت الأُخرَى نظيرتَها ، وإلَّا كان مُجيزُ إحداهُما إذا منَع الأخرى مُتحكِّمًا ، والتَّحكُّمُ فلا يَعْجِزُ عنه أحدٌ ، وقد رُوِىَ إنكارُ هذه القراءةِ وأن يكونَ التنزيلُ بها ، عن عائشةَ .

حدثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرني مالكُ بنُ أنسٍ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، قال : قلت لعائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ وأنا يومئذٍ حديثُ السِّنِّ : أرأيتِ قولَ اللَّهِ عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ ﴾ . فما نرَى على أحدٍ شيئًا أن لا يطوَّفَ بهما ؟ فقالت عائشةُ : كلَّا لو كانتْ كما تقولُ كانتْ : فلا جُناحَ عليه أن لا يطوَّفَ بهما . إنما أُنزلتْ هذه الآيةُ في الأنصارِ ؛ كانوا يُهِلُّونَ لِمَناةَ وكانتْ مَناةُ حَذْوَ قُدَيْدٍ ، وكانوا يَتحرَّجون أن يَطُوفُوا بينَ الصفَا والمروةِ ؛ فلمَّا جاء الإسلامُ سألوا رسولَ اللَّهِ ﷺ عن ذلك ، فأنزَل اللَّهُ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ ﴾[٤] .

وقد يَحتمِلُ قراءةُ مَن قرأ : (فلا جناحَ عليه أن لا يطَّوَّف) [٥]أن يكونَ معناها : فلا جناحَ عليه أن يطَّوَّف ﴿ بهما ﴾[٥] - أن تكونَ « لا » التي هي مع « أن » صِلَةً في الكلامِ[٦] ،

---

(١) في م : « عليه » .

(٢) في م : « جاءت » .

(٣) في م : « المصحف » .

(٤) الموطأ ٣٧٣/١ (١٢٩) ، ومن طريقه البخارى (١٧٩٠) ، وأبو داود (١٩٠١) ، والنسائى فى الكبرى (١١٠٠٩) . وأخرجه أبو داود (١٩٠١) من طريق ابن وهب به . وسبق من طريق وكيع عن هشام فى ص ٧٢١، ومن طرق عن الزهرى عن عروة فى ص ٧١٨، ٧١٩.

(٥ - ٥) سقط من : ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٦) ينظر معانى القرآن للفراء ٩٥/١ .

إِذْ كان قد تقدَّمها جَحْدٌ فى الكلامِ قبلَها ، وهو قولُه : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ ﴾ ، فيكـونُ نظيرَ قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف : ١٢] . بمعنى ما منعكَ أن تسجدَ ، كما قال الشاعرُ[١] :

ما كان يَرْضَى رسولُ اللَّهِ فعلَهمُ[٢] والطيِّبان أبو بَكْرٍ ولا عُمَرُ

فلو كان رسمُ المصحفِ كذلك لم يكن فيه لمحتجٍّ به حجةٌ ، مع احتمالِ الكلامِ ما وصفْنَا ؛ لما بيَّنَّا من أنّ ذلك مما علَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ أمَّتَه فى مناسكِهم على ما ذَكَرْنا ، ولدَلالةِ القياسِ على صحتِه ، فكيف وهو خلافُ رُسومِ مصاحفِ المسلمين ، ومما لوْ قرأ به اليومَ قارئٌ كان مُسْتَحِقًّا العقوبةَ ؛ لزيادتِه فى كتابِ اللَّهِ عزّ وجلَّ ما ليس منه ؟!

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ .

اختلَف القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأَتْه عامَّةُ قَرَأةِ أهلِ المدينةِ والبصرةِ : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾[٣] . على لفظِ المُضِيِّ ؛ بالتاءِ وفَتْحِ العينِ . وقرأته عامةُ قَرَأةِ الكوفيين : (ومَنْ يَطَّوَّعْ خيرًا)[٤] بالياءِ وجَزْمِ العينِ وتشْديدِ الطاءِ ، بمعنى : ومَن يتطوَّعْ . وذُكِر أنها فى قراءةِ عبدِ اللَّهِ (ومَن يَتطوّعْ)[٥] . فقرأتْ ذلك [٤/٨٩ظ] قَرَأَةُ أهلِ الكوفةِ ، على ما وصَفْنا ، اعتبارًا بالذى ذكرْنا مِن قراءةِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، سوَى عاصمٍ فإنه وافَق المدنيِّينَ ، فشدّدُوا الطاءَ طلبًا لإدغامِ التاءِ /فى الطاءِ . وكلْتَا القراءتَيْن معروفةٌ ٢/٥٢

---

(١) هو جرير بن عطية . والبيت تقدم فى ١٩٣/١ .

(٢) فى م : « فعلهما » .

(٣) هذه قراءة غير حمزة والكسائى . ينظر حجة القراءات ص ١١٨ .

(٤) هذه قراءة حمزة والكسائى . ينظر حجة القراءات ص ١١٨ .

(٥) حجة القراءات ص ١١٨ . وقراءته : (ومن يتطوع بخير) . وهى قراءة شاذة . ينظر المصاحف ص ٥٧، والبحر المحيط ٤٥٨/١.

صحيحةٌ متفِقٌ مَعْنيَاهما غيرُ مُخْتَلِفَيْنْ ؛ لأن الماضِىَ من الفعلِ مع حروفِ الجزاءِ بمعنى المستقبلِ ، فبأىِّ هاتَيْنِ القراءتَيْن قرَأ ذلك قارئٌ فمصيبٌ .

ومعنى ذلك : فمَن تطوَّع بالحجِّ والعمرةِ بعدَ قضاءِ حَجَّتِه الواجبةِ عليه ، فإن اللَّهَ شاكرٌ له على تطوُّعِه له بما تطوَّعَ به من ذلك ابتغاءَ وجهِه فمجازِيه به ، عليمٌ بما قصَد وأرادَ بتطوُّعِه بما تطوَّع منه[(١)] .

وإنما قلنا : إنَّ الصوابَ فى معنى قولِه : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ هو ما وصفْنَا دونَ قولِ مَن زعَم أنه معنىٌّ به : فمَن تطوَّعَ بالسعى والطوافِ بينَ الصفا والمروةِ . لأن الساعىَ بينَهما لا يكونُ متطوِّعًا بالسعى بينَهما إلَّا فى حجٍّ تطوُّعٍ أو عُمرةٍ تطوُّعٍ ، لمَا وصفْنَا قبلُ . وإذ كان ذلك كذلك كان معلومًا أنه إنما عنَى بالتطوُّعِ بذلك ، التطوُّعَ بما يُعمَلُ ذلك فيه من حجٍّ أو عمرةٍ .

وأما الذين زعَمُوا أن الطوافَ بهما تطوُّعٌ لا واجبٌ ، فإن الصوابَ أن يكونَ تأويلُ ذلك على قولِهم : فمَن تطوَّعَ بالطوافِ بهما فإن اللَّهَ شاكرٌ . لأنَّ للحاجِّ والمعتمرِ على قولِهم الطوافَ بهما إن شاءَ ، وتَرْكَ الطوافِ ، فيكونُ معنى الكلامِ على تأويلِهم : فمَن تطوَّعَ بالطوافِ بالصفَا والمروةِ ، فإنّ اللَّهَ شاكرٌ تطوُّعَه ذلك ، عليمٌ بما أرادَ ونوَى الطائفُ بهما كذلك .

كما حدثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ . قال : مَن تطوَّعَ خيرًا فهو خيرٌ له ، تطوَّع رسولُ اللَّهِ ﷺ فكانت من السُّنَنِ[(٢)] .

---

(١) فى م : « به » .

(٢) تقدم أوله فى ص ٧١٠ .

وقال آخرون : معنى ذلك : ومَن تطوَّعَ خيرًا فاعتمرَ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ : ومَن تطوَّعَ خيرًا فاعتمرَ فإن اللَّهَ شاكرٌ عليمٌ ؛ قال : فالحجُّ فريضَةٌ ، والعمرةُ تطوُّعٌ ، ليستِ العمرةُ واجبةً على أحدٍ من الناسِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ .

وإنما يَعْنى بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ : علماءَ اليهودِ وأحبارَها وعلماءَ النصارى ؛ لكِتْمانِهم الناسَ أمرَ محمدٍ ﷺ ، وتركِهم اتِّباعَه ، وهم يَجِدُونه [٩٠/٤و] عندَهم مكتوبًا فى التوراةِ والإنجيلِ .

و[(١)] « البينات » التى أنزلَها اللَّهُ عزَّ وجلَّ ؛ ما بيَّنَ مِن أمرِ نُبوَّةِ محمدٍ ﷺ ، ومَبعَثِه وصِفَتِه ، فى الكتابيْنِ اللَّذيْنِ أخبرَ اللَّهُ تعالى ذكرُه أن أهلَهما يَجِدون صفتَه فيهما .

ويعنى جلَّ ثناؤه بـ ﴿وَٱلْهُدَىٰ ﴾ : ما أوْضَحَ لهم مِن أمرِه فى الكُتُبِ التى أنزلَها على أنبيائِهم ، فقال عزَّ ذِكرُه : إن الذين يكتمونَ الناسَ الذى أنزلْنا فى كُتُبِهم من البيانِ عن أمرِ محمدٍ ونبوَّتِه /وصحةِ المِلَّةِ التى أرْسَلْتُه بها وحَقِيقتِها[(٢)] فلا ٥٣/٢ يُخْبِرُونَهم به [(٣)]وهم يعلَمون تَبْيِينى[(٣)] ذلك للناسِ ، وإيضاحِى لهم فى الكتابِ الذى

---

(١) فى م : « من » .

(٢) فى م : « وحقيتها » .

(٣ - ٣) فى م : « ولا يعلمون من تبيينى » .

أنزَلْته إلى أنبيائِهم - ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ الآية .

كما حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قالَا جميعًا : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عِكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : سأَل معاذُ بنُ جبلٍ أخو بنى سَلِمَةَ ، وسعدُ بنُ معاذٍ أخو بنى عبدِ الأشهلِ ، وخارجةُ ابنُ زيدٍ أخو بنى الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ - نَفَرًا مِن أحبارِ يهودَ ، قال أبو كُريبٍ : عما فى التَّوْراةِ . وقال ابنُ حميدٍ : عن بعضِ ما فى التَّوْراةِ . فكَتَموهم إيَّاهُ ، وأبَوْا أن يُخْبِرُوهم عنه ، فأنزَل اللَّهُ تعالى ذِكرُه فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[(١)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنى عيسى ، وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، جميعا عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾ . قال : هم أهلُ الكتابِ[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾ . قال : كتمُوا محمدًا ﷺ وهم يَجِدُونه مَكْتوبًا عندَهم ، فكَتَموه حَسَدًا وبَغْيًا[(٣)] .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٥١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٦٨ (١٤٣٩) من طريق سلمة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٦١ إلى ابن المنذر .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢١٨ ، بزيادة : « كتموا نعت محمد ﷺ وصفته » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٦٨ عقب الأثر (١٤٤١) من طريق ابن أبى جعفر به .

حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ . أولئِكَ أهلُ الكتابِ ، كَتَمُوا الإسلامَ وهو دينُ اللَّهِ ، وكَتَمُوا محمدًا ﷺ ، وهم يَجِدُونه مَكْتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ[1] .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عَمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ . زعَموا أن رجلًا مِن اليهودِ كان له صديقٌ من الأنصارِ يُقالُ له : ثَعلبةُ بنُ عَنَمةَ[2] . قال له : هل تَجِدون محمدًا عندَكم ؟ قال : لا . قال : محمدٌ : البيناتُ[3] .

[4]ويَعْنى بقولِه[4] : ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ ﴾ . بعضَ الناسِ ؛ لأن العلمَ بنبوَّةِ محمدٍ ﷺ وصفتِه [٤/٩٠ظ] ومبعثِه لم يكنْ إلا عندَ أهلِ الكتابِ ، دونَ غيرِهم ، وإيَّاهم عَنَى بذلك عزَّ وجل . ويعنى جلَّ ذِكرُه بالكتابِ التوراةَ والإنجيلَ ، وهذه الآيةُ وإن كانت نزلتْ فى خاصٍّ من الناسِ ، فإنها مَعنيٌّ بها كلُّ كاتمٍ علمًا فرَض اللَّهُ تعالَى عليه بيانَه للناسِ ، وذلك نظيرُ الخبرِ الذى رُوِىَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « مَن سُئِلَ عن عِلْمٍ يَعْلَمُه فكَتَمَه ، أُلْجِمَ يومَ القيامةِ بلجامٍ مِن نارٍ »[5] .

وكان أبو هريرةَ يقولُ بما حدثنا به نصرُ بنُ علىٍّ الجَهْضَمِىُّ ، قال : ثنا حاتمُ بنُ وَرْدانَ ، قال : ثنا ، /أيوبُ السَّخْتيانىُّ ، [6]عن محمدٍ[6] ، عن أبى هريرةَ ، قال : لولا ٢/٥٤

---

(١) أخرجه ابن سعد ١/٣٦٢ ، ٣٦٣ من طريق سعيد به نحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٦١ إلى عبد بن حميد . وستأتى بقيته فى ص ٧٣٦ .

(٢) فى م : « غنمه » ، وفى ت١: « عثمة » . وينظر الإصابة ١/٤٠٦.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٦٢ إلى المصنف .

(٤ - ٤) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « القول فى تأويل قوله تعالى » .

(٥) أخرجه أحمد ١٣/١٧ (٧٥٧١) ، وأبو داود (٣٦٥٨) ، والترمذى (٢٦٤٩) ، وابن ماجه (٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٦) من حديث أبى هريرة وغيره .

(٦ - ٦) سقط من : م .

آيةٌ في كتابِ اللَّهِ ما حدَّثْتُكم. وتلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[1].

حدثني محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكمِ ، قال : ثنا أبو زُرْعةَ وهْبُ اللَّهِ بنُ راشدٍ ، عن يونسَ قال : قال ابنُ شهابٍ ، قال ابنُ المسيَّبِ ، قال أبو هريرةَ : لولا آيتان أنزَلهما اللَّهُ في كتابِه ما حَدَّثْتُ شيئًا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾ ، إلى آخرِ الآيةِ[2] . والآيةُ الأخرى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ ﴾[3] [آل عمران : ١٨٧] إلى آخرِ الآيةِ .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ .

يعني تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ : هؤلاءِ الذين يَكْتُمون ما أنزَل اللَّهُ مِن أمرِ محمدٍ ﷺ وصفتِه وأمرِ دينِه ، أنه الحقُّ ، مِن بعدِ ما بيَّنه اللَّهُ لهم في كتُبِهم ، يَلْعَنُهم اللَّهُ بكِتْمانِهم ذلك وتَرْكِهم تَبْيِينَه للناسِ . واللعنةُ الفَعْلةُ . مِن : لَعَنه اللَّهُ ، بمعنى : أقصاهُ اللَّهُ وأبعدَه وأسْحقَه . وأصلُ اللعنِ : الطَّرْدُ ، كما قال الشَّماخُ بنُ ضِرارٍ ، وذكَر ماءً ورَد عليه[4] :

ذَعَرْتُ به القَطا ونَفَيْتُ[5] عنه مَقامَ الذِّئْبِ كالرَّجُلِ اللَّعِينِ

يعني به مَقامَ الذئبِ الطَّرِيدِ ، و « اللعينُ » من نعتِ الذئبِ ، وإنما أرادَ : مَقامَ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٦٤/١، وابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٦٢، ٣٦٣، وأحمد ٢٢١/١٢ (٧٢٧٦) ، والبخارى (١١٨) ، ومسلم (٢٤٩٢) ، وغيرهم من طريق الأعرج عن أبي هريرة . وينظر الدر المنثور ١٦٣/١ .

(٢) في الأصل ، ت١، ت٢، ت٣ : « الآيتين » . وهو لفظ مسلم في الموضع الآتي .

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩٢) عقب حديث عائشة ، من طريق يونس به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦٨/١ (١٤٤٠) من طريق ابن شهاب به . وعندهما بغير ذكر آية آل عمران .

(٤) ديوان الشماخ ص ٣٢١ .

(٥) في الأصل : « ونيت » .

الذئبِ[١] اللعينِ كالرَّجلِ .

فمعنى الآيةِ إذًا : أولئك يُبْعِدُهم اللَّهُ منه ومِن رحمتِه ، ويَسْأَلُ ربَّهم اللاعنون أن يَلْعَنَهم ؛ لأن لعنةَ بنى آدمَ وسائرِ خَلقِ اللَّهِ ما لَعنوا أن يقولوا : « اللهمَّ الْعَنْه » . وإن كانَ معنى اللعنِ هو ما وصَفْنا مِن الإقْصَاءِ والإبْعادِ [٢] وأما مِن اللَّهِ فالإبعادُ من [٩١/٤و] رحمتِه[٢] .

وإنما قُلْنا : إنَّ لعنةَ اللاعنين هى ما وصفنا مِن مَسْأَلتِهم ربَّهم أن يَلْعَنَهم ، وقولِهم : لعنهُ اللَّهُ . أو : عليه لعنةُ اللَّهِ . لأن محمدَ بنَ خالدِ بنِ خِداشٍ ويعقوبَ بنَ إبراهيمَ حدَّثانى ، قالا : ثنا إسماعيلُ ابنُ عُلَيَّةَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [٣] قال : اللاعنون[٣] : البهائمُ ، قال : إذا أَسْنَتَتِ[٤] السنةُ ، قالتِ البهائمُ : هذا من أجْلِ عُصاةِ بنى آدمَ ، لعَن اللَّهُ عُصاةَ بنى آدمَ[٥] .

واختلَفَ أهلُ التأويلِ فيمنْ عنَى اللَّهُ تعالى ذِكرُه باللّاعِنين ؛ فقال بعضُهم : عنى بذلك دوابَّ الأرضِ وهوامَّها .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : تَلْعَنُهم

---

(١) بعده فى م : « الطريد و » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٤) فى م : « أسنت » . وأسفتت السنة : أجدبت ، من السنة وهو القحط : الجدب . ينظر اللسان (ج د ب) .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٣٦- تفسير) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٩/١ (١٤٤٦) من طريق إسماعيل ابن علية به .

دوابُّ الأرضِ وما شاء اللَّهُ من الخنافِسِ والعقاربِ ، تقولُ : نُمْنَعُ القَطْرَ بذُنوبِهم [(١)] .

حدثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ أُولَٰئِكَ /يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ . قال : دوابُّ الأرضِ : العقاربُ والخنافسُ يقولون : مُنِعْنَا القَطْرَ بخطايا بنى آدمَ [(٢)] .

٢/٥٥

حدثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا حَكَّامٌ ، عن عَمرٍو ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ قال : تلعنهم الهوامُّ ودوابُّ الأرضِ ، تقولُ : أُمْسِكَ القَطرُ عنا بخطايا بنى آدمَ [(٣)] .

حدثنا مُشَرَّفُ بنُ أبانٍ الخطَّابُ [(٤)] ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن خُصَيفٍ ، عن عكرمةَ فى قولِه : ﴿ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ . قال : يَلْعَنُهم كلُّ شىءٍ حتى الخنافسُ والعقاربُ ، يقولون : مُنِعْنَا القَطْرَ بذنوبِ بنى آدمَ [(٥)] .

حدثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : اللّاعنون : البهائمُ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ : البهائمُ تَلْعَنُ عُصاةَ بنى آدمَ حينَ أمسكَ اللَّهُ

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٢٨٦/٣ من طريق جرير به ، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٣٧- تفسير) ، وابن أبى الدنيا فى العقوبات (٢٧١) ، والطبرانى فى الدعاء (٩٥٥) ، من طريق منصور به .

(٢) تفسير سفيان ص ٥٣ . وأخرجه البيهقى فى الشعب (٣٣١٧) من طريق عبد الرحمن به .

(٣) أخرجه ابن المقرئ فى معجمه (٧٣٨) من طريق الأعمش عن مجاهد ، بلفظ : يلعنهم كل شىء حتى هوام الأرض .

(٤) فى الأصل : « الحطاب » . وينظر الثقات ٢٠٣/٩، وتاريخ بغداد ٢٢٤/١٣. وقد تقدم قبل ذلك .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٩/١ عقب الأثر (١٤٤٧) معلقًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٦٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

عنهم بذنوبِ بنى آدمَ القَطْرَ[(١)] ، فتخرجُ البهائمُ فتلْعَنُهم[(٢)] .

حدثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرنى مسلمُ بنُ خالدٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ : البهائمُ ؛ الإبلُ والبقرُ والغنمُ ، تلعنُ عصاةَ بنى آدمَ إذا أجدبتِ الأرضُ[(٣)] .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ[(٤)] قولِ هؤلاءِ[(٤)] الذين وجَّهوا تأويلَ قولِه : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ إلى أنَّ اللاعنين هُم الخنافسُ والعَقاربُ ، وغيرُ ذلك مِن هوامِّ الأرضِ ، وقد علمتَ[(٥)] أن العربَ[(٥)] إذا جَمعتْ ما كانَ من نوعِ البهائمِ وغيرِ بنى آدمَ ، فإنما تَجْمَعُه بغيرِ الياءِ والنونِ وغيرِ الواوِ والنونِ ، وإنما تَجمَعُه بالتاءِ ، وما خالف ما ذكرنَا ، فتقولُ : « اللاعِنَاتُ » . ونحوُ ذلك ؟

قيل : إن الأمرَ وإن كان كذلك ، فإنَّ مِن شأنِ العربِ إذا وَصَفَتْ شيئًا من البهائمِ أو غيرِها مما حُكْمُ جَمعِه أن يكونَ « بالتاءِ » ، أو[(٦)] بغيرِ صُورةِ جَمْعِ ذُكرانِ بنى آدمَ بما هو مِن صفةِ الآدميِّينَ - أن يَجمَعُوه جَمْعَ ذُكورِهم ، كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ [فصلت : ٢١] . فأخرَج خطابَها[(٧)] على مثالِ خطابِ ذكورِ[(٨)] بنى آدمَ إذ كلَّمَتْهم [٩١/٤ظ] وكلَّمُوها ، وكما قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ ﴾ [النمل : ١٨] . وكما قال : ﴿ وَٱلشَّمْسَ

(١) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « المطر » .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٣٦ - تفسير) من طريق ابن أبى نجيح به نحوه .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧٠/١ (١٤٤٨) عن يونس بن عبد الأعلى به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣.

(٥ - ٥) فى م : « أنها » .

(٦) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « و » .

(٧) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « خطابهم » .

(٨) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣.

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف : ٤] .

وقال آخرون : عنى اللَّهُ تعالى ذِكرُه بقولِه : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ : الملائكةَ والمؤمنين .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، [١]قال : حدثنا سعيدٌ[١] ، عن قتادةَ : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ . قال : يقولُ : اللاعنون مِن ملائكةِ اللَّهِ ومن المؤمنين[٢] .

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [٣]قال : اللاعنون[٣] الملائكةُ[٤] .

٥٦/٢ /حدثني المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ابنِ أنسٍ ، قال : اللَّاعنون مِن ملائكةِ اللَّهِ والمؤمنين[٥] .

وقال آخرون : يعني باللَّاعنِين : كلُّ ما عَدا بني آدمَ والجنَّ[٦] .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عَمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ قال : قال البراءُ بنُ عازبٍ : إنَّ الكافرَ إذا وُضِعَ في قبرِه أتتْهُ دابةٌ كأن عينَيْها قِدرانِ مِن نُحاسٍ معها عمودٌ من حديدٍ ، فتَضْرِبُه ضَرْبةً بينَ كَتِفَيْه فيَصِيحُ ، فلا يَسْمَعُ أحدٌ صوتَه إلا لَعَنَهُ ، ولا يبقَى شيءٌ إلا سمِع صوتَه ، إلا الثقلين الجنَّ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) تقدم أوله في ص ٧٣١ .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٦٥/١ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦٩/١ عقب الأثر (١٤٤٥) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٦) في الأصل : « الحن » .

والإِنْسَ[(١)] .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زُهيرٍ ، عن جويبرٍ ، عن الضحاكِ في قولِه : ﴿ أُوْلَتَئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴾ . قال : الكافرُ إذا وُضِعَ في حفرَتِه ضُربَ ضَرْبةً بِمِطْرَقٍ فيَصِيحُ صَيْحةً فيَسمَعُ صَوْتَه كلُّ شيءٍ إلَّا الثَّقَلين ؛ الجنَّ والإنسَ ، فلا يَسْمَعُ صَيْحَتَه شيءٌ إلَّا لعَنه[(٢)] .

وأَوْلَى هذه الأقوالِ بالصحةِ عندنا قولُ مَن قال : اللاعنون : الملائكةُ والمؤمنون ؛ لأنّ اللَّهَ تعالى ذِكرُه قد وصَف الكفارَ بأن اللّعنةَ التى تَحِلُّ بهم إنما هى مِن اللَّهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ ، فقال جلَّ ثناؤه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَتَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ . فكذلك اللعنةُ التى أخبَر اللَّهُ جلَّ ذِكرُه أنها نازلةٌ[(٣)] بالفريقِ الآخرِ : الذين يَكْتُمونَ ما أنزلَ اللَّهُ مِن البيِّناتِ والهُدى من بعدِ ما بيَّنه[(٤)] للناسِ ، هى لعنةُ اللَّهِ الذين[(٥)] أخبرَ أن لعنتَهم حالَّةٌ بالذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ ، وهم اللاعنون ؛ لأن الفريقَيْنِ جميعًا أهلُ كفرٍ .

وأما قولُ مَن قال : إنّ اللَّاعِنِين هم الخنافِسُ والعقاربُ وما أشبَه ذلك من دَبيبِ الأرضِ وهَوامِّها . فإنه قولٌ لا تُدرَكُ حقيقَتُه إلا بخبرٍ عن اللَّهِ أن ذلك مِن فعلِها[(٦)] وقيلِها[(٦)] ، تقومُ به الحجّةُ ، ولا خبرَ بذلك عن نبيِّ اللَّهِ ﷺ ، فيجوزَ أن

---

(١) هذا الحديث جزء من حديث البراء الطويل المشهور ، وقد أخرجه الطيالسى (٧٨٩) فراجع تخريجه هناك . وسيأتى فى تفسير سورة إبراهيم آية (٢٧) .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦٢/١ إلى المصنف .

(٣) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « حالة » .

(٤) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « بيناه » .

(٥) فى م : « التى » .

(٦ - ٦) سقط من : م . وفى ت١، ت٢، ت٣: « وفعلها » .

يقالَ : إنَّ ذلك كذلك .

وإذ كان ذلك كذلك ، **فالصوابُ مِن القولِ فيما قالوه أن يُقالَ** : إن الدليلَ مِن ظاهرِ كتابِ اللَّهِ موجودٌ بخلافِ هذا[(1)] التأويلِ ، وهو ما وصفْنا ، وإن كان جائزًا أن تكونَ البهائمُ وسائرُ خلقِ اللَّهِ تَلْعَنُ الذين يكتُمونَ ما أنزلَ اللَّهُ فى كتابِه من صِفَةِ محمدٍ ﷺ [٩٢/٤و] ونَعْتِه ونُبُوتِه ، بعدَ علْمِهم به ، وتَلْعَنُ معهم جميعَ الظَّلَمَةِ ، [(٢)]غيرَ أنه غيرُ[(٢)] جائزٍ قطعُ الشهادةِ بأنَّ[(٣)] اللَّهَ عَنى باللَّاعنين البهائمَ والهوامَّ ودَبيبَ الأرضِ ، إلا بخبرٍ للعذرِ قاطعٍ ، ولا خبرَ بذلك ، وكتابُ اللَّهِ الذى ذكرناه دالٌّ على خِلافِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ . يعنى بذلك جلَّ ثناؤه أنَّ اللَّهَ واللَّاعنِينَ يَلْعَنونَ الكاتِمِى الناسِ ما عَلِمُوا مِن أمْرِ نُبُوَّةِ محمدٍ ﷺ ونَعتِه وصِفَتِه فى الكتابِ الذى أنْزَلَهُ اللَّهُ وبيَّنهُ للناسِ ، إلَّا مَن أنابَ مِن كِتمانِه ذلك مِنهم ، ورَاجعَ/ التوبةَ بالإيمانِ بمحمدٍ ﷺ ، والإقرارِ به وبنُبُوَّتِه ، وتَصْديقِه فيما جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، وبَيانِ ما أنزَل اللَّهُ فى كُتُبِه التى أنزَلها إلى أنبيائِه من الأمرِ باتباعِه ، وأصلَحَ حالَ نفسِه بالتقرُّبِ إلى اللَّهِ مِن صالحِ الأعمالِ بما يُرْضيهِ عنه ، وبيَّنَ الذى علِم من وحْيِ اللَّهِ الذى أنزَله إلى أنبيائِه وعَهِد إليهم فى كُتُبِه ، فلم يكْتُمْه ، وأظْهرَه فلم يُخْفِه ، ﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ﴾ : فهؤلاء الذين فعَلوا هذا الذى وصَفْتُ منهم ، هم الذين أتوبُ عليهم ، فأجْعَلُهم من أهلِ الإيابِ إلى طاعتى ، والإنابةِ إلى مَرْضاتى .

٥٧/٢

(١) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « أهل » .

(٢ - ٢) فى م : « فغير » .

(٣) فى م : « فى أن » .

ثم قال جلَّ ثناؤه : ﴿ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ﴾ . يقولُ : وأنا الذى أَرجِعُ بقلوبِ عبيدِى المُنْصَرِفةِ عنِّى إلىَّ ، والرادُّها بعدَ إدبارِها عن طاعتى ، إلى طلبِ مَحبَّتى ، والرحيمُ بالمُقْبِلِينَ بعدَ إقبالِهم إلىَّ ، أَتَغَمَّدُهم منِّى بعفوٍ ، وأَصْفَحُ عنهم[1] عظيمَ ما كانوا اجترَمُوا فيما بينى وبينَهم بفضلِ رحمتى لهم .

فإنْ قال قائلٌ : وكيف يُتابُ على مَن قد تاب ؟ وما وجهُ قولِه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ ؟ وهل يكونُ تائبٌ إلَّا وهو مَتوبٌ عليه ، أو مَتوبٌ عليهِ إلَّا وهو تائبٌ ؟ قيلَ : ذلك مما لا يكونُ أحدُهما إلَّا والآخرُ معه ، فسواءٌ قيلَ : إلَّا الذين تِيبَ عليهم فتابُوا . أو قيلَ : إلَّا الذين تابوا فإنِّى أتوبُ عليهم . وقد بيَّنَّا وجهَ ذلك فيما جاءَ من الكلامِ هذا المجىءَ فى نظيرِه فيما مضَى من كتابِنا هذا ، فكرِهْنا إعادتَه فى هذا الموضِعِ[2] .

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ ﴾ . يقولُ : أصلَحوا فيما بينَهم وبينَ اللهِ ، وبَيَّنُوا الذى جاءَهم من اللهِ فلم يكتُموه ، [٩٢/٤ظ] ولم يَجحَدُوا به ، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3] .

حدثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ ﴾ . قال : بيَّنُوا ما فى كتابِ اللهِ للمؤمنين ، ولِمَا

---

(١) فى م ، ت٢ : « عن » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٤٧٢ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧٠/١ (١٤٥٠) من طريق شيبان النحوى عن قتادة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦٣/١ إلى عبد بن حميد .

سألوهُم عنه من أمرِ النبيِّ ﷺ ، وهذا كلُّه فى يهودَ .

وقد زعَم بعضُهم أنَّ معنَى قولِه : ﴿ وَبَيَّنُوا ﴾ . إنما هو : وبيَّنوا التوبةَ بإخلاصِ العملِ .

ودليلُ ظاهرِ الكتابِ والتنزيلِ بخلافِه ؛ لأن القومَ إنما عُوتِبوا فى(1) هذه الآيةِ على كتمانِهم ما أنزَل اللَّهُ تعالى ذِكرُه وبيَّنه فى كتابِه من(2) أمرِ محمدٍ ﷺ ودينِه ، ثم استثنَى منهم جلَّ ثناؤه الذين يبيِّنون أمْرَ محمدٍ ﷺ ودينَه ، ويتوبونَ مما كانوا عليهِ من الجُحودِ والكتمانِ ، فأخرَجَهم من عِدادِ(3) مَن يَلْعَنُه اللَّهُ ويَلْعَنُه اللاّعنون ، ولم يكنِ العتابُ على ترْكِهم تبيينَ التوبةِ بإخلاصِ العملِ .

والذين استثنَى اللَّهُ مِن الذين يكتُمون ما أنْزَل اللَّهُ مِن البيناتِ والهدَى مِن بعدِ ما بيَّنه(4) للناسِ فى الكتابِ ، عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ وذَوُوه مِن أهلِ الكتابِ الذين أسْلَموا فحسُنَ إسْلامُهم واتَّبعوا رسولَ اللَّهِ ﷺ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ .

٥٨/٢ /يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ : إنَّ الذين جَحدُوا نبوّةَ محمدٍ ﷺ وكذَّبوا به ، مِن اليهودِ والنصارَى وسائرِ أهلِ المللِ ، والمشركينَ مِن عَبَدَةِ الأوثانِ ، ﴿ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ . يعنى : وماتوا وهم على جُحُودِهم ذلك وتكذيبِهم

(١) بعده فى م : « مثل » .

(٢) فى م : « من » .

(٣) فى م : « عذاب » .

(٤) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « بيناه » .

محمدًا ﷺ ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ . يعنى [(١) بـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ (١)] : الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ ، ﴿ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : أبْعَدَهم اللَّهُ وأسْحَقَهم مِن رحمتِه ، ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ . يعنى : ولعنَتْهم الملائكةُ والناسُ أجمعون . ولعنةُ الملائكةِ والناسِ إيَّاهم قولُهم : عليهم لعنةُ اللَّهِ . وقد بيَّنَّا معنَى اللعنةِ فيما مضَى قبلُ[٢] ، بما أغنَى عن إعادَتِه .

فإن قال قائلٌ : وكيف تكونُ على الذى يموتُ كافرًا بمحمدٍ [(٣) لعنةُ جميعِ الناسِ ، وقد عَلِمتَ أنَّ من يَكفُرُ بمحمدٍ (٣)] ﷺ مِن أصنافِ الأُمَمِ ، [(٤) أكثرُ ممَّن يؤمنُ (٤)] به ويُصدِّقُه ؟ قيل : إنّ معنَى ذلك على خلافِ ما ذهبتَ إليه .

وقد اختلفَ أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم : عَنَى اللَّهُ بقولِه : ﴿ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ . أهلَ الإيمانِ به وبرسولِه خاصةً ، دونَ سائرِ البشرِ .

[٩٣/٤و] ذِكرُ من قال ذلك

حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ . يعنى بالناسِ أجمعين : المؤمنين[٥] .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ . يعنى بالناسِ أجمعينَ : المؤمنين .

(١ - ١) فى م ، ت١، ت٢، ت٣ : « فأولئك » .

(٢) تقدم فى ص ٢٣٠ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٤ - ٤) فى م : « وأكثرهم ممن لا يؤمن » .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧١/١ عقب الأثر (١٤٥٦) معلقًا .

وقال آخرون : بل ذلك يومَ القيامةِ ، يُوقَفُ على رءوسِ الأشهادِ الكافرُ ، فيَلْعَنُه الناسُ كلُّهم .

ذكرُ من قال ذلك

حُدِّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، أن الكافرَ يُوقَفُ يومَ القيامةِ فيَلْعَنُه اللَّهُ ، ثم يلعنُه الملائكةُ ، ثم يلعنُه الناسُ أجمعونَ[1] .

وقال آخرون : بل ذلك قولُ القائلِ كائنًا مَنْ كان : لعَن اللَّهُ الظالمَ . فيَلْحَقُ ذلك كلَّ كافرٍ ؛ لأنه مِن الظَّلَمةِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ قولَه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ : فإنه لا يتلاعَنُ اثنانِ مؤمنانِ ولا كافرانِ ، فيقولُ أحدُهما : لعنَ اللَّهُ الظالمَ . إلّا وجبتْ تلك اللعنةُ على الكافرِ ؛ لأنه ظالمٌ ، فكلُّ أحدٍ من الخَلْقِ يَلْعَنُه[2] .

وأَوْلَى هذه الأقوالِ بالصوابِ عندَنا قولُ مَن قال : عنَى اللَّهُ بذلك جميعَ الناسِ ، بمعنى لَعْنِهم إيّاه[3] بقولِهم : لعنَ اللَّهُ الظالمَ أو الظالمين . فإنَّ كلَّ أحدٍ مِن بنى آدمَ لا يَمْتَنِعُ[4] مِن قِيلِ ذلك كائنًا مَن كان ، ومِن أىِّ أهلِ مِلةٍ كان ، فيَدخُلُ بذلك فى لعنتِه كلُّ كافرٍ كائنًا مَن كان ، وذلك بمعنَى ما قاله أبو العاليةِ ؛ لأنّ اللَّهَ جلَّ ثناؤه أخبرَ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧١/١ (١٤٥٦) من طريق أبى جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧١/١ (١٤٥٧) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « إياهم » . ويعنى بـ « إياه » : الظالم .

(٤) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « يمنع » .

عمَّن شَهِدهم يومَ القيامةِ أنَّهم يَلعَنُونهم ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ /أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود : ١٨] . ٢/٥٩

وأمّا ما قاله قتادةُ مِن أنه عُنِى به بعضُ الناسِ ، فقولٌ ظاهرُ التنزيلِ بخلافِه ، ولا برهانَ على حقيقتِه من خبرٍ ولا نظرٍ ، فإنْ كان ظَنَّ أنَّ المَعْنِيَّ به المؤمنون ، مِن أجلِ أن الكفارَ لا يَلْعَنونَ أنفُسَهم ولا أولياءَهم ، فإنَّ اللَّهَ جلَّ ثناؤه قد أخبرَ أنهم يَلْعَنونهم فى الآخرةِ ، ومعلومٌ منهم أنهم يَلْعَنون الظَّلَمةَ ، وداخلٌ فى الظَّلمةِ كلُّ كافرٍ بظُلمِه نفسَه ، وجُحودِه نعمةَ ربِّه ، ومخالفتِه أمرَه .

[٤/٩٣ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾** .

قال أبو جعفرٍ : إن قال لنا قائلٌ : ما الذى نَصَب ﴿خَٰلِدِينَ﴾ ؟ قيل : نُصِب على الحالِ ، من الهاءِ والميمِ اللَّتيْن فى ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ . وذلك أن معنى قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ ﴾ : أولئكَ يَلْعَنهم اللَّهُ ، (١) فتأويلُ الكلامِ : أولئك يَلْعَنهم اللَّهُ (١) والملائكةُ والناسُ أجمعونَ ، خالِدِين فيها . ولذلك قرأ ذلك : (أولئِك عليهم لعنةُ اللَّهِ والملائكةُ والناسُ أجمعون) (٢) مَن قَرَأه كذلك ، توجيهًا منه إلى المعنَى الذى وَصَفتُ ، وذلك وإن كان جائزًا فى العربيةِ ، فغيرُ جائزةٍ القراءةُ به ؛ لأنه خلافُ القراءةِ (٣) لمصاحفِ المسلمين ، وما جاء به المسلمون مِن القراءةِ مُستفيضًا (٤) فيهم ، وغيرُ (٤) جائزٍ الاعتراضُ بالشاذِّ من القولِ على ما قد ثَبَتَتْ حُجَّتُه بالنقلِ المستفيضِ .

(١ - ١) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٢) فى م : « أجمعين » . وقراءة الرفع هذه هى قراءة الحسن . ينظر المحتسب ١١٦/١ .

(٣) زيادة من : الأصل .

(٤ - ٤) فى م : « فيها فغير » .

وأمّا الهاءُ والألفُ اللتان في قوله : ﴿ فِيهَا ﴾ ، فإنهما عائدتان على اللعنةِ ، والمرادُ بالكلامِ ما صار إليه الكافرُ باللعنةِ مِن اللَّهِ ومن ملائكتِه ومن النَّاسِ ، والذي صار إليه بها ، نارُ جهنمَ ، فأجرَى الكلامَ على اللعنةِ ؛ والمرادُ بها ما صار إليه الكافرُ ، كما قد بيَّنا مِن نظائرِ ذلك فيما مضَى قبلُ .

كما حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ . يقول : خالدين في جهنمَ في اللَّعنةِ[(١)] .

وأما قولُه : ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ ، فإنه خبرٌ من اللَّهِ عن دوامِ العذابِ لهم[(٢)] أبدًا مِن غيرِ تَوْقيةٍ[(٣)] ولا تخفيفٍ ، كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر: ٣٦] . وكما قال : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء: ٥٦] .

وأما قولُه : ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ ، فإنه يعني : ولا هم ينتظِرون[(٤)] لمعذرةٍ[(٥)] يَعْتَذِرُون .

كما حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ . يقولُ : لا ينظرون فيَعْتَذِرون ، كقولِه ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾[(٦)] [المرسلات: ٣٥، ٣٦] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٧١/١ (١٤٥٨) من طريق أبي جعفر به .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٣) في الأصل : « ترقيه » ، وفي م ، ت٣: « توقيت » .

(٤) في م : « ينظرون » .

(٥) في م ، ت١، ت٢، ت٣: « بمعذرة » .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٧١/١ من طريق أبي جعفر به نحوه .

القولُ فى تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ .

/قد بيَّنَّا فيما مضَى معنى الأُلُوهةِ[1] ، وأنها اعْتِبادُ الخلقِ ، فمعنى قولِه : ٦٠/٢ ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [٩٤/٤و] والذى يَسْتَحِقُّ عليكم أيها الناسُ الطاعةَ له ، ويَسْتَوجِبُ منكم العبادةَ ، معبودٌ واحدٌ وربٌّ واحدٌ ، فلا تَعْبُدوا غيرَه ولا تُشْرِكُوا معه سِواه ، فإن مَن تُشْرِكونَه معه فى عبادتِكم إياه هو خلقٌ مِن خلقِ إلٰهِكم مثلُكم ، وإلٰهُكم واحدٌ ، لَا مِثْلَ له ولَا نظيرَ .

واختُلِفَ فى معنى وحدانيتِه جلَّ ذِكرُه ؛ **فقال بعضُهم** : معنى وحدانيةِ اللَّهِ معنى نفيِ الأشباهِ والأمْثالِ عنه ، كما يقالُ : فلانٌ واحدُ الناسِ ، وهو واحدُ قومِه . يعنى بذلك أنه ليسَ له فى الناسِ مِثْلٌ ، ولا له فى قومِه شبيهٌ ولا نظيرٌ . قالوا[2] : فكذلك معنى قولِنا[3] : اللَّهُ واحدٌ . نعْنى[4] به : اللَّهُ جلَّ ثناؤه لا مِثْلَ له ولا نظيرَ . فزَعمُوا أن الذى دلَّهم على صحةِ تأويلِهم ذلك ، أن قولَ القائلِ : « واحدٌ » . اسمٌ[5] لمعانٍ أربعةٍ : **أحدُها** ، أن يكونَ واحدًا مِن جنسٍ ، كالإنسانِ الواحدِ من الإنسِ . **والآخَرُ** ، أن يكونَ غيرَ مُتَنَصِّفٍ[6] ، كالجزءِ الذى لا يَنْقَسِمُ . **والثالثُ** ، أن يكونَ معنيًّا به : المِثْلُ والاتِّفاقُ ، كقولِ القائلِ : هذان الشيئانِ واحدٌ . يرادُ بذلك أنهما متشابهانِ

---

(١) فى م : « الألوهية » . وينظر ما تقدم فى ١٢١/١ - ١٢٤ .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م ، ت٢: « قول » .

(٤) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « يعنى » .

(٥) فى م ، ت١، ت٢: « يفهم » .

(٦) فى م : « متصرف » . وقد أثبتها الشيخ شاكر فى ٢٦٥/٢ : « متفرق » .

حتى صارًا لاشتباهِهما فى المعانى كالشىءِ الواحدِ . **والرابعُ** ، أن يكون مرادًا به نَفْىُ النظيرِ عنه والشبيهِ(١) . قالوا : فلمّا كانتِ المعانى الثلاثةُ مِن معانى الواحدِ مُنْتَفِيَةً عنه ، صحَّ المعنى الرابعُ الذى وَصَفْناه .

وقال آخرون : معنى وحدانيتِه ، عزَّ ذِكرُه ، معنى انفرادِه مِن الأشياءِ ، وانفرادِ الأشياءِ منه . وقالوا : إنما كان منفردًا وحدَه ؛ لأنه غيرُ داخلٍ فى شىءٍ ، ولا داخلٍ فيه شىءٌ . قالوا : ولا صِفةَ(٢) لقولِ القائلِ : « واحدٌ » مِن جميعِ الأشياءِ ، إلَّا ذلكَ .

وأنْكَر قائلو هذه المقالةِ المعانىَ الأربعةَ التى قالها الآخرون .

وأما قولُه جلَّ ثناؤه : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، فإنه خبرٌ منه جلّ جلالُه أنْ لا ربَّ للعالمين غيرُه ، ولا مُسْتَوْجِبَ(٣) على العبادِ العبادةَ سواه ، وأنّ كلَّ ماسواه فهُم خلقُه ، والواجبُ على جميعِهم طاعتُه ، والانقيادُ لأمرِه ، وتركُ عبادةِ ما سواه مِن الأندادِ والآلهةِ ، وهجرُ الأوثانِ والأصنامِ ؛ لأنَّ جميعَ ذلك خلقُه ، وعلى جميعِهم الدَّيْنُونَةُ له بالوحدانيةِ والأُلُوهَةِ ، ولا تنبغى الأُلوهةُ إلا له ، إذ كان ما بهم مِن نعمةٍ فى الدنيا فمنه ، دونَ ما يعبدونَه مِن الأوثانِ ويُشرِكون معه مِن الأَشْراكِ(٤) ، وما يصيرون إليه مِن نعمةٍ فى الآخرةِ فمنه ، وأن ما أشركوا معه مِن الأَشْراكِ لا يَضُرُّ ولا يَنفَعُ فى عاجلٍ ولا آجلٍ ، ولا فى دنيا ولا آخرةٍ . وهذا تنبيهٌ مِن اللّهِ جلَّ ثناؤه أهلَ الشِّركِ به على ضَلالِهم ، ودعاءٌ منه لهم إلى الأَوْبَةِ مِن كفرِهم ، والإنابةِ من شركِهم ، ثم عرَّفهم جلَّ ذكرُه بالآيةِ التى [٩٤/٤ظ] تَتلُوها موضعَ استدلالِ ذوِى الألبابِ منهم ،

---

(١) فى الأصل ، ت١: « التشبيه » .

(٢) فى م ، ت٢: « صحبة » .

(٣) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « يستوجب » .

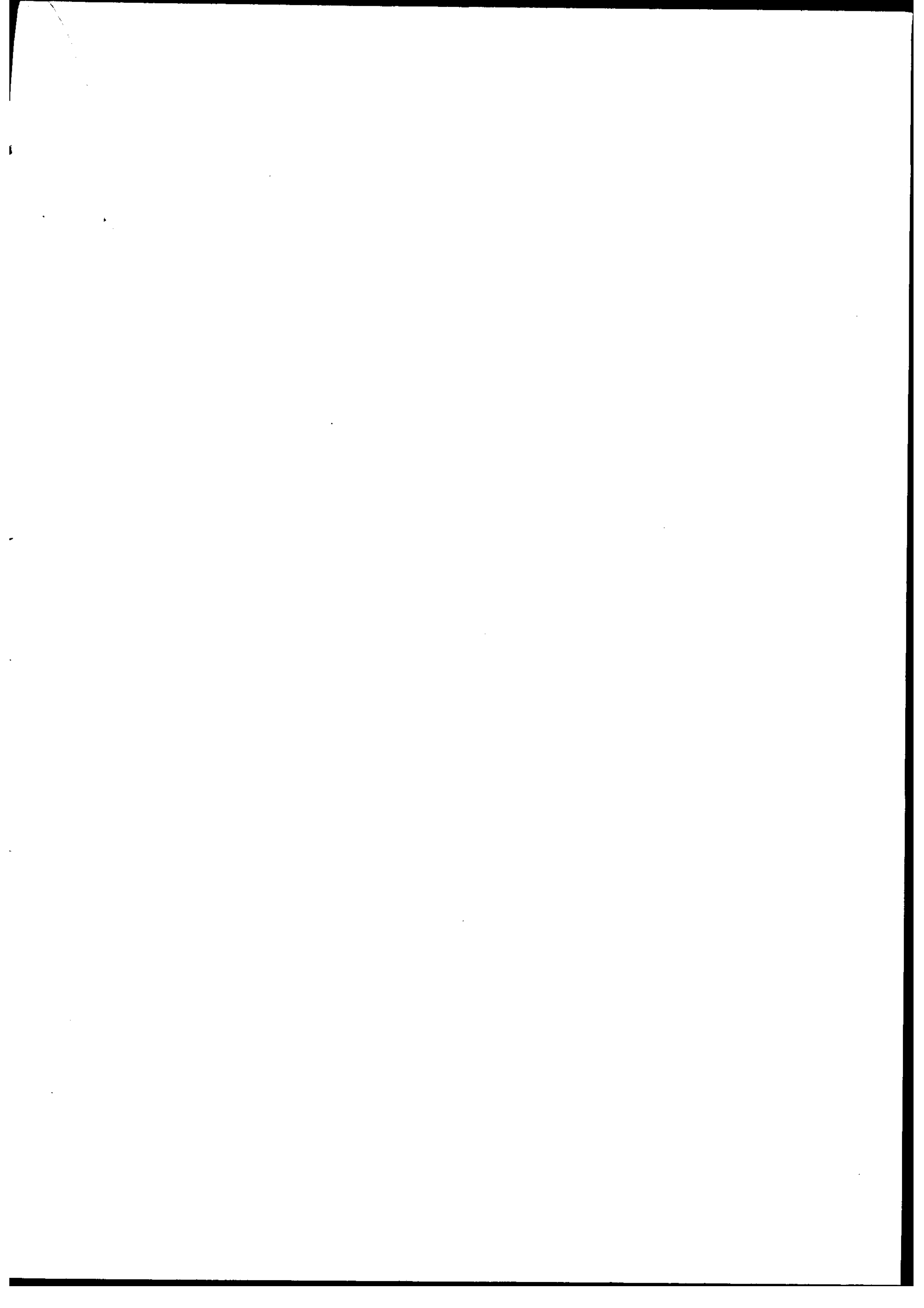
(٤) الأشراك جمع شِرك وشريك . اللسان (ش ر ك) .

على حقيقةِ ما نَبَّهَهم عليه مِن توحيدِه وحُجَجِه الواضحةِ القاطعةِ عُذرَهم ، فقال عزَّ ذِكرُه : أيها المشركون إنْ جَهِلْتم ، أو شَكَكْتم فى حقيقةِ ما أخبرتُكم مِن الخبرِ ؛ من أنَّ إلهَكم إلهٌ واحدٌ ، دونَ ما تدَّعون أُلُوهتَه[1] مِن الأَنْدادِ والأَوثانِ ، فتَدَبَّروا حُجَجِى ، وفكِّروا فيها ، فإن مِن حججى خَلْقَ السماواتِ والأرضِ ، واختلافَ الليلِ والنهارِ ، والفُلْكَ التى تجرى فى البحرِ بما ينفعُ الناسَ ، وما أنزلتُ مِن السماءِ مِن ماءٍ فأحييتُ به الأرضَ بعدَ موتِها ، وما بَثَثْتُ فيها مِنْ كلِّ دابةٍ ، والسحابَ الذى سَخَّرْتُه بينَ السماءِ والأرضِ ، فإن كانَ ما تَعْبُدونه مِن الأوثانِ والآلهةِ والأندادِ/ ٦١/٢ وسائرِ ما تُشْرِكون به ، إذا اجْتَمَع جميعُه فتظاهرَ ، أو انْفَرَد بعضُه دونَ بعضٍ ، يَقْدِرُ على أنْ يَخْلُقَ نظيرَ شىءٍ مِن خَلْقى الذى سمَّيتُ لكم ، فلكم بعبادتِكم ما تَعْبُدون مِن دونِى حينئذٍ عُذرٌ ، وإلَّا فلا عذرَ لكم فى اتخاذِ إلهٍ سِوایَ ، ولا إلهَ لكم ولما تَعبدون غيرى .

قال أبو جعفرٍ : فلْيَتَدَبَّرْ أولو الألبابِ إيجازَ اللَّهِ جلَّ ثناؤه ، واحتجاجَه على جميعِ أهلِ الكفرِ به ، والملحدين فى توحيدِه ، فى هذه الآيةِ وفى التى بعدَها ، بأوجزِ كلامٍ وأبلغِ حُجَّةٍ وألطفِ معنًى ، يُشْرِفُ بهم على معرفةِ فضلِ حكمةِ اللَّهِ وبيانِه .

---

(١) فى م ، ت١، ت٢: « ألوهيته » .



فهرس الجزء الثانى

الموضـــوع الصفحة

تابع تفسير سورة البقرة

تم الجزء الثانى بحمد الله ومَنِّه ، ويليه الجزء الثالث

وأوله : القول فى المعنى الذى من أجله أنزل الله على نبيه ﷺ قوله : ﴿ إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ... ﴾

رقم الإيداع ٢٠٠١/١١٩٠٤

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة
☎ ٣٢٥٢٥٧٩ – فاكس ٣٢٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء – ☎ ٣٢٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة